سمط النجوم العوالي
في أنباء الأوائل والتوالي

تأليف
عبد الملك بن حسين بن عبد الملك
الشافعي العاصمي المكي
المتوفى سنة ١١١١هـ

تحقيق وتعليق
الشيخ عادل أحمد عبد الموجود
الشيخ علي محمد معوض

الجزء الأول

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١) ٠٠
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH
Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floore.
Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى رفع السموات بغير عمد، وزينها بالنجوم والكواكب، وجعل فيها سراجًا وقمرًا منيرًا، وبسط الأرضين ومهدها، وجعلها فيها رواسي شامخات، وجنات وأنهارًا.

والصلاة والسلام على أشرف مخلوقات الله، وأطهر عباده، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد، فإن استرجاع صورة الماضي البعيد، والأحداث السحيقة، وتمثل هذه الأحداث وتحليلها - من الأهمية بمكان بحيث لا تخفى على كل ذي عينين.

وإن أحداث التاريخ تتكرر فما أشبه الليلة بالبارحة، وإن اسلافنا كانوا من الحكمة بمكان لا بد أن نسير عليه، ونسترشد خطاه في ظل طلمات الحاضر المتلاطم بالأهواء والأفكار المختلطه والمتخلفة في نفس الوقت.

كثيرًا ما تبدو لنا صورة الماضي جميلة، وكثيرًا ما نضع أسلافنا وتراثنا في مكانة مقدسة، وكثيرًا ما تكون هذه الصورة ملجأ وملاذًا للهاربين من أشباع الحاضر، وخوف المستقبل.

إن دراسة التاريخ ليست للتسلية والسرد القصص المكرور، وإنما هي لاستخلاص النظريات العامة، والقوانين الرئيسية التي حركت وكونت خطا البشرية، وجددت مساراتهم، وغيرت أنماط حياتهم، ووجهاتها إلى حيث تريد هذه القوانين.

وإن هذه القوانين التي وجهت البشرية بالأمس وحددت مساراتها إنما توجه خطانا اليوم وتحدد مساراتنا.

لذا فإن لنا من آثار السابقين عبرًا، وفي أحداثهم عظات وحكمًا - ما أجدرنا أن نتمثلها وتسترشد سننها القويم ولما كانت دراسة التاريخ بهذه الأهمية الكبيرة - آثرنا أن نستهل حديثنا بمقدمة عن علم التاريخ وما يتعلق به؛ تعميمًا للفائدة، وإبرازًا لدوره وأهميته.

علم التاريخ

قبل أن نتحدث عن التاريخ أعرفه من الجهة اللغوية والاصطلاحية، ونعرف الطبقات ثم موضوعه، ثم أبين كيف بدء عمل التاريخ، وأوضح السبب الداعى له

وأهميته؛ فأقول ولله الحمد والمنة:

تعريف التاريخ لغة:

قال فى « المصباح »: أرّخت الكتاب - بالتثقيل فى الأشهر، والتخفيف لغة حكاها ابن القطاع -: إذا جعلت له تاريخًا، وهو معرب، وقيل: عربى وهو بيان انتهاء وقته، ويقال: ورخت، على البدل، والتوريخ قليل الاستعمال.

اختلفوا فى لفظ التاريخ هل هو عربى أو معرب:

قال صاحب « نور المقاييس »، وهو مختصر كتاب « مقاييس اللغة » لابن فارس: تأريخ الكتاب، ليس عربيا ولا سمع من فصيح. وقال ابن فارس فى « المجمل »: التواريخ والتاريخ فما تحسبها عربية، وقال غيره: التاريخ لفظ معرب، أصله ماه روز، وسبب تعريبه أن أبا موسى كتب إلى عمر رضى الله تعالى عنهما - إنه يأتينا منك كتب ليس لها تاريخ فجمع عمر الصحابة واستشارهم فى ذلك فقال الهرمزان: إن للعجم حِسَابًا يسمونه: ماه روز، ينسبونه إلى ما غلب عليهم من الأكاسرة، فعربوه وقالوا: مؤرخ، وجعلوا مصدره التأريخ، واستعملوه فى وجوه التصريف، ثم بين لهم الهرمزان كيفية استعماله، فقال عمر - رضى الله تعالى عنه-: ضعوا تاريخا تتعاملون عليه.

وقال جماعة: هو عربى مشتق من الأرخ بفتح الهمزة وكسرها، وهو ولد البقرة الوحشية، وقيل: إن الأرخ البقرة التى لم ينزُ عليها الثيران، والعرب تشبه بها النساء الخفرات.

وقال ابن الجواليقى: يقال: إن الأرخ: الوقت، والتأريخ: التوقيت. قال ابن برى: لم يذهب أحد إلى هذا، وإنما قال ابن درستويه: اشتقاق الأرخ من بقر الوحش واشتقاق التأريخ واحد؛ لأن القنا وقت من السن، والتأريخ وقت من الزمن.

وقال ابن برى: وقد أحسن كل الإحسان وجمع الأرخ والتأريخ.

تعريف التاريخ اصطلاحا:

وفى الاصطلاح: التعريف بالوقت الذى تضبط به الأحوال من مولد الرواة والأئمة، ووفاة وصحة وعقل وبدن ورحلة وحج وحفظ وضبط وتوثيق وتجريح، وما أشبه هذا مما مرجعه الفحص عن أحوالهم فى ابتدائهم وحالهم واستقبالهم،

ويلتحق به ما يتفق من الحوادث والوقائع الجليلة، من ظهور ملمة، وتجديد فرض، وخليفة، ووزير، وغزوة، وملحمة، وحرب، وفتح بلد، وانتزاعه من متغلب عليه، وانتقال دولة، وربما يتوسع فيه لبدء الخلق وقصص الأنبياء، وغير ذلك من أمور الأمم الماضية، وأحوال القيامة ومقدماتها أو دونها: كبناء جامع، أو مدرسة، أو قنطرة، أو رصيف، أو نحوها، مما يعم الانتفاع به مما هو شائع مشاهد أو خفى سماوى: كجراد وكسوف وخسوف، أو أرضى كزلزلة وحريق وسيل وطوفان وقحط وطاعون وموتان، وغيرها من الآيات العظام والعجائب الجسام.

والحاصل أنه فن يبحث فيه عن وقائع الزمان من حيثية التعيين والتوقيت بل عما كان فى العالم.

تعريف الطبقات

الطبقات: جمع طبقة، وذلك بتصنيف وتوزيع قوم يجمعهم قاسم مشترك على طبقات بعضها فوق بعض مع مراعاة البيئة الزمانية.

والطبقة فى اللغة: القوم المتشابهون.

وفى الاصطلاح: قوم تقاربوا فى السن والإسناد، أو فى الإسناد فقط، بأن يكون شيوخ هذا هم شيوخ الآخر، أو يقاربون شيوخه.

بدء التاريخ وسبب عمله

ونحن بصدد الكلام عن التاريخ وطبقات الرجال يحسن بنا أن نوضح متى بدأ التاريخ الإسلامى؛ فنقول - ولله الحمد والمنة -: روى الحاكم فى « الإكليل » عن ابن شهاب الزهرى - رحمه الله - قال: لما قدم النبى ﷺ المدينة أمر بالتاريخ فكتب فى ربيع الأول. قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: هذا معضل.

قلت: ورواه يعقوب بن سفيان بلفظ « التاريخ من يوم قدم النبى ﷺ مهاجرًا ».

قال ابن عساكر والحافظ ابن حجر: وهذا أصوب، والمحفوظ: الآمر بالتاريخ عمر بن الخطاب.

قال الشيخ الجلال السيوطى: ويعضد الأول ما رأيته بخط ابن القماح فى مجموع له، قال ابن الصلاح: وقفت على كتاب فى الشروط لأبى طاهر محمش الزيادى ذكر فيه أن رسول الله ﷺ أرخ بالهجرة حين كتب لنصارى نجران وأمر عليا - رضى الله

عنه - أن يكتب فيه لخمس من الهجرة؛ فالمؤرخ إذن رسول الله ﷺ وعمر تبعه فى ذلك.

والحديث الأول فيه أنه أرخ يوم قدومه المدينة.

وقد يجاب عنه بأنه لا منافاة، فإن الظرف وهو قوله يوم قدم المدينة ليس متعلقًا بالفعل، وهو أمر لا مصدر، وهو التاريخ، أى: أمر أن يؤرخ بذلك اليوم.

وروى البخارى فى تاريخه الصغير عن ابن عباس قال: كان التاريخ فى السنة التى قدم فيها رسول الله ﷺ المدينة.

وروى عبد العزيز قال: أخطأ الناس العدد؛ أى لم يعدوا من مبعث النبى ﷺ ولا من متوفاه، وإنما عدوا من مقدمه المدينة.

قال مصعب الزبيرى: وكان تاريخ قريش من متوفى هاشم بن المغيرة، يعنى آخر تاريخهم.

قوله: « أخطأ الناس العدد » أى أغفلوه وتركوه ثم استدركوا، ولم يرد أن الصواب خلاف ما عملوا، ويحتمل أن يريده، وأنه كان يرى أن البداءة بالمبعث أو الوفاة أولى، وله اتجاه، لكن الراجح خلافه، وقوله: « مقدمه » أى: زمن قدومه ولم يرد شهر قدومه؛ لأن التاريخ وقع من أول السنة.

قال الحافظ - رحمه الله -: وقال عمرو بن دينار: إن أول من أرخ التاريخ يعلى بن أمية، وهو باليمن. رواه الإمام أحمد بسند صحيح، لكن فيه انقطاع بين عمرو ويعلى، والله أعلم بالصواب.

روى أبو نعيم الفضل بن دكين - بضم الدال المهملة، وفتح الكاف، وسكون التحتانية وبالنون - فى تاريخه من طريق الشعبى، أن أبا موسى رضى الله تعالى عنه كتب إلى عمر - رضى الله تعالى عنه - أنه يأتينا منك كتب ليس لها تاريخ، فجمع عمر الناس فقال بعضهم: أرخ بالمبعث، وبعضهم: أرخ بالهجرة، فقال عمر: الهجرة فرقت بين الحق والباطل فأرخوا بها وذلك سنة سبع عشرة، فلما اتفقوا قال بعضهم: ابدءوا برمضان، فقال بعضهم: بل المحرم، فإنه منصرف الناس من حجهم فاتفقوا عليه.

الثانى: ما رواه الإمام أحمد، والبخارى فى « الأدب » وأبو عروبة فى

« الأوائل » والحاكم من طريق ميمون بن مهران - رحمه الله تعالى - قال: رفع لعمر صك محله شعبان فقال: أى شعبان !! الماضى أو الذى نحن فيه، أو الآتى ؟ ضعوا للناس شيئًا يعرفونه من التاريخ.

وروى ابن عساكر عن سعيد بن المسيب - رحمه الله تعالى - قال: أول من كتب التاريخ عمر لسنتين ونصف من خلافته، فكتب لسنة عشر من المحرم بمشورة على.

وروى ابن أبى خيثمة عن ابن سيرين قال: قدم رجل من اليمن فقال: رأيت شيئًا يسمونه التاريخ، يكتبون من عام كذا وبشهر كذا، فقال عمر: هذا حسن فأرخوا، فلما أجمعوا على ذلك قال قوم: أرخوا للمولد، وقال قائل: للمبعث، وقال قائل: من حين خرج مهاجرًا، وقال قائل: من حين توفى، فقال عمر: أرخوا من خروجه من مكة إلى المدينة.

ثم قال: بأى شهر نبدأ ؟ فقال قوم: بـ« رجب »، وقال قوم: بـ« رمضان »، فقال عثمان: أرخو من « المحرم » فإنه شهر حرام، وهو أول السنة ومنصرف الناس من الحج، فكان ذلك سنة سبع عشرة من الهجرة.

وروى الحاكم عن سعيد بن المسيب - رحمه الله تعالى - لما جمع عمر الناس سألهم: من أى يوم نكتب التاريخ ؟ فقال على - رضى الله تعالى عنه -: من يوم هاجر النبى ﷺ وترك أرض الشرك ففعله عمر.

قال الحافظ - رحمه الله تعالى -: واستفدنا من مجموع هذه الآثار أن الذى أشار بالمحرم عمر وعثمان وعلى رضى الله تعالى عنهم.

وقد أبدى بعضهم للبداءة بالهجرة مناسبة فقال: كانت القضايا التى اتفقت له ويمكن أن يؤرخ بها أربعة: مولده، ومبعثه، وهجرته، ووفاته، فرجح عندهم جعلها من الهجرة؛ لأن المولد والمبعث لا يخلو واحد منهما من النزاع في تعيين السنة، وأما وقت الوفاة فأعرضوا عنه لما يَقَعُ بذكره من الأسف عليه ؛ فانحصر فى الهجرة، وإنما أخروه من ربيع الأول إلى المحرم؛ لأن ابتداء العزم على الهجرة كان فى المحرم إذ البيعة وقعت فى أثناء ذى الحجة وهى مقدمة الهجرة فكان أول هلال استهل بعد البيعة والعزم على الهجرة هلال « المحرم »، فناسب أن يجعل مبتدأ.

قال الحافظ ابن حجر: وهو أقوى ما وقفت عليه فى مناسبة الابتداء بالمحرم.

قال الجلال السيوطى - رحمه الله تعالى -: وقفت على نكتة فى جعل « المحرم » أول السنة؛ روى سعيد بن منصور فى « سننه » والبيهقى فى « الشعب » بإسناد حسن عن ابن عباس - رضى الله تعالى عنه - قال فى قوله: ﴿ وَٱلْفَجْرِ ﴾ [الفجر: ١] قال: الفجر: فجر النهار.

قال الحافظ ابن حجر فى أماليه: بهذا تحصل الجواب عن الحكمة فى تأخير التاريخ من « ربيع الأول » إلى « محرم » بعد أن اتفقوا على جعل التاريخ من الهجرة، وإن كانت فى « ربيع الأول ».

روى البخارى فى تاريخه عن عبيد بن عمير - رحمه الله تعالى - قال: « المحرم » شهر الله، وهو رأس السنة، فيه يؤرخ التاريخ، وفيه يكسى البيت، ويضرب الورق.

من التنبيهات المهمة أن الصحابة - رضى الله تعالى عنهم - أخذوا التاريخ من قول الله عز وجل: ﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ﴾ [التوبة: ١٠٨]؛ لأنه معلوم أنه ليس أول الأيام مطلقا، فتعين أنه أضيف إلى شىء مضمر، وهو أول الزمن الذى عز فيه الإسلام وَعَبَدَ النبى ﷺ ربَّهُ تبارك وتعالى آمنا، وابتدأ بناء المسجد، فوافق رأى الصحابة - رضى الله تعالى عنهم - ابتداء التاريخ من ذلك اليوم وفهمنا من فعلهم أن قوله تعالى: ﴿ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ﴾ أنه أول أيام التاريخ.

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى -: كذا قال، والمتبادر أن معنى قوله: ﴿ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ﴾ أى: دخل فيه النبى ﷺ وأصحابه المدينة.

وإنما يؤرخ بالأشهر الهلالية التى قد تكون ثلاثين، وقد تكون تسعًا وعشرين - كما ثبت فى الحديث - دون الشمسية (الحسبية) التي تبدأ بثلاثين وتزيد عليها.

قال الله سبحانه وتعالى فى قصة أصحاب الكهف: ﴿ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴾ [الكهف: ٢٥].

قال المفسرون: زيادة التسعة باعتبار الهلالية وهى ثلاثمائة فقط هلالية وإنما كان التاريخ بالهلالية للحديث الصحيح: « إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ لاَ نَحْسُبُ وَلاَ نَكْتُبُ، الشَّهْرُ هَكَذَا وَهَكَذَا » وللحديث الصحيح: « إِذَا رَأَيْتُمُوه - يَعْنِي الهِلاَلَ - فَصُومُوا، وإِذَا

رَأَيْتُمُوهُ فأفْطِرُوا، فَإِنْ غُمَّ عَليكُمْ فَأَكْمِلُوا العِدَّةَ ثَلاثِينَ » وآلى النبى ﷺ من نسائه شهرًا، ودخل عليهن فى التاسع والعشرين، فقيل له: لقد آليت تسعًا وعشرين، فقال: الشهر تسع وعشرون. قال الإمام البلقينى فى « التدريب »: كل شهر فى الشرع فالمراد به الهلال، إلا شهر المستحاضة وتخليق الحمل.

التصانيف فى التاريخ

وأما التصانيف فى التاريخ فكثيرة جدًا، لا تدخل تحت الحصر، بحيث قال الحافظ العلاء مغلطاى الحنفى فى كتاب « إصلاح ابن الصلاح » له: « رأيت من ملك نحوًا من ألف تصنيف فيه ».

قال السخاوى: رأيت بخط الحافظ المؤرخ العمدة أبى عبد الله الذهبى ما نصه: « فنون التواريخ التى تدخل فى تاريخى الكبير المحيط، ولم أنهض له، ولو عملته لجاء فى ستمائة مجلد:

(١) سيرة نبينا ﷺ.

(٢) قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

(٣) تاريخ الصحابة، رضى الله عنهم.

(٤) تاريخ الخلفاء من الصحابة، ومن بنى أمية، وبنى العباس، ومعهم المروانية بالأندلس والعبيدية بالمغرب ومصر.

(٥) تاريخ الملوك والدول، والأكاسرة والقياصرة، ومعهم ملوك الإسلام، كابن طولون، والإخشيد، وابن بُويه، وابن سلجوق، ونحوهم. وملوك خوارزم، والشام، وملوك التتار، ومن لقب بالملك.

(٦) تاريخ الوزراء أولهم هارون عليه السلام، وأبو بكر، وعمر، وطائفة. وبعضهم دخل فى الأنبياء، وفى الخلفاء وغير ذلك، وفى الملوك.

(٧) تاريخ الأمراء، والأكابر، ونواب الممالك، وكبار الكتاب. ومنهم خلق من الموقعين، وبعضهم أدباء، وشعراء.

(٨) تاريخ الفقهاء وأصحاب المذاهب، وأئمة الأزمنة والفرضيين، قلت: ويدخل فيه أهل الاجتهاد ممن قلد، وغيرهم.

(٩) تاريخ القراء بالسبع.

(١٠) تاريخ الحفاظ.

(١١) تاريخ مشيخة المحدثين وأئمتهم.

(١٢) تاريخ المؤرخين.

(١٣) تاريخ النحاة، والأدباء، واللغويين، والشعراء، والبلغاء، والعروضيين، والحسّاب.

(١٤) تاريخ العباد، والزهاد، والأولياء، والصوفية، والنساك.

(١٥) تاريخ القضاة، والولاة، ومعهم تاريخ الشهود، والأمناء.

(١٦) تاريخ المعلمين، والوراقين، والقصاص، والطرقية، والغرباء.

(١٧) تاريخ الوعاظ، والخطباء، وقراء الأنغام، والندماء، والمطربين.

(١٨) تاريخ الأشراف، والأجواد، والعقلاء، والأذكياء، والحكماء.

(١٩) تاريخ الأطباء، والفلاسفة، والزنادقة، والمهندسين، ونحو ذلك.

(٢٠) تاريخ المتكلمين، والجهمية، والمعتزلة، والأشعرية، والكرامية، والمجسمة.

(٢١) تاريخ أنواع الشيعة، من الغلاة والرافضة، وغير ذلك.

(٢٢) تاريخ فنون الخوارج، والنواصب، وأنواع المبتدعة، وأهل الأهواء.

(٢٣) تاريخ أهل السنة من علماء الأمة، وصوفيتها، وفقهائها، ومحدثيها.

(٢٤) تاريخ البخلاء، والطفيلية، والثقلاء، والأكلة، وذوى الحمق والخيلاء، والسفهاء.

قلت: ولم يتعرض لضدهم من الكرماء والأجواد، كأنه للاكتفاء بالأجواد فيما تقدم. وقد اجتمع لى منهم جملة.

(٢٥) تاريخ الأضراء، والزمنى، والصم، والخرس، والحدبان.

(٢٦) تاريخ المنجمين، والسحرة، والكيميائيين، والمطالبين، والمشعوذين.

(٢٧) تاريخ النسابين، والإخباريين، والأعراب.

(٢٨) تاريخ الشجعان، والفرسان، والشطار، والسعاة.

(٢٩) تاريخ التجار، وعجائب الأسفار، والبحار، وغرباء البحرية، والمجردين.

(٣٠) تاريخ أولى الصنائع العجيبة، والرشقين فى أشغالهم واقتراحهم، وتوليدهم فنون الأعمال.

(٣١) تاريخ الرهبان، وأولى الصوامع والخلوات والأحوال الفاسدة.

(٣٢) تاريخ الأئمة، والمؤذنين، والموقتين، والمعبرين، والعامة.

(٣٣) تاريخ قطاع الطريق، والغداوية، ولعاب الشطرنج والنرد والقمار، وترك الرمى بالنشاب.

(٣٤) تاريخ الملاح، والعشاق، والمتيمين، والرقاصين، وشربة الخمور، والعُررِ، وأهل الخلاعة، والقيادة، والكذب، والأبنة.

(٣٥) تاريخ أولى الدهاء والحزم والتدبير والرأى والخداع والحيل.

(٣٦) تاريخ المنديين، والمخايلين، والصانعين، والفرشيين، والمخنثين، وأهل المجون، والمزاح، والتجر، والكذب.

(٣٧) تاريخ عقلاء المجانين، والموسوسين، والمتمرين، والمدمغين، والمطعومين.

(٣٨) تاريخ السائلة، والشحاذين، والمتمنين، والحراشفة، والجمرية.

(٣٩) تاريخ قتلى القرآن، والحب، والسماع، والفرع والحال.

(٤٠) تاريخ الكهان وأولى الخوارق والكشف الذى كأنه كرامات، من الفسقة وغيرهم.

قال: فهذه أربعون تاريخًا، إن جمعت فى مصنف واحد جاء فى غاية الطول، يكون وِقْرَ بعير. وإن أفردت فقد أفرد الفضلاء كثيرًا منها، ويتكرر الرجل فى تاريخين وثلاثة فأكثر، وإذا أنت ذاكرت كل إنسان ممن هو مقدم فى فنه من ذلك، وجدت عنده عجائب ونوادر مما يتعلق بذلك، لا تكاد توجد فى تاريخ » انتهى ما قرأته بخط الذهبى.

وقوله: « وقر بعير » ينافى قوله أولا: « ستمائة مجلد »، لأن هذا العدد أكثر من وقر بعيرين. أفاده شيخنا ابن حجر. وقال السخاوى: وقرأت بخط الذهبى أيضا فى أول تاريخ الإسلام له إنه « جمعه، وتعب فيه، واستخرجه من عدة تصانيف، يعرف بها الإنسان ما مضى من التاريخ، من أول تاريخ الإسلام إلى عصرنا هذا، من وفيات

الكبار من الخلفاء، والقراء، والزهاد، والفقهاء، والمحدثين، والعلماء، والسلاطين، والوزراء، والنحاة، والشعراء، ومعرفة طبقاتهم، وأوقاتهم، وشيوخهم، وبعض أخبارهم، بأخصر عبارة، وألخص لفظ، وما تم من الفتوحات المشهورة، والملاحم المذكورة، والعجائب المسطورة، من غير تطويل، ولا إكثار، ولا استيعاب. ولكن أذكر المشهورين ومن يشبههم، وأترك المجهولين ومن يشبههم. وأشير إلى الوقائع الكبار، إذ لو استوعبت التراجم والوقائع لبلغ الكتاب مائة مجلد، بل أكثر؛ لأن فيه مائة نفس يمكنني أن أذكر أحوالهم فى خمسين مجلدًا ».

قال: « وقد طالعت على هذا التأليف من الكتب مصنفات كثيرة، ومادته من « دلائل النبوة » للبيهقى و« السيرة النبوية » لابن إسحاق و« مغازيه » لابن عائذ الكاتب و« الطبقات الكبرى » لابن سعد كاتب الواقدى و« تاريخ البخارى » والبعض من تاريخ أبي بكر أحمد بن أبي خيثمة، ومن تاريخ يعقوب الفسوي، وتاريخ محمد بن مثنى العنزى وهو صغير، وأبى حفص الفلاس، وأبى بكر بن أبى شيبة، والواقدى، والهيثم بن عدى، وخليفة بن خياط، مع « الطبقات » له، وأبى زرعة الدمشقى، و« الفتوح » لسيف بن عمر، و« النسب » للزبير بن بكار، والمسند لأحمد، و« تاريخ » المفضل بن غسان الغلابى، و« الجرح والتعديل » عن ابن معين، ولعبد الرحمن بن أبى حاتم.

وطالعت أيضًا « تهذيب الكمال » لشيخنا المزى، ومن التواريخ التى اختصرتها تاريخ أبى عبد الله الحاكم، وابن يونس، والخطيب و« دمشق » لابن عساكر، وأبى سعد بن السمعانى، مع « الأنساب » له، وتاريخ القاضى الشمس ابن خلكان، والعلامة الشهاب أبى شامة، والشيخ القطب ابن اليونينى الذى ذيل به على « مرآة الزمان » للواعظ الشمس يوسف سبط ابن الجوزى، وهما على الحوادث والسنين، مع كثير من الأصل. وكثيرًا من « تاريخ الطبرى »، وابن الأثير، وابن الفرضى، و« صلته » لابن بشكوال، و« تكملتها » لابن الآبار، و« الكامل » لابن عدى، وكتبًا كثيرة، وأجزاء عديدة.

قال السخاوى: وقد تتبعت تفصيل كثير مما أجمله، وبينت التصانيف التى فيه،

لا على وجه الحصر، لعدم التمكن من ذلك. على أن الكثير لا وجود لتاريخ فيه، ولكن يمكن أخذه من التصانيف فى ذلك العلم أو الوصف، أو نحو ذلك. وفاته أخبار الممتحنين.

١- سيرة الرسول:

فأما السيرة النبوية والمغازى فقد انتدب لجمعها، مع سائر أيامه، مما يرشد لطريقته من فاق كثرة، وراق خبرة.

كموسى بن عقبة الأسدى المدنى أحد التابعين.

ومحمد بن إسحاق المطلبى مولاهم، المدنى، أحد التابعين أيضًا، لرؤيته أنسًا رضى الله عنه.

وأبى عبد الله محمد بن عمر الأسلمى مولاهم، المدنى، القاضى، الواقدى، نسبة لجده واقد. وفى أول « الطبقات الكبرى » لكاتبه أبى عبد الله محمد بن سعد البغدادى سيرة مطولة.

وأبى بكر عبد الرزاق بن همام الحميرى مولاهم، الصنعانى.

وأبى أحمد محمد بن عابد، القُرشى، الدمشقى، الكاتب.

وأبى عثمان سعيد بن يحيى الأموى، البغدادى.

وأبى القاسم التيمى الأصبهانى.

وأولها سيرة موسى بن عقبة، أصحها، كما قاله تلميذه الإمام مالك وغيره.

وأما الثانى وهو القائل فيه الشافعى رضى الله عنه: « من أراد التبحر فى المغازى فهو عيال عليه » فروى المبتدأ والمغازى عنه سلمة بن الفضل الرازى، والمغازى كل من جرير بن حازم ويحيى بن محمد بن عباد بن هانئ، وروى كتابه الشهير جماعة، منهم أبو محمد، وأبو زيد زياد بن عبد الله بن الطفيل البكائى العامرى، ويونس بن بكير الشيبانى، الكوفيان، وأولهما أوثقهما. وأخذ الإمام أبو محمد عبد الملك بن هشام كتاب ابن إسحاق، بعد أن سمعه من زياد البكائى عنه، فهذبه ونقحه بحيث صار المعول عليه. وكتب عليه أبو القاسم السهيلى « الروض الأنف » الذى اختصره الذهبى وغيره، بل لمغلطاى على كل من « السيرة » و« الروض » و« الزهر الباسم » وللحافظ ابن حجر تخريج الأحاديث المنقطعات فيها، وشرح منها قطعة

كبيرة شيخنا البدر العينى، ورواها عنه جماعة، ثم إنه قد روى ابن لهيعة عن أبى الأسود عن عروة بن الزبير « المغازى »، كذا الزهرى عن عروة بن الزبير عن أبيه، وحجاج بن أبى منيع عن الزهرى.

وروى يونس بن يزيد مشاهد النبى ﷺ عن الزهرى والوليد بن مسلم أبو العباس القرشى الدمشقى - الذى قال أبو زرعة الرازى: إنه أعلم بأمر المغازى والسير - عن الأوزاعى. ومحمد بن عبد الأعلى « السير » عن معتمر بن سليمان عن أبيه وعبد الملك بن حبيب والمسيب بن واضح وأبو عمر ومعاوية ابن عمر والسير عن أبى إسحاق الفزارى.

والحسن بن سفيان عن أبى بكر بن أبى شيبة « المغازى » ولكل من أبى بكر ابن أبى خيثمة وأبى القاسم بن عساكر فى « تاريخهما »، وكذا ابن أبى الدم.

وأبى زكريا النووى فى « تهذيب الأسماء واللغات ».

وأبى الحجاج المزى فى « تهذيب الكمال ».

وأبى عبد الله الذهبى فى « تاريخه ».

والعماد بن كثير فى « مقدمة بدايته ».

وأبى الحسن الخزرجى فى مقدمة « تاريخ اليمن ».

والتقى الفاسى فى « تاريخ مكة » فى آخرين.

سيرة مطولة لبعضهم، كابن عساكر. أو مختصرة.

وأفردها:

أبو الشيخ بن حيان، وأبو الحسن بن فارس اللغوى، وأبو عمر بن عبد البر فى « الدرر فى اختصار المغازى والسير »، وأبو محمد بن حزم، والشرف أبو أحمد الدمياطى.

وعبد الغنى المقدسى، وكتب على كتابه القطب الحلبى « المورد الهنى » وهو نافع جدا. وأبو عبد الله الذهبى. وأبو الفتح بن سيد الناس فى « عيون الأثر » وما أحسنه، كتب عليه البرهان الحلبى تعليقا فى مجلدين سماه « نور النبراس » يعنى المصباح، وفى « نور العيون » وهو مختصر، وقال ابن القويع: إنه أوقفه على « العيون » فعلم عليها على أكثر من مائة موضع - أوهام.

وأبو الربيع الكلاعى، وضم إليها سير الثلاثة الخلفاء، وسماه « الاكتفاء ».

وللعلاء على بن محمد بن إبراهيم البغدادى الخازن صاحب « مقبول المنقول » سيرة مطولة.

وكذا للظهير على بن محمد بن محمود الكازرونى ثم البغدادى، وهو سابق عليه « سيرة ».

والمحب الطبرى.

والقاضى عز الدين بن جماعة، فى تصنيفين.

والشمس البرماوى كذلك. وله على أحدهما حاشية، أفردها مضمومة لأصل التقى بن فهد، سوى سيرة له فى مجلدين.

والعلاء على بن عثمان التركمانى الحنفى.

وأبو أمامة بن النقاش.

والشمس ابن ناصر الدين، فى مؤلف حافل متقن.

والتقى المقريزى فى كتابه « الإمتاع » وفيه الكثير مما ينتقد.

ولعثمان بن عيسى بن درباس المارانى « الفوائد المنيرة فى جوامع السيرة ».

وكذا للشهاب أحمد بن إسماعيل الأبشيطى الشافعى الواعظ المتوفى فى سنة خمس وثلاثين وثمانمائة - كتاب جامع، كتب منه نحو ثلاثين سفرًا، يحتوى على « سيرة ابن إسحاق » مع ما كتبه السهيلى وغيره عليها، وما اشتملت عليه « البداية » لابن كثير، وعلى ما احتوت عليه « المغازى » للواقدى، وغير ذلك ضابطًا للألفاظ الواقعة فيها، وكان زائد اللهج بها.

ونظمها: الفتح بن مسمار، وابن العماد الأقفهسى، والبقاعى، وشرح كل نظمه، وكذا نظمها العز الديرينى، وفتح الدين بن الشهيد فى بضع عشرة ألف بيت، مع زيادات، دلت على سعة باعه فى العلم، والزين العراقى فى ألفيته التى مشى فيها على سيرة مختصرة للعلاء مغلطاى، كتب على هذه المختصرة وفوائد الشمس البرماوى والشرف أبو الفتح المراغى، وجرد ذلك فى تصنيف مفرد التقى ابن فهد.

وشرح النظم ابن رسلان، ومن قبله المحب بن الهائم، الفريد فى الذكاء. وهو مطول وقفت على مجلد منه قرضه له الناظم وغيره. وكذا شرح ابن حجر بعض

أبيات من أوله. قال السخاوي: وتممت عليه وأرجو تحريره وإبرازه.

ونظم سيرة مغلطاى أيضا فى زيادة على ألف بيت، الشمس الباعونى الدمشقى، أخو الأستاذ البرهان. وسمعت بعضه منه، وسماه « منحة اللبيب فى سيرة الحبيب ».

وأفرد مولده بالتأليف غير واحد؛ كأبى القاسم السبتى فى « الدر المنظم فى المولد المعظم » فى مجلدين، استطرد فيه لزوائد على موضوعه، ثم العراقى، وابن الجزرى، وآبن ناصر الدين، وأسلافه محمد بن إسحاق المسيبى، وأسماءه أبو الخطاب بن دحية، والقرطبى وغيرهما، نظما ونثرًا، وبلغتها نحو خمسمائة، وهى قابلة للزيادة، وأكثرها أوصاف.

وختانه وأنه ولد مختونا، الكمال بن طلحة ورد عليه فى تصنيف أيضا الكمال أبو القاسم بن أبى جرادة.

ولأبى بكر الخرائطى « هواتف الجان، وعجيب ما يحكى عن الكهان، ممن بشر بالنبى ﷺ بواضح البرهان »، وكذا لابن أبى الدنيا « الهواتف »، ولابن درستويه « حديث قس بن ساعدة »، ولهشام بن عمار « المبعث »، ولأبى الخطاب بن دحية وغيره « المعراج »، وجمع دلائل النبوة كثيرون منهم: أبو زرعة الرازى، وثابت السرقسطى، وأبو القاسم الطبرانى، والتيمى، وأبو عبد الله بن منده، وأبو الشيخ بن حيان، وأبو نعيم الأصبهانى، وأبو بكر بن أبى الدنيا، وأبو أحمد بن العسال، وأبو بكر النقاش المفسر، وأبو العباس المستغفرى، وأبو الأسود عبد الرحمن بن الفيض، وأبو ذر المالكى، وأبو بكر البيهقى، وهو أحفظها، كما بينته فى جزء مفرد فى ختمه.

وكذا جمعها مع غرائب الأحاديث إبراهيم بن الهيثم البلدى، و« أعلام النبوة » أبو محمد بن قتيبة، وأبو داود صاحب « السنن »، وأبو الحسين بن فارس، وأبو الحسن الماوردى الفقيه، وقاضى الجماعة أبو المطرف المغربى، والعلاء مغلطاى.

والشمائل النبوية: أبو عيسى الترمذى، وأبو العباس المستغفرى، وأبو بكر بن طرخان البلخى.

وكتبت من شرح أولها قطعة. ورأيت قطعة من مسودة بخط الجمال بن الظاهر،

كالمستخرج عليها.

والصفة النبوية: أبو البخترى، وأبو على محمد بن هارون.

والأخلاق النبوية: إسماعيل القاضى.

وصفة نعله الشريف أبو اليمن بن عساكر، و« الهدى النبوى » ابن القيم وغيره، ولأبى نعيم والمستغفرى، والضياء المقدسى « الطب النبوى ».

والقاضى عياض « الشفا بتعريف حقوق المصطفى » وقد شرحت شأنه وبيان من كتب عليه فى مؤلف لى فى ختمه.

ولأبى الربيع سليمان وابن سبع السبتى « شفاء الصدور » فى مجلدات. واختصره بعض الأئمة وفيه مناكير كثيرة ولأبى الفرج بن الجوزى « الوفا بالتعريف بالمصطفى ». ولابن المنير « الاقتفاء ».

ولأبى سعد النيسابورى « شرف المصطفى » فى مجلدات.

ولجعفر الفريابى « المعجزات » و« تكرير الطعام والشراب ». وكذا لغيره « المعجزات ».

ولجماعة: كالماوردى، وابن سبع، والجلال البلقينى: الخصائص.

ولأبى أحمد العسال، وأبى الشيخ ابن حيان: « خطبه ﷺ ».

وأفرد بعضهم خطبة الوداع، وهى فيما قال ابن بشكوال آخر خطبه.

بل لبعضهم كلماته المفردة.

وللطبرانى، وأبى عبد الله بن منده: « نسب النبى »

وكذا لعمارة بن زيد « مكاتباته ﷺ للأشراف والملوك ».

ولغيرهم « الوفاة النبوية ».

وللبيهقى « حياة الأنبياء فى قبورهم ».

ولآخرين « فضل الصلاة على النبى ﷺ »، كإسماعيل القاضى، وأبى بكر بن أبى عاصم.

و« أزواجه » ممن جمعهن الدمياطى.

و« مواليه » و« كتّابه » ممن جمعهم عبد الله بن على بن أحمد بن حديدة وسماه « المصباح المضى فى كتّاب النبى ».

إلى غيرها مما لو حصل التصدى لجمعه كله فى كتاب لكان فى عشرين مجلدا فأكثر.

٢- قصص الأنبياء:

وأما قصص الأنبياء ففى « المبتدأ » لمحمد بن إسحاق بن يسار المطلبى صاحب « السيرة النبوية »، ولأبى حذيفة إسحاق بن بشر البخارى. وأفردها وثيمة بن موسى بن الفرات فى مجلدين.

وكذا أفردها أبو إسحاق الثعالبى، وآخرون؛ كالكسائى أبى الحسن محمد ابن عبد الله.

بل وفى جملة تاريخى ابن جرير الطبرى، وابن عساكر، و« البداية » لابن كثير، والجمال أبى الحسن على بن أبى منصور المالكى صاحب « بدائع البداية ».

٣- تاريخ الصحابة:

وأما الصحابة ففيه تواليف جمة، كعلى بن المدينى فى كتابه « معرفة من نزل من الصحابة سائر البلدان » وهو فى خمسة أجزاء، فيما قاله الخطيب.

وكالبخارى، وقال ابن حجر: « إنه أول من صنف فيه فيما أعلم ».

وكالترمذى، ومطين وأبى بكر بن أبى داود، وعبدان، وأبى على بن السكن فى « الحروف »، وأبى حفص بن شاهين، وأبى منصور الباوردى، وأبى حاتم ابن حبان، وأبى العباس الدغولى، وأبى نعيم، وأبى عبد الله بن منده. والذيل عليه لأبى موسى المدينى.

وكأبى عمر بن عبد البر فى « الاستيعاب »، والذيل عليه لجماعة كأبى إسحاق ابن الأمين وأبى بكر بن فتحون، وهما متعاصران، وثانيهما أحسنهما، واختصر محمد بن يعقوب بن محمد بن أحمد الخليلى « الاستيعاب »، وسماه « إعلام الإصابة بأعلام الصحابة » فى آخرين يعسر حصرهم، كأبى الحسن محمد بن صالح الطبرى، وأبوى القاسم البغوى والعثمانى، وأبى الحسين بن قانع فى « معاجمهم »، وكذا أبو القاسم الطبرانى فى « معجمه الكبير » خاصة.

ثم العز أبو الحسن بن الأثير أخو صاحب « النهاية » فى كتابه « أسد الغابة » جمع فيه بين عدة من الكتب السابقة، كابن منده وأبى نعيم، وابن عبد البر، وذيل أبى موسى وعول عليه من جاء بعده، حتى أن كلا من النووى والكاشغرى اختصره،

واقتصر الذهبى على تجريده، وزاد عليه العراقى عدة أسماء.
وكذا لأبى العباس جعفر بن محمد بن المعتز المستغفرى مؤلف فى « الصحابة ».
ولأبى أحمد العسكرى فيه كتاب رتبه على القبائل.
ولأبى القاسم عبد الصمد بن سعيد الحمصى: من نزل منهم حمص خاصة.
ولمحمد بن الربيع الجيزى من نزل منهم مصر.
وللمحب الطبرى « الرياض النضرة فى مناقب العشرة ».
ولأبى محمد بن الجارود « الآحاد » منهم.
ولأبى زكريا بن منده « أردافه » منهم، وكذا من عاش منهم مائة وعشرين.
ولأبى عبيدة معمر بن المثنى، وزهير بن العلاء العبسي وغيرهما - أزواجه، وسمى المحب الطبرى كتابه فيهن « السمط الثمين فى مناقب أمهات المؤمنين ».
ولغيرهم « مواليه » وكذا « كتابه ».
وللخطيب « من روى منهم عن التابعين ».
ولأبى الفتح الأزدى « من لم يرو عنه منهم سوى واحد ».
وللحافظ عبد الغنى بن عبد الواحد المقدسى « الإصابة لأوهام حصلت فى معرفة الصحابة لأبى نعيم » فى جزء كبير.
ولخليفة بن خياط، ومحمد بن سعد، ويعقوب بن سفيان، وأبى بكر بن أبى خيثمة وغيرهم. فى كتب لم يخصها بهم بل يضم من بعدهم إليهم.
وكتاب الحافظ ابن حجر المسمى بـ« الإصابة » جامع لما تفرق منها مع تحقيق ولكنه لم يكمل.

٤- تواريخ الخلفاء:

وأما تاريخ الخلفاء، فهم من الصحابة ستة سوى ابن الزبير، ومن بنى أمية إلى مروان أربعة عشر، سوى عثمان، ومن بنى العباس إلى وقتنا هذا بضع وخمسون. ومن المروانيين بالأندلس جماعة.

ومن العبيديين والفاطميين بمصر أحد عشر، سوى ثلاثة بالمغرب، أولهم أبو عبد الله محمد بن الحسين المهدى، بويع له فى سنة ثمان وتسعين ومائتين وكان

خروجه من القيروان، وكان ظهوره إذ ذاك فى خلافة المقتدر بالله العباسى، وهو ببغداد. فأقام بالمغرب دولته، ثم القائم بالله بعده، ثم المنصور ابنه. وأقام باقيهم بمصر فأولهم بها المعز لدين الله أبو تميم المعد ابن المنصور إسماعيل بن محمد المهدوى، بويع له بالخلافة بعد أبيه المنصور بالمهدية سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة، ثم خرج إلى مصر فى سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ٩٦٩م واستولى عليها، وهو الذى بنى القاهرة، وأضيفت إليه، فيقال لها: القاهرة المعزية.

وكان مولده سنة تسع عشرة وثلاثمائة (٩٣١م) وعاش خمسًا وأربعين عاما وتسعة أشهر، ومات على فراشه فى ربيع الآخر سنة خمس وستين وثلاثمائة (٩٧٥م)، ودفن بقرافة مصر.

وآخر الفاطميين العاضد لدين الله، مات على فراشه سنة سبع وستين وخمسمائة (١١٧١م) ودفن بالقصر، المكان المعروف بدار الضرب من القاهرة قال السخاوى: كما أشرت لذلك فى كراسة لسنا بصدد تحقيقه هنا.

ولأبى بشر محمد بن أحمد بن حماد الدولابى، وأبى بكر بن أبى الدنيا فى آخرين؛ كأبى بكر محمد بن زكريا الرازى صاحب « المنصورى » وغيره « سير الخلفاء » ومنهم من المتأخرين ناصر بن دقماق.

والتقى المقريزى فى « اتعاظ الحنفاء بأخبار الخلفاء » وتبعهما بعض المنتدبين للتاريخ.

ولأبى الحسن على بن محمد بن أبى السرور عبد العزيز السروجى « بلغة الظرفاء فى تاريخ الخلفاء ».

ولبيبرس الدوادار « اللطائف فى أخبار الخلائف » فى مجلدات.

ولأبى الفضل أحمد بن أبى طاهر المروزى الكاتب « أخبار الخلفاء ».

وللصولى « الأوراق فى أخبار خلفاء بنى العباس وأشعارهم ». وأفرد غير واحد من العباسيين. قال السخاوي وكنت ممن أشرت إليهم فيما كتبته من مناقب العباس والمأمون منهم وكذا أبو العباس المعتضد فى تصنيفين.

ونظمهم فى أرجوزة أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسين السراج، ثم الذهبى فى أبيات.

وكذا نظم الشمس محمد بن أحمد الباعونى الدمشقى « تحفة الظرفاء فى تواريخ الملوك والخلفاء » وقف فيها عند الأشرف برسباى قال فى أولها:

وبعد فالتاريخ علم، سامية شرفه، عالية بين الأنام غرفه، وفيه ما فيه من المنافع، حتى لقد قال الإمام الشافعى فى خبر قد صح عنه نقله: من حفظ التاريخ زاد عقله، وهو كلام ظاهر لا شك فى صحته، وسره غير خفى.

وذيل عليه ابن أخيه البهاء محمد ابن القاضى الجمال يوسف، وأطال فى مآثر سلطان وقتنا وافتتح لها بقوله:

وبعد فالتاريخ والأخبار علم له فى الملة اعتبار
وقد كفى فيه من البرهان ما جاءنا من قصص القرآن

ولابن أبى البقاء أرجوزة فى الخلفاء، فى مجلد.

ولأحمد بن يعقوب المصرى وعبد الله بن الحسين بن سعد الكاتب أخبار العباسيين وغيرهم.

وكذا لمحمد بن صالح بن مهران بن النطاح الأخبارى النسابة « أخبار الدولة العباسية » وغيرها؛ وقيل: إنه أول من صنف فى أخبار الدولة. ولبعضهم تاريخ الخلفاء وأخبار الدولتين بنى أمية وبنى العباس.

ولعلى بن مجاهد، وخالد بن هشام الأموى « أخبار الأمويين » وغيرهم.

وأفرد سيرة عمر بن عبد العزيز غير واحد.

وجمع الجمال محمد بن على العمرانى « الأنباء فى تاريخ الخلفاء » وذيل عليه إلى نهاية المستعصم بالله ظهير الدين الكازرونى، وقد كتب ابن الكازرونى سديد الدين يوسف ظهير الدين على - ذيلا عليه.

وبعضهم خلفاء الفاطميين. وجمع مناقب الخلفاء. وكذا تاريخ نساء الخلفاء، وسيرة الخليفة الناصر أبى طالب على بن أنجب البغدادى الخازن. وللعماد الكاتب « نصرة الفترة وعصرة الفطرة فى أخبار بنى سلجوق ودولتهم ».

وكذا لأبى الحسن على بن أبى المنصور الأزدى المالكى « أخبار الملوك السلجوقية ».

و« تاريخ الدولة اللمتونية » أبو بكر يحيى بن محمد بن يوسف الأنصارى

الغرناطى، أبو إسحاق بن هلال الصابى.

وشيئًا من دولة بنى بويه الديلم التى انتهت فى سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة وشرح المقريزى أخبار الدولة الفاطمية.. ودولة السلجوقية وانتهت فى سنة تسعين وخمسمائة.

ولعبد الله بن المعتز « أشعار الخلفاء والملوك ».

٥- تاريخ ملوك الإسلام:

وأما الملوك، فجمع تاريخ الملوك والدول محمد بن عبد الملك الهمدانى.

وللجمال أبى الحسن على بن أبى المنصور الأزدى « الدول المنقطعة » مفيد جدًا فى بابه سوى مصنفيه « بدائع البداءة » « وأساس البلاغة » بل له « أخبار الملوك السلجوقية » كما تقدم قريبًا « وأخبار الشجعان » كما سيأتى.

ولابن هشام « التيجان فى أخبار ملوك الزمان » وذيل عليه أيضًا. ولمحمد بن الحارث التغلبى « أخلاق الملوك » ألفه للفتح بن خاقان وله غيره.

« وأخبار الدول الإسلامية » لظافر بن حسن الأزدى.

وللغرناطى « الأخبار والأعلام فى دول الإسلام » فى رباط الموفق.

و« أخبار الدولة البويهية » لإبراهيم بن هلال الصابئ الكافر، عمله لعضد الدولة.

و« سيرة ابن طولون » وولده خمارويه، أبو محمد بن زولاق المصرى، فى تأليفين.

وسيرة الإخشيد محمد بن طغج، والصلاح يوسف بن أيوب، غير واحد.

والظاهر بيبرس العز بن شداد، وكاتبه المحيوى بن عبد الظاهر بل لأبى شامة « الروضتين فى أخبار الدولتين ». والظاهر برقوق بن دقماق.

والمؤيد شيخنا العينى وغيره، والظاهر ططر، والأشرف برسباى، والظاهرى جقمق غير واحد ولبعضهم مناقب السلاطين وخصالهم.

ولمحمد بن الهيثم بن شبابه « كتاب الدولة ».

٦- تواريخ الوزراء :

وأما الوزراء، فلأبى بكر الصولى، وفيه غرائب لم تقع لغيره، وأشياء تفرَّدَ بها؛

لأنه شاهدها، ثم ذيل عليه محمد بن عبد الملك الهمدانى.

ولأبى الحسن على بن الحسن ابن الماشطة أيضا « أخبار الوزراء » انتهى فيه إلى آخر أيام الراضى.

ولأبى الحسن على بن الحسن بن الفتَنْح الكاتب، عرف بابن المطوق.

وأبى الحسين هلال بن المحسن بن إبراهيم الصابى.

وآخرين، منهم إبراهيم بن موسى الواسطى، عارض فيه محمد بن داود بن الجراح منهم بل لابن المطوق أخبار عدة من وزراء المقتدر.

وكذا عمل أبو طالب بن أنجب الخازن « أخبار الوزراء فى دول الأئمة الخلفاء » وهو عند الزينى بن ظهيرة وقال فى أوله « إن الخلفاء العباسيين أول من استوزر الوزراء؛ لأن بنى أمية كانوا يفوضون أمر الأموال وجباياتها وتقسيطها إلى كتاب البلاد من قبل أمرائهم فى النواحى، وكانت دواوين الشام بالرومية، ودواوين مصر بالقبطية، ودواوين العراق بالفارسية، وكانوا نصارى ومجوسًا لا غير. فنقل سليمان بن سعد والقضاة دواوين الشام إلى العربية على عهد عبد الملك بن مروان، وكان بنو أمية لا يستوزرون، بل يتخذون أديبًا من وجوه العرب، ممن يرجع إليه فى الرأى والتدبير » انتهى.

ولأبى القاسم على بن منجب بن الصيرفى، الوزراء بمصر خاصة.

ولبعض المصريين سيرة وزير المستنصر أبى الحسن على بن عبد الرحمن اليازورى.

٧- تاريخ الكتاب:

وأما الكُتَّاب فلابن الأبار « الكُتَّاب »

٨- تاريخ الأمراء:

وأما الأمراء فلأبى عمر الكندى، أمراء مصر خاصة ولبعض من أخذت عنه أخبار الطاغية تيمور.

وللعماد ابن كثير « سيرة منكلى بغا ».

٩- تاريخ الفقهاء:

وأما الفقهاء فصنف فيهم مطلقًا: الشيخ أبو إسحاق الشيرازى، وهو مختصر جدًا.

وكذا للقاضى أبى محمد عبد الوهاب بن محمد الشيرازى « تاريخ الفقهاء ». وللباجى، وآخرين.

ولمحمد بن عبد الملك الهمدانى الشافعى « طبقات الفقهاء ». ومقيدًا بالشافعية خلق: أولهم أبو حفص عمر بن على المطوعى الأديب سماه « المذهب فى ذكر شيوخ المذهب ».

ثم عمل القاضى أبو الطيب مختصرًا فى مولد الشافعى، عد فى آخره جماعة من الأصحاب.

ثم أبو عاصم العبادى، عمل الطبقات فى مؤلف مختصر جدًا، كراريس - مطبوع ومتداول - ثم أبو محمد عبد الله بن يوسف الجرجانى الحافظ.

ثم المحدث أبو الحسن بن أبى القاسم البيهقى، عرف بفندق، وله « وسائل الألمعى فى فضائل الشافعى ».

ثم أبو النجيب السهروردى، له مجموع فى ذلك.

ثم عمل أبو عمرو بن الصلاح كتابًا، ومات قبل إتمامه، فأخذه النووى فاختصره وزاد بعض الأسماء ومات قبل تبييضه أيضا، فبيضه المزى.

ثم ألف العماد بن باطيش كتابا فى ذلك.

ثم العماد بن كثير، فى مجلد ضخم، وذيل عليه العفيف المطرى ولدينا من الأصل نسختان. وعمل الجمال الإسنوى كتابا مستقلا، وذكر فى أول المهمات جملة منهم. ولخاله من قبله سليمان بن جعفر الإسنوى « طبقات الشافعية » مات عنه مسودة.

وللتاج بن السبكى فى ذلك ثلاثة تصانيف: كبير وصغير ومتوسط - والكبير مطبوع ومتداول - والسراج بن الملقن فى كتاب مستقل. بل أفرد من طبقات السبكى ذيلا على الإسنوى.

وأفردها التقى ابن قاضى شهبة - مطبوع ومتداول - وبعض الشاميين. وألحق ابن حجر بهوامش نسخته من الوسطى لابن السبكى زوائد أفردها فى مجلد. وأخذها القطب الخيضرى مضمومة للأصل مع زوائد أفردها بالتأليف.

وجمع طبقات الحنفية المحيوى عبد القادر بن محمد بن محمد بن نصر الله

القرشى الحنفى وسماه « الجواهر المضية فى طبقات الحنفية » سوى الوفيات التى له. واختصر الطبقات المجد اللغوى صاحب « القاموس » وجمعها قبل القرشى المحدث ابن المهندس، وبعده ابن دقماق المؤرخ، ثم البدر العينى، فى آخرين. بل للقرشى « تهذيب الأسماء الواقعة فى الهداية والخلاصة » وأظنه حاكى به النووى رحمه الله تعالى.

وبالمالكية القاضى عياض فى « المدارك » وهو حافل، رتبه على الطبقات، وقال إنه أفرد الرواة عن مالك اقتداء بخلق سماهم، بحيث اشتمل كتابه على أزيد من ألف وثلاثمائة، وأنه فن لم يتقدم فيه تأليف جامع، ولا اختص به تصنيف رائع، يوصل الطالب إلى الغرض، ويقف بالراغب على البغية فيما له عرض، مع شدة حاجة المجتهد والمقلد إليه، وضرورة الفقيه والمتفنن إلى ما انطوى عليه، إلا ما جمع عبد الله بن محمد بن أبى دليم من ذلك ومحمد بن حارث القَرَوى مع تقدم زمانهما وما اقتنصه الشيخ الفيروزآبادى فى موضع ذكرهم فى مختصره، وكلها ما شفت غليلا، ولا تضمنت من الكتب إلا قليلا. على أن ابن أبى دليم اتسع اتساعًا حسنًا فيمن يمكنه من المغاربة من اتباع رواة مالك من المصريين، والأندلسيين، وطائفة من القرويين. واقتصر على ذكر تطبيقهم وأسمائهم، دون شىء من أخبارهم وبيان أحوالهم. ولم يجر لأحد من الحجازيين والمشرقيين ذكر، على جلالة مكانهم، وكثرة أعلامهم، وأن الاعتناء بذلك - كما قال أبو إسحاق البجيرمى - أولى الأشياء بالضبط، لأن أسماء الناس لا مدخل للقياس فيها، وليس قبلها ولا بعدها شىء يدل عليه.

وذكر القاضى عياض فصلا فى نحو هذا، وذكر كثيرًا من الكتب التى طالعها، ومنها كتاب الزبير بن بكار القاضى، وأبى بكر بن حيان، والقاضى وكيع فى القضاة، وكتاب الطبرى، والصولى، وأبى كامل، وكتب أبى عمر الكندى، وابن يونس، وتاريخ أبى عمر الصدفى القرطبى، وكتب أبى عبد الله بن حارث فى القرويين والأندلسيين، ومن كتب أبى العرب التميمى، وأبى إسحاق الرقيق الكاتب، وأبى بكر بن أبى عبد الله المالكى فى القرويين، ومن تواريخ الأندلسيين، ككتاب أبى عبد الملك بن عبد البر و« الاحتفال » لأبى عمر بن عفيف.

« والانتخاب » لأبى القاسم بن مفرح، وكتاب القاضى أبى الوليد بن الفرضى، وتواريخ أبى مروان بن حيان، والرازى، وكتاب أحمد بن عبد الرحمن بن مظاهر فى الطليطليين، وسود جملة.

وقد عول على المدارك كل من بعده. واختصره جماعة منهم تلميذه أبو عبد الله ابن حماد السبتى. ورتبها على الحروف لسهولة الكشف ابن فهد فى نحو كراسين، على قسمين، أحدهما أصحاب مالك، وثانيهما من عداه.

وللقاضى البرهان أبى إسحاق إبراهيم بن على بن محمد بن فرحون « الطراز المذهب » اقتصر فيه على جمع من أعيانهم نحو ستمائة، رتبهم على حروف المعجم.

وعملت لهم كتابًا حافلا فى المسودة، بعد أن رتبت كتاب ابن فرحون ترتيبًا معتبرًا، وجردت من المدارك ما لم يذكر ابن فرحون.

ولأبى محمد عبد الله بن سهل القضاعى جزء فيه جماعة من مشهورى مذهب مالك.

والحنابلة أبو الحسين محمد بن أبى يعلى محمد بن الحسين بن الفراء القاضى ابن القاضى، وأبو على بن البناء، والحافظ أبو الفرج بن الجوزى.

وعمل الحافظ الزين ابن رجب ذيلا على ابن الفراء، وهو كالأصل على الطبقات، وقد رتبهما على الحروف ابن فهد فى تصنيفين.

واعتنى بجمعهم شيخ المذهب العز الكنانى، فجمع للحنابلة كتابًا حافلا لم يكمله تهذيبا وتحريرا.

١٠- تاريخ القراء:

وأما القراء: فلأبى عمرو الدانى، وأبى بكر أحمد بن الفضل بن محمد بن أحمد بن محمد بن جعفر الباطرقانى.

والذهبى، وهو حافل. وذيل عليه التاج بن مكتوم فى جزء اشتمل على عشرين نفسًا. وأخذ ابن الجزرى كتاب الذهبى وضم إليه زيادات كثيرة فى التراجم وتراجم مستقلة. وكتب عليه ذيلا حافلا. ورتب الذهبى على المعجم، العزى بن فهد، بقية بيتهم، وجمال الحرم.

١١- تاريخ الحفاظ:

وأما الحفاظ: فلابن الجوزى، وأبى الوليد ابن الدباغ.

وكذا لابن دقيق العيد مقتصرًا على الموصوفين فى الأسانيد بذلك.

وعمل الذهبى كتابًا حافلا بالنسبة لمن تقدمه، رتبه على الطبقات. والتقط منه الحافظ ابن حجر من ليس فى « تهذيب الكمال » وذيل على الذهبى الحافظ شمس الدين الحسينى. ثم على الحسينى شيخنا التقى بن فهد المكى. ورتب ذلك مع الأصل على المعجم تجديدا ولده النجم عمر. وللحافظ ابن ناصر الدين فى ذلك منظومة سماها « بديعة البيان فى وفيات الأعيان » وشرحها فى مجلد سماه « التبيان لبديعة البيان » وجملة من زاده على الذهبى ستة وعشرون نفسًا. وذيل عليه ابن حجر بكراسة فيها ثمانية وعشرون نفسًا.

١٢- تاريخ المحدثين:

وأما المحدثون، فلأبى الوليد يوسف بن عبد الله بن الدباغ « طبقات المحدثين » وللذهبى المعجم المختص بهم.

١٣- تاريخ المؤرخين:

وأما المؤرخون فستأتى الإشارة لكثير منهم.

١٤- تاريخ النحاة:

وأما النحاة فلأبى عبد الله محمد بن الحسين بن عمر اليمانى.

وكذا لأبى الحسن على بن يوسف بن إبراهيم القفطى واختصره الذهبى.

وأظن للسيرافى فيهم كتابًا.

ولأبى بكر محمد بن الحسن بن عبد الله بن مذحج الزبيدى « طبقات النحاة ».

ولأبى المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر بن محمد المغربى النحوى القاضى « أخبار النحاة من البصريين والكوفيين ».

ولأبى عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزبانى « المقتبس فى أخبار النحاة ».

ولأبى المحاسن يوسف بن أحمد بن محمود بن أحمد الدمشقى « نور القبس » انتخبه من « القبس » المنتخب من « المقتبس ».

وللتاج بن مكتوم الحنفى « الجمع المثناة فى أخبار اللغويين والنحاة » وهو فى عشرة مجلدات.

١٥- تاريخ الأدباء:

وأما الأدباء فلياقوت الحموى وهو مطبوع ومتداول.

١٦- تاريخ اللغويين:

وأما اللغويون سوى من تقدم، فللمجد اللغوى صاحب « القاموس » جزء لطيف سماه « البلغة فى أئمة اللغة » و« بغية الوعاة » للسيوطى مطبوع ومتداول.

١٧- تاريخ الشعراء:

وأما الشعراء فلأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة مطبوع وأبى بكر محمد بن خلف بن المرزبان.

وللثعالبى « يتيمة الدهر » مطبوع ذكر فيه خلقًا كثيرًا منهم. وذيل عليه أبو الحسن على بن الحسن بن على الباخرزى فى « دمية القصر » وأبو الحسن على ابن زيد البيهقى فى كتابه « وشاح الدمية » أو « العمدة فى كتاب الخريدة ».

وكذا للمبارك بن أبى بكر بن حمدان بن الشعار الموصلى « عقود الجمان فى شعراء الزمان ».

ولأبى المعالى سعد بن على الحضيرى الكتبى « زينة الدهر فى ذكر شعراء العصر ».

وللعماد محمد بن حامد الأصبهانى الكاتب « خريدة القصر فى جريدة شعراء العصر ».

ولأبى عبد الله محمد بن داود بن الجراح أخبار الشعراء المحدثين سماه « الورقة ».

وكذا لعبد الله بن المعتز « طبقات الشعراء المحدثين ».

وللمرزبان « المعجم الصغير للشعراء ».

ولعبد السلام بن يوسف الدمشقى « أنموذج الأعيان والشعراء ممن أدرك بالسماع أو بالعيان ».

ولأبى عبد الله محمد بن سلام بن عبد الله الجمحى مولاهم البصرى الأخبارى، وأبى سعد محمد بن حسين بن على بن عبد الرحمن الوزير « طبقات الشعراء ».

ولأبى طالب على بن أنجب البغدادى الخازن، شعراء زمانه.

وللكمال عبد الرزاق بن الفوطى « الدرر الناصعة فى شعراء المائة السابعة ».

وللسان الدين بن الخطيب « التاج المحلى فى أدباء المائة الثامنة » و« الإكليل الزاهر فيما فضل عند نظم التاج من الجواهر » وهما يشتملان على تراجم الأدباء بالمغرب.

وللعز أبى عمر بن جماعة « نزهة الألباء فى معرفة الأدباء » اقتصر فيه على ترجمة من اتصلت له رواية شعره بالسماع أو الإجازة، فى مجلدات. واختصره فى مجلد.

وللبدر البشتكى فى الشعراء « المطالع البدرية » وهو حافل رتبه على حروف المعجم قال السخاوى: ووقفت على قطعة منه. ولأبى الفرج صاحب الأغانى « أخبار الإماء الشواعر ».

١٨- تاريخ العباد والصوفية:

وأما العباد والصوفية فلأبى عبد الرحمن السلمى، وأبى سعيد محمد بن على ابن عمرو النقاش، وأبى العباس أحمد بن النسوى، وعبد الواحد بن سياه الشيرازى، وأبى سعيد بن الأعرابى، والأستاذ أبى القاسم القشيرى فى كتابه « الرسالة » يشتمل على جل أعيان الصوفية إلى زمانه.

وجمع عبد الغفار القوصى كتابًا فى مجلدين ضاهاه به فى سرد من اجتمع به منهم، سماه « الوحيد فى سلوك أهل التوحيد ».

وكذا لابن أبى المنصور رسالة فى ذلك.

وكذا لأبى نعيم « حلية الأولياء وطبقات الأصفياء » كتاب حافل وهو عمدة كل من جاء بعده. والتقط ابن الجوزى منه ما أودعه، مع زيادات، فى كتابه « صفوة الصفوة » فى أربعة مجلدات وله « أخبار الأخيار » و« أخبار النساء » كل منهما فى مجلد.

وللشريف محمد بن الحسن بن عبد الله الحسنى الدمشقى « مجمع الأحباب » فى ثلاثة مجلدات رتبه ترتيبًا حسنًا.

ولابن الملقن كتاب « الصوفية » فى مجيليد؛ قال: إنه جمع فيه جملة من طبقات العلماء الأعيان وأوتاد الأقطاب فى كل قطر وأوان، ليهتدى بمآثرهم، ويقتفى بآثارهم، رجاء أن يحشر فى سلكهم.

وكذا للشرجى اليمنى « طبقات الصوفية ».

ولأبى منصور معمر بن أحمد بن زياد العارف « طبقات النساك ».

واعتنى صاحبنا الثقة الورع البرهان القادرى بكتاب مخصوص للصوفية الموصوفين بالزهد، وتعب فيه، ولكنه لم يبيضه.

ولأبى بكر عبد الله بن محمد المالكى عباد أهل إفريقية سماه « رياض النفوس ».

وللناصح أبى محمد عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب بن الحنبلى « الاستسعاد بمن لقيه من صالحى العباد فى البلاد ».

ولابن الأثير « المختار فى مناقب الأخيار ».

ولأبى الحسين بن جهضم « بهجة الأسرار ولوامع الأنوار فى حكايات الصالحين العلماء الأخيار والصوفية الحكماء الأبرار ».

ولسعيد بن أسد الأموى « فضائل التابعين وأخلاق الصالحين ».

و« مرشد الزوار إلى قبور الأبرار » للموفق عبد الرحمن بن مكى بن عثمان الشارعى.

و« محجة النور فى زيارة القبور » لأبى عبد الله محمد بن حامد المتوج المارينى.

١٩- تاريخ القضاة:

وأما القضاة فلأبى عبيد الله محمد بن الربيع الجيزى « قضاة مصر »، وكذا لابن ميسر، وأبى عمر الكندى، ولأبى محمد بن زولاق، وهو ذيل على الذى قبله.

وجمع القضاة:

إسماعيل بن على بن إسماعيل بن موسى الحسينى، وسليمان بن على بن عبد السميع، وعبد الغنى بن سعيد الحافظ.

ولأبى العباس أحمد بن بختيار بن على بن الماندای الواسطى القاضى كتاب فى أخبار القضاة والشهود وما أدرى أهو كتابه المسمى « بالحكام » أو غيره.

ولأبى الحسن الموسوى الرضى، والجمال عبد الله البشبشى فى القضاة فقط. وعلى ثانيهما اعتمد ابن حجر فى « رفع الإصر عن قضاة مصر » وذكر القاضى عياض فى خطبة كتابه « المدارك » « تاريخ القضاة » للقاضى أبى بكر ابن حيان وكيع.

ونظم الشمس بن دانيال الموصلى الحكيم فى قضاة مصر أرجوزة سماها « عقود النظام فيمن ولى مصر من الحكام » ثم تمم عليه القاضى عز الدين الكنانى الحنبلى، ثم بعض أصحابنا.

وكذا نظم الشهاب بن اللبودى الدمشقى أرجوزة فى قضاة دمشق وشرحها.

٢٠- تاريخ المغنين:

وأما المغنون فلأبى الفرج على بن الحسين الأصبهانى الكاتب، وكذا له « القيان » فى مجلدين و« أخبار المغنين المماليك » و« الأغانى » وهو حافل متسع فى بابه. واختصره التاج عثمان بن عيسى أبو الفتح، والجمال أبو الفضل محمد ابن مكرم، كما فعل فى غيره من التواريخ الكبار.

وبين أبو الفرج بطلان نسبة الكتاب المنسوب لإسحاق بن إبراهيم الموصلى فى ذلك، وأنه من جمع سِنْدى الوراق لإسحاق.

ولابن الجوزى « الظرفاء » فى مجلد.

٢١- تاريخ الأشراف:

وأما الأشراف فللحسن بن عتيق بن الحسن فى كتاب سماه « الإشراف على مناقب الأشراف » وفى فضائلهم تصانيف. وللسخاوى « ارتقاء الغرف بحب أقرباء الرسول وذوى الشرف ».

٢٢- تاريخ الكرماء:

وأما الكرماء فلعثمان بن عيسى « أخبار الأجواد » وكذا لمحمد بن زكريا الغلابى « الأجواد » ولبعضهم « أخبار البرامكة » فى مجلدين.

٢٣- تاريخ الأذكياء:

وأما الأذكياء فلابن الجوزى، وكذلك له « أخبار المغفلين ».

٢٤- تاريخ العقلاء:

وأما العقلاء فللعباس بن محمد بن عبد الرحمن بن عثمان الأنصارى « عقلاء المجانين ».

٢٥- تاريخ الأطباء:

وأما الأطباء فلابن أبى أصيبعة وهو كتاب حافل، رتبه على المعجم النجم ابن فهد.

٢٦- تاريخ الأشاعرة:

وأما الأشاعرة فلأبى القاسم بن عساكر فى « تبيين كذب المفترى على أبى الحسن

الأشعرى » وأخذه الكمال إمام الكاملية وضم إليه زيادات. وقبله العفيف اليافعى فى كتابه « المرهم ».

٢٧- تاريخ المبتدعة:

وأما المبتدعة فللأهدل « اللمعة المقنعة فى معرفة فرق المبتدعة » فى نحو كراسين.

وللفخر أبى محمد عثمان بن عبد الله بن الحسين العراقى « الفرق المفترقة بين أهل الزيغ والزندقة ».

وللأستاذ أبى منصور عبد القاهر بن طاهر التميمى البغدادى « الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية »، فى آخرين استقلالا، كالفورانى، وابن أبى الدم وله مؤلف فى الفرق الإسلامية وضمنًا كالواقع فى كتب « الملل والنحل » للشهرستانى، وابن حزم، وآخرين وغيرهما، و« المرهم » لليافعى وفى « إرشاد القاصد لأسنى المقاصد » لابن الأكفانى، المنخل لابن عربى وتصانيفه، ولذا أثبت اسمه فيمن جردتهم من معتقديه، بحيث يصلح أن يضم إليه ما يصير به مؤلفًا. ولأبى القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبى البلخى، رأس طائفة من المعتزلة وطبقات المعتزلة وللغزالى « القواصم فى الرد على شبه الباطنية » وللدارمى « الرد على الجهمية » وعلى المعارض بكلام بشر المريسى ولغيرهما « الرد على الزيدية » وللبخارى « خلق أفعال العباد » وتوسعنا بالإشارة لهؤلاء، وإن لم يكن فى أكثره ما هو مما نحن فيه.

٢٨- تاريخ الشيعة:

وأما الشيعة فاعتنى بجمعهم منهم:

الحسن بن على بن فضال بن أنيس التيمى مولاهم الكوفى.

وابنه على، وأبو جعفر بن الحسن بن على الطوسى والد أبى على الحسن، وعلى بن الحكم، وأبو العباس بن عقدة، وأبو الحسن بن بابويه، ويحيى بن أبى طى، ويحيى بن الحسين بن البطريق، والشريف أبو القاسم على بن الحسين بن موسى العلوى المرتضى المتكلم الرافضى المعتزلى، والرشيد سعد بن عبد الله القمى وابن النجاشى، وأبو عمرو الكشى فى آخرين ويحتاج لتحرير فى عدم تداخل بعضهم.

٢٩- تاريخ البخلاء:

وأما البخلاء فللحافظ أبى بكر الخطيب. وكذا له « أخبار الطفيليين » وهما ظريفان.

وكذا لأبى الفرج الأصبهانى « أخبار الطفيليين ».

٣٠- تاريخ الشجعان:

أما الشجعان فلأبى الحسن على بن أبى المنصور الأزدى المالكى - أخبارهم.

وللخليل بن الهيثم « الحيل والمكائد فى الحروب ».

٣١- تاريخ العور والعمش والعميان والحدبان:

وأما العور والعمش والعميان والحدبان، فللصلاح الصفدى فيها تصانيف.

٣٢- تاريخ الرهبان:

وأما أخبار الرهبان، فلأبى القاسم تمام بن محمد الرازى.

وبهذا نكون قد ألقينا الضوء على كتب التاريخ بأنواعها.

فائدة علم التاريخ: يقول السخاوى رحمه الله وأما فائدته فمعرفة الأمور على وجهها، ومن أجل فوائده أنه أحد الطرق التى يعلم بها النسخ فى أحد الخبرين المتعارضين المتعذر الجمع بينهما، إما بالإضافة لوقت متأخر؛ كرأيته قبل أن يموت بعام أو نحوه، أو عن صحابى متأخر، وقد يكون بتصريح الراوى كقوله: كان آخر الأمرين من النبى ﷺ ترك الوضوء مما مست النار.

وقول عائشة : إنه ﷺ كان قبل فتح مكة إذا لم ينزل لم يغتسل ثم اغتسل بعد، وأمر به إلى غيرها.

وكون المروى من طريق بعض المختلطين من قديم حديثه أو ضده، وكون الراوى لم يلق من حدث عنه، إما لكونه كذب أو أرسل، وذلك ينشأ عنه معرفة ما فى السند من انقطاع، أو عضل، أو تدليس، أو إرسال ظاهر أو خفى، للوقوف به على أن الراوى مثلا لم يعاصر من روى عنه، أو عاصره ولكنه لم يلقه لكونهما من بلدين مختلفين ولم يدخل أحدهما بلد الآخر، ولا التقيا فى حج ونحوه مع كونه ليست له منه إجازة أو نحوها.

ولما استشكل بعض الحفاظ رواية يونس بن محمد المؤدب عن الليث لاختلاف

بلديهما وتوهم انقطاعًا بينهما قال المزى:

« لعله لقيه فى الحج » ثم قال: « بل فى بغداد حين دخول الليث لها فى الرسلية ».

ومن الغريب ذكر الخطيب عبد الملك بن حبيب فى الرواة عن مالك، مع كونه لم يرحل إلا بعد موته بنحو من ثلاثين سنة بل إنما ولد بعده.

وكذا خلط ابن النجار ترجمة محمد بن الجهم السوسى بمحمد بن الجهم السامى، وأسند عنه قصة سمعها من المهتدى بالله بن الواثق أنه حضر عند أبيه وهو خليفة قال السخاوى قال شيخنا ابن حجر وهذه غفلة عظيمة، فإن سماع السامى لهذه القصة بعد موت السوسى بنحو ثلاثين سنة، وموت الواثق والد المهتدى كان بعد وفاة السوسى بنحو عشرين سنة.

ووقع لابن السمعانى فى القداحى من أنسابه أن عبد الله بن ميمون القداح ادعى بعد موت إسماعيل بن جعفر الصادق أنه ابنه، فرد عليه ابن الأثير بأن إسماعيل مات فى حياة والده جعفر الصادق، فكيف يمكن القداح ادعاء بنوته مع وجود والده.

ولما خطأ المزى نقل الحافظ عبد الغنى فى « الكمال » أن جابر بن نوح الحمانى مات سنة ثلاث ومائتين وقال: بل سنة ثلاث وثمانين ومائة (٧٩٩- ٨٠٠م) رده شيخنا وقال: إنه من أعجب ما وقع للمزى فى كتابه من الخطأ، وأيده بقول الزهرى، عن أحمد بن حنبل أحد من روى عن الحمانى إنه لم يرحل إلا بعد سنة ست وثمانين (٨٠٢م) وكذلك من الرواة عنه أحمد بن بديل القاضى ومحمد بن طريف البجلى، وهما لم يسمعا إلا بعد التسعين. وبهذا كله يترجح قول صاحب الكمال.

وقد أرخ جماعة وفاة مجمع بن يعقوب بن مجمع بن يزيد بن جارية الأنصارى سنة ستين ومائة، فتوقف الذهبى فى ذلك؛ لأن قتيبة ممن روى عنه، ورحلته إنما كانت بعد السبعين ومائة، ولكن يحتاج إلى تحرير رواية قتيبة عنه.

قال سفيان الثورى: « لما استعمل الرواة الكذب، استعملنا لهم التاريخ ».

وعن حسان بن زيد قال: لم يستعن على الكذابين بمثل التاريخ، يقال للشيخ سنة كم ولدت؟ فإذا أقر بمولده مع معرفتنا بوفاة الذى انتمى إليه، عرفنا صدقه من كذبه.

وعن حفص بن غياث القاضى قال: « إذا اتهمتم الشيخ فحاسبوه بالسنين » بفتح

النون المشددة تثنية سن وهو العمر، يريد احسبوا سنه وسن من كتب عنه.

وسأل إسماعيل بن عياش رجلا اختبارًا أى سنة كتبت عن خالد بن معدان؟ فقال: سنة ثلاث عشرة ومائة فقال: أنت تزعم أنك سمعت منه بعد موته بسبع سنين.

وروى سهيل بن ذكوان أبو السندى عن عائشة وزعم أنه لقيها بواسط، وهكذا يكون الكذب فموت عائشة كان قبل أن يخط الحجاج مدينة واسط بدهر.

ومنه قول ابن المنادى أن الأعمش أخذ بركاب أبى بكرة الثقفى. قال شيخنا: غلط فاحش؛ لأن الأعمش ولد إما فى سنة إحدى وستين أو تسع وخمسين (٦٧٨م)، وأبو بكرة مات سنة إحدى أو اثنتين وخمسين فكيف يتهيأ أن يأخذ بركاب من مات قبل مولده بعشر سنين أو نحوها؟ قال: وكأنه كان والله أعلم أخذ بركاب ابن أبى بكرة، فسقطت « ابن » وثبت الباقى. وتعجب من المزى مع حفظه ونقده كيف خفى عليه هذا.

وفى مقدمة مسلم أن المعلى بن عرفان قال: « حدثنا أبو وائل » قال: خرج علينا ابن مسعود بصفين، فقال أبو نعيم يعنى الفضل بن دكين حاكيه عن المعلى: « أتراه بعث بعد الموت »!، يعنى لأن ابن مسعود توفى سنة اثنتين أو ثلاث وثلاثين قبل انقضاء خلافة عثمان بثلاث سنين وصفين كانت فى خلافة علىٍ بعد ذلك بسنتين، فلا يكون ابن مسعود خرج عليهم بصفين.

فى أشباه لهذا كنسبة بعض الحفاظ إبراهيم بن يعقوب الجوزجانى، جريرى المذهب، لمحمد بن جرير الطبرى، فإن إبراهيم فى طبقة شيوخ ابن جرير، حسبما يعلم ذلك من تاريخ الوفاة والمولد، وإنما هو بالزاى المعجمة والحاء المهملة لحريز بن عثمان.

وكونه أحد الطرق التى يعلم بها الغلط فى المتفقين بإضافة ما لواحد إلى آخر، حيث يكون أحدهما ولد بعد موت الآخر، كأحمد بن نصر بن زياد الهمدانى المتوفى سنة سبع عشرة وثلاثمائة حيث يوهم أنه أحمد بن نصر الداودى المتوفى سنة اثنتين وأربعمائة. ولذلك أمثلة كثيرة.

وطالما كان طريقًا للاطلاع على التزوير فى المكاتيب ونحوها بأن يعلم أن الحاكم الذى نسب إليه الثبوت أو الشاهد أو غيرهما من أسبابه أو نحو ذلك مات قبل تاريخ

المكتوب. ومن ثم لما أظهر بعض اليهود كتابًا وادعى أنه كتاب رسول الله ﷺ بإسقاط الجزية عن أهل خيبر، وفيه شهادة الصحابة - رضى الله عنهم - وذكروا أن خط على رضى الله عنه فيه، وحمل الكتاب فى سنة سبع وأربعين وأربعمائة إلى رئيس الرؤساء أبى القاسم على وزير القائم، عرضه على الحافظ الحجة أبى بكر الخطيب، فتأمله ثم قال: « هذا مزور » فقيل له: « من أين لك هذا » قال فيه شهادة معاوية، وهو إنما أسلم عام الفتح وفتح خيبر كان فى سنة سبع، وفيه شهادة سعد بن معاذ؛ وهو قد مات يوم بنى قريظة قبل فتح خيبر بسنتين فاستحسن ذلك منه، واعتمده وأمضاه، ولم يجز اليهود على ما فى الكتاب لظهور تزويره.

وفى الرافعى: سئل ابن سريج عما يدعونه يعنى يهود خيبر أن عليا كتب لهم كتابًا بإسقاطها، فقال : لم ينقل ذلك عن أحد من المسلمين انتهى.

ولما حقق لهم الخطيب ما تقدم، صنف رئيس الرؤساء المشار إليه فى إبطاله جزءًا، وكتب عليه الأئمة أبو الطيب الطبرى، وأبو نصر بن الصباغ، ومحمد بن محمد البيضاوى، ومحمد بن على الدامغانى وغيرهم.

وأخرج المعافى بن زكريا النهراونى فى المجلس الرابع والستين من « الجليس » له، من طريق معمر بن شبيب بن شيبة أنه سمع المأمون يقول: « امتحنت الشافعى فى كل شىء فوجدته كاملا، وقد بقيت خصلة وهى أن أسقيه من النبيذ ما يغلب على الرجل الجيد العقل، وأنه استدعاه، وسقاه، فما تغير عقله، ولا زال عن حجته » وقال المعافى عقبها: الله أعلم بصحتها. قال السخاوى: قال شيخنا فى « لسانه »: لا يخفى على من له أدنى معرفة بالتاريخ أنها كذب، وذلك أن الشافعى دخل مصر على رأس المائتين، والمأمون إذ ذاك بخراسان، ثم مات الشافعى بمصر سنة دخل المأمون من خراسان إلى العراق وهى سنة أربع ومائتين فما التقيا قط والمأمون خليفة، وكيف يعتقد أن الشافعى يفعل هذا وهو القائل: لو أن الماء البارد يفسد مروءتى ما شربت إلا ماءً حارًا.

وقد يكون طريقًا للتوصل به لما المتأهل يستحقه، كما اتفق للشيخ شمس الدين بن عمار المالكى حين استقر فى تدريس المالكية بالمدرسة المسلمية بخط السيوريين من مصر، ونوزع بأن شرط الواقف أن يكون المدرس فى حدود الأربعين، فأثبت

محضرًا بأن سنه إذ ذاك خمس وأربعون سنة.

وكذا انتزع البدر بن القطان من زين العابدين بن الشرفى المناوى فى حياة والده وبعد انفصاله عن القضاء فى الأيام الأشرفية الأينالية تدريس الخروبية، لكون شرط الواقف فى مدرسها أن يزيد سنه على الأربعين، وزين العابدين لم يبلغها إذ ذاك، وحينئذ.

فما رويناه - أى السخاوى - فى الجزء الأول من فوائد الحلبى من طريق أبى إسماعيل الترمذى قال: سمعت البويطى يقول: سئل الشافعى رضى الله عنه كم سنك أو مولدك؟ قال: ليس من المروءة أن يخبر الرجل بسنه. ومن طريق أبى إسماعيل أيضًا قال: « سمعت عبد العزيز الأوسى يقول: قال رجل لمالك يا أبا عبد الله كم سنك؟ قال: أقبل على شأنك » يحمل على ما إذا كان عبثًا لم تدع إليه حاجة، خصوصًا من كان مع صغر سنه حصل فضائل لكون ذوى الأسنان الجامدين يحتقرون غالبًا بالصغر.

ولذا لما استشعر يحيى بن أكثم ذلك ممن سأله حين ولى القضاء عن سنه، وهو ابن عشرين أو نحوها، أجابه بقوله: « أنا أكبر من عتاب بن أسيد حين ولاه النبى ﷺ مكة » وكان سن عتاب حينئذ أزيد من عشرين سنة فيما قاله الواقدى، ومن معاذ بن جبل حين وجهه النبى ﷺ إلى اليمن قاضيًا، ومن كعب بن سور حين وجهه عمر رضى الله عنه إلى البصرة قاضيًا قال السخاوى: وكذا اتفق لشيخنا الكمال بن الهمام حين خطبه الأشرف برسباى لمشيخة مدرسته ونبذ عنده بصغر سنه، سأله حين أحضره، لإلباس خلعتها، عن سنه، فقال: أكبر من عتاب ومن فلان أو نحو هذا، ولم يفصح له بمقدار سنه، وإلا فقد أخبر كل منهما بمولده.

بل لما سئل العباس رضى الله عنه أنت أكبر أم النبى ﷺ؟ فقال: أنا أسن منه، وهو أكبر منى، وتبعه فى جوابه شيخنا الزين رضوان حين قيل له: أأنت أكبر أم شيخ الإسلام ابن حجر، رحمهما الله تعالى.

وكون التاريخ أحد الأدلة لضبط الراوى حيث يقول فى المروى: « وهو أول شىء سمعته منه » أو « كان فلان آخر من روى عن فلان » أو « رأيته فى يوم الخميس يفعل كذا » أو « سمعت منه قبل أن يحدث ما أحدث، أو قبل أن يختلط »

وفى المتون من ذلك الكثير؛ كأول ما بدئ به رسول الله ﷺ الرؤيا الصادقة، وأول ما نزل من القرآن كذا، وأول مسجد وضع قال المسجد الحرام، ثم الأقصى وحدد المدة التى بينهما، وأول مولود فى الإسلام أى: بالمدينة عبد الله بن الزبير. وآخر ما كان كذا كما تقدم، وكقوله عن يوم الاثنين « وذاك يوم ولدت فيه... » الحديث، وكنا نفعل كذا حتى قدمنا الحبشة، ونهى يوم خيبر عن كذا، وما أشبه ذلك، كقوله قبل أن يوحى إليه، بحيث أفرد جماعة من القدماء فمن بعدهم الأوائل، وأبو زكريا بن منده « آخر الصحابة موتًا » وبعض المتأخرين الأواخر مطلقًا ولكثرة ما وقع فى المتون من ذلك أفرده البلقينى بنوع مستقل.

وكان يمكن أن يجعل التاريخ على قسمين: سندى، ومتنى، وقد ذكرنا أمثلة على فوائد التاريخ فى دراسة السند، وهناك أيضًا أحوال يؤثر فيها التاريخ على السند والمتن فى الأحاديث مما قد يشتركان فيه كما فعل فى المضطرب والمقلوب وغيرهما.

ومما وقع فى المتون: « إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهرًا » « ومن صام رمضان وأتبعه بست من شوال » و« أفضل الصيام بعد رمضان المحرم وصوم تاسوعاء وعاشوراء » وكون قول ابن عباس: كان تاسوعاء عنده العاشر من المحرم والشهر ثلاثون وتسع وعشرون، « والأمر بصيام الأيام البيض » « والنهى عن صوم يوم العيد والسبت إلا مع يوم قبله أو بعده » ونحو ذلك مما لا ينحصر « كالحج لا يتم إلا بالوقوف فى عرفة » « وخلق الله الأرض يوم السبت، والجبال يوم الأحد، والشجر يوم الاثنين، والظلمة يوم الثلاثاء والنور يوم الأربعاء، والدواب يوم الخميس، وآدم يوم الجمعة »، وقوله ﷺ فى أواخر عمره: « إن على رأس مائة سنة لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد ».

فكل هذا مرشد إلى الافتقار للتاريخ، أو هو من فوائده ومن ثم قيل كما سيأتى قريبا عن ابن عباس - رضى الله عنهما - إن الله عز وجل ذكره فى كتابه العزيز فقال: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾ [البقرة: ١٨٩] وعن قتادة « جعلها الله مواقيت لصوم المسلمين، وإفطارهم وحجهم، وعِدَد نسائهم ».

وأما ما لعله يذكر فيه من أخبار الأنبياء صلوات الله عليهم وسنتهم فهو مع أخبار العلماء ومذاهبهم، والحكماء وكلامهم، والزهاد والنساك ومواعظهم، عظيم الغناء، ظاهر المنفعة، فمما يصلح الإنسان به أمر معاده ودينه وسريرته فى اعتقاداته، وسيرته فى أمور الدين، وما يصلح به أمر معاملاته ومعاشه الدنيوى.

وكذا ما يذكر فيه من أخبار الملوك وسياساتهم، وأسباب مبادئ الدول وإقبالها، ثم سبب انقراضها، وتدبير أصحاب الجيوش والوزراء وما يتصل بذلك من الأحوال التى يتكرر مثلها وأشباهها أبدًا فى العالم غزير النفع كثير الفائد بحيث يكون من عرفه كمن عاش الدهر كله وجرب الأمور بأسرها، وباشر تلك الأحوال بنفسه فيغزر عقله ويصير مجربا غير غر ولا غمر ولله الحمد والمنة .

* * *

ترجمة المؤلف(١)

عبد الملك بن حسين بن عبد الملك الشافعي المكي الشهير بالعصامي، الشيخ الفاضل الأديب العالم الفهامة الشاعر الناظم الناثر.

كان مولده بمكة - حرسها الله وشرفها - سنة تسع وأربعين ومائة ألف (١٠٤٩هـ) ونشأ بها واشتغل بفنون العلوم، وبحث عن منطوقها والمفهوم، وله شعر لطيف، منه قوله مادحًا الشريف بركات أمير مكة بقصيدة منها: [من الطويل]

سعددت بيمنك والسعود المقبل ... وانجاب عنها النحس بالحظِّ الجلي
وتتابعت أيدى السرور ترادف الـ ... إقبال بالبشري لكل مؤمَّل
وأطاع أمر الله ما تختاره ... وبذروة فلك السماء المعتلى
لأبي زهير مليكنا بركات را ... عيها مملكها الشريف الأفضل

وهي قصيدة طويلة جدًّا عدد فيها مآثر ممدوحه، وذكر أياديه، وإنعامه، وذلك في لغة كلاسيكية تنقاد للشاعر في يسر وسلاسة يشكلها كيف يشاء في صورة أساليب أخاذة تأخذ بالألباب ومجامع القلوب.

ولقد كان عبد الملك العصاص فاضلاً نبيهًا ذا مشاركة في العلوم ومعرفة بالأدب والشعر وله قصائد كثيرة غير ما سقناه، وكان له علم واجتهاد؛ حيث تصدر للتدريس في المسجد الحرام مدة عمره وكفى بهذا شرفًا وشأوًا عظيمًا.

ومن مصنفاته العلمية التي أورثنا إيهاها « سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالى » وهو الذي نقدمه للقراء محققًا، وله: « قيد الأوابد من الفوائد والعوائد » كتبه بخطه، وله: « الغرر البهية شريح الحزرجيه » وهو كتاب في علم العروض.

وتوفى عبد الملك العصامي في مكة (سنة ١١١١هـ) رحمه الله رحمة واسعة.

ومما تجدر الإشارة إليه أن مؤلفنا هذا هو حفيد الملاّ عصام عبد الملك بن جمال

---

(١) تنظر ترجمته في: البدر الطالع (٢/ ٤٠٢، ٤٠٣)، إيضاح المكنون (٢/ ٢٨)، الأعلام (٤/ ١٥٧)، سلك الدرر (٣/ ١٣٩)، عنوان المجد (١/ ١٢٠)، والكتبخانة (٥/ ٦٩)، ودار الكتب (٧/ ٧٩)، هدية العارفين (١/ ٦٢٨)، فهرست الخديوية (٥/ ٦٩)، معجم المؤلفين (٦ظ١٨٢).

الدين (٩٧٨هـ - ١٠٣٧هـ)[1]

* * *

(١) هو عبد الملك بن جمال الدين العصامس الأسفرايني، المعروف بالملاعصام من علماء العربيه، له نحو ستين كتابًا منها: « بلوغ الأدب من كلام العرب » و« الكافي الوافي في العروض والقوافي »، و« التسهيل »، وهو رسالة في العروض، وله شرح قطر الندى في النحو وغير ذلك.
ولد بمكة المكرمة، وتوفى بالمدينة المنورة.
تنظر: تجرمة في البدر الطالع (١/ ٤٠٣)، وسلافة العصر (١٢٢)، والكتبخانة (٨/ ١٦١)، وكشف الظنون (٥/ ٦٢٨)، والأعلام (٤/ ١٥٧).

بين يدي الكتاب

كتاب « سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي » كتاب في التاريخ والتراجم والسير لحقبة زمنية كبيرة تمتد من زمن النبوة حتى القرن العاشر الهجري تقريبًا، وهو بهذا الامتداد الزمني يشمل أحداثًا جمة، ووقائع كثيرة متلاحقة ومتعاقبة والكتاب يشتمل على مقدمة وأربعة مقاصد وخاتمة.

أما المقدمة: فقد عرض فيها المؤلف لأهمية التاريخ ومدى الحاجة إلى قراءته قراءة واعية، لما له من دورٍ عظيم الأثر في حياتنا على شتى المستويات المختلفة.

وعرض فيها أيضًا لمنهجه في كتابه وطريقة تأليفه وترتيبه، ومصادره التي استقى منها الأخبار والحوادث المختلفة.

وأما المقصد الأول: فقد أداره المؤلف حول ذكر نسبه ﷺ وتعداد آبائه الكرام، وما يتعلق بذلك من حوادث ووقائع تاريخيه كثيرة.

وأما المقصد الثاني: فقد أداره حول أحواله ﷺ؛ وهو يشتمل على سبعة أبواب تكلمت عن بعض ما يتعلق به ﷺ من أمر ولادته ورضاعه، وهجرته إلى المدينة، وقصة الوحي، وذكر أعمامه وعماته وزوجاته وأولاده وخدمه ومواليه، وما يرتبط بذلك من حوادث ووقائع مختلفة.

وأما المقصد الثالث: فقد أداره حول ذكر الخلفاء الأربعة، وما ارتبط به من حوادث ووقائع مختلفة.

وأما المقصد الرابع: فهو يشتمل على سبعة أبواب دارت حول الدولة الأموية ثم العباسية، ثم الفاطمية، ثم الأيوبية، ثم التركمانية، ثم الشراكة، ثم العثمانية، وما ارتبط بذلك من حوادث ووقائع مختلفة.

وأما الخاتمة: فهي تشتمل على ثلاثة أبواب تتعلق بذكر نسب الطالبيين وأعقابهم، ومن دعا منهم إلى المبايعة، وذكر من ولى مكة المشرفة من آل طالب إلى عصر المؤلف، وما ارتبط بذلك من سرد تاريخى ووقائع وأحداث مختلفة.

وأما مصادر الكتاب: التي استقى منها المؤلف الأخبار والأحداث فهي كثيرة جدًا، وقد كفانا المؤلف مؤنة استقصائها؛ حيث أدرجها كاملة في مقدمة الكتاب.

وبالنسبة للغة المؤلف: فهى لغة ناصعة فصيحة لم تشبها ركاكة أو فظاظة؛ بل هي

شهلة لينة تنقاد له كيف شاء، يضاف إلى ذلك أنها لغة شاعرية تحلق في فضاء الاستعارات والمجازات والتشبيهات البلاغية والمحسنات البديعية.

جدير بالذكر فإنه قد عرضت لنا بعض الهنات التي وقع فيها المؤلف وبخاصه تلك المبالغات الشعرية التي اوردها عن بعض الشعراء حيث يُغْلى فيها من أقدار الممدوحين مما يتنافى والتعاليم الإسلامية، وبخاصه تلك المبالغات التي بنيت على مقارنات أو تشبيهات بين هؤلاء الممدوحين وأنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم الذين اختصَّهم من دون الناس، واصطفاهم، وفضَّلهم على العالمين.

ولا حيلة لنا أن نعتذر عن ذلك إلا بما قيل: إن أجمل الشعر أكذبه، وأن لغة الشعر وعالمه غير لغة وعالم الواقع المحسوس وهناك أيضًا بعض الهنات التي فاتت المؤلف وهي اعتماده في بعض الأحيان على بعض المرويات الضعيفة أو الموضوعة، أو المأخوذة عن الروافض أو الإسرائيليات، غير أن تلك الهنات لا تقلل من القيمة العلمية الكبيرة للكتاب أو لمؤلفه وقد أشرنا في خلال تحقيقنا للكتاب إلى مثل هذه الأمور، وبينا وجه الصواب والخطأ فيها.

* * *

وصف النسخ الخطية

الأولى: المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٥٣١) تاريخ تيمور برقم ميكروفيلم (٥٠٩٤٧) وعدد أوراقها (١٣٠٢) صفحة وعدد مسطراتها (٣١) سطر .

الثانية: المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٥٦٦٤) وبأرقام ميكروفيلم (١٤١٧٧، ١٤٢٨٥، ٣٥٩٣٣، ٣٦٦٠٢) ويقع في خمس مجلدات وعدد أوراقها (٤٣٧، ٤٠٥، ٢٨٨، ٣٢٤) ومسطراتها (٢١) سط .

الثالثة: المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٣٦٢) تاريخ، برقم ميكروفيلم (١٠٧٥٤) وعدد أوراقها (٤٠٣) ومسطراتها (٢٨) سطر .

الرابعة : المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٥٣) تاريخ .

الخامسة: المحفوظة بدار الكتب المصرية عن نسخة توبنخن تحت رقم (٢٧٢٩٢)ح

وقد اعتمدنا على النسخة المطبوعة طعة المكتبة السلفية بالقاهرة. وقد قمنا في الكتاب بالآتي:

١- قراءة النص على الكتب المطبوعة التي نقل منها المصنف، واثبات غالب فروقها في هامش الكتاب .

٢- عزو الأيات القرآنية إلى مواضعها .

٣- تخريج الأحاديث .

٤- توثيق النصوص من مصادرها الأصلية .

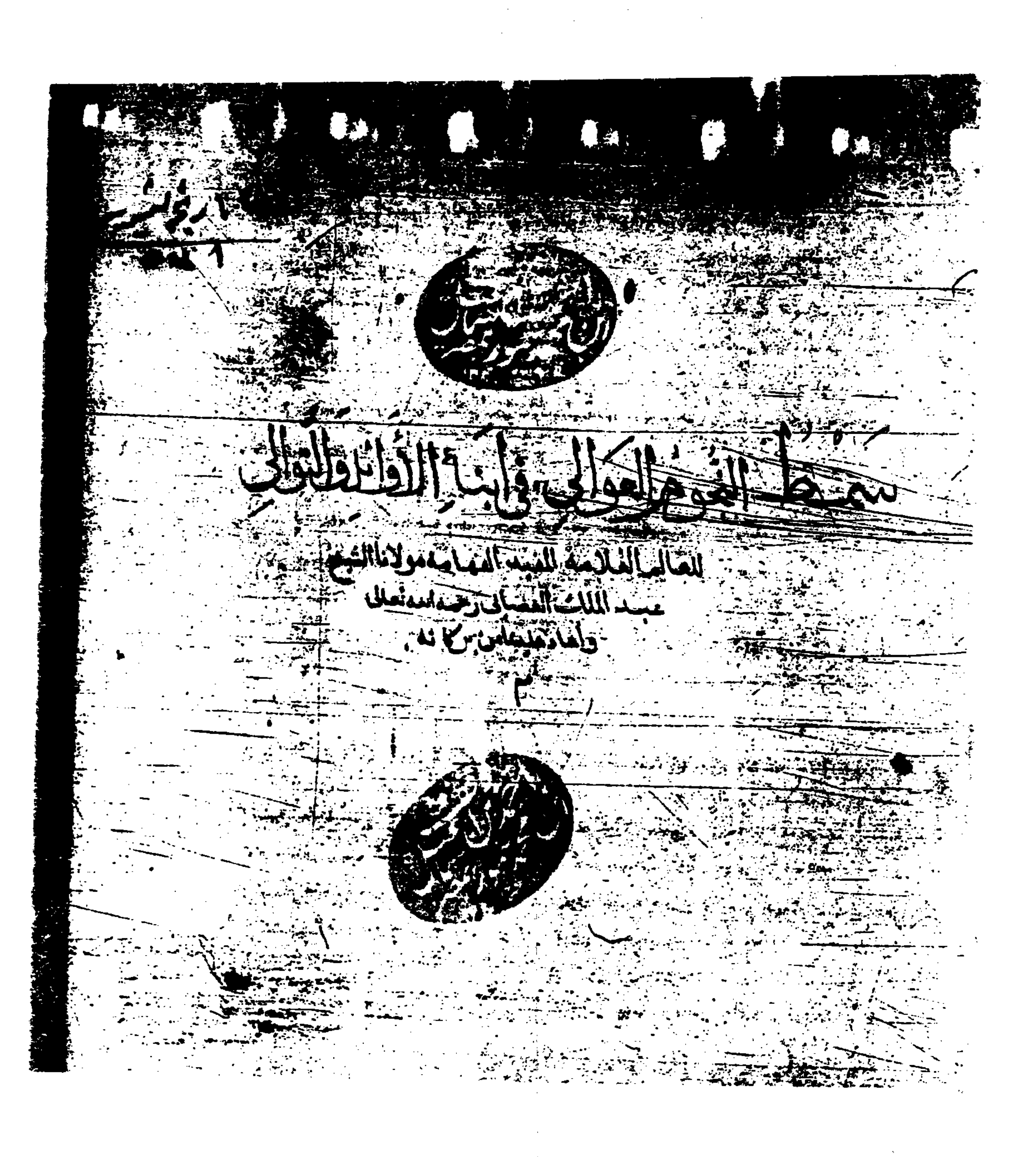
٥- مقابلة نصوص الكتاب على الكتب التي نقل منها المؤلف وإثبات فروقها في هامش الكتاب .

٦- التعليق على بعض غريب النص .

٧- التعليق على بعض المسائل الواردة في الكتاب.

٨- صدرنا التحقيق بمقدمة بسطنا فيها الكلام على علم التاريخ وأهميته، ثم أعقبناها بترجمة للمؤلف.

* * *



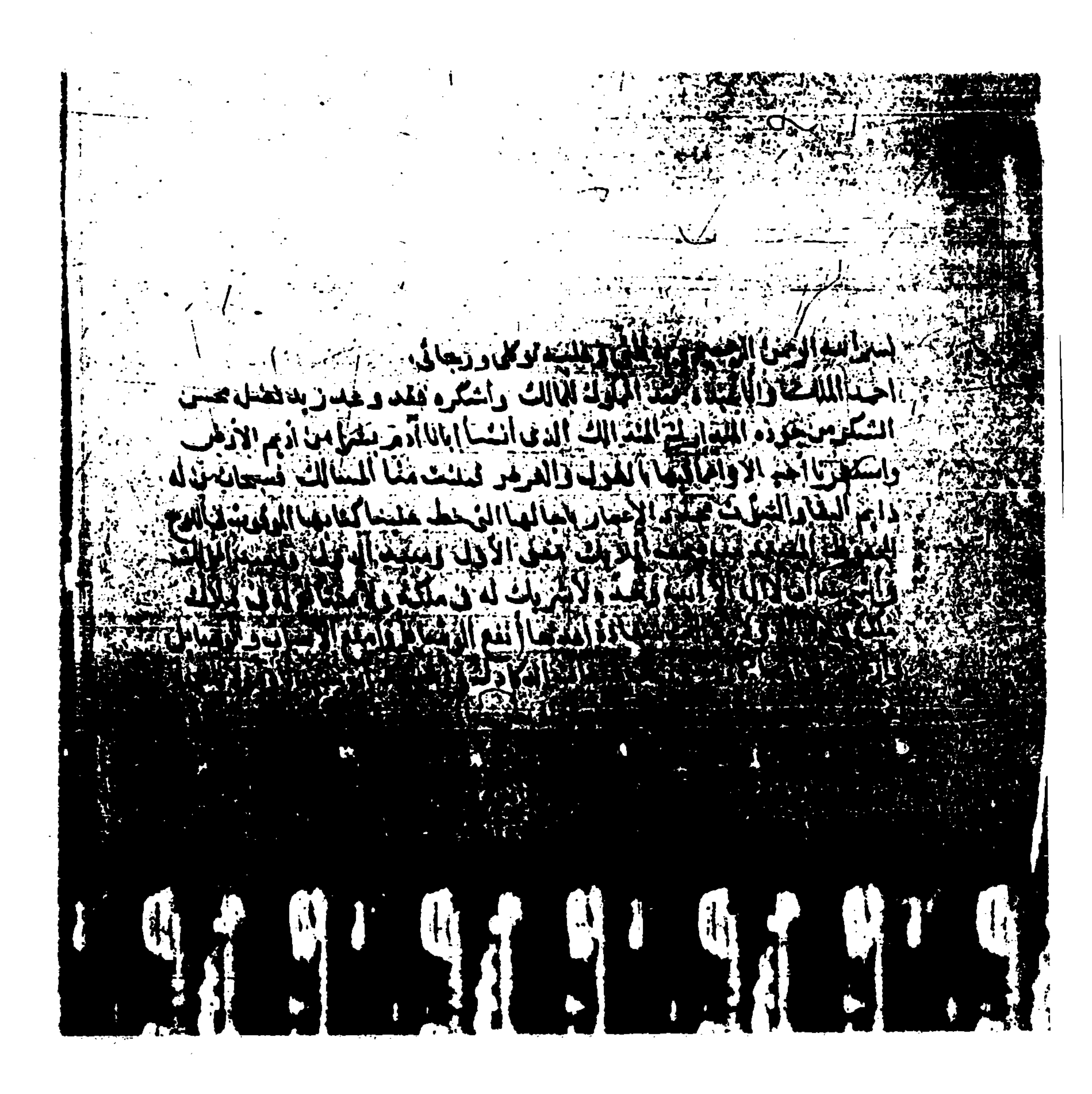
سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي

للعالم العلامة الفهامة مولانا الشيخ

عبد الملك العصامي رحمه الله تعالى

وأعاد علينا من بركاته

صورة الغلاف من النسخة الأولى



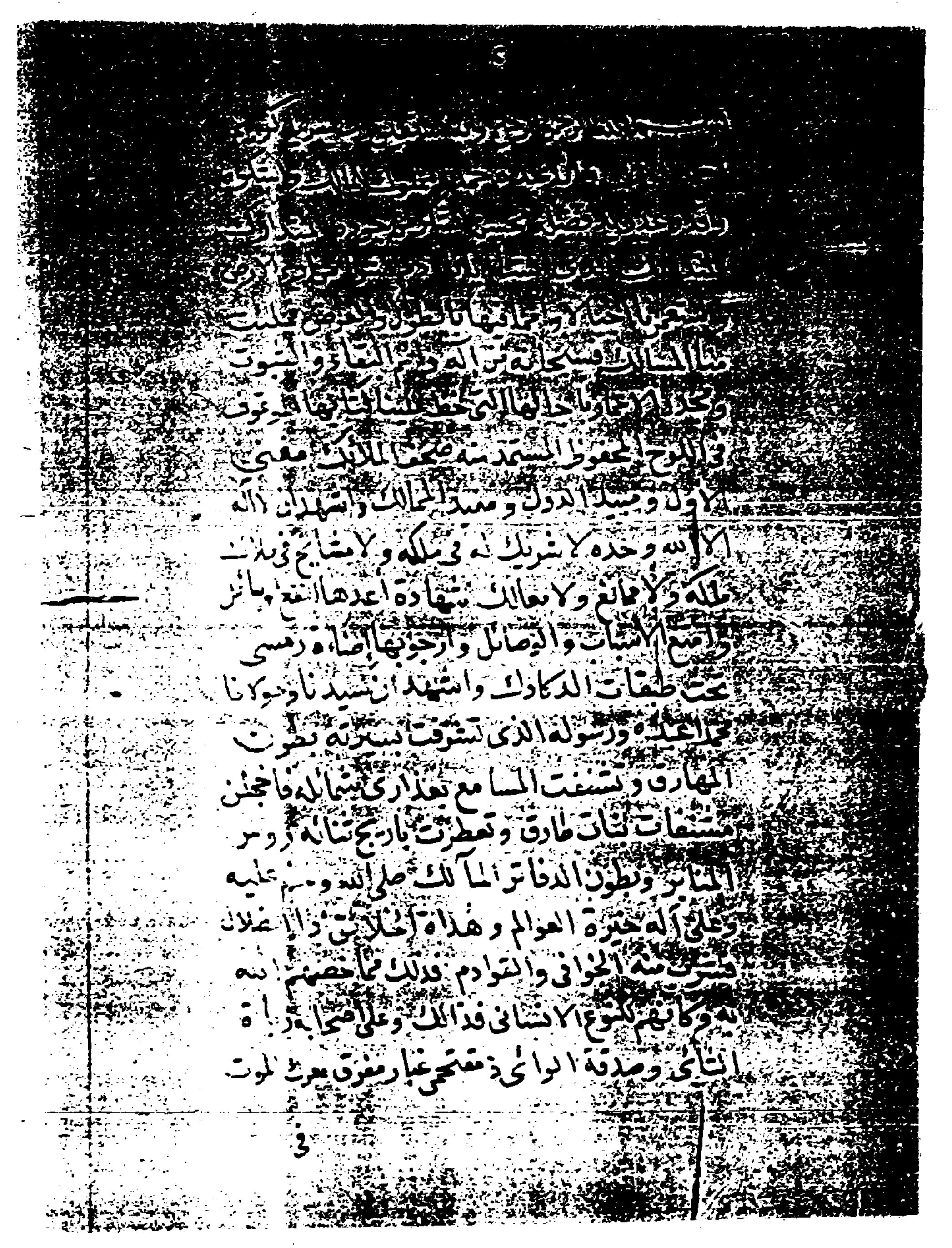
صورة الورقة الأولى من النسخة الأولى

صورة الورقة الثانية من النسخة الأولى

[illegible] كان وصول القفطان والمراسيم السلطانية صحبة سليمان
[illegible] لالاى [illegible] وصل الى
[illegible] فتح البيت السعيد
[illegible] السادة الاشراف [illegible] وافندى الشرع
[illegible] وكبار
[illegible] مولانا الشريف [illegible] القفطان السلطانى
على [illegible] وقرئت منه تلك السطور
[illegible] مولانا [illegible] مزاياه الحميده
[illegible] بانا قد [illegible] ولاية الحرمين الشريفين عليكم واسندنا حماية
المحلين المنيفين اليكم والحث على [illegible] السادة الاشراف
الذابين عن حمى هذه الاكناف والوصية بالعلما والصلحا والمجاورين
وحماية الحجاج والزوار والمسافرين والالتفات الى تأمين الطرف
والبلدان وقمع اشقيا العربان اهل العتو والعدوان مؤرخا من السنه
المذكورة باوايل شهر رمضان المعظم قدره ثم البس مولانا متع الله بحياته
[illegible] افندى الشرع والقاضى السلطانى وكتخدا الباشا اقربه من السطور
ثلاثة من غير تاخير ولا ملاثة والبس مولانا الشيخ عبد الواحد الشيبى
وابنه الشيخ الاجل عبد المعطى وجميع السرادير والشراكجة والجاويش
وارباب المناصب المعاطين على القانون والعاده ثم دعى لمولانا السلطان
الاعظم سليمان خان بن ابراهيم خان ولمولانا الشريف متع الله بحياته
على باب الكعبة الشريفة ذات السيادة وكان يوما فى نهاية الحسن والزياده
وفى يوم الجمعة رابع عشر الشهر المذكور امر مولانا الشريف متع
الله بحياته بحضور الخاصه والعامة عند الحطيم للدعا لحضرة مولانا السلطان
الاعظم كل يوم اثنين وخميس بعد صلاة الحنفى عامله الله تعالى
بلطفه الخفى وكان به لعمر الحق امين ٥٠

قد تم تكميل هذه النسخة من نسخة الاصل [illegible] الشريفة [illegible]
[illegible] الناسخ [illegible] وقد كان الفراغ منه فى يوم الجمعة [illegible]
[illegible] سنة [illegible] الموافق ٣ [illegible]
[illegible]

صورة الورقة الأخيرة من النسخة الأولى


[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
وسقيها ... بها نابطون ...
مما انبتت فسبحانه من اله ... النبات والنبوت
وتحدد الاعمار باجالها التي خط ... في
اللوح المحفوظ المستمد منه صحف الملائكة معنى
الاول ومبيد الدول ومعيد الممالك واشهد ان لا اله
الا الله وحده لا شريك له في ملكه ولا مشابه في ...
ملكه ولا ممانع ولا معاند شهادة اعدها انفع ...
وامنع الاسباب والوسائل وارجو بها اضاءة رمسي
تحت طبقات الجنادل واشهد ان سيدنا ومولانا
محمدا عبده ورسوله الذي تشرفت بسيرته بطون
المهارق وتشنفت المسامع بعذارى شمائله فاجتلى
مستنشقات ... طارق وتعطرت بارج ثنائه ...
المنابر وبطون الدفاتر ... صلى الله وسلم عليه
وعلى آله خيرة العوالم وهداة الخلائق ...
... منه الخوافي والقوادم فذلك مما خصهم الله
به وكانهم للنوع الانساني فذلك وعلى اصحابه ...
... وصدقة الرأي ... غبار ... الموت
في

صورة الورقة الأولى من النسخة الثانية

٦٤٤

قدره ثم البس مولانا متع الله بحياته حضرة أفندي الشرع
والقاضي السلطاني وكيخية الباشا أورته بن إبراهيم الانه
من غير تأخير ولا ملاته والبس مولانا الشيخ عبد الواحد
الشيبي وابنه الشيخ الأجل عبد المعطي وجميع السناجق
والشرابجة والجاويش وأرباب المناصب العمالين على
القانون والعادة ثم دعي لمولانا السلطان الأعظم سليمان
خان بن ابراهيم خان ولمولانا الشريف متع بحياته
على باب الكعبة الشريفة ذات السيادة وكان يوما
في نهاية الحسن وزيادة .

وفي ... رابع عشر الشهر المذكور أمر مولانا
الشريف متع الله بحياته بحضور الخاصة والعامة عند
الحطيم للدعاء لحضرة مولانا السلطان الأعظم كل يوم
اثنين وخميس بعد صلاة الجمعة عامله الله تعالى بلطفه
الخفي وكان به نعم الحفي آمين

تم

الجزء الخامس من كتاب سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل
والتوالي بعناية الله وعونه وحسن توفيقه وبانتهائه
انتهى الكتاب والحمد لله رب العالمين وصلى الله على
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

وسلم

كتبه



صورة الورقة الأخيرة من النسخة الثانية



بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين رب يسر يا كريم

أحمد الله وأنا عبده حمد المملوك للمالك، وأشكره فقد وعد بمزيد فضله

محسن الشكر من جوده المتدارك المتدارك، الذي أنشأ أبانا آدم بشرا من

أديم الأرض، واستعمرنا أحياء وأمواتا فيها بالطول والعرض، فملئت منا الممالك

فسبحانه من الدائم البقاء والثبوت، ومحدد الأعمار بآجالها التي تخط عنا

كاتبها الموقوت في اللوح المحفوظ المستمد منه صحف الملائكة، مغني الدول

ومبيد الدول ومفنيها المالك. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك

له في ملكه، ولا منازع له في ملك ملكه، ولا مانع ولا ممانع، شهادة أعدها

أنفع الوسائل واتخذها أسباب الوصائل، وأرجو بها إنابة [illegible] تحت طبقات

الدكادك. وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله الذي شرفت

بسيرته بطون المهارق، وتشنفت المسامع بعذاري شمائله فأخجلن [illegible]

بنات طارق، وتعطرت بأرج ثنائه رؤوس المنابر وبطون الدفاتر وصدور

المسالك، صلى الله وسلم عليه وعلى آله خيرة العوالم، وهداة الخلائق

إذا [illegible] [illegible] والعوادي فذلك ما خصهم الله به وكانوا

للنوع الإنساني [illegible]، وعلى أصحابه رباة النادي، ومعدنه الوادي

ومقتحمي غمار [illegible] معترك الموت في رضاه وانتهاك، وعلى التابعين

وتابعيهم بإحسان ما ناهج مشرع [illegible] [illegible] [illegible]

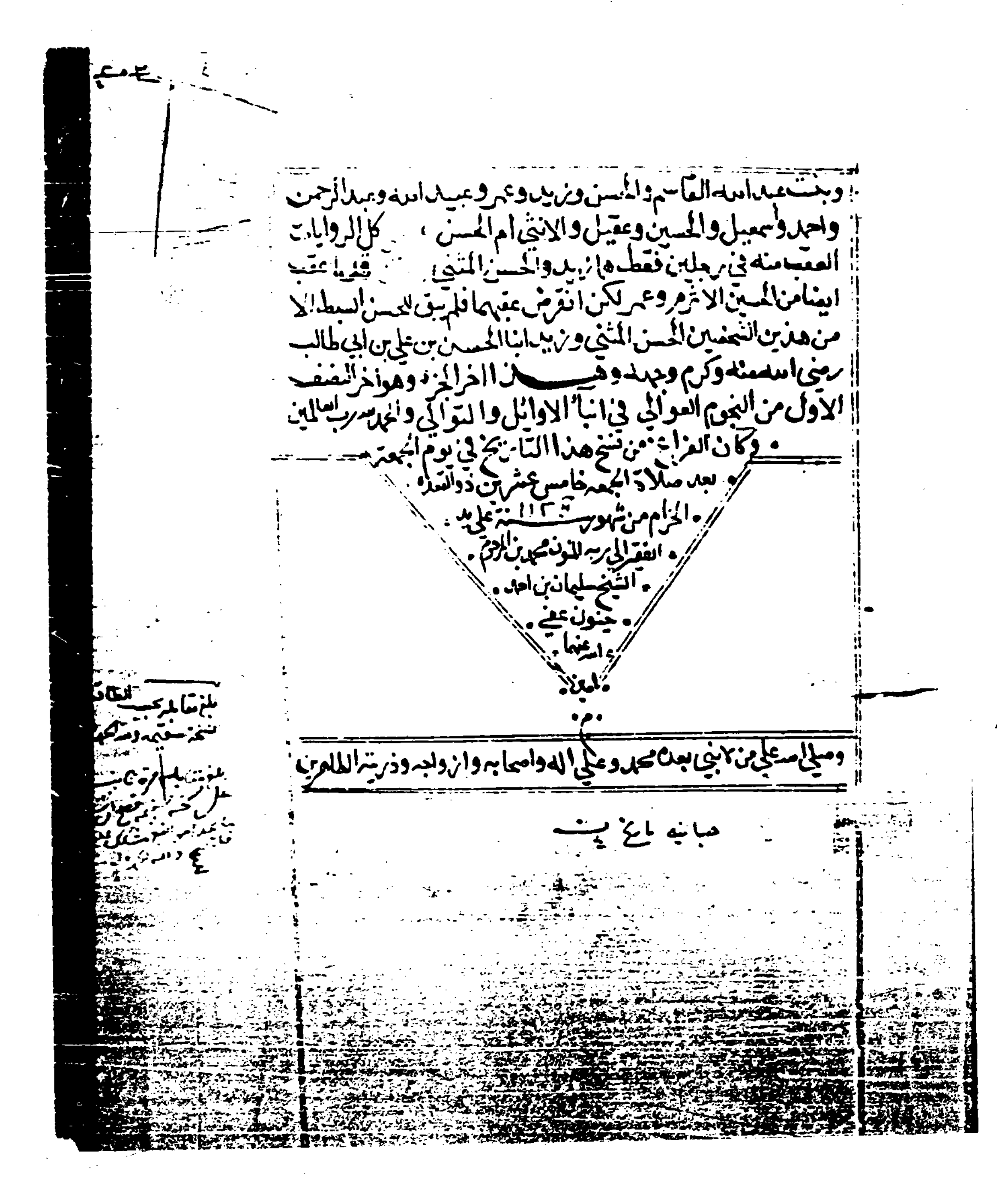
[illegible] [illegible] [illegible] أغاث منه البهيم وأعمر

[illegible] [illegible] عليه [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] والتواريخ [illegible]

٤٩ ب

صورة الورقة الأولى من النسخة الثالثة



وبنت عبد الله القاسم والحسن وزيد وعمر وعبيد الله وعبد الرحمن
واحمد واسمعيل والحسين وعقيل والانثى ام الحسن ، كل الروايات
العقب منه في رجلين فقط هما زيد والحسن المثنى قيل اعقب
ايضا من الحسين الاثرم وعمر لكن انقرض عقبهما فلم يبق للحسن السبط الا
من هذين النجمين الحسن المثنى وزيد ابنا الحسن بن علي بن ابي طالب
رضي الله عنه وكرم وجهه وهذا اخر الجزء وهو اخر النصف
الاول من النجوم العوالي في انباء الاوائل والتوالي والحمد لله رب العالمين
وكان الفراغ من نسخ هذا التاريخ في يوم الجمعة
بعد صلاة الجمعة خامس عشرين ذو القعدة
الحرام من شهور سنة ١١٢٣ على يد
الفقير الى ربه المولى محمد بن المرحوم
الشيخ سليمان بن احمد
حيون عفي
الله عنهما
امين
م
وصلى الله على من لا نبي بعده محمد وعلى اله واصحابه وازواجه وذريته الطاهرين

صورة الورقة الأخيرة من النسخة الثالثة

سِمْطُ النُّجُومِ العَوَالِي
في أنبَاءِ الأَوَائِلِ وَالتَّوَالِي

تأليف

عبد الملك بن حسين بن عبد الملك

الشَّافعيّ العَاصِمي المكّي

المتوفى سنة ١١١١هـ

الجزء الأول



بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين - رب يسر يا كريم

أحمد الملِكَ وأنا عبده حمدَ المملوك للمالك، وأشكره فقد وعدَ - زِيدَ فضله - محسنَ الشكر من جوده المتدارك المتدالك، الذى أنشأ أبانا آدم بشرًا من أديم الأرض، واستعمرنا أجيالاً وأممًا فيها بالطول والعرض، فملئت منا المسالك؛ فسبحانه من إله دائم البقاء والثبوت، ومجدد الأعمار بآجالها التى خُطَّ علينا كتابها الموقوت، فى اللوح المحفوظ المستمد منه صحف الملائك؛ مُفنى الأوَل، ومبيد الدُّول، ومفيد الممالك، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له فى ملكه، ولا مشايح(١) له في ملاك ملكه ولا ممانع ولا معالك(٢)؛ شهادة أعدها أنفع الوسائل، وأمتَع الأسباب والوصائل، وأرجو بها إضاءة رمسى(٣) تحت طبقات الدكادك(٤)، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله، الذى تشرفت بسيرته بطون المَهارق(٥)، وتشنفت المسامع بعذارى شمائله، فأخجلن مشنفات بنات طارق، وتعطرت بأريج ثنائه رءوس المنابر، وبطون الدفاتر، وصدور المآلك(٦)؛ صلى الله وسلم عليه وعلى آله خيرة العوالم، وهُداة الخلائق إذا الضلال نُشرت منه الخوافى والقوادم(٧)، فذلك مما خصهم الله به وكأنهم للنوع الإنسانى فذالك(٨)، وعلى أصحابه رَبَأَة الثأى(٩)، وصدقة الوَأى(١٠)، ومقتحمى غمار مفرق معرك الموت فى

---

(١) مشايح: منازع.

(٢) معالك: لعله من علك الشيء، ويقال: علك نابيه: حرق أحدهما بالآخر فحدث صوت. وهو كناية عن الغيظ. ينظر: ترتيب القاموس (علك).

(٣) الرمس: القبر.

(٤) الدكادك: الأرض التي فيها غلظ، والمقصود هنا القبر. ترتيب القاموس (دكدك).

(٥) المهارق: جمع (مُهرَق)، وهو الصحيفة. (مُعَرَّب): ينظر ترتيب القاموس (هرق).

(٦) المآلك: الرسائل. ترتيب القاموس (ألك).

(٧) الخوافي: ما يخفى من صغار الريش. والقوادم: أربع ريشات أو عشر في مقدم الجناح للطائر والمقصود: انتشار الضلال وظهوره. ترتيب القاموس (قدم).

(٨) فذالك: من قولهم: فذلك الحساب: أنهاه وفرغ منه. والفذلكة: مجمل ما فُصِّل وخلاصته. (مولدة). الوسيط (فذلك).

(٩) ربأة الثأى: مصلحي ما فسد. والثأى: الفتق أو الخرق. ورأبه: سده، وإصلاحه.

(١٠) الوأى: الوعد الذي يوثقه المرء على نفسه. الوسيط (وأى).

رضاه والمهالك، وعلى التابعين وتابعهم بإحسان؛ الناهجى مشرع وردهم الهنئ غير آسنٍ ولا آن[١]، نهجَ رُواد المِلاط[٢] لا رازح متساوك[٣]؛ ما اخضرَّ نجم الغبراء، فعاش منه البهيم، واغبرَّ نجم الخضراء؛ إذ غاس عليه الغيهبُ البهيم[٤] ، ودارت على الأفلاك بدورها الفوالك.

أما بعد: فلا ريب أن فن السير والتواريخ والأخبار، وغرائب القصص والوقائع والآثار، من الفنون التى تداولها الأجيال والأمم، وتعنو إليها نفوس ذوى الهمم، وتتنافس فيه الملوك والعظماء، ويتساوى فى فهمه الجهال والعلماء؛ إذ هو - فى ظاهره - لايزيد على إخبار عن الأيام والدول، والسوابق من القرون الأُوَل، تنمو فيها الأقوال، وتضرب منها الأمثال، وتسوَّغُ بها الأندية إذا غصها الاحتفال، وتُؤدى إلينا شأن الخليقة كيف تقلبت بها الأحوال؛ وما عانته الدول عند ضيق النطاق بها تارة، واتساع المجال.

وفى باطنه: نظر وتحقيق، واعتبار وتأسٍّ بما طحنته رحى الدهر، كل منهما دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق؛ فهو لذلك له أصل فى الحكمة عريق، وجدير بأن يعدَّ فى علومها وخليق، خصوصًا ما صُدرت به من سيرة سيد الأنام، وتعداد آبائه الكرام، وجميع غزواته وبعوثه وسراياه ومعجزاته، وما خُصَّ به من حميد مزاياه، وسائر حالاته وتقلباته، من حين الولادة إلى حين وفاته، كما سأبينه فى الفهرسة بما هو كاف فى المقام، وافٍ بالمرام، طافٍ للأوام.

وإن فحول المؤرخين فى الإسلام قد استوفوا أخبار الأمم: سطروها وبَيَّنُوهَا فى صفحات الدفاتر وقدَّروها؛ ترويحًا للنفوس، وتفريحًا للخاطر الملبوس، وتنبيهًا على كمال قدرة القاهر وإيقاظًا، وتبصرة للعاقل؛ إذا تأملها أينع غرسها فيه تسليمًا واتعاظًا؛ مصداق قول الإمام محمد بن إدريس الشافعي، وهو الثبت العدل: « علم التاريخ يزيد العقل » مع ما فيه من ضبط الأوقات والأحوال، عما يحصل بسبب الكذب فيه من الاختلال.

---

(١) الآسن: الذي يتغير ريحه. والآن: شديد الحرارة.

(٢) الملاط: عضدا البعير أو كتفاه. الوسيط (ملط)

(٣) رازح: الساقط من هزاله. والمتساوك: الضعيف الهزيل.

(٤) الغيهب البهيم: الليل إذا اشتد سواده.

قال العلامة عبد الرحمن بن الديبَع[١] فى كتابه « بغية المستفيد، فى أخبار زبيد »: لولا التاريخ لقال من شاء ما شاء.

وقال حسان بن زيد: « لم يُستعن على الكذابين بمثل التاريخ »[٢]؛ فقد نقل أن بعض اليهود من أهل خيبر، أظهر كتابًا وادَّعى فيه أنه كتاب رسول الله ﷺ، كتبه لهم بإسقاط الجزية عنهم حين فتحها - عليه الصلاة والسلام - وفى ذلك الكتاب شهادة جمع من الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين- منهم: أمير المؤمنين على بن أبى طالب، وسعد بن معاذ، ومعاوية بن أبى سفيان؛ فعرض الكتاب على الحافظ العلامة أبى بكر أحمد بن ثابت الخطيب البغدادي، فتأمله وقال: هذا مزور على رسول الله ﷺ وأصحابه. فقيل له: من أين لك هذا ؟ قال: لأن فيه شهادة معاوية بن أبى سفيان، وهو إنما أسلم يوم فتح « مكة » سنة ثمان من الهجرة، وفتحُ خيبر إنما كان سنة سبع من الهجرة، وفيه شهادة سعد بن مُعاذ، وكان سعد قد مات يوم بنى قريظة؛ من سهم أصابه يوم الخندق، وذلك سنة خمس من الهجرة، فيكون موته قبل فتح خيبر بسنتين، فظهر تزوير هذا الكتاب[٣]. انتهى. فيالها منقبة عظيمة، تتوق إليها الأنفس الكريمة. وقد قال القائل: [من الطويل]

إِذَا عَرَفَ الْإِنْسَانُ أَخْبَارَ مَنْ مَضَى   تَوَهَّمْتُهُ قَدْ عَاشَ مِنْ أَوَّلِ الدَّهرِ

(١) هو وجيه الدين أبو محمد عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن يوسف، محدث اليمن ومؤرخها، ولد بمدينة زبيد سنة ست وستين وثمانمائة، وبرع في العلم حتى انتهت إليه رياسة الرحلة في علم الحديث وقصده الطلبة من أركان الأرض وقد وصفه أقرانه بمسند الدنيا أمير المؤمنين في الحديث، وله مصنفات عديدة منها: تيسير الوصول إلى جامع الأصول، وتمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث، وقرة العيون في أخبار اليمن الميمون، وبغية المستفيد في أخبار زبيد، وغيرها. توفي رحمه الله يوم الجمعة السادس والعشرين من رجب سنة أربع وأربعين وتسعمائة. ينظر « النور السافر » (٢١٢-٢٢١)، الكواكب السائرة (٢/ ١٥٨-١٥٩)، شذرات الذهب (٨/ ٢٥٥-٢٥٦)، البدر الطالع (١/ ٣٣٥-٣٣٦)، إيضاح المكنون (١/ ٣٣٢)، هدية العارفين (١/ ٥٤٥).

(٢) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٧/ ٣٥٦-٣٥٧) من طريق أبي حسان الزيادي قال: سمعت حسان بن زيد يقول . . . فذكره، وقال فيه: « نقول للشيخ: سنة كم ولدت، فإذا أقر بمولده عرفنا صدقه من كذبه » وينظر: الإعلان بالتوبيخ (٢٢).

(٣) ينظر: الإعلان بالتوبيخ (٢٥) وفيه أن الكتاب حمل إلى رئيس الرؤساء أبي القاسم على وزير القائم فعرضه على أبي بكر الخطيب فلما أظهر بطلانه استحسن ذلك منه واعتمده وأمضاه، ولم يجز اليهود على ما فيه لتزويره.

وَأَحْسَبُهُ قَدْ عَاشَ آخِرَ عُمْرِهِ مَدَى الدَّهْرِ إِنْ أَبْقَى الجَمِيلَ مِنَ الذِّكْرِ
فَكُنْ عَارِفًا أَخْبَارَ مَنْ مَاتَ وَانْقَضَى وَكُنْ ذَا نَوَالٍ تغتنم أَطْوَلَ العُمْرِ

فهو فن غريز المذهب، عزيز المذهب، جم الفائدة، شريف العائدة؛ إذ هو يوقفنا على أخلاق الأنبياء فى هدى رسالتهم، وأحوال الخلفاء والملوك فى دولهم وسياستهم؛ حتى تتم فائدة الاقتداء بهم فى ذلك لمن يرومها فى أحوال الدين والدنيا، ويطلع طلع حقائق الأمور غنية بالتصريح عن الرموز والكنيا.

وفن التاريخ ما برح بهذه الفوائد كفيلا، ومافتئ يأتى بالأخبار على وجهها جملة وتفصيلًا؛ فهو كالمرآة الصقيلة، من نظر فيها كشفت له عما لايحسن عنده أو يقول باستحسانه، ويصير بمعرفة من تقدَّم بمنزلة من شاهد المغيبات بعيانه، ولولاه لأصبحت المآثر وهن دواثر، ورسوم المكارم ليس لها معالم، ومناهل المحاسن ذات ماء آسن؛ فلم يزل الخلف متطلعين لأخبار من سلف، ومتتبعين لزهرات محاسنهم التى تقتطف؛ لتقتفى آثارهم فيما كان لهم من الأفعال الحميدة، وينشر ما طواه الدهر من مآثر فضائلهم العديدة.

وكنت عند مطالعتى كتب السير والتواريخ، واستجلائى ثمرها من يانع الشماريخ، أحاول جمع كتاب من مجموعها مجموع، حاوٍ طرف أخبار تحسد العينُ أذنَها أنها من مقولة المسموع، فلم يزل الدهر مانعًا من صرف الهمة إلى نحو هذا المبتدا، وكلما نصبتُ نولَ حياكته صيَّر ذلك السَّدَى سُدَى، إلى أن جاورتُ سنة أربع وتسعين وألف بمدينة الرسول؛ فتوجهت إلى الله فى تبليغ المأمول، واستخرتُ الله تعالى عند ذلك، وسألت من كرمه الإعانة على ما هنالك، وفوَّقت السهم إلى ما أردت، فأصاب - بحمد الله - شاكلة الصواب، وأطلع الله الفكر على ما اشتهيت وهيأ لى الأسباب، ولا شك أن لشمس النجح ميقات، ولقضاء الحوائج أوقات؛ فشرعت فيه فى زمان فت فى الأعضاد، وأبطل جانب الثقة والاعتضاد، إن توسل فيه اللبيب ببلاغة الصادين لم يرو غلة صاد، ولم ير إلا خديعة من مداهن أو مضاد، ولو دوخ ما وراء قاف لم يحظ بكاف ما دهاه، ولا لحظته بنظر العطف عينُ راءٍ كما اشتهاه، أو نثر ما يضاهى حلق الدروع تأسيًا لام، إذا له مسبحًا ذيل ملام، لكننى استدمت عليه بجوار رسول الله والقرابة، واستمددت من نواله العذب الجم طاقة

خير، أغلقتُ بفتحها من الشر بابه، فغربلت من بطون السير والمصنفات معناه الدقيق، وغصت من لج التواريخ على دره النسيق، تصان عن الخبط أوراق عليه اشتملت، ويترفع عن السقوط نضيج أثمار أشجاره احتملت؛ فقد تجلى فى عيون الإفادات أشكالاً وصنوفًا، وتحلى من فنون الإجادات أساور وشنوفًا، وحوت أغصانه المائدة، كل خبر طيب الجنى فكأنها مائدة، وقيد من الفوائد كل شاردة؛ فهى فى الحقيقة للألباب صائدة، خزانة كتب جمعت فى كتاب، ومدينة علم منها إلى كل فن باب.

وهذه عدة الكتب التى كان منها استمدادى؛ فقويت بها يدى على حمل آدى:

« سيرة الشامى »، الشيخ محمد بن يوسف.

سيرة شمس الدين البرماوى.

سيرة ابن سيد الناس.

« المواهب اللدنية ».

سيرة مُغلطاى.

سيرة الشيخ محمد الصالحى المسماة: « زاد المعاد »[1].

« الاكتفا » لأبى بكر الكلاعى.

« الشفا » للقاضى عياض.

شرح سيرة ابن هشام، المسمى بـ « الروض الأنف » لأبى القاسم السهيلى.

« ذخائر العقبى، فى مناقب ذوى القربى » للمحب الطبرى.

« العقد الثمين، فى مناقب أمهات المؤمنين » له أيضًا.

تاريخ المسعودى، المسمى: « مروج الذهب ومعادن الجوهر ».

تاريخ العلامة محمد بن عثمان الذهبى، المسمى: « دول الإسلام ».

تاريخ القاضى شمس الدين أحمد بن خلّكان.

« تاريخ الخميس » للعلامة محمد بن حسين الديار بكرى.

تاريخ العلامة عبد الوهاب بن السبكى.

---

(١) كذا في الأصل، وكتاب الشيخ محمد الصالحي (ت٩٤٢هـ) معروف بعنوان: « سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد » وقد حققناه بهذا العنوان.

تاريخ ابن الجوزى، المسمى بـ « المنتظم، فى أخبار الأمم العرب والعجم ».

تاريخ القدس والخليل، المسمى بـ « الأنس الجليل ».

تاريخ العتبي المسمى بـ « اليميني »، جعله ليمين الدولة محمود بن سُبُكتُكين فى غزواته وفتوحاته ومناقبه.

تاريخ الصفدى.

تاريخ الجزيرى.

تاريخ البهوتى.

تاريخ القطبى.

تاريخ رضوان أفندى، المسمى بـ « الجمع الغريب، فيما يسرُّ الكئيب ».

تاريخ محمد بن جار الله، المسمى بـ « الجامع اللطيف ».

تاريخ اليافعى.

تاريخ أحمد بن على المعروف بـ « ابن زنبل ».

تاريخ العلامة التقى الفاسى، المسمى: « شفاء الغرام ».

« تاريخ الخلفاء » للسيوطى.

تاريخ العلامة عبد الرحمن بن خلدون الحضرمى.

تاريخ الفاكهى.

تاريخ ابن فهد، المسمى: « إتحاف الورَى ».

تاريخ الخزرجى.

« تاريخ خلفاء الزمن » للسمرقندى.

تاريخ الأزرقى.

تاريخ ابن ظَهيرة، المسمى بـ « الأخبار المستفادة، فيمن ولى مكة من آل قتادة ».

تاريخ يوسف بن تغري بردي، المسمى: « مورد اللطافة، فيمن ولي السلطنة والخلافة ».

تاريخ الديبع، المسمى: « بغية المستفيد ».

تاريخ على بن عبد القادر الطبرى، المسمى بـ « الأرج المسكى، بالتاريخ المكى ».

تاريخ الكامى محمد بن مصطفى.

تاريخ المدينة، المسمى بـ « خلاصة الوفا » للسيد السمهودى.
تاريخ ابن عربشاه، المسمى: « عجائب المقدور، فى أخبار تيمور ».
تاريخ الحائنى، المسمى: « حقيبة الأسرار، وجهينة الأخبار ».
تاريخ السيوطى، المسمى: « نظم العقيان، فى أعيان الأعيان ».
تاريخ ابن حجر العسقلانى، المسمى بـ « الدرر الكامنة، فى أخبار أهل المائة الثامنة ».

« ذيل الضوء اللامع، فى أهل القرن التاسع » (معًا) للعلامة السخاوى.
« فتح البارى شرح البخارى » للعلامة ابن حجر العسقلانى.
« التلقيح » لابن الجوزى.
« الفتوحات المكية » للشيخ الأكبر سيدى محيى الدين بن عربى.
« العواصم من القواصم » له[1].
« جواهر العقدين، فى فضل الشرفين » للسيد السمهودى.
« الوشاح » لابن دُرَيد.
« الخطط » للمقريزى.
« كتاب الروضتين » لأبى شامة.
« تذكرة ابن حمدون ».
« تذكرة ابن فهد ».
« طبقات ابن سعد ».
« تذكرة الصفدى ».
« العرائس » للثعلبي[2].
« علل الشرائع والأحكام » للمسعودى.
« المسامرة » لابن عربى.

(١) بل « العواصم من القواصم » للقاضي أبو بكر بن العربي المالكي، صاحب أحكام القرآن وقد أخطأ المؤلف في ذلك، وشتان بين محيى الدين بن عربي، وأبو بكر بن العربي. فتنبه.
(٢) في الأصل: الثعالبي، والمثبت هو الأشهر من لقبه، وهو أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري المعروف بالثعلبي ت ٤٢٧هـ. وكتابه: قصص الأنبياء المسمّى عرائس المجالس وهو مليء بالإسرائيليات.

« الكشاف » للزمخشرى.

« ربيع الأبرار » له.

« روض الأخبار ».

كتاب « الأذكياء » لابن الجوزى.

« مرآة الزمان » لسبطه.

« الكامل » لأبى العباس محمد بن يزيد عرف بالمبرد.

« الكامل » لابن الأثير.

« كتاب المبتدا » للحجرى.

« كتاب الوصية ».

« قلادة النحر » لأبى مخرمة.

« كتاب ألف با » للبلوى.

« سراج الملوك ».

« خريدة العجائب ».

« الرياض النضرة » للمحب الطبرى.

« المدارك » للنسفى.

« المدخل » لابن الحاج المالكى.

« العقد » لابن عبد ربه.

« رحلة ابن جبير ».

« شوق العروس وأنس النفوس » للحسين بن محمد الدامغانى.

« شرح المقامات » للمطرزى.

« حياة الحيوان الكبرى » للدميرى.

« رى العاطش، وأنس الواحش » لمحمد بن عمار.

« درة الغواص » للحريرى.

« البحر العميق » لابن الضياء.

« القاموس » للمجد الفيروزابادى.

« بحر الأنساب ».

« عمدة الطالب ».

« تحفة الطالب » للسمرقندى.

« أنساب قريش » للزبير بن بكار.

« الصواعق » لابن حجر الهيثمى.

« قواعد العقائد » للغزالى.

« المقاصد » للسعد التفتازانى.

« مصباح الظلام فى المستغيثين بسيد الأنام ».

« الإشاعة لأشراط الساعة » للسيد محمد البرزنجي.

« المنار المنيف فى الصحيح من الضعيف » للعلامة شمس الدين بن القيم.

« الروضة الأنيقة » للسيد السمرقندى.

« وسيلة المآل ».

« نشأة السلافة ».

« سلافة العصر من محاسن أهل العصر ».

« حسنة الزمان » لحسين بن ناصر المهلا.

« الإرشاد » لإمام الحرمين عبد الملك بن أبى محمد الجوينى.

« نظم الجواهر والدرر، فى أهل القرن الحادى عشر »، للسيد محمد الشلى.

« كمامة الزهر، فى وقائع الدهر ».

« المحاسن » للبيهقى.

« الريحانة » للشهاب الخفاجى.

كان ابتداء جمعه وتأليفه، وتصريف القلم فى إبداع ترصيفه، يوم الأربعاء ثالث عشر ربيع الآخر من السنة المذكورة؛ أعنى: سنة أربع وتسعين وألف، من هجرة من له الفخر والشرف، إلى أن انتهى تبييضه أواخر شهر صفر الخير من سنة ثمان وتسعين؛ فكانت مدة عنائى به ونظم منثوره من الكتب المذكورة أربعًا من السنين محبورة، فعندها وقف القلم قهرًا، وإن كانت وقائع الوجود مستمرة، وسألحق به ما يتجدد منها قيد حياتى طرة إثر طرة.

ورتبته فى أربعة مقاصد ذوات أبواب، وخاتمة نسأل الله حسنها آخر الكتاب.

المقصد الأول

فى ذكر نسبه عليه الصلاة والسلام، وتعداد آبائه الكرام

من لدن نبى الله آدم أبى البشر، صلى الله على نبينا وعليه وعلى سائر النبيين وسلم، إلى أبيه سيدنا عبد الله بن عبد المطلب، ولمع من أخبارهم، ونوادر آثارهم، ومقادير أعمارهم، وفيه ذكر كيفيه التناسل، وذكر قابيل وهابيل، وقتال أبناء قابيل، وذكر نوح والطوفان والسفينة، وذكر عوج بن عنق، وإلهام الله العربيةَ عدةَ قبائل من أولاد عابر، وهو النبي هود - عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام - ثم افتراق العرب إلى العدنانية والقحطانية، وذكر طَسْم وجَدِيس وتُبَّع، وذكر العمالقة وقطورًا والسَّميدَع وجُرْهُم وبنى إسماعيل، وخروج عمرو بن عامر مُزيقيا، وتفرق قومه إلى « مكة » وهم خزاعة، وإلى « المدينة » وهم الأوس والخزرج، وإلى « الشام » وهم ملوك غسان، وإلى « العراق »[1] وهم ملوك الحيرة: النعمان بن المنذر وقومه، وإلى غير هؤلاء، وذكر ولاة « مكة » فى الجاهلية وقبلها من زمن الخليل - عليه الصلاة والسلام -، وذكر بناة الكعبة: قُصىَ ثم قريش ثم ابن الزبير ثم الحجاج بعد ذكر من قبلهم، وذكر قريش الأباطح، وقريش الظواهر، وقريش العازبة، وقريش العائدة، ولعقة الدم، وذكر حلف المطيبين، وحلف الفضول، وحلف الأحابيش، وذكر حرب الفِجار الأول، وحرب الفِجار الثانى، وذكر الحُمْس والحلة والطلس من قريش وغيرهم، وذكر النسىء وكيفية الإنساء، وذكر الإجازة من عرفة إلى مِنًى، ومنها إلى مكة ومتولى ذلك، وذكر الحكام من قريش، وذكر طمع عثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العُزى بن قصى أن يملك قريشًا ويتملك عليهم من جانب قيصر، وذكر بنى عبد مناف والحجابة والسقاية والرفادة والقيادة، وذكر وِفادة عبد المطلب فى وجوه قومه إلى سيف بن ذى يَزَن مهنئين له بالملك، وذكر زمزم وغيرها مما حفرته قريش بمكة من الآثار، وذكر الفيل وأصحابه وغير ذلك.

---

(١) في الأصل: اليمن، والصواب المثبت.

المقصد الثانى
فى أحواله عليه الصلاة والسلام. وفيه سبعة أبواب:

الباب الأول: فى الحمل به وولادته ورضاعه، وموت عمه أبى طالب، وزوجته السيدة خديجة، وخروجه إلى الطائف.

الباب الثانى: فى ذكر هجرته إلى المدينة الشريفة، والغار وما حوى، ولحاق سراقة بن مالك، وشعر أبى جهل، وخيمتى أم معبد، وذكر أم عفى، ولقى عبد الله بن مسعود، وكيفية دخول المدينة ومواجهة الأنصار، ونزوله بـ « قباء » وبناء مسجدها، وغير ذلك.

الباب الثالث: فى ذكر أعمامه وعماته، وأبناء أعمامه وأبنائهم، وأبناء عماته وأبنائهن.

الباب الرابع: فى ذكر زوجاته المدخول بهن، وأخبارهن ومناقبهن ووفاتهن، ومن مات فى حياته منهن، ومن توفى عنهن، ومن عقد بهن ولم يدخل، ومن خطبهن ولم يعقد، وسراريه.

الباب الخامس: فى أولاده - عليه الصلاة والسلام - وأولادهم، وتراجم كل واحد منهم.

الباب السادس: فى ذكر مواليه وخدامه وإمائه، وكتابه وأمرائه، ومؤذنيه وخطبائه، وحُدَاته وشعرائه، وخيله وسلاحه، وغنمه ولقاحه، وثيابه وأثاثه، وما يتبع ذلك.

الباب السابع: فى الحوادث من أولى سِنِى الهجرة، المشتمل على غزواته وبعوثه وسراياه ومعجزاته، وما خُصَّ به من حميد مزاياه، وسائر حالاته وتقلباته إلى حين وفاته.

المقصد الثالث
فى ذكر الخلفاء الأربعة، وذكر خلافة الحسن بن على
رضى الله تعالى عنهم أجمعين

وفيه: ذكر ما وقع فى سقيفة بنى ساعدة، وتخلف على وبنى هاشم وبعض الصحابة عن المبايعة، ومحاجة فاطمة أبا بكر فى فَدَك والعوالى، ووفاة سعد بن عبادة سيد الخزرج، وإرسال أبى بكر الصديق أبا عبيدة بن الجراح إلى علىّ برسالة،

وجواب على عنها، وتفسير غريبهما، وذكر الأحاديث الدالة على خلافة الصديق، واختلاف الناس فى تأويلاتها، وذكر الاعتراضات عليها وأجوبتها، وذكر أقاويل أكابر أهل البيت فى الثناء على الشيخين والترحم عليهما، وذكر إبطال ما ينسبه أهل الأهواء إليهما، وذكر نسب الصديق وإسلامه وصفته، وقتاله أهل الردة، وقتل خالد بن الوليد مالكَ بن نويرة، واستعداء أخيه متمم بن نويرة على خالد عند الصديق، وقصة الصديق مع دغفل النسَّابة، وما ورد من الآيات والأحاديث فى شأنه خاصة، وذكر أولاده، ووفاته.

ومثل ذلك لكل من الخلفاء الأربعة بعده، وقصة عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - مع عمرو بن معدى كرب، وذكر الشورى وما آل إليه أمرها، ووقعة القادسية، وذكر الأمور المنقومة على عثمان وجوابه عنها، وذكر وقعة الجمل، ووقعة صفِّين، وذكر التقاء الحكمين بـ « دومة الجندل »، وذكر مكر معاوية لعمرو بن العاص، ومناظرة ابن عباس للخوارج حين أرسله علىّ إليهم، ووقعة النهروان وقتل ذى الثدية المخرج، ومراسلات معاوية رضى الله عنه إلى على - كرم الله وجهه - وجواب على عنها، ومراسلات معاوية إلى قيس بن سعد بن عبادة، وإلى محمد بن أبى بكر الصديق، وجوابهما إليه، وذكر بعض أقضية على - كرم الله وجهه - وشعره، ومَراثٍ قيلت فيه.

المقصد الرابع
وفيه سبعة أبواب:

الباب الأول: فى ذكر الدولة الأموية، وفيه: ذكر قصة هند بنت عتبة بن ربيعة والدة معاوية - رضى الله عنه -، وصلح الحسن بن على مع معاوية، ونزوله عن الخلافة له بشروط اشترطها الحسن، وَفَّى لَهُ معاوية بكلها أو جلها، واستلحاق معاوية زياد بن سمية إلى نسب أبى سفيان وما قيل فى ذلك، وقتل زيادٍ حُجْرَ بن عدى وأصحابه من شيعة على - كرم الله وجهه - وموت زياد ابن أبيه، وذكر سياسات معاوية التى ملك بها الجنود، وأحكمت له بها العقود، وذكر عهد معاوية لابنه يزيد بالخلافة، وذكر توجه الحسين إلى الكوفة، واستشهاده بكربلاء على التفصيل، وذكر مناقب الحسين بن على - رضى الله عنهما - وذكر ولاية الوليد بن

عتبة على الحجاز، وعزل عمرو بن سعيد الأشدق، وذكر خلع أهل المدينة يزيد، ووقعة الحرة، وحصار مكة، وذكر بيعة عبد الله بن الزبير، وذكر انتقاض أمر عبيد الله بن زياد، ورجوعه إلى الشام، وذكر مسير الخوارج إلى ابن الزبير، ثم مفارقتهم إياه، وذكر خروج سليمان بن صرَد الخزاعى فى التَّوَّابين من الشيعة للأخذ بثأر الحسين بن على - رضى الله تعالى عنهما -، وذكر المختار بالكوفة وأخباره، وذكر مسير ابن زياد إلى المختار، وخلاف أهل الكوفة عليه وغلبه إياهم، وذكر شأن المختار مع ابن الزبير، وذكر مقتل ابن زياد، وذكر مسير مصعب بن الزبير وقتله إياه، وذكر مسير عبد الملك بن مروان إلى العراق، وقتله مصعبَ بن الزبير، وذكر زُفَرَ بْنِ الحارث الكلابى بـ « قرقيسياء »، وتوجيه عبد الملك بن مروان الحَجَّاجَ إلى مكة لقتل عبد الله بن الزبير، وذكر ولاية المهلب حربَ الأزارقة، وولاية الحجاج على العراق.

وذكر وثوب أهل البصرة على الحجاج، وذكر شبيب بن يزيد الحرورى، وذكر فرسان الجاهلية والإسلام، وذكر وفاة الحجاج، وقصة وَضَّاح اليمنى مع أم البنين زوجة الوليد بن عبد الملك وهى عربية ذكرها ابن حمدون فى « التذكرة » وغيره، وبناء الوليد بن عبد الملك جامع دمشق المعروف بجامع بنى أمية، وغيره ذلك.

الباب الثانى: فى ذكر الدولة العباسية، وفيه ذكر قيام أبى مسلم الخراسانى بالدعوة العباسية، وذكر الشيعة ومبادئ دُوَلهم، وذكر كيفية بناء المنصور مدينة بغداد، وذكر توسيع المسجد الحرام وتربيعه للمهدى العباسى، وإيقاع الرشيد بالبرامكة، واختلاف الناس فى أسباب نكبتهم، وذكر فتح المعتصم عمورية، وظهور القرامطة أيام المكتفى على بن المعتضد العباسى، وظهور النار من الحرَّة الشرقية بالمدينة النبوية، وشرح واقعة التتار، ومبدأ أمرهم، وقتلهم الخليفة الستعصم العباسى آخر خلفاء بغداد، وغير ذلك.

الباب الثالث: فى ذكر الدولة العُبَيدية - المسمين بالفاطميين -، وفيه ذكر الخلاف فى صحة نسبهم، وذكر افتتاح المعز الفاطمى مصر على يد عبده جوهر الرومى الصقلى، وذكر عجارف[١] الحاكم بأمر الله منهم وكيفية مقتله، وفتنة

(١) العجارف: الأحداث والصروف. الوسيط (عجرف).

البساسيرى ببغداد، وخطبته بها للمستنصر الفاطمى، وإخراج الخليفة القائم بأمر الله العباسى إلى « حديثة عانة »[(١)]، وإعادة الملك طغرلبك إياه، وذكر الغلاء الشديد والقحط العظيم بديار مصر سنة اثنتين وستين وأربعمائة فى خلافة المستنصر الفاطمى المذكور، وغير ذلك.

الباب الرابع: فى ذكر الدولة الأيوبية الكردية، وفيه ذكر قتل شاور، وذكر العاضد آخر خلفاء العُبَيديين، وذكر نور الدين الشهيد محمود بن زنكى، وذكر القاضى الفاضل، واستكتاب صلاح الدين يوسف بن أيوب إياه، وصلب صلاح الدين عمارة اليمنى وقاضى مصر وجماعة. لتمالئهم على قصد سوء، وذكر الوزير جمال الدين الأصفهانى الجواد المشهور ومدفنه بالمدينة الشريفة، وغير ذلك.

الباب الخامس: فى الدولة التركمانية، ووقائع آثارهم.

الباب السادس: فى ذكر دوله الشراكسة، وبدائع أخبارهم.

الباب السابع: فى ذكر الدولة العثمانية أعدل سلاطين الإسلام، أدام الله دولتهم إلى يوم القيامة. وفيه ركوبُ السلطان سليم خان بن بايزيد على إسماعيل شاه بعد مراسلته، وذكر مراسلة السلطان سليمان خان لإمام اليمن الإمام المطهر، وجواب الإمام إليه، وذكر عمارة سور المدينة الشريفة، وعمارة كريمية وهى أم السلاطين عينَ عرفة، وذكر ابتداء تعمير المسجد الحرام فى دولة السلطان سليم بن سليمان خان، وإتمامه فى دولة السلطان مراد بن سليم خان، وغير ذلك.

وأما الخاتمة
فتشتمل على ثلاثة أبواب

الباب الأول منها: فى ذكر نسب الطالبيين، وذكر المشاهير من أعقابهم، وفيه ذكر الأئمة الاثنى عشر، وتراجم كلٍّ، وذكر بنى حسين أمراء المدينة الشريفة، وواقعة الخوارزمىّ مع البديع الهمذانى فى مجلس أبى جعفر محمد بن موسى بن أحمد، من عقب موسى الكاظم، وذكر دخول دِعبل الخزاعى على الإمام موسى الكاظم، وإنشاده قصيدته فى آل البيت التائية المشهورة، وغير ذلك.

---

(١) هي اسم موضع أقام بها القائم الخليفة العباسي. ينظر: مراصد الاطلاع (١/ ٣٨٧)

الباب الثانى منها: فى ذكر من دعا منهم إلى المبايعة، وذكر مكان دعائه وزمانه، وما جرى على كل قائم منهم من خليفة زمانه، وتعدادهم، من على بن أبى طالب - كرم الله وجهه - إلى يومنا هذا، وفيه ذكر اختلاف الشيعة، وانقسام مذاهبهم إلى الزيدية وإلى الرافضة، وانقسام الرافضة إلى اثنى عشرية ويخصّون باسم الإمامية، وإلى الإسماعيلية، ومنهم فى الاعتقاد القرامطة مع اختلاف بينهم فى سياق الإمامة، وذكر الفرقة الكَيْسانية، وذكر مراسلات المنصور العباسى مع محمد النفس الزكية ابن عبد الله المحض ومقتله، وذكر الأئمة القائمين بالدعوة فى قطر اليمن، وغير ذلك.

الباب الثالث منها: فى ذكر من ولى مَكَّةَ المشرَّفة من آل أبى طالب إلى يومنا هذا، وفيه ذكر آل أبى الطيب وأخبارهم، والهواشم وآثارهم، والقتادات وهم ولاتها إلى هذا الأوان، فلا أخلى الله منهم الزمان والمكان، وذكر بعض تراجم لبعض الأعيان الكرام من أهل الحرمين ومصر والشام، ممن تُوُفِّىَ بعد الألف إلى عام إتمامه. جعله الله مشمولاً بالخير والرضا فى بدئه وختامه.

ولما تم تأصيله وترتيبه، وكمل تربيع مقاصده وتبويبه، سميته تسمية مطابقة لوصفه فى الواقع، ضابطة لسنة تاريخه، بعد أن حَوَّمَ شاهينُ الفكْرِ حتى ظننته عليها غير واقع، فكانت التسمية تاريخًا له، وذلك من أبدع البدائع وأفضل النيل، لم يتفق ذلك فى الزمن الخالى، إلا لأحمد الفضل باكثير فى كتابه « وسيلة المآل، فى عد مناقب الآل »، فرفع به علم تبجحه منتصبًا وجر الذيل، وهى:

سِمْطُ النُّجُومِ العَوَالِى فى أَنْبَاءِ الأوائِلِ والتَّوَالِى

وقدمته لحضرة سيد الشرفا، وسليل الخلفا، ومفرد آل بيت المصطفى، وجعلته خدمة له برسمه، وتوَّجته بلقبه الشريف واسمه، جامع أشتات المكارم والفضائل، حاوى محاسن الأواخر والأوائل، سلالة البيت النبوىّ، وزلال الغيث الروىّ، مظهر الملك ومعهده، ومجدد بنائه ومشيده، ومحيى ما أمحل من أرض العفاة بوابل جوده، وحائز إرث النبوة والخلافة عن آبائه وجدوده، من أعطاه الله من صنوف الإعزاز والتمكين ما لم يعطه لغيره، ودانت له الأيام حتى ذَلَّتِ الأسود فى حالتى

إقامته وسيره، وخدمته الأيام والليالى، وباهت به من درج فى الحقب الخوالى، ووجدت الناس فى أيامه السعيدة أمانًا من الحوادث، وانطلقت الألسن بالدعاء لجنابه فهو إن شاء الله للأعمار وارث، فأيامه مواسم، وطرق هباته نواسم، وثغور الأيام فرحًا به فى رحابه بواسم، وسعادات تدبيره لأدواء اللأواء حواسم، وربوع الجور والعدوان فى أيامه طوامس، ويقال طواسم.

أمِنَّا به الدهْرَ المخوفَ فكلَّما ... له قامَ داعٍ بالسلامةِ أمنَّا

الذى قد رضع ثدى المجد، من زمن حصوله فى المهد، وافترش حجر الفضل، فى حال كونه شابًا وكَهْل. ما ذهب إلى شىء إلا شيَّده وأيد برهانه، ولا انتحَى أمرًا إلا وساعده مساعدُ القضاء وأعانه. له محبة وهيبة فى النفوس، وجلالة وعظمة أُسها فى القلوب مغروس. صاحب اليد الرحيبة فى المكان الضيق، والخصال الشريفة التى تأخذ بمجامع القلوب، فكل ذى لُبٍّ إليها شيق. حَادُّ الذهنِ سريعُ الإدراك، قد خصه الله بالمناقب التى سارت بها الركبان والأفلاك، والأخلاق التى ليس للنسيم لطفُهَا، ولا للرياض نضرتها وظَرْفُهَا. فهو نعمة من الله على المسلمين يجبُ الاعتراف بقدرها، ومنة على العباد لا يقام بشُكْرها، وحجة لا يسع الحاسد لها الجحود، وآية تشهد بأنه زمام هذا الوجود، أصبح به الدهر يميس إعجابًا، والأزمنة بعد هرمها عادت بزمنه شبابًا، منبع السيادة ونبعتها، وصيت المكارم وسمعتها، له خلق لو مزج بماء البحر نفى ملوحته، وأصفى كدورته، ينابيع الجود تتفجَّر من أنامله، وربيع السماح يضحك عن فواضله، قد نشر الله فى الآفاق ذكره، وأطال فى كل المواطن نعته وخبره، ومهَّدَ بحسن سياسته وتدبيره الأقطار الحجازية وعمَّر، وبسط العدل فى رعيته وعمهم ببره وغمر، ومكارمه لم تنلها الغمائم، ومحاسنه تسجع بأوصافها الحمائم، الإمام العالم العادل، والهمام الأعظم الكامل، الوافر فضله، البسيط ظله، الطويل مجده، المديد سعده، ذو القريحة الوقادة، والبصيرة النقادة، والبديهة المعجزة، والكلمات الفاضلة الموجزة، فهو كالشريعة المحمدية التى نسخت الشرائع، وظهر على كافور الأيام ومِسْك الليالى نورها الساطع، منشر رفات المجد وناشر آياته، وسابق غايات الفضل وتالى آياته، سلطان الحجاز المدعوّ

له على منابره الشريفة، المستغنى بشهرته عن الإطناب بالإيجاز فى مناقبه المنيفة، حامى حمى الحرمين الشريفين بسمهريه وحُسامه، النامى فى حفظ المحلين المنيفين أجره بشديد قيامه، أجلُّ ملوك هذا البيت، وأعظم من ركب صهوة أدهم وامتطى ظهر كميت، المنتخب من آل عبد مناف ولُؤَىّ- سيدنا ومولانا الشريف أحمد ابن مولانا المرحوم الشريف زيد بن محسن بن الحسين بن الحسن بن أبى نُمَىّ. لا زال النصر لملكه خادمًا، والعز لأعقابه وزيرًا ملازمًا، وعَلَم رفعته على رءوس الأشهاد قائمًا، وقلم السعد بمنشور مهابته على صحائف الدهر راقمًا، وثغر الزمان بمزيد سروره باسمًا، وكل من القضاء والقدر بدوام سموه حاكمًا، ولسائر أموره على السداد بارمًا، ولا برح النصرُ والسعد مقرونَيْنِ بعذبات عَلَمِه، والآجال والأرزاق فى ماضى سيفه وقلمه، والتوفيقُ مستصحبُ آرائه، ومصائب الحوادث أصدقاء أعدائه، آمين آمين آمين؛ ليكون تحفة لمجلسه العالى، وعندليب أنس على غُصْن انبساطه فى رياض المحضر يصدح بالسجع الحالى. أسأل الله أن يرزقه منه مسحة قبول، بجاه جده الرسول[١]، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

وقد آن أوان الشروع فى مقصود الكتاب، فنقول بعون الملك الوهاب.

المقصد الأول

فى ذكر نسبه عليه الصلاة والسلام وتعداد آبائه الكرام

من لدن نبى الله آدم أبى البشر -صلى الله على نبينا وعليه وعلى سائر النبيين وسلم- إلى أبيه سيدنا عبد الله بن عبد المطلب،

ولمع من أخبارهم ومقادير أعمارهم

ففى ذلك نقول، متوكِّلين على الله مستمدين من الرسول:

قال صاحب (تاريخ الخميس): لما أراد الله تعالى خلق آدم - عليه الصلاة والسلام - قال للملائكة: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة: ٣٠]، فأجابوا بقولهم: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ [البقرة: ٣٠]،؟ فرد عليهم: ﴿ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا

(١) هذا التعبير ليس مما يتفق مع عقيدة جمهور المسلمين من السلف الصالح، ولعل من يفعله يتمسك بما يروى إذا سألتم الله فاسألوه بجاهى، وهو حديث مكذوب، وليس في شيء مما يعتمد عليه من كتب الحديث. وانظر في « التوسل والوسيلة » لابن تيمية تفصيل ذلك.

تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٣٠] وفى الآية الأخرى: ﴿ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ﴾ الآية [ص: ٧١، ٧٢] فسجد الملائكة، فكان من إبليس ما اقتضى لعنه وبُعده، ونصب العداوة لآدم - عليه السلام - وذريته.

قال فى (بحر العلوم): لما قالت الملائكة: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ . . .﴾ الآية [البقرة: ٣٠] أراد الله أن يظهر فضل آدم - عليه الصلاة والسلام - عليهم، فعلمه ما لا يعلمون. قال ابن عباس وقتادة والضحاك: علمه اسم كل شىء، حتى القصعة والقصيعة والمغرفة [1].

ثم لما طرد إبليس، وأهبط من الجنة بسبب الامتناع من السجود لآدم، أصرَّ على عداوته، ووقف على باب الجنة، وتعبَّدَ هنالك ثلاثمائة وستين عامًا؛ انتظارًا لأن يخرج منها أحدٌ يأتيه بخبر آدم - عليه السلام - وحواء، فبينما هو كذلك إذ خرج طائر موشًّى مزين يتبختر فى مشيته، فلما رآه إبليس قال: أيها الطائر ما اسمُكَ ؟ قال: اسمى طاوس، قال: من أين أقبلت ؟ قال: من حديقة آدم وبستانه، قال: ما الخبر عن آدم ؟ قال: هو بخير فى أحسن حال وأطيبه، ونحن من خدامه، فقال: وهل تستطيع أن تدخلنى ؟ فقال: لا أقدر، ولكن أدلك على من يقدر، فقال: افعل، فذهب الطاوس إلى الحية، وكانت يومئذ كأعظم البخاتىّ، وكانت أحسن حيوانات الجنة: لها أربع قوائم كالإبل، من زبرجد أخضر، وفيها كل لون، رأسها من الياقوت الأحمر، ولسانها من الكافور، وأسنانها من الدر، وذوائبها كذوائب الجوارى الأبكار، فقال لها الطاوس: إنَّ خَلقًا بباب الجنة يقولُ: عندى نصيحة لآدم، فمن يذهب بى أعلمه ؟ فخرجَتِ الحية إليه، وقالت: إنى أدخلك الجنة، ولكن أخاف من لحوق البلاء، فقال لها إبليس: أنت فى ذمتى وجوارى، لا يلحقك مكروه.

---

(١) أخرجه الطبري في « تفسيره » (١/ ٤٨٤) رقم (٦٥٣) وفي « تاريخه » (١/ ٩٧) وابن أبي حاتم (١/ ١١٥) من طريق عاصم بن كليب عن سعيد بن معبد عن ابن عباس وذكره السيوطي في « الدر المنثور » (١/ ١٠٠) وزاد نسبته إلى ابن المنذر. وأخرجه الطبري في « تفسيره » (١/ ٤٨٤) رقم (٦٥٦)، وفي تاريخه (١/ ٩٨) عن قتادة وذكره السيوطي في « الدر المنثور » (١/ ١٠١) وعزاه إلى عبد بن حميد. وينظر: « البداية والنهاية » (١/ ٧٧- ٧٨).

قال النبي ﷺ: « اقتلوا الحية ولو فى الصلاة[١]»، وإنما أمر بذلك إبطالاً لذمَّةِ إبليسَ.

فقالت الحية: أنا أخاف أن يصيبنى مثل ما أصابك، فقال لها إبليس: أنا أعطيك جوهرةً أينما تضعينها تكون لك جنة، فأعطاها إبليس، فجعلتها فى فيها، فتخرجها فى الليل، وتضعها حيث شاءت تستضىء بها[٢].

وفى (العرائس)[٣]: قالت الحية: كيف أدخلك الجنة ورضوان لا يمكننى من ذلك؟ فقال إبليس: أنا أتحول ريحًا، فاجعلينى بين أنيابك، فتدخلينى وهو لا يعلم، فأطبقت عليه فاها بعد أن تحول ريحًا، فقال لها إبليس: اذهبى بى إلى الشجرة التى نُهِيَ آدم عنها، فلما انتهت الحية إلى تلك الشجرة، تغنى إبليس بمزمار، فلما سمع آدم وحواء صوت المزمار جاءا إليه يسمعان فإذا هو ريح خارج من فم الحية، فأعجبهما الصوت، فتقدما إليه شيئًا فشيئًا حتى وقفا عليه، وهما يظنان أن الحية هى التى تتغنَّى، فقال لهما إبليس. . .[٤]، فقالا: نهينا عن قرب هذه الشجرة، فقال: ﴿ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ [الأعراف: ٢٠]، إلى: ﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ﴾ [الأعراف: ٢٢]، قَسَمًا كاذبًا فهو - لعنه الله - أول من حلف كاذبًا، وأول من غَشَّ، وأول من حَسَدَ، لعنه الله وأعاذنا منه.

فسبقت حواء إلى الشجرة، فتناولت منها خمس حبات، فأكلَتْ واحدة وخبأت واحدة وأعطت آدم ثلاث حبات، فأعطى حواء منها واحدة وأمسك حبتين.

قيل: لما خبأت حواء إحدى الحبات من زوجها آدم - عليه السلام - صار خبء النساء عن أزواجهنَّ بعض الأشياء عادةً لهنَّ، ولإمساك آدم لنفسه حبتين من الثلاث وإعطاء حواء واحدة منها، شُرِعَ للذكر مثل حظ الأنثيين. فأوحى الله إلى آدم:

---

(١) أخرجه الحاكم في « المستدرك » (٤/ ٢٧٠)، والبيهقي في « السنن الكبرى » (٧/ ٢٧٢)، وذكره الزيلعي في نصب الراية (٢/ ١٠٠)، (٣/ ٦٢)، بلفظ « اقتلوا الحية والعقرب وإن كنتم في الصلاة ».

(٢) أخرجه الطبري في « تفسيره » (١/ ٥٣٠) رقم (٧٥٠) وفي « تاريخه » (١/ ١٠٧) من طريق ابن إسحاق عن ليث بن أبي سليم عن طاوس عن ابن عباس بنحوه. وذكره السيوطي في « الدر المنثور » (١/ ١٠٨) وعزاه إلى ابن جرير وعبد الرزاق.

(٣) ينظر: العرائس (٢٦، ٢٧).

(٤) كذا بالأصل بياض. وفي عرائس المجالس: « قال: يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى؛ قال: نعم، قال: كل من هذه الشجرة شجرة الحنطة ». ينظر: العرائس (٢٧).

لأدمينَّ حواء في الشهر مرتَيْنِ، فاعترت آدمَ عليها الرحمةُ، فأوحى إليه: قد علمنا ما لحقك على حواء من الرأفة والشفقة، وقد رفعت عنها وبناتها هَمَّ النفقة.

ولما أكلا من الشجرة، تطاير عنهما لباسهما، وبدَتْ لهما سوآتهما، فطلبا ورقًا من أشجار الجنة، فكلَّما طلبا شجرة، تعالت عنهما، إلا شجرة التين، فتدلَّتْ لهما، فأخذا منها وسترا سوأتيهما.

ثم أهبطوا من الجنة، آدم وحواء وإبليس، أهبط آدم بسرنديب، جبل عال يراه البحريون من مسافة أيام، وأثر قدمى آدم - عليه الصلاة والسلام - عليه مغموستان في البحر.

وحواء بجدة، والحية بأصفهان، وإبليس بأبلة. ويرى على هذا الجبل كل ليلة كهيئة البرق من غير سحاب، ولابد له في كل يوم من مطر يغسل أثر قدميه - عليه السلام -. ويقال: إن الياقوت الأحمر يؤخذ من ذلك الجبل تحدره السيول والأمطار إلى الحضيض.

وروى أن آدم - عليه السلام - لما أهبط، كانت رجلاه على الأرض، ورأسه في السماء يسمع دعاء الملائكة وتسبيحهم، فكان يأنس بذلك، فهابته الملائكة، واشتكتْ نفسه إلى الله تعالى، فنقص قامته إلى ستين ذراعًا.

ولما يبس ما كان على آدم من ورق الجنة وتناثر كان هو السبب لوجود الأفاويه ببلاد الهند؛ كالجوز والقرنفل والفلفل والهيل وأشباهها، فكان ذلك المتناثر بذرًا لها؛ فسبحان الحكيم جَلَّ وعلا.

فلما عريا بعد تناثره ولبسه شَكَا آدم - عليه السلام - ذَلك إلى جبريل، فجاءه بأمر الله بشاةٍ عظيمة من الجنة لها صوفٌ عظيم كثير، وقال لآدم: قل لحواء تغزل من هذا الصوف وتنسج، فمنه لباسك ولباسها، فغزلَتْ حواء ذلك الصوف، ونسجت منه لنفسها درعًا وخمارًا، ولآدم قميصًا وإزارًا.

ثم دعا آدم ربه، فقال: يا ربِّ، كنت جارَكَ في دارك آكُلُ رغدًا منها حيث شئت، فأهبطتَنى إلى الأرض، وكلَّفتنى مشاقَّ الدنيا. فأجابه الله: يا آدم، بمعصيتك كان ذلك، إن لى حرمًا بحيال عرشى، فانطلق؛ فإن لى فيه بيتًا، ثم طف به كما رأيتَ ملائكتى يحفّونَ بعرشى، فهنالك أستجيب لك ولأولادك من كان منهم في طاعتى،

فقال: يارب، وكيف لى بذلك المكان فأهتدى إليه ؟ فأمر الله جبريل فتوجَّه به إلى الحج، فصارت المسافات تطوى له، وكانت خطوة آدم مسيرة ثلاثة أيام، ولم يزل يسير حتى وصل إلى جُدَّة؛ لأنه شم رائحة ورق الجنة الذى كان على حواء، قال: يا حواء، أتراني أنظر إليك نظرة ؟ فنادته الجبال: تسير فى أثرها تدركها، فسار إلى قرن، فأمره جبريل فأحرم، فأنزل الله البيتَ المعمورَ فأوقفه فى الهواء بحيث يراه فيعرفه حيالَ المهاة البيضاء التى هى موضع البيت ومنها دحيتِ الأرضُ، وهى أم القرى، فأوحى الله إليه أن طف بالبيت وصَلِّ عنده واسأل حاجتك، وأخبره بمكان حواء، فلما رأته، جاءت إليه تبكى، فعرَّفَهَا جبريل بالتوبة والمغفرة، فسجدَتْ لله تعالى شكرًا، وتطهرَتْ وتوضأتْ فأهلَّتْ بعمرة ولبَّت. وأتى بها جبريل إلى جميع مواقفها، وجمع بينهما جبريلُ فى جمع، فسمى بذلك لاجتماعهما.

وقيل: بل تعارفا بعرفات، وبهما سمى ذلك المحلُّ « عرفات »، فبادرت إليه وتعانقا.

ولما أكمل حجه ووقف بـ « منى »، قال له جبريل: تمنَّ على ربك ما شئت؛ فلذلك سمى ذلك المحل « مِنَى »، كما هو أحد الوجوه فى تسميته بذلك. وقرَّب قربانًا، وحلق له جبريل رأسه بياقوتة من الجنة، ثم أمره الله أن يتخذ لحواء منزلاً خارج الحرم إلى أوان الحج، ففعل.

وفى كتاب (المبتدا): أن آدم لم يكن يسأ حواء منذ هَبَطَا إلى الأرض، ولاخطر بقلبه ولا قلبها ذِكْرُهُ حياءً من الله تعالى، فأوحى الله إليه يا آدم، ما هذا الجزع وأنت صفوتى وأبو المصطفى رسولى، فأبشِرْ بنعمتى وكرامتى أنت وزوجُكَ حواء، فَأَلِمَّ بها، فبشَّر حواء، فسجدت شكرًا لله، ثم باشرها، فحملَتْ منه، فولدت ذكرًا وأنثى فى بطن، فسمت الولد قابيل، والأنثى إقليميا، ثم واقعها فحملَتْ بهابيل وأخته ليوذا، ثم حملت بطنًا ثالثًا فولدت توأمين، وأولادها يكثرون ويمشون بين يديها، والنور لا ينتقلُ من وجه آدم. ولم تزل حواء تلد فى كل تسعة أشهر ولدين ذكرًا وأنثى، فقيل: إن جميع من ولدت مائتا ولد فى مائة بطن فى كل بطن ولدان، إلا شيئًا وعنق، فإنها ولدتهما مفردين كل واحد فى بطن.

وقيل: ولدت له خمسمائة بطن بألف ذكرٍ وأنثى.

وسيأتى حديث شيث قريبًا، وحديث عنق عند ذكر ابنها عوج بن عنق، عند ذكر قتل موسى إياه، عليه الصلاة والسلام.

وفى « روضة الأحباب »: كانت الأرضُ تطوى لآدم فى كل خطوة اثنان وخمسون فرسخًا حتى بلغ مكة فى زمن قليل، فكل موضع أصابه قدمه، صار عمرانًا، ومابين قدميه مفازًا وقفرًا.

وفى قوله تعالى: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ ﴾ [البقرة: ٣٧] قال ابن بابويه: أخبرنا أبو جعفر محمد، والحسن بن أحمد بن الوليد، عن محمد بن الحسن الصفار، عن أبى نصر، عن أبان بن عثمان، عن محمد بن مسلم، عن أبى جعفر قال: الكلماتُ التى تلقاها آدم من ربه فتاب عليه هى قوله: اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت، سبحانك وبحمدك، عملتُ سوءًا وظلمت نفسى، فاغفر لى إنك أنت التواب الرحيم، لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، عملت سوءًا وظلمت نفسى، فاغفر لى إنك أنت خير الغافرين.

ولما رجع آدم - عليه السلام - من الحج، وجد ولده قابيل قتل ولده هابيل، ولم يدر ما يصنع به، فحمله على عاتقه فى جراب وقد أروح، وأنتن، شدخ رأسه بين حجرين.

قيل: عند عقبة حراء.

وقيل: بعقبة أيلة.

وقيل: بالقدس.

وبسبب قتله: شاكت الأشجار، وتغيرت الأطعمة، وحمضت الفواكه، وتمرر الماء.

فحزن آدم على هابيل حزنًا عظيمًا.

وسبب قتله أن مِنْ شرع آدم - عليه السلام - تزويج أنثى البطن الأول بذكر البطن الثانى، لأن حمل حواء توأم، فولد قابيل وأخته إقليميا، وولد هابيل وأخته ليوذا، وكانت أخت قابيل بديعة جِدًا، فكره قابيل أن يعطيه إياها، وأرادها لنفسه، فقرَّبا إلى الله قربانًا، فمن قبل قربانه أخذ إقليميا، فقال هابيل: أنا راض بكلٍّ ما حكمت، قربت أو لا، تُقبل منى أو لا، فقال قابيل: تقرب، فخرجا إلى جبل من جبال مكة، وقيل:

إلى منى، ثم قرب كل منهما قربانه، فكان قربان هابيل من أبكار غنمه وأسمنها بسماحة وطيب نفس، وقربان قابيل قمحًا لم يبلغ وأكثره زيوان.

وعن أبي جعفر محمد الباقر بن علي: قرب قابيل من زرعه ما لم ينق، وقام هابيل يدعو الله وقابيل يغني ويلهو، وإذا رأى هابيل يصلِّي يضحك، وقال: أظن صلاتك لتخدع آدم ليزوجك أختي، لئن تقبلَ قربانك لأقتلنك، فقال هابيل: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٧] الآيات، فنزلت نار بيضاء من السماء يسمع لها زجل بالتسبيح، فرفعت قربان هابيل، فوثب إليه قابيل ليبطش به قائلاً: والله لأقتلنك، فتركه هابيل وانصرفَ ليُعْلِمَ أباه، فلحقه قابيل، قيل: بعقبة حراء دون ثبير، وقيل: في موضع آخر، كما تقدم.

قال الإمام العلامة الحسن بن علي الحائني في كتابه المسمى: « حقيبة الأسرار، وجهينة الأخبار، في معرفة الأخيار والأشرار » فذكر فيه زوائد أحببت إيرادها تكملة للفائدة، وإن كان بعضها قد تقدم، قال: روينا عن مشايخنا بسندنا المتقدم - وكان سرد سندًا لا نطول بذكره - عن الشيخ منتجب الدين أبي الحسن علي بن عبيد الله ابن الحسن المدعو حسكًا، عن الحسين بن الحسن بن الحسين بن علي بن الحسين ابن بابويه، يرفعه إلى جابر، عن أبي جعفر - عليه السلام - قال: سئل أمير المؤمنين، هل كان في الأرض خَلْقٌ من خلق الله يعبدون الله قبل آدم وذريته ؟ قال نعم، كان في السموات والأرض خلقٌ من خلق الله يقدِّسون الله ويسبحونه ويعظمونه بالليل والنهار لايفتُرُون؛ فإن الله لما خلق الأرضين، خلقها قبل السموات، ثم خلق الملائكة روحانيين لهم أجنحة يطيرون بها حيث شاء الله، فأسكنهم الله فيما بين أطباق السموات يقدسونه، واصطفى منهم إسرافيل وميكائيل وجبرائيل، ثم خلق في الأرض الجن روحانيين لهم أجنحة، فخلقهم دون الملائكة، وخفضهم أن يبلغوا مبلغ الملائكة في الطيران وغيره، وأسكنهم فيما بين أطباق الأرضين السبع وفوقهن يقدسون الله لا يفترون، ثم خلق خلقًا دونهم لهم أبدان وأرواح بغير أجنحة يأكلون ويشربون، نسناس أشباه خلقهم وليسوا بإنس، وأسكنهم أوساطَ الأرضِ على ظهرها مع الجنّ يقدسون الله لا يفترون، وكان الجن تطير في السماء، فتلقى الملائكة فيسلمون عليهم ويزورونهم ويستريحون إليهم ويتعلّمون منهم الخير، ثم إن طائفة

من الجن والنسناس الذين خلقهم الله وأسكنهم أوساط الأرض، تمرَّدوا وبغوا فى الأرض بغير الحق، وعلا بعضهم على بعض من العتوّ وسفكِ الدماء فيما بينهم، وجحدوا الربوبية، وأقامت الطائفة المطيعون على طاعة الله، وباينوا الطائفتين من الجن والنسناس الذين عتوا عن أمر الله، فحطَّ الله أجنحة الطائفة العاتية من الجن، فكانوا لا يقدرون على الطيران إلى السماء لما ارتكبوا من الذنوب.

وكانت الطائفة المطيعة من الجن تطير إلى السماء الليل والنهار على ما كانت عليه، وكان إبليس -واسمه الحارث-، يُظهر للملائكة أنه من الطائفة المطيعة.

ثم خلق الله خلقًا على خلاف خلق الملائكة، وعلى خلاف خلق الجن، وعلى خلاف خلق النسناس، يدبُّونَ كما تدب الهوامُّ فى الأرض، يأكلون ويشربون كما تأكل الأنعام من مراعى الأرض، كلهم ذكران ليس فيهم أنثى، لم يجعل الله فيهم شهوة النساء ولا حُبَّ الأولاد ولا الحرص ولا طول الأمل ولا لذة عيش، لا يلبسهم الليل ولا يغشاهم النهار، ليسوا ببهائم ولا هوامّ، لباسهم ورق الشجر وشربهم من العيون الغزار والأودية الكبار.

ثم أراد الله أن يفرِّقهم فرقتين، فجعل فرقة خلف مطلع الشمس من وراء البحر، فكوَّن لهم مدينة أنشأها لهم تسمى « جابرسا »، طولها اثنا عشر ألف فرسخ فى اثنى عشر ألف فرسخ، وكَوَّن عليها سورًا من حديد يقطع الأرض إلى السماء، ثم أسكنهم فيها، وأسكن الفرقة الأخرى خلف مغرب الشمس من وراء البحر، وكوَّن لهم مدينة أنشأها لهم تسمى « جابلقا » طولها اثنا عشر ألف فرسخ فى اثنى عشر ألف فرسخ، وكوَّنَ لهم سورًا من حديد يقطع إلى السماء، وأسكن الفرقة الأخرى فيها.

لا يعلم أهل « جابرسا » بموضع أهل « جابلقا »، ولا يعلم أهل « جابلقا » بموضع أهل « جابرسا »، ولا يعلم بهم أهل أوساطِ الأرضِ من الجن والنسناس.

فكانت الشمس تطلع على أهل أوساط الأرض من الجن والنسناس، فينتفعون بحرِّها ويستضيئون بنورها، ثم تغربُ فى عين حمئة؛ فلا يعلم بها أهل « جابلقا » إذا غربَتْ، ولايعلم بها أهل « جابرسا » إذا طلعت؛ لأنها تطلع من دون « جابرسا »، وتغرب من دون « جابلقا »، فقيل: يا أمير المؤمنين، كيف يبصرون

ويحيون، وكيف يأكلون ويشربون، وليس تطلع عليهم ؟! فقال - رضى الله عنه -: إنهم يستضيئون بنور الله، فهم فى أشد ضوء من لون الشمس، ولا يرون الله خلق شمسًا ولا قمرًا ولا نجومًا ولا كواكبَ، لا يعرفون شيئًا غيره، قيل: يا أمير المؤمنين، فأين إبليس عنهم ؟ قال: لايعرفون إبليس، ولايسمعون بذكره، ولايعرفون إلا الله وحده لاشريك له، لم يكتسب أحد منهم قطُّ خطيئة، ولم يقترف إثمًا، لايسقمون ولايهرمون ولا يموتون إلى يوم القيامة، يعبدون الله لايفترون، الليل والنهار عندهم سواء.

قال: وإن الله أحب أن يخلق خلقًا، وذلك بعد ما مضى للجن والنسناس سبعة آلاف سنة، فلما كان من خلق الله أن يخلق آدم للذى أراد من التدبير والتقدير فيما هو مكونه فى السموات والأرضين، كشط عن أطباق السموات، ثم قال للملائكة: انظروا إلى أهل الأرض من خلقى من الجن والنسناس، هل ترضون أعمالهم وطاعتهم ؟! فاطلعوا ورأوا مايعملون من المعاصى وسفك الدماء والفساد فى الأرض بغير الحق، فأعظموا ذلك، وغضبوا لله، وأسفوا على أهل الأرض، ولم يملكوا غضبهم، وقالوا: يا ربنا، أنت العزيز الجبار الظاهر العظيم الشأن، وهؤلاء كلهم خلقك الضعيفُ الذليلُ فى أرضك، كلهم يتقلبون فى قبضتك، ويعيشون برزقك، ويتمتعون بعافيتك، وهم يعصونك بمثل هذه الذنوب العظام، لا تغضب عليهم، ولا تنتقم منهم لنفسك بما تسمعُ منهم وتري، وقد عظم ذلك علينا وأكبرناه فيك ، فلما سمع الله تعالى الملائكة، قال: إنى جاعل فى الأرض خليفة؛ فيكون حجتى على خلقى فى أرضي، فقالت الملائكة: سبحانك ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ؟﴾ [البقرة: ٣٠] فقال الله تعالى: يا ملائكتى ﴿ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٣٠]، إنى أخلق خلقًا بيدى أجعل من ذرياته خلفائى على خلقى فى أرضى، ينهونهم عن معصيتى، وينذرونهم، ويهدونهم إلى طاعتى، ويسلكون بهم طريق سبيلى، أجعلهم حجة لى عذرًا أو نذرًا، وألقى الشياطين من أرضى، وأطهرها منهم، فأسكنهم فى الهواء وأقطار الأرض والفيافى؛ فلا يراهم خلق ولا يرون شخصهم؛ فلا يجالسونهم ولايخالطونهم، ولايواكلونهم ولا يشاربونهم، وأنفر مردة الجن العصاة من نسل بريتى وخلقى وخيرتى،

ولايجاورون خلقى، وأجعل بين خلقى وبين الجان حجابًا فلا يرى خلقى شخصَ الجنّ، ولا يجالسونهم ولا يشاربونهم، ولا يتهجمون بهجمهم، ومن عصانى من نسل خلقى الذى عظمته واصطفيته لنفسى، أسكنهم مساكن العصاة، وأوردهم موردهم ولا أبالى، فقالت الملائكة: ﴿ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة: ٣٢]، فقال للملائكة: ﴿ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴾ [الحجر: ٢٨، ٢٩]، وكان ذلك من الله تقدمة للملائكة قبل أن يخلقه؛ احتجاجًا منه عليهم، وما كان الله ليغير ما بقوم إلا بعد الحجة عذرًا أو نذرًا. فأمر تبارك وتعالى ملكًا من الملائكة، فاغترف غرفة بيمينه، فصلصلها فى كفه فجمدت، فقال الله عز وجل: منك أخلق.

وفى رواية: « اغترف تبارك وتعالى غرفةً من الماء العذب الفرات، فصلصلها فجمدتْ، فقال لها: منك أخلق النبيين والمرسلين وعبادى الصالحين والأئمة المهديين، والدعاة إلى الجنة وأتباعهم إلى يوم القيامة، لا أسأل عما أفعل وهم يسألون - يعنى: خلقه -، ثم اغترف غرفة من الماء المالح الأجاج ذات الشمال، فصلصلها فجمدتْ، فقال لها: منك أخلق الجبارين والفراعنة وأئمة الكفر الدعاة إلى النار وأتباعهم إلى يوم القيامة، وشرط فى هؤلاء النداء، ولم يشترط فى أصحاب اليمين النداء، ثم خلط الطينتين، ثمَ أكفأهما ثلاثة قدام عرشه.

وروى أنه تعالى فرق الطينتين، ثم رفع لهما نارًا، فقال: ادخلوها بإذنى، فدخلها أصحاب اليمين، وكان أول من دخلها محمد وآل محمد - عليه السلام - ثم اتبعهم أولو العزم وأوصياؤهم وأتباعهم، فكانتْ عليهم بردًا وسلامًا، وأَبَى أصحابُ الشمال أن يدخلوها، فقال للجميع: كونوا طينًا بإذنى، ثم خلق آدم عليه السلام، قال: فمن كان من هؤلاء لا يكون من هؤلاء، ومن كان من هؤلاء لا يكون من هؤلاء.

ثم قال العالم - عليه السلام - للذى حدَّثه من مواليه: فما ترى من ترف أصحابك فمما أصابهم من لطخ أهل الشمال، وما رأيت من حُسن سيما ووقار فى مخالفيك فمما أصابهم من لطخ أصحاب اليمين.

وروى أن جبريل - عليه السلام - أتى الله فأمره بأربع طبقات: بيضاء، وحمراء،

وغبراء، وسوداء من حَزَن الأرض وسهلها، ثم أتاه بأربع مياه: عذب، ومالح، ومر، ونتن، وأمره بأن يفرغ الماء فى الطين، فلم يفضل من الطين شىء يحتاج إلى الماء، ولا من الماء شىء يحتاج إلى الطين، وجعل الماء العذب فى حلقه ليجد لذة المطعم والمشرب، والمالح فى عينيه ولولا ذلك لذابتا، والمر فى أذنيه ولولا ذلك لدخلها الهوامُّ، والمنتن فى أنفه ليجدَ به الإنسان الروائح الطيبة.

وروى فى القبضة التى من الطين الذى خلق منه آدم: أن الله أمر جبريل أن ينزل إلى الأرض؛ يبشرها أن الله يخلق منها خلقًا يكون صفوة له يسبحونه إلى يوم القيامة، ويجعل مستقره ومستقر ولده بين أطباقها يخلقهم منها ويعيدهم إليها. ففعل ذلك جبريل، فاهتزَّتْ وابتهجت وقامت تنتظر أمر الله، فلما أراد الله أن يتم وعده، أرسل جبريل ليقبض منها كما أمره، فلما مد يده إليها، ارتعدَتْ واستعاذَتْ منه، وقالت: أسألك بعزة الله إلا ما أمسكْتَ عنى، فتوقف إجلالاً للقسم، ورجع، وقال: يارب، تعوذتْ بك. فأرسل الله إسرافيل، فقالت له مثل ذلك، فرجع. فأرسل الله ميكائيل، فقالت له مثل ذلك، فرجع. فأرسل إليها عزرائيل فهبط ومعه حربة فركزها فى وَسَطِ الأرضِ ركزةً ارتجَّتْ واهتزَّتْ لها الأرضون وماجت وارتعدت، فمد يده، فقالت له كما قالت لمن قبله، فقال لها: اسكتى؛ فإكراهك أحب إلى من معصية ربى، وأعوذ بالله أن أرجع إليه حتى آخذ منك قبضة. ثم قبض قبضة من كل لون منها.

فعَنْ وهب أنه نودى بعد أربعين يومًا: يا ملك الموت، ما الذى صنعت ؟ فأخبره بما قالت الأرض، فقال: وعزتى وجلالى لأسلطنك على قَبْضِ أرواحهم، فأَعْلِمْها أنك رَادٌّ عليها جميع ما أخذته منها ومعيده إليها. فنزل عزرائيل إلى الأرض فقال: أيتها الأرض، لا تحزنى؛ فإنى رادٌّ عليك الذى أخذته منك بإذن الله تعالى، وجاعله فى طباقك كما أمرنى ربى وسمانى مَلَكَ الموت. فلما جاء ملك الموت بالقبضة أمره الله أن يضعها على باب الجنة، فوضعها على باب جنة الفردوس، وأمر اللهُ خازنَ الجنة أن يعجنها من ماء التسنيم، فعجنها وقد مضَى من يوم الجمعة سبع ساعات؛ لأن قبضته أخذت فى آخر الساعة السادسة وأول السابعة، ثم صارت طينًا على باب الجنة حتى صارت لازبًا، ثم حمأ مسنونًا فى الساعة الثامنة فلما صوره الله تعالى

فأحسن صورته، جعله أجوف جسدًا فخارًا، إلى أن بقى من يوم الجمعة ساعة واحدة من النهار الذى مقداره ألف سنة مما تعدون، تلك الساعة مقدارها من سنى الدنيا ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر.

آدم وحواء

اشتقاقُ آدَمَ، قيل: من الأدمة، وهى نوع سمرة، وقيل: من أديم الأرض، فإذا سمى به ثم نكِّر صُرِفَ، وقيل: اسم الأرض الرابعة أديمٌ، وخلق آدم منها؛ فلذلك قيل: خلق من أديم الأرض، وقيل: أديم الأرض أدنى الأرض الرابعة إلى اعتدال؛ لأنه خلق وسط من الملائكة، وأن الله تعالى خلقه من أنواع متضادة وطبائع مختلفة؛ لأنه من تراب الأرض، فجاء فيه من كل شىء فيها، فعيناه من ملحها، وأذناه من مرها، وشفته ولسانه وفوه من عذبها، ويداه ورجلاه من حزنها، وصدره من سهلها، وبطنه وإبطاه من حمئها، ومفاصله من حرها ولينها، وعروقه وأعضاؤه وعظامه من صخرها.

وكان سكان الأرض قبله الجن، وقيل: الجِنّ والبِنّ، وقيل: الطمّ والرمّ. ولما أهلكهم الله وجعل آدم بدلهم، فقالت الملائكة ماقالت، فقال تعالى: ﴿ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٣٠]، وعن الجواد: أن الله خلق آدم، وكان جسده طينًا، وبقى أربعين سنة ملقى تمر به الملائكة، وتقول: لِأَمْرٍ ما خلقْتَ. وكان إبليس يدخل من فيه، ويخرج من دبره؛ فلذلك صار مافى جوف ابن آدم منتنًا خبيثًا.

وفى المروج (١) : تركه حتى أنتن وتغير أربعين سنة، وذلك قوله: ﴿ من حمإٍ مسنون ﴾ [الحجر: ٢٨] يقول: منتن.

وصوره ثم تركه بلا روحٍ من صلصال كالفخار حتى أتى عليه مائة وعشرون سنة، وقيل: أربعون سنة، وهى قوله تعالى: ﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ﴾ [الإنسان: ١]؛ فكانت الملائكة تمر به فزعين منه، وكان أشدهم فزعًا إبليس، كان يمر به فيضربه(٢) برجله فيظهر له صوت صلصلة كظهوره من الفخار، ويدخل من فيه ويخرج من دبره، ويقول: لأمرٍ مّا خلقْتَ، ثم نفخ فيه الروح يوم

(١) ينظر: مروج الذهب (١/ ٣٠).
(٢) في ط: كان يضرب. والمثبت من مروج الذهب.

الجمعة السادس من نيسان، قال كعب: إن روح آدم ليست كأرواح الملائكة ولاغيرها من الأرواح، فضلها الله تعالى بقوله: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [الحجر: ٢٩] فأمر روحه أن يغمسها فى جميع الأنوار، ثم أمرها أن تدخل فى جسد آدم من أنفه، فقالت: مكان ضيق، فنوديت: ادخلى كرهًا واخرجى كرهًا. فدخلت فى منخريه، ثم ارتفعت فى خياشيمه، ووصلت إلى دماغه، وماجت فى رأسه؛ فأبصر وسمع وشم وتنفس، وصار بين عينيه كالغُرَّة البيضاء يتلألأ، فهو نورُ رسول الله ﷺ.

وقيل: دخلت من اليافوخ إلى عينيه، ففتحها، وجعل ينظرُ لنفسه حَيًّا، فرأَى فى سرادق العرش مكتوب: لا إله إلا الله، محمد رسول الله. ولم يقدرْ على الكلام، فصارت الروحُ إلى أذنيه فسمع تسبيح الملائكة. ثم جعلت تمر فى جسده ودماغه والملائكة تنظر إليه، وإن الروح انفتلت نازلة إلى عنقه، ثم إلى صدره وجوفه، وتفرقت فى جميع أعضائه وعصبه وعروقه، فأمرَّ آدم يده على رأسه، ووجهه فعطس.

وقيل: إن الروح لما وصلت إلى الخياشيم عطس.

فلما لحقت اللسان، قال بلغة عربية فصيحة، وهى لغة أهل الجنة: الحمد لله، فناداه الرب: يرحمك الله ربُّك يا أبا محمد؛ لهذا خلقتك، وهذا لك ولولدك، ولكل من قال قولك.

ولم تزلِ الروحُ تجرى في جسده إلى أن وصلت ركبتيه، فاستعجل ليقومَ فسقَطَ، فقال تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴾ [الإسراء: ١١] ولما بلغت الساقين والقدمين، استوى جالسًا وقام على قدميه في يوم الجمعة عند زوال الشمس، فنظرت الملائكة إليه كأنه الفضة البيضاء، فسقطت كلها سجودًا كما أمرهم الله تعالى، إلا إبليس فأبى أن يكون مع الساجدين، فقال الله تعالى: ما منعك أن تسجد لآدم، فعصيتني وكنت لي طائعًا تنكر على الجن العصيان، وأنت تجتهد في عبادتي، وسألتني أرفعك إلى سماواتي، وأبحتك الولوج من سماء إلى سماء، وأنزلتك مع الملائكة إلى الأرض حتى أخلوا الجن الذين أنت منهم، فما منعك ألا تكون مع الساجدين كما أمرتك ؟! وخفتَ أن تكونَ دون آدم فى الفضل؛ فرجعتَ إلى أصلك الأول، وعصيت كقومك، ونقضت عهدى وميثاقى؛ فبعدًا لك وسحقًا، فقال إبليس: ﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ

خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ [الأعراف: ١٢] والنار خير من الطين، وأنا كنت أطؤه وهو تراب، وأنا عبدتك قبله، فقال له: ﴿ فَٱخْرُجْ مِنْهَا ﴾ [الحجر: ٣٤] يعنى: من السموات، أو من الرحمة، أو الجنة ﴿ فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾ [الحجر: ٣٤].

ولما قام آدم، أمره الله تعالى أن يمضى إلى الملائكة، فيقول لهم: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ففعل. وكان من ردِّهم عليه: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته. فقال الله تعالى: هذه تحيتك وتحية ولدك إلى يوم القيامة، وهى تحية أهل الجنة، ثم قال الله تعالى: أنتم قلتم قبل أن أنفخ فيه الروح: لَمْ نر خلقًا أكرم على الله ولا أعلم منا، فأنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين، بعد أن كشف عن ملكوته؛ لتنظر الملائكة وآدم إلى ما في السموات والأرض ومابينهما، وأذن لأمم البحر، فطفت فوق الماء، فقالوا: لاعلم لنا إلا ماعلمتنا، فأبان الله فضل آدم على جميع خلقه بما خصه من العلم بمَعَانى الأسماء.

قيل: علمه جميع خلقه.

وقيل: علمه جميع الأسماء والصناعات وعمارة الأرض والأطعمة والأدوية واستخراج المعادن وغرس الأشجار ومنافعها، وجميع مايتعلق بعمارة الدين والدنيا.

وقيل: علمه أسماء الأشياء كلها، ماخلق وما لم يخلق بجميع اللغات التى يتكلَّم بها ولده بعده؛ فأخذ عنه ولده اللغات، فلما تفرقوا، تكلم كل قوم بلسان ألفوه، وتطاول الزمان على ما خالف ذلك، فنسوه.

وسئل الصادق - رضى الله عنه - عن قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة: ٣١] ، فقال: الأرضين والجبال والشعاب والأودية، ثم نظر إلى بساط تحته فقال: وهذا البساط مما علمه.

وقيل: علمه ألقاب الأشياء وخواصّها، وهو أن الفرس يصلح لماذا ؟ والحمار لماذا ؟ إلى غير ذلك وهذا أبلغ؛ لأن معانى الأشياء لاتتغير بتغير الأزمان بخلاف الألقاب.

ثم اختلف فى تعليمه: فقيل: أودع قلبه معرفتها، وفتق لسانه بها، فكان يتكلم بها، وكان ذلك معجزًا له - عليه السلام - ناقضًا للعادة، فقال: يا آدم، أنبئهم بأسمائهم؛ فعن ابن عباس: أنه تكلم بسبعين لسانًا أحسنها العربية. ثم أمر الملائكة

لتحمله على أكتافها؛ ليكون عاليًا عليها، ويقولون: قدوس قدوس، واصطفت الملائكة عشرين ألف صف، وأعطى آدم من الصوتِ مابلغهم، ووضع له منبر الكرامة، وعليه ثياب من السندس الأخضر، وعليه ضفيرتان مرصعتان بالجوهر محشوتان مسكًا وعنبرًا من فرقه إلى قدميه، على رأسه تاج من الذهب له أربعة أركان فى كل ركن دُرَّة يغلب ضوءها الشمس، وفى أصابعه خواتم الكرامة، فانتصب قائمًا وسلم، فأجابته الملائكة، فصار ذلك سنة. ثم خطب فقال: الحمد لله الذى لم يزلْ، فصار سنة أيضًا. ثم ذكر علم السموات والأرضين ومابينهما بعد أن أثنى على الله بما هو أهله، فجعل يخبرهم باسم كل شىء من البر والبحر حتى الذرَّة والبعوضة، فتعجبت الملائكة من علمه وسبحت وقدست، فقال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[1] [البقرة: ٣٣] ثم نزل من منبره وقد زاده الله من نوره أضعافًا؛ وفى ذلك دلالة على ارتفاع قدر آدم عليهم.

وعن أبى عبد الله أنه قال: سجدت الملائكة لآدم، ووضعوا جباههم على الأرض وعنه أنه لما أمر إبليس بالسجود، فقال: يارب، وعزتك، إن أعفيتنى من السجود لآدم لأعبدنك عبادة ماعبدك أحدٌ قطُّ مثلها؛ فقال له الله تعالى: إنى أحب أن أطاع من حيث أريد. وفى المروج [2]: قال: يارب، أنا خير منه، خلقتنى من نار وخلقته من طين، والنار أشرف من الطين، وأنا الذى كنتُ متخلفًا فى الأرض، وأنا الملبس بالريش، والموشح بالنور، والمتوج بالكرامة، وأنا الذى عبدتك فى سمائك وأرضك. فقال له: ﴿ ٱخْرُجْ مِنْهَا . . . ﴾ الآية [الأعراف: ١٨] فسأله المهلة إلى يوم يبعثون.

قال بعضهم: فعند ذلك، تغيرت خلقته، ونظرت الملائكة إلى سوء منظره، فوثبت عليه بحرابها يلعنونه ويقولون: رجيم رجيم، ملعون ملعون. فأول من طعنه جبريل ثم الملائكة من جميع النواحى، وهو هارب بين أيديهم حتى ألقوه فى البحر المسجور.

واضطربت الملائكة، وارتجت السموات من جراءات إبليس فى مخالفة أمر الله تعالى، وقد كان السجود لله والطاعة لآدم، ولكن ظن لعنه الله أن التفاضل بالأصول؛ فأخطأ فى القياس. على أن الطين الذى خلق منه آدم أنور من النار،

---

(١) في ط: تحريف ألم أقل لكم إني أعلم ما لا تعلمون.
(٢) ينظر: مروج الذهب (١/ ٣١).

والنار من الشجر، والشجر من الطين، فغضب عليه، فسأله الإنظار، فأجابه.

وسئل العالم عن السبب فى إجابته فقال: إنه لما أهبط إلى الأرض يحكم فيها، فغير وبدل، غضب عليه، فسجد له سجدة أربعة آلاف سنة، فجعل الله تلك السجدة سببًا للإجابة فى النظرة إلى يوم الوقت المعلوم.

ثم إن الله مسح ظهر آدم، فأخرج ذريته كهيئة الذَّرِّ بيضاء وسوداء، ذكورًا وإناثًا، تامًّا وناقصا، صحيحًا وسقيمًا على ماهو خالقها. ثم قال له: هذه ذريتك، فقال: يا رب، ألا [(١)] سويت بينهم وعافيت الجميع ؟ فقال: إنى أحب أن أشكر، وأنا أعلم بخلقى، فنظر آدم إلى طائفة من ذريته تتلألأ وجوههم، فقال: يارب، مَنْ هؤلاء الذين علت أنوارهم على غيرهم ؟ فقال: هؤلاء الأنبياء من ذريتك، فقال: يارب، كم عددهم ؟ قال: مائة ألف نبىٍّ، وأربعة وعشرون ألف نبى، منهم ثلاثمائة وخمسة عشر مرسلون، أنت أولهم، ومحمد ابنك حبيبى آخرهم، وهو صاحب النور العظيم الذى فى أسارير وجهك، وهو خاتم الأنبياء، وأشرفهم شريعة، وأفضلهم أمة، ولولاه ما خلقتك ولا خلقت جنة ولا نارًا ولا أرضًا ولا سماءً، فأمن آدم، فقال الله تعالى: قد زدتك فضلاً وكرامة وكنيتك به، أنت أبو محمد، فاعرف منزلته منى، وإذا أردت حاجة، فاسألنى بحقه أقضها لك وهو أول من تنشقُّ عنه الأرض، وأول شافع، وأول مشفع، وأول قارع لأبواب الجنة، وأول من يدخلها، وقد شرفتك به، وهو النور الذى فى أسارير وجهك ينتقل منك إلى زوجك حواء، فإذا رأيته انتقل، فاعلم أنى نقلته من ظهرك، وسأنقله من بطن إلى ظهر، ومن ظهر إلى بطن، إلى أن يأتى زمانه، ولا أنقله إلا فى الأصلاب الزكية والأرحام الطاهرة، فإذا رأيته انتقل إلى ولدك، فخذ عليه العهد والميثاق ألا يضعه إلا فى أطهر النسوان، وأنا المتولى لذلك إلى حين مولده. ثم أمر الله ذلك الذرَّ أن يقوموا عن يمين آدم وشماله، فقال الله: اختَرْ إحدى الطائفتين. فاختار اليمينَ، وهم الأنبياء والمرسلون لما رأى من أنوارهم، وأخبره بأسمائهم نبيًّا نبيًّا ورسولاً رسولاً، وعرَّفه أعمالهم وشرائعهم وما يلقون من المهمِّ، ثم قال الله تعالى: هؤلاء ذريتك آخذُ ميثاقهم أن يعبدونى ولايشركوا بى شيئًا، وعلىَّ أرزاقهم، قال: نعم، فقال الله تعالى: من

(١) في ط: لم. ولعل الأنسب ما أثبتناه.

ربكم ؟ فقالوا إلهامًا: أنت ربنا وخالقنا، فقال الله: يا آدم اشهد، واشهدوا يا ملائكتى، وأشهد أنا وكفى بى شهيدًا؛ لئلا يقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين. ثم ردهم إلى ظهر آدم، وقد أخذ عليهم العهد والميثاق، ثم قال الله تعالى: يا آدم، قد كشف عن بصرك، فأريتك جميع خلقى، ولم يخف عليك شىء، فهل رأيت لك فيهم شبيهًا ؟ فقال: لا يارب، لقد فضلتنى فلك الحمد كثيرًا، فاجعل لى زوجًا منى أسكنُ إليها وآنس بها ونسبحك ونقدسك جميعًا، فقال تعالى: إنى فاعل ذلك، وتنسلان خلقًا خلقته فى ظهرك، ولى فى ذلك تدبير، وأنا على كل شىء قدير.

فعن ابن عباس - رضى الله عنهما -: لما خرج إبليس من الجنة، بقى آدم وحده فاستوحش، فخلقتْ له حواء ليسكنَ إليها؛ وذلك أن الله تعالى ألقى عليه النوم، وذلك فى أول نعسة نعس، فنام، فأخذ منه ضلعًا وخلق منه حواء، وهو أول ضلعه القصير الأيسر مما يلى قلبه، ثم أراه فى منامه بقدرته كيف خلقها وهى أول رؤيا رآها، ثم انتبه فإذا عند رأسه امرأةٌ جالسة أشبه به خلقًا ووجهًا إلا أنه أعظم فى الطول والجسم والحسن والجمال، فقال الله تعالى: هذه مثلك ومن جنسك، وهى زوجك. فأنس بها وسكن إليها.

وفى حديث ابن عباس: فسألها مَنْ أنتِ ؟ قالت: امرأة، قال: لم خلقت ؟ قالت: لتسكنَ إلىَّ، فقالت الملائكة: ما اسمها يا آدم ؟ قال: حواء، قالوا: ولم سميت حواء ؟ قال: لأنها خلقت من حَىٍّ، فعندها قال الله تعالى: ﴿ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [البقرة: ٣٥] (١) وسميت امرأة؛ لأنها خلقت من المرء، يعنى: آدم، وسمى النساء نساء؛ لأنه لم يكن لآدم أنيس غير حواء.

وفى كتاب النبوة: خلق الله آدم من الطين، وخلق حواء من آدم، فهمة الرجال الماء والطين وهمة النساء الرجال.

وفى حديث بدء النسل، عن جعفر بن محمد، قيل: فإن أناسًا يقولون: إن حواء خلقت من ضلعه الأيسر ؟ فقال: تعالى الله عن ذلك ألم يكن لله من القدرة مايخلق لآدم زوجةً من غير خلقه، ويبقى لمتكلم أهل الشيعة سبيلاً إلى قوله: إن آدم كان

(١) أخرجه الطبري في « تفسيره » (١/ ٥١٣) رقم (٧١٠) من طريق السدي عن أبي مالك، وعن أبي صالح عن ابن عباس، وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ وينظر « البداية والنهاية » (١/ ٨١)، والمنتظم (١/ ٢٠٣-٢٠٤).

ينكح بعضه بعضًا، ثم ذكر نزول نزله ومنزله.

وقيل: : إن معنى كونها أخذت من ضلع آدم: أن المراد الضلع الحسابى؛ فإنها ضلع من أضلاع آدم؛ كما هو مقرر فى علم الأوفاق، قال بعض المغاربة فى كلامه على وفق زُحَل: هذا؛ فإن جملة أعداد حروف الوفق خمسة وأربعون هى مجموع قولك آدم؛ لأن كل ضلع منه، وكل

د	ط	ب
ج	هـ	ز
ح	ا	و

شطر من أشطاره جملته خمسة عشر، وهو جملة اسم حواء، قال: وله مناسبة ظاهرة من حيث إن حواء خلقت من ضلع آدم، وقد ظهر مع هذا اسم حواء فى الوفق فى السطر الثالث، وهو « واح » بتقديم وتأخير.

وسمعت عن بعض علماء عصرنا: أن المراد بكونها أخذت من ضلعه هذا المعنى.

قلت: أذكر فى هذا القول بيتًا فى معناه وهو:

مَنْ كَانَ آدَمُ جُملاً فِى سِنِّهِ هَجَرَتْهُ حَوَّاءُ السِّنِينَ مِنَ الدُّمَا

وهو مما يطارح به الأدباء، ففيه نوع رقة، يدريها من طبعه فيه دقة. انتهى

وعن وهب: أن الله خلق حواء من فضل طينة آدم على صورته.

وفى رواية: أنها كانت فى طول آدم وحسنه، ولها سبعمائة ضفيرة، مرصعة بالياقوت، محشوة بالمسك، وكانت متوجة على صورة آدم، غير أنها أرقُّ منه جلدًا، وأخفَى صوتًا، وأدعجُ عينًا، وأملحُ ثغرًا وألطف بنانًا، وألين كفًّا.

وروى أنه لما ابتدع له خلق حواء، وقد ألقى عليه السبات، جعلها فى موضع النقرة التى بين وركيه؛ لكى تكون المرأة تبعًا للرجل، فأقبلت تتحرك، فانتبه لتحركها، فلما انتبه، نوديت أن تنحى عنه، فلما نظر إليها، نظر إلى خلق حسن يشبه صورته غير أنها أنثى، فكلمها وكلمته بلغته، فقال لها: من أنت ؟ فقالت: أنا خلق خلقنى الله تعالى كما ترى، فقال آدم عند ذلك: ياربِّ، ما هذا الخلق الحسن الذى قد آنسنى قربه والنظرُ إليه ؟ فقال الله تعالى: يا آدم، هذه أمتى حواء، فتحبُّ أن تكون معك فتؤنسك وتحدِّثك، وتكون تابعة لأمرك ؟ فقال: نعم يارب، لك علىَّ

بذلك الحمد والشكر مابقيتُ، قال: فاخطبها إلى؛ فإنها أنثى، وقد تصلح لك زوجةً للشهوة، وألقى الله تعالى عليه الشهوة، وقد علمه قبل ذلك المعرفة لكلِّ شىء، فقال: يارب، إنى أخطبها إليك، فما رضاك لذلك ؟ قال: مرضاتى أن تعلِّمها معالم دينى. قال: ذلك لك يارب إن شئت ذلك لى، فقال: قد شئت ذلك، وقد زوجتكها فضمَّها إليك، فقال لها آدم: إلىَّ فأقبلى، فقالت: بل أنتَ، فأمره الله تعالى أن يقوم إليها، فقام، ولولا ذلك، لكان النساء يقمن إلى الرجال.

وعن جعفر بن محمد: أنه فضل من طينة آدم فضلة، فخلق الله منها النخلة، فلذلك إذا قطع رأسها، لم تنبتْ وتحتاج إلى اللقاح، وهى أول شىء اهتزَّ على وجه الأرض.

وعن ابن عباس: بقى من طينة آدم شىء، فخلقه، فجاء منه الجراد.

وقيل: إن حواء خلقت من قبل أن يدخل آدم الجنة، ثم أدخلا معًا.

فعن كعب: أن الله خلق الميمون لآدم قبل خلقه بألف عام من الكافور والمسك والزعفران. ومزج بماء الحيوان، وله عرفان من المرجان، وناصيته من الياقوت، وحوافره من الزبرجد، بسرج من زبرجد، ولجام من ياقوت، وله أجنحة من ألوان الجوهر، فاستوى على ظهره. وخلق لحواء ناقة استقرت عليها، وسار إلى الجنة وحواء من ورائه، ولم يبق فيها طائر ولاشجرة إلا وتثنى على آدم، وإذا فى وسط الجنة سرير له سبعمائة قائمة، عليه فرش من السندس والإستبرق، وبين الفرش كثبان العنبر والمسك، فجلسا عليه، وكان آدم ينزل عن السرير، فيمشى وحواء خلفه تسحبُ ضفائرها، والملائكة تنثر عليهما من نثار الجنة حتى يرجعان.

قال الشيخ أبو عبد الله محمد بن سعيد: وألقى الله فى قلب آدم محبة حواء، والشغف بها، فجعل يرد بصره عنها، وكان لونها كلون اللؤلؤة البيضاء الصافية، رقيقة البشرة، رخيمة الكلام، لينة الأطراف، قد طهرت وقدست وكسيت نورًا وبهجةً وجمالاً ودلالاً وكمالا، وتوجت وقرّطت وسورت ودملجت وكللت غدائرها باللؤلؤ، وكان الله تعالى قد كساها وكسا آدم من قبلها عوضًا من الجلد لباسًا من الظفر الذى بقى فى أطراف الأصابع، أبقاه الله له زينة على أطراف أناملهم يتوارثونه عنه؛ فكان لباسهما حينئذ، وكان له نور ساطع؛ كاللؤلؤ الأبيض لا يتدنس ولا يبلى

وكان آدم أجمل من حواء: طوله ستون ذراعاً، ووجهه كالدر الممازج الياقوت الأحمر، بشعر أسود أجعد على بياضه، وله عينان كحلاوان، وأنف أقنى، وفم أسنانه كالدر المنظوم، وشفتان حمراوتان، وبطن كبطن القباطى، وعرقه يفوحُ كالمسك، ولا يتغيَّر منه ذلك على طول المدة إلى أن مات، وكان كلما ازداد إليها نظراً، ازداد لها محبة، فأوحى الله إليه: إني ما خلقتها منك إلا لك زوجًا وإلفاً، فأزوجكها بعهدي وميثاقي حتى أسكنكما جنتي ودار كرامتي، على أن تطيعاني ولا تخالفا أمري، فقال: يا رب، أنا فاعل ذلك، وممتثل أمرك وما تشرطه علي، فأمر الله جبريل أن يكون الخاطب، ورب العالمين الولي، والملائكة الشهود، فخطب جبريل، وزوَّج الله حواء بآدم، وقال له: هاتِ صداق أمتي، قال: وما هو ؟ قال: سبِّحني ألف تسبيحة على نَفَسٍ واحدٍ. فسبح خمسمائة وانقطع. فقال: هذا معجل الصداق، والخمسمائة مؤجلة؛ فلهذا جعل في المهر المعجَّل والمؤجَّل. فلما زوجه الله بها، أمر رضوان يزخرف الجنة لعرسه، وأن يوضع لآدم منبر من النور، فعلاه آدم وحواء إلى جانبه، وألبسهما من حلل الجنة وتوجهما، وأمر الخزنة أن تنثر عليهما اللؤلؤ والمسك، وأمر الملائكة بالتقاطِ نثار آدم تبركًا به، وأمر رضوان يخرج له فرسًا من خيول الجنة، فأخرج له فرسًا من الكافور له جناحان أخضران، منظومان بالدر والياقوت عليه سرج من الجنة ولجام من النور، فركبه، فلما استوى في ظهره جمح، وكان جمحه تسبيحًا وتقديسًا، فألهم الله آدم أن قال: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴾ [الزخرف: ١٣]، ثم أخرج لحواء ناقة من نوق الجنة من العنبر الأشهب، عليها هودج من اللؤلؤ، وقبة من الياقوت الأحمر، قد غشيت بالإستبرق، وخطامها وكورها من اللؤلؤ الرطب الأبيض، فلما استوت حواء في وسط القبة، أسبلت عليها الستور، وأمر الملائكة أن يزفوهما إلى الجنة، ويمشوا بين أيديهما ووراءهما وحولهما يهللون ويكبرون، فطافت الملائكة بفرس آدم وناقة حواء، وهما يخترقان صفوف الملائكة في طرق السموات، ولا يمرون بملأ إلا سلَّموا عليهما، ورحبوا بهما، وقالوا: هنيئًا لك يا آدم بما أعطاك وزوَّجك حواء، طوبى لك يا آدم وبعدًا لإبليس عدوِّكَ، حتى انتهيا إلى باب الجنة أمر الله تعالى للملائكة أن يوقفوهما حتى يأمره وينهاه ويحذره عدوَّهُ، فأوقفوه، فمما قال: هذه

جنتي أبحتك إياها، وجعلتها مسكنًا لك ولزوجك: ﴿ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ٣٥]، وأمر الله بإبليس، فوقف بين يدى آدم، وقال له: ﴿ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴾ الآية [طه: ١١٧، ١١٨] احفظ وصيتي، وكن باقيًا على عهدي وتركِ معصيتي، وقد أبحتك الجنة كلَّها إلا هذه الشجرة، فإياك أن تقربها فتكون ظالمًا لنفسك، ومتى أكلتها، خالفتَ أمري، وأخرجتك من جواري.

فقال آدم: قد سمعتُ ولا أعصِى لك أمرًا، ولا أقبل من عدوى صرفًا ولا نصرًا. فأي شجرة هي حتى أعرفَهَا وأتجنَّبها ؟ فأمر الله رضوان، فأوقفه عليها، وقال له ولحواء: احذرا أن يغويكما عدوكما، فإنه حريص على إخراجكما من الجنة، فإياكما أن تطيعاه، فإن أكلتما بدت سوءاتكما، وغضب عليكما ربكما، فعرف آدم الشجرة، وعرف موضعها.

واختلف في الشجرة، فقيل: شجرة البطم، وهو القمح، وكانت الحبة منها كالكلوة من البعير أحلى من العسل وألين من الزبد، وهي الفوم بالعبرانية، وكان لون حبها كلون الثلج.

وقيل: إنها التينة.

وقيل: الكرمة.

وقيل: شجرة الخلد التي كانت الملائكة تأكلُ منها.

وقيل: شجرة الكافور.

وعن ابن بابويه [1] بإسناده يرفعه إلى عبد السلام بن صالح الهروي [2] قال: قلت للرضا - عليه السلام - أخبرنا عن الشجرة التي أكل منها آدم وحواء - عليهما السلام - ما كانت، فقد اختلف الناس فيها ؟ فقال: يا أبا الصلت، إنما الشجرة

(١) هو: محمد بن على بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي رأس الإمامية صاحب التصانيف السائرة بين الرافضة قال الذهبي: يضرب بحفظه المثل. له مصنفات منها: « دعائم الإسلام »، « الخواتيم »، « الملاهي »، و « غريب حديث الأئمة » وغيرها. ينظر: « تاريخ بغداد » (٣/ ٨٩)، الفهرست (٢٧٧)، فهرست الطوسي (١٥٦-١٥٧)، روضات الجنات (٥٥٧-٥٦٠).

(٢) وهو: أبو الصلت، قال الحافظ في « التقريب » (٤٠٩٨): صدوق له مناكير وكان يتشيع وأفرط العقيلي فقال: كذاب.

بالجنة تحمل أنواعًا، فكانت شجرة الحنطة، وفيها عنب وليست كشجر الدنيا.

وترجَّلَ آدم عن الفرس وحواء عن الناقة، وأقبلا يأكلان من ثمار الجنة، ويشربان من أنهارها ما أحبا لبنا أو ماءً أو خمرًا، والأغصان تميل عليهما ليأخذا منها، فإذا أخذا أنبت الله موضع المأخوذ خيرًا منه، ويأكلان من الطير ما أرادا مشويًا ومطبوخاً، وكلما أكَلَا عضوًا، أنبت الله مكانه، فإذا اكتفيا، انتفض الطائر طيرًا كما كان بإذن الله تعالى، فيرفرف بجناحه عليهما، ويقول بصوت مطرب: الحمد لله الذي جعلني طعامًا لأوليائه.

ثم يأتيهما غلمان مخلدون، فيضعون بين أيديهما موائد الدر والياقوت عليها الأطعمة والفواكه، ويحفون مجلسهما بالطيب والرياحين والأشربة فيأكلون ويشربون، والغلمان على رءوسهما بأكواب الذهب وأباريق الفضة وقوارير الياقوت فيها أنواع الأشربة، والدواب والطير وغير ذلك يسلِّمون عليهما ويهنئونهما بالنعيم، ويقولون: فضل الله آدم على جميع خلقه.

وكان الله ألبس آدم خاتمًا من النور، وقال: هذا خاتم العزِّ خلقته لك؛ فلا تنْسَ فيه عهدي، وإن نسيته، خلعته عنك وألبسته من لا ينسى عهدي وأورثه خلافتي، فقال: يا ربِّ، من هذا الذي تورثه خلافتك ؟ فقال له: ولدك سليمان أجعله نبيًا ملكًا على سائر ولدك وعلى سائر الجنِّ، وكان في إصبع آدم له نور عظيم كالشمس، فلما نسى العهد، طار الخاتم من إصبعه حتى استجار بركن من أركان العرش، وقال: يا رب، هذا آدم رفضني، وأنت قد طهرتني، فقال له: استقرَّ فلك الأمان؛ فكان هنالك حتى وهبه الله لسليمان، عليه السلام.

ولم يزل آدم في الجنة وحواء، وإبليس يتجسَّسُ عن أخبارهما، ويسأل كل من خرج من الجنة عنهما، ولا يقدر أن يدخلها؛ لأن خدامها كانت تطرده وتُعلمه أن آدم وزوجته مقيمان في نعيم الجنة، فكان يتقدم إلى باب الجنة فيقف على قدميه مسبلاً جناحيه يسبِّح، ربه ويقدِّسه بصوت شجيٍّ، ودوابُّ الجنة وطيرها ووحشها تأنسُ بصوته، وتقف تسمع منه ويسألونه أن يسألهم حاجة.

وكان الطاوس رئيس طيور الجنة رأسه من درة بيضاء، وعيناه ياقوتتان صفراوان، وجناحاه من جوهر مختلف الألوان، تراصيعه وعنقه من لجين، قد كلل بالياقوت

الأحمر، ورجلاه من جوهر مختلف الألوان فى الصبغ والأنوار، ومنقاره من زبرجد أخضر، وكان إذا نشر ذنبه، وصفَّق بجناحيه، وغرَّد بصوته، يطرب كل من سمعه.

وكانت الحية سيدة دواب الجنة لها أربع قوائم سماوية البطن، خضراء الظهر، بيضاء العنق، حمراء الرأس، رقشاء الذوائب، لها بصيص ونور يتلألأ؛ فكانت هى والطاوس أكثر من اغترَّ بإبليس وافتتن بصوته وتسبيحه، وكان يقول لهما: عندى الاسم الأعظم، الذى لا يدعو به أحد إلا أجيب، وإنى خائفٌ عليكما أن تخرجا من داركما هذه، فلو تعلمتماه ودعوتما الله به لأجاب دعاءكما! فقالا: أيها الملك، علمنا إياه لندعو به أن يخلدنا الله فى الجنة، فقال: لا أعلمكما إلا أن تدخلانى الجنة من حيث لايعلم رضوان ولا الخزنة والولدان، فقالا: ومن أين نقدر على ذلك؟ فقال للحية: تدخلينى فى وبرك، ويسترنى الطاوس بجناحه؛ فتدخلانى ولايشعر بكما أحد، وأعلمكما الاسم الأعظم، ففعلا معه ذلك حتى دخلا به، فلما دخلها نكص على عقبيه، وخرج عنهما، فلم يرياه. وقصد إبليس آدم فأغواه، وقد ورد هذا من طريق النبط.

وقيل: إن إبليس كان يسأل دوابَّ الجنة وطيرها أن يدخلوه ليكلِّم آدم؛ فلا يجيبونه، وكانت حواء قد أنست بالحية وأحبتها، وكانت الحية تجىء إليها فى كل يوم تسلِّم عليها وتخرج إلى باب الجنة، فتقف هناك، وإن إبليس - لعنه الله - طلب من الطاوس الدخول، فقال له: لو أن الحية أخذتْكَ فى حنكها وبين وبرها، وأنا أسترك بجناحى، لبلغت مرادك، فهى ممن يأنس إليها آدم وحواء. فقال إبليس: إن فعلت لأشكرنك عمرى كله. فأتى الطاوس إلى الحية، وكلَّمها، فقالت: أخاف أن أطرد من الجنة كما طرد هو وأكُونَ فى سخطِ الله، فقال لها: كلِّميه ليعلم أنى كلمتك، فجاءت مع الطاوس إلى باب الجنة من حيث تنظر إلى إبليس وينظر إليها، فكلَّمها إبليس بتذلل ومسكنة، فرحمته لما رأتْ من بكائه، وقالت: أخاف أن أكون فى سخط الله كأنتَ!! فقال لها: أنتِ لستِ مثلى؛ لأنك لم تؤمرى بشىء فخالفتِ كما خالفتُ أنا أَمْرَه فى السجود.

وإذا أدخلتِنى فى وبر صدرك وَحَنَكِكِ، فأكلم آدم وحواء، وتردينى إلى مكانى، فأجابته.

وكان الطاوس يحض الحية على أن تفعل، فأخذته فى وبرها مختفيًا وأوقفته، وانطلقت إليهما وقالت لهما: الطير والوحش والدواب بعثونى إليكُمَا للتبرُّك بكما، فأقبل آدم وحواء نحو باب الجنَّة، فسبقتهما، ووقفت مع الطاوس وأخذتْ إبليس فى صدرها والطاوس إلى جنبها يخفى إبليس، وأقبل آدم ووقف على باب الجنة، وأقبل إبليس يكلِّم آدم من حنك الحية وهما يظنان أنها هى التى تكلمهما، فقال إبليس - لعنه الله -: أليس الله أباح لكما الجنة تأكلان من ثمارها ؟ قالا: بلى، إلا أنه نهانا عن شجرة واحدة، فقال: صدقتما، تلك شجرة الخلد والحياة، ومن أكل منها عرف الخير والشر وعاش أبدًا لم يمتْ وخلد فى الجنة، وما نهاكما إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين، فقالا وهما يظنان أنه الحية: أَحَقًّا ما تقولين أيتها الحية ؟ فقال إبليس: حقًّا أقول، وكرر القسم بالله إنه لهما لمن الناصحين فقال آدم: كيف نأكل ما نهانا الله عنه، وأوعدنا إن أكلنا البُعْدَ عن جواره، وقد أباح لنا ما فيه الكفاية؛ فأقبل على حواء، وقد اشتغل آدم عن كلامه بالسَّلَام على الطيور، وجعل إبليس يحلف لها ويقول: أقبلى منى وكلى وأطعمى آدم لتكونا مخلَّدَيْنِ. وهى تظن أنها الحية، فأقبلَتْ على آدم، وسألته أن يأكل، فقال: يا حواء، أنسيتِ عهد الله إليكِ وإلىَّ فى هذه الشجرة ؟ فرجعتْ عن قولها، وكانَتْ كلما ذكرتْ لآدمَ، زجرها فانصرفا، وحواء تودُّ لو أن آدم طاوعها، فتجره إلى الشجرة فيأبى. فقال إبليس للحية: هل لك أن تعاودينى كرةً أخرَى فأكلمهما ؟ ففعلت، فلما دخلت به الجنة وقفَتْ، فصفَّر صفيرًا أطرَبَ به أهلَ الجنة، ويسمع آدم وحواء، فامتلأ سرورًا. فلما علم أنه أطربهما، ناح نياحةً أحزن بها آدم وحواء، فقالا له - وقد نسيا؛ ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ ﴾ [طه: ١١٥] وقد خرج من صدر الحية: مالك بعد أن أطربت عدت إلى الحزن، والجنة لاحزن فيها ولانياحة ؟ فقال: صفرت وأطربت حين سمعت أنكما فى السرور، ثم ذكرت أنكما تخرجان إلى دار الغموم، فنحت حزنًا عليكما. فتنفس آدم - عليه السلام - الصعداء، فقال إبليس: الآن ظفرتُ به، وتركه ومضى، فاتبعته حواء مستوقفة له وقد طمع فيها بانفرادها عن آدم، فقالت: ياعبد الله، هل عندك حيلة فى الخلود فى الجنة ؟ فقال: نعم، فأصغت إليه فقال: إنك ستخرجين إلى دار المذلة والتعب، وعندى لك أمان من ذلك: الشجرة التى

نهيتما عنها، لو أكلتما منها لخلدتما أبدًا، وكانت سمعَتْ منه هذا الكلام وهو فى صدر الحية مرة أخرَى، فقالت: هذا هو الحق، وقد أعلمتنى به الحية، فوافق كلامها كلامك وتمت عليها وسوسته، وصح عندها قوله، وقالت له: قدم نصيحتك إلى آدم كما قدمتها إلى، فقال: أخاف ألا يقبل منى، فقالت: أنا أعينك عليه، فوسوس إليه، أى: ألقى فى قلبه النصيحة، فاستشار آدم حواء، فأشارت عليه بالأكل منها، ففر آدم، فكانت تلحقه وترده ليأكلَ منها، وجعل إبليس يأكل منها ويلتفت إليهما، فتقدم آدم إليه، وأقسم عليه أن يصدقه ماهذه الشجرة ؟ فقال إبليس: لولا ما أقسمت على، لما أعلمتك، هذه شجرة الخلد التى من أكل منها خلد فى الجنة، فذاقا منها بأن تناولا شيئًا قليلاً من ثمرها على خوف شديد.

وقيل: إن حواء جنت وأكلت وأطعمت آدم.

وقيل: قطعت ثلاثة فدميت مواضعها ودمعت، فقيل لها: يا حواء كما أدمعت الشجرة، فكذلك تدمعين على مصائبك ولا تصبرين على البكاء، وكما أدميتيها كذلك تدمين. فعوقبت بالحَيْضِ فى كل شهرٍ.

فقال إبليس للحية: أخرجينى فقد بلغتُ مرادى. فأخرجته كما أدخلته إليها، والطاوس معها وهو يلومها، وإبليس واقفٌ ينظر إليهما، ويسمع مشاجرتهما ويضحك فرحًا بما تَمَّ له على آدم وحواء، وكان الملعون علم أن من أكل منها بَدَتْ عورته ومَنْ بَدَتْ عورته، أخرج من الجنة، فكلما أكلا تقلَّص عنهما لباسهما، وظهر لكل واحد منهما عورة صاحبه، وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة حتى صار كالثوب.

وقيل: إن آدم استتر بورق التين، وحواء بورق الموز.

وفى كتاب الوصية استترا بورق الموز؛ فروى أن آدم تناول ورقتين، فضمَّ طرفيهما، واتزر بإحداهما وارتدى بالأخرى، فعورة الرجل مابين السرة والركبة. وخصفت حواء أوراقًا غطت بها جميع بدنها إلا وجهها ويديها؛ فصارت عورة المرأة جميع بدنها إلا الوجه والكفين.

وعن ابن عباس: ماذاق آدمُ من تلك السنابل سنبلةً واحدةً حتى طار التاج عن رأسه وعرى عن لباسه، وكذلك حواء نزعَتْ خواتمها وزينتها وانتفضَتْ ذوائبها من

الجوهر، وصاح آدم صيحة فلم يَبْقَ أحد فى الجنة إلا ناداه: يا عاصى يا عاصى، أهكذا كان العهد بينك وبين ربك ؟! وانفضت عنه الأشجار ونادته: يا عاصى، وآدم ينادي: الأمان الأمان. وحواء تروم ستر نفسها بِشَعْرِهَا فلا تقدر، والنداء عليها: يا عاصية. فقعدَتْ ووضعَتْ رأسها على ركبتيها حتى لا يراها أحد. فأتى جبريلُ فأخذ بناصيته، فقال: أيها الملك ارفق بى، فقال: لا أرفق بعاص، فاضطربَ آدمُ وارتعَدَ حتى ذهب كلامه، ونوديَتْ حواء: من فعل بك هذا ؟ فقالت: غَرَّنى عدوى، وما كنت أظنُّ أحدًا يحلف بك كاذبًا، فقيل لها: اخرجى مغرورة، فقد جعلتك ناقصةَ العَقْلِ والدينِ والميراثِ، وجعلتك أسيرةً أيامَ حياتك، وحرمتُكِ الجمعةَ والجماعةَ والسلامَ والتحيةَ، وقضيتُ عليكِ الطمثَ وجَهْدَ الحَبَلِ والولادة والطَّلْق، ولتكونى أكثر حزنًا وجزعًا وأقلَّ صبرًا. فلما خرجَتْ إلى باب الجنة فإذا هى بآدم، فصاحت صيحة عظيمة: يالها حسرة، وقالت: دعنى ياجبريلُ أنظر إلى الجنة. وجعلتْ تلتفتُ بحسرة واكتئاب. ثم أتى بالطاوس مقطعًا ريشه من طعن الملائكة، وجبريل يقول له: اخرج من الجنة أبدًا، فإنك مشئوم أبدًا. وكذلك الحية وقد صارت ممسوخةً ممنوعة من النطق، مشقوقة اللسان، والملائكة تقول لها: لا رحمكِ الله، ولارحم الله من يرحمك. وبرز آدم إلى السموات، وحجبت حواء عنه فلم يَرَهَا.

وعن الحجر: أن آدم ولى هاربًا حياء من الله وهو يقول: أهلكتِنِى يا حواء وهلكْتِ. فجلستْ حواء إلى الأرض، وتجللت بشعرها، ورفعت رأسها إلى العرش، فتوارث ذلك بناتُهَا منها عند المصائب: يرفعن رءوسهن إلى السماء صارخات، ونكَّسَ آدم رأسه حياءً من ربه هاربًا فى الجنة، فتوارث ذلك منه بنوه إذا أصاب أحدًا مصيبة، نكس رأسه إلى الأرض، وربَّما بحثها بأصبعيه، فأتاه النداء من الجهات: ألستَ فارًا منى يا آدم ؟ فقال: يارب، وأين أفرُّ منك ؟ وإن لم تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين.

ولما مر آدم فى الجنة يعدو، علقَتْ شجرة من الجنة بشعره فأوقفته وكلمته فى رأسه، فلما خرج من الجنة أخرجت تلك الشجرة معه. قيل: إنها شجرة العليق؛ سميت بذلك؛ لأنها تعلقت بآدم؛ فهى لا تنبت إلا فى السباخ، ولم ينتفع منها بشىء.

وهذه الجنة جنة من جنات السماء لا جنة الخلد؛ لأن تلك لاينقطع أكلها، ولا تكليف فيها.

وعن جعفر بن محمد: إن الجنة التى أخرج منها آدم جنة من جنات الدنيا، تطلع فيها الشمس والقمر، ولو كانت من جنات الخلد لم يخرج منها أبدًا.

وقيل: هى الأرض، وقوله: ﴿ ٱهْبِطُوا۟ ﴾ [البقرة: ٣٦] لايدل على كونها فى السماء؛ كقوله تعالى: ﴿ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا ﴾ [البقرة: ٦١] فقال الله تعالى لآدم وحواء ﴿ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [الأعراف: ٢٢] قال آدم: يا رب، حواء أطعمتنى، قالت حواء: يارب، الحية قالت: إنها شجرة الخلد، قال الله للحية: لم قلتِ ذلك ؟ قالت: يارب، بل إبليس قال لهما، قال الله تعالى: ﴿ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [البقرة: ٣٦] فلهذا العداوة بينهم إلى يوم القيامة، وفرق بين العداوتين؛ فإن عداوة آدم إيمان، وعداوة إبليس عصيان؛ فالعداوة ناشئة بين الذريتين وإبليس خفير الحية، وابن آدم يروم قتلها ليُخفر ذمته، والحية دائبة تريد أن تلسعه، قال رسول الله ﷺ « اقتلوا الحية حيث رأيتموها، وأخفروا ذمة الشيطان ».

ثم قال الله لآدم: يا آدم، ما أسرع مانسيت عهدى، اخرج من جوارى؛ فلا يجاورنى من عصانى، فأَنَّ آدمُ أنة وزفر زفرة كاد أن يموت أسفًا. وأمر الله تعالى جبريل أن يأخذ بعَضُدَى آدم ويسوقه، وحواء خلفه لها زفير وشهيق، فأخذ بيده ليخرجه، فقال: اللهم، بحقِّ محمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين تُبْ على، فأوحى الله إليه: اهبط إلى الأرض حتى أتوب عليك فيها. فهبط وأهبط معه من الجنة بذر كل شيء من الثمرات، فلما استوى على الأرض، مد بصره، فرأى إبليس قد سبقه إلى الأرض [١].

وبإسنادنا عن ابن بابويه يرفعه إلى عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن جده، عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: لما أكل آدمُ من الشجرة، رفع رأسه إلى السماء، فقال: أسألك بحق محمد إلا رحمتنى،

(١) هذا الكلام ساقط لا يحتاج إلى دليل لبيان سقوطه وحسبك أنه محكي في كتب الشيعة والروافض والقصة في توسل آدم بأهل البيت.

فأوحى الله إليه: ومن محمد ؟ فقال: تبارك اسمك، لما خلقتنى رفعت رأسى إلى عرشك، فإذا فيه مكتوب: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، فعلمت أنه ليس أحدٌ أعظم عندك قدرًا ممن جعلت اسمه مع اسمك، فأوحى الله إليه: يا آدم، إنه لآخر النبيين من ذريتك، فلولا محمد ما خلقتك[١].

وروى: أن آدم لما أهبط، لم يصعد إلى شجرة إلا صعد إبليس حياله شجرة مثلها، فرفع آدم يده وقال: يارب، إنك تعلم أنى لم أطقه، وأنا فى جوارك، وقد أهبطته إلى الأرض معى، فلا طاقة لى به، فأوحى الله إليه: يا آدم، السيئة منك ومن ولدك سيئة، والحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة، قال: يارب، زدنى، فأوحى الله إليه: لايأتى من ولدك بمثل الجبال من الذنوب تائبًا منها إلا غفرتُ له، قال: يارب، زدنى، فأوحى الله إليه: أغفر الذنوب ولا أبالى، قال: حسبى، قال إبليس: قد حلتَ بينى وبينه ومنعتَنِى منه، فأوحى الله إليه: لايولد له ولد إلا ولد لك ولدان، قال: يارب، زدنى، فأوحى الله إليه: تجرى مجرى الدم، قال: يارب، زدنى، فأوحى الله إليه: ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [النساء: ١٢٠] قال: حسبى، فصار ضدًا لآدم ولولده منذ ذلك اليوم، فأخرجهما وابتلاهما بالتكليفِ والمشقَّة وسلبهما ثياب الجنة؛ لأن إنعامه عليهما كان تفضلاً، فله منعه تشديدًا للبلوى والامتحان، كما يفقر بعد الغنى، ويميت بعد الإحياء، ويسقم بعد الصحة، ثم قال الله تعالى للحية: أنت التى خفرك عدوى؛ فإن آدم وبنيه يُخفرون ذمته فيك حيث وجدوك ولاينفعك إبليس شيئًا، ثم مسح قوائمها وقال لها: قد أذهبتُ جمالك وجعلتُ رزقك فى التراب، قالت: لا بل أمشى على بطنى كالحوت فى الماء، فقال الله تعالى: وتتكلمين أيضًا ؟! فشق لسانها وأخرسها عن الكلام فهي تسمع وتبصر ولا تقدر على الكلام، وليس شىء من البهائم والدواب إلا يكلم بعضه بعضًا إلا الحية.

وقال للطاوس: أما أنت فكنت أحسن الطيور، فلأزيلنَّ جمالك، ولأجعلنك

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٦١٥)، والبيهقي في « الدلائل » (٥/ ٤٨٩) من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده عن عمر وقال الحاكم صحيح الإسناد وتعقبه الذهبي فقال: بل موضوع، وعبد الرحمن واه . . . رواه عبد الله بن مسلم الفهري، ولا أدري من ذا.اهـ. وقد حكم ببطلان هذا الخبر غير واحد كالذهبي كما مر، وابن كثير، وابن حجر، وغيرهم. وينظر: « السلسلة الضعيفة » رقم (٢٥).

لاتطير، فمسح جماله، وأزال إكليله، وشقق رجليه، وأزال حلته، وحسن نغمته، فإذا نظر إلى رجليه يصيح أسفًا.

وأنزل الله تعالى آدم بالهند على جزيرة سرنديب على جبل الرهون، وعليه الورق الذى خصفه فيبس فذرته الريح فى بلاد الهند، فيقال: إن علة الطيب بتلك البلاد من ذلك الورق؛ ولذلك خصت تلك البلاد بالعود والقرنفل وسائر أنواع الطيب، وكذلك الجبل لمعت عليه اليواقيت؛ فكان منه الماس، وفى بحره أنواع الجواهر.

وقيل: أهبط على جبل يقال له: واسم يشرف على واد يقال له: سرنديب.

وعن جعفر بن محمد: أهبط على الصفا، وحواء على المروة [(١)]، وكانت امتشطت حواء فى الجنة، فلما صارت إلى الأرض، حلت ضفيرتها فانتثر منها العطر الذى كانت امتشطت به فى الجنة فطارت به الريح فألقت أكثره فى الهند؛ فلذلك صار العطر بالهند.

وفى العلل: أنها حلت عقيصتها، فأرسل الله على ما كان فيها من الطيب ريحًا تهب به فى المشرق والمغرب.

وفى رواية: أن الصفا سمى بذلك؛ لأن المصطفى هبط عليه، وسميت المروة؛ لأن المرأة هبطت عليه، وهما جبلان عن يمينى الكعبة وشمالها.

وعن وهب: أهبط آدم على جبل فى شرقى أرض الهند يقال له: واسم [(٢)]، وأهبط حواء بجدَّة [(٣)]؛ وإنما سميت جدة، لأن جبريل قال لهما: تفارقتما جِدًّا، وأهبط إبليس بميسان، وأهبطت الحية بأصفهان [(٤)]، والطاوس ببرارى عدن، وجعل

---

(١) وهو قول ابن عمر أيضًا. ذكره السيوطي في الدر المنثور (١/ ١١١)، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٢) هذا القول أيضًا ذكره ابن إسحاق عن أهل التوراة فقال: أهل التوراة يقولون: أهبط بالهند على جبل يقال له: واسم، عند واد يقال له: بهيل، بين الدهنج والمندل؛ بلدين بأرض الهند. وينظر: « المنتظم » (١/ ٢٠٨)، وتاريخ الطبري (١/ ١٢٢).

(٣) ذكر هذا قوم ينظر: المنتظم (١/ ٢٠٨)، وتاريخ الطبري (١/ ١٢٢) قلت: وللطبري كلام رائق حول هذا الكلام فقال: « وهذا مما لا يوصل إلى علم صحته إلا بخبر يجىء مجىء الحجة، ولا يعلم خبر في ذلك ورد كذلك، غير ما ورد من خبر هبوط آدم بأرض الهند؛ فإن ذلك مما لا يدفع صحته علماء الإسلام وأهل التوراة والإنجيل ». اهـ.

(٤) ينظر: المنتظم (١/ ٢٠٨).

بعضهم عدوًا لبعض إلى يوم القيامة.

وعن كعب: أهبط آدم بالهند على جبل يقال له: نود [١]، وحواء بجدة، وإبليس برستاق ميسان، والحية بأصفهان، والطاوس بالبحر، ثم أمره الله تعالى أن يسير إلى مكة، فطوى له الأرض، فصار على كل مفازة يمر بها خطوة، ولم يقع قدمه فى شيء من الأرض إلا صار عمرانًا، وكان جبريل يأتيهما بأرزاقهما من الجنة، ثم احتبس الرزق عنهما فاشتدَّ جوعهما، فنزلا إلى الوادى، فالتقيا وأكلا من ثمر الأراك، وروى: من الحنطة والطحين والعجين والخبز، وأخرج معه - حين خرج من الجنة صرة من الحنطة بعد أن استأذن ربه أن يتزود منها، أى: من الجنة، فقال له: خذ من الشجرة التى أكلتما منها؛ فهى غذاؤكما وغذاء نسلكما إلى يوم القيامة كما عصيتمانى، فأخذ الصرة وثلاثين قضيبًا من الشجر مودعة أصناف الثمار من شجر الجنة منها عشرة لها قشر، وهى: الجوز، واللوز، والبندق، والفستق، والخشخاش، والسايلوط، والنارنج، والموز، والبلوط، والرمان، وعشرة ذات نوى، وهى: الخوخ، والمشمش والإجاص، والرطب، والعبير، أو النبق، والزعرور، والعناب، والمقل، والقراصيا، ومنها عشرة لاقشر لها، وهى: التفاح، والسفرجل، والعنب، والكمثرى، والتين، والتوت، والأترج، والقثاء، والخيار، والبطيخ.

وعن وهب: أول ما علم بهبوط آدم النسر فألفه وبكى معه، وكان على ساحل البحر ينتظر حوتًا ليؤنسه، فلما ظهر الحوت من الماء أخبره النسر أنه رأى خلقًا عظيمًا يقوم ويقعد ويجيء ويذهب، فقال الحوت: إن كان ما تقول حقًّا فقد جاء ما ليس منه مفر، لا فى البر ولا فى البحر.

وفى رواية: أنه قال: يستخرجنى من بحري، ويستخرجك من برك [٢].

فأخرج آدم من الجنة فى آخر الساعة الثانية عشرة من يوم الجمعة، وأنزل إلى الأرض، فى أول ساعة من ليلة السبت، فكان مقامه فى الجنة منذ دخلها إلى أن أخرجه منها ساعة واحدة من ساعات اليوم الذى مقداره ألف سنة، مقدار تلك

---

(١) وهذا مروي أيضًا عن أبي صالح عن ابن عباس، ذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١/ ٢٠٨).

(٢) أخرجه ابن الجوزي في «المنتظم» (١/ ٢١٠-٢١١) عن سعيد بن جبير بنحوه. وينظر: «مرآة الزمان» (١/ ٢٠٢-٢٠٣).

الساعة من سنى الدنيا ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر، وبقى مصورًا طينًا فخارًا صلصالاً على باب الجنة خمس ساعات إلى أن نفخ فيه الروح، وأهبط على الجبل عند غروب الشمس من يوم الجمعة وأول ساعة من ليلة السبت، وألقى الله السبات على كل حى تلك الليلة إلا الملائكة؛ فإنها لاتنام، فبقى آدم على الجبل حائرًا منفردًا ينظر يمينًا وشمالاً لايرى شيئًا إلا السماء والنجوم وما كان أبصرها، فرأى وحشة وظلامَ الأفق، وكان أول ليلة من نيسان، فبكى بكاء شديدًا حتى أصبح صباح السبت، وجاء نور النهار، فسبح الله وكبره، وكذلك حواء، وقالا: هذا من النور الذى نعرفه فى الجنة إلا أنه ليس بذلك، ولما طلعت الشمس بحرِّها، خَافَا أن يكون عذابًا فازداد بكاؤهما، فأعلمهما جبريل أن هذه الشمس، وأنه لا ضرورة فيها، فسكنا مما كانا فيه، ونظر آدم إلى الجبال والأودية والأشجار والأنهار فبكى، وقال: أين هذا مما كنا فيه من الجنة ؟! ولما طلع النهار، ألقت حواء الطيب والجواهر، ووضعت يديها على رأسها صارخة من الوحشة، فاتخذ ذلك بناتها سنَّة فى المصائب، وإن آدم لولا تأخير أجله لمات خوفًا من الوحشة، فأوحى الله إلى جبريل أن قل له: هذا كله بخطيئتكما؛ إذ لم تطيعا أمرى بعد أن حذرتكما من عدوكما، وسأجمع بينك وبين زوجك، فتب إلىَّ وادعنى واستغفرنى، أستجب لك وأغفر لك وأنا الغفور الرحيم، فأعلمه جبريل، وصعد إلى السماء، فقال: يا جبريل، أتتركنى فريدًا ووحيدًا ؟ فقال له: بذلك أمرنى ربى.

وعن النبى ﷺ أن آدم هبط إلى الأرض مُسْوَدًّا، فضجَّت الملائكة إلى الله تعالى، فأمره الله تعالى أن يصوم الأيام البيض، فلما صام الثالث عشر ذهب ثلث السواد، فلما صام الرابع عشر ذهب ثلثاه، فلما صام الخامس عشر ابيضَّ كله، ثم ناداه مناد: يا آدم، هذه الأيام لك ولولدك، من صامها فى كل شهر فكأنما صام الدهر [(١)].

وروى أن جبريل قال: يا آدم، حياك الله وَبيَّاك، فقال: أما حياك فأعرفه، فما

---

(١) أخرجه ابن الجوزي في « الموضوعات » (٢/ ٧٢) من طريق الخطيب في أماليه من حديث عبد الله بن مسعود وقال ابن الجوزي: هذا حديث لا يشك في وضعه؛ وفي إسناده جماعة مجهولون لا يعرفون. وإنما سميت أيام البيض؛ لأن الليل كله يبيض بالقمر. اهـ. وتعقبه السيوطي في « اللآلئ » (١/ ٤٨٣-٤٨٤) بأن للحديث شاهدًا من حديث ابن عباس عزاه للديلمي. قال ابن عرّاق في « تنزيه الشريعة » (٢/ ٥٥): وفي سند الديلمي من لا أعرفه.

بياك ؟ قال: أضحكك، فسجد آدم ورفع رأسه، وقال: رب زدنى جمالاً، فأصبح وله لحية سوداء كالحمم، فضرب بيده إليها وقال: يارب ماهذه ؟ فقال: هذه اللحية زينتك بها وذكران ولدك إلى يوم القيامة.

قال ابن بابويه فى العلل: وهذا الخبر صحيح.

وفى قوله تعالى: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ [البقرة: ٣٧] قال الحائنى فى الحقيبة: فقد روينا بإسنادنا المتقدم، عن ابن بابويه قال: أخبرنا أبو جعفر محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد، عن محمد بن الحسن الصفار، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن أحمد بن محمد بن أبى نصر، عن أبان بن عثمان، وعن محمد بن مسلم، عن أبى جعفر قال: الكلمات التى تلقاهنَّ آدم من ربه، فتاب عليه قال: اللهم لا إله إلا أنت، سبحانك وبحمدك، عملتُ سوءًا وظلمْتُ نفسى، فاغفر لى إنك أنت خير الغافرين.

ومن كتاب القضايا[1] فى وصية النبى ﷺ لعلى رواية محمد بن زريق، عن سلمة ابن الوضاح الأسوانى، عن محمد بن خلاد الكوفى، عن عطية، عن وهب، عن جعفر بن محمد، عن على، عن أبيه، عن عبد الله بن عباس - رضى الله عنهما - عن على بن أبى طالب - رضى الله عنه- قال: أوصانى رسول الله ﷺ بوصية . . . ومر فيها إلى أن قال: قال علىٌ: أرأيت قول الله فى كتابه: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ ﴾ [البقرة: ٣٧] ما تلك الكلمات ؟ قال: ياعلىٌ، إن الله تبارك وتعالى أهبط آدم بالهند، وحواء بجدة، والملعون إبليس بميسان، والحية بأصبهان، ولم يكن فى الجنة شىء أحسن من الحية، وكانت من دواب الجنة، وكان لها خلق كخلق البعير، وقوائم كقوائمه، وعنق كعنقه، فأتى إبليس فقال: أيتها الحية، احملينى على ظهرك حتى تدخلينى الجنة، فقالت: إنه لا ينبغي لأحد أن يركبنى إلى يوم القيامة، قال: إنى أتمثل ريحًا فأدخل فى شدقك ولاتحملينى، ففعلت، فلما دخل الجنة، أغوى آدم ونزعه. فغضب الله على الحية، فقطع قوائمها، وجعلها تمشى على بطنها، وجعل رزقها فى التراب، وقال: لا يرحم الله من يرحمك، وغضب على الطاوس، ولم يكنْ فى الجنة أحسن من الحية والطاوس، فقبح الله من الطاوس رجليه؛ لأنه

(١) كذا في ط ولعلها: الوصايا.

هو الذى دل إبليس على الشجرة وأخبره بها، فأقام آدم بالهند مائة سنة واضعًا يده على أم رأسه ينوحُ على نفسه بالعبرانية، فبعث الله جبريلَ فقال له: يا آدم، إن الرب يقرئك السلام، ويقول: أليس أنا الذى خلقتك بيدى، ونفخت فيك من روحى، وأسجدت لك ملائكتى، وأسكنتك جنتى، وزوجتك حواء أمتى، وحذرتك عدوى، فعصيتنى وأطعت عدوى ؟! فما هذا البكاء، وأنا أعلم ما بكيت له ؟ فقال: ياجبريل، كيف لا أبكى وقد أخرجتُ من جوار ربى إلى دار البلاء، ودار السغب والنصب ؟! قال جبريل: يا آدم، قل هذه الكلمات، قال: ياجبريل، ياحبيبى، وما أقول؟ قال: قل: سبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلا أنت، وحدك لاشريك لك، عملت سوءًا وظلمت نفسى، فارحمنى، إنك أنت أرحم الراحمين. سبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلا أنت، وحدك لاشريك لك، عملت سوءًا وظلمت نفسى، تب على، إنك أنت التواب الرحيم[1].

وكان آدم بالهند وحواء بجدة على شق البحر قائمة قد تمعَّطَ شعرها، وتلبد على وجهها، وقشفت من الشمس، فرفعت يديها إلى السماء داعية باكية حزينة على ماحَلَّ بها قائلة: إلهى، أمتك حواء متضرعة إليك ضعيفة حيرانة قد أحاطَتْ بها خطيئتها وأوبقها سوء فعلها. إلهى، وقد طالت علىَّ وحشتى، وعظمت مصيبتى، وذلك كان لتفريطى وإضاعتى ما أمرتنى به. وقد أخبرنى بديعُ فطرتِكَ آدم قرينى الذى خلقتنى منه؛ أن النور الذى فى أسارير وجهه نور ولد من أولاده اسمه محمد، وبه كنيته بأبى محمد؛ أنك لا تسأل به إلا أجبْتَ، وأنك من أجله خلقتنى، وخلقت السموات والأرض، وبرأت البرايا، فبحقه عليك وبموضعه منك إلا مارحمْتَ ضعفى ولهفى، وتبت على، وغفرت لى، وجمعت بينى وبين آدم صفيك حتى أراه، وأعلم ماهو فيه؛ فإنك غفور رحيم. اللهم، إنى عملت سوءًا وظلمتُ نفسي، فاغفر لي، وتب على، واعصمنى، إنه لايغفر الذنوب إلا أنت، وأنت التواب الرحيم.

وعن ابن عباس: بكت حواء، فأنبت الله من دموعها القرنفل والأفاويه، وبقيت شاخصة ببصرها إلى السماء، ووضعت يديها على رأسها، فورث بناتها ذلك، وحملت الريح صوت آدم بالكلمات التى علمه إياها جبريل - عليه السلام -

(١) ذكره السيوطي في « الدر المنثور » (١/١١٩)، وعزاه للديلمي في « مسند الفردوس ».

فاستبشرت، وقالت: كلمات لم أسمع بمثلها قد جعلها الله توبة. وارتفع دعاؤهما في وقت واحد، وخرقت أصواتهما الحجبَ حجابًا حجابًا، وكل ملأ من الملائكة دعا لهما من سماء إلى سماء إلى تحت العرش، فأجاب الله دعاءهما وأوحَى إلى حواء: إنى قد غفرت لك ولآدم خطيئتكما، وتبْتُ عليكما، وأنا التواب الرحيم.

فتقدمى إلى مكة وصومى شهر رمضان كما صام آدم. فصامت، والملائكة فى كل ليلة تأتيها بفطرها من الرطب.

وقيل: إن النخلة عندها فى الحجاز نزلَتْ، ومنها كان يحمل إلى آدم كل ليلة؛ فلهذا الحجاز بلد النخل. ولما تم شهر رمضان، قال آدم: كنت أنظر إلى ملائكتك يطوفون ببيتٍ تحت عرشك، ويسبحون حوله، فآنس بهم، وقد اشتهيت أن لو كان فى الأرض مثله أطوف به وأسجد حوله. فأوحى الله إليه: يا آدم، أنا الذى ألهمتك أن تقول ذلك، لما سبق فى علمى من عمارة بيت فى الأرض لك ولولدك، أظهر مكانه وأعظم ذكره وشأنه، حيال ذلك البيت الذى رأيتَهُ تحتَ عرشى، أبوِّئ مكانه لولد من ولدك يبنيه ويرفع قواعده ويجعله حجًا لولدك إلى يوم القيامة، يأتون إليه من كل فج عميق، يريدونه وقد أثقلتِ الخطايا ظهورهم، فأغفر لهم كل خطيئة، فسر إليه أبوئك مكانه، فيعظم ذكره وشأنه، فمن يلوذ به صادقًا فهو ضيفى، فأنا أكرم الأكرمين.

فتأهب آدم للمسير، وأرسل الله إليه جبريل بعصا من آس الجنة يتوكَّأ عليها فى مسيره، وتكون له عونًا على خطواته، فلما رآها آدم، بكى وقبلها ووضعها على عينيه ووجهه، وقال: يا جبريل، أترى ربى يعيدنى إلى الجنة ؟ فقال: يا آدم، ما تاب عليك إلا وهو رَادكَ إليها، فلا تيأس من رحمة الله، فأخذ العصا بيده وشدَّ عليه ما بقى من الورق، وقد نسفت الريح أكثره بالهند، وناداه الجبل: يا صفوة الله، كنت آنس بك، وأفتخر على جبال الأرض، فإلى أين ترحَلُ عنى ؟ فقال آدم: بأمر ربى هبطت عليك، وبأمره ارتحلت عنك. فبكى الجبل بكاء شديدًا لفراقه، فبارك فيه آدم وشرفه بنباتٍ من أطيب الشجر وأكثرها منفعة.

وسار آدم، وجبريل يهديه الطريق، والعصا بيده يطوى المفاوز والقفار والبحار، فكانت بين الخطوة والخطوة قفرًا سبسبًا لا عمارة فيها، وفى مواضع عصاه بساتين

حول تلك المدينة، وهكذا يكون إلى يوم القيامة. ولم يزل يسير حتى وصل إلى جدة، فوجد أثر حواء؛ لأنه شم رائحة الورق الذى كان عليها، فسميت جدة لذلك. وقال: يا حواء، أترانى أنظر إليك نظرة ؟! فنادته الجبال التى مرت عليها: تسير فى أثرها تدركها، إن شاء الله تعالى. فسار إلى قرن، فأمره جبريل، فأحرم ولبى بلا مخيط تشبيهًا بالورق الذى كان عليه. وأنزل الله البيت المعمور، فأوقفه فى الهواء بحيث يراه فيعرفه حيال المهاة البيضاء التى هى موضع البيت، ومنها دحيت الأرض، وهى أم القرى.

فأوحى الله إليه أن كن محرمًا فطف بالبقعة المباركة، وصلِّ عندها، واسألنى جميع حاجتك، وأنا مجيب الدعاء. فأحرم ولبَّى ودخل الحرم ونظر إلى البيت المعمور فى الهواء، وناداه الله: ائت الربوة الحمراء التى فى وسط المهاة البيضاء، فطف حولها سبعًا، ثم صَلِّ عندها ركعتين؛ فهى بقعة بيتى الحرام. ففعل، وأنبع الله زمزم التى أخرجها بعد ذلك إسماعيل، فشرب وتوضأ وأنبتَ الله له الموز فكان يأكل منه. وأخبره بمكان حواء، فلما رأته جاءت إليه تبكى، فبشرها جبريل بالتوبة والمغفرة، فسجدت شكرًا لله تعالى، وتطهرتْ وتوضأت، فأهلَّتْ بعمرة وأحرمت ولبت وأتى بها جبريل إلى جميع مواقفها، وجمع جبريل بينهما فى جمع فسمِّىَ بذلك لاجتماعهما فيه.

وقيل: بل تعارفا بعرفات، فبادرت إليه وتعانقا وبكيا، ثم أخرجها من الحرم إلى الجبل، وأتى بظبى من البرية فذبحه وسلخه ودبغ جلده وكسا به حواء، فصارت السنة أن تكسو الرجال النساء.

وبقى آدم إلى أن استهل ذو الحجة، وأوقفه جبريل على أعلام الجبل، وعلمه مناسك الحج والوقوف بمنى والدعاء والطواف حول البيت إلى تمام الحجة الحرام، وأنزل الله إليه كبشًا فذبحه فسال دمه واضطرب، ففزع آدم وارتعد؛ لأنه لم يكن أبصر موت شىء، فضمه جبريل إلى صدره، وقال له: اطمئن؛ هذا قربان يقبل الله به نسكك، ويغفر ذنبك، ويكون سنة لبنيك من بعدك.

ثم أمره جبريل فسلخه، وأخرج كرشه، فنفض ما فيه وغسله جميعه، ثم أمره أن يعيد إلى جوف الكرش ما أخرجه منه، وأن يشق الجلد ويبسط على وجه الأرض

والصوف مما يلى الأرض، وأن يضع الكبش المسلوخ على الجلد، وأن يقصر من شعر حواء، ففعل وأمر حواء، فأخذت المدية فحلقت رأسه، وجعل يدعو وحواء خلفه تؤمن على دعائه.

فلما فرغ من دعائه، جاءت نار بيضاء من السماء ليس لها دخان ولا لهب، فأخذت الكرش وجلده وصوفه وما كان فيه، ثم ارتفعت به إلى السماء، فأوحى الله إليه: إنى قد قبلت قربانك وأعطيتك جميع ما سألت، وأنا ذو الفضل العظيم، وكذا أفعل بمن قصد بيتى بعدك فى هذا الشهر، لا أقبل هذا فى غيره؛ ليكون ميقاتًا معلومًا. فتمّم حجه، ورمى الجمار غيظًا لإبليس ورجمًا. فلما فرغ من حجه، أخذ جبريل بيد آدم وحواء وجاء بهما إلى ساحل البحر مما يلى جدة، وقال: إن الله أحل لك جميع ما في هذا البحر صغر ذلك أو كبر، أيها السمك أقبل بإذن الله، فجاءت أصنافًا، فقال له: خذ ما تريد، فأخذ سمكتين عظيمتَيْنِ، وعلمه فجمع حطبًا، وقرع المدية بالحجر، فخرج نار وشواهما. فقال آدم: الحمد لله الذى جعل لنا من هذا طعامًا. ثم انصرفا إلى مكة وودعهما جبريل، وبقى آدم وحواء ليس لهما ثالث، فعادا إلى الحرم فسكناه.

وعن أبى نصر، عن إبراهيم بن محرز، عن أبى حمزة، عن أبى جعفر قال: إن آدم نزل من الهند، فبنى الله تعالى البيت، وأمره أن يأتيه ويطوف به أسبوعًا، وقضى مناسكه كما أمر الله تعالى، فقبل توبته وغفر له، فقال آدم: يا رب، ولذريتى من بعدى، فقال: نعم، من آمن بى وبرسلى.

وفى رواية عبد الحميد بن أبى الديلم، عن جعفر بن محمد: أن آدم اعتزل حواء حتى فرق بينهما، فكان يأتيها نهارًا فيتحدث عندها، فإذا كان الليل خشى أن تغلبه نفسه فرجع، فَمَكَثَ بذلك ما شاء الله، ثم أرسل إليه جبريل فقال: السلام عليك يا آدم الصابر لبليته، إن الله بعثنى إليك؛ لأعلمك المناسك التى يريد الله أن يتوب عليك بها، وأخذ بيده منطلقًا حتى أتى مكان البيت، فنزل غمام من السماء، فقال له جبريل: يا آدم، خط برجلك حيث أظلك الغمام؛ فإنه قبلة لك ولآخر عقب من ذريتك. فخط آدم هناك برجله، فانطلق به إلى منى فأراه مسجد منى، فخط برجله بعد ما خطَّ موضع المسجد الحرام وبعد ماخط البيت.

ثم انطلق إلى عرفات، فأقام على المعرَّف، ثم أمره عند غروب الشمس أن يقول: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا ﴾ [الأعراف: ٢٣] سبعًا؛ ليكون سنة فى ولده معترفين بذنوبهم هناك.

ثم أمره فأفاض من عرفات، ثم انتهى إلى جمع، فبات ليلته بها، وجمع فيها بين الصلاتين فى وقت العتمة فى ذلك الموضع إلى ثلث الليل، وأمره إذا طلعت الشمس أن يسأل الله التوبة والمغفرة سبع مرات؛ ليكون سنة فى ولده، فمن لم يدرك عرفات، فأدرك جمعًا، فقد أدرك حجه[١] وأفاض من جمع إلى منى ضحوة، فأمره أن يقرب إلى الله قربانًا؛ ليتقبل الله منه، ويكون سنة فى ولده، فقرب قربانًا فتقبل منه قربانه، فأرسل الله نارًا من السماء فقبضته، فقال جبريل: يا آدم ارمه بسبع حصيات، ففعل، فذهب، فقال جبريل: إنك لن تراه بعد مقامك هذا أبدًا. ثم انطلق به إلى البيت، فأمره أن يطوف سبع مرات، ففعل، فقال جبريل: حلت لك زوجتك.

وعن معاوية بن عمار، عن أبى عبد الله قال: لما أفاض آدم من عرفات، تلقته الملائكة، فقالت له: برَّ حجك يا آدم، أما إنا قد حججنا هذا البيت قبلك بألفى عام.

وفى حديث وهب بن منبه اليمانى؛ أن آدم بكى على الجنة مائتى سنة[٢]، فعزَّاهُ الله بخيمة من خيام الجنة، فوضعها له بمكة فى موضع الكعبة، وتلك الخيمة من ياقوتة حمراء لها بابان شرقى وغربى، من ذهب، منظومتان، معلق فيها ثلاثة قناديل من تبر الجنة، تلتهب نورًا، وأنزل الركن وهو ياقوتة بيضاء من ياقوت الجنة، وكان كرسيا لآدم - عليه السلام - يجلس عليه، وإن خيمة آدم لم تزل فى مكانها حتى قبضه الله تعالى، ثم رفعها الله إليه، وبنى بنو آدم موضعها بيتًا من الحجارة والطين، ولم يزل معمورًا، وأعتق من الغرق ولم يغرقه الماء، حتى ابتعث الله إبراهيم.

وذكر وهب أن ابن عباس أخبره: أن جبريل وقف على النبى ﷺ، وعليه عصابة خضراء قد علاها الغبار، فقال رسول الله ﷺ: ماهذا الغبار ؟ قال: إن الملائكة أمرَتْ بزيارة البيت، فازدحمت؛ فهذا الغبار مما تثير الملائكة بأجنحتها.

(١) والمعروف أن الحج عرفة، فمن لم يدرك عرفة فقد فاته الحج. قال البغوي في شرح السنة: قال الإمام: اتفقَ أهلُ العلم على أن الحاج إذا فاته الوقوف بعرفة في وقته فقد فاته الحج. ينظر: شرح السنة (١٧٦/٤-بتحقيقنا).

(٢) ينظر: المنتظم (٢١٢/١)، وعرائس المجالس ص (٣٠).

وعن عبد الله بن سيابة، عن أبى عبد الله قال: طاف آدم بالبيت مائة عام ما ينظر إلى حواء، ولقد بكى على الجنة حتى صار على خديه مثل النهرين العظيمين من الدموع، ثم أتاه جبريل فقال: حياك الله وبَيَّاكَ. فلما أن قال: حياك، تبلج وجهه فرحًا، ولما قال: بياك، ضحك. ومعنى بياك: أضحكك. قال: ولقد قام على باب الكعبة وثيابه جلودُ الإبلِ والبقرِ.

فقال: اللهم أقلنى عثرتى، وأعدنى إلى الدار التى أخرجتنى منها، فقال الله جل ثناؤه: وقد أقلتك عثرتك، وسأعيدك إلى الدار التى أخرجتك منها.

وعن أبى جعفر قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله حين أهبط آدم من الجنة أمره أن يحرث بيده، فيأكل من كدها بعد نعيم الجنة، فجعل يحار ويبكى على الجنة مائتى سنة، ثم إنه سجد لله سجدة، فلم يرفع رأسه ثلاثة أيام بلياليها. فقيل: جاء جبريل بالحَبِّ على قدر بيض النعامة، أبيض من الزبد، وأحلى من العسل وبثورين من ثيران الفردوس وبالحديد، فقال: مالى ولهذه الحبة التى أخرجَتْنِى من الجنة ؟ فقال جبريل: هذا غذاؤك وغذاءُ أولادِكَ فى الدنيا. فعقد النير على أرقابهما، وحرث وبذر، ووقف من التعب، فقال له جبريل: اصبر إلى أوان حصاده، فاجمعه وادرسه وأذرِّه وأخرج حقه يوم حصاده، ثم اطحنه واعجنه واخبزه وكُلْه بعد عرق الجبين.

قال كعب: فما زال الحب زاكيًا فى عصر آدم وشيث إلى زمن إدريس، كفر الناس فنقص إلى مقدار بيض الدجاج. وفى زمن عيسى نقص إلى مقدار بيض الحمام؛ لقولهم فيه وفى أمه ما قالوا، فلما قتلوا يحيى، عاد إلى قدر الحمص، ثم صار إلى ما ترى.

وعن ابن أبى عمير، عن هشام بن سالم، عن أبى عبد الله قال: لما بكى آدم على الجنة، وكان رأسه فى باب من أبواب الجنة، كان يتأذى بالشمس فحطَّ من قامته، وقيل: إنه لما أهبط إلى الأرض، وأكل من الطعام، وجد فى بطنه ثقلاً فشكى ذلك إلى جبريل، فقال: يا آدم فتنحّ، فنحاه، فأحدث وخرج منه الثقل.

وفى كتاب المبتدا: أن الله أمر آدم أن يتخذ لحواء منزلاً خارج الحرم، لا تدخله إلى أوان الحج، ففعل، وكان الجن أعوانًا لها رجالاً ونساء، بعد أن نفر آدم منهم؛ لأنهم قبيلة إبليس - لعنه الله - فأمنه الله منهم؛ لأنهم المؤمنون إلى أن حملت حواء

بشيث، وانتقل نور رسول الله ﷺ إليها، فأمر الله بدخولها إلى الحرم كرامة لرسول الله ﷺ، وذلل الله له الحيوان المحلل فيما يحتاج إليه من ركوب وغيره، وأعانه على ذلك الجنُّ المؤمنون، فكان يشرب من ألبانها، ويكتسى من أصوافها، ويأكل من لحُومها هو وحواء، وأنزل الله له سندانًا ومطرقة وكلبتَيْنِ، وأمره أن يأخذ الحديد من المعادن، فيصنع آلة الحرث والحصاد ومايحتاج إليه، واستعان على ذلك بالجن، وكانت الأرض فى ذلك الزمان أخرجت معادنها من سائر ما فيه منفعة، وأرسل إلى الرياح والسحاب، فارتاع آدم وحواء؛ لأنهما لم يكونا رأيا سحابًا ولا سمعا رعدًا، ولا رأيا برقًا، فخافا غضب اللهِ؛ لأنه حال بينهما وبين السماء والشمس، فأوحى الله إليه: إن هذه سحابة رحمتى؛ لتروى الأرض؛ لتحرث وتبذر فتنبت أضعافًا مضاعفة، فيكون منها غذاؤك أنت وولدك.

فلما نزل المطر، شربا واغتسلا، وأنزل الله إليه جميع أنواع الحبوب المأكولة، وعلَّمه كيف يحرث والجنُّ تعاونه، فأخصبتِ الأرض وأينع الشجر فى شهرٍ واحدٍ، وأقبلا يجنيان ويأكلان، وعلَّمته الجنُّ كيف يدرس ويذرى، فلما صفا حبه ذاقه فلم يجد له لذة، فقال لحواء: يوشك لهذا عمل غير هذا، فقطَّ الجن حجارة، وعلَّموه كيف يطحن ويعجن ويخبز ويؤكل، فأوقد جبريل لهما نارًا فى تنور من الحجارة، وأمره أن يأخذ من ملح الأرض وسمسها[1]، ويخلط فى العجين، فصارت السنَّة فى الطعام البداءة بالملْحِ، فأكلا وشبعا، وقالا: كنا فى الجنة فى راحة من هذا، ما أردناه حضر بين أيدينا.

ثم وجدا فى بطونهما ثقلاً ومغصًا شديدًا فاضطربا حتى بَكَيَا، فأتاهما جبريل، فقال لهما: امشيا إلى سيف البحر، وكان قريبًا. وقال لآدم: اجلس بين حجرين، وأفض بقبلك ودبرك إلى الأرض؛ ليذهب ما تجده، ثم تطهَّرْ بالماء. وتفعل حواء كذلك. وانصرف عنهما. ففعل آدم، فتحرك بطنه وجاش ووجد ألما شديدًا حتى بَكَى، وانفتق قبله ودبره، وخرَجَ البول والغائط، فوجد رائحة كريهة واستراح، وكذلك حواء. ثم تطهرا بالماء وانصرفا؛ فشكرا الله كثيرًا وعجبا مما خَرَجَ منهما.

ولما كان من الغد، جاعا، فتركا الأكل خيفةً، فأوحى الله إلى آدم أنه أبرك الثمر

(١) كذا بالأصل. ولعلها: ويشمسها.

وأنفعه وأكثره منفعة [١]، فجمعه وعصره بمعاونة الجنِّ، ثم أكل من الزيتِ، فوجد له لذة، فقال لحواء: إنه لطيب، ولكن بعد التعب والنصب الشديد.

وصنعت له الجن المغرفة والفأس والمنشار والذى لابد منه لبنى آدم، وعملن المرادن [٢] لحواء للغزل، فنسجَتْ لآدم ثوبًا من القطن، وكساء من الصوف، ثم لها مثل ذلك وفرشًا وغطاء ودثارًا من البرد، فمكثا بذلك ما شاء الله، فإذا جاء أوان الحج، حَجَّا، وأنزل الله على آدم الخيمة التى تقدم ذكرها فى حديث وهب، ولم يزل هذا دأبه ما شاء الله تعالى.

وَأَمَّا كَيْفِيَّةُ التَّنَاسُلِ، فَفِى كِتَابِ المبتدا: أنَّ آدمَ لَمْ يكنْ يطأ حواءَ منذُ هبطَا إِلَى الْأَرْضِ وَلا خَطَرَ بقلبه ولا بقلبها ذكره حياءً من الله تعالى، فأوحى الله إليه: يا آدم، ماهذا الجزع وأنت صفوتى وأبو المصطفى رسولى ومن قبله من الأنبياء، فأبشر بنعمتى وكرامتى أنت وحواء زوجتك أمتى فأَلِمَّ بها، فبشر حواء، فسجدت شكرًا لله تعالى. وسأل آدم ربه عن دوىٍّ كان يسمعه فى ظهره إذا سبح، وعن لمعان النور الذى فى وجهه، فأخبره الله أن هذا نور ابنك محمد، والدوىُّ الذى تسمعه تسبيحه، وإنى سأنقله من صلبك إلى حواء، وأجعل نوره فى وجهها حتى يخرج فى وجه ولدٍ لكما مبارك أجعل فى ذريته الكتاب والحكمة، وأعطيه البطش والقوة، وأخصه بالشرف والفضيلة بعدك، فإذا انتقل إلى حواء، فلا يخفى عليك، فلا تلم بها عند حملها به حتى تلده طاهرًا مطهرًا، وإنى أحفظه من الشياطين والمَرَدة الملاعين. فإذا انتقل إليها، فمرها بدخول الحرم إجلالاً للنور الذى معها، فإذا وضعته وكبر فأبشر بالخير وسلنى بحقه كُلَّ ما تريد، وزوجه أطهر النسوان، وخذ عليه العهد بحفظ هذا النور، وأن يأخذ على ولده كما أخذتُ أنا عليكَ، وأنا الحافظُ له بعينى التى لاتنام.

وكان آدم بعد هذا العهد لا يقربُ حواء حتى تتطهر وتغتسل هى، وجاءها الحيض سبعة أيام، فإذا كان وقت الصلاة سبحَتْ وكبرَتْ، ولما انقطع اغتسلَتْ، ثم باشر حواء فحملت منه، وبان وثقل عليها وتغيَّر لونها ، وانتفخ بطنها وتحرَّك الجنين، وسفران الجن حولها يقلن لها: هكذا الحبل، وستلدين كما ولدنا نحن.

---

(١) يعني: الزيتون.

(٢) المرادن: جمع مُردن، وهو المغزل. ينظر: ترتيب القاموس (ردن).

فلما كان الشهر التاسع، أصابها من شدته ما لم يصب أنثى حتى يبّست يديها ورجليها، ووقعَتْ لا حركة بها، ونساء الجن يبكين رحمةً لها، وآدم يدعو ويقول: يا رب، وعدك وعدك، يا من لا يخلف الميعاد. فأذن الله تعالى بخلاصها، وولدت ولدين ذكرًا وأنثى، وسال لبنها، وأمر الله آدم أن يأمرها بقطع سررها، وسمت الذكر قابيل والأنثى إقليميا، وهما ينشآن فى اليوم كالشهر، وفى الشهر كالسنة، وآدم منعزل عنها فى مدة الرضاع، فأوحى الله إليه: إنى لم أحرم عليك زوجك فى رضاعها؛ فهى حلال لك، وإنما نهيتك عن ذلك عندما ترى نور محمد قد انتقل إليها. أما فى الحمل بغيره، فهى حلال، فلا تنعزل عنها. فبشرها بذلك وأراد الإلمام بها، فقالت: يا صفوة الله، ما تذكر ما قاسيته فى مخاضي ؟! فأوحى الله إليه: إن الذى قاسته أول مرة لا يصيبها مثله ولا عُشر عشره، وإنما وقع ذلك أول مرة لتخفف عنها الذنوب التى تقدمت لها فى معاونتها إبليس على الأكل من الشجرة، ففرحت وطابت بذلك نفسها.

وعن عمارة بن زيد الأنصارى: أن آدم واقعَ حواء، فحملت بأول بطن كان بعد مائة سنة، ثم واقعها فحملت - أيضًا - بهابيل وتوءمته ليوثا، فلم تلق فيهما مالقيت فى أول بطن، فأرضعتهما وفطمتهما، ثم حملت ببطن ثالث، فولدت توءمين، وأولادها يكبرون ويمشون بين يديها، والنور لاينتقل عن وجه آدم، وحواء تلد فى كل تسعة أشهر ولدين ذكرًا وأنثى، فسمى الذكر: قاين، وقيل: قابيل، وسمى الأنثى: ليوذا، ثم عاود الغشيان، فاشتملت على ذكر وأنثى، فسمى الذكر: هابيل، والأنثى إقليميا، فزوج أخت قاين لهابيل، وأخت هابيل لقاين إلى أن كثر النسل، وولدت حواء لآدم خمسمائة بطن بألف ذكر وأنثى.

وبإسنادنا المتقدم، عن ابن بابويه، عن أبيه، عن محمد بن يحيى العطار، عن الحسين بن الحسن بن أبان، عن محمد بن أورمة، عن النوفلى، عن على بن داود اليعقوبى، عن مقاتل بن مقاتل، عمن سمع زرارة يقول: سئل أبو عبد الله عن بدء النسل من آدم كيف كان ؟ فإن ناسًا عندنا يقولون: إن الله تعالى أوحَى إلى آدم أن يزوج بناته من بنيه، وإن هذا الخلق كله أصله من الإخوة والأخوات، فمنع أبو عبد الله عن ذلك، وقال: نبئت أن بعض البهائم نكرت له أخته، فلما نزا عليها

ونزل، ثم علم أنها أخته، عزم على غُرموله بأسنانه حتى قطعه فخر ميتًا.

وفى حديث آخر: تنكرت له أمه، ففعل هذا بعينه، فكيف الإنسان فى فضله وعلمه، غير أن جيلاً من هذه الأمة الذين يرون أنهم رغبوا عن علم أهل بيوتات أنبيائهم، فأخذوه من حيث لم يؤمروا بأخذه؛ فصاروا إلى ما ترون من الضلال. وحقًا أقول: ما أراد من يقول هذا إلا تقوية لحجج المجوس.

ثم أنشأ يحدثنا كيف كان بدء النسل فقال: إن آدم - صلوات الله عليه - ولد له سبعون بطنًا، فلما قتل قابيل هابيل، جزع جزعًا شديدًا قطعه عن إتيان النساء؛ فبقى لا يستطيع أن يغشى حواء خمسمائة سنة. ثم وهب الله له شيئًا وهو هبة الله، وهو أول وصي أوصى إليه من بنى آدم فى الأرض، ثم وراءه بعده يافث، فلما أدركا وأراد الله أن يبلغ بالنبل ما ترون، أنزل بعد العصر فى يوم خميس حوراوين من الجنة، اسمهما: نزلة، ومنزلة؛ فأمره الله أن يزوجها شيئًا، وأن يزوج منزلة من يافث، فزوجهما منهما، فولدت لشيث غلامًا، وليافث جارية، فأمر الله آدم حين أدركا أن يزوج بنت يافث من ابن شيث، ففعل، فولد للصفوة من النبيين والمرسلين من نسلهما، ومعاذ الله أن يكون ذلك على ما قالوه من الإخوة والأخوات ومناكحتهما، والحديث طويل(١).

وفى علل الشرائع والأحكام، عن الباقر محمد بن على: أن أحد ابنى آدم تزوَّجَ الحوراء، وتزوج الآخر من الجن، فولدتا جميعًا، فما كان فى الناس من جمال وحسن خلق فمن حوراء، وما كان من سوء خلق فمن بنت الجان، وأنكر تزويج بنيه من بناته.

وروى الشيخ أبو عبد الله محمد بن سعيد الحجرى، فى كتاب مبتدا الخلق: أن قابيل أكبر أولاد آدم، وأنه لما مضى من عمره وتوءمته عشرون سنة، ولهابيل وأخته تسع عشرة سنة، فوض أمر الحرث إلى قابيل، وأمر الغنم والرعى إلى هابيل، وكان قابيل مولعًا باللهو واللعب، وهابيل يكثر الشكر والتسبيح، ويأتى إلى إخوته وأبيه بالسمن واللبن والجبن، وكانت أمه وإخوته يحبونه ويقدمونه على قابيل، وكان يحسده لذلك، وأولاد حواء بعضهم مع قابيل فى الحرث، وبعضهم مع هابيل فى

---

(١) في إسناد هذا الحديث مجاهيل ومن لا يعرفون.

الرعى، وأن الله أوحى إلى آدم أن زوج ذكران بنيك بإناثهم، ولا يحلُّ لأحد من بني بنيك أن ينكح أخته، وخالف بين ذكر كل بطن وأنثاه، فأول ما أراد أن يمتثل أمر الله فى ولديه هابيل وقابيل؛ لأنهما أكبر أولاده، فأراد زواج قابيل لتوءمة هابيل ليوذا ولهابيل توءمة قابيل إقليميا، فأبى قابيلُ حسدًا لأخيه، وقال لأبيه: أنا أولى بأختى، وهى أحب إلى من أخت هابيل، وامتنع أن يسلم أخته إلى هابيل، فقال آدم: أخاف عليك إن عصيت ربك أن تقع فيما وقعنا فيه، فأقسم ألا يترك له أخته إلا ببرهان من الله، فقال آدم: اذهبا، فقربا قربانًا إلى الله، وليقف كل واحد وبين يديه قربانه، وليكن أفضلَ ماعندكم وأطهره وأطيبه؛ فإن الله لا يقبل إلا الطيب، فأيكما قبل قربانه فهو أحقُّ بإقليميا. فقال هابيل لأبيه: أنا راضٍ بكل ما حكمت قربت أو لا، تقبل منى أو لا. وقال قابيل: نقرِّب. فخرجا إلى جبل من جبال مكة، وقيل: إلى منى، ثم قرب كل واحد منهما قربانه، فكان قربان هابيل من أبكار غنمه وأسمنها بسماحة نفس، وقربان قابيل قمحًا لم يبلغ وأكثره زيوان.

وفى كتاب الوصية: عمد إلى شر ما كان له من الطعام والعصير فقربه.

وعن أبى جعفر محمد بن على: قرب قابيل من زرعه ما لم ينق، وقام هابيل يدعو الله، وقابيل يغنى ويلهو، وإذا رأى هابيل يصلى يضحك ويقول: أظن صلاتك لتخدعَ آدَمَ ليزوجك بأختى لئن تقبل قربانك لأقتلنك. فتركه هابيل وانصرف؛ ليعلم أباه، فلحقه قابيل قبل عقبة حراء دون جبل ثبير، وقيل: فى موضع آخر غيره.

وفى مروج الذهب[1]: يقال: إنه اغتاله فى برية، ويقال: إن ذلك كان بأرض الشام من بلاد دمشق.

فوثب إليه يعضه بفمه طالبًا مَوته؛ فلا يراه يموت، ويضربه بيده. فتمثل إبليس على صورة بعض إخوته، وقد اصطاد ظبيًا، ثم أخذ حبلاً فقمطه به وألقاه على جنبه، وأخذ حجرين فضرب أحدهما بالآخر، فانكسرت من أحدهما شظية لها حرف حد، فأخذها فشحطها على حلق الظبى فذبحه، ثم احتمله ومضى لسبيله، وقابيل يراه. فأخذ حجرًا فشدخ به رأسه، وقيل: كسره وذبحه ببعضه.

فلما قتله وسال دمه ورآه يضطرب لخروج روحه، عقبته الندامة وتبرأ منه

---

(١) ينظر: مروج الذهب (٣٦/١)، وفيه أنه اغتاله في برية قاع.

الشيطان، ونخر إبليس نخرة أجابته مردته من كل أوب، واتخذ ذلك عيدًا، وهو اليوم الذى اتخذته المجوس عيدًا لهم.

ولما قتله فتحت الأرض فاها؛ لتبتلع دمه فزجرت، وقيل لها: أشربت دمًا سفك بغير حق ظلمًا، لئن عدت لمثل ذلك لأَلْعَنَنَّكِ سبع لعنات. فأقسمت ألاً تبلع دمًا. وأن قابيل ارتعشت يداه حين قتل أخاه وبقى حائرًا مبهوتًا ينظر إليه ميتًا ملقى على وجه الأرض.

وعن وهب: لما أراد قابيل أن يقتل أخاه هابيل، لم يدر كيف يصنع، فعمد إبليس إلى طائر، فرضخ رأسه بحجر فقتله، فتعلم قابيل، فساعة قتله أرعش جسده ولم يعلم ما يصنع، فأقبل غراب يهوى على الحجر الذى دمغ أخاه فجعل يمسح الدم بمنقاره، وأقبل غراب آخر حتى وقع بين يديه فوثب الأول على الثانى فقتله، ثم هز بمنقاره فواراه، فتعلم قابيل.

وعن الصفار، عن محمد بن أبى الحسين بن أبى الخطاب، عن محمد بن إسماعيل بن جابر، وعبد الكريم بن عمرو بن عبد الحميد بن أبى الديلم، عن أبى عبد الله: أن الله بعث إليه جبريل فأجنه، فقال قابيل: ﴿ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ ﴾ [المائدة: ٣١] يعنى به: مثل هذا الغراب الذى لا أعرفه جاء ودفن آخر ولم أهتد لذلك.

ويقال: إنه حمله على عاتقه إلى أبيه وأمه، فعلما أنه هو الذى قتله، فقال له آدم: يا ويلك، قتلت أخاك حيث تقبل قربانه، عليك لعنة الله ولعنة الملائكة.

وأقبلت حواء تنوح وتصرخ، فلما رأى قابيل ذلك، توارَى عنهما ينوح على نفسه وسوء فعله، فمن نياحته: ويلى ومن له مثل ويلى استوجبت لقتله سخط ربى، ويلى قتلت هابيل شقيقى وابن أبى وأمى، ومَنْ كان مستقره فى صلب أبي فيا شقوتى وويلى، ومن له مثل ويلى، استوجبت لقتله سخط ربى. فيقال: إنه حمله على عاتقه، وهو يبكى وينوحُ من واد إلى واد، ومن جبل إلى جبل حتى أنتن وجاف وسال عليه صديده، فألقاه إلى الأرض، ووقف ينظر إليه نادمًا. فبعث الله غرابًا كما قال سبحانه.

ويقال: إن إبليس كان رمى أنثاه بحجر فقتلها، فلما رآها الغراب تعب وصاح

ونتف ريشه حزنًا، ثم بحث الأرض برجليه ومنقاره حتى دفنها، ووضع الحجر الذى شدخ به إبليس رأسها على الموضع الذى دفنها فيه، ثم صرخ صرخات، وناح نوحات، وصفق بجناحيه وطار، فقال قابيل: ﴿ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ﴾[المائدة: ٣١]؛ كما وارى أنثاه ؟! فحفر له حتى واراه فى الحفرة، وطمر عليه التراب، فهو أول ميت دفن فى الأرض.

ثم تركه ورجع ولم يقدر يقع فى عين أبيه، وأبعد عن آدم وعن مكة.

وفى رواية: أنه لما رجع إلى آدم، فقال له: يا قابيل، أين هابيل ؟ قال: ما أدرى، وما بعثتنى راعيًا له، فانطلق فوجد هابيل مقتولاً، فقال: لُعِنْت من أرض كما قبلتِ دم هابيل، فبكى آدم على هابيل أربعين ليلة، ثم إن آدم سأل ربه أن يهب له ولدًا، فولد له غلام فسماه هبة الله؛ لأن الله - عز وجل - وهبه له، فأحبه آدم حبًّا شديدًا . . . والحديث طويل.

وروى: أنه لم يوار سوءة أخيه، وانطلق هاربًا حتى أتى واديا من أودية اليمن فى شرقى عدن، فكمن فيه زمانًا، وبلغ آدم ما صنع قابيل بهابيل فوجده قتيلاً. قلت: هذا يخالف ما قبله المنقول عن كتاب العرائس أن قابيل وضع هابيل فى جراب وحمله على عاتقه حتى أروح وأنتن. وفيه وفى إبليس: ﴿ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴾ [فصلت: ٢٩] لأن قابيل أول من سن القتل؛ فلا يقتل مقتول إلى يوم القيامة إلا كان شريكه فيه.

وسئل جعفر الصادق بن محمد الباقر عن هذه الآية، فقال: هما هما. وإن آدم حزن على هابيل حزنًا شديدًا، وبكاه ورثاه بهذه الأبيات، وهى أول شعر قيل فى الأرض:

تَغَيَّرَتِ البِلَادُ وَمَنْ عَلَيْهَا ... فَوَجْهُ الْأَرْضِ مُغْبَرٌّ قَبِيحُ
تَغَيَّرَ كُلُّ ذِى طَعْمٍ وَلَوْنٍ ... وَقَلَّ بَشَاشَةَ الوَجْهُ الصَّبِيحُ
وَبُدِّلَ نَبْتُهَا أَثْلاً وَخَمْطًا ... بِجَنَّاتٍ مِنَ الفِرْدَوْسِ فِيحُ
وجاورنا عَدُو لَيْسَ يُغْنِى ... لَعِينٌ لاَ يَمُوتُ فَنَسْتَرِيحُ
فَيَا هَابِيلُ إِنْ تُقْتَلْ فَإِنِّى ... عَلَيْكَ الْيَومَ مُكْتَئِبٌ قَرِيحُ
بَكَتْ عَيْنِى وَحَقٌّ لَهَا بُكَاهَا ... وَدَمْعُ العَيْنِ مُنْسَكِبٌ يَسِيحُ

فَأَوْرَثَ فِى الضمِيرِ لَهِيبَ نَارٍ ... مُقِيمٌ فِيهِ هَابِيلُ الذَّبِيحُ
رَمَاهُ أَخُوهُ ذُو الفَجَرَاتِ ظُلْمًا ... وَبَغْيًا مِنْهُ قَابِيلُ الشحِيحُ
فَيَلْعَنُهُ الإِلَهُ بِمَا جَنَاهُ ... وَصَعَّر خَدَّهُ ولَهُ القُبُوحُ

فيقال: إن إبليس - لعنه الله - أجابه بقوله: [من الوافر]

تَنَحَّ عَنِ الْبِلَادِ وَسَاكِنِيهَا ... فَفِى الفِرْدَوْسِ ضَاقَ بِكَ الفَسِيحُ
وَكُنْتَ بِهَا وَزَوْجَكَ فِى رَخَاءٍ ... مِنَ الدُّنْيَا وَعَيْشُكَ مُستَرِيحُ
فَمَا انفَكَّتْ مُكَايَدَتِى وَمَكْرِى ... إِلَى أَنْ فَاتَكَ الثَّمَنُ الربِيحُ
فَلَوْلاَ نِعْمَةُ الْجَبَّارِ أَضْحَى ... بِكَفِّكَ مِنْ جِنَانِ الخُلْدِ رِيحُ
أَهَاجَكَ آدَمُ الدَّهْرُ الكَدُوحُ ... فَدَمْعُكَ هَاطِلٌ هَتِنٌ يَسِيحُ
وَجَاءَتْكَ المَصَائِبُ عَادِيَاتٍ ... وَسَوْفَ عَلَيْكَ تَرْجِعُ أَوْ تَرُوحُ
فَلَا تَبْكِى فَإِنَّكَ غَيْرُ خَالٍ ... مِنَ الأَحْزَانِ مَا صَحِبَتْكَ رُوحُ
وَعِنْدَكَ بُغْيَتِى وَلَدَيْكَ ثَأْرِى ... وَوُلْدُكَ بَعْدَ مَوْتِكَ لاَ أُرِيحُ(١)

قال عمارة بن زيد: لما هرب قابيل، أرسل الله إليه ملكًا فقال له: أين أخوك هابيل ؟ فقال: ما كنت عليه رقيبًا، فقال له الملك: إن الله يقول لك: إن صوت أخيك لينادى من الأرض أنك قتلته، فمن الآن أنت ملعون، وإذا عملت بيدك حرثًا؛ فإن الأرض لا تعطيك شيئًا أبدًا، ولا تزال فزعًا تائهًا فى الأرض أبدًا، وإنه سيقتل خيار ولدك، ويكون موتك أسفًا على من قتل من ذريتك، ثم انصرف الملك عنه، فقال: لقد عظمت مصيبتى، من أين يغفرها لى ربى ؟ ثم إنه سلَّط الله عليه الفزع من كل شىء لو مَرَّ به الذباب، توهم أنه يقتله، وكان طول عمره حزينًا خائفًا، وإبليس معه فى شرقى عدن.

وبقى آدم مائة سنة حزينًا لا يضحك، فأوحى الله إليه: يا آدم، إن الله يعزيك ويأمرك بالصبر؛ ليوجب لك الأجر؛ فلا تكبرنَّ عليك مصيبة قابيل؛ فقد وجبت عليه اللعنة، وهابيل أجعله قائد الشهداء يوم القيامة إلى الجنة، وقابيل قرين إبليس فى

(١) ينظر: تاريخ الطبري (١/ ١٤٥)، ومروج الذهب (١/ ٣٦-٣٧)، والمنتظم (١/ ٢٢٤)، ومرآة الزمان (١/ ٢١٧-٢١٨). وقد أنكر ابن عباس هذا الشعر وقال: من قال إن آدم قال شعرًا فقد كذب على الله ورسوله، ورمى آدم بالمآثم، إن محمدًا ﷺ والأنبياء كلهم في النهي عن الشعر سواء.

النار، فتعزَّ أنت وحواء، وقولا: إنا لله وإنا إليه راجعون، وأنا واهب لك ولدًا صديقًا نبيًا، فى ذريته الملك والنبوة إلى يوم القيامة، وعلامته أن يولد وحده، فإذا ولد فسمه شيئًا هبة الله. فضحك آدم - عليه السلام - وخرج من الحرم، فبشر حواء بذلك.

ثم إن قابيل استحوذ عليه الشيطان، وحمل أخته إقليميا إلى صحارى عدن، فنكحها خلافًا لأبيه وربه، فأتى منها بأولاد انتشروا فى الأرض، ونكح بعضهم بعضًا من أم وأخت وعمة وخالة، وأطاعوا إبليس، فكانوا حزبه، وآدم ينهى بنيه أن يقربوا الأرض التى هم فيها، فكانوا لا يقربونهم ولا يجاورونهم.

وأما وفاة آدم - عليه السلام -: فقد روى الشيخ أبو عبد الله محمد بن سعيد - رحمه الله -: أن الله سبحانه أمر آدم أن يتقدَّم إلى شيث بالوصية، وأخذ العهد عليه والميثاق بأنه خليفته على بنيه، وألا يضع النور الذى فى جبهته إلا فى الطاهرات من النساء. فسجد آدم شكرًا لله تعالى، وأخذ على ولده العهد والميثاق بذلك، وأمره أنه إذا انتقل النور إلى ولده أن يأخذ عليه العهد كذلك. ثم إنه جمع أولاده وأشهدهم على شيث، وأعلمهم أنه وصيه، وأمرهم بطاعته وعدم معصيته، وحذَّرهم بنى قابيل اللعين؛ فإنهم مع إبليس وجنوده عدوّ لى وعدو لكم، ثم قال: وأمكم حواء أشفقوا عليها، وتحننوا على إخوتكم، والطفوا بأولادكم، ولا تؤثروا شيئًا على طاعة ربكم، وحجوا واقضوا مناسككم كما رأيتمونى أقضى، وقرِّبوا القربان؛ لتعلموا رِضَا الله عنكم.

فلما غمره الوجع والملائكة تعوده وتسأل عنه، وقد أحدق به بنوه، وحواء عند رأسه لا ترقأ لها عبرة لفراقه، فلما مات، علمَّ جبريل ابنه شيث غسله وتكفينه والصلاة عليه.

وأما مدفنه: ففيه خلاف بين الأمم، فقال قوم من أهل الكتاب: دفن فى مشارق الفردوس.

وقال على بن أبى طالب: دفن بمكة.

وعن ابن عباس - رضى الله عنهما -: دفن فى غار بجبل أبى قبيس، يقال له: غار الكنز.

وقيل: بمنى عند منارة مسجد الخيف؛ قاله الذهبى فى تاريخ دول الإسلام، وعمره ألف سنة.

وفى مختصر ربيع الأبرار لابن سلكويه: أن آدم لما احتضر قال لابنه: أوصيك أن تطلى جسدى بدهن ومر ولبان مما أهبط عليه من الجنة؛ فإنه إذا طلى به الميت، لم ينفصلْ شىء من عظامه حتى يبعثه الله تعالى. وأوصيك أن يكون معك دهن ومر حيثما ذهبت؛ فإن الشيطان لايقربك، وأن تجعل جسدى فى تابوت، وتجعلنى فى مفازة فى وسط الأرض.

ومات يوم الجمعة، وصلى عليه فى الساعة التى أخرج فيها من الجنة لستٍّ ليال خلون من نيسان، وعمره تسعمائة وستون سنة أو ألف.

وقيل: إنه مات عن أربعين ألفًا من ولده وولد ولده.

وفى مروج الذهب للمسعودى [١]: توفى عن ألفَىْ ألف من ولده وولد ولده، وناحوا عليه مائة وأربعين يومًا.

وفى كتاب الوصية: ثم حمل نوح جسده زمن الطوفان فى السفينة، وجعله فاصلاً حاجزًا بين الذكور والإناث من كل نوع، كما سيأتى عند ذكر نوح، عليه الصلاة والسلام.

وأما حواء: فعن وهب: أنها لم تعرف بموت آدم حتى سمعت بكاءَ الوحوش والطير، فقامت فزعة وصاحَتْ صيحة شديدة، فأقبل إليها جبريل وصبرها؛ فلم تصبر دون أن لطمت وجهها ودقَّتْ صدرها، فورث ذلك بناتها إلى يوم القيامة. ثم إنها لزمت قبر آدم أربعين يومًا لا تطعم الزاد ولا الرقاد، فأخبرها جبريل باقتراب أجلها. فشهقت شهقة عظيمة ومرضت مرضًا شديدًا، وهبط ملك الموت فسقاها شراب الموت، ففارقت الدنيا.

وفى كتاب المبتدا: أنه لما مات آدم، جزعت عليه حواء جزعًا شديدًا ولم تنم ليلاً ولا نهارًا، ولم تأكلْ إلا ما يسد رمقها، ولم تمس طيبًا ولا توسدتْ بوسادة، وكانت تخرج فى كل ثلاث ساعات إلى قبر آدم فى بناتها تبكيه، فأرسل الله إليها جبريل سلاها وأمرها بالصبر، فسجدت شكرًا لله تعالى، ولم تلبث بعد ذلك إلا قليلا. ذكر أنها عاشت بعده ستة أشهر، وأنها لما حضرتها الوفاة، شدد الله عليها النزاع؛ ليكفر بذلك خطيئتها ويرفع درجتها، ودعت أكبر بناتها وهى فهوائيل،

---

(١) ينظر: مروج الذهب (١/ ٣٨).

وكانت تشبهها فى جمالها وكمالها، وقالت لها: يا بنية، إنى أحس بالموت الذى أخذ أباك، وقد اضطرب جسمى، وطار نومى، وخفق فؤادى. خمرى رأسى، وشدى علىَّ ثيابى، وطهرى بيتى ومصلاى ومحرابى وفراشى وما حولى؛ فيوشك أن يحضرنى رُسُلُ ربى، وربما أغلب من هول ما ينزل بى، فيتغير عقلي، وينكشف بعض بدنى، فلا تغفلى عنى، ولا تفترى عن ذكر الله عند رأسى، فإذا أنا مت، فغمضى عينى، وشدى لحيى إلى رأسى، وسجينى بثوبى، وخمرى رأسى ووجهى، واستقبلى به قبلة ربى، ومددى أعضائى. أى بنية، أحسُّ روحى من كل عرق تجذب، ومن كل عظم تنزع، ونفسى كأنما تخرج من سَمِّ الخياط، وكأنى بين السماء والأرض. وإذا خرجت روحى، فتولى أنت غسلى بالماء والسدر وترًا، وكفنينى فى أطهر أثوابى، وذرى على شيئًا من الطيب الذى لا لون له، وعليك بالدعاء عند موتى، وعليك بحفظ بعلك ورحمة ولدك والتحنن على إخوتك وقلة المخالفة لهم، والله خليفتى عليك.

ثم توجهت إلى القبلة وبكت وقالت: إلهى، أمتك وأم نبيك محمد ﷺ إلا ما هوَّنتَ على أمتك سكراتِ الموت، يا رب، والحياء منك يمنعنى أن أسألك ما سألك آدم عند موته من ريحان الجنة وثمارها. فبكت الملائكة لها، وسألت الله أن يهون عليها الموت، فقال: أنا أرحم بأمَتى منكم، وأنا أرحم الراحمين. وأوحى الله إلى رضوان أن يخرج من حور الجنة عشرة بريحان وثمار ويبشرنها بالرضا والمغفرة والعود إلى الجنان. فخرجْنَ بأيديهنَّ أطباق الذهب والياقوت مخمرة بمناديل من الإستبرق من ثمار الجنة ورياحينها، ويبشرنها بالجنة، فوضعته على عينها وشمته وبكت، وقالت: أليس ربى راضيًا عنى ؟ فقلنَ: بلى يا حواء، وأنت صائرة إلى الجنة حيث صار آدم، فخفف عن حواء بهذه البشارة، وهبط ملك الموت وأمره الله أن يسهل عليها، فماتت حواء - صلوات الله عليها - فبكين بناتها، وفهوائيل فعلت ما أمرتها، وأنزل الله كفنًا وخيوطًا من الجنة، فكفنتها فيه فهوائيل، وأعلمت إخوتها فصلى عليها ابنها شيث، كما صلى على أبيه آدم، ثم دفنها بالقرب منه.

وكان موتها يوم الجمعة، وبكت عليهما السماء والأرض، وجاء إبليس - لعنه الله - إلى قبريهما وبكى عليهما مليًا وانتحب، ثم قال يرثيهما بهذه الأبيات: [من

مجزوء الكامل]

قَدْ مُتما وَسَبَقْتُمَانِى وَحَلَلْتُمَا دَار الأَمَانِ
وبقِيتُ بَعْدَكُمَا عَلَى سَنَنِ المَذَلَّةِ وَالْهَوَانِ
مُتَفَرِّدًا بِغَوَايَةِ الـ ثقلَينِ مِنْ إِنْسٍ وَجَانِ
وَمَطِيَّتِى مَوْقُوفَةٌ بَيْنَ التَّلَهُّبِ والأَمَانِ
إِذْ مَا بَقِيتُ ومتُّمَا فَإِلَيْكُمَا أَمَدًا رِهَانِى

وفى إبليس وآدم والحية والطاوس وحواء يقول عدى بن زيد قصيدة يذكر فيها بدء الخلق إلى أن وصل إلى قصة آدم وحواء - عليهما السلام - فقال: [من البسيط]

سَعَى الرَّجِيمُ إِلَى حَوًّا بِوَسْوَسَةٍ غَوَتْ بِهَا وَغَوَى مَعْهَا أَبُو البَشَرِ
خَلْقَانِ، مِنْ مَارِجٍ إِنْشَاءُ خِلْقَتِهِ وَآخَرٌ مِنْ تُرَابِ الأَرْضِ وَالْمَدَرِ
أَنْشَاهُمَا لِيُطِيعَاهُ فَخَالَفَهُ إِبْلِيسُ عَنْ أَمْرِهِ لِلْحَيْنِ وَالْقَدَرِ
فَأَبْلَسَ اللهُ إِبْلِيسًا وَأَسْكَنَهُ دَارًا مِنَ الخُلْدِ بَيْنَ الروضِ وَالشَّجَرِ
فَاغْتَاظَ إِبْلِيسُ مِنْ بَغْيٍ وَمِنْ حَسَدٍ فَاحْتَالَ لِلْحَيَّةِ الرَّقْطَاءِ وَالطيرِ
فَأَدْخَلَاهُ بِأَيْمَانٍ مُؤَكَّدَةٍ أَعْطَاهُمَا بِيَمِينٍ كَاذِبٍ غَدِرِ
هُنَاكَ سَرَّ إِلَى حَوًّا بِوَسْوَسَةٍ أَرْدَتْ بِغِرَّتِهَا مَعْهَا أَخَا الْقَدَرِ
فَأُهْبِطُوا بِمَعَاصِيهِمْ وَكُلُّهُمُ فَانِى المَحَلِّ فَقِيدُ الْعَيْنِ وَالأَثَرِ
فَأَهْبَطَ اللهُ إِبْلِيسًا وَأَوْعَدَهُ نَارًا تَلَهَّبُ بِالتَّسْعِيرِ وَالشرَرِ
وَأَنْزَلَ اللهُ لِلطَّاوُسِ رَحْمَتَهُ مِنْ صَوْتِهِ وَرَمَى رِجْلَيْهِ بِالنُّكرِ
وَأَعْقَبَ الْحَيَّةَ الْحَسْنَاءَ حِينَ عَصَتْ مَسْحَ الْقَوَائِمِ بَعْدَ السَّعْيِ كَالْبَقَرِ
وَأَعْقَبَ الله حَوًّا بِالَّذِى فَعَلَتْ بِالطَّمْثِ وَالطَّلْقِ وَالأَحْزَانِ وَالْفِكَرِ

وَلما مَاتَ آدمُ وحواءُ، طمعَ إبليسُ فِى بَنِيهِما، وَجَاءَ إِلى شيث، فسلمَ عليه وكلمَه كلامًا أظهر فيه الندم على فعله بأبيه وأمه ما فعل، وأن يكونَ عونه على أولاد قابيل، فلعنه شيث وطرده وتهدَّده بأنه يدعو عليه وإن كان مُنْظَرًا، فخرجَ إبليسُ مِنْ بينِ يديه خائفًا أن يدعو عليه فيجتمع عليه خزى الدنيا وعذاب الآخرة، فولى آيسًا منه.

وقام شيث فى بنيه وإخوته خطيبًا، وأعلمهم ما أراد إبليس، وحذَّرهم منه ومن أولاد قابيل، قال: فإنهم أعداؤكم فى الدين وحزب إبليس، فجعل بعضهم يحذر

بعضًا من مخالطة بنى قابيل والتحرُّز مما نهاهم الله عنه.

ولما أيس إبليس من شيث، رجع إلى قابيل، وزين له ألاَّ يمنع ذكرًا من إخوته وبناته ليكثر النسل، وأن يبيحهم الشركة الواحد والاثنين والثلاثة فى الواحدة ولايمنعهم مرادهم، فقبل قابيل قوله، واشترك الجماعة فى الواحدة، وما من ولد إلا وإبليس له فيه شركة. وكان لإبليس أولاد فاختلطوا معهم وتربوا جميعًا.

(تذنيب) عن مقاتل قال: قلتُ لأبى عبد الله: كم كان طول آدم - عليه الصلاة والسلام - حين أهبط إلى الأرض، وحواء كم كان طولها ؟ فقال: وجدنا فى كتاب على - رضى الله عنه - أن الله تعالى لما أهبط آدم وزوجته من الجنة، كانَتْ رجلاه على ثنية الصفا، ورأسه دون أفق السماء، وأنه شكى إلى الله ما يصيبه من حَرِّ الشمس، فصير طوله سبعين ذراعًا بذراعه، وجعل طول حواء خمسًا وثلاثين ذراعًا.

وفى العرائس: كان يمشى بين الجبال والمفاوز، فكل موضع أصاب قدمه صار قرية، وكل موضع استقر فيه صار مدينة، وكل موضع صلى فيه، صار مسجدًا. ولما مضى من الدنيا خمسمائة عام، كثر ولده وولد ولده، فأرسل الله إليه يحكم فيهم بما أنزل الله عليه، وهو خمسون صلاة فى اليوم والليلة، والزكاة والصوم والاغتسال من الجنابة، فحكم بذلك حتى توفاه الله تعالى.

ولما أهبط نزل معه خمسة أشياء:

أحدها: العصا، وهى من آس الجنة، وسبب ذلك أنه كان يأكل الحنطة فبقيت بقية فى أسنانه فأخذ عودًا بعد أن احتاج إلى التخليل، فبقى فى يده يتخلل به فأهبط وهو معه، وتوارثه أبناؤه إلى أن وصل إلى موسى، فصار معجزة له، فهو عصا موسى.

وثانيها: خاتم كان معه، فلما سقطت عنه الحلل، وذهب تاجه عن رأسه، أخذه فجعله فى فيه، فتوارثه الذرية إلى أن وصل إلى سيدنا سليمان بن داود؛ فصار آية ملكه.

وثالثها: الحجر الأسود، وكان من جواهر الجنة، قصده أهل الجنة حين نزل، فأخذه، فتمسك به فصار حجرًا، فأهبط وهو معه، فأمر بجعله ركنًا من أركان الكعبة.

ورابعها: قطعة من عود من شجر لم يبك عليه، فوثب [1] فحرق بالنار، فاعتذر فجعل منه الطيب.

---

(١) كذا بالأصل. ولعلها: فعوقب.

وخامسها: ورق التين وارى هو وحواء به سوءاتهما فلما تناثر ذلك بعد بنيه(١)، وعريا فى الدنيا، شكا آدم إلى جبريل العُرْىَ، فجاءه بشاة من الجنة لها صوف كثير، وقال له: قل لحواء تغزل من هذا الصوف وتنسج، فمنه لباسك ولباسها، فغزلت ونسجت.

ولما كانت حواء سببًا لأكل آدم من القمح وعريه، جعل عليها أن تغزل وتكسوه، ولما ثقل عليها ذلك العمل، جعل نفقتها عليه، ولما ثقل عليه، جعل حظ الزوج فى الميراث ضعف حظ الزوجة. كذا فى المدارك.

قال العلامة ابن الضياء فى البحر العميق: أهبط آدم من باب التوبة، وحواء من باب الرحمة، وإبليس من باب اللعنة، والطاوس من باب الغضب، والحية من باب السخط. وأهبط بين الظهر والعصر من باب من سماء الدنيا، يقال له: باب المبزم، حذاء البيت المعمور، وقيل: من باب المعراج، وكان مكثه في الجنة نصف يوم من أيام الآخرة وخمسمائة عام، على سرنديب اسم جبل بالهند، وقيل: على الجودى، ومكث عليه يبكى مائة عام حتى نبت العشب من دموعه، وكان رأسه يمس السحاب، فصلع فتوارثت الصلع ذريته، وحط قامته إلى ستين ذراعًا بذراعه.

ثم ذكر ما يستدلُّ به على قدر ذراعه المستدلّ به على معرفة طول قامته بذراعه فقال: قدم علينا حاجًا عام ست عشرة رجلٌ شريف دلوالي، وذكر أنه دخل بلاد سرنديب، وأن أهلها كفار (٢)، وأنه صعد جبل سرنديب، وكان صعوده فيه من طلوع الفجر، ووصل أعلاه غروب الشمس، قال: وفوق الجبل جبل آخر على هيئة المنارة وقدرها بل أعلى، يصعد إلى أعلى هذا الجبل بسلاسل من حديد يضع الإنسان فيها رجله، ويتعلق إلى أن يصعد إلى أعلاه، وأنه لا يمكن صعوده إلا على هذه الصفة.

قال: وفوق هذا الجبل - أيضًا - جبل صغير فيه أثر قدم أبينا آدم - عليه السلام - غائصًا فى الحجر على سمت القبلة بحيث إن القائم عليه يستقبل القبلة وله

---

(١) كذا بالأصل. ولعلها: بعد ذنبه.

(٢) هذا كلام فيه نظر فكيف يهبط آدم إلى جبل سرنديب ويجد أهلها كفارًا وكل من على الأرض من نسله -عليه السلام- ويحتمل أن المقصود بأهلها من الجن فهم وحدهم الذين سبقوا آدم إلي سكني الأرض.

خمس أصابع، وذكر أنه قاس طول قدمه وعرضه وطول إبهامه بمنديل كان معه وعلّم على ذلك علامات.

قال العلامة ابن الضياء المذكور: فرأيت هذا المنديل معه، فقست طول قدمه من رأس الإبهام إلى آخر العقب، فكانت ثلاثة أذرع وثلثى ذراع، وطول إبهامه إلى المفصل شبر وعرض القدم ثلاثة أشبار وأربع أصابع، كل ذلك بذراع الحديد.

وذكر ذلك السيد أنه لم ير إلا قدمًا واحدًا، وأن تحته غديرًا فى صخرة ممتلئًا ماء أحلى من العسل، وله عينان تجريان إحداهما عن يمين القدم، والأخرى عن يساره ينصبّان إلى أسفل الجبل ثم إلى البحر، ومسيل ماء العينين بشم وتراب العين اليمين سيلان، وذكر أن المطر لايزالُ على هذا الجبل فى كل يومٍ من أيام السنة لا ينقطعُ أصلاً، ولكنه فى بعض الأيام رشاش بغير جود. انتهى كلام ابن الضياء فى بحره.

ووجه حصول الفائدة بمقدار طول آدم يؤخذ من معرفتنا لطول قدمه؛ إذ المعلوم أن مقدار القدم شبر، وأن الشبر نصف ذراع صاحبه؛ فشبران منه هما مقدار الذراع منه من المفصل إلى رءوس أصابع اليد ، فيكون طول ذراع آدم - عليه السلام - سبعة أذرع وثلث ذراع بذراع الحديد، فحيث كان طوله ستين ذراعًا بذراع نفسه فيكون أربعمائة وأربعين ذراعًا بذراع الحديد. وهذه فائدة قل أن توجد، فلله الحمد.

(فائدة) فى بيان زمان خلق آدم - عليه السلام - قال فى الفتوحات المكية: انتهى خلق المولدات من الجمادات والنباتات والحيوانات بانتهاء إحدى وسبعين ألفًا.

قال بعض من تكلم على ذلك: مراد الشيخ أن مدة خلق الإنسان من الأفلاك والدنيا والآخرة والجنة والنار كلها فى هذه المدة.

قال: فلما خلق الله الفلك الأول، دار دورة غير معلومة الانتهاء لغير الله تعالى؛ لأنه ليس فوقه شىء محدود من الأجرام يقطع فيه، وإلا كان خلق فى جوفه شىء متميز الحركة؛ فدار أربعة وخمسين ألف سنة من السنين المذكورة، وهى الإحدى والسبعين ألف سنة، فخلق الدنيا على انتهاء أربع وخمسين ألف سنة. ثم بعد ٩٠٠٠ سنة خلق الآخرة، أى: الجنة والنار، فكانت بعد مضى ثلاث وستين ألف سنة من الماضى من ٧١٠٠٠، ثم لما وصل الوقت المعين فى علمه تعالى لإيجاد هذا الخليفة، بعد أن مضى من عمر الدنيا سبعة عشر ألف سنة، ومن الآخرة ثمانية آلاف

سنة - أمر الله بعض ملائكته أن يأتيه بقبضة من كل أجناس تربة الأرض، فأتاه بها إلى آخر الخلق، وهو معلوم. انتهى.

وبالاختصار: فخلق المولدات إحدى وسبعون ألفًا، فالفلك هو الأول، ثم بعد أربع وخمسين ألف سنة خلق الدنيا، ثم بعد ثلاث وستين ألفًا خلق الآخرة، ثم بعد واحد وسبعين ألف سنة، خلق آدم، فخلقه بعد مضيِّ إحدى وسبعين ألف سنة من العالم الطبيعى. وهذا ملخَّصُ كلامه فى الفتوحات فى الباب السابع والمائتين منها.

وبالإسناد المتقدم عن ابن بابويه قال: حدثنا أبو الحسن على بن عبد الله بن أحمد الأسوارى، حدثنا محمد، عن محمد بن ميمون، عن الحسن، عن أبى بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: إن أباكم كان طوالاً كالنخلة السحوق ستين ذراعًا [1].

وفى كتاب نقش الخواتيم: اتخذ آدم خاتمًا مكتوبًا عليه: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علىٌّ ولىُّ الله، والجمهور يخالف هذا. وسئل أمير المؤمنين عن خلق الشعير مم؟ فقال: إن الله أمر آدم أن ازرع مهما اخترْتَ لنفسك، وجاءه جبريل بقبضة من الجنة من الحنطة، فقبض آدم على قبضة، وحواء على قبضة، فقال آدم: لا تزرعى أنتِ. فلم تقبل، فزرع آدم جاء حنطة، وزرع حواء جاء شعيرًا.

(تكميلٌ) فيه تعليلٌ: ذكَرَ الشيخ الجليل عماد الإسلام محيى الدين أبو عبد الله محمد بن على المعروف بابن عربى - قدس الله سره - فى كتاب فصوص الحكم[2]: أن الله أوجد العالم كله وجود شبح مسوى لا روح فيه، وكان كمرآة غير مجلوة، فكان آدم عين جلاء تلك المرآة، وروح تلك الصورة التى هى صورة العالم

---

(١) أخرجه الطبري في « تاريخه » (١/ ١٦٠) من طريق محمد بن إسحاق عن الحسن بن ذكوان عن الحسن عن أبي بن كعب به وأخرجه أبو الشيخ في « العظمة » (١٠١٩) من طريق محمد ابن إسحاق عن محمد بن ميمون عن الحسن عن أبي، ومحمد بن إسحاق مدلس وقد عنعنه. وله طريق آخر: أخرجه أحمد في الزهد ص(٤٨) وابن أبي حاتم في « تفسيره » كما في « تفسير ابن كثير » (٣/ ١٦٨) من طريق قتادة عن الحسن عن أبي بن كعب، والحسن لم يسمع من أبي. قال ابن كثير: وهذا منقطع بين الحسن وأبي بن كعب فلم يسمعه منه، وفي رفعه نظر أيضًا.

(٢) كتاب فصوص الحكم لمحيى الدين بن عربي، وقد تعدد فيه القيل والقال، وكثر النزاع والجدال، فالأولى ترك النظر فيه، وعدم الالتفات إليه تأسيًا بقوله ﷺ: « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ». ينظر: « كشف الظنون » (٢/ ١٢٦٤).

المعبَّر عنها فى اصطلاح القوم بالإنسان الكبير، فكانت الملائكة كالقُوَى الروحانية والحسية التى هى النشأة الإنسانية. قال الشارح الإمام عبد الرزاق بن أبى الغنائم الفاسى - رحمه الله تعالى -: فكانت القوى الروحانية النفسانية ملائكة وجود الإنسان؛ لأن قوى العالم اجتمعَتْ فيه بأسرها؛ فالإنسان عالم صغير، والعالم إنسان كبير بوجود الإنسان فيه؛ لأن أحدية جميع الموجود التى ناسب بها العالم الحضرة الإلهية لم توجد فى جميع أجزائه إلا فى الإنسان، وكان الإنسان مختصرًا من الحضرة الإلهية؛ ولهذا قال: إن الله خلق آدم على صورته، ويسمى هذا المذكور إنسانًا وخليفة، فأما الإنسانية فلأن نشأته تحوى الحقائق كلها، وجميع مراتب الوجود العلوية والسفلية بأحدية الجمع الذى ناسب بها حقيقة الحقائق، وهى الجمعية المذكورة؛ إذ لا شىء فى النشأتين إلا وهو موجود فيه، أى: لا مرتبة فى الوجود إلا وشىء منها فيه، فناسب الكل، وأنس به، فسمى إنسانًا؛ لأنه عالم صغير، والعالم يسمى إنسانًا كبيرًا باعتبار آخر، وهو أنه يلحق بمنزلة إنسان العين من العين الذى به يكون النظر، وهو المعبر عنه بالبصر؛ لأن الله تعالى نظر به إلى الخلق فرحمهم؛ فلهذا سمى إنسانًا أيضًا، فتم العالم ووجوده بمظهريته لأسمائه تعالى كلها.

قال الشيخ: فهو من العالم كفصِّ الخاتم من الخاتم، وهو محل النقش والعلامة التى يختم الملك بها خزائنه، وشبه العالم بالخاتم؛ لأنه خلقه، ومن حيث إن الإنسان من جملة أجزاء العالم، انتقش بنقوش العلوم التى فى الحضرة الإلهية، وحمل سرَّ أسمائه وصفاته، وختم به العالم بأسره، فشبهه بالفص من الخاتم، وسماه خليفة؛ لأجل هذا؛ لأن نقش اسمه الأعظم، وهو الذات، مع الأسماء كلها منقوش فى قلبه الذى هو فص الخاتم؛ فيحفظ به خزانة العالم بجميع ما فيه على النظام المعلوم والنسق المضبوط؛ لأنه الحافظ خلقه؛ لأن الإنسان الكامل هو الحافظ خلق الله بالحكمة الأحدية والواحدية لأسمائه البالغة التى هى نقش قلبه، وهى العدالة، أعنى: صورة الوحدة فى عالم الكثرة الذى هو خزانة القوابل والآلات كلّها؛ كما يحفظ الختم الخزائن مادام ختم الملك عليها، لا يجسر أحد على فتحها إلا بإذنه؛ فلا يزال العالم محفوظًا مادام فيه هذا الإنسان الكامل، ولو لم يكن آدم كذلك، لم يكن خليفة؛ لأن الخليفة يجب أن يعلم مراد المتخلف وينفذ أمره، ولو

لم يعلم بجميع صفاته، لم يمكنه إنفاذ أمره، وإن لم يكن فيه جميع ما تطلبه الرعايا من الأسماء التى يرث الحق بها جميع من فى العالم من الناس والدواب والأنعام وغيرها، فليس بخليفة عليهم، فما صحت الخلافة إلا للإنسان الكامل، فاستحقاق آدم الخلافة إنما يكون بالصورتين: إنشاء صورته الظاهرة من حقائق العالم، وصورته الباطنة.

قال الشارح - قدس سره -: حيث جمع فيه الحقائق الكونية؛ فلم يبق فى صور العالم وقواه شىء إلا وفيه نظيره وإنشاء صورته الباطنة على صورته تعالى؛ فإنه سميع بصير عالم؛ فيكون متصفًا بالصفات الإلهية متسميًا بأسمائه؛ ولذلك قال: كنت سمعه وبصره، ما قال: كنت عينه وأذنه، ففرق بين الصورتين صورة العالم وصورة الحق، وكما كان الحق فى آدم ظاهرًا بصورته، كذلك فى كل موجود، لكن ليس لشىء من العالم مجموع ما للخليفة.

فإن قلت: فما معنى قول النبى ﷺ: «خلق الله آدم على صورته»[(١)] وهذا يقتضى التجسيم:

فالجواب: أن الهاء فى «صورته» راجعة إلى آدم؛ ردًّا على من يقول: كان آدم عظيم الجثة طويل القامة رأسه قريب من السماء كما فى بعض الأخبار؛ فكان المعنى أن الله خلقه على الصورة التى قبض عليها لم تتغير بزيادة ولا نقصان. ووجه ثان: وهو أن هذا الكلام خرج على سبب معروف؛ لأن الزهرى روى عن الحسن أنه كان يقول: مر رسول الله ﷺ برجلٍ من الأنصار، وهو يضربُ وجه غلام له، وهو يقول: قبح الله وجهك، ووجْهَ من تشبهه، فقال النبى ﷺ: بئسما قلت؛ فإن الله خلق آدم على صورته، يعنى: صورة المضروب. وذكر السيد المرتضى - رضى الله عنه - فى التنزيه جواباتٍ أُخَرَ لا نطول بذكرها، وما أومأ إليه الشيخ - قدس سره - أدقّ طريقة وأحسن معنًى، ومن تأمل غرائب خلقة آدم وما احتوت عليه من إحكام التركيب على ما ذكره المشرِّحُونَ، علم أن بارئه واحدٌ لا ثانيَ له: [من المتقارب]

وَفِى كُلِّ شَىءٍ لَهُ آيَةٌ   تَـدُلُّ عَـلَـى أَنَّـهُ وَاحِـدُ

---

(١) أخرجه مسلم (٤/٢٠١٧)، كتاب البر والصلة باب في النهي عن ضرب الوجه حديث (١١٥/٢٦١٢) من حديث أبي هريرة بلفظ: «إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه فإن الله خلق آدم على صورته».

ودفنت حواء إلى جانب آدم، رأسها إلى رأسه ورجلاها عند رجليه.

قلت: كذا ذكر عن وهب، وأكثر الرواة على أنها دفنت بجدة بالمحل المعروف بها.

(قابيل) عليه اللعنة: كان آخر هلاك نسله فى زمن الطوفان، وكانوا أعداء لأولاد شيث - عليه السلام - ولم يبق الطوفان منهم أحدًا. زوجته إقليميا أخته وكان أكبر أولاده شوهل، رزقه الله من الجمال والحسن ما لم يرزق أحدًا من ولد آدم، وكذا توءمته، واسمها نوهة، وكان تسلم جميع أمور أبيه، وذلك أن قابيل لما قتل أخاه، دعا عليه آدم وحواء، فذهل عقله، فكان لا يعى قولاً ولايفقه شيئًا، فتلاعَبَ به إبليس، وقال له: إن أباك آدم وأمك حواء قد ماتا وما بقى من يقوم مقامه، والرأى أن تغزو أخاك ومن معه قبل أن يغزوكم، فلم يبق لك منه مخافة، ولا سيما ومعنا عنق بنت أبيك آدم، وقد علمتَ قوتها وطاعة الجنّ لها بما معها من السحر، فأرسل قابيل ابنه شوهل، وأمره بطاعة إبليس فيما يشير إليه فى قتال شيث. ثم أرسل إلى عنق فبادرت إليه بالمردة، ولم يكن سلاح إلا السكاكين على مثال التى ذبح بها آدم قربانه، فأخذوها وشدُّوا أزُرهم، وساروا نحو شيث.

وأوحى الله إلى شيث يعلمه، ووعده بالنصر عليهم، فجمع شيث إخوته وبنيه، فأعدُّوا لهم، وأخذوا عصيهم وسكاكينهم، وجلسوا ينتظرون حتى قرب بنو قابيل وإبليس ومردته، وهو الملك على الجن، وعنق المقدمة على المردة والسحرة، فأمر شيث بالخروج إليهم، فشدُّوا عليهم أزُرهم وأخذوا مديهم بأيمانهم وعصيهم، وخرجوا إلى ملتقاهم، وكان أول قتال جرى بين بنى آدم مما يلى الطائف.

وأخرج شيث الصحف، وتوسل إلى الله بها، وإخوته يؤمنون على دعائه، وبرزت بنو قابيل للقتال، وشبت الحرب بينهم وشيث كاره، وأنزل الله عليه النصر، وكلما عملت السحرة شيئًا، أبطله الله تعالى، فلما صار وقت الظهر، توسل شيث إلى الله تعالى بأنوار محمد ﷺ، فأمر الله جبريل أن ينزل ومعه من الملائكة مدد، فلما رأى إبليس ذلك، قال لمردته: اتركوا بنى آدم بعضهم لبعض؛ فلا قدرة لكم على الملائكة. ثم غاص فى الأرض هاربًا وبنوه خلفه، وقتلت الملائكة منهم بحرابها ما لا يحصى، وانهزم ولد قابيل؛ لا نهزام الجن، وقتل منهم المؤمنون خلقًا كثيرًا وهرب الباقون.

وعرض شيث على الأسرى الإيمان، فأبوا، فأمر بقتلهم، ولم يبق منهم أحد، ورد الله كيد إبليس فى نحره وغَلب جندُ الله، ورجع شوهل وقد خلص من القتل إلى أبيه بمن سلم معه، وأعلمه بمن قتل من أولاده، فحزن قابيل ومات أسفًا وحزنًا وحسرةً وندامة كما أعلمه الملك.

فَلَمّا هلكَ قابيل، فرح إبليس بموته، وكان قد اختفَى منه لئلا يوبخه على رأيه ومشورته وهربه، وعلم أنه بموته يتمكن من بنيه، فأظهر الحزن، وقال: لا تدفنوه وأنا أصنعُ لكم تمثالاً من الحجارة، فأدخلوه فيه، واجعلوه فى بيت من بيوتكم، فإذا أراد أحدكم أن يراه فليدخلْ إليه ويسلم عليه فتكونون كأنكم لم تفقدوه؛ حيلة واستدراجًا منه لعبادة الأصنام، فنحت لهم حجرًا من البلور، وصور فيه صورته، وجعله مجوفًا قطعتين تلتصق إحداهما بالأخرى، وأمرهم أن يدخلوه فى ذلك التمثال، وأمر ألاَّ يدخل عليه أحد إلا بأمر شوهل، وأن كل من يدخل إليه يسجد له ثلاث سجدات ويقبِّلُ يده، وجعله عيدًا فى كل سنة مثل اليوم الذى مات فيه، فإذا كان ذلك اليوم يدخلون أفواجًا أفواجًا وقد رفع غشاوه وهو من وراء البلور كأنه حىّ، وإذا خلا به شوهل يخاطبه إبليس على لسان الصنم؛ فيظن شوهل أنه قابيل ولايكلِّم سواه، ووكل إبليس بالصنم ماردًا يسمع حوائج من يدخل إليه فيجىء بها إلى إبليس يومًا بيوم، فإذا كان الليل، أراه فى منامه ما يفعل فى الذى أراد استدراجًا لكفرهم وهم لايشعرون، فبقوا على ذلك مدة، وقد بلغ إبليس منهم مراده.

وقد روينا عن محمد بن موسى المتوكل، عن عبد الله بن جعفر، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن محجوب، عن محمد بن النعمان الأحول، عن يزيد بن معاوية، قال: سمعت أبا جعفر يقول فى مسجد النبى ﷺ: إن إبليس اللعين أول ما صور صورة على مثال آدم ليفتن به الناس ويضلهم عن عبادة الله تعالى، وكان وُدّ فى ولد قابيل، وكان خليفة قابيل على ولده وعلى من بحضرتهم فى سفح الجبل يعظمونه ويسودونه، فلما أن مات، جزع عليه إخوته وخلف عليهم ابنًا يقال له سُوَاع، فلم يغن غناء أبيه منهم، فأتاهم إبليس فى صورة شيخ، فقال: قد بلغنى ما أصبتم به من موت ود عظيمكم، فهل لكم أن أصور لكم على مثالِ ودّ صورةً تستريحون إليها وتأنسون بها ؟ فقالوا: افعل، فعمد الخبيث إلى الآنَكِ[1]، فأذابه

(١) الآنك: الرصاص الأسود. ينظر: المعجم الوسيط (أنك).

حتى صار مثل الماء، ثم صور لهم صورة مثل ود فى بيته، فتدافعوا على الصورة يلثمونها ويضعون خدودهم عليها ويسجدون إليها. وأحبَّ سواع أن يكون التعظيمُ والسجودُ له، فوثب على صورة ودّ، فحكها حتى لم يدعْ منها شيئًا، وهموا بقتل سواع فوعظهم، وقال: أنا أقومُ لكم بما كان يقومُ به ود، وأنا ابنه، فإن قتلتمونى لم يكنْ لكم رئيس، فمالوا إلى سواع بالتعظيم والطاعة، ثم لم يلبث سواع أن مات، وخلَفَ ابنًا يقال له: يَغُوث، فجزعوا على سواع، فأتاهم إبليس، وقال: أنا الذى صورت لكم صورة ود، فهل لكم أن أجعل لكم مثال سواع على وجه لا يستطيع أحد أن يغيره ؟ قالوا: فافعل، فعمد إلى عود من شجر الخلاف، فنجره ونصبه لهم فى منزل سواع، وإنما سمى ذلك العود خلافًا؛ لأن إبليس عمل منه صورة سواع على خلاف صورة ود، فسجدوا له وعظموه، وقالوا ليغوث: ما نأمنك على هذا الصنم أن تكيده كما كاد أبوك مثال ود، فوضعوا على البيت حراسًا وحجابًا، ثم كانوا يأتون الصنم فى يوم واحد، ويعظمونه أشد مما كانوا يعظمون سواعًا، فلما رأى ذلك يغوث، قتل الحراس والحجاب ليلاً، وجعل الصنم رميما، فلما بلغهم ذلك أقبلوا ليقتلوه، فتوارى منهم، فطلبوه، ورأسوه، وعظموه ثم مات وخلف ابنًا يقال له: يَعُوق، فأتاهم إبليس فقال: قد بلغنى موت يغوث، وأنا جاعل لكم مثاله فى شىء لا يقدر أحد أن يغيره، قالوا: فافعل، فعمد الخبيث إلى حجر جزع أبيض، فنقره بالحديد حتى صور لهم مثال يغوث، فعظموه أشد مما مضى، وبنوا عليه بيتًا من الحجر، وتبايعوا ألاَّ يفتحوا باب ذلك البيت إلا فى رأس كل سنة وسميت البيعة حينئذٍ؛ لأنهم تبايعوا وتعاقدوا عليه؛ فاشتد ذلك على يعوق، فعمد إلى ريطة وحلفاء، فألقاها فى الحائط بالنار ليلاً فأصبح القوم وقد احترق البيت والصنم والحرس وارفضَّ الصنم ملقى، فجزعوا، وهموا بقتل يعوق، فقال لهم: إن قتلتم رئيسكم، فسدتْ أموركم، فلم يلبثْ أن مات يعوق، وخلف ابنًا يقال له: نسرٌ، فأتاهم إبليس فقال لهم: بلغنى موت عظيمكم، فأنا جاعل لكم مثال يعوق فى شىء لايبلى، فقالوا: افعل، فعمد إلى الذهب وأوقد عليه النار حتى صار كالماء، وعمل مثالاً من الطين على صورة يعوق، ثم أفرغ الذهب فيه، ثم نصبه لهم فى ديرهم، واشتد ذلك على نسر، ولم يقدر على دخول ذلك الدير، فانحاز عنهم فى قرية قريبة من إخوته يعبدون نسرًا والآخرون يعبدون الصنم، حتى مات نسر، وظهرت نبوَّةُ

إدريس - عليه السلام - فبلغه حال القوم، وأنهم يعبدون صنمًا على مثال يعوق، وأن نسرًا كان يعبد من دون الله، فسار إليهم بمن معه حتى نزل مدينة نسر وهم فيها، وهزمهم وقتل من قتل وهرب من هرب، فتفرقوا فى البلاد، وأمر بالصنم فحمل وألقى فى البحر، فاتخذت كل فرقة منهم صنمًا، وسموها بأسمائها، فلم يزالوا بعد ذلك قرنًا بعد قرن لا يعرفون إلا تلك الأسماء.

ثم ظهرت نبوة نوح - عليه السلام - فدعاهم إلى عبادة الله تعالى وحده، وترك ما كانوا يعبدون من الأصنام، فقال بعضهم: ﴿ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ [نوح: ٢٣] فعلى هذا كانت - بسبب أولاد قابيل، لعنة الله - عبادة الأصنام.

وفى العلل: أن أصل عبادة النيران قابيل - لعنه الله - فإنه لما لم يتقبل الله منه قربانه، أتاه إبليس، وقال له: إنما قبلت النار قربان أخيك؛ لأنه يعبدها، فقال: وأنا أعبد نارًا أخرى، فبنى بيوت النار، ولم يرث منه ولده إلا عبادة النيران. وهو أول من بنى للنار البيوت.

وعن ابن بابويه، عن محمد بن على ماجيلويه، عن محمد بن يحيى العطار، عن الحسين بن الحسن بن أبان، عن ابن أورمة، عن عمر بن عثمان، عن العبقرى، عن أسباط، عن رجل حدثه عن على بن الحسين؛ أن طاوسًا قال فى المسجد الحرام: أول دم وقع على وجه الأرض دم هابيل حين قتله قابيل، وهو يومئذ قتل ربع الناس، فقال زين العابدين: ليس كما قال؛ إن أول دم وقع على الأرض دم حواء حين حاضت يومئذ، فقتل سدس الناس، كان يومئذ آدم وحواء وقابيل وهابيل وأختاهما بنتين كانتا. ثم قال: هل تدرون ما صنع بقابيل ؟ فقال القوم: لا ندرى، فقال: وكل الله به ملكين يطلعانه مع الشمس إذا طلعت، ويغربان به إذا غربت، وينضحانه بالماء الحار فى حر الشمس حتى تقوم الساعة.

وبهذا الإسناد عن ابن أورمة، عن الحسن بن على، عن ابن أبى بكير، عن أبى جعفر: إن بالمدينة لرجلاً أتى المكان الذى فيه ابن آدم، فرآه معقولاً مع عشرة موكلين به يستقبلون بوجهه الشمس، حيث ما دارت فى الصيف، ويوقدون حوله النار، فإذا كان الشتاء، يصبون عليه الماء البارد، وكلما هلك رجل من العشرة،

أخرج أهل القرية رجلاً فقال له: يا عبد الله، ما قصتك ؟ لأى شىء ابتليت بهذا ؟ فقال: لقد سألتنى عن مسألة ما سألنى أحد عنها قبلك، أنت أكيس الناس، وإنك لأحمق الناس.

وبهذا الإسناد عن ابن أورمة، عن عبد الله بن محمد، عن حماد بن عثمان، عن أبى عبد الله قال: كانت الوحوش والطير والسباع وكل شىء خلقه الله مختلطًا بعضه ببعض، فلما قتل ابن آدم أخاه، نفرت وفزعت، فذهب كل شىء إلى شكله.

هابيل: صاحب القربان المقتول زوج أخت قابيل - لعنه الله - وكان آدم - عليه السلام - قسم ماله بينهما؛ فجعل هابيل راعى غنم، وجعل قابيل حراثًا، وكان آدم أمر بتابوت، ثم جعل فيه علمه والأسماء والوصية، ثم دفعه إلى وصية شيث، وقال: إذا حضرتك الوفاة، وأحسسْتَ بذلك من نفسك، فالتمسْ خير ولدك وأكثرهم لك صحبة وأفضلهم، فأوص إليه بما أوصيتُ به إليك.

ولما مات آدم وحواء، طمع إبليس فى بنيهما، وجاء إلى شيث، فسلَّم عليه، وكلَّمه كلامًا أظهر فيه الندم على فعله بأبيه وأمه ما فعل، وأن يكون عونه على أولاد قابيل، فلعنه شيث وطرده وتهدده بأن يدعو عليه، وإن كان مُنْظَرًا، فخرج إبليس آيسًا منه، وقام شيث فى بنيه وإخوته خطيبًا، وأعلمهم ما أراد إبليس وحذَّرهم منه ومن أولاد قابيل، قال: فإنهم أعداؤكم فى الدين، فجعل بعضهم يحذر بعضًا من مخالطة بنى قابيل؛ كما تقدَّم ذكر ذلك.

فلما أيس إبليس من شيث، رجع إلى قابيل، وزين له ألاَّ يمنع ذكرًا من إخوته وبناتِ أخيه ليكثر النسل، وأن يبيح لهم شركة الواحد والاثنين والثلاثة فى الواحدة، ولا يمنعهم مرادهم، فقبل قابيل قوله، واشتركت الجماعة فى الواحدة، وما من ولد إلا وإبليس فيه شركة، وكان لإبليس أولاد فاختلطوا معهم، وتربوا جميعًا، والعياذ بالله تعالى.

وشيث هو الذى بنى الكعبة بالطين والحجارة على محلِّ خيمة آدم التى كانت من الجنة، وأنزل الله عليه خمسين صحيفة لخمس ليال خلون من رمضان، وكان مدة عمره تسعمائة واثنتى عشرة سنة، وكانت تنزل صحيفة بعد صحيفة بالأمر بعد الأمر، وأعلمه أن عند انقضاء نزولها يكونُ انقضاء عمره، وأن آخر صحيفة الوصية لولده

أنوش، فلما استوفاه، علم أن عمره قد نفد.

ولما حضرته الوفاة، أوحَى الله إليه أن يستودع التابوت والاسم الأعظم ابنه أنوش - ومعناه الصادق - ابن نزلة، فأحضره وسلم إليه التابوت وعهود الأنبياء، وأمره بمثل ما كان أمره آدم به من وضع النور المحمدى فى أطهر النساء، وقال: إن أدركت نبوة نوح، فسلم إليه العلم والتابوت، فأقام أنوش بعد شيث بكل ما أمر به أبوه شيث، وتزوج نعم، وكانت من أشبه النساء بحواء، فلما بنى بها، حملت بالنور، ففرح أنوش، وولدت له قينان والنور فى وجهه كالكوكب الدرىِّ، وأولاد قابيل فى تمرُّدهم قد لقى منهم أنوش تعبًا كثيرًا. ثم مات أنوش، وله من العمر تسعمائة وخمسون سنة، وله إخوة وبنات انقرضوا جميعًا، وقينان صاحب النور محفوظٌ من إبليس وجنوده، تزيد أنواره فى كل يومٍ وبركاته على بنى أبيه وأعمامه، وهم فى جهاد مع بنى قابيل أفضى الملك فيهم إلَى ابنه طهمورث.

ثم قام قينان - ومعناه المستولى - فقام مقام أبيه وتزوَّج عيطول، وولد له مهيائيل، ومعناه الممدوح. ولما كبر وعلمه أبوه أنوش الصحف التى لأبيه آدم وشيث وجميع ماعلمه أبوه من قبل، فخرج أفصح أهل زمانه وأشجعهم وأكملهم براعةً وفضلاً، والنور المحمدى فى وجهه يزداد كل يوم إشراقًا حتى صار له خمسون سنة، وظهر ملك عوج بن عنق، فطغَى وأفسد فى الأرض، واشتدَّ الأمر، وتزوج عيطول، فولد له منها مهيائيل بن قينان بن أنوش.

ولما حضرت الوفاة قينان، مات فى تموز، وعمره تسعمائة وعشرون سنة.

فقام بالأمر بعده ابنه مهيائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم - عليه الصلاة والسلام - وتولى النظر فى أمر بنى آدم بعد أبيه، وعاش ثمانمائة سنة وخمسًا وتسعين سنة، وهو أول من بنى المدن، واستخرج المعادن، وبنى مدينة بابل.

ثم ولد لمهيائيل يرد، ويقال: يارد، ومعناه الضابط، فقام مقام أبيه، وفى زمنه عملت الأصنام، ورجع من رجع عن الإسلام من أولاد شيث مع أولاد قابيل.

ثم ولد ليرد أخنوخ، بهمزة وحذفها، والمشهور: أنه بخاءين معجمتين، وقيل: الأولى حاء مهملة، وهو النبى إدريس - عليه السلام - وهو هرمس الهرامس المثلث بالنبوة والحكمة والملك، أمه ادينا بنت ابيال، سمى إدريس؛ لكثرة درسه

صحف آدم وشيث، والجمهور على أنه أول نبى بعث بعد آدم بمائتى سنة، ونزل عليه ثلاثون صحيفة، وهو أول من خاط الثياب ولبسها، وكانوا من قبل يلبسون جلود البقر، فأرسله الله إلى قومه وبنى أبيه وبنى قابيل، وهو أول من خطَّ بالقلم، وهو الذى بنى الأهرام بمصر، وقيل: بناهما دومع بن الزبان، ابن فرعون يوسف، وقيل: سوريد، وقيل غير ذلك.

وعلى ذكر الأهرام قال ابن الجوزى [(١)]: ومن عجائب الهرمين أن سمك كل واحد منهما أربعمائة ذراع، وهما من الرخام والمرمر، مكتوب فيهما: أنا بنيتهما بملكى، فمن يدعى قوة فى ملكه فليهدمهما؛ فإن الهدم أيسر من البناء. وكان المأمون العباسى، لما دخل الديار المصرية، أراد هدمهما؛ فلم يقدر على ذلك، فاجتهد وأنفق أموالاً عظيمةً حتى فتح فى أحدهما طاقة صغيرة، فوجد خلف الطاقة من الأموال قدر الذى أنفقه وكتابًا فيه: قد علمنا أنك تأتى فى عصر كذا، وتروم الهدم، ولاتستطيع أكثر من ذلك، فجعلنا لك ما أنفقت، فلا تتعب؛ فأنشد المأمون فى ذلك: [من الكامل]

أَنْظُرْ إِلَى الْهرمينِ واسْمَعْ مِنْهُمَا ... مَا يَروِيَانِ عَنِ الزَّمَانِ الْغَابِرِ
لَوْ يَنْطِقَانِ لَخَبَّرَانَا بِالَّذِى ... فَعَلَ الزَّمَانُ بِأَوَّلٍ وَبِآخِرِ

وهى عدة أهرام، إلا أن أكبرها هرمان اثنان، وقد ذكرتهما الشعراء قديمًا وحديثًا فى موارد الوعظ تارة، والغزل أخرى وغيرهما، قال أبو الطيّب: [من الكامل]

أَيْنَ الَّذِى الْهَرَمَانِ مِنْ بُنْيَانِهِ ... مَا قَوْمُهُ مَا يَوْمُهُ مَا المَصرع
تَتَخَلَّفُ الآثَارُ عَنْ سُكَّانِهَا ... حِينًا فَيُدْرِكُهَا الفَنَاءُ فَتَتْبَعُ

وقال آخر: [من الرجز]

مِصْرُ الَّتِى مِنْ حُسْنِهَا ... قَدْ قِيلَ فِيهَا إِرَمُ
لَمَّا جَفَتْ عُشَّاقَهَا ... بَدَا عَلَيْهَا الْهَرَمُ

وقال آخر- وفيه تورية ظريفة-: [من البسيط]

قَالُوا عَلاَ نِيلُ مِصْر فِى زِيَادَتِهِ ... حَتَّى لَقَدْ بَلَغَ الأَهْرَامَ حِينَ طَمَا

---

(١) ينظر: المنتظم (١/ ١٦٦) وفيه: « سمك كل واحد منهما أربعمائة ذراع طولاً في أربعمائة ذراع عرضًا، كلما ارتفع البناء دق. وهما من رخام ومرمر مكتوب عليهما طب وسحر، وتحت ذلك مكتوب... إلخ ».

فَقُلْتُ هَذَا عَجِيبٌ فِى دِيَارِكُمُ ... أَنَّ ابْنَ سِتَّةَ عَشْرٍ يَبْلُغُ الْهَرَمَا

وأحسنُ ماسمعت فى وصفهما قول عمارة اليمنى شاعر الدولة العُبَيدية حيث يقول:

[من الطويل]

خَلِيلَىَّ مَا تَحْتَ السَّمَاءِ بَنِيَّةٌ ... تُمَاثِلُ فِى إِتْقَانِهَا هَرَمَىْ مِصْرِ
بِنَاءٌ يخَافُ الدَّهْرُ مِنْهُ وَكُلُّ مَا ... عَلَى ظَاهِرِ الدُّنْيَا يَخَافُ مِنَ الدَّهْرِ
تَنَزَّهَ طَرْفِى فِى بَدِيعِ بِنَائِهَا ... وَلَمْ يَتَنَزَّهْ فِى الْمُرَادِ بِهَا فِكْرِى

(رجع): وعن جعفر الصادق بن محمد الباقر، إذا دخلت الكوفة فائت مسجد السهلة؛ فصلِّ واسأل الله حاجتك لدينك ودنياك؛ فإن مسجد السهلة بيت إدريس - عليه السلام - الذى كان يخيط فيه ويصلى، ومن دعا فيه بما أحب، قضى الله له حوائجه، وأجير من مكروه الدنيا.

قال فى تاريخ الخميس: وفى لباب التأويل: لما ولد لإدريس ابنه متوشلخ، ومضى من عمره ثلاثمائة وخمس وستون سنة، رفع إلى السماء، قال تعالى: ﴿ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ [مريم: ٥٧] كان رفعه إلى السماء الرابعة على ما قاله كعب الأحبار وغيره؛ أنه سار ذات يوم فى حاجة، فأصابه حر الشمس، فقال: يا رب، إنى مشيت يومًا، فكيف من يحملها على خمسمائة عام فى يوم واحد؟ اللهم، خفف عنه من حرها وثقلها فأصبح الملك ووجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعهد، فسأل الله عن سبب ذلك، فقال تعالى: عبدى إدريس سألنى أن أخفف عنك حملها وحرها وثقلها فأجبته، فقال: يا رب، اجمع بينى وبينه، واجعل بينى وبينه خلة. فأذن له حتى أتى إلى إدريس، فقال له: اشفع لى إلى ملك الموت؛ ليؤخِّر أجلى فأزداد شكرًا وعبادة، فقال الملك: لا يؤخر الله نفسًا إذا جاء أجلها، وأنا مكلمه، فرفعه إلى السماء ووضعه عند مطلع الشمس، ثم أتى إلى ملك الموت، فقال له: لى إليك حاجة، صديق لى من بنى آدم يستشفع بى إليك؛ لتؤخر أجله، فقال ملك الموت: ليس ذلك إلىَّ، ولكن إن أحببت أعلمته بأجله فيقدم لنفسه، قال: نعم، فنظر فى ديوانه فقال: إنك كلمتنى فى إنسان ما أراه يموتُ أبدًا، قال: فكيف ذلك؟ قال: لا

---

(١) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٤٩٤) وعزاه إلى ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم عن ابن عباس أنه سأل كعب الأحبار عن رفع إدريس فذكره بنحوه.

أجده يموت إلا عند مطلع الشمس، قال الملك: أنا أتيتك وتركته هناك، قال: انطلق فما أراك تجده إلا ميتًا، فانطلق الملك فوجده ميتًا [١].

وقال وهب: كان يرفع لإدريس كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لجميع أهل الأرض، فعجب منه الملائكة وحبب إليهم، واشتاق ملك الموت إلى لقياه، فاستأذن ربه، فأذن له، فأتاه زائرًا، فقال له إدريس: يا ملك الموت، أذقنى الموت وردَّ على روحى بعد ذلك لأجتهد فى العبادة، فقال له: لو علمت كرب الموت لما تمنيته، فقال: لأزداد بذلك جِدًّا إلى جِدِّى، فقال له ملك الموت: الموت والحياة بإذن الله، فسل ربك ما تريده، فأوحى الله إليه: نوِّله ما طلب، وهوِّن عليه ذلك، فإذا بلغتْ روحه خياشيمه وعينيه، فلا تنزعها واتركه ساعة واحدة، ثم أعد روحه إلى جسده. فاستقبل نزع روحه فى ساعة واحدة برفق حتى بلغ بها خياشيمه وعينيه، فصار بمنزلة الميت ساعة، فذاق الموت، ثم أطلق روحه إلى جسده وبقى يومه وليلته لا يقدرُ أن يتحرَّك، وولده متوشلخ وجميع قومه يبكون وقد أيسوا منه، ثم أفاق وقد أوهنه ذلك، فلما كان فى بعض الأيام زاره ملك الموت، وكانت الملائكة من زمن آدم - عليه السلام - تجالس مؤمنى بنى آدم، وتخالطهم وتصافحهم وتكلِّمهم إلى زمن نوح؛ لصلاح الزمان وأهله.

وذكر فى كتاب حقيبة الأسرار، وجهينة الأخبار: أن الملك الموكل بالشمس لما استأذن ربه فى زيارة إدريس، فهبط عليه، قال لإدريس: يا نبى الله، هبطت لأكافئك، فسلنى حاجتك، فسأله أن يعرفه الفلك ودورانه ومنازل الشمس والقمر ومطالعها ومغاربها وسيرها ولبثها وحسابها، فقال: سوف أستأذن ربى، فأمره الله أن يعلمه جميع ذلك ويطلعه على سره؛ فلذلك كان إدريس أعلم أهل الأرض بالنجوم وجريان الأفلاك، ووضع كتبًا كتبها بيده، وهو أول من اتخذ الآلات لجريان الأفلاك، وقدر الساعات والدقائق والدرج وما هو أدق من ذلك من الثوانى والثوالث، وإلى الآن من كتبه لمع فى أيدى الناس.

ثم إن إدريس سأل ملك الشمس عن أجله، فقال له الملك: مالى بذلك من علم، فسأل له ملك الموت عن أجله . . . إلى آخر ما تقدم ذكره عن تاريخ الخميس.

فلما أفاق، قال له: يا ملك الموت، أدخلنى النار لأزداد رهبة، ففعل بإذن ربه،

ثم قال: أدخلنى الجنة، ففعل بإذن ربه، ثم قال له: اخرج لتعود إلى مقرك، فتعلق بشجرة، وقال: لا أخرج، فبعث الله إليهما مالكًا حكمًا، فقال له ملك الموت بحضرة مالك: ألا تخرج ؟ قال: لا، قال: ولم ؟ قال لأن الله تعالى قال: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥] وقد ذقته، وقال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم: ٧١] وقد وردتها، وقال تعالى: ﴿ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ [الحجر: ٤٨] فلست بخارج، فأوحى الله إلى ملك الموت: بإذنى دخل وبإذنى لا يخرج. انتهى

(فائدة): أربعة من الأنبياء أحياء؛ اثنان فى السماء إدريس، وعيسى - عليهما الصلاة والسلام - واثنان فى الأرض: الخضر، وإلياس على القول بنبوته.

متوشلخ خلف أباه إدريس بعد رفعه سالكًا طريقه، وعاش ستمائة وستين سنة، وقد تزوج وولد لمك، ولم يزل متوشلخ يدبر أمر الله تعالى، ويستحفظ ما استودع على منهاج آبائه يهدي إلي الحق وإلى صراط مستقيم، ونهى عن صحبة بنى قابيل، فخالفه من قومه جماعة أضاعوا الدين، فلقى منهم تعبًا عظيمًا.

ولما رفع إدريس، طمع إبليس فى المؤمنين فأطاعوه، وتأهب متوشلخ للحج، وتخلف عنه من كان فى قلبه مرض. فلما أخذ فى المناسك، أقبل إبليس إلى بنى قابيل، فقال لهم: إن إدريس مات، ومتوشلخ لا رجال معه إلا قليل، فإن أردتم أخذ الثأر ونصرة آلهتكم، فهذا اليوم الذى كنت أعدكم به. فاجتمعوا إلى ملكهم ماهيل بن جاشم، فقالوا: أيها الملك، قد علمت ما قد أسره أولاد شيث وما قتلوه من آبائنا وإخواننا، وكنا نهابهم لمقام إدريس، والآن ابنه متوشلخ غلامٌ غِرٌّ لا معرفة له بالحروب، وهو غائب عن ديار بنى أبيه فى مكة، ودياره خالية فيها ذراريه وأهله مع من أسر منا، فلو سرت بنا إليهم لأخذ الثأر واستنقذت الأسرى فاستعبدنا ذراريهم كما فعلوا بنا. فسمع ماهيل كلامهم، وأطمعته نفسه فيما قالوا، وتأهبوا للمسير، فجاءهم إبليس فى صورة شيخ كبير السن، فاجتمعوا يسألونه كم له من العمر ؟ فزعم أنه من ولد قابيل تفرد فى بعض الجزائر فعظّموه، وسألهم فعرفوه بعزمهم، فبكى على كبر سنه وقال: فمن يتولى الآن على أمر شيث ؟ فقالوا: غلام لا معرفة له بالحرب، اسمه متوشلخ بن إدريس، قال: سمعت به، فما فعل ؟ قالوا: مات -

يعنى إدريس - وبقى معه طائفة قليلة، والباقون معنا، وقد ساروا ليحجوا وتركوا من سبوا منا فى منازل إدريس، فرأينا أن ننتهز الفرصة ونفعل بهم ما فعلوا بنا، قال لهم: نِعْمَ ما رأيتم، ولكن ما يؤمنكم أن يسمع متوشلخ بذلك؛ فيكر راجعًا ويقاتل عن أهاليه القتال الشديد ؟! وإنى أرى لكم رأيًا إن قبلتم نصحى، فقالوا له: قل نسمع، قال: من الرأى أن تتفرقوا فرقتين، وتجعلوا أبطالكم ومن تتقون به فى الذين يسيرون إلى الحرم؛ فيشغلون متوشلخ عن المجىء إلى أهله، وتسير الفرقة الأخرى لأخذ الذرارى، فليس عندهم من يمنع. فصدقوه، وانتخبوا الأبطال لمكة وملكهم ماهيل فى أوائلهم، وقدم ابنه مخوائيل على الفرقة الأخرى، وأمره بالمسير إلى منازل المؤمنين يسبى ويضرب ولا يطلع أحدًا على أمره، وسار ماهيل إلى مكة وابنه مخوائيل إلى الذرارى، ومتوشلخ لما فرغ من مناسكه، رأى فى منامه كأن الأرض صارت نارًا من حولهم مضرمة، وأنه كلما أراد الخروج منها، لم يجد سبيلاً، غير أنها لا ضرر عليه منها، فأخبر المؤمنين فسألوه تأويلها فقال: سنلقى أمرًا يصدنا فى طريقنا عن قصدنا وتضيق الأرض بنا، إلا أنى أرجو الفرج من الله تعالى، فقالوا: فوضنا أمرنا إلى الله تعالى واستعنا به، فما ساروا إلا قليلاً حتى أشرفوا على ماهيل فى بنى قابيل بجموع عظيمة، فقال متوشلخ: هذا والله تأويلُ رؤياى، فما أنتم فاعلون ؟ قالوا: ليس إلا قتالهم حتى يحكم الله بيننا، فنزلوا بإزائهم ذلك اليوم وباتوا ففىَ الصبح زحف ماهيل بأصحابه إلى متوشلخ، فضعفت أنفس المؤمنين، فقال متوشلخ: لا تنظروا إلى كثرتهم وقلَّتكم؛ فإن الله يخذلهم وينصركم، فقالوا: إنهم جاءونا على أهبة وعدَّة، ونحن حجاج على غير أهبة، فقال: اصبروا، واعلموا أن الله لم يزل ناصركم وناصر آبائكم؛ بذلك وعدكم وهو لا يخلف الميعاد، وابتدرهم بنو قابيل بالقتال، فاقتتلا قتالاً شديدًا إلى الليل، فحال الظلام بينهم، وقتل من أولاد قابيل عالم كثير، ولم يقتل من أصحاب متوشلخ غير رجل واحد، فقال متوشلخ: ألم أخبركم أن الله ناصركم ؟! وألقى الله فى قلب ماهيل وقومه الرعب، وقال بعضهم لبعض: قد علمتم ما كان منا بالأمس مع هذه الشرذمة القليلة العدد والعدَد، ونخاف إن شبت الحرب بيننا أن تكون علينا الدائرة فيفنونا، وإن انهزمنا كان عارًا علينا، ويلحقون بإخواننا فى ديارهم فينالون منهم مرادهم، فقال ماهيل:

ليس لنا إلا القتال إلى أن نعلم أن إخواننا وصلوا إلى مطلوبهم.

وكان شيعمة ملك الجن المؤمن، حَجَّ تلك السنة مع متوشلخ وطائفة من الجن المؤمنين، فلما كان صباح ذلك اليوم إذا هم بابن أخى شيعمة واسمه سهلب جاءه صارخًا وأخبرهم بما جرى من مخوائيل بن ماهيل على الذرارى والأهل، وأنه تركهم فى أضيق حال، فلما سمعه شيعمة، صاح صيحة عظيمة فى بنيه وقومه ومن معه، فاجتمعوا إليه، فقال: يا ويحكم، أعينونى وأعينوا أصحابكم. ثم سار فى قومه إلى منازل المؤمنين مغيثًا، فلما رآه إبليس، خافه وانزوى عنه.

وأما متوشلخ: فإنه لما أعلمه شيعمة بما جرى على قومه، بكى بكاءً شديدًا، وضج بالدعاء إلى الله سبحانه وتعالى مع المؤمنين، وقال: إن الدعاء خير نافع، وقد حيل بيننا وبين قومنا، ولم يبق لنا غير الدعاء إلى الله تعالى، فقال متوشلخ: نِعْمَ ما رأيتم وأشرتم، ثم جمع قومه وتوسل إلى الله تعالى بمحمد ﷺ [(١)]، وساعدهم سائر المخلوقات والملائكة والسموات، كلٌ يسأل فى هلاك أعدائهم بنى قابيل، فهبط جبريل فى ملأ من الملائكة فى أيديهم الحراب، وقد أحاط أصحاب ماهيل بذرارى المؤمنين وإبليس يقول: لا مانع لهم سوى شيعمة، ونحن له، فلما رأى إبليس الملاكة هرب ولحقه بعده جنده، فأمر جبريل بقتل من لحقوه منهم، فصاح جبريل فيهم صيحة عظيمة، وقعوا على وجوههم منها صعقين، فمات منهم الثلث، ومسخ الله الثلث الثانى فيلة؛ فهو أول مسخ وقع فى بنى آدم، والثلث الثالث صعقوا، فلما أفاقوا، نظروا إلى الفيلة، ففزعوا ولم يكونوا رأوها قبل ذلك، فولوا منهزمين إلى ديارهم، فاتبعتهم الفيلة حسدًا لهم؛ إذ مسخوا دونهم، فقتلت أكثر من بقى منهم، ورجع الباقون إلى منازلهم، فلما رآهم الذين تخلفوا منهم، ارتاعوا ولم يعلموا كيف الخبر، فاقتحمت عليهم الفيلة البيوت وكسرت كل ما مرت به، فظنهم المقيمون فى الديار وحوشًا فمانعوهم عن الدخول، فحميتْ صدور الفيلة، فكان الفيل يقتل ولده وأخاه وزوجه وأباه ويعلوهم برجله، ويأخذ الواحد منهم بمشفره

(١) تقدم الكلام على التوسل، والصحيح هو التوسل إلى الله سبحانه بالإيمان الصحيح والعمل الصالح، كما في قصة أصحاب الغار الثلاثة وثبت عن النبي ﷺ: يا فاطمة بنت محمد اعملي، فإني لا أملك لك من الله شيئا كما يصح التوسل بدعاء الصالحين في حياتهم، كما حدث في توسل سيدنا عمر بدعاء سيدنا العباس في الاستسقاء، بعد موت النبي ﷺ.

فيرفعه إلى الهواء، ثم يلقيه إلى الأرض، ولم يزالوا كذلك أيامًا حتى وصل إليهم من كانوا شاهدوا مسخهم، فأعلموهم الخبر، وقالوا: نحن بقية الثلث الثالث الذين نجوا من الموت والمسخ، وأكثرنا هلك جوعًا وعطشًا، فصدَّقوهم، وقصد كل فيل منزله، واجتمع أهله حوله يبكون والفيلة تضرب الأرض بأنفسها.

وأما ماهيل: فإنه قلق قلقًا عظيمًا، وطال عليه مصابرته لمتوشلخ ليمسكه عن اللحاق بقومه، وأرسل رجلاً ليأتيه بخبر ابنه مخوائيل الذى أرسله لذرارى المؤمنين فى منازلهم ومتوشلخ لا يعلم بما جرى، وأرسل إليه أولاد شيعمة بما حل بمخوائيل بن ماهيل، فلما جاءه البشير، كبر المؤمنون تكبيرة واحدة، ارتاع منها ماهيل ومن معه ولم يعلموا ما الخبر، فجاءه الرسول، وأخبره بالمسخ والهلاك وانقلاب الباقين إلى الديار بعد أن مات أكثرهم جوعًا وعطشًا، فخافوا أن يحلَّ بهم مثل ذلك؛ فولوا على أعقابهم هاربين، فتبعهم متوشلخ وقتل منهم خلقًا كثيرًا وأخذ أموالهم وسلاحهم، وتقطعوا فى الأرض فهلكوا، ووصل أقلهم إلى أهليهم، فلقيتهم الفيلة فأنكروها، وقالوا: كيف يكونون إخواننا وماهُمْ إلا من وحش البر، جاءوا يريدون ديارنا لما غبنا عنهم، ثم ناوشوهم الحرب، والفيلة تخضع لهم لعلَّهم يراجعون بصائرهم ويعرفون أنهم منهم، فأبوا إلا هلاكهم، فلما رأت الفيلة ذلك، تضافروا عليهم فقتلوا أكثرهم، وأقاموا ثلاثة أيام يقتتلون، قد سلط الله بعضهم على بعض، ولا يقتل فيل واحد حتى يقتل جماعة منهم، حتى تفانوا وقتلت الفيلة عن آخرها.

ولما هلكوا، فرح إبليس بذلك وبلغ منهم مراده، ولم يجسر أن يتعرض للمؤمنين خوفًا أن تحلَّ به نقمة من الله، ولم يكن بعد ذلك بينهم قتال ولا حرب إلى أن جاء الطوفان، فأهلكهم الله بكفرهم.

ورجع متوشلخ بمن معه من المؤمنين إلى ديارهم سالمين منصورين، فرأوا أهاليهم على حال السلامة، فانعزل بمن معه من المؤمنين إلى ديارهم سالمين منصورين إلى جبل، يقال له: راسخ، وكان جبلاً حصينًا كثير الشجر والخيرات، فاتخذوه مسكنًا وتركوا المدن التى كانوا فيها، وأعرضوا عن التعرض لمن بقى من ولد قابيل، وانبث ولد قابيل فى الأرض وانتشروا إلى البحر مما يلى الشمال والجنوب، وعبدوا الأصنام ونكحوا الأمهات والأخوات والبنات، وإبليس يعدهم ويمنيهم وما

يعدهم الشيطان إلا غرورًا. ولم تزل هذه أفعالهم إلى زمن نوح، عليه السلام.

ولما استوطن متوشلخ الجبل، أنفذ وصية أبيه إدريس، وخطب شلجم بنت جندل، وكانت من أولاد شيث، وكانت أجمل النساء وأكملهنَّ عقلاً وفضلاً، فدخل عليها وأعلمها بالنور المحمدى، وأقام معها مدة وولد له أولاد كثيرة، والنور لم ينقل من وجهه، فتزوج بعدها صدوقا أختها، فلم ينتقل النور إليها. ولم يزل يتزوج امرأة بعد أخرى إلى خمس عشرة امرأة ما منهن إلا ويرزق أولادًا منها، فأمسك عن التزويج لينظُرَ ما يكون، وكان له ابن عم قد قتل فى قتال إدريس لبنى قابيل، وله ابنة صبية رباها إدريس، وعلمها الكتب وكتبتها، وكفلها بعد إدريس متوشلخ واسمها شملة، فرأته وماهُمْ عليه من الهَمّ لأجْلِ حبس النور، فسألته فأعلمها، فقالت: يا ابن العم، إذا أراد الله نقل النور عنك، اختار له من بنات عمك فلا تغتمّ، فألقى الله فى قلبه أنها هى، فقال لها: يا شملة، هل لك أن تكونى أنتِ التى أرجوها لهذا النور ؟ فخجلَتْ وولَّتْ مستحيية، فأحضر جماعة من وجوه قومه وخطبها وتزوَّجها، فحملت منه من أول ليلة، وأصبحت والنور فى غرتها، فسجد لله شكرًا وبشَّرها بذلك، ففرحت، وتممت أشهرها، فولدَتْ غلامًا والنور فى جبهته، فسماه لمك، ورباه أحسن تربية، وعلمه الكتابة والصحف، وبانت عليه دلائل السؤدد، حتى إذا بلغ من العمر أربعين سنة، حضرت متوشلخ المنية . . . خمسمائة سنة إلا اثنى عشر، فأقعده بين يديه وأوصاه بوصية أبيه، وعهد إليه فى النور، وأخذ عليه الميثاق ألاَّ يضعه إلا فى أطهر النساء من بنى أبيه وأعمامه، فأخذ ذلك لمك بالقبول، وضمن ذلك له من نفسه، ومات متوشلخ، فسلك به لمك مسلك آبائه وأجداده فى التغسيل والتكفين والصلاة عليه ودفنه، سنة من تقدم من آبائه، عليهم الصلاة والسلام.

قال فى بحر الأنساب: لمك بلام مفتوحة وميم ساكنة وكاف، وقيل: اسمه لامك، وكان رجلاً أشقر، قد أعطى قوةً وبطشًا. فتزوج امرأة يقال لها: فيسوس بنت بركائيل، وقيل: إنه خرج يومًا إلى البرية، فإذا بامرأة فى نهاية الجمال ترعى غنمًا، فسألها عن اسمها، فقالت: أنا فيسوس بنت الحيد بن عتويل بن لامك بن قابيل بن آدم – عليه السلام – فقال لها: كم سنك ؟ فقالت: مائة سنة وعشر سنين، وكانت تبلغ المرأة مائتى سنة. فمضى إلى أبيها وتزوج بها، ولما تمت أشهرها،

وضعت غلامًا والنور فى جبهته فسماه نوحًا، وفرح به فرحًا شديدًا، وكان لمك يضرب بيده إلى أعظم شجرة فيقلعها من أصلها. وأقبل بعد دفن أبيه متوشلخ على درس الصحف والعمل بما فيها، ووعظ قومه وهم أقل من مائة، واحتاجوا إلى أولاد قابيل، وكان الرجل منهم ينزل إلى أولاد أبيه، فيعطفون عليه، ويأمرونه بالدخول فى دينهم والنزول من الجبل، فيأبى المؤمنون ويقولون: إن كنتم ترعون الرحم بيننا، فافعلوا ولا تردونا عن دين آبائنا. ولمك ينهاهم عن ذلك فيقولون: إنا جياع، فيقول: لو لم تخضعوا لهؤلاء المرتدين منكم، لرزقكم الله كما يرزق الطير، فاصبروا تؤجروا.

ولما ولد نوح - عليه السلام - رأى إبليسُ ليلة ولادته الملائكة نزلَتْ من السماء ودارت بالجبل؛ فعلم أن نور رسول الله ﷺ انتقل، فسأل فقيل: إن لمك رزق ولدًا والنور انتقل إليه. فطمع أن يصل إليه فلم يقدر، فجعل يعطف على كل من ارتدَّ من ولد أبيه وبنى قابيل كيدًا منه، وكان بنو قابيل قد أنسوا من الجبل حتى لم يَبْقَ بيت من المؤمنين به إلا دخله بنو قابيل، وكلما عرضوا على لمك النزول إلى منازلهم، أبى ونفر خوفًا على ابنه نوح، وكان يخفيه عنهم ولا يظهره، وأدخله إلى مغارة فى الجبل، وأمه معه، والصحف التى لآبائه عندها؛ احتفاظًا بها واحترازًا على ما فيها من إبليس وبنى قابيل، وعلمه أبوه لمك جميع ما علمه أبوه متوشلخ، وأوصاه بوصية آبائه، وأخذ عليه العهد والميثاقَ كما أخذه عليه أبوه.

واجتهد نوح فى العبادة في تلك المغارة، ولا يتركه أبوه يخرج منها ولا أحدًا يدخل عليه. فلما بلغ من العمر خمسًا وثلاثين سنة، مرض أبوه لمك، فلما أحسَّ بالموت جَدَّدَ الوصية، وحذَّره إبليسَ وبنى قابيل، وسلَّمه الاسم الأعظم والتابوت ومواريث الأنبياء، ومات وعمره تسعمائة وتسع وسبعون سنة. وفى مروج الذهب: تسعمائة واثنان وثلاثون سنة.

فقام بالأمر بعده نوح - عليه الصلاة والسلام - وهو أول أولى العزم، وشيخُ المرسلين والأبُ الثانى، وصاحبُ الفُلْكِ، وآدم الثانى؛ لأنه لا عقب إلا منه، وله إخوة درجوا جميعًا والعقب من نوح وحده.

(١) في ط: قبل. والصواب ما أثبت.

ولد - عليه السلام - بعد[1] موت آدم فى الألف الأولى، وبُعث فى الألف الثانية، وهو ابن أربعمائة سنة، ولبث فى قومه: ﴿ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾ كما فى الآية الشريفة [العنكبوت:١٤] واسمه - قبلُ - عبد الأعلى، وإنما سمى نوحًا؛ لأنه بكى على قومه خمسمائة عام. وفى رواية: اسمه عبد الملك، وفى أخرى: عبد الغفار، وفى أخرى: عبد الجبار.

وهو أول نبى بعد إدريس. وكان نجارًا، ألهمه الله ذلك؛ فعمل أبوابًا؛ لأنه خاف على الصحف من بنى قابيل، فعمل بابًا على المغارة التى هى فيها، وأوثقه وقفل عليه احتفاظًا بها، وكان لا يأخذ على النجارة أجرًا. وكان بنو قابيل يعرفون محله ويعظمونه، وإذا أراد أحدٌ منهم الجلوس عنده انتهره، وإذا جلس إليه أحد من قومه المرتدِّين وعظه. وكان معروفًا بينهم.

وعن وهب: إن نوحًا كان إلى الأدمة ما هو، دقيق الوجه، رأسه طويل، عظيم العينين، دقيق الساقين، كثير لحم الفخذين، ضخم السرة، طويل اللحية، عريضًا طويلًا جسيمًا، فبعثه الله وهو ابن أربعمائة سنة وخمسين سنة، فلبث فيهم المدة المذكورة فى القرآن يدعوهم إلى الله تعالى؛ فلا يزدادون إلا طغيانًا، ومضى ثلاثة قرون من قومه؛ فكان الرجل يأتى بابنه وهو صغيرٌ فيوقفه على رأس نوح - عليه السلام - ويقول له: يا بنى، إن بقيتَ بعدى، فلا تطع هذا. ثم لما دعاهم سِرًا فلم يجيبوه، أيده الله بروح القدس وأمره بإظهار الدعوة، والملك يومئذٍ فى بنى راسب وأهل مملكته وعوج بن عنق، وقيل: كان لهم ملك يقال له: درمسيل بن عوبيل بن لامك بن جنح بن قابيل، وكان جبارًا عاتيًا يعبد هو وقومه الأصنام. قوم إدريس الخمسة: وُدّ، وسُوَاع، ويَغُوث، ويَعُوق ونَسْر، ثم كثروا حتى صار لهم ألف صنم وسبعمائة صنم. فدعاهم نوح علانية؛ فلم يجيبوه؛ فلم يزل يدعوهم تسعمائة سنة وخمسين، كلما مرَّ منهم قرن، اتبعه قرن على مذهب آبائهم، وآمن به بعض ولد شيث، فقالوا له: أنؤمن لك واتبعك الأرذلون ؟ يعيرونه بقلة الأموال، وأنهم لا عز لهم ولا سلطان.

ثم إنه نزل إلى بنى قابيل من الجبل فى يوم عيد لهم، وهم عكوفٌ على أصنامهم، فوقَفَ على نشز عال من الأرض يشرف عليهم، ووضع إصبعيه فى أذنيه ورفع صوته -

وكان جَهْوَرِيَّ الصوتِ - فقال: لا إله إلا الله، وحده لاشريك له، ولا معبود سواه، ﴿ أَعْبُدُواْ اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ . . .﴾ الآية [نوح : ٣، ٤] يا قوم، إني مرسل إليكم، فإن استقمتم استقام أمركم، وإن أعرضتم أتاكم وعيده حتى لم يَبْقَ أحد منكم على وجه الأرض، ويدخلكم النار وبئس المصير. وما قلت لكم هذا إلا بأمر ربى، فإن تقبلوا ترشدوا، وإن تتولوا فإنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم. فوقعت الأصنام على وجوهها، فآمن كُلُّ من كان مؤمنًا على عهد أبيه لمك. وقيل: أول من آمن امرأة اسمها عمود، فتزوَّجها وأولدها سامًا ويامًا وحامًا. ثم امرأة من قومه اسمها واهلة، فأولدها يافث وكنعان، ثم ارتدَّتْ وعادت إلى دينها الأول. ولما رأوا ما حل بالأصنام وثبوا إليه، وقالوا: إنا لنراك فى ضلال مبين، أما رضيت بالمشاركة حتى تدعى أنك رسول الله إلينا، ونحن نعلم أنك فى الطريقة المحمودة منذ كنتَ صغيرًا، وقد اعتراك جنون. ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ . . .﴾ الآيات [المؤمنون: ٢٥] فسبُّوهُ وهمُّوا به، فمنع دونه المؤمنون، وأخذت الحمية أقاربه فى النسب، فخاف الرؤساء أن تقع بينهم فتنة فتركوه، فأوحى الله إليه أن اصبر عليهم، فرجع نوح إلى موضعه وبقى قومه الذين ارتدوا يقولون: ما نعرف نوحًا منذ نشأ إلا صادقًا، وإنا نظنُّ أن الذى جاء به حق، فسحبهم بنو قابيل على وجوههم، وأعلموا الدرمسيل وهو ملكهم بما قالوه، فقال: إن نوحًا من أشرف قومه حسبًا وأكرمهم أمًّا وأبًا، وقومه وإن دخلوا فى دينكم لا يَرضَوْنَ بأذيته، وأخاف أن تتفرَّقَ كلمتكم ويقع بأسُكُمْ بينكم، ونوح لا خوف عليكم منه، فاصبروا عليه وداروا أهله. فأجابوه بالسمع والطاعة.

وكانت شريعته التوحيد، وخلع الأنداد، والفطرة، والصلاة، وصيام شهر رمضان، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر. فأرسل إليه الملك رجلاً اسمه العملَّس، وكان فصيحًا فاضلاً فى جماعة من الرؤساء، فقال له: يا نوح، أنا رسول، وناصح لك ألاَّ تتعرض إلى سب آلهتهم وتسفيه أحلامهم، فقد صبروا عليك وحملوك على الجنون، وقد أغريت الضعفاء، وآباؤك كانوا أقوَى منك بأسًا، وكانوا يعدونهم العذاب، فما أصابهم شىء، وماتوا أعزاء، فاتركهم وأنت ودينك، فقال له نوح: أما قومك الذين ماتوا، ولم يصبهم شىء، فإنى لم أدركهم، ﴿ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا

عَلَىٰ رَبِّي ﴾ [الشعراء: ١١٣] وأما الذين معى، فـ ﴿ مَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الآية [الشعراء : ١١٤] ، فقال له: يا نوح، إن كنت قلت هذا لفقرك فنجمع لك مالاً ونقدمك علينا، فقال ﴿ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء: ١٠٩] فقالوا: ﴿ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴾ [الشعراء: ١١٦] فقال: توكلت على الله ربى وربكم ولست براجع عما دعوتكم إليه ليلا ونهارا، سرًا وجهارًا، حتى يحكم الله بينى وبينكم، وهو خير الحاكمين. ثم تركهم وانصرف، ثم عاد إليهم بعد مدة فى عيد آخر ووقف على نشز عال، وفعل بهم مثل الأول، فقالوا: ﴿ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا . . . ﴾ الآية، إلى: ﴿ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [هود: ٣٢] وإن أبيت قتلناك. ومازال يدعوهم فيكذبونه ويضربونه إلى أن مات الجيل الأول، ونشأ أبناؤهم على ذلك، وانقرض الجيل الثانى، وجاء الجيل الثالث، ونوح يعذر وينذر، فلما طال الأمر قالوا: يا نوح أما لميعادك من آخر ؟! وجاء رجل منهم وابنه على عاتقه، فقال لابنه: إن عشت بعدى فلا تسمع من هذا المجنون، فقال الصبى: أنزلنى عن عاتقك، فأنزله، فأخذ الصبى حجرًا وضرب به رأسَ نوح - عليه السلام - فشجَّهُ وسال دمه، فصبر واحتسب، وكانوا يعجبون من شدة صبره.

وفى بعض الأيام ضربوه، وداسوا بطنه، فلما أفاق، لم يقدر على النهوض، فشكَا إلى ربه، فأوحى إليه أن يدعو عليهم بعد أن ضربوه أوجَعَ ضرب، وخنقوه حتى غشى عليه وتركوه كالميت، فقال: اللهم، أنتَ العالمُ بما يفعلُ بى عبادك، اللهم، اهدهم وصبرنى عليهم. فأوحى الله إليه: إنه لم يبق فى أصلاب الرجال مؤمن ولا مؤمنة، وإنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن، فلا تبتئس بما كانوا يفعلون، أى: لا تحزن عليهم، فقال: إنما كنت أصبر طمعًا فى إيمانهم، فإذا كان سبق القول بأنهم لن يؤمنوا، ربِّ لا تذر على الأرض من الكافرين دَيَّارًا. فلما سمع قومه دعاءه، خافوا إجابة الدعوة، وقالوا: تدعو علينا، وأنت بين أظهرنا، إذا كان هذا منك، فاخرج عنا، ولا تجاورنا لا أنتَ ولا من معك، فقال: إن آمنتم بالله، سألته الرضا عنكم والعفو عما سلف، وإن أبيتم ليس لكم عندى إلا الدعاء، فضَرَبوه حتى كسروا رجله اليمنَى، وضربوا الذين معه حتى وقعوا كالموتَى مصرعين، وجروا بأرجلهم، ولم يزالوا ثلاثة أيام لا يستطيعون حركة.

وفي ربيع الأبرار للزمخشريِّ: روى الضحاك، عن ابن عباس: كان نوحٌ يُضرب في قومه ثم يلف في البلد، ثم يلقى في بيته، فيرون أنه مات، فيخرج فيدعوهم إلى الله، فلما قام نوح قال: إنه قد أوحى إليّ أنه ينزل بكم القحط ويعقم نساؤكم، وقد أجل الله لكم أجلاً لا يزيدُ ولا ينقصُ، وإنه بعد أربعين سنة من يومكم هذا يأتيكم الطوفان، ماء يغرقكم ويغرق الأرض كلّها حتى لا يبقى منكم أحد، فلا تلوموا إلا أنفسكم، فقالو: قد سمعنا هذا منك من قديم الزمان، وزدت اليوم زيادة ما سمعها منك آباؤنا وهى ضربُكَ أجلاً أربعين سنة، فإن آمنا بك وأطعنا، وإلا جاءنا طوفان، ماء من السماء، فأغرقنا وجميع من فى الأرض إلا من آمن بك، وإنا ننتظرك إلى هذا الأجل، فإذا تمت أربعون سنة، ولم نر شيئًا حل لنا قتلك، فانصرف عنهم، فأمره الله أن يغرس شجرة، فغرسها، فعظمت وذهبَتْ كُلَّ مذهب، ثم أمره أن يقطعها بعد ما غرسها بأربعين سنة، فيتخذ منها سفينة.

روى الشيخ أبو عبد الله محمد بن سعيد بإسناده: أنه غرس الساج.

وعن ابن عباس: قالت الحواريون لعيسى بن مريم: لو أحييت لنا رجلاً شهد السفينة، فحدثنا عنها، فأتى كثيبًا من تراب، فأخذ كفًّا منه، وقال: هذا قبر(١) حام ابن نوح - عليه السلام - فضرب الكثيب بعصاه، وقال: قم بإذن الله، فإذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه، وقد شاب، فقال له عيسى - عليه السلام -: هكذا هلكتَ؟ قال: لا، مت وأنا شابٌّ، ولكننى ظننت أنها الساعة فشبت، قال: حدثنا عن السفينة، فقال: كان طولها ألف ذراع ومائتى ذراع، وعرضها ستمائة ذراع، وكانت ثلاث طبقات: طبقة فيها الدواب والوحوش، وطبقة فيها الإنس، وطبقة فيها الطير(٢)، وعلمه جبريل كيف يديرها، وجعل يقطع الخشب، ويضرب الحديد ويهيئ مدة الفلك من القار وغيره. وأمره أن يطليها بالقار من داخلها وخارجها، وتم عملها فى سنتين، وشاركه فى عملها سام وحام ويافث ويام، وكان كلما عمل شيئًا أفسده قومه ليلاً، فدعا عليهم، فابتلاهم الله بِالعَشَا فكانوا لايرون شيئًا.

---

(١) في ط: كعب بن. والمثبت من تاريخ الطبري، ولعله الصواب.
(٢) أخرجه الطبري في «تاريخه» (١/ ١٨١) من طريق المفضل بن فضالة عن علي بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران عن ابن عباس وعلي بن زيد ضعيف، وكذلك المفضل بن فضالة.

وفى تاريخ الخميس، وحياة الحيوان: قال نوح: يا رب، أمرتنى أن أصنع الفلك، ولى أيام فى صناعتها، كل ما صنعته بالنهار يفسده قومى بالليل، فأوحى الله إليه: يا نوح، خذ كلبًا يحرسها بالليل (١).

وفى الكشاف: لما كان نوح يقطع الخشب، ويضرب الحديد، ويهيئ ما يحتاج إليه الفلك من القير وغيره، جعل قومه يمرون عليه فى عمله، ويقولون: يا نوح، صرت نجارًا بعد النبوة، وكانوا يأتون ليلاً لما يعمله نهارًا فيفسدونه، فيسخرون منه ويقولون: تتخذ بيتًا تسير به على الماء، فأين الماء الذى يحمل هذا البيت ؟! لقد خرف نوح، فيقول: ﴿ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ . . .﴾ الآية [هود:٣٨] ولم يزل هذا دأبه حتى فرغ، فجاءت على شكل لم ير مثله، وقومه يخرجون إليها أفواجًا أفواجًا يتعجبون، ثم أوحى الله إليه عندما بقى من الأربعين السنة سبعة أيام أن ينادى بالسريانية أن يجتمع إليه جميع الحيوان، فلم يبق حيوان إلا حضر، ماخلا الفأر والسنور فإنهما لم يخلقا بعد، وإنما خلقا فى السفينة كما يذكر على الأثر، فحمل فيها من كل زوجين اثنين، فلما شكا إليه أهل السفينة سرقين الدواب بعد أن ركبوا فيها، مسح جبين الخنزير فعطس فسقط من أنفه زوج فأر، فأتى على السرقين، ثم شكوا إليه أذى الفأر، فمسح بين عينى الأسد، فعطس فسقط من أنفه زوج سِنَّور، فاختفى الفأر.

وفى تفسير الهروى: أنه لم يحمل الحية والعقرب حتى ضمنا أنهما لن يضرًا أحدًا ذكر نوحًا - عليه السلام - فمن قرأ: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الصافات: ٧٩] عند خوف ضررهما، لن يضراه.

ولم يحمل نوح - عليه السلام - إلا ما يتوالد ويبيض، أما ما يتولد من الطين من الحشرات؛ كالبق والبعوض، وما يتولد من العفونات، كالدود والذباب، فلم يحمل منها شيئًا.

وأمر الله الرياح الأربع أن تحشر إلى نوح جميع ما يحمل فى السفينة، فأقبلت المخلوقات أفواجًا أفواجًا حتى وقفت على أمام الفلك، فقال قومه: هذه زيادة فى السحر، وجعل يضرب بيده على الزوجين فتقع يمناه على الذكر ويسراه على الأنثى،

---

(١) ينظر: حياة الحيوان (٢/ ٣٦٠).

حتى أكمل العدد، وانصرف الباقون فى الليل.

هذا فى أول يوم من السبعة الأيام الباقية من الأربعين سنة الموعود بالعذاب بعد مضيها.

وفى اليوم الثانى: حشرت إليه الوحوش، فأخذ من كل زوجين اثنين؛ كالحيوانات فى اليوم الأول، وقومه ينظرون ويتعجبون من تزاحم الوحوش عليه إلى آخر النهار.

وفى اليوم الثالث: أتت البهائم.

وفى اليوم الرابع: أمر بحمل النبات الذى يقتات به بنو آدم، ومن جميع الشجر والحبوب وقوت جميع ما في السفينة، وأمره الله أن يضع تابوتًا من شجر الشمشار؛ فيحمل فيه جسد آدم - عليه السلام - ويجعله حاجزًا فى الفلك بين الرجال والنساء فى الطبقة الأولى، وجعل السباع والدواب فى الطبقة السفلى، وألقى الله الحمى على الأسد، فاشتغل بنفسه عن الدواب، وجعل الطير والوحوش فى الثانية، وأطبق عليها، وجعل العليا لبنى آدم.

وقال فى مروج الذهب : أول ماحمل نوح - عليه السلام - من الطير الدرة، وآخر ماحمل الحمار، فتلكأ ودخل صدره، وتعلق إبليس بذنبه، فجعل نوح - عليه السلام - يقول: ويحك ادخل، فينكص، حتى قال: ادخل ولو كان الشيطان معك تحمله، زلت على لسانه، فلما قال ذلك، خلى الشيطان سبيله، فدخل ودخل معه، فقال نوح: ما أدخلك يا عدوَّ الله ؟ فقال: ألم تقل: ادخلْ ولو كان الشيطان معك ؟ فقال: اخرج يا عدو الله عنى، فقال: لابدَّ لك أن تحملنى، فكان على ما يزعمون على ظهر السفينة، ونهى نوح - عليه السلام - أن يقع ذكر على أنثاه، فغشى الكلب الكلبة، فوشى بهما الهر فأنكر، فدعا نوح ربه: إن كان الهر صادقًا أن يمسك ذكر الكلب فى الكلبة ففعل، فأمسكته الكلبة، فشكا الكلب إلى نوح فضيحةَ الهرِّ إياه، فدعا نوح على الهر فافتضح بالصراخ.

قال فى حقيبة الأسرار: ولما كان اليوم السابع آخر الميعاد، أوحى الله إليه أن يركب السفينة، إذا فار التنور بالماء - وهو التنور الذى فى بيت ابنك سام - فجاء نوح إلى بيت ابنه، فقال لزوجة ابنه، واسمها رحمة، وكانت أحب نساء بنيه وهى تخبز خبزًا يرون أن يحملوه فى السفينة: يا رحمة، إن آية الطوفان من هذا التنور،

فإذا رأيت الماء فار منه فأسرعى إلى الفلك. وكان التنور من حجر أسود، ورثه نوح من أبيه وورثه أبوه من جده من لدن آدم - عليه السلام - وكانت حواء تخبز فيه، وكانوا يتوارثونه تبركًا به، وكان من عمل آدم - عليه السلام - وقيل: كان فى دار نوح - عليه السلام - يعنى: ورده من أرض الشام.

ولما أصبح فى اليوم السابع، ولم يبق له شيء يحتاج إليه، وإن رحمة فرغت من خبزها، وهى تخرج آخر رغيف، والنار يضرم جمرها؛ إذ بدرها الماء من تحت الحجر، وبقدرة الله تعالى فار، ولم يُدخل نوح السفينة كل ما أراد، فأخبرته ابنته أن التنور فار، فقام - عليه السلام - إلى الماء فختمه فوقف حتى أدخل السفينة ما أراد، ثم فضَّ الختم، وكشف الطبق، ففار الماء وفاض، فقال نوح - عليه السلام -: لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، هلك والله قومى، فأوحى الله إليه: لا تحزن على هلاكهم، فاركب الفلك ومن معك من المؤمنين، وما آمن معه إلا قليل، ثمانون نفسًا، منهم أولاده الثلاثة سام وحام ويافث، والأصح أن أولاده زيادة على الثمانين لما سيأتى.

فأسرع نوح إلى منزل رحمة، فإذا الماء قد ملأ المنزل ويخرج من أبوابه كالنهر، وله غليان ونشيش، ما يمر بشيء إلا أغرقه وأحرقه، فأسرع إلى الفلك ونادى بالمؤمنين: النجاة النجاة، وقومه يتعجبون من استعجاله في الركوب، وإذا الصراخ فى بيوتهم وأسواقهم، واضطربت الناس وارتفعتِ الزمات(١)، والماء يتزايد ويغلى، ونوح على باب الفلك قد شمر عن ساعديه، وأخذ المجذاف(٢) ليدفع به السفينة فى الماء، والمؤمنون يبكون من هول ما عاينوا.

وكان دخول السفينة لعشر مَضَيْنَ من رجب؛ فدخل الفلك وغطاه عليه وعلى من معه، وفتح الله أبواب السماء بالمطر من غير سحاب، فنزل بغير كيل، وطغى على الخزان وأخرجت الأرض ماءها، وانفجرت الجبال كل نقطة من السماء عين فى الأرض، فكان ينبع من تحت أقدامهم وحوانيتهم وبيوتهم، ولا يقع على بيت إلا

---

(١) كذا بالأصل. ولعلها: الزمزمات، جمع الزمزمة، وهي الصوت البعيد له دَوِيٌّ وتَتَابُعُ الصوت. ينظر: ترتيب القاموس (زمم).

(٢) مجذاف السفينة: مجدافها، وهو خشبة في رأسها لوح عريض تدفع به السفينة. الوسيط (جذف، جدف).

هدمه ولا على شىء إلا أحرقه، ولولا أن الله أمره ألاَّ يضر السفينة لأحرقها بحرارته وملوحته. ووقع الصراخ وغدوا إلى نوح، فإذا هو ومن معه فى السفينة والمطر يفتح خنادق، ولا يصيب السفينة، ونوح وأولاده يبكون على قومهم وخوفًا من العذاب، والملائكة تقول لهم: لا تبكوا، بعدًا للقوم الظالمين.

وركب ملكهم واسمه الدرمسيل كما تقدَّم فى عبيده وحشمه نحو السفينة، فأحرق الماء أرجلهم، وقد انقلبت الأرض بالصراخ، ورأى الماء لا يصيب السفينة، فصحَّ عنده أنه أمرُ الله تعالى، وتفرق من كان حوله من الناس وهم ينادونه: أيها الملك، قتل الماء أكثرنا، فنادى: يا نوح، ماهذا ؟ فقال: يا عدو الله - ولم يكن قال له ذلك أبدًا؛ لأنه كان يرفق به ويداريه -: هذا الذى كنت أنذرتكم به، فبينما هو يكلمه إذ نبع الماء من تحت حوافر فرسه، فولى هاربًا ولم يؤمنْ فغرق فى موضعه، وأمهل الله عليهم بقية يومهم، وطفتِ السفينة على وجه الماء فأطبقها وهم ينظرون إليه، فتسنَّموا الجبال والروابى، ولم يكن فيهم صبى إلا واحد كانت أمه تحبه حبًّا شديدًا فخرجت به إلى الجبل حتى بلغت ثلثه، فبلغها الماء، فصعدت إلى ثلثيه، فبلغها الماء، فاستوتْ على الجبل، فلما بلغ الماء رقبتها رفعته بيدها حتى ذهب بهم الماء، فلو رحم الله منهم أحدًا لرحم تلك المرأة، ودعا نوح ابنه كنعان، وقيل: اسمه يام، فأبى وقال: سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء، يعنى به: النجف، جبلاً لم يكن على وجه الأرض أعظم منه ارتفاعًا، فأوحى الله إليه: أيعتصم بك منى ؟ فَتَقَطَّعَ الجبل وصار رملاً دقيقًا، وانخفض مكانه؛ فصار بعد أن نضب الماء بحرًا، فسمى ذلك البحر: نى، ثم جف بعد ذلك، فقيل: نى جف، فخففه الناس نجف. كذا أورده فى العلل صاحب مروج الذهب العلامة المسعودى.

ولما ركب نوح السفينة ومن معه من الكوفة، قال: ﴿ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ﴾ [هود: ٤١] فقيل: إن الماء ارتفع على أعلى جبل فى الأرض أربعين ذراعًا، ووكل الله بالسفينة سبعين ملكًا يحفظونها، ودوى الماء كالرعد القاصف، والسفينة تشقه شقًّا عنيفًا، ونوح ينادى العفو العفو يا الله، وأظلمَ الجَوُّ، وأتاه جبريلُ بلؤلؤة تطلع من مشرق السفينة؛ فيعلمون بها الشرق والغرب، والقبلة والشمال، وتمشى فى سقف السفينة طول النهار لمعرفة الساعات، فإذا وصلت إلى

المغرب، طفىء نورها وتصير ليلاً على هيئة القمر فى زيادته ونقصانه أول الشهر هلال، وتزداد حتى تصير بدرًا، ثم تنقص كذلك حتى تصيرَ هلالاً. ولم تزل السفينة تطوف الأرض إلى موضع الكعبة، فطافت أسبوعًا، ثم عادت إلى جدة وطلبت الحبشة، ثم عادت إلى الروم إلى جبال الأرض المقدسة جارية لا تفتر شرق الأرض وغربها إلى مدة ستة أشهر.

روى أن نوحًا - عليه السلام - نام فى السفينة، فهبتْ ريح، فانكشفت عورته، فضحك حام ويافث، فزجرهما سام وستره، فانتبه وسأل سام، فأخبره، فقال: اللهمَ غَيِّرْ ما في صلب حام حتى لا يولد له إلا السودان، وغير ما في صلب يافث، واجعلْ ذريتهما خَوَلاً لذرية سام، فجميع السودان والحبش والهند والسند من حام، وجميع الترك والصين والصقالبة ويأجوج ومأجوج من يافث ابن نوح، وجميع العرب والعجم والروم وفارس من سام بن نوح - عليه السلام[١].

ثم إن الماء بعد ستة أشهر جعل ينقص، فأول ما ظهر جبل أبى قبيس بمكة، فأوحى الله إلى الجبال: إنى مُرْسٍ على أحدكم السفينة، فتطاولت وشمخت، إلا الجودى - جبل بالموصل كان من أكبر الجبال وأعلاها - فتواضع لله، وقال: أنا أقلُّ من أن ترسو السفينة علىّ، فأمر الله الملائكة بوضعها عليه عاشر المحرم، ويقال: إن الجودى من جبال الجنة، ثم إن الأرض بلعَت ماءها، وأراد ماء السماء النزول معه فأبت الأرض فصار بحارًا وأنهارًا وهو المروى عن أهل البيت.

وفى كتاب الوصية: صار بحرًا حول الدنيا، فماء البحر الموجود الآن من بقية ذلك الماء، وهو ماء سخط، ألم تره يُغْرِقُ فيُهلك إلى الآن، والعياذ بالله تعالى.

فأرست على الجودى شهرًا، إلا أنهم لم يعرفوا على أى شىء أرست، وانجاب السحاب وطلعت الشمس، وفتح نوح باب السفينة فدخل الضوء وبان فى السماء قوس قُزَحَ؛ فكان ذلك آية بينه وبين الله تعالى أنه أمان من الغرق.

قيل: كان عليه وتر وسهم، فنزع الوتر والسهم علامة للأمان، فكبر نوح ومن

---

(١) ينظر: تاريخ الطبري (١/ ٢٠٢-٢٠٣). وفيه: « أن حام رأى عورة أبيه فلم يغطها ورآها سام ويافث فألقيا عليها ثوبًا فواريا عورته » فقال نوح: « ملعون كنعان بن حام عبيدًا يكونون لإخوته ». وقال: « يبارك الله ربي في سام، ويكون حام عبد أخويه، ويقرض الله يافث ويحل في مساكن حام ويكون كنعان عبدًا لهم ».

معه، وانتفضت الطيور، وتحركت الوحوش، فأرسل نوح - عليه السلام - الغراب لينظر هل بقى من الماء على وجه الأرض شيء، واستنظره سبعة أيام؛ فلم يعد، واشتغل بأكل جيفة دابة غرقَتْ بالطوفان ونسى ما توجه إليه، فلعنه نوح - عليه السلام - وقال: اللهم، قتر رزقه وبغِّضه إلى بنى آدم، وقيده فى مشيه، وحشى لا يستأنس، مبغوض فى بنى آدم.

ثم بعث الحمامة وانتظرها، فلم تجد فى الأرض قرارًا، فوقفت على شجرة الزيتون بأرض سبأ، وحملت ورقة زيتون بمنقارها، ورجعت إليه. ثم بعثها بعد أيام، فأتتْ وادى الحرم، فأول ما نضب الماء عن موضع الكعبة، فخضبت رجليها وتطوقَتْ بطينتها وكانت حمراء، فرجعت فى أسرع وقت، فقالت: يانبى الله، قد نضب الماء عن الأرض. وقيل: إنها انطلقت إلى المشرق والمغرب، وعادَتْ مسرعة، وقالت: يانبى الله، هلكت الأرض. ومن عليها. وأما الماء فلم أر إلا ببلاد الهند، ولم يبق على وجه الأرض إلا الزيتون، فإنه أخضر لم يتغير، فبارك فى شجر الزيتون، ودعا للحمامة: اللهم، اجعلها أبرك الطيور، وأزكاها، وآنسها ببنى آدم، وأكثرها فراخًا، وجملها بطوق عوضًا عن هذا الطين الأحمر، واخضب رجليها. فاستجاب الله دعاءه، وفيها يقول الشاعر من قصيدة: [من الوافر]

فَأَرْسَلَهَا نَبِيُّ اللهِ نُوحٌ ... لِتَنْظُرَ هَلْ عَفَا رَبُّ السَّمَاءِ؟!
فَآبَتْ وَهْىَ قَدْ صُبِغَتْ بِمَاءٍ ... وَفِى أَعْنَاقِهَا طِينُ الْبَرَاءِ
وَفِى مِنْقَارِهَا وَرَقٌ قَلِيلٌ ... أَقَامَتْهُ عَلَى صِدْقِ الْوَفَاءِ
فَأَكْرَمَهَا رَسُولُ اللهِ نُوحٌ ... وَأَكْثَرَ فِى الْمَقَالَةِ بِالدُّعَاءِ
وَطَوَّقَهَا وَسَرْوَلَهَا إِلَهٌ ... تَعَالَى رَبُّنَا ذُو الْكِبْرِيَاءِ
فَكُنْ للهِ خَالِقِنَا مُطِيعًا ... فَجَنَّةُ رَبِّنَا لِلأَتْقِيَاءِ

ذكرت بقوله« وطوقها وسرولها » قول الشاعر فيها: [من الخفيف]

زَعَمُوا أَنَّ لِلْحَمَامَةِ حُزنا ... فَأَرَاهَا فِى الْحُزنِ لَيْسَتْ هُنَالِكْ
خَضَبَتْ كَفَّهَا وَطَوَّقَتِ الْجِيدَ وَغَنَّتْ وَمَا الْحَزِينُ كَذَلِكْ

وأقام نوح - عليه السلام - ينتظر الأمر من ربه ثلاثين يومًا، وقد اخضرَّ الجبل ونبت العشب، فأوحى الله إليه: ﴿ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا . . .﴾ الآية [هود:٤٨] فنزل

من السفينة بمن معه، فرأى العظام قد تفرقت من الماء الحار؛ فهاله ذلك واشتد حزنه، فأوحى الله إليه: هذا أثر دعوتك، أما إنى آليت على نفسى ألاَّ أعذب خلقى بمثل هذا أبدًا. وأمره بأكل العنب الأبيض، فأكله فأذهب الله عنه الحزن، وكان ذلك لخاصية فيه. ونزل نوح فى الأرض ومعه ثمانون نفسًا من ذكر وأنثى غير أولاده الثلاثة سام وحام ويافث، فسمى ذلك المحل: « قرية الثمانين »، وهى قرية من نواحى جزيرة ابن عمر عند الجودى، فهى أول قرية بنيت بعد الطوفان، سميت بعدد الذين خرجوا من السفينة، وإليها ينسب الإمام أبو القاسم عمر بن ثابت الثمانينى النحوى.

قال فى معالم التنزيل: وعقد نوح فى وسط الجامع قبة، فأدخل إليها أهله وولده والمؤمنين، إلى أن مَصَّرَ الأمصار، وأسكن أولاده البلدان، فسميت الكوفة قبة الإسلام بسبب تلك القبة.

ثم إن نوحًا استخلف ابنه يافث، وأخذ سامًا وحَجًا، وأخذ معه الركن والمقام وأودعاه جبل أبى قبيس. ولما رجع، قسم الأرض بين بنيه الثلاثة: فأعطى حامًا المغرب والسواحل، وأعطى يافث المشرق إلى مطلع الشمس، وأعطى سامًا الشام واليمن.

ولما صار لسام أربعمائة سنة، انتقل النور المحمدى إلى زوجته، فلما كملت أشهرها رزقت أرفخشد، فأحسن تربيته، وأوحى الله إلى نوح: إن نبوتك قد انقضت فاجعل الاسم الأعظم ومواريث الأنبياء عند سام؛ فإنى لا أترك الأرض بغير عالم يكون حجة لى على خلقى، وبشر المؤمنين بأن الله سيفرج عنهم بنبى اسمه هود يهلك من كفر به بالريح، فمن أدركه فليؤمن به، فدعا سامًا وسلم إليه مواريث الأنبياء، وأمره ونهاه.

وروى عن سعد بن عبد الله، عن ابن إبراهيم بن هاشم، عن على بن الحكم، عن بعض أصحاب أهل البيت، عن أبى عبد الله قال: عاش نوح ألفى سنة وخمسمائة عام، ثم جاءه ملك الموت وهو فى الشمس، فقال: السلام عليك، فرد نوح - عليه السلام - وقال: ما جاء بك ؟ قال: جئت لأقبض روحك، قال: فدعنى أدخل من الشمس إلى الظل، فقال له: نعم، فتحول، فقبض روحه، فجهزه ابنه كما أوصاه، وصلى عليه هو وإخوته، ودفنوه فى الموضع الذى مات فيه، قال بعض المؤرخين:

دفن بحضرموت، وقيل: بمكة[١].

وروى: أن قبره بظهر الكوفة.

قال في الأنس الجليل تاريخ القدس والخليل: إن قبره بكرك[٢] نوح.

وبين نوح وآدم - عليهما الصلاة والسلام - عشرة آباء، ومن السنين ألفا سنة ومائتان واثنان وأربعون، وكان أقل أعمار قوم نوح ثلاثمائة سنة.

قال المسعودي في المروج[٣]: إن عقب من كان مع نوح في السفينة دثر بالوباء، فنسل الخليقة منه وحده، يعني: من أبنائه الثلاثة: سام وحام ويافث؛ قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴾ [الصافات: ٧٧] فهو أبو الأنبياء، وكانت رسالته عامة.

ولما قبض، قام بعده ابنه سام بأمر الله تعالى، وآمن به شيعة نوح - عليه السلام - ولما انقضت أيامه، أوحى الله إليه أن يستودع الاسم الأعظم وميراث الأنبياء ابنه أرفخشد، فدعاه وأوصى إليه بما أوصاه به نوح - عليه السلام - ومات وعمره ستمائة سنة، وله من الأولاد إرم وأرفخشد وفلوج وياشور والأسود وغيرهم.

ومن ذرية سام النبي: صالح - عليه السلام - وهو صالح بن عبيد بن عابر بن إرم ابن سام، ومن ذريته أصبهان بن فلوج بن سام، ومن ذريته فارس ونبط ابنا ياشور بن سام، ومنهم عاص وعبيد ابنا عوص بن إرم بن سام، ومنهم بَوَّان بن إيران بن الأسود بن سام، وهو صاحب الشِّعْبِ شِعْبِ بَوَّان، وهو عدة قرى ومياه متصلة وعليها الأشجار حتى غطت تلك القرى؛ فلا يراها الإنسان حتى يدخلها؛ قال أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي فيه: [من الوافر]

مَغَانِي الشِّعْبِ طِيبًا فِي المَغَانِي ... بِمَنْزِلَةِ الرَّبِيعِ مِنَ الزَّمَانِ

وقال آخر: [من الرجز]

شِعْبُ بَوَّانَ قَرَارُ الذَّاهِبِ ... فَثَمَّ تُكْفَى رَاحَةُ النَّوَائِبِ

---

(١) قال ابن كثير في البداية والنهاية (١/ ١٣٧) « وأما قبره -عليه السلام- فروى ابن جرير والأزرقي عن عبد الرحمن بن سابط أو غيره من التابعين مرسلًا؛ أن قبر نوح -عليه السلام- بالمسجد الحرام. وهذا أقوى وأثبت من الذي يذكره كثير من المتأخرين من أنه ببلدة بالبقاع تعرف اليوم بـ « كرك نوح » وهناك جامع قد بني بسبب ذلك فيما ذكر، والله أعلم. اهـ

(٢) ينظر: التعليق السابق.

(٣) ينظر: مروج الذهب (١/ ٤١) ولفظه: « ودثر عقب هؤلاء الثمانين نفسًا (يقصد من كانوا مع نوح في السفينة) وجعل الله نسل الخليقة من نوح من الثلاثة من ولده ».

وقال آخر: [من الطويل]

إِذَا أَشْرَفَ المَكْرُوبُ مِن رَأْسِ تَلْعَةٍ   عَلَى شِعْبِ بَوَّانَ اسْتَرَاحَ مِنَ الْكَرْبِ

وهو أحد جنان الدنيا الأربعة: غوطة دمشق، ونهر الأُبُلَّة، وصُغْد سَمَرْقَند، وشِعْب بَوَّان. ومنهم كِرْمَان - بالفتح والكسر - بن فلوج بن سام، ومنهم لقمان الحكيم بن عاد الأخرى ابن شَدَّاد بانى إرم ذات العماد أخى شديد بن عاد الأولى بن عوص بن إرم بن سام.

وأما يافث بن نوح، فله من الأولاد بوبان ويأجوج ومأجوج وناويل والخزر والفرنج والصقالبة وقبرس وقسطنطين وكرم وكرد وتاريس وكادى إلى اثنين وعشرين قبيلة، خرج من هذه القبائل ثمانمائة قبيلة، خرج منها أمم لا تعد ولا تحصى.

استخلفه أبوه نوح على المؤمنين، لما أخذ بيد ابنه سام، وتوجه إلى الكعبة، وختم السفينة وأوصاه بها، وقال له، يا بني، استوص بأخيك حام، ووله بعض أمورك وأحسن إليه، فقال سام: يا أَبَتِ، لا أقطع أمرًا دونه، فشكره نوح - عليه السلام - على ذلك، وجعل له المشرق، ودعا له بأن يكون الملك فى ولده.

وحضرت يافث الوفاة فأوصَى إلى أخيه سام ببنيه، فمات ودفنه سام وحام وحزنا عليه، وكان عمره خمسمائة وخمسين سنة.

وأما حام، فقال وهب بن منبه: كان رجلًا أبيض حسن الصورة والوجه، فغير الله لونه وألوان ذريته بدعوة أبيه نوح - عليه السلام - عليه فمنه جميع السودان من النوبة والبربر والزنج والحبشة والقبط، ومن ذريته مصر بن بيصر بن حام، وهو الذى سميت البلاد المعروفة مصر باسمه، ومن ذريته - أيضًا - الهند والسند ابنا حام.

وكيفية دعاء نوح - عليه السلام - عليه أن قال: ملعون حام، عبيد لإخوته، ثم قال: مبارك سام، ويكثر الله يافثًا فى مسكن سام.

وفى كتاب المبتدا: قال عبد الله بن سلام: إن حامًا لم يطأ زوجته؛ لأن أباه قال فى دعائه: اللهم، غير ما فى صلب حام حتى لا يولد له إلا السودان مدة حياة نوح خوفًا من دعوته حتى مات، فطال ذلك عليه، ثم إنه جامع زوجته، فلما حملت، ولدت له غلامًا أسود ومعه جارية سوداء، فسمى الغلام كوشا، فلما رأى سوادهما، فزع وجاء إخوته، وقال: إنى رأيت خلقًا لم أر مثله، فسألت زوجتى لا يكون قربها

شيطان ؟ فقالت: ما قربنى أحد غيرك، فقالا له: هذه دعوة أبيك نوح، فاغتمَّ لذلك، ثم أمسك عن وطئها دهرًا طويلًا، ثم واقعها فحملت وولدت ولدين أسودين، فهم حام أن يَجُبَّ نفسه، فمنعاه، ثم طال عليه الأمر، ثم واقعها فولدت غلامًا وجارية أسودين، فسمى الغلام كنعان، ثم مات حام وأوصى إلى سام، فدفنه إلى جانب أخيه يافث، وكان عمره حينئذٍ خمسمائة وسبعين سنة، ومن ذرية حام جميع السودان والحبش كما تقدَّم، والهند والسند، وهما ابنا يرقن بن يقضن بن حام.

قال العلامة المسعودى فى المروج: يقال: إن هذا الاسم - يعنى الهند - مأخوذ من التهنيد، وهو لغةً: سَلْبُ العقل من المحبة والعشق والهوى، قد هندته النساء؛ فهو مهندٌ، أى: سلبته عقله؛ ولذلك كثر فى النساء اسم هند. ثم استطرد فقال: ويقال: إن أهل بلد الهند أكثر البلدان جهلًا بالدين، وأصحها عقلًا فى أمور الدنيا؛ مثل الحساب والصنائع، وهم ابتدعوا الجبر والمقابلة، ونصبوا الأحرف التسعة، ومنهم صصه واضع الشطرنج، وقصة تمنيه على الملك فى مقابلة وضعه له بالتضعيف أعجب من وضعه.

قلت: فى ذُكرى ورود حديث فيها هو: الهند بلاد الغفلة عن ذكر الله[1]، أو كما قال ﷺ.

قال المسعودى: ويحكى أن الزِّنَى والفساد ببلد الهند أكثر منه من كل بلد من بلدان الدنيا؛ لقول الفلاسفة: إن شهوة النكاح إنما تكون أكثرها فيما يقطعه الخاتن والخافضة من ذكر الغلام وفرج الجارية، فلما كانت الهند لا تستعمله لا فى الذكر ولا فى الأنثى، كثر عندهم الزِّنَى؛ لكثرة الشبق فى الرجال والنساء؛ للعلَّة المذكورة، وكذلك كل بلد حاله فى ترك الختان حال الهند.

وليس فى الهند شىء من النخل ولا من الكرم، ولا يعرفونهما إلا بالوصف أو يجلب إليها.

ومن جهل أهل الهند: أن أحدهم يبيع رأس نفسه فيقطعه بيده على أن يعود حَيًّا بعد ثلاثة أيام، ومن ذلك: أن أحدهم يطرح نفسه فى النار بحضرة أبيه وأخيه وابنه وأقاربه؛ فلا يمنعه منهم أحد ويغبطونه على ذلك ويحمدونه، وعجائب من مثل هذه

---

(١) مثل هذا الحديث لا يصح. ولم أجده في كتب الحديث المعتبرة.

الأفعال تأباها البهائم، وتفر إلى الحياة خوفًا من الموت؛ ذكر هذا أبو الفتح أحمد بن المطرف فى كتاب الترتيب.

قلت: ورأيت فى مروج الذهب[١] ما نصه: الهند تعذب أنفسها بالنار، وقد تيقنت أن ما ينالها من النعيم فى المستقبل مؤجلًا هو ما أسلفته وعذبتْ به أنفسها فى هذه الدار معجلًا. ومنهم من يسير إلى الملك فيستأذنه فى إحراقه نفسه، ثم يدار به فى الأسواق، وقد أججت له نار عظيمة، وقد وكل بها ناس لإيقادها، فيسير فى الأسواق والشوارع قُدَّامه الطبول والصنوج، وعلى بدنه أنواع من الحرير قد مزقها على جسده، وحوله إخوته وقرابته وأهله، وعلى رأسه إكليل من الريحان، وقد قشر جلدة رأسه العليا، وقد وضع مكانها الجمر، وقد عمل عليه الكبريت والسندروس، فيسير وهامته تحترق وروائح دماغه تفوح، وهو يتبختر ويمضغ التنبل[٢] وحب الفُوفل إلى أن ينتهى على تلك الحالة إلى النار، وقد صارت كالتل العظيم.

قال: ولقد حضرت ببلاد من الهند يقال لها: صيمور، فرأيت فتى من فتيانهم وقد طيف به على ما ذكرنا، فلما دنا من النار، أخذ الخنجر فوضعه على فؤاده فشقه، ثم أدخل يده الشمال فقبض على كبده، فجذب منها قطعة وهو يتكلم، قم قطعها بالخنجر، ودفعها إلى بعض إخوانه تهاونًا بالموت - ولذة بالنقلة، ثم أهوى بنفسه فى النار، فسبحان مقسم العقول، لا إله غيره.

أقول: ذكرت بقول المسعودى الهند تعذب أنفسها ... إلى آخر ما ذكره قولَ القاضى ناصح الدين أبى بكر أحمد بن الأرجانى قاضى تستر الشاعر المشهور فى وصف الشمعة حيث يقول: [من البسيط]

صفْرَاءُ هِنْدِيَّةٌ فِى اللوْنِ إنْ نُعِتَتْ ... وَالْقدُّ وَالدِّينِ إنْ أَتْمَمْتَ تَشْبِيهَا

فَالْهِنْدُ تَقْتُلُ بِالنِّيرَانِ أَنْفُسَهَا ... وَعِنْدَهَا أَنَّهَا إِذْ ذَاكَ تُحْيِيهَا

وهذان البيتان له من قصيدة يمدح بها قاضى القضاة بفارس طاهر بن محمد، صَدَّرها بوصف الشمعة بما لم يسبق إلى مثله فى سالف الأعصار، ولم يشقَّ له إلى غابر الزمن غبار، وهى طويلة مشهورة.

---

(١) ينظر: مروج الذهب (١/٢٠٩-٢١١).

(٢) التنبل: نبات من الفصيلة الفلفلية يمضغون ورقه وهو اليقطين الهندي. ينظر الوسيط (١/ ٨٩).

قال[١]: ومن قلة عقولهم وسفاهة أحلامهم المغالاة فى اللعب بالشطرنج بما فيه ذهاب المال؛ بل النفس، والأغلب على استعمالهم اتخاذه من العاج يجعلون كل قطعة كالشبر فى عرض ذلك، وإذا لعبوا بها، قام الواحد على قومه، والأغلب عليهم فى اللعب القمار على الثياب والمال والجواهر، وربما نفد ما عند أحدهم؛ فيلعب على قطع عضو من أعضائه، ويجعل إلى جانبه قدرًا صغيرًا من النحاس على نار فحم فيها دهن [لحم] [٢] أحمر؛ فيغلى ذلك الدهن وهو دهن مدمل للجرح ماسك للدم، فإذا قمر وقطعت أعضاؤه واحدًا بعد واحد، غمس يده فى ذلك الدهن فاندمل، ثم عاد إلى اللعب، وربما توجه عليه اللعب فى قطع جميع أصابعه وكفه وذراعه وزَنْده، وكل ذلك يستعمل له الكى بذلك الدهن، وهو دهن أحمر عجيب يعمل من أخلاط وعقاقير بأرض الهند، قال: وما ذكرناه عنهم مستفيض عن فعلهم.

ثم قال: والهند تتخذ الفيلة وتتناتج فى أرضهم[٣]، ولها بها آفة عظيمة من حيوان يعرف بالزبرق، وهو دابة أصغر من الفهد، أحمر [ذو زغب][٤]، له عينان براقتان، عجيب سريع الوثبة، يبلغ فى وثبته الثلاثين والأربعين والخمسين ذراعًا وأكثر، فإذا أشرف على الفيلة، رش عليها بوله بذنبه فيحرقها، وربما لحق الإنسان فقتله، وربما تعلق الخائف من الناس منها بأكبر ما يكون من شجر الساج[٥]، فإذا عجز عنه، لطىء بالأرض ووثب، فإن لم يلحق فى وثبته، رش بوله إلى أعلى الشجرة، فإذا لم يصبه وضع رأسه فى الأرض وصاح صياحًا عجيبًا غيظًا، فيخرج من فيه قطع دم ويموت من ساعته. وأى موضع من الشجرة أصابه شىء من بوله أحرقه، ومرارة هذا الحيوان ومذاكيره سُمّ ساعة، تدخره الملوك وتسقى به السلاح؛ فيقتل من أدنى جراحه من ساعته. ومذاكيره كمذاكير كلابِ الماء التى يخرج منها الجندبادستر.

وكلب الماء هذا - أيضًا - مشهور عند الصيادلة [٦] ببلاد الهند، وهو فارسى

(١) ينظر: مروج الذهب (٢/ ٧،٨).
(٢) زيادة من مروج الذهب.
(٣) ينظر: مروج الذهب (٢/ ٨).
(٤) زيادة من مروج الذهب.
(٥) قال المسعودي بعد ذلك معرفًا بشجر الساج: هي أكبر من النخل وأكبر من شجر الجوز.
(٦) في ط: الصياقلة والمثبت من المروج، ولعله الصواب.

معرب، وإنما هو كند، وتفسيره الخصية.

والدابة المتقدم ذكرها - وهى الزبرق - لا تأوى إلى موضع يكون فيه النوشان، وهو الكَرْكَدَنّ، وتهرب منه كما يهرب منها الفيل، سبحان الله، أبدان مسلطة على أبدان، والفيلة تهرب من السِّنَّور ولا تقف لها ألبتة ولو ضربت(١).

وقد أخذت ملوك ملوكًا بتخلية السنانير بين أيدى الفيلة ففروا وكسروا.

والفيلة لا تنتج ولا تتوالد إلا بأرض الزنج والهند، وتتخذ الزنج الدرق من جلده وأذنه، وخرطومه: [أنفه]،(٢) ويوصل به الطعام والشراب إلى جوفه، وهو شىء بين الغضروف واللحم والعصب، وبه يقاتل، ومنه يصيح.

وكل حيوان ذي لسان فأصل لسانه إلى داخل وطرفه إلى خارج، إلا الفيل فبالعكس. والهند تزعم أنه لولا ذلك لتكلم إذا كلم لحدة فطنته(٣).

وقد قيل: أحذق الحيوانات وأفطنها بعد بنى آدم القرد والفيل وقد أهدى للمتوكل العباسى قرد صائغ وفيل خياط. ذكر هذا العلامة السيوطى.

ويظهر من جباه الفيلة ورءوسها عرق كالمسك والطيب، تراعى ذلك الطيب أهل الهند فى القليل من الزمان الذى يكون فيه؛ فتأخذه وتحمل عليه بعض أدهان طيبة؛ فيكون أغلى طيبها والمستظرف عندها الذى يستعمله الملوك والخواصّ لضروب من المنافع: منها طيب الرائحة التى تفوق سائر الروائح الطيبة، ومنها مايؤثر فى الإنسان عند شمه من ظهور الشبَق فى الرجال والنساء، والطرب والنشاط والأريحية، وكثير من فتاك الهند تستعمله عند اللقاء فى الحروب؛ لأنه يشجع القلب ويقوى النفس ويحث على الإقدام، وأكثر مايظهر هذا العرق من الفيلة عند اغتلامها وهيجانها، وإذا كان ذلك منها تهرب سوّاسها ورعاتها عنها، ولا تفرق بين من تعرف وبين غيره من الناس.

وظهور هذا العرق منها فى وقت من السنة لا دائمًا، وإذا واجه الكركدنّ حال هيجانه لايهرب من الكركدن؛ بل يهرب منه الكركدن حينئذ؛ لأن الفيل عند ذلك سكران لا يعقل ولا يميز، وإذا نَدَّ عنه ذلك الفصل، واسترجع، عاد إلى بلده على

(١) ينظر: مروج الذهب (٢/ ٩).
(٢) المثبت من المروج.
(٣) ينظر: مروج الذهب (٢/ ١٣).

مسيرة شهر أو أكثر، وهو فى سكره فيبقى عليلاً نحو مدة هيجانه، ولايكون هذا العرق إلا فى الفحول من الفيلة وذوى الجرأة والإقدام منها.

ثم قال: وأما السند فإنهم جيل معروفون فى بلادهم، يقال: سندَ فلان إلى الجبل إذا ارتفع، سموا بذلك لارتفاع فى أرضهم، والسند كالرابية من الأرض، والجمع: سنود وأسناد. والإسناد: مصدر أسندت الحديثَ إلى فلان، أى: رفعته إليه، ويقال للناقة الموثقة الخلق: سِنَاد، والسناد: عيب من عيوب القوافى.

فرجع: فقام أرفخشد مقام أبيه سام أحسن قيام، وتزوج، فولد له شالغ - بشين معجمة، وألف، ولام مفتوحة، وغين معجمة، ويقال: بالخاء المعجمة - ومعناه: الوكيل، أمه شبروما بنت سيدوك. فاستودعه أبوه أرفخشد النورَ والحكمةَ ومواريث الأنبياء.

ومات أرفخشد - ومعناه: مصباح مضىء - وله من العمر أربعمائة سنة وخمس وستون سنة، فقام بأمر أبيه والمؤمنون معه قليلون؛ لأن إبليس جعل يغوى بنى آدم لما مات أرفخشد بكل طريق، وإذا نزل واحد من بنى سام إلى بنى يافث وحام، ورأى ماهم فيه من اللذات والشراب والزنا وأنواع الطرب، افتتنَ بذلك، فهجروا بلادهم وتتبعوا القوم، وصار الرجل يجذب من بنى أبيه وهم كل يوم ينقصون، وتم لإبليس مراده ولم يبق من شالغ إلا قليل من بنى أبيه لا طاقة لهم ببنى يافث وحام، واشتد كفرهم أكثر مما كان عليه بنو قابيل اللعين، إلا أنهم لا يتقاتلون ولا يغزو بعضهم بعضًا ولا يتعرَّض كافرهم لمؤمنهم. واختطوا الأرض وملئوها عرضًا وطولاً، وشكت الأرض إلى الله منهم. وتزوج شالغ وولد له عابر، وهو هود - عليه السلام - ومعنى شالغ الرسول، وشالغ وبنو أبيه قد سكنوا الموضع الذى نزل فيه نوح؛ لئلا يضايقوا بنى حام ويافث، وقد رضوا منهم بالمتاركة. وكان بنو يافث قَدَّمُوا عليهم رجلاً منهم وملكوه اسمه خامر بن يافث، وكثر بغيهم، وإبليس نكر بعضهم على بعض، ولم يزالوا على ذلك طول عمر شالغ إلى أن حضرته الوفاة، فأمر أن يستودع الاسم الأعظم والحكم والنور ابنه عابر، وهو هود النبى - عليه السلام - فدعاه وأوصى إليه وأخذ عليه العهد فى النور المحمدى، وقبض شالغ وعمره أربعمائة سنة، فسلك به مسلك آبائه، ودفنه إلى جانب أبيه، فاضطربوا بعد

موت شالغ وتباغضوا.

وفى زمنه ملك عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح الذى تنسب إليه القبيلة، كان رجلاً خيارًا شديد الخلق يعبد القمر. رأى من صلبه أربعة آلاف ولد، منهم شديد وشداد وعلوان، وكانت بلاده متصلة باليمن، وهى بلاد الأحقاف وسنجار والدم والدهناء ويبرين إلى عُمان وحضرموت، وكان يقال لعقبة: عاد؛ كما يقال لبنى تميم: تميم، ثم يقال للأولين منهم: عاد الأولى، وإرم، تسمية لهم باسم جدهم، ولمن بعدهم: عاد الأخيرة؛ قال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴾ [النجم: ٥٠] وكانوا أعطوا من الخلق والقوة مالم يعط أحد من بنى آدم قبلهم ولا بعدهم؛ ولذلك تجبروا فسموا جبارين، واحتقروا من سواهم من الخلق من ولد يافث وحام، وهم الذين ملكوا سائر الأقاليم. وكان على أولاد سام ببابل كيومرث بن أميم بن لاوذ بن سام بن نوح، وهو أول ملك ببابل، وقسم عاد الأرض بين ولديه شديد وشداد، فهلك شديد وكان أظلم وأطغى من أبيه عاد، ومات عاد وله من العمر ألف ومائتا سنة، فرجع الملك إلى شداد بن عاد وقوم هذا هم عاد الثانية، وهم الذين قالوا: ﴿ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾ [فصلت: ١٥] روى أن الرجل منهم كان يحمل الصخرة على الحى فيهلكهم، وكان طول الرجل منهم مائة وعشرين ذراعًا بذراعهم وعرضه ستون ذراعًا، وكان أحدهم يضرب الجبل الصغير فيقطعه، وكانوا يسلخون العمد من الجبال؛ فيجعلون طول العمد مثل طول الجبل الذى يسلخونه من أسفله إلى أعلاه، ثم ينصبون العمد فيبنون فوقها القصور.

وأراد شداد ملك الأرض كلها فوجه إلى بنى يافث وبنى حام وبقية بنى سام من أهل بيته وقومه ثلاثة نفر مع كل واحد منهم عشرة آلاف من الجبابرة من ولد عاد، ووجه إلى أولاد سام الذين ببابل ابن أخيه الضحاك بن علوان بن عاد، وهو الذى تسميه العجم ايراسف. ولما جاءهم، هرب منه ملكهم جمشيد؛ لعلمه أن لا طاقة له بقتال الجبابرة الذين معه، فطلبه الضحاك حتى ظفر به، فامتلخ أمعاءه ونشره بمنشار وملك أرضه ومملكته، ومنهم كانت الجبابرة بالشام الذين يقال لهم: الكنعانيون. ووجه إلى ديار حام ابن عمه الوليد بن عمليق، وبه سمى العمالقة، وهو ابن دومع ابن عوص بن إرم بن سام بن نوح. وكان على بنى حام ملكة يقال لها بطريا أخت

حوريا التى بنى لها جبير المؤتفكى العملاقى مدينة الإسكندرية، فوصل الوليد بن عمليق إليها واستولى وغلب على ملكها وقتلها وملك مصر وعمر عمرًا طويلاً، وهو الذى بنى الأهرام على أحد الأقوال.

ولما مات ولى مصر ابنه الريان بن الوليد بن عمليق.

ووجه إلى ولد يافث ابن أخيه غانم بن علوان أخا الضحاك بن علوان، وكان ملك يافث قراسيات بن ترك بن يافث بن نوح، فغلبه غانم واستولى على ملكه وأرضه، ولم يزل شداد ملكًا إلى أن بنى المدينة وأخذته الصيحة عند إرادة دخولها، فتولى بعده رجل يقال له: الخلجان بن عتيد آخر عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح، وانتقلوا من ديارهم إلى الأحقاف من عُمان إلى حضرموت فزعًا مما أصاب قومهم من الصيحة، وقصة بناء المدينة ووصفها مذكور مشهور لا نطول بذكره.

قال ابن بابويه: وجدت فى كتاب المعمر بن عثمان: أنه ذكر عن هشام بن سعيد الرحال قال: وجدنا بالإسكندرية حجرًا مكتوبًا فيه: أنا شَدَّاد بن عاد، وأنا الذِى شيدت العماد، التى لم يخلق مثلها فى البلاد، وجندت الأجناد، وسددت بساعدى السواد، فبنيتها إذ لا شيب ولا موت، وإذا الحجارة مثل الطين فى اللين، وكنزت كنزًا في البحر لم يخرجه أحد حتى تخرجه أمة محمد ﷺ.

ثم تزوج شالخ مرجانة - وقيل: معلب - بنت عويلم، فولدت له عابر - بعين مهملة وباء موحدة مفتوحة - وكان أشبه ولد آدم بآدم، فلما وضعته سمعت النداء والأصوات من كل مكان: هذا نور محمد ﷺ، يكسر كل صنم، ويقتل كل من طغى وكفر. فخرج عابر أكمل قومه جمالاً، وقد أرسل بنبوة خاصّة. ومن حديثه أنه لما أهلك الله شدادًا وغيبت عنهم المدينة وطلبوها فلم يجدوها، ولوا عليهم أخا عاد، واسمه الخلجان بن عوص بن إرم بن سام بن نوح؛ كما تقدم، وانتقلوا من تلك الديار فزعًا مما أصاب قومهم إلى الأحقاف والأحقاف رمال ما بين عُمان إلى حضرموت، ومضى لهم سنون لا يدينون بدين ولا يعرفون الله، وملكوا الأرض كلها وقهروا أهلها بقوتهم، وبقى الولاة الثلاثة المتقدم ذكرهم مع من معهم بمصر وغيرها كما هم قد ملكوا البلاد بعد شداد.

وقطن هؤلاء بالأحقاف وكانوا إحدى عشرة قبيلة: العتود، والجلود، وصداء،

ودقل، وزمر، وشود، وزمل، وحمد، والصمود، وجاهد، ومناف. فجاءهم إبليس فى صورة شيخ يرتعد، وزعم أنه من أولاد شيث، وأنه كان على سِيفِ البحر مما يلى جُدَّة قد انفرد لعبادة ربه، وسألهم: ما الذى أوقعكم إلى هذه الأحقاف والرمل، وغيرها أخصب وأحسن؟ فحدثوه حديث هلاك عاد والمدينة. فضحك وقال: هل سمعتم أحدًا فى الأرض لا رَبَّ له؟ قالوا: لا، قال: لو كان معه رب يعبده ويسجد له ما أصابه شيء كما كان مع آبائه الأولين. وها هو معى يحفظنى ويرعانى، وأخرج لهم صنمًا لطيفًا من الذهب الأحمر عيناه من الياقوت الأزرق، فوضعه وسجد له، وقد وكل ماردًا كلما سجد قال له المارد: ارفع رأسك، وسلنى ما بدا لك، فلما سمعوا ذلك قالوا: هذا هو الحق، ونحن لا إله لنا، وسنشاور ملكنا الخلجان، فنحَتَ لهم إبليس حجرًا وأمرهم أن يبنوا له بيتًا ويمنعوه فيه، ففعلوا، ووكل به ماردًا، وقال لهم: اجعلوا هذا اليوم عيدًا تذبحون عنده وتتقربون إليه بالقرابين، يخاطبكم بجميع ما تريدون، فسجدوا له، فخاطبهم المارد بقوله: يا أهل عاد، لو كان هذا الفعل منكم قديمًا ما كنت أهلكت ملككم شداد، والآن قد عفوت عنكم، فاستقيموا على عبادتى، أؤمنكم من كل سوء وأخصب بلادكم، وسماه لهم: الهناة؛ فصار صنم الخلجان، وهو أول صنم اتخذته عاد، فاتخذت كل قبيلة منهم صنمًا سموه باسم سيد قبيلتهم.

ولم يزالوا كذلك عاكفين على عبادة الأصنام حتى أذن الله فى هلاكهم.

ثم إن الله جعل يتابع لهود المنامات حتى إذا أعلمه فى نومه أنه مرسله إلى قومه، وقد ألهمه عبادته، وشرح صدره لقبول ذلك، وبلغ أربعين سنة، أرسل الله إليه جبريل فقال له: إن الله أرسلنى إليك بأنك الذى ألهمك بين قومك توحيده، واختارك لرسالته، فاشدد حَيازيمك[1]، وانطلق إلى عاد قومك برسالة ربك، فأنذرهم بآياته وخوِّفهم عقابه، فقال هود: السمع والطاعة لأمر ربى، ثم قام فشد وسطه، وأخذ عصا فى يده، وأتى قومه فى ناديهم وأبلغهم رسالته، وأنذرهم عذابه، وأن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئًا، وأن يرفضوا هذه الأصنام التى اتخذوها آلهة،

---

(١) الحيازيم: جمع حيزوم، وهو الصدر أو الوسط، ويقال: اشدد للأمر حيازيمك أي: وطن نفسك عليه. ينظر الوسيط (حزم).

وقال لهم: ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُفۡتَرُونَ يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ﴾ إلى قوله ﴿ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ الآيات [هود: ٥٠-٥٦] قال بعض الأعلام: فكذبوه وقالوا: ﴿ قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَوَعَظۡتَ أَمۡ لَمۡ تَكُن مِّنَ ٱلۡوَٰعِظِينَ ﴾ [الشعراء: ١٣٦] ثم إنهم بطشوا به وخنقوه وتركوه كالميت، فبقى يومه وليلته مغشيًا عليه، فلما أفاق قال: رب، قد علمتَ مافعل بى قومى، ثم أعاد عليهم القول فقالوا: ياهود، اترك عنا ما تقول؛ فإن بطشنا بك الثانية نسيت الأولى، فقال: ارجعوا إلى الله وتوبوا إليه، وأوحى الله إليه: يا هود، قد أبلغت به، فارجع عنهم يومك ذلك؛ فإن لهم وقتًا آخذهم فيه أخذ عزيز مقتدر، ثم لما رأى قومه وعظه وتحذيره، آمن رؤساء قبيلته، فَفَتَّ فى أعضاد سائرها، فجعل الله يهديهم بقوله، حتى حصل معه ثلاث قبائل، فأمره الله بمحاربتهم فحاربهم، فكانتِ الحرب بينهم سجالاً. ولما رأو أن لا طاقة لهم بقتاله ومن معه، أجمعوا أن يستغيثوا بعوج بن عنق على هود ومن معه فيكفيهم أمره، فأجابهم وأتى، فأوحى الله إلى هود إنى مخفيك أنت ومن معك عن أعينهم؛ فلا يرونك، وتقاتلهم كما تحب وهم لايصلون إليك؛ فأعلم هود المؤمنين فزادهم إيمانًا.

وإذ انجرَّ الكلام إلى ذكر عوج بن عنق، فلنذكره وأمه، قال فى القاموس: عوج ابن عُنق، ولد فى منزل آدم - عليه السلام - وعاش إلى زمن موسى، ويحكى عن خلقه شناعة. انتهى.

وأمه عنق بنت آدم لصلبه، وقيل: اسمها عناق بألف قبل القاف، وهى أول بغىٍّ على وجه الأرض من ولد آدم، وعملت السحر وجاهرَتْ بالمعاصى، وخلق الله لها عشرين إصبعًا فى كل يد، طول كل إصبع ذراعان بذراعها، فى كل إصبع ظفران حديدان؛ كالمنجلين العظيمين وكانت مساحة مجلسها من الأرض جريبًا، فلما بَغَتْ، خلق الله لها أسودًا كالفيلة، وذئابًا كالإبل، ونسورًا كالحمر؛ فسلطهم عليها فقتلوها وأكلوها.

وفى كتاب المبتدا: أن حواء حملت بعنق وحدها فى بطن، ولم تحمل ولدًا واحدًا إلا شيث وهذه المشئومة، فرأتْ فى منامها كأن حية لها رأس عظيم خرجت

منها، وكأنها طارت ساعة، ووقعت على الأرض، فشرَّقَتْ وغربت، وأنها لم تقصدْ لوجه من الوجوه إلا اشتعل نارًا ودخانًا وقصت رؤياها على آدم، فقال: أحسبك اشتملْتِ على ولد نسأل الله السلامة من شره فكادت أن تموت حواء فى وضعها، ونظرت إليها على غير صورة بنيها، وذلك أن الله أشنع صورتها وعظم خلقها.

وأصحُ ما جاء فى صفتها: ما روى عن على بن أبى طالب - كرم الله وجهه - أنه خطب فذكر الجبارين، وذكر عوجًا ابنها فوصفها وهو على المنبر، فقال: إن أول بغىٍّ على وجه الأرض عنق بنت آدم، خلقها الله خلقًا لم يخلقْ أحدًا من بنى آدم مثلها؛ وذلك أنه كان لها فى كل يد عشرون إصبعًا؛ فى كل إصبع ظفران كالمنجلين، ومجلسها من الأرض قدر جريب، وكان ضوء وجهها كلهب النار. وإن الله لما أخرجها إلى الدنيا ورآها آدم وحواء، ارتاع منها، وقال: بئسما ولدت يا حواء، فقالت: يا صفوة الله، هل لى ولك فى قدرة الله اعتراض ؟! وكان لايكفيها لبن حواء، فتحلب لها الإبل والأغنام ولم تكفها، وتشب فى اليوم كغيرها فى الشهر، وفى الشهر كغيرها فى السنة، فما آن فطامها إلا وقد غلظ أمرها وكثر شرها على بنى أبيها. وسمتها حواء عنق، وهى بالعربية المشئومة. وجعلت تؤذى إخوتها، ومتى ما علقت بأحد خرقت ثيابه وأدمته وكسرت كل ما تقع يدها عليه، وزاد شرها، وكانت إذا نهتها حواء عن شىء، لا تعمل غيره، وإذا همت أن تمنعها، خافتها على نفسها لعظم خلقها؛ لأنه ما فى بنى آدم أعظم من خلقها. وجعل إخوتها يهابونها ولا يأوون موضعًا تكون فيه، وآدم يشنؤها. فلما رأت منهم ذلك، كانت تخرج إلى الصحراء وتطلب البر وتحتال على الوحش والطير فتأكلها. ولما رآها إبليس، استحسَنَ صورتها فتصوَّر لها فى صورة تقاربها وجاءها وهى خالية بنفسها، فحياها فأجابته، وقالت له: من أنت ؟ فإنى لم أرك قبل هذا، فقال: صدقت ياعنق، أنا من ولد قابيل أخيكِ الذى هرب من أبيه، فما يمنعك أن تأتينا فى منازلنا؛ فإنَّ أباكِ وأمكِ يشنئونك ولا خير عندهم. فسارت معه إلى عند قابيل وولده، فلم تمنع من جاءها عن نفسها حتى حملَتْ بعوج، وأراد الله أن يجعله حديثًا فى الأرض فولدته أعظم منها، فقال لها إبليس: ياعنق، هل لك أن أجعلك ملكة الجنِّ مثل ما كان أبوكِ ملك الإنس ؟ فقالت: وكيف ذاك ؟ فقال: إن الله أعلم أباكَ الاسم الذى

كان إذا دعى به أجاب، فكتبه لأمك حواء، وهو فى عضدها فى كتاب من الفضة علقته عليها حرزًا منى ومن ولدى، فلا سبيل لنا عليها، فإن قدرت أن تأخذيه وتهربى به إلى عند قابيل، ثم إنك تَدْعين به فيما أردت فإنه يكون، وتملكين الجنَّ، وأول من يطيعك أنا وجندى، وكان الكتاب فى يد حواء لايفارقها، فعادت عنق ورصدتها حتى حاضَتْ وأزالته من يدها فسرقته وخرجَتْ به إلى البر، فقال لها إبليس: قد ملكتِ ما تحبين فاذعى بما شئت، فقالت: اللهم، إنى أسألك بحق هذا الاسم ألاَّ تجعل لأبى وأمى علىَّ سبيلاً، وسخِّرْ لى إبليس وجنوده فيما أحب وأريد، فقال لها إبليس: مرينا بأمرك، فأمرته أن يحملها إلى بنى قابيل، فلما رأوها عجبوا من خلقها وأعلموا قابيل عن حالها فأعلمته وأعلمه إبليس بالاسم الأعظم، فقال له قابيل: هل لكِ من حيلة نأخذه منها، فنحن أحقُّ به، فقال له إبليس: رفقًا لئلا تشعر بذلك فتهلكنا، وكانت أى شىء أرادته يحضره لها إبليس، فأول ماعمل لها الخمر فشربت مع بنى قابيل تدعو لنفسها من استحسنته، وإبليس يجتهد فى تحصيل الاسم الأعظم، ولما أن زنت وحاضت وشربَتْ ولم تفارق الاسم الأعظم فى أيام حيضها بَدَّلَهُ الله بالسحر، فرفع عنها، فكانت إذا أرادت العمل لا يتم لها، فعلم إبليس أن الله رفعه عنها إجلالاً له، وأن الذى بقى معها هو السحر، فسألها فيه فأخرجته إليه ثقة بمودته، فعمل إبليس به، وانتشر السحر فى بنى قابيل، وغلب عليهم إبليس واستعبدهم، وأخرج لهم المزامير والعيدان وجميع الملاهى، وعنق لا تردُّ يَدَ لامِسٍ.

وحملت بعوج ولم تعلم ممن حملت به، فلذلك نسب إليها، فربته حتى عظم وقوى وبقى يطوف الأرض جبلاً جبلاً، ولم يسلطه الله على أحد من خلقه إلى زمن موسى - عليه السلام - فأراد أن يرمى عسكره بالجبل، فجعله الله طوقًا فى عنقه، وقتله موسى - عليه السلام - كما سيأتى قريبًا.

قلت: ومن كانت هذه أمه، فغير عجيبٍ أن يكون عدوًا للأنبياء، وقد قيل: إنه مازال يفتك بالأنبياء ويقتل إلى أن هلك - لعنه الله تعالى - وأغار على الأنبياء حتى قتل ثمانمائة وأربعة عشر نبيًا. وروى أنه جاء إلى نوح مستغيثًا؛ ليحمله فى السفينة، فخافه نوح، فقال له عوج: لا بأس عليك يا نوح منى، دعنى أمشى مع سفينتك؛ فإنى أعلم أن سفينتك لاتسعنى ولاتحملنى، فأوحى الله إلى نوح: ذَرْ عوجًا ولا

تخف منه؛ فإنه لاقدرة له عليك، فقال له نوح: ضع يدك على مؤخر السفينة؛ فإن الله قد أمرني بذلك. فبلغ الماء ركبتيه، وفي رواية: مابلغ نصف ساقيه، وكان لا يأوى إلى المدن ولا تسعه إلا الصحارى وكهوف أعدها لنفسه تكنه من الأمطار وحر الشمس.

سئل عوج: ما أعجب ما رأيت ؟ قال: كنت أخوضُ البحر دائمًا إلى ساقى أو إلى ركبتى أو إلى حقوى أو إلى صدرى، فبلغت موضعًا وضعت فيه رجلى فلم أبلغ قراره فرجعت هاربًا، فاعترضتنى حية فأخذتها بيدى ورفعتها حتى ظهر بياضُ إبطى ولم يظهر لها رأس ولا ذنب. وعثر على نقباء موسى الاثنى عشر حين أرسلهم إلى أريحا بلد الجبارين عيونًا، فأخذهم فى كمه مع فاكهة كان حملها من بستان، فنثرهم بين يدى الملك فردهم الملك إلى موسى ليعلموه بما عاينوه.

قال فى الأنس الجليل، تاريخ القدس والخليل: كان طول عوج ثلاثة آلاف وثلاثمائة وثلاثين ذراعًا وثلث ذراع، وكان يحتجز بالسحاب ويشرب منه، وكان يضرب بيده فيأخذ الحوت من قاع البحر، ثم يرفعه إلى السماء فيشويه بعين الشمس فيأكله. انتهى

رجعنا إلى استغاثة قوم هود الكافرين بعوج على هود وقومه المؤمنين، استغاثوا به وضمنوا له إن كفاهم هودًا ومن معه أن يفرضوا له فرضًا يكون عليهم وعلى بنيهم أبدًا، وكان عوج أعظم خلقة من عَادٍ، كان أعظمهم يصل إلى ركبته أو وسطه، وكان إذا جاع قصد إلى مدينة من المدن؛ فيأتيهم بحزمة حطب يضعها على باب المدينة، فتسد بابها وتعلو على السور، فإذا رأو الحطب، علموا أنه جاع؛ لأنه جعل ذلك علامة لجوعه ومنفعة لهم؛ فيكفيهم ذلك الحطب طول سنتهم، فيجمعون له من كل منزل مما يأكلون على أقدارهم؛ فيضعونه له فى الصحراء فيأخذه وينصرف، وهذا كان دأبه.

فلما قدم بالحطب إلى قوم هود الكافرين، شكوا إليه أمر هود وقومه المؤمنين، وسألوه أن يعينهم عليه، فقال لهم: أرونى عسكره أكفِيكُمْ أمره، فوعدوه يومًا بعينه ليقاتلوا فيه هودًا وقومه، حتى إذا كان ذلك اليوم يُدَاهِم هودًا - عليه السلام - بالقتال، وكان هود إذا شاء، ظهر لهم بمَنْ معه فيقاتلهم، وإن شاء يغيب بمن معه فلا يرونه؛ صرفًا من الله لبصرهم عن رؤيته، فأتاهم عوج، فلما أبصره قوم هود ارتاعوا، فقال لهم هود: لا ترتاعوا، وأخبرهم بصرف الله أبصار أعدائه عنهم فلا

يرونهم، فازدادوا إيمانًا كما تقدَّم ذكر ذلك.

ثم اختفى هود بمن معه، فأبصر عوج قوم هود - عليه السلام - الكافرين، فقطع من الجبل قطعة على قدر العسكر على عاتقه فألقاها على العسكر، فقتل كل من وقعت عليه، وكلما انفلت واحد منهم أخذ كفًّا من تراب فدفنه فيه، فلما رأوا ذلك، صاح الباقون: ياعوج، نحن أصحابك، قتلتنا وتركت هودًا، فقال: إنما جئتكم لأهلك لكم عسكرًا، ولم أجد غير هذا، فقالوا: إن هودًا سحر أعيننا فيرونا ونحن لا نراهم، وإنما جئنا بك لتكون عونًا لنا، وإذا كان الأمر كذلك، فانصرف عنا، فتركهم وانصرف، وكذلك أراد أن يعمل بقوم موسى فى التيه؛ فإنه وقف على عسكرهم وهم لايشعرون، وكان فرسخين فى فرسخين، فقطع من الجبل قطعة ليطبقها عليهم، فأرسل الله تعالى هدهدًا فى منقاره حجر مذرب من حجر السامور، فضرب وسط الحجر بالحجر فوقع فى عنقه، وأخبر الله موسى، فخرج بعصاه إليه، وكان طول موسى عشرة أذرع وعصاه مثلها ونزا من الأرض مثلها، وضربه على أسفل كعبه فقتله - ذكر ذلك ابن فضل الله فى إملائه[(١)] - وعمره ثلاثة آلاف وستمائة سنة[(٢)].

قلت: قال العلامة شمس الدين بن القيم فى كتابه المسمى بالمنار المنيف فى الصحيح والضعيف كلامًا بين فيه بطلان قصة عوج إلى أن قال: ولاريب أن هذا وأمثاله من وضع زنادقة أهل الكتاب الذين قصدوا الاستهزاء والسخرية بالرسل وأتباعهم. انتهى

وقال الحافظ عماد الدين بن كثير فى كتابه المسمى بالبداية والنهاية فى قصة عوج ابن عنق: جميع مايحكون عنه هذيان لا أصل له، وهو من مختلقات زناديق أهل الكتاب، ولم يكن قطُّ على عهد نوح، ولم يُسلم من الكفار أحد، انتهى.

وقال العلامة جلال الدين السيوطى - رحمه الله تعالى - فى آخر جواب عن سؤاله عنه: والأقرب فى أمره أنه كان من بقية عاد، وأنه كان له طول فى الجملة مائة ذراع أو شبه ذلك، لا هذا القدر المذكور، وأن موسى - عليه السلام - قتله بعصاه،

---

(١) قال ابن كثير في « البداية والنهاية » (١/ ٣٢٣) يروى هذا عن نوف البكالي، ونقله ابن جرير عن ابن عباس، وفي إسناده إليه نظر، ثم هو مع هذا كله من الإسرائيليات وكل هذه من وضع جهال بني إسرائيل؛ فإن الأخبار الكاذبة قد كثرت عندهم ولا تمييز لهم بين صحتها وباطلها. اهـ.

(٢) وهو قول وهب بن منبه وينظر: العظمة (٥/ ١٥١٩).

هذا القدر الذى يحتمل قبوله، انتهى. يعنى بذلك: ما رواه أبو الشيخ فى كتاب العظمة قال: حدثنا إسحاق بن جميل، حدثنا أبو هشام الرفاعى، حدثنا أبو بكر بن عياش، حدثنا الكلبى، عن أبى صالح، عن ابن عباس قال: كان أقصر قوم عاد سبعين ذراعًا وأطولهم مائة ذراع[1]. انتهى

ثم إن هودًا دعا على قومه أن يبتليهم الله بالخوف والجوع، فأمسك الله عنهم القطر، فهلكت مواشيهم وجفَّتْ أشجارهم واغبرتْ أرضهم، وكانت بلادَ رمل، فأسرع القحط والجفاف إليها، فلما أحسوا بالهلاك، اجتمعوا وقالوا: قد كان هود يخوِّفنا ونكذِّبه، أترون أن نأتى إليه فنسأله أن يسأل ربه فيسقينا، أو نتركه ونتوجه إلى مكة، فنستسقى كما كان يفعل آباؤنا. فأوفدوا إلى مكة وفدًا يستسقون لهم، وهم: قَيْلُ بن عقير، ونعيم بن هزال، ومَرْثَد بن مسعد بن عفير، كان مرثد مؤمنًا يكتم إيمانه، وجلهم بن الحصين ابن خال معاوية بن بكر، ولقمان بن عاد، وأصحاب النسور، فانطلق كل رجل منهم مع قوم من رهطه حتى بلغ عددهم تسعين رجلًا، فنزلوا بمكة على معاوية بن بكر، وكانوا أخواله وأصهاره، فأكرمهم وأقاموا عنده شهرًا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان، قينتان.

فلما رأى معاوية بن بكر مكثهم، وقد بعثهم القوم يتغوثون لهم، شقَّ عليه ذلك وصعب عليه، واستحيا أن يأمرهم بالخروج فيظنون أنه ثقل عليه مكانهم عنده، فشكا إلى قينتيه، فقالتا: اعمل شعرا تغنيهم به لعله يخرجهم ويذكرهم ماجاءوا له من طلب السقيا، فقال معاوية شعرًا فتغنتا به، وهو قوله: [من الوافر]

ألا يا قَيْلُ وَيْحَكَ قُمْ فَهَيْنِمْ ... لـعـلَّ الله يُـصْـبِـحُـنَـا غَـمَـامـا
فَـيَـسْـقِـىَ أرْضَ عَـادٍ إنَّ عـادًا ... قَدَ امْسَوْا لا يُبِينُونَ الكَلَامَا
وَقَـدْ كَـانَـتْ نِـسَـاؤُهُـمُ بِـخَـيْـرٍ ... فَـقَـدْ أَمْـسَـتْ نِـسَـاؤُهُـمُ أَيَـامَـى
وإنَّ الـوَحْـشَ يَـأْتِـيـهِـمْ جـهـارًا ... وَلاَ يَـخْـشـى لِـعَـادِيٍّ سِـهَـامَـا
وأَنْـتُـمْ هـهـنـا فِـيـمَـا اشْـتَـهَـيْـتُـمْ ... نَـهَـارَكُـمْ وَلَـيْـلَـكُـمُ تَـمَـامَـا

(١) أخرجه أبو الشيخ في « العظمة » رقم (٩٩٠) وتتمته: « وكان طول موسى -عليه السلام- سبعة أذرع وطول عصاه سبعة أذرع ووثب في السماء سبعة أذرع، فأصاب كعب عوج فقتله » وهذا إسناد ضعيف جدًا؛ لأجل الكلبي وهو: محمد بن السائب الكلبي، وهو متروك. وينظر: الحاوي للفتاوي (٢/ ٣٤٢) « رسالة الأوج في أخبار عوج » للسيوطي.

فَقَبَّحَ وَفْدُكُمْ مِنْ وَفْدِ قَومٍ وَلا لُقُّوا التَّحِيَّةَ والسَّلامَا

فقال بعضهم: لقد صدقت المغنية؛ إنما بعثكم قومكم تستسقون لهم، فقال لهم مَرْثَدٌ المؤمن: والله، لا تُسْقَوْنَ بدعائكم، ولكن بطاعةِ نبيكم هود، وأظهر حينئذ إيمانه، فقالوا: يامرثد، لا تقدمْ معنا؛ فإنك قد اتبعت دين هود، فتخلّف مرثد ومعه لقمان، فمضوا واستسقوا، فرفعت لهم ثلاث سحائب: حمراء وبيضاء وسوداء، ونادى مناد: يا قيل، اختر لقومك، فقال: اخترت السوداء، فكان فيها كما قال تعالى: ﴿ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَاۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [الأحقاف: ٢٤] ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًاۖ ﴾ [الحاقة: ٧] فدخلت بينهم فصرعتهم فهربوا إلى البيوت، فكانت تقلع البيت من أساسه فتضرب به البيت الآخر فتطحنهما معًا، وتحمل الإبل والنساء والرجال وتقلع الشجر من أصولها، فقال سبعة من عاد رأسهم الخلجان، وهو ملكهم وأعظمهم جسمًا: قوموا نقف على شفير الوادى، وكانوا قد زووا أهاليهم فى شِعب ذلك الوادى فترد الريح، فوقفوا وكشفوا عن صدورهم، وقالوا: من أشد منا قوة ؟ فصرعتهم الريح، وتركتهم كما قال تعالى: ﴿ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ [الحاقة: ٧] ولم يبق إلا الخلجان وحده، فتقدم إلى الجبل وهو يبكى، وأخذ بجانب منه فهزه فاهتزَّ فى يده، فعرض هود عليه التوبة فأبى، فجاءته الريح فدخلتْ تحت قدميه، وأمسك الجبل فرفعته هو والجبل فى يده قد شد عليه من أصله إلى الهواء، ثم قلب الريح على أم رأسه ولم يبق من عاد واحد، واعتزل هود ومن معه من قومه المؤمنين فى حظيرة وما يصيبهم منها إلا مايلين جلودهم، ثم أرسل الله عليهم طيورًا سودًا فنقلتهم كلهم إلى البحر: ﴿ فَأَصْبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْۚ ﴾ [الأحقاف: ٢٥] ثم تقدم هود ومن آمن معه من ديارهم التى سخط الله عليهم فيها إلى الشِّحْر، فسكنوا هنالك.

ولما مات هود - عليه السلام - قبر بمكة، وقيل: بحضرموت، وهو الصحيح، عند الكثيب الأحمر، وقبره معروف هنالك(١).

وروى ابن إسحاق أن أبا سفيان صخر بن حرب بن أمية وعبد الله بن زيد أقبلا من

(١) ينظر: « تاريخ الطبري » (١/ ٢١٩-٢٢٠) والمنتظم (١/ ٢٥٢-٢٥٤) و « البداية والنهاية » (١/ ١٤٥-١٤٦).

الشام، فلما وَصَلاَ إلى وادى القرى، لقيهما رجل من عاد فقال: أطعمونى، فجعل يلف كلَّ ماقدم إليه لفًا، ثم قال: احملونى، فضاقوا به ذرعًا وكرهوا صحبته، فأطعمه عبد الله بن زيد وحمله على بعير، فجعل يسحب ركبتيه لطولهما، فلما انتهى إلى وادى العقيق، قال العاديُّ لعبد الله: إنك حملتنى وأطعمتنى، فأحب أن أكافئك، فاتبعنى ولا تلتفت، فتبعه إلى الوادى، فقال: انظر إلى مسقط ظلى فاحفر عنده، فانطلق عبد الله وحفر، فإذا صخرة عظيمة فقال: اقلعها، فلم يطقْ، فرفعها العادى بأصبعه، وانحدر وعبد الله معه إلى سرب فى الأرض، فإذا سراج يزهر، وإذا برجلين من قوم عاد ميتين، فقال له العادى: إن هذين صاحباى، فإذا مت فضمنى إليهما، واحتملْ من المال حاجتك، ثم اخرج وضع الصخرة على السرب ولا تلتفت حتى تخرج من الشِّعْب، وعمد العادىّ إلى ريشة قد نتف جانبيها نحوًا من ذراع، فأدخلها فخَّارةً فيها شبه القطران، ثم أخرجها فأدخلها منخره، ثم غمسها الثانية فأدخلها منخره الآخر، ثم صاح صيحة كاد عبد الله يهلك منها، ومات العادى، فضمه عبد الله إلى صاحبيه، واحتمل من المال حاجته، ووضع الصخرة على السرب - بعد جهد جهيد - ومضى، فكان أكثر قريش مالاً. انتهى

قال المسعودى: وقد كان فى ملك النمرود بن كوش بن كنعان بن حام بن نوح - عليه السلام - هيجان الريح التى أسقطت صرح النمرود وفى إقليم بابل من أرض العراق، فبات الناس ولسانهم سريانى، فلما أصبحوا تفرقت لغاتهم على اثنين وسبعين لسانًا، فسمى الموضع بابل لتبلبل الألسنة به، فصار من كان من ولد سام بن نوح تسعة عشر لسانًا، وفى ولد حام ستة عشر لسانًا، وفى ولد يافث سبعة وثلاثون لسانًا، وكان من تكلم بالعربية يَعْرُب، وجُرْهُم، وعاد، وجَدِيس، وطَسْم، وعبيد، وثمود، وعملاق، ووبَار، وعبد ضخم فسار يعرب بن قحطان بن عابر وهو هود عليه السلام ابن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح بمن تبعه من ولده وولد ولده، وهو يقول: [من الرجز]

أَنَا ابْنُ قَحْطَان الْهُمَامِ الأَنْبَلِ ... يَا قَوْم سِيرُوا فِى الرَّعِيلِ الأَوَّلِ

نَحْوَ يَمِينِ الشَّرْقِ فِى تَمَهُّلِ ... أَنَا الْبَدِىُّ بِاللِّسَانِ الْمُنْهَلِ

ذِى الْمَنْطِقِ الْبَيِّنِ غَيْرِ الْمُشْكِلِ

فحل باليمن.

وسار بعده عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح بولده ومن تبعه، فحلَّ بالأحقاف من بلاد عُمان إلى حضرموت واليمن، وتفرق هؤلاء في الأرض وانقرضوا، وملكهم جَيرون بن سعيد بن عاد وحل بدمشق فمصر مصرها، وجمع عمد الرخام والمرمر وشيد بنيانها، وهذا الموضع فى وقتنا سوق من أسواقها بباب المسجد يعرف بباب جيرون(١).

وسار بعد عاد ثمود بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح ومَنْ تبعه من ولده وغيرهم؛ فنزلوا الحِجْر بين الشام ومكة إلى قُرْح(٢)، وسار طَسْم وجَدِيس بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح؛ فنزلوا اليمامة، وسار عملاق بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح فنزلوا أكناف الحرم والتهائم، ومنهم من سار إلى مصر والمغرب. وقد ذكر أن هؤلاء بعض فراعنة مصر، وبعض الناس ألحق العمالقة بعيص بن إسحاق بن إبراهيم، عليه السلام.

ثم سار وبار بن أميم بن لاوذ بن إرم بن سام؛ فنزل أرض وَبَار - الأرض المعروفة برمل عالج - فبغوا فى الأرض فأصابتهم نقمة فهلكوا جميعًا.

قال الشاعر: [من مخلع البسيط]

وَمَـرَّ دهْـرٌ عَـلَـى وَبَـار ... فَـهَـلَـكَـتْ جَـهْـرَةً وَبَـارُ

ثم سار عبد ضخم بن إرم بن سام بن نوح، فنزلوا الطائف، فهلكوا ببعض غوائل الدهر ورُثوا، فيهم يقول الأزدى: [من المنسرح]

وَعَبْدُ ضَخْمٍ إِذَا نَسَبْتَهُمُ ... أَبْيَضُ وَجْهِ الْحِجَا مَعَ النَّسَبِ

وَابْتَدَعُوا مَنْطِقًا بِخَطِّهِمُ ... فَبَيَّنَ الْخَطُّ صِحَّةَ الْعَرَبِ

وذكر أنهم أول من كتب بالعربية، ووضع الأحرف أ. . . ت ث، وسار جُرهم بن قحطان - واسمه يقطان بن قحطان - وجرهم لقب له، وطافوا البلاد حتى نزلوا بمكة.

---

(١) باب جيرون: هو الباب الشرقي من أبواب مسجد بني أمية بدمشق، يقابل باب البريد وهو الغربي. وينظر: المراصد (١/ ٣٦٦).

(٢) القُرح: سوق وادي القرى وقصبتها. ينظر: مراصد الاطلاع (٣/ ١٠٧٦).

وسار أميم بن لاوذ بن إرم بن سام، فحلَّ بأرض فارس، ونصب كيومرث بن أميم ملكًا عليهم.

وسار عبيل بن عوص بن إرم بن سام بن نوح - عليه السلام - فى ولده ومن تبعه، فنزلوا بالجحفة بين مكة والمدينة، فهلكوا بالسيل فسمى الموضع بالجحفة؛ لإجحافه عليهم.

وكان يثرب بن قامة بن مهلئل بن إرم بن عبيل نزل بالمدينة فسميت باسمه، فهلك أولئك ببعض غوائل الدهر، وأقصدتهم سهامه، فقال بعض ولده ممن رثاهم شعرًا: [من الخفيف]

عَيْنُ جُودِى عَلَى عَبيلٍ وَهَلْ يَرْ جِعُ مَا فَاتَ فَيْضَهَا بِانْسِجَام؟!

عَمَّرُوا يَثْرِبًا وَلَيْسَ بِهَا سَفْـ رٌ وَلاَ سَارِحٌ وَلاَ ذُو سَنَام

غَرَسُوا لِينَهَا بِبَحْرٍ مَعِينٍ ثُمَّ حَفُّوا الفَسِيلَ بِالآجَام

قال فى حقيبة الأسرار: وكان فى ولد سام بن نوح رجلٌ يقال له: بواط بن لاوذ، كان على دين آبائه لم يشرك، وله أولاد كثير ضَلُّوا، وكان يحبهم ولا يقدر أن يفارقهم، وكان قد أفهمه الله تعالى جميع اللغات، فلما قوى اضطرابهم، خاف أن يقتتلوا ويفتن بعضهم بعضًا، وكانوا قد أهلهم للعربية؛ لأنهم من أولاد سام بن نوح، فقال لهم: اعقدوا لى لواء وراية أرفعها للناس، وأفهم كل طائفة ما أقول لهم، فعقدوا له لواء على رمح طويل، فرفعه بيده، ثم جاء فأركزه فى وسط القوم، وأشار إليهم بيده أن اجتمعوا واسمعوا، فاجتمع القوم حوله وأنصتوا، فجعل يلتفت إلى قوم بعد قوم ويكلمهم كلًّا بلسانه، فلما سمعوا ذلك منه، فرحوا وقالوا: يافلان، ماهذا الذى جرى علينا ؟ وكانوا يعرفون عقله وعلمه. فقال لكل قوم بلسانهم: هذه عقوبة عاقبَكُمُ الله بها بسبب كُفْركم وعصيانكم وترككم طاعة ربكم، كما فعل بمن كان قبلكم من الطوفان حتى لم يبق أحدًا، ولولا أن الله وعد أباكم نوحًا ألاَّ يهلك أحدًا بعد الطوفان بعذاب عامٍّ - لسلَّطَ عليكم عذابًا يهلككم به، ولكن عاقبكم باختلاف ألسنتكم وتغير لغاتكم، وفى ذلك عبرة لكم، فقالوا: صدقت ياشيخنا، فأشر علينا ما نصنع، فألهمه الله تعالى أن قال: تفرقوا فى البلاد، وليأخذ كل رجل منكم طائفته وأهل بيته ومن هو على لسانه وينحاز إلى جهة من الأرض يسكنونها ولا

يدخل عليه أحد غيره، فاستدعى ألوية وعقدها ودفع كل لواء إلى رئيس منهم بلسانه على حدة، فجعل أولاد يافث مع اختلاف لغاتهم فرقة ولهم لواء، وقال: عليكم بمهب الشمال، ولكم من المجرة إلى منتهاها. ودفع لواء إلى بنى حام وقال: أنتم عليكم بمهبِّ الجنوب، ولكم من مطلع سهيل إلى منتهاها وهو المغرب. فافترق هؤلاء من المشرق، وهؤلاء من المغرب، وعقد لواء ثالثًا لبنى سام، وقال: عليكم بمهب الدبور، ولكم من بنات نعش إلى مطلع سهيل، ثم قال: وأما أنا فإنى باق ههنا على هذا اللواء مع فالغ وذويه، ولى ولهم مهب الصبا. فمن أراد منكم أن يقيم معى فليفعل، وانحاز بمن معه إلى فالغ بن عابر، وتفرقت الأمم إلى المواضع المذكورة، وبقى فالغ بن عابر فى موضعه، وكفاه الله شَرَّ الكفار من بنى يافث وحام، وشتَّت الله شملهم.

ولما هدم الله بناء ملكهم، بقى فالغ ومن معه من المؤمنين بقرية الثمانين، ولم يفارق قبور آبائه. وكان قد تزوج عابر فولد له فالغ، وهو عمود النسب المحمدى، وإلى عابر ترجع العرب قيسيها ويمنيها؛ فمن ولده قحطان بن عابر وجُرْهُم بن قحطان، واسمه: يقطان، وجرهم لقبه.

قال العلامة المسعودى فى كتابه المسمى مروج الذهب، ومعادن الجوهر: الصحيح الذى عليه أكثر أهل العلم والقدماء من كهلان وحِمْيَر والعلماء منهم أن قحطان بن عابر - وهو هود - بن شالخ بن أرفخشد بن نوح - عليه السلام - وعليه قول أبى الطيب من قصيدة يمدح بها: [من الطويل]

إِلَى الثَّمَرِ الحُلْوِ الَّذِى طَيِّئٌ لَهُ فُرُوعٌ، وَقَحْطَانُ بْنُ هُودٍ لَهُ أَصْلُ

ولعابر الذى هو هود - عليه السلام - أولاد: منهم فالغ وهو عمود النسب المحمدى، وقحطان وملكان.

وقيل: إن ملكان هو ابن قحطان لا أخوه، وهو - يعنى ملكان - والد الخضر، عليه السلام.

وولد لقحطان أحد وثلاثون ولدًا ذكرًا، فولد قحطانُ يَعْرُبَ بن قحطان، وولد يعربُ يشْجُبَ بن يَعْرُبَ، وولد يشجب عبدَ شمس، ويقال: عبد الملك، وهو سبأ ابن يشجب، وسمى سبأ؛ لأنه أول من سبى السبايا؛ فولد سبأ رجلين: حمير بن سبأ،

وكهلان بن سبأ. فالعقب الباقى من هذين الرجلين.

ولو كنا بصدد ذكر مطلق الأنساب، لذكرنا من فروع أنسابهم وفنون أخبارهم كثيرًا، إلا أنا قصدنا ذكر العدنانية لا القحطانية؛ لمكان نسبه، عليه الصلاة والسلام.

وأم فالغ ميثا، وقيل: عروة بنت صيفن، وكان منه الجبابرة، وانقرضوا جميعًا، ولم يعقب فالغ إلا من ابنه أرغو، وقام بالأمر بعد أبيه عابر، وكان عمره مائتى سنة، فلما حضرته الوفاة أوحى الله إليه أن يستودع النور والاسم الأعظم ابنه أرغو؛ كما سيأتى.

ومن حديث فالغ بن عابر ماذكره صاحب كتاب المبتدا: أن الله تعالى لما أراد أن ينقل النور إلى فالغ، اختار أبوه امرأة من قومه، فلما انتقل النور إليهـا شكر الله تعالى، فلما تم حملها ووضعته رباه أحسَنَ تربية وعلَّمه الصحف، فلما بلغ من عمره ثمانين سنة، مات أبوه فالغ بعد أن أخذ عليه العهد فى النور، فسلك به مسلك آبائه ودفنه إلى جانب أبيه، وقد اضطرب قومه وافترقوا وتباغضوا وما اتفقوا على فالغ ولا أطاعوه، وبنوا لهم مدينة بابل ليسكنوا فيها، وكان طولها عشرة فراسخ فى عرض ستة فراسخ، واجتمع فيها بنو حام وبنو يافث وبنو سام جميعهم، وفالغ ومن معه من المؤمنين قليلون، فلم يسكنوا معهم ولا قربوا موضعًا هم فيه، بل كانوا فى قرية الثمانين التى نزل بها نوح - عليه السلام - وأقام أولئك عليهم ملكًا يجمعهم اسمه جامر بن يافث، وهو أبو فارس الذى سميت به الفرس، فاجتمعوا إليه وقالوا: أيها الملك، لم يبق على وجه الأرض من يخالفك إلا فالغ ومن معه، وهم قليلون، فلو غزوناهم وتركناهم لنا عبيدًا أو يدخلون فى ديننا، فقال: افعلوا مابدا لكم، وأرفدهم من بنى حام ويافث بعسكر عظيم، وولى عليهم رجلاً اسمه شودب بن جرجان بن حام، وأمرهم أن يستأصلوهم، وأن يأتوه بفالغ أسيرًا، وقد كان جامر بن يافث قد بنى له مدينة يسكنها خوفًا من الطوفان أن يعود؛ لأنه كان يحدث بأمر الطوفان، وأنه لم ينج منه أحد، وأن الماء ارتفع فوق الجبال، فأراد أن يعلى البناء أكثر مما كان الطوفان لحقه، حتى إذا عاد سما هو وقومه فى أعاليه، فلما أكمل بناءه، سماه المجدل.

وكان طوله فى الهواء خمسة آلاف ذراع وعرضه ألفًا وخمسمائة ذراع، فلما فرغ منه، عزم على تجهيز العسكر لغزو فالغ، فباتوا تلك الليلة وهم أجمع ما كانوا وملكهم معهم؛ إذ أصبحوا بالغداة وقد تبلبلت ألسنتهم وهدم الله بنيانهم من

القواعد، فخرَّ عليهم السقف من فوقهم وأهلكهم الله، وذلك قوله تعالى: ﴿ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنۡيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلۡقَوَاعِدِ.. ﴾ الآية [النحل: ٢٦] فاشتغلوا بأنفسهم عن فالغ ومن معه، وأصبح كل قوم يتكلمون بلغة لا يعرفها القوم الآخرون، فحاروا واضطربوا ولم تفهم طائفة ماتقول الأخرى، فانحازوا فرقًا كل فرقة تتكلَّم بلسان، فكان الرجل ينحاز وأهل بيته معه يتكلمون بلغة واحدة يفهم بعضهم بعضًا، فإذا خالطهم أحد من غيرهم لايفهمون قوله ولا يفهم قولهم، وانحازت طائفة منهم ألهمها الله العربية، فتكلموا بها، فأولئك الذين يقال لهم العرب، وهم العرباء من خصوص بنى سام بن نوح، فمنهم عاد، وعَبيل، وثَمُود، وجَدِيس، وطَسْم، وعمليق، وأميم، وعبد ضخم، ووبار، ويثرب، وجُرْهُم، كما تقدَّم ذكر ذلك قريبًا؛ فهؤلاء من بنى سام كلهم تكلموا بالعربية بإلهام لهم من الله تعالى، فنزلت بنو سام المجدل سرَّة الأرض، وهو مابين ساتيدما إلى البحر ومابين اليمن إلى الشام، وجعل الله النبوة والكتاب والجمال والأدمة والبياض فيهم، ونزل حام مجرى الجنوب والدبور، ويقال لتلك الناحية: الداروم، وجعل الله فيهم أدمة وبياضًا قليلاً، فعمر بلادهم وسماهم ورفع عنهم الطاعون، وجعل فى أرضهم الأثل والأراك والعشر والمغاث والنخل، وخزن الشمس والقمر فى سمائهم.

ونزل بنو يافث الصفون مجرى الشمال والصبا، وفيهم الحمرة والشقرة، فأخلى الله لهم أرضهم، فاستدبروها وأخلى سماءهم، فليس يجرى فوقهم شىء من النجوم السبعة الجارية؛ لأنهم صاروا تحت بنات نعش والجدى والفرقدين، وابتلوا بالطاعون.

ولحقت عبيل وعتيد بموضع يثرب، والعماليق بصنعاء، ثم انحدر بعضهم إلى يثرب، فأخرجوا منها عتيدًا، فنزلوا بالجحفة.

ولحقت ثمود بالحجر ومايليه فهلكوا.

ثم لحقت طَسْم وجَدِيس باليمامة، فهلكوا.

ولحقت أميم بأرض وبار، فهلكوا بها، وهى بين اليمامة وهجر ولايصل إليها اليوم أحد، غلبت عليها الجنُّ.

وإنما سميت وَبار بوبار بن أميم.

وكانت الشام يقال لها أرض بنى كنعان، ثم جاء بنو إسرائيل فقتلوا بها ونفوا باقيهم عنها. ذكر هذا صاحب كتاب حقيبة الأسرار، وهو فيه قليل مخالفة فى البعض لما ذكره صاحب مروج الذهب، فما فى المروج، أحقُّ إليه بالعروج.

واختلف أهل التاريخ فيمن كان ملكهم بعد فارس بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح صاحب المجدل، فقيل: هو كيومرث بن لاوذ بن أميم بن إرم بن سام بن نوح، ومعنى كيومرث: حى ناطق ميت. وقيل: ولوا عليهم هوشنك بيشداد، ومعناه: الدين الحاكم، فأخذ قومه بعبادة الله وترك الأوثان، وقام فيهم خطيبًا، فحذرهم سخط الله تعالى وما فعل بقوم نوح وصاحب المجدل، وقال: قد بقيتم يا بنى سام فى موضعكم، ونبيكم فالغ صاحب النور، وقد وليتكم الآن، فمن دان بدين فالغ، وقال بشريعته، فأنا منه وهو منى، وله الأمن والمراعاة والإحسان، ومن أبى وجحد الرحمن، قتلته ولو كان أخى أو ابنى، فاستقيموا أستقم لكم، واتقوا الله واعبدوه. فاتبعوه ودانوا بدين الله، وسلكوا شرائع نوح - عليه السلام - وكثر عددهم وأخصبت بلادهم، وفالغ فيهم، وهوشنك يوجه إليه فى كل وقت مايحتاج إليه هو والذين معه، وعمر هوشنك الأرض، وهندس المياه، وأجراها إلى العمائر، وأمر بقتل السباع واستعمال جلودها مدبوغة، وهو أول من ذبح البقر والغنم والوحش وأكل لحومها، وبنى المدائن.

ولما بنى مدينة السوس، سماها بلسانه الشوش، أى: الحسنة، ثم بنى مدينة تستر، سماها بلسانه: شوشتر، أى: هذه أحسن. وهو أول من اتخذ السجون، وسجن الناس فيها، وكان ملكه أربعين سنة، وعمره يوم موته سبعمائة سنة وأشهر.

ثم ملك بعده طهمورث بن هماد؛ فسار سيرته وسلك طريقته، وبنى مرو وآمد وقلعة سارس بأصفهان، وكان ملكه ثلاثين سنة، وعمره يوم مات ستمائة سنة. وفى زمانه ولد لفالغ ابنه أرغو، وإليه انتقل النور، فأخذ به فالغ طريقة آبائه وأجداده من تعليم الصحف ودين الله تعالى، ومات فالغ فى زمن جمشيد وهو أخو طهمورث، ومعناه: السيد الشجاع، وهو الذى جند الأجناد وجعل الناس خمس طبقات: مقاتلة، ونساك وكتاب، وصناع، وخدام. وهو أول من أثار علم الطب، وطبع السيوف، وصبغ الثياب بالألوان المختلفة، واتخذ السراويلات، وبنى إصطخر

وهمذان وطوس، وكان مدة ملكه ستمائة وستة عشر سنة، وهو الذى جاء فى أيامه الضحاك بن علوان بن عاد، أرسله إليه شداد بن عاد، فهرب منه جمشيد، فقتله الضحاك، واستوثق له الأمر، وغير عبادة الله وشرع نوح، وطغى وتجبر، وطلب أرغو بن فالغ صاحب النور المحمدىّ، فمنعه الله منه، واختفى هو ومن معه والضحاك فى طلبه، وكان أرغو يسمى العابد، وهو بهمزة مفتوحة فغين معجمة مضمومة، وكان منه جبابرة تملكوا وانقرضوا، ولاعقب له إلا من ساروغ، عاش أرغو مائتى سنة وثلاثين، وقام بعده ولده ساروغ.

ومن حديث أرغو على ما فى كتاب المبتدا: أن الضحاك بن علوان طلبه، وأنه اختفى منه بمن معه وهو فى طلبه، فقيل: إنه هرب ببنيه والعصابة القليلة التى معه إلى أن دخل إلى ديار بنى يافث، وهناك مات - رحمه الله تعالى - وقد ولد له ساروغ، ونور محمد ﷺ قد انتقل إليه، وهو الذى خرج بعد موت أبيه فالغ إلى ديار يافث؛ وذلك أنه سكن مغارة فى بعض جبال تلك الأرض، وابتنى هناك قبة من الرصاص، وهى باقية إلى الآن؛ وذلك أن الله تعالى دله على معادن تلك الأرض كلها، فاستخرج الرصاص وعمل منه قبة، وأمر ولده أن يدفنوه فيها. وقد وصل إلى هذه القبة رجل من العرب من حِمْيَر فى زمن معاوية بن أبى سفيان فى وقعة كانت بينه وبين الروم، والرجُلُ يعرف بعبد الله بن عمر الحيرانى، وكان عالمًا بأيام العرب ووقائعهم، حافظًا لأشعارهم، فلما وقعت الواقعة بين معاوية وملك الروم، أسرَ مع جملة من المسلمين، فلما جاء عيد الشعانين، جلس الملك للناس، وكان العيد ثلاثة أيام، فأول يوم يطعم أهل بيته ورؤساء الروم، والثانى رؤساء بلده وغيرهم من أصحاب الأموال، والثالث الغرباء والمساكين، وهو فى الثلاثة الأيام جالس على سريره، والأطعمة تنقل بين يديه وبطارقته من حوله وهو ينظر إلى الناس، فإذا فرغ من عيده، قضى الحوائج وأطلق الأسرى وأحسن إلى الفقراء، فلما جاء اليوم الثالث قال: فأُخْرِجْتُ فى الأسرى، لم آكل غير أنى جعلت أتأمَّلُ فى الملك، فرآنى لا آكُلُ، فقال: خذوا هذا المسلم، فاعزلوه فى ذوى الحاجات، ففعلوا. ثم أمر بإصلاح شأنى وتغيير حالى، وأحضرنى وقربنى، وقال: من أنت، فقد أنكرت أمرك يوم الطعام ؟ فقلت: أيها الملك، ما رأيته منك أحبُّ إلىَّ من الطعام، فقال: لا شك

أنك مميز عارف عاقل، فكسانى وحملنى على دابة، فكان كثيرًا ما يسألنى عن أيام العرب ووقائعها، فأخبره فيطرب، وكان فصيحًا بالعربية عالمًا باللغة، وكان هو يحدثنى بأحاديث بنى إسرائيل والفرس والروم، وأمسكنى عنده وأحبنى، وكان أهل دولته يتوسلون بى فى فى حوائجهم، وكان يخلو بى ويسألنى عن الدين والإسلام وصفة النبىّ وأخباره وقصته فأخبره. فقال لى يومًا: أريد السفر إلى موضع أهمَّنى وتكون معى، فقلت: إلى أين ؟ قال: إلى قبة من رصاص بنيت فى أول الزمان لأنظر إليها، بيننا وبينها مفازة أربعة أشهر، وإن كان لاحيلة فيها؛ لأنها مطبقة لا يعرف لها باب، فسار ومعه بطارقة من جماعته وعبيده نحو مائة فى مفازة غير مسكونة ولا معمورة، حتى انتهينا إلى قبة عالية من الرصاص على مقدار نصف جريب، فطفنا بها، فإذا هى قبة لاباب لها، فقال الملك: أرأيت ؟ فقلت: نعم، قال: إنه كان على قلبى منها أمر عظيم، ولم أزل حتى وصلت إليها، فكيف الاستعلام بما فى باطنها ؟ فقلت: أيها الملك، إنها من الرصاص، ولو أردتَ حرقها وكسرها لفعلت فى أقل مدة، فتبسم، وقال: هذا غير خافٍ علىّ، غير أنه فى أم الكتاب الذى قرأتُ فيه حديثها أنه من أرادها بسوء هَلَكَ من ساعته، وقد تعرض لها جماعة فماتوا، فإياك أن تنطق بمثل هذا فتهلك الساعة، فتعجبت من كلامه، ثم ألهمنى الله أن قلت للملك: إن أنت أذنْتَ لى أيها الملك أن أستفتح، فأقرأ القرآن الذى أنزل على نبينا محمد ﷺ، فإن يك مانع من الجنّ دونها، فإنه يدحض ويهرب، وإن يك غير ذلك عرفناه، فقال: والله، ماجئت بك لغير هذا، فبدأت القراءة، واستفتحْتُ معلنا صوتى، وأنا أطوف حولها، والملك معى، وكنت قد بدأت بأول القرآن، فلم أزل أقرأ سورة بعد سورة حتى انتهيت إلى سورة الرعد، قرأت هذه الآية: ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ. . . ﴾ الآية [الرعد: ٣١] فظهر لنا بابها، فسر الملك بذلك، فدخلت وأنا أقرأ ودخل الملك معى، وإذا فى وسطها قبر عظيم عليه رخامة مزبور فيها خطّ؛ فلم أعرف أقرؤه، فنقلته حتى رجعنا، فطلب الملك من يقرؤه، فأتى برجل فقرأه لنا فإذا فيه مكتوب: أنا أرغو بن فالغ ابن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح، وتحت هذا مكتوب أبيات شعر وهى: [من الخفيف]

أَنَا أَرْغُو بْنُ فَالِغ الـمُغْتَاصِ مِنْ ظَلَامِ الإِشْرَاكِ بِالإِخْلَاصِ

كُنْتُ بِاللهِ مُؤْمِنًا رَبِّ إِدْرِيـ سَ وَنُوحٍ وَمُؤْمِنًا بِالْقِصَاصِ
قَـائِـلاً لاَ إِلَـه إِلاَّ الـلـ ـهُ إِلَهِى وَمَنْ إِلَيْهِ مَنَاصِي
فَأَرَادَ الضَّحَّاكُ ذُو الْكُفْرِ مِنِّى أَنْ أُضَاهِيهِ بِالْعَمَى وَالْحِيَاصِ
فَتَرَكْتُ الْبِلاَدَ طُرًّا وَأَخْلَيْـ ـتُ لَهُ عَنْ مَحِلَّتِى وَعِرَاصِى
وَسَكَنْتُ الْكُهُوفَ دَهْرًا طَوِيلاً خَائِفًا هَارِبًا مِنَ اهْلِ الْمَعَاصِى
لِأَنَالَ الْخَلاَصَ فِى دَارِ مُلْكٍ يَوْمَ تَعْنُو إِلَى إِلَهِى النَّوَاصِى
وَبَنَيْتُ الَّذِى تَرَوْنَ بِعَوْنَ اللـ ـهِ ذِى الْمَنِّ مِنْ صِفَاحِ الرصَاصِ
وَأَمَرْتُ الْبَنِينَ أَنْ يَقْبُرُونِى جَوْفَهَا فِى مَلاَحِفِى وَقِمَاصِى
سَوْفَ يَأْتِى بَعْدِى بِدَهْرٍ رَسُولٌ مِنْ بَنِى هَاشِمِ الذُّرَى وَالْأَقَاصِى
عَابِدٌ قَانِتٌ رَءُوفٌ رَحِيمٌ بِالْيَتَامَى وَالْبَائِسِينَ الْخِمَاصِ
لَيْتَنِى عُمِّرْتُ حَتَّى أَرَاهُ لِأَنَالَ الْحِبَا وَفَضْلَ الْخَوَاصِ

وإنما سقنا هذا دليلاً على صحة الرواية فى هرب أرغو بن فالغ صاحب نور رسول الله ﷺ من الضحاك - لعنه الله - وأنه بقى فى ذلك الموضع ماشاء الله تعالى، ومعه جماعة ممن آمن بالله، وزوجته ملكة بنت براكيل، وولد له ساروع بن أرغو هنالك، وعلمه جميع ماعلمه من أب بعد أب من لدن آدم - عليه السلام - ثم مات أرغو ودفن بالقبة المذكورة، وكان قد وصى ولده ساروع أن يدفنه بها ففعل.

ولم يزلْ ساروع هنالك بعد موت أبيه أرغو، حتى هلك الضحاك بن علوان - لعنه الله - أخذه أفريدون، فأوثقه وصيره بجبال دنباوند، والعجم تزعم أنه موثوق بالحديد إلى اليوم يعذب هناك، قد أطال الله عمره.

ولما هلك، رجع ساروع بن أرغو فى زمان أفريدون، وكان فى ديار بكر وما والاها محفوظًا مكرمًا بنور رسول الله ﷺ؛ هكذا قرره صاحب كتاب المبتدا.

وساروع: بسين مفتوحة مهملة وألف بعدها وراء مهملة وعين مهملة، سمى به؛ لأنه كان يسارع للحروب، وكان ملكًا كبيرًا مع النبوة، أمه عروة بنت كوعل، وله أعقاب وعشائر وأولاد وذرية جبابرة، وكلهم هلكوا، وكان عمره مائة وثلاثين سنة.

ولما حضرته الوفاة، أوحى الله إليه أن استودع الاسم الأعظم والنور ابنك ناحور، ففعل، وأوصى إليه.

فقام بعده ناحور وابنه نعمان أولد سارة زوج الخليل إبراهيم وأم إسحاق، وقيل: إنها بنت ناحور - وناحور، بالنون والحاء غير المعجمة، تفسيره: النهار - القائم بأمر الله بعد أبيه.

قال فى كتاب الوصية: فمن آمن به كان مؤمنًا، ومن جحد بولايتهم كان كافرًا، ومن جهل أمرهم كان ضالاً.

ثم أوحى الله إلى ناحور: استودع الاسم الأعظم تارحًا ابنك، ففعل وتوفى ناحور وهو ابن مائة وأربعين سنة.

وقام بعده ولده تارح بتاء مثناة فوق وألف وراء مهملة وحاء كذلك مهملة، وهو آزر فى قول، وقيل: آزر عمه، وهو الملك ابن ناحور بن ساروع بن أرغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح، ومن غير عمود النسب هاران، وكان عمره مائتى سنة، وكان حجارًا يصنع أصنام قومه التى كانوا يعبدونها، وهو أبو إبراهيم.

وفى كتاب الوصية عن العالم أنه قال: كان آزر جَدًّا لإبراهيم لأمه، وكان منجمًا للنمرود، وهو ابن طهماسفان.

وفى منهاج الطالبين: كان فى زمن إبراهيم نمرود بن كوش بن كنعان بن شداد، وقيل: نمرود بن كنعان ملك المشارق والمغارب، وهو الذى حَاجَّ إبراهيم فى ربه، وكان فى أرض بابل أخبره منجموه أن مولودًا يولد فى قريتك هذه يفارق دينكم، ويكسر أصنامكم، فى شهر كذا من سنة كذا، فلما دخلت السنة المذكورة، بعث نمرود إلى كل امرأة حبلى فى قريته فحبسها إلا امرأة آزر ازما بنت شمر؛ فإنه لم يعلم بحملها، فكان لا يولد غلام فى ذلك الشهر من تلك السنة إلا أمر بذبحه، فلما وجدت أم إبراهيم الطلق خرجت إلى مغارة كانت قريبًا منها، فولدت فيها إبراهيم، وأصلحت من شأنه ما جرت به العادة، ثم سدت عليه فم المغارة وعادت إلى بيتها، وكانت تطالعه فى المغارة؛ لتنظر مايفعل فتجده حيًا يمصُّ إبهامه.

وقيل: إنه كان يغتذى من إبهامه.

وقيل: إن الله جعل رزق إبراهيم فى أطرافه، وكان كلما مصَّ من أصابعه جعلَ الله له فيها رزقًا.

وكان آزر سأل أم إبراهيم عن حملها، فقالت: ولدت غلامًا ومات، وصدقها.

وتربى إبراهيم فى المغارة، وكان اليوم على إبراهيم كالشهر والشهر كالسنة على غيره، فلم يلبث إبراهيم فيما ذكر إلا خمسة عشر شهرًا إلا قال لأمه: أخرجينى أنظر، فأخرجته، فتفكَّرَ فى خلق السموات والأرض، ثم نظر فى السماء فرأى كوكبًا؛ كما قال الله تعالى، وسيأتى الكلام على تمام قصة إبراهيم، عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام.

قال الإمام أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبى فى كتاب العرائس(١): لما نجى الله خليله من نار النمرود ومن آمن به، خرج مهاجرًا إلى ربه، وتزوج ابنة عمه سارة ابنة هاران، وبه سميت البلدة المشهورة التى يقال لها حران بقلب الهاء حاء، فخرج يلتمس الفرار بدينه والأمان على نفسه ومن آمن معه، فقدم إلى مصر، وبها فرعون من الفراعنة الأول، وكانت سارة من أحسن النساء، وكانت لا تعصى إبراهيم، وبذلك أكرمها الله تعالى، فأتى إبليس إلى فرعون وقال: إن ههنا رجلًا معه امرأة من أحسن النساء، فأرسل الجبار إلى إبراهيم - عليه السلام - وقال: ماهذه المرأة منك ؟ فقال: هى أختى، وخاف إن قال: امرأتى، أن يقتله، فقال: زينها وأرسلها إلى: فرجع إبراهيم إلى سارة، وقال لها: إن هذا الجبار قد سألنى عنك، فأخبرته أنك أختى، فلا تكذبينى عنده؛ فإنك أختى فى كتاب الله؛ فإنه ليس مسلم فى هذه الأرض غيرى وغيرك، ثم أقبلتْ سارة إلى الجبار، وقام إبراهيم يصلى، وقد رفع الله الحجاب بينه وبين سارة ينظر إليها منذ فارقته إلى أن عادت إكرامًا له وتطييبًا لقلبه.

فلما دخلت سارة على الجبار، ورآها، دهش من حسنها، ولم يملكْ نفسه أن مد يده إليها فيبست يده على صدرها، فلما رأى ذلك، عظم أمره، وقال لها: سلى ربك أن يطلق يدى؛ فإنى والله لا أوذيك، فقالت سارة: اللهم، إن كان صادقًا فيما يقول فأطلق يده، فأطلق الله يده، فوهب لها هاجر، وهى امرأة قبطية جميلة، وَرَدَّهَا إلى إبراهيم، فأقبلت إليه، فلما أحس بها، انفتل من صلاته، فقالت: كفى الله كيد الفاجر، ووهبنى هاجر، وقد وهبتها لك، لعل الله يرزقك منها ولدًا. وكانت سارة قد منعتِ الولد حين أيست، فوقع إبراهيم على هاجر، فحملت بإسماعيل - عليه

(١) ينظر: العرائس (٦٩).

السلام - وأقام إبراهيم بناحية من أرض فلسطين بين الرملة وإيليا، وهو يضيف من يأتيه، وقد أوسع الله عليه وبسط له فى الرزق، وكان لوط بن هاران بن تارح ابن أخى إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

وفى الكشاف: وكان لوط ابنَ أختِ إبراهيمَ، عليه الصلاة والسلام.

وهو أول من آمن له يوم النار، وكان معه فى هجرته وهو النبى المذكور فى القرآن المبعوث إلى سَدوم وسائر القرى الخمس المؤتفكة، وهى: سَدوم، وعمورا، وحصورا[1]، وصابورا، وفى الكشاف: صيعة، وصبور، وعمواء، ومى، وسدوم، وهى العظمى. وذكر أن سدوم جميع ما أقامت عامرة إحدى وخمسين سنة. قال الزمخشرى: قرى قوم لوط كانت خمسًا أهلك الله أربعًا بأهلها، وبقيت واحدة، وهى بلاد بين تخوم الحجاز مما يلى الأردن، وبلاد فلسطين إلا أن ذلك فى حيز الشام خراب لا أنيس به ولا حسيس.

قال الثعلبى فى العرائس[2]: وإنما سمى لوط؛ لأن حبه ليط بقلب إبراهيم، أى: تعلق ولصق؛ فكان إبراهيم - عليه السلام - يحبه حبًّا شديدًا، وهاجر معه إلى مصر، وعاد إلى الشام، فأرسله الله إلى أهل سَدُوم القرية التى قيل فيها أَجْوَرُ من قاضى سَدوم، وكانوا أهل كفر وفاحشة، فقال لهم لوط أتقطعون السبيل، وتأتون فى ناديكم المنكر ؟! وكان قطعهم السبيل إتيانَ الفاحشة بمن ورد عليهم، إذا مر عليهم المار، أمسكوه وفعلوا به اللواط. وفى ناديهم المنكر: نكاح بعضهم بعضًا.

وعن عائشة: كانوا يتحابقون فى المجالس[3].

وعن ابن عباس[4]: المنكر هو الحذف بالحصى، والرمى بالبنادق، والفرقعة

---

(١) وفي المسعودي (١/ ٤٥) سدوم، وعمورا، وأدموتا، وصاعورا وصابورا.

(٢) ينظر: العرائس (٩٠).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٠/ ١٣٦) رقم (٢٧٧٤٢)، والبخاري في « التاريخ الكبير » (٦/ ١٩٦) كلاهما من طريق روح بن غطيف عن عمرو بن مصعب عن عروة عن عائشة في قوله تعالى: ﴿وتأتون في ناديكم المنكر﴾ [ ]قال: الضراط » وذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٥/ ٢٧٧) وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن مردويه. قال في « القاموس » مادة (حبق): الحبق -بكسر الباء -، وك « الغراب »: الضراط، وأكثر استعماله في الإبل والغنم. وقد حَبَق يَحْبِق حَبْقًا وحَبِقًا؛ ككتف وغراب. والحَبْقَة: الضرطة.

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٢٧٦)، وعزاه لعبد بن حميد.

للأصابع، ومضغ العلك، والسواك بين الناس، وحل الإزار، والسباب والفحش فى المزاح.

وقيل: السخرية بمن مر بهم.

وقيل: المجاهرة فى ناديهم بذلك العمل يرتكبونها معالنين بها لا يستتر بعضهم من بعض خلاعةً ومجانةً وانهماكًا فى المعصية.

وقالوا: لم يثر ذكر على ذكر قبل قوم لوط، فقال لوط: ﴿ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ﴾ [الشعراء: ١٦٥، ١٦٦] يعنى: وجدكم تختصون بهذه الفاحشة، والعالمون على هذا القول كل ماينكح من الحيوان، قاله فى الكشاف. و« من أزواجكم » يصلح أن يكون بيانًا لما خلق، وأن يكون للتبعيض، ويراد بما خلق العضو المباح منهنَّ وفى قراءة ابن مسعود: « ما أصلح لكم ربكم من أزواجكم »، وكانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم، فكذَّبوه، فلم يزدهم وعظه إلا تماديًا، فسأل الله فيهم، فأرسل الله الملائكة بقلب سدوم والمؤتفكات؛ فجعلوا طريقهم على إبراهيم - عليه السلام - فما لبث أن جاء بعجل حنيذ، فلم يأكلوا، فأوجس منهم خيفة، فقالت لهم زوجته سارة: مالكم تمتنعون من طعام نبى الله ؟ فبشروها بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، وكانت سارة يومئذ ابنة تسعين سنة، وإبراهيم ابن مائة وعشرين سنة، فقالت: ﴿ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ... ﴾ إلى آخر الآيتين [هود: ٧٢] ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ ﴾ [هود: ٧٤] قال: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ﴾ [إبراهيم: ٣٩] وسألهم فيما أتوا ؟ فقالوا أتينا بهلاك قوم لوط، قال إبراهيم: ياجبريل، إن كان فيها خمسون بيتًا من المسلمين، أتهلكهم ؟ فقال: لا، فقال إبراهيم: وأربعون ؟ قال: لا، قال: وثلاثون ؟ قال: لا، قال: وعشرة ؟ قال: لا، قال: وواحد ؟ قال: لا، ﴿ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ [العنكبوت: ٣٢] فلما وصلت الملائكة إلى لوط، وهم فى صورة مرد حسان الوجوه، رأوه تحت البلد يسقى زرعًا له وكان زارعًا، فقالوا له: هل من قِرًى عندك الليلة ؟ فقال: إن أهل هذه القرية - لعنهم الله - قوم سوء ينكحون الرجال

ويأخذون الأموال، فما أنتم ؟ قالوا: نحن عبيد، وكان آخر النهار، فتركهم وذهب إلى البلد، وقال لامرأته: إن كَتَمْتِ عَلَيَّ الليلة فى ضيوف عندى عفوْتُ عما مضَى منك. وكانت إذا جاءه ضيفٌ ليلاً توقد فوق السطح، وإن جاءه نهارًا تدخنُ، علامةً بينها وبين قومها، فوعدته الكتمان. فغدا بهم، وقال: لا تمشوا إلا فى ظل الحائط، فقالوا: أمرنا سيدنا ألاَّ نسلك إلا وسط الجادَّة، فلما وصلوا، أوقدت النار على السطح، فجاءوا إليه يهرعون؛ كما حكى الله تعالى عنهم ذلك، وقالوا له: يا لوط ﴿ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الحجر: ٧٠] فقال: ﴿ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾ [هود:٧٨] يعنى: بالتزويج لأكابركم، ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴾ [هود: ٧٨] فكان من جوابهم قولهم: ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ... ﴾ إلى آخره [هود:٧٩] فناشدهم الرحم وهم على العناد، فقال له جبريل: افتح لهم، فقال: ﴿ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ [هود: ٨٠] وقال: من أنت ؟ قال: جبريل، قال: بماذا أتيت ؟ قال: بهلاكهم، قال: متى ؟ قال: ﴿ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ﴾ [هود:٨١] فاستبطأ لوط ذلك، فقال له جبريل - عليه السلام -: ﴿ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ [هود:٨١] فضرب جبريل بجناحه فأعمَى كلَّ من فى المدينة، وكان فيهم عابد وعالم؛ فكان العابد يقول لهم: ندعو عليه، والعالم يحذرهم وينهاهم عن مخالفته. فذهبوا إلى العابد ليدعو، فدعا فلم يستجبْ له، فذهبوا إلى العالم، فقال لهم: احفظوا لوطًا؛ فإنه مادام فيكم لم ينزلْ عليكم العذاب، فأحاطوا بداره جميعًا، وكان جبريل أمره أن يطلع ليلاً، فلما جاء عند الصبح رآه باقيًا فى مكانه، فقال: لم لا تطلع ؟ فاعتذر بشدة اجتماعهم على داره، وأنه لا يمكنه ذلك، فضرب جبريل الأرض بقضيب فانفتحَ سرداب فيه قضيب من نور إلى ظاهر البلد، فقال: اتبعه: ﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ﴾ [هود: ٨١] فخرجوا مسرعين، فتبعتهم امرأته، فسمعت من خلفها هدة فالتفتت، فسقطتْ عليها صخرة فأهلكتها.

وفى الكشاف: قيل: إنها هلكت مع من خرج من القرية بما أمر عليهم من الحجارة؛ لكونها راضية ومحرّشة، والراضى بالمعصية فى حكم العاصى.

وأما الأمطار: فعن قتادة: أمطر الله على شِذَادِ القومِ حجارةً من السماء فأهلكتهم[١]. قال الزمخشرى: الحاصب لقومِ لوطٍ، وهى ريح عاصف فيها حصباء، وقيل: ملك كان يرميهم.

قال الشريف أبو محمد هارون المأمونى: لما سمعت الصوت امرأة لوط، قالت: واقوماه، فأدركها حجر فقتلها؛ لأنهم كانوا قد أمطر الله عليهم حجارة من سجيل، فهلكت مع القوم. فلما كان الصبح، اقتلع جبرائيل أرضهم سَدُوم وقراها بمن فيها، وكان فيها أربعة آلاف ألف فرفعها من سبع أرضين حتى بلغ بها السماء، وسمع أهل السماء بنبح كلابهم وصياح ديكتهم، ولم يُكْفَأْ لهم إناء، ولم ينتبه لهم نائم، ثم قلبها فجعل عاليها سافلها، وأمطر الله الحجارة على من لم يكنْ بالقرى فأهلكهم، وكان ذلك بعد مضى تسع وتسعين سنة من عمر إبراهيم، عليه السلام.

وعن أبى جعفر محمد بن على الباقر - رضى الله عنهم - أن قوم لوط كانوا من أفضل قومٍ خلقهم الله تعالى، وكان من فضلهم أنهم إذا خرجوا للعمل، خرجوا بأجمعهم، وبقى النساء خلفهم، فحسدهم إبليس على عبادتهم، فكانوا إذا رجعوا، خرب إبليس مايعملون، فرصدوه فإذا الذى يخرب متاعهم غلام حسن، فاجتمع رأيهم على قتله، وبيتوه عند رجل منهم، فلما كان الليل صاح، فقال له الرجل: مالك ؟ فقال: كان أبى ينومنى على بطنى، فلم يزل بذلك الرجل حتى علمه يعمل بنفسه، فأولاً علمه إبليس، والثانية علمه هو، ثم انسلَّ اللعين ففر منهم، فجعل الرجل يحدِّث بما فعل الغلام فأعجبهم، فوضعوا أيديهم فيه حتى اكتفى الرجال بالرجال، فجعلوا يرصدون مارَّ الطريق يفعلون به، حتى تنكب الناس مدينتهم، ثم تركوا نساءهم، وأقبلوا على الغلمان، فلما رأى إبليس أنه قد أحكم أمره في الرجال، أتى إلى النساء وصير نفسه امرأة، وقال: إن رجالكم يفعل بعضهم ببعض، قالو: نعم، ولوَّط بعضهم حتى استغنى النساء بالنساء.

فلما كملت عليهم الحجة أرسل الله جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فى زى غلمان

---

(١) أخرجه الطبري في « تفسيره » (١٠/١٣٩) رقم (٢٧٧٦٢)، وذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٥/٢٧٧) وزاد نسبته إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن عساكر.

عليهم أقبية، فمروا بلوط وهو يحدث إلى آخر ماتقدم.

وأما قبر لُوطٍ: فهو فى قرية تسمى كفر بريك عند مسجد الخليل - عليه السلام - بنحو فرسخ، ونقل أن فى المغارة الغربية تحت المسجد العتيق ستين نبيًا، منهم عشرون مرسلاً. وهذا المكان مشهورٌ بالفضل، ويزار على فرسخ من حرا، جبل صغير مشرف على بحيرة زُغَر، وبموضع قريات لوط مسجد بناه أبو بكر محمد بن إسماعيل الصاحى، فيه مرقد إبراهيم - عليه السلام - قد غاص فى الصخر بنحو ذراع، يقال: إن إبراهيم - عليه السلام - لما رأى قريات قوم لوط فى الهواء، وقف - أو رقد - ثم قال: أشهد أن هذا هو الحق اليقين؛ فلذلك سمى مسجد اليقين.

وكان بناء هذا المسجد فى شهر شعبان سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة، وبظاهر المسجد مغارة بها قبر فاطمة بنت الحسن بن على بن أبى طالب - رضى الله عنهم - وعند قبرها رخامة مكتوب عليها بالكوفى: [من البسيط]

أَسْكَنْتُ مَنْ كَانَ بِالأَحْشَاءِ مَسْكَنُهُ ... بِالرَّغْمِ مِنِّى بَيْنَ التُّرْبِ وَالْحَجرِ
أَفْدِيكِ فَاطِمَةٌ مِمَّا رُمِيتِ بِهِ ... بِنْتَ الأَئِمَّةِ بِنْتَ الأَنْجُمِ الزُّهُرِ

ولنعد إلى تمام قصة إبراهيم - عليه السلام - إذ قصة لوط وقعتْ فى البين؛ لاتصالها بها اتصال السمع بالعين:

لما أوجس إبراهيم - عليه السلام - من الملائكة خيفة حين لم يأكلوا ماقدمه لهم، ﴿ قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ وَٱمْرَأَتُهُۥ ﴾ أى: والحال أن امرأته، أى: إبراهيم ابنة عمه سارة: ﴿ قَآئِمَةٌ ﴾ تخدمهم، ﴿ فَضَحِكَتْ ﴾ [هود: ٧١] تعجبًا أن يكون لها ولد بعد بلوغ تسعين عامًا، فالضحك على حقيقته المعروفة.

وقال مجاهد: ويمكن ضحكتْ: حاضت؛ تقول العرب: ضحكتِ الأرنبُ: إذا حاضت (١).

قال السدّىُ: فحملت سارة بإسحاق، وكانت هاجر قد وقع عليها إبراهيم - عليه السلام - بعد أن وهبتها له سارة، فحملت بإسماعيل، فوضعتا، فشبَّ الغلامان فتسابقا، فسبق إسماعيل، فأخذه إبراهيم وأجلسه فى حجره وأجلس إسحاق إلى

(١) أخرجه الطبري في « تفسيره » (٧/ ٧٢) رقم (١٨٣٣٤) وذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٢/ ٦١٦) وعزاه لابن جرير.

جانبه، فغضبت سارة، وقالت: عمدت إلى ابن الأمة، فأجلسته إلى حجرك، وعمدت إلى ابنى فأجلسته إلى جانبك، وأخذها ما يأخذ النساء من الغيرة، فحلفت لتقطعنَّ منها ثلاثة أعضاء أو تغيرن خلقتها. ثم ثاب إليها عقلها فتحيرتْ فى يمينها، فقال إبراهيم: اخفضيها واثقُبِى أذنيها، ففعلت وحلَّتْ من يمينها، فصار ذلك سنة فى النساء.

والخِفَاض للنساء كالختان للرجال.

ثم إنه تهارش إسماعيل وإسحاق كما يتهارش الصبيان؛ فغضبت سارة على هاجر، وحلفت ألاَّ تساكنها فى بلد واحد، وطلبت من إبراهيم - على نبينا وعليه السلام وعلى سائر الأنبياء - أن يعزلها عنها، فأوحى إلى إبراهيم أن يأتى بهاجر وابنها إلى مكة، فذهب بها حتى قدم مكة، وهى إذ ذاك عضاه وسلم، وموضع البيت ربوة حمراء، فعمد بها إلى الحِجْر - بكسر الحاء - فأنزلها فيه، وأمرها أن تتخذ فيه عريشًا، ثم انصرف، فتبعته هاجر، فقالت: آلله أمرَكَ بهذا ؟ قال: نعم، قالت إذن لا يضيعنا، فرجعت عنه، وكان معها ماء فى شن فنفد، فعطشت وعطش ابنها، فنظرت إلى الجبل، فلم تر داعيًا ولا مجيبًا، فصعدت على الصفا، ثم هبطت إلى المروة وعينها من ولدها، حتى نزلت فى الوادى، فغابتْ عنه، فهرولَتْ حتى صعدت الجانب الآخر فرأته، فاستمرت إلى أن صعدت المروة، فما رأت أحدًا، فترددت كذلك سبعًا، فعادت إلى ولدها وقد نزل جبريل - عليه السلام - فضرب بجناحه الأرض، فنبع الماء، فرجعت هاجر إليه وحبسته عن السيلان، وهى تقول: « زم زم » تكررها، فسميت: زمزم لذلك. وفى لفظ النبوة: « لولا أنها أعجلت لكانت عينًا معينًا »، فشربتْ وأرضعت ابنها، وقال لها جبريل: لا تخافى الضيعة؛ فإن ههنا بيتًا لله يبنيه هذا الغلام وأبوه.

وركب إبراهيم منصرفًا من يومه، وكان ذلك بوحى من الله تعالى.

قالوا: ثم مرت رفقة من جرهم تريد الشام، فرأوا طيرًا تحوم على جبل أبى قبيس، فقالوا: إن هذا الطير يحوم على ماء، فتبعوه فأشرفوا على بئر زمزم، فقالوا لهاجر: إن شئت نزلنا معك والماء ماؤك، فأذنتْ لهم فنزلوا معها، فهم أول من سكن مكة على هذه الرواية؛ لكن الأصح أن العمالقة أول من سكنها؛ كما ذكر ذلك

فى ترتيب من بنى البيت عبد اللطيف بن أبى كثير بقوله: [من الطويل]

بَنَى الْكَعْبَةَ الْغَرَّاءَ عَشْرٌ ذَكَرْتُهُمْ وَرَتَّبْتُهُمْ حَسْبَ الَّذِى أَخْبَرَ الثِّقَهْ

مَـلاَئِكَـةُ الـرَّحْـمَـنِ آدَمُ وَابْـنُـهُ كَذَاكَ خَلِيلُ اللهِ ثُمَّ الْعَمَالِقَهْ

وَجُرْهُمُ يَتْلُوهُمْ قُصَىٌّ قُرَيْشُهُمْ كَذَا ابْنُ زُبَيْرٍ ثُمَّ حَجَّاجُ لاَحقهْ

وزاد بعضهم فقال: [من الطويل]

وَمِنْ بَعْدِ عَامِ الأَرْبَعِينَ لَقَدْ بَنَى مُرَادٌ حَمَاهُ اللهُ مِنْ كُلِّ طَارِقَهْ

وقد ذكر الأزرقى من خبر العمالقة ما يقتضى سبقهم فى سكنى مكة لجرهم؛ فإنه روى بسنده إلى سيدنا عبد الله بن العباس - رضى الله عنهما - أنه قال: كان بمكة حى يقال لهم: العماليق، من نسل عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح، وكانوا فى عزٍّ وثروةٍ، كانت لهم خيل وإبل وماشية تسعى حول مكة، وكانت العضاه ملتفة، والأرض مبقلة، وكانوا فى عيش رخىٍّ، فبغوا فى الأرض، وأسرفوا على أنفسهم، وأظهروا الظلم والإلحاد، وتركوا شكْرَ الله تعالى، وكانوا يكرون الظل ويبيعون الماء، فسلبوا النعمة، وأخرجهم الله من مكة بأن سلط الله عليهم النمل حتى خرجوا من الحرم، ثم ساقهم الجدب حتى ألحقهم بمساقط رءوس آبائهم ببلاد اليمن، فتفرقوا وهلكوا. انتهى

ولما نزلوا على زمزم أهدوا إليها عشرًا من الغنم، فيقال: إن جميع أغنام بنى إسماعيل من نسل تلك العشرة. وتوفيت هاجر أم إسماعيل وقبرها فى الحجر، فتزوج إسماعيل من جرهم، فتكلم بلسانهم، فيقال لبنى إسماعيل: «العرب المستعربة»، ويقال لجرهم وقحطان: «العرب العاربة»، ويقال لطَسْم وجَديس وَعِبيل: «العرب البائدة»؛ لأنهم بادوا وهلكوا جميعًا.

قال العلامة المسعودى فى مروجه: بنو نزار تنكر تعلم إسماعيل العربية من جرهم، وتدَّعى أن الله تعالى علمه هذه اللغة، قالوا: ولغة جُرهم غير هذه اللغة؛ ونحن نؤيد ذلك، فقد وجدنا لغة بنى قحطان تخالف لغة بنى نزار، وذلك يقتضى إبطال قول من قال: إن إسماعيل أعرب بلغة جرهم. انتهى ماقاله المسعودى.

قال التقى الفاسى، رحمه الله: قال ابن هشام - بعد أن ذكر أن قبرها وقبر ابنها جعلا فى الحجر عند الكعبة - ما نصه: تقول العرب: هاجر وآجر، فيبدلون الألف

من الهاء؛ كما قالوا فى هراق الماء وأراق الماء. وهاجر من أهل مصر. وقال: حدثنا عبد الله بن وهب، عن عبد الله بن لهيعة، عن عمر مولى غُفرة؛ أن رسول الله ﷺ قال: « الله الله فى أهل الذمة، أهل الدرة، السود السحم الجعاد؛ فإن لهم نسبًا وصهرًا[١] » قال عمر مولى غفرة: نسبهم؛ لأن أم إسماعيل منهم، وصهرهم أن رسول الله ﷺ تسرَّى فيهم[٢]. قال ابن لهيعة: أم إسماعيل هاجرمن قرية كانت أمام الفَرما من مصر، والفرما: مدينة تنسب إلى صاحبها الذى بناها، وهو الفرما بن فيلفوس. وقيل: ابن فيلبس، ومعناه: محب الفرس[٣]. انتهى

وقال العلامة أبو القاسم السهيلى فى الروض الأنُفِ: كانت هاجر لملك الأردن، واسمه صارون فيما ذكره القتيبيُّ، دفعها إلى سارة حين أخذ سارة من إبراهيم إعجابًا منه بجمالها، فصرع مكانه لما أراد الدنو إليها، فقال: ادعى الله أن يطلقنى. الحديث؛ كما تقدَّم ذكر ذلك؛ وهذا الحديث مشهور فى الصحاح، فأرسلها وأخدمها هاجر، فوهبتها سارة لإبراهيم، وكانت هاجر قبل ذلك بنت ملك من ملوك القبط بِمِصْرَ، والقِبْط أولاد قبط بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح، عليه السلام.

وذكر من حديث سيف بن عمر؛ أن عمرو بن العاص حين حاصر مصر، قال لأهلها: إن نبينا عليه الصلاة والسلام قد وعدنا بفتحها، وقد أمرنا أن نستوصى بأهلها خيرًا؛ فإن لهم نسبًا وصهرًا، فقالوا: هذا نسب لا يحفظُ حقه إلا نبى؛ لأنه نسب بعيد. وصدق، كانت أمكم امرأة لملك من ملوكنا، فحاربنا أهل عين الشمس[٤]، فكانَتْ لهم علينا دولة، فقتلوا الملك واحتملوها، فمن هنالك تصيرت[٥] إلى أبيكم إبراهيم[٦].

(١) إسناده ضعيف وهو أيضًا مرسل، عبد الله بن لهيعة ضعيف الحديث لكن الراوي عنه هنا ابن وهب ورواية العبادلة عنه أقوى، وعمر مولى غفرة ضعفه ابن معين والنسائي وغيرهم التهذيب (٧/ ٤٧١)، وقال الحافظ في « التقريب » (٢/ ٥٩): ضعيف وكان كثير الإرسال. وينظر الحديث في « السيرة النبوية » (١/ ٢٠-٢١). والروض الأنف (١/ ١٦).

(٢) ينظر: السيرة النبوية (١/ ٢١).

(٣) ينظر: السيرة النبوية (١/ ٢١)، والروض الأنف (١/ ١٨). وفي الروض: « الفرما بن قيلقوس ويقال فيه: ابن قليس، . ومعناه: محب الفرس ».

(٤) في الروض: « عين شمس ».

(٥) في ط: تسيرت، والمثبت من الروض الأنف.

(٦) ينظر الروض الأنف (١/ ١٦).

قلت: وقول السدى فيما تقدم: إن سبب إخراج إبراهيم هاجر إلى الحرم إنما كان بسبب غضب سارة على هاجر حين تسابق الغلامانِ، وسبَقَ إسماعيل إسحاق، ولإقعاد إبراهيم - عليه السلام - إسماعيل فى حجره، وإقعاد إسحاق إلى جانبه، وقول سارة: عمدتَ إلى ابن الأمة، فأجلسته فى حجرك. . .إلى آخره ليس بصحيح، وكذا قوله: تهارش إسماعيل وإسحاق كما يتهارش الصبيان، فغضبت ليس بصحيح، بل الصحيح: أن سبب إخراجها محض الغيرة؛ كما رأيته فى غالب كتب السير ثم إنه ذكر أن إسماعيل كان طفلاً إذ ذاك لا يهارش ولا يسابق. انتهى

وذكر النووى والسهيلى: أنها ماتَتْ وسنُّ ولدها إسماعيل عشرون سنة. وروى الأزرقى، عن ابن إسحاق؛ أن إبراهيم لما أمر ببناء البيت، أقبل من أرمينية على البراق حتى انتهى إلى مكة، وبها إسماعيل وعمره يومئذ عشرون سنة، وقد توفيت أمه قبل ذلك، وهذا يقتضى أن أمه توفيت وسنه دون عشرين؛ لأنها ماتت قبل قدوم إبراهيم، وقدم إبراهيم وإسماعيل ابن عشرين سنة، ثم إن إبراهيم - عليه السلام - استأذن سارة فى زيارة ابنه وأمه، فأذنت له، واشترطت ألا ينزل عندها، فقدم إبراهيم - عليه السلام - وقد ماتت هاجر، فأتى ببيت إسماعيل، فوجد امرأته، فقال لها: أين صاحبك ؟ فقالت: ذهب يتصيد، وكان إسماعيل يخرج من الحرم إلى الحل، فيصيد ما يتعيش به، فقال لها: هل عندك ضيافة من طعام أو شراب ؟ قالت: ليس عندى شىء، فقال لها: إذا جاء زوجك، فأقرئيه منى السلام، وقولى له: غَيِّرْ عتبَةَ بيتك، وذهب إبراهيم - عليه السلام - فلما جاء إسماعيل - عليه السلام - قالت له: جاءنى رجل شيخ صفته كذا وكذا، أقرأك السلام، وقال: غير عتبة بيتك، فقال لها: الحقى بأهلك، وتزوَّجَ غيرها. فمكث إبراهيم مدة، ثم استأذن فى الزيارة، فجاء إلى مكة، وقدم على منزل إسماعيل، فوجده غائبًا فى الصيد كذلك، فقال لامرأته: أين ذهب صاحبك ؟ قالت: ذهب يتصيد، ورحبَتْ به، وقالت له: اجلس يرحمك الله، وجاءته بلحم ولبن وماء، فأكل وشرب، وقالت له: ياعم، هلم حتى أغسل رأسك وأزيل شعثك، وجاءت بحجر - قيل: هو حجر المقام الذى بنى عليه الكعبة بعد - فجلس عليه فغاصت رجلاه فى الحجر، فغسلت شقه الأيمن ثم الأيسر، ثم أفاضت الماء على رأسه وبدنه إلى أن فرغت. فتوجَّه من

عندها، وقال لها: إذا جاء صاحبك فأقرئيه منى السلام، وقولى له: قد استقامَتْ عتبة بيتك، فالزمها، فلما جاء إسماعيل، وجد رائحة أبيه، فقال لها: هل جاءك أحد ؟ قالت: نعم، جاءنى شيخ من أحسن الناس وجهًا وأطيبهم ريحًا، فأضفته وسقيته وغسلته، وهذا موضع قدميه، وحين توجه قال لى: أقرئى صاحبك منى السلام، وقال كذا وكذا، قال إسماعيل: نعم، أمرنى أن أثبت معك. وقبل موضع قدمى أبيه من الحجر، وحفظه يتبرَّكُ به إلى أن بنى فيما بعدُ إبراهيمُ - عليه السلام - الكعبة.

ثم بعد ذلك: قدم إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - إلى مكة، وبنى الكعبة الشريفة، فلما فرغ من بنائها، أمره الله أن يؤذِّنَ فى الناس بالحج، فقال: ياربِّ، وماعسى أن يبلغ مدى صوتى ؟ فقال تعالى: عليك النداء، وعلينا البلاغ، فصعد على جبل ثبير - وقيل: فى الحَجُون، وقيل: على ظهر الكعبة - ونادى: يا عباد الله، إن ربكم قد بنى بيتًا، وأمركم أن تحجوه، فحجوا، وأجيبوا داعى الله. فأسمع صوته جميع من فى الدنيا ومَنْ سيولد ممن هو فى أصلاب الرجال وأرحام الأمهات، فأجابه من سبق فى علم الله أنه سيحُجُّ: لبيك لبيك. وكان حج من حج بعدد تلبيته السابقة، إنْ خمسًا فخمس، أو عشرًا فعشر، أو أقل أو أكثر فبحسبه، فسبحان القدير على كل شىء لا إله غيره[١].

قال فى الإعلام: روى كعب الأحبار، عن رجال قالوا: لما رأى إبراهيم فى المنام أن يذبح ابنه، وتحقق أنه أمرُ ربه، قال لابنه: يا بني، خذ المدية والحبل، وانطلق بنا إلى هذا الشِّعْبِ لنحتطبَ لأهلنا، فأخذ المدية والحبل وتبع والده، فتمثل الشيطان رجلاً فأتى أم الغلام فقال: أتدرين أين ذهب إبراهيم بابنك ؟ قالت: ذهب ليحتطبَ لنا من هذا الشعب، فقال لها الشيطان: لا والله، ما ذهب إلا ليذبحه، قالت: كلا، هو أشفق منى عليه وأشدُّ حبًا، قال: إنه يزعم أن الله أمره بذلك، قالت: فإن كان الله أمره بذلك فليطع أمره، فخرج الشيطان حتى أدرك الابْنَ على أثر أبيه، وهو يمشى، فقال: ياغلام، أتدرى أين يذهب بك أبوك ؟ قال: نحتطبُ

(١) ورد هذا مسندًا عن ابن عباس أخرجه البخاري (٧/٤٦-٤٨) كتاب أحاديث الأنبياء: باب يزفون النسلان في المشي، حديث (٣٣٦٤) من طريق سعيد بن جبير عنه.

لأهلنا من هذا الشِّعْب، قال: كلا؛ زعم أن الله أمره بذبحك، فقال الغلام: فليفعلْ ما أمر الله به، وسمعًا وطاعةً لأمر الله تعالى، فأقبل الشيطان على إبراهيم، فقال: أين تريد أيها الشيخ بهذا الغلام؟ قال: أريد هذا الشِّعْبَ لحاجة لى فيه، فقال له: إنى أرى الشيطان خدعك بهذا المنام الذى رأيته، وأنك تذبح ولدك وفلذة كبدك، فتندم بعد حيث لا ينفعك الندم، فعرفه إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - وقال: إليك عنى يا ملعون، والله لأمضينَّ لأمْرِ ربى، فنكص إبليس على عقبيه بخزيه وغيظه، ولم ينلْ من إبراهيم شيئًا.

ويقال: إن مواضع الجمار الثلاث هى مواقف الشيطان التى رجمه إسماعيل فيها لما اعترضه للغواية، بقى الرجم إليها سُنَّةً فى شرعنا دحضًا للشيطان.

فلما خلا به إبراهيم فى الشعب - ويقال: كان ذلك فى ثبير - قلت: المشهور فى ثبير أنه المطل على مسجد الخيف، والمنحر المشهور فى سفحه. وتصح الرواية؛ فإن المقابل يقال له: ثبير رم نصَّ عليه العلامة الفاسى وغيره، وعدَّها سبعة أثبرة وبيَّنها. انتهى

ولما خلا به فى الشعب، قال له: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ... ﴾ الآية [الصافات: ١٠٢] فحدثت أن إسماعيل قال له عند ذلك: يا أبتاه، إذا أردت ذبحى، فاشدد وثاقى لايصيبك من دمى فينقص أجرى؛ فإن الموت شديد، ولا آمن أن أضطربَ عنده إذا وجدتُ مَسَّهُ، واستحدَّ شفرتك حتى تجهزَ علىَّ، فإن أنتَ أضجعتنى فاكْفِنِى على وجهى، ولاتضجعنى لشقِّى؛ فإنى أخشى إن نظرتَ إلى وجهى أن تدركَكَ الرأفة، فتحول بينك وبين أمر ربك، وأن تردَّ قميصى إلى أمى، فعسى أن يكون إسلاء لها مابقى، فقال له إبراهيم: نعمَ العون أنت يا بني على أمر الله، فيقال: إنه ربطه بالحبل كما أمره فأوثقه، ثم حد شفرته، ثم تلَّه للجبين، أى: صرعه إلى الأرض، واتقى النظر إلى وجهه، ثم أدخل الشفرة حلقه فقلبها جبريل - عليه السلام - فى يده، ثم اجتذبها إليه: ﴿ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ... ﴾ الآية [الصافات: ١٠٥] فهذه ذبيحتك فداءً لابنك فاذبحها دونه، وأتاه بكبش من الجنة.

قال الفاكهى: ذكر أهل الكتاب وكثير من العلماء: أن الكبش الذى فدى به

إسماعيل هو الكبش المتقبل من قربان ابنَىْ آدم قابيل وهابيل، حين قَرَّباَ قربانًا، وهو الذى قرّبَهُ هابيل، كما فى الآية الشريفة؛ روى ذلك بسنده عن ابن عباس.

فانظر - رحمك الله - إلى طاعة هذا الوالد لأمر الله تعالى من ذبح قرة عينه وقطعة كبده، وإلى طاعة هذا الولد لأمر والده وانقياده لذلك راضيًا مستسلمًا باذلاً روحه لله تعالى، وانظر إلى هذه الوالدة الشفيقة الرحيمة وإطاعتها لأمر الله تعالى وأمر زوجها. انتهى

ثم ولد لإسماعيل - عليه السلام - من زوجته آسية بنت مضاض بن عمرو الجرهمى اثنا عشر رجلاً، منهم نابت أو نبت، وقيدار، ويطور.

قال ابن هشام فى السيرة: حدثنا زياد بن عبد الله البكائى، عن محمد بن إسحاق المطلبى قال: ولد لإسماعيل بن إبراهيم اثنا عشر رجلاً: نابت، وقيدار، وأدبيل، ومبسام، ومسمع، وماشى، ودوما، وأذر، وتيماء، ويطور، ونبش[1]، وقيذما، كلُّهم من آسية، وقيل: رعلة بنت مضاض بن عمرو الجرهمى، وكان أكبرهم نابت[2].

وقال السهيلى: أكبرهم قيدار.

ورأيت للبكرى ما هو صريح أن دومة الجندل البلد المعروفة بلد أكيدر التى غزاها خالد بن الوليد، عرفت بدوما بن إسماعيل، وكان نزلها. فلعل ذلك مغير منه. وذكر أن الطور سمى بيطور بن إسماعيل النبى - عليه الصلاة والسلام - ولعله محذوف الياء إن كان يصح ما قاله.

وأما الذى قاله أهل التفسير فى الطور، فهو كل جبل ينبت الشجر، فإن لم ينبت شيئًا، فليس بطور.

وفى كتاب التيجان[3]: قال وهب: حدثنى ابن عباس - رضى الله عنهما - أن

---

(١) في ط: ومبسام. والمثبت من السيرة.

(٢) ينظر السيرة النبوية (١/ ١٩)، وفيه: «ولد إسماعيل اثنى عشر رجلاً: نابتا، وقيدر (وفي الروض: قيذر)، وأذبل ومنشا، ومسمعا، وماشى ودما، وأذر، وطيما، ويطورا، ونبش، وقيذما»، وفسر السهيلي في الروض (١/ ١٥) «قيذما» بأنه: «صاحب الإبل؛ وذلك لأنه كان صاحب إبل إسماعيل».

(٣) وهو لابن هشام، صاحب السيرة.

إبراهيم الخليل - صلى الله على نبينا وعليه وعلى سائر النبيين وسلم - دخل ذات يوم وعلى عنقه قيدار بن إسماعيل صغيرًا، فجاء إليه يعقوب وعيص ابنا ابنه إسحاق، فأخذهما إلى صدره، فنزلت رجل قيدار اليمنى على رأس يعقوب. ورجله اليسرى على رأس عيص، فغضبت أمهما، فقال لها إبراهيم - عليه الصلاة والسلام -: لا تغضبى؛ فإن أرجل أولاد هذا الذى على عنقى على رؤوس هؤلاء بمحمد ﷺ. انتهى

وخبر ابن عباس هذا يدل على أن نسب عدنان يرجع إلى قيدار بن إسماعيل، وهو الذى رجحه السهيلى وجماعات، لا إلى نابت بن إسماعيل.

وعاش إسماعيل مائة وثلاثين عامًا، ومات ودفن بالحجر مع أمه. وعمود النسب المحمدىّ قيدار، وكان هو الملك فى زمانه بعد إسماعيل، وكان هو صاحب إبل إسماعيل، وهو معنى قيدار.

ثم ولد لقيدار زيد، وهو الهميسع، ثم ولد للهميسع أدد، ثم ولد لأدد أد، ثم ولد لأد عدنان.

قال العلامة أبو القاسم السهيلى فى شرحه لسيرة ابن هشام المسمى بالروض الأنف: قال القتيبى: وما فوق عدنان إلى إسماعيل من الأسماء مضطربٌ فيه؛ فالذى [صح] [١] عن رسول الله ﷺ أنه انتسب إلى عدنان لم يتجاوزه؛ بل قد روى من طريق ابن عباس؛ أنه لما بلغ عدنان قال: كذب النسابون« مرتين أو ثلاثًا »، وروى عن عمر - رضى الله عنه - أنه قال: إنما ننسب إلى عدنان، وما فوق ذلك لاندرى ما هو.

وأصحُّ شىء يروى فيما فوق عدنان إلى إسماعيل ما ذكره الدولابى أبو بشر، من طريق موسى بن يعقوب عن عبد الله بن وهب بن زَمعة الزمعى، عن عمته، عن أم سلمة زوج النبى ﷺ، عن النبى ﷺ أنه قال: معدُّ بن عدنان بن أدد [٢] بن زند [بالنون] [٣] بن اليرى[٤] بن أعراق الثرى. قالت أم سلمة: فزند هو الهميسع، واليرى هو نبت، وأعراق الثرى هو إسماعيل؛ لأنه ابن إبراهيم، وإبراهيم - عليه

(١) المثبت من الروض.
(٢) في ط: « عدنان بن أد بن أدد ».
(٣) المثبت من الروض.
(٤) في ط: يرى.

السلام - لم تأكله النار؛ كما أن النار لا تأكل الثرى[1].

وأصحاب الأخبار لا يختلفون فى بُعد المدة بين عدنان وإسماعيل، ويستحيل فى العادة أن يكون بينهما أربعة آباء أو سبعة؛ كا ذكره ابن إسحاق [2] أو عشرة أو عشرون؛ فإن المدة أطول من ذلك كله؛ وذلك أن معد بن عدنان كان فى مدة بخت نصر ابن اثنتى عشرة سنة، وذكر أن الله تعالى أوحى فى ذلك الزمان إلى إرميا بن حلقيا؛ أن اذهب إلى بخت نصر، فأعلمه أنى قد سلطته على العرب، واحمل معدًّا على البراق كيلا تصيبه النقمة فيهم؛ فإنى مستخرجٌ من صلبه نبيًّا كريمًا أختم به الرسل ﷺ. فاحتمل معدًّا على البراق إلى أرض الشام، فنشأ فى بنى إسرائيل، وتزوَّج امرأة هناك اسمها معانة بنت جوشن من بنى ريث بن جرهم، ويقال: إن اسمها ناعمة، وبينه وبين إبراهيم فى ذلك النسب نحو من أربعين جدًّا. وقد ذكرهم كلهم أبو الحسن المسعودى [3] على اضطراب فى الأسماء وتغيير فى الألفاظ؛ ولذلك - والله أعلم - أعرض النبى ﷺ عن رفع نسب عدنان إلى إسماعيل؛ لما فيه من التخليط والتغيير للألفاظ وعواصة تلك الأسماء مع قلة الفائدة فى تحصيلها.

ثم ولد لعدنان ابنان: معدٌّ وهو عمود النسب المحمدى، وعَكّ. وكان رجوع معد إلى أرض الحجاز بعد ما رفع الله بأسه عن العرب، ورجعت بقاياهم التى كانت فى الشواهق إلى محالِّهم ومياههم، بعد أن دوخ بلادهم بخت نصر، وخرب المعمور، واستأصل أهل حضور، وهم الذين ذكرهم الله تعالى فى قوله: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً...﴾ الآية [الأنبياء: ١١] وذلك لقتلهم شعيب بن ذى مهدم، أرسله الله إليهم وقبره بصبر جبل باليمن، وليس بشعيب الأول صاحب مَدْين. وكذلك أهل عدن قتلوا نبيًّا لهم اسمه حنظلة بن صفوان؛ فكان سطوة الله بالعرب لذلك، نعوذ بالله من غضبه وأليم عقابه.

واشتقاق عدنان: من عَدَنَ بالمكان: إذا أقام به. ولعدنان ابنان آخران: عكك، وعمرو. واشتقاق مَعَدّ فيه ثلاثة أقوال، أقربها: من المَعْد، بسكون العين، وهو القوة.

ثم ولد لمعد نزارٌ، وقُضاعة، وقنص، وإياد؛ لكن المشهور فى قضاعة أنه من

(١) ينظر الروض الأنف (١/ ١١).
(٢) ينظر سيرة ابن هشام (١/ ١٨).
(٣) ينظر مروج الذهب (٢/ ٢٧٢، ٢٧٣).

القحطانية لا العدنانية؛ شاهد ذلك قول الشاعر: [من الرجز]

نَحْنُ بَنُو الشَّيْخِ الْهِجَانِ الأَزْهرِ قُضَاعَة بن مَالِكِ بْن حِمْيَرِ

إلا أن يكون كذلك سمى، ونزار هو عمود النسب المحمدىّ، وهو اسم نقل من النَّزْرِ، وهو القليل، وكان مَعَد حين ولد له نزارٌ، ونظر إلى نور النبوة الذى كان ينتقل فى الأصلاب إلى عبد الله، فرح فرحًا شديدًا، ونحر جزائر كثيرة وأطعم وقال: إن هذا كله نزر لحق هذا المولود. وقيل: سبب التسمية قولُ كسرى الأوَّل حين وفد إليه: أى ابن كسى. فضائل بيسار، وجسم نزار، فالله أعلم أيا كان ذلك.

ثم ولد لنزار أربعة: مضر، وهو عمود النسب المحمدىّ، وربيعة، وإياد، وأنمار، ومضر هو أول من سن للعرب حُدَاءَ الإبل، وكان أحسنَ الناس صوتًا، وفى الحديث: « لاتسبوا مضر ولا ربيعةَ فإنَهما كانا مؤمنَيْنِ »[1] ذكره الزبير بن أبى بكر.

قال صاحب تاريخ الخميس: توفى نزار عن بنيه الأربعة، وهم: مضر، وربيعة، وإياد، وأنمار، تخالفوا فى قسمة مخلفه، وكان قد قال لهم: إن اختلفتم فى ذلك، فعليكم بالأفعى الجرهمىّ، وكان بنجران، فذهبوا إليه، وكان ذا رأى وحنكة، فلما كانوا بأثناء الطريق إذا هم بأثر بعير، فقال مضر: هذا البعيرُ أَزْوَرُ، وقال ربيعة: وأَعْوَرُ، وقال إياد: وأَبْتَرُ، وقال أنمار: وشَرُودٌ. ثم ساروا فوجدوا صاحبَ البعير يطلبه فى الشعابِ والدحال، فقالوا له: بعيرك أزور ؟ فقال: نعم، قالوا: فأبتر ؟ قال: نعم، قالوا: وأعور ؟ قال: نعم، قالوا: وشرود ؟ قال: نعم، فلم يشكَّ الرجل أنهم غرماؤه، فلازمهم إلى أن وصلوا إلى الأفعى الجرهمىّ، فقال صاحب البعير: لا أدعك أيها الشيخ أو تحكم بينى وبين هؤلاء اللصوص: ذهب بعير لى، فالتمسته فإذا وصفه عند هؤلاء الرجال فهم الفعلة، فسألهم الأفعى عن البعير، فأقسموا أنهم لم يروا البعير، ولا علم لهم به وإنما قلنا ماقلناه بالذكاء والفطنة، فقال مضر: أما أنا، فرأيتُ إحدى يديه ثابتة الوطأة، صحيحة الأثر، ورأيت الأخرَى غير ثابتة الوطأة فاسدة الأثر، فعلمت أنه أزور؛ لاعتماده على إحدى يديه بشدة، فأثرت

---

(١) أخرجه البلاذري في أنساب الأشراف (١/ ٣١) عن الحسن مرسلاً. وأخرجه عن عبيد الله بن خالد بلغه أن رسول الله (قال: « لا تسبوا مضر فإنه كان مسلمًا ». وقد ورد هذا موصولاً أيضًا ذكره الهندي في « كنز العمال » (١٢/ ٨٩) رقم (٣٤١١٩)، وعزاه للديلمي عن ابن عباس.

فى الأرض تأثيرًا ظاهرًا، والأخرى بخلافها. وقال ربيعة: علمت أنه أعور؛ لأنى رأيت رعيه فى الفلاة لجهة واحدة. وقال إياد: رأيت مبركه، فنظرت إلى روثه مجتمعًا تحت المخرج، فعلمت أنه أبتر، ولو كان ذيالاً لمصع به يمنة ويسرة. وقال أنمار: رأيته بينما هو فى قطعه مخصبة إذ تركها وتجاوزها إلى قطعة أخرى دونها، فعلمت أنه شرود يذكر الطلب فيدَع المرعى الخصيب حذارًا. فقال الأفعى للرجل: التمسْ بعيرك، فليسوا بأصحابه. ثم ذكروا للأفعى مخلف أبيهم نزار، وأخبروه بأمره إياهم بالرضا بقسمته بينهم، فقال: القبة الحمراء، وما أشبهها فهو لمضر، فقيل لأولاده: « مضر الحمراء ». والفرس الخضراء وما أشبهها من سلاح وأثاث فهو لربيعة، فقيل: « ربيعة الفَرس ». والناقة الصفراء وما أشبهها من البقر والغنم لإياد، فقيل لأولاده: « إياد النعم ». وما فضل من نقد وأثاث وسلاح لأنمار، فقيل لأولاده: « أنمار الفَضل » وكان الأفعى قد أضافهم ثلاثة أيام، ذبح لهم الذبائح، وسقاهم الخمر، وقد دس إليهم من يوصل إليه خبرهم غير عالمين به، فمما سمع منهم قول مضر: ما رأيت كاليوم لحمًا قط إلا أنه غذى بلبن كلبة. وقال ربيعة: ما رأيت كاليوم خمرًا قطُّ إلا أن كرمتها نبتت على قبر. وقال إياد: ما رأيت كاليوم خبزًا قطُّ، إلا أن التى عجنته حائض. وقال أنمار: مارأيت كاليوم رجلاً سريًا قطُّ لولا أنه ينسب إلى غير أبيه. فذهب الرجل إليه، فأخبره بقولهم، فكلم خدمه عن الشاة التى ذبحوها لهم فقالوا: كانت تدجن عندنا، فولدت كلبة لنا فارتضعَتْ هذه الشاة منها، فجاءت أسمن الغنم، فاخترناها لفرط سمنها. ثم سأل صاحب حانته عن الخمر فقال: هى من كرمة على قبر أبيك أغذى الكرم عنبًا. ثم سأل العاجنة فوجدها حائضًا. ثم دخل على أمه، فسألها وتهدَّدَهَا على الجَحْدِ، وأمنها على الصدق، فقالت: إن أباكَ الملك المطاع فى قومه لم يرزق ولدًا فخشيتُ ضياعَ الملكِ، فمكنت الخباز من نفسى، فوقع علىّ فأتيت بك. فخرج إلى القوم وسألهم: بم علمتم ذلك ؟ فقال مضر: رأيت اللحم فوق الشحم، فعلمت أنه غذى بلبن كلبة؛ فكذلك لحوم الكلاب فوق شحومها، وقال ربيعة: إن الخمر تحدث أنسًا فرأيتُ من هذه حزنًا، فعلمت أنها اكتسبَتْ من ثرى القبر حزنًا. وقال إياد: علمت أن العاجنة حائضٌ؛ لأنى رأيت الخبزة غير مسغسغ باطنها فى الثريد بل ظاهرها. وقال أنمار:

رأيتك قدَّمت لنا الطعام ولم تحضرْ معنا عليه لغيرِ شاغلٍ، فعلمت أن هذا من لؤم الآباء، ومن انتسبتَ إليه كريم لا لئيم، فقضيت بذلك عليك. فقال الأفعى: ارحلوا؛ فما أنتم إلا شياطين. فرجعوا إلى منازلهم. فلما ضوت الرعاة بإبلهم وتعشوا، قام مضر يوصى رعاة الإبل - وفى يد أنمار عظم يتعرّقه، فدحى به فى ظلمة الليل، وهو لا يبصر، فأصاب عين أخيه مضر، ففقأها، وصاح مضر: عينى، عينى، واضعًا يده عليها. وتشاغل به أخواه، فركب أنمار بعيرًا من كرائم الإبل، فلحق بديار اليمن، وولد له بجيلة وخثعم، فكان هذا هو السبب لسكناه اليمن، وتدير بنيه إياها، والمنشأ للاختلاف فى نسبة أنمار وإدخاله فى نسب اليمن، والصحيح ما ذكرنا.

ثم ولد لمضر ابنان: إلياس، وقيس عَيْلَان بالمعجمة، وقيل: بالمهملة، وقيل: إن قيسًا ابنُ إلياس لا أخ له.

وفى اشتقاق إلياس أقوال:

منها: أنه من الألس، وهو اختلاط العقل.

ومنها: أنه من الألس وهو الخديعة.

وثالثها: وهو الأرجح: أنه من قولهم رجل أَلْيَس: إذا كان شجاعًا لا يفتر؛ قال العجاج: [من الرجز]

أَلْيَس عَنْ حَوْبَائِهِ سَخِىّ

وإلياس عمود النسب المحمدىّ، ثم تزوج بخندف، واسمها ليلى أو سلمى بنت حلوان بن إلحاف بن قضاعة، فولد له منها ثلاثة أولاد: عمرو، وعامر وعمير، فنشئوا وشبوا فى حياة والديهم، فاعترضت ذات يوم أرنب فى إبل إلياس فنفرت، فخرج عمرو وعامر وأبوهما إلياس، فأدرك عمرو الإبل فردَّها، فلقب مُدْرِكة، ولحق عامر الأرنبَ فذبحها وطبخها، فلقب طابخة، وأما عمير، فلم يخرجْ من البيت وانقمع فيه - أى: أقام - فلقب قمعة: فلما أقبل هو وابناه عمرو وعامر إذا بأمهما سلمى تمشى فقال لها: إلى أين تخندفين ؟ فقالت: مازلت أخندف فى أثركم، فلقبت خِنْدِفًا، ثم أطلقوا هذا اللفظ على القبيلة؛ كما هو المعتاد فى إطلاق اسم جد القبيلة عليها نفسها؛ قالت هند ابنة عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد

مناف بن قصى ترثى أباها حين قتل يوم بدر: [من التقارب]

أَيَا عَيْنُ بَكِّى بِدَمْعٍ سرِبْ عَلَى خَيْرِ خِنْدفَ لَمْ يَنْقَلِبْ
تَدَاعَى لَهُ رَهْطُهُ غُدْوَةً بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو المُطَّلِبْ
يُذِيقُونَهُ حَدَّ أَسْيَافِهِمْ يَجُرُّونَهُ عَارِيًا قَدْ سُلِبْ

ذكره ابن هشام فى سيرته[1].

والخندف: مشية فيها تمدد وتعطف بنوع بطر وإسراع.

ثم ولد لمدركة خُزَيْمَة، تصغير واحدة الخَزَم، وهو مثل الدوم يتخذ من سعفه الحبال. وتصنع من أسافله خلايا للنحل، وله ثمر لا يأكله الناس، ولكن تتألفه الغربان وتستطيبه.

ثم ولد لخزيمة كنانة، ثم تزوَّج كنانة بَرَّة بنة مُرٍّ أخت تميم بن مر؛ ذكره ابن قتيبة فى كتاب المعارف[2]، فأولدها النضر، ثم تزوج النضر هندًا بنت عدوان بن عمرو بن قيس عيلان؛ فأولدها مالكًا، ثم تزوَّج مالك جندلة بنت الحارث الجرهمى، فأولدها فهرًا، وهذا قيل هو لقب له، والفهر من الحجارة الطويلة، وما يملأ الكف، وأما اسمه فقريش، وقيل: بل اسمه فهر، ولقبه قريش.

أقول: قال فى بحر الأنساب: فما فوق فهر إلى النضر لايكون قرشيًا، وما دونه قرشى. وقيل: إن قريشًا لقب للنضر؛ فعلى هذا ما فوق فهر إلى النضر قرشى، وهو الذى رجحه النووى تبعًا لكثيرين.

واشتقاق قريش: من التقرُّش، وهو التكسب؛ لأنهم أرباب تجارة واكتساب، وقيل: من التقريش، وهو التجميع؛ لتجمعهم وتحيزهم بمكة ونواحيها، ويقال: منه اشتقاق القرش؛ للمعاملة المعروفة؛ لأنه قطعة من الفضة مجتمعة، هذا إن كان اللفظ فيه بالقاف، فإن كان بالغين - كما قد يسمع - فلا اشتقاق.

وقيل: من القرش اسم دابة شديدة بالبحر؛ قال أبو أمية الجمحى: [من الخفيف]

وَقُرَيْشٌ هِىَ الَّتِى تَسْكُنُ البَحْـ رَ بِهَا سُمِّيَتْ قُرَيْشٌ قُرَيْشَا
تَأْكُلُ الغَثَّ وَالسَّمِينَ وَلاَ تَتْـ رُكُ [منها] لِذِى الْجَنَاحَيْنِ رِيشَا

---

(١) ينظر سيرة ابن هشام (٢/ ٣٨٢، ٣٨٣)، وفيه اختلاف يسير.
(٢) ينظر المعارف (٦٥).

هَكَذَا فِى الْوُجُودِ حَىُّ قُرَيْشٍ يَأْكُلُونَ الْأَنَامَ أَكْلًا كَرِيشَا
سَلَّطَتْ بِالْعُلُوِّ فِى لُجَّةِ البَحْـ ـرِ عَلَى سَائِرِ البُحُورِ جُيُوشَا
وَلَهُمْ آخِرَ الزَّمَانِ نَبِىٌّ يُكْثِرُ القَتْلَ فِيهِمُ وَالْخُمُوشَا

ثم ولد لفهر غالب. ثم ولد لغالب لُؤَىّ. قال السهيلى فى روضه: وهو تصغير اللأى وهو الثور؛ [الوحشي] (١) وأنشد: [من الكامل]

يَعْتَادُ أُدْحِيَةً بَقِينَ بِقَفْرَةٍ مَيْثَاءَ يَسْكُنُهَا اللأَى وَالفَرْقَدُ

وقال بعضهم: اللأى: البقرة الوحشية؛ قال: وسمعت أعرابيًّا يقول لآكَ هذه بِكم ؟ وأنشد فى وصف فلاة: [من الطويل]

كَظَهْرِ اللأَى لَوْ تَبْتَغِى رِيَّةً بِهَا نَهَارًا لَأَعْيَتْ فِى بُطُونِ الشَّوَاجِنِ

والشواجن: شُعَبُ الجبال، والرية: مقلوب وَرْيَة من ورى الزند، وهى الحراق الذى يشعل به الشرر من الزناد(٢).

ثم ولد للؤى كعب، أمه سلمى بنت محارب؛ وهذا كعب أول من سمى« يوم الجمعة »، وكان يسمى« يوم العروبة »؛ فكانت قريش تجتمع إليه فى هذا اليوم فيخطبهم ويذكرهم بمبعث النبى ﷺ ويعلمهم أنه من ولده، ويأمرهم باتباعه والإيمان به، وينشد قوله: [من البسيط]

يَا لَيتَينِي شَاهِدٌ فَحْوَاءَ دَعْوَتِهِ إِذَا قُرَيْشٌ تُبَغِّى الحَقَّ خِذْلَانَا (٣)

وقد ذكر الماوردى هذا الخبر، عن كعب فى كتاب الأحكام السلطانية.

وكعب: إما منقول من الكعب الذى هو قطعة من السمن، أو من كعب القدم، وهو عندى أشبه؛ لقولهم فى وصف الشجاع: ثبت ثبوت الكعب، وجاء فى خبر عبد الله بن الزبير - رضى الله عنه - أنه كان يصلى عند الحجر وحجارة المنجنيق تَمُرُّ بين أذنيه، وهو لايلتفت إليها كأنه كعب راتب(٤)، أى: ثابت.

---

(١) المثبت من الروض.
(٢) ينظر الروض (١/ ٩).
(٣) ورد هذا البيت في ط هكذا:
يا ليتني شاهدُ نجوِ آى دعوته إذا قريش تنفي الحق خذلانا
والمثبت من الروض الأنف. وينظر الروض (١/ ٨).
(٤) في ط رابت والمثبت من الروض ومعناه كما فسره المصنف. وينظر الروض (١/ ٨).

ثم ولد لكعب مُرَّة وعَدِيّ، ومُرَّة: عمود النسب، وهو منقول من وصف الحنظلة والعلقمة، وكثيرًا مايسمون حنظلة وعلقمة وعكرمة، وهى شدة ظلمة الليل.

ومرة: قال بعضهم [١]أحسبه منقولاً من النبات؛ لأن أبا حنيفة ذكر أن المرة بقلة تقلع فتؤكل بالخل والزيت، يشبه ورقها ورق الهندباء.

أمه: وحشية بنت شيبان بن محارب بن فهر.

ثم ولد لمرة كلاب بن مرة، وتيم بن مرة، ويقظة بن مرة. عمود النسب المحمدىّ كلاب بن مرة، أمه: نعم بنت ثعلبة بن مالك بن كنانة، من أزد الشراة، وهو إما منقول من المصدر الذى هو معنى المكالبة؛ نحو كالبتُ العدو مكالبةً وكلابًا، وإما من الكلاب جمع كلب؛ لأنهم يريدون الكثرة كما سموا سباع وأنمار. وقد قيل لأبى الدقيس الأعرابى: لم تسمون أبناءكم بشر الأسماء؛ نحو: كلب، وذئب، وسنان، وعبيدكم بأحسن الأسماء؛ نحو: مرزوق، ورباح ؟ فقال: إنا نسمى أبناءنا لعدوِّنا، وعبيدنا لأنفسنا، يريد: أن الأبناء عدة للأعداء، وسهام فى نحورهم، فاختاروا لهم هذه الأسماء.

ثم ولد لكلاب قُصَىّ واسمه زيد وهو تصغير قَصى وهو البعيد لأنه بعد عن قومه كما سيأتى بيانه، وهو وأخوه زهرة بن كلاب من فاطمة بنت عمرو بن سعد بن سبَل الذى يقول فيه الشاعر، وكان أشجع أهل زمانه: [من الرمل]

لاَ أَرَى فِى النَّاسِ شَخْصًا وَاحِدًا ... فَاعْلَمُوا ذَاكَ كَسَعْدِ بْنِ سَبَلْ
فَارِسٌ أَضْبطُ فِيهِ عُسْرَة ... فَإِذَا مَا عَايَنَ القِرْنَ نَزَلْ
فَارِسٌ يَسْتَدْرِجُ الْخَيْلَ كَمَا ... يَدْرُجُ الحَرُّ القَطَامِى الْحَجَلْ

قال الأزرقى: وزهرة أكبرهما، فتزوج ربيعة بن حرام أمهما المذكورة، وزهرة رجل بالغ وقصى فطيم أو فى سن الفطيم، فاحتملهما ربيعة إلى بلاده من أرض عذرة من مشارف الشام، وتخلف زهرة فى قومه، فولدت فاطمة لربيعة رَزاح بن ربيعة وكان أخا قصى من أمه، ولربيعة بن حرام من امرأة أخرى ثلاثة بنين: حسن، ومحمود وجُلهمة بنو ربيعة، فبينما قصى بن كلاب فى أرض قضاعة لاينتمى إلا إلى ربيعة بن حرام إذ وقع بينه وبين رجل من قضاعة شىء، وكان قصى قد بلغ. فقال له

(١) ينظر الروض الأنف (١/٨).

القضاعى بعد أن عيَّره بالغربة: ألا تلحق بنسبك وقومك ؛ فإنك لست منا. فمضى إلى أمه - وقد وجد فى نفسه مما قال له القضاعى - فسألها عما قال، فقالت له: أنت والله يابنى خير منه وأكرم، أنت ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى، وقومك عند البيت الحرام وماحوله. فأجمع قصىٌ الخروج إلى قومه واللحاق بهم، وكره الغربة فى أرض قضاعة، فقالت له أمه: يابنى، لا تعجلْ بالخروج حتى يدخل علينا الشهر الحرام فتخرج فى حَاجِّ العرب ؛ فإنى أخشى عليك. فأقام قصى حتى دخل الشهر الحرام، وخرج فى حَاجِّ قضاعة، حتى قدم مكة، فعرف قومُه فضله وقدَّمُوهُ وأكرموه، وكانت خزاعة مستولية على البيت وعلى مكة، وقريش حلول وصرم وبيُوتات متفرقة فى قومهم من بنى كنانة، فكانت خزاعة تتوارث ذلك بينهم كابرًا عن كابر، حتى كان آخرهم حليل بن حبشية، فخطب قصى إلى حليل بن حبشية الخزاعى ابنته حبَّى، فعرف حليل نسبه فزوجه، فأتى منها بأربعة بنين: عبد الدار، وعبد مناف، وعبد العزَّى، وعبد قصى. فكثر أولاد قصى وأولاد أولاده، وكثرت أموالهم وعظم شرفهم، وكان حليل يلى أمر البيت ومكة، فأقام قصى حتى ولدت له حبَّى عبدَ الدار، وهو أكبر أولاده، وعبد مناف وعبد العزى وعبد قصى، وكان حليل يفتح البيت، فإذا اعتل، أعطى ابنته حبَّى المفتاح ففتحته، فإذا اعتلت أعطت المفتاح زوجها قصيًا أو بعض أولادها، وكان قصى يعمل فى حيازته إليه، وقطع ذكر خزاعة معه، فلما حضرت حليلاً الوفاة، نظر إلى قصى وإلى ما انتشر له من الولد من ابنته حبَّى، فرأى أن يجعلها فى ولد ابنته، فدعا قصيًا فجعل له ولاية البيت، وسلم إليه المفتاح، وقال: يكون عند حبى، فلما هلك حليل، أبت خزاعة أن تدعه وذاك، وأخذوا المفتاح من حبى، فمشى قصى إلى رجال من قومه من قريش وبنى كنانة، فدعاهم إلى القيام معه فى ذلك وأن ينصروه ويعضدوه، فأجابوه إلى النصرة، وأرسل قصىٌ إلى أخيه لأمه رَزاح بن ربيعة، وهو ببلاد قومه من قضاعة يدعوه إلى نصرته، ويعلمه ماحالت خزاعة بينه وبين ولاية البيت الموصى له من حليل بن حبشية الخزاعى المذكور، ويسأله الخروج. فقام رزاح فى قومه، فأجابوه إلى ذلك، فخرج رزاح بن ربيعة ومعه إخوته من أبيه: حسن ومحمود وجُلهمة بنو ربيعة بن حرام فيمن معهم من قضاعة مجتمعين لنصر قصىٌ والقيام معه.

فلما اجتمع الناس بمكة، خرجوا إلى الحج، فوقفوا بعرفة وبجَمْع مع أخيه رزاح من قضاعة.

فلما كان آخر أيام مِنى أرسلت قضاعة إلى خزاعة يسألونهم أن يسلموا إلى قصىّ ماجعله له حليل، وعظموا عليهم القتال فى الحرم، وذكروهم عاقبة الظلم والبغى بمكة، وذكروهم بما كانتْ فيه جرهم، وما آلت إليه. فأبت خزاعة أن يسلموا ذلك، فاقتتلوا بمفضى مأزمَىْ منى من قبليها، فسمى ذلك المكان بالمفجر، لما فجر وسفك فيه من الدماء واقتتلوا قتالاً شديدًا حتى كثرت القتلى بين الفريقين، وفشت فيهم الجراحات، وحاجُّ العرب من مضر واليمن مستكفون ينظرون إلى قتالهم، ثم تداعوا إلى الصلح، فدخلت قبائل العرب بينهم، وعظموا على الفريقين سفك الدماء والفجور فى الحرم، فاصطلحوا على أن يحكموا بينهم عمرو بن عوف بن كعب، وكان رجلاً شريفًا، فقال لهم: موعدكم فِناء الكعبة غدًا، فاجتمع الناس وعدُّوا القتلى، فكانت فى خزاعة أكثر منها فى قريش وكنانة. فلما اجتمع الناس بفناء الكعبة، قام عمرو بن عوف فقال: ألا إنى قد شدختُ مابينكم من دم تحتَ قدمىَّ هاتَيْنِ ؛ فلا تباعة لأحد على أحد فى دم، وإنى قد حكمت لقصى بحجابة البيت وولاية أمر مكة دون خزاعة لما كان جعل له حليل، وأن يخلى بينه وبين ذلك وألا تخرج خزاعة من مساكنها من مكة وأطرافها. فسلمت خزاعة لقصى ذلك، ومن ذلك اليوم سمى عمرو الشداخ، وجمع قصى قريشًا بمكة فسمى مجمعًا، قال الشاعر: [من الطويل]

أَبُوكُمْ قُصَىٌّ كَانَ يُدْعَى مُجَمِّعًا ... بِهِ جَمَّعَ اللهُ الْقَبَائِلَ مِنْ فِهْرِ
وَأَنْتُمْ بَنُو زَيْدٍ وَزَيْدٌ أَبُوكُمُ ... بِهِ زِيدَتِ الْبَطْحَاءُ فَخْرًا عَلَى فَخْرِ
هُمُ نَزَلُوهَا وَالْمِيَاهُ قَلِيلَةٌ ... وَلَيْسَ بِهَا إِلاَّ كُهُولُ بَنِى عَمْرِو

يعنى: كهول خزاعة، واستمرتْ خزاعة مقيمة بمكّة على رباعهم وسكناهم لم يحرِّكوا، ولم يخرجوا منها، فلم يزالوا على ذلك حتى جاء الإسلام، فهم الآن على قريب منها وقال قصى يشكر أخاه رَزاح بن ربيعة: [من الوافر]

أَنَا ابْنُ الْعَاصِمِينَ بَنِى لُؤَىٍّ ... بِمَكَّةَ مَوْلِدِى، وَبِهَا رُبِيتُ
لِىَ الْبَطْحَاءُ قَدْ عَلِمَتْ مَعَدٌّ ... وَمَرْوَتُهَا رَضِيتُ بِهَا رَضِيتُ

وَفِيهَا كَانَتِ الآبَاءُ قَبْلِى فَمَا سَوِيَتْ أُخَىَّ وَمَا سَوِيتُ
رَزاحٌ نَاصِرِى وَبِهِ أُسَامِى فَلَسْتُ أَخَافُ ضَيْمًا مَا حَيِيتُ

وفى قول: إن حُلَيلا أوصى بمفتاح الكعبة لابنته حبى، فقالت: لا أقدر على السدانة، فجعل ذلك إلى ابن غبشان رجل من خزاعة، وكان سكيرًا فأعوزه فى بعض الأيام ما يأخذ به الخمر، فباع مفتاح البيت بزق خمرٍ، فاشتراه قصىٌّ، فصار فى المثل: « أَخْسَرُ مِنْ صَفْقَةِ أبى غبشان »

وقال الشاعر: [من الوافر]

أَبُو غبشَانَ أَظْلَمُ مِنْ قُصَىٍّ وَأَظْلَمُ مِنْ بَنِى فِهْرٍ خُزَاعَهْ
فَلَا تَلْحَوْا قُصَيًّا فِى شِرَاهُ وَلُومُوا شَيْخَكُمْ إِذَ كَانَ بَاعَهْ

وقال الآخر يهجو خزاعة: [من الوافر]

إِذَا افْتَخَرَتْ خُزَاعَةُ مِنْ قَدِيمٍ وَجَدْنَا فَخْرَهَا شُرْبَ الخُمُورِ
وَبَاعَتْ كَعْبَةَ الرَّحْمَنِ جَهْرًا بِزِقٍّ، بِئْسَ مُفْتَخَرُ الفُجُورِ

فلما صار المفتاح إلى قصى، تناكرت له خزاعة، وكثر كلامها عليه، ومنعوا من إمضاء ذلك، فأجمع على حربهم، فحاربهم وأخرجهم من مكة ؛ هكذا فى بعض الروايات ؛ لكن الرواية الأولى أكثر طرقًا وأتقنُ رواةً.

فولى قصى أمر البيت ومكة وجمع قومه، فملكوه على أنفسهم، وكانوا يحترمون أن يسكنوا مكة، ويعظمونها أن يبنوا فيها بيتًا مع بيت الله تعالى، وكانوا يكونون بمكة نهارًا، فإذا أمسوا خرجوا منها إلى الحل، ولا يستحلون الجنابة بمكة، فلما جمع قصى على قومه اليد، بنى الكعبة، ثم أذن لهم أن يبنوا بيوتًا بها وأن يسكنوا، وقال لهم: إن سكنتم الحرم حول البيت، هابتكم العرب، ولم تستحلَّ قتالكم، ولا يستطيع أحد إخراجكم، فقالوا له: أنت سيدنا، ورأينا لرأيك تبع ؛ فجمعهم حول البيت، وفى ذلك يقول القائل: [من الطويل]

أَبُوكُمْ قُصَىٌّ كَانَ يُدْعَى مُجَمِّعًا بِهِ جَمَّعَ اللهُ القَبَائِلَ مِنْ فِهْرِ
وَأَنْتُمْ بَنُو زَيْدٍ وَزَيْدٌ أَبُوكُمُ بِهِ زِيدَتِ البَطْحَاءُ فَخْرًا عَلَى فَخْرِ

وابتدأ هو، فبنى دار الندوة، والندوة فى اللغة: الاجتماع ؛ ومنه النادى للمكان المجتمع فيه، وكانوا يجتمعون فيها للمشورة وغيرها من المهمات ؛ فلا تنكح امرأة

ولايتزوج زوج من قريش إلا فيها، ولا تدرع جارية إذا بلغت أن تدرع من قريش إلا فى داره ليشقّ عليها فيها درعها ثم تدرعه، فتنطلق إلى أهلها، ويدخلها كل قريش، ومن غير قريش لا يدخلها إلا من بلغ الأربعين فما فوق.

وبنى الكعبة، وقسم جهاتها بين طوائف قريش، فبنوا دورهم حولها من جهاتها الأربع، وتركوا للطواف مقدارًا يقال: إنه المفروش الآن حول البيت بالحجر والرخام المسمى بالمطاف الشريف، وشرعوا أبواب بيوتهم إلى نحو البيت الشريف، وتركوا بين كل بيتين طريقًا ينفذ منها إلى المطاف، إلى أن زاد عمر - رضى الله عنه - فى المسجد، وتبعه عثمان، وتبعهما غيرهما.

ورتب قريشًا على منازلها فى النسب بمكة، فجعل الأبطحىّ من قريش هو من كان من قريش الأباطح، وجعل الظاهرىّ منهم من كان من قريش الظواهر، فقريش البطاح: قبائل بنى عبد مناف: بنو عبد الدار، بنو أسد بن عبد العزى بن قصى، بنو زهرة بن كلاب، بنو مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى، بنو تيم بن مرة، بنو جمح، بنو سهم، بنو عدى بن كعب - وهؤلاء الثلاث القبائل مع بنى مخزوم يسمون لَعَقَةَ الدم - بنو حِسْل بن عامر بن لؤى. فهؤلاء قريش الأباطح أحد عشر قبيلة.

وأما قريش الظواهر: فهم أربع قبائل: بنو محارب بن فهر، بنو الحارث بن فهر، بنو الأدرم بن غالب بن فهر، بنو مُعَيْص بن عامر بن لؤى، وفى ذلك يقول ذكران مولى بنى عبد الدار، مخاطبًا للضحاك بن فهر بن عامر بن قيس الفهرى الظاهرى: [من الطويل]

تَطَاوَلْتَ لِلضَّحَّاكِ حَتَّى رَدَدْتُهُ ... إِلَى حَسَبٍ فِى قَوْمِهِ مُتَقَاصِرِ
فَلَوْ شَهِدَتْنِى مِنْ قُرَيْشٍ عِصَابَةٌ ... قُرَيْشُ البِطَاحِ لاَ قُرَيْشُ الظَّوَاهِرِ
وَلَكِنَّهم غَابُوا وَأَصْبَحتَ شَاهِدًا ... فَقُبِّحْتَ مِنْ حَامِى ذِمَارٍ وَنَاصِرِ
فَرِيقَانِ مِنْهُمْ سَاكِنٌ بَطْنَ يَثْرِبٍ ... وَمِنْهُمْ فَرِيقٌ سَاكِنٌ بِالْمَشَاعِرِ

وأما الأحلاف من قريش، فخمس قبائل: بنو عبد الدار، بنو سهم، بنو جمح، بنو عدى، بنو مخزوم.

وأما المطيّبون الذين تحالفوا، وغمسوا أيديهم فى الطيب، فسمى حلف المطيبين:

بنو عبد مناف، بنو أسد، بنو عبد العزى، بنو تيم، بنو الحارث بن لؤى، خمس قبائل أيضًا ؛ قال عمر بن أبى ربيعة المخزومى من قصيدة: [من الخفيف]

وَلَهَا فِى المُطَيَّبِينَ جُدُودٌ ثُمَّ نَالَتْ ذَوائِبَ الأَحْلَافِ
إِنَّهَا بَيْنَ عَامِرِ بْنِ لُؤَىٍّ حِينَ تُدْعَى وَبَيْنَ عَبْدِ مَنَافِ

وروى الحسن الأثرم، عن هشام بن محمد بن السائب الكلبى قال: كانت قريش الظواهر يغيرون على بنى كنانة، يغيرهم عمرو بن ود العامرى، إلا أن بنى الحارث بن فهر دخلت بعد ذلك مكة ؛ فهم من البطاح، وهم يد مع المطيبين فى حلفهم الذى كانوا عقدوه.

قال: وأما قريش العازبة: فإنهم ولد سامة بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، وقد ذكر الفاكهى سبب تسميتهم بذلك، فقال: حدثنا الزبير بن أبى بكر قال: وأما ولد سامة بن لؤى، وهم قريش العازبة، وإنما سموهم العازبة ؛ لأنهم عزبوا عن قومهم، فنسبوا إلى أمهم ناجية بنت حزم بن زَبَّان، وهو علاف، وكان أول من اتخذ الرحال العلافية فنسبت إليه. واسم ناجية ليلى، وإنما سميت ليلى ناجية ؛ لأنها صارت فى مفازة فعطشت فاستسقت سامة بن لؤى، فقال لها: بين يديك، وهو يريها السراب، حتى جاءت الماء فشربت فنجت، فسميت ناجية.

قال: وأما قريش العائذة: فهم بنو خزيمة بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر، وسبب تسميتهم بذلك ذكرها الزبير - أيضًا - فقال: وإنما قيل لخزيمة بن لُؤى عائذة ؛ لأن عبيد بن خزيمة تزوج عائذة بنت الخِمس بن قحافة بن خثعم، فولدتْ له مالكًا وتيمًا ؛ فسموا عائذة باسم أمهما.

قال الزبير: وكانت العرب تنفس قريشًا وتعير أهل الحرم منها بالمقام بالحرم، فأسموها العصب.

وفى قريش رهط يقال لهم: الأجربان، وهم بنو بغيض بن عامر بن لؤى، وبنو محارب بن فهر، وكان هذان الرهطان متحالفين، وكانا يدعيان الأجربين ؛ لبأسهما وقهرهما من ناوأهما، فهما الأجربان من أهل تهامة.

ومن أهل نجد رهطان كذلك، يقال لهما الأجربان، هما عبس وذبيان.

ولما ذكرتُ بناء قصى الكعبة الشريفة، أحببتُ ذكر بناء قريش وابن الزبير والحجاج إياها متممًا للفائدة، فقلت: ثم بنت قريش الكعبة ؛ قال خاتمة الحفاظ والمحدثين مولانا الشيخ محمد الصالحى فى كتابه المسمى: سبل الرشاد فى سيرة خير العباد[1]: سببه أن امرأة جمرت الكعبة، فعلقتْ شرارة من مجمرها فى ثياب الكعبة، فأحرق الشرار أخشابها، وأحرق قرنى كبش إسماعيل، وكانا معلقين بها ظاهرين، ودخلها سيل عظيم، فصدع جدرانها بعد توهنها بالنار، فأجمعوا على هدمها وبنائها، فلما غدوا على هدمها، خرجت لهم تلك الحية التى كانت تحرس الجبّ، سوداء الظهر، بيضاء البطن، رأسها كرأس الجدى، فمنعتهم، فلما رأو ذلك، اعتزلوا عند مقام الخليل، فقال لهم الوليد بن المغيرة: يا قوم، ألستم تريدون بهدمها الإصلاح ؟ قالوا: بلى، قال: فإن الله لايهلك المصلحين، ولكن لا تُدخِلُوا فى بنائها إلا طيب أموالكم، لا تدخلوا فيه مال ربا ولا ميسر ولا مهر بغىٍّ ؛ فإن الله لا يقبل إلا طيبًا، ففعلوا، ثم وقفوا عند المقام ساعة يدعون، فقالوا: اللهم، إن كان لك فى هدمها رضًا، فاشغلْ عنا هذا الثعبان، فأقبل طائر من جو السماء كهيئة العقاب أسود الظهر أبيض البطن أصفر الرجلين، والحية على الجدار فاغرة فاها، فأخذ برأسها وطار بها إلى أجياد الصغير، فقالوا: نرجوا أن يكون ربنا قد رَضِىَ عملكم، فاهدموا. فهابت قريش الهدم، فقال الوليد: أنا أبدؤكم ؛ فإنى شيخ، فإن أصابنى أمر كان قد دنا أجلى، فعلاه بالعتلة يهدم، فتزعزع تحت رجله حجر، فقال: اللهم لم نرع، إنما أردنا الإصلاح، فهدم يومه أجمع، وقالت قريش: نخاف أن ينزل به إذا أمسى شىء، فلما أمسى لم ير بأسًا، فأصبح غاديًا على عمله، فهدمت قريش معه حتى بلغوا الأساس الذى وضعته الملائكة، وهو ما رفع عليه الخليل القواعد، فأدخل الوليد العتلة، فانفلقت فلقة، فأخذها وهب بن عمير، ففرت من يده وعادت لمحلها، وبرقت من تحتها برقة كادت تخطف الأبصار، ورجفت مكة بأسرها، فعند ذلك أمسكوا، ثم لما عمروا وقلّتْ عليهم النفقة أجمعوا على أن يقصروا عن القواعد، ويحجروا على ما قصروا من بناء البيت بجدارٍ يطاف من ورائه، وقدر ما أبقوا فيه من البيت ستة أذرع وشبر، وقال: ارفعوا بابها حتى لا

(١) ينظر سبل الهدى والرشاد (٢/ ١٦٩-١٧٠).

تدخلها السيول، ولا يرقى إليها إلا بسلم، ولا يدخلها إلا من أردتم، فبنوا أربعة أذرع، ثم كسوها وبنوها حتى بلغ ارتفاعها ثمانية عشر ذراعًا، زادوا تسعة أذرع على بناء الخليل، وبنوها مدماكًا من حجر ومدماكًا من خشب، وجعلوا سقفها مسطحًا وأقاموه على ستِّ دعائم فى صفين، وبنوا درجة من بطنها مِنْ خشب فى الركن الشامى. وزوَّقوها وصوَّروا الأنبياء والملائكة والشجر، وجعلوا لها بابا واحدًا وكسوها الحبرات اليمانية.

قال ابن هشام (١): لما اقتسمتْ قريشٌ جوانب البيت للعمارة، كان شق البيت لبنى زهرة وبنى عبد مناف، وما بين الركن الأسود واليمانى لبنى مخزوم، ومن انضم إليهم من قريش، وظهر الكعبة لبنى جمح وبنى سهم، وشق الحجر [لبنى عبد العزَّى وبنى عدى وبنى كعب] (٢)، وأحضروا الحجارة وكان رسول الله ﷺ ينقل معهم الحجارة، وهو ابن خمس وثلاثين سنة على الصحيح، حتى انتهى الهدم إلى حجارة خضر كأسنمة الإبل، فضربوها بالمعول، فخرج برق كاد أن يخطف الأبصار، فانتهوا عند ذلك الأساس. ثم بنوها حتى بلغ البنيان موضع الركن، فاختصم القبائل، كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه، وكادوا يقتتلون على ذلك، فقال لهم أبو أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم - وكان شريفًا مطاعًا - : اجعلوا الحكم بينكم لأول من يدخل من باب الصفا، فقبلوا ذلك منه، وكان أول داخل رسول الله ﷺ، فلما رأوه قالو: هذا الأمين أقبل، وكان يسمى فى الجاهلية « الأمين » ؛ لأمانته وصدقه، فقالوا جميعًا: رضينا بحكمه، ثم قصوا عليه قصتهم، فقال ﷺ: « هَلُمَّ إلىَّ ثوبًا »، فأتى به، فوضع الركن فيه، ثم قال: « لتأخذ كل قبيلة بطرف من هذا الثوب »، فحمله من أربعة أطراف الثوب أربعة من وجوه القبائل وأشرافها وزعمائها، ورفعوه إلى محاذاة موضعه، فتناوله رسول الله ﷺ من الثوب، ووضعه بيده الشريفة فى محله ؛ فكان الأشراف والزعماء خدمًا له ﷺ، وفى ذلك يقول هبيرة بن أبى وهب المخزومى: [من الطويل]

---

(١) ينظر: « السيرة النبوية » (١/ ٢٢١-٢٢٤).

(٢) في السيرة: [لبني عبد الدار بن قصي، ولبني أسد بن عبد العزى بن قصي، ولبني عدي بن كعب بن لؤي وهو الحطيم].

تَشَاجَرَتِ الْأَحْيَاءُ فِى فَصْلِ خُطَّةٍ ... جَرَتْ طَيْرُهُمْ بِالنَّحْسِ مِنْ بَعْدِ أَسْعدِ
تَرَامَوْا بِهَا بِالْبغض [١] بَعْدَ مَوَدَّةٍ ... وَأَوْقَدَ نَارًا بَيْنَهُمْ شَرُّ مُوقِدِ
فَلَمَّا رَأَيْنَا الْأَمْرَ قَدْ حَانَ جِدُّهُ [٢] ... وَلَمْ يَبْقَ شَىْءٌ غَيْرُ سَلِّ الْمُهَنَّدِ
رَضِينَا وَقُلْنَا الْعَدْلُ أَوَّلُ طَالِعٍ ... يَجِىءُ مِنَ الْبَطْحَاءِ مِنْ غَيْرِ مَوْعِدِ
فَفَاجَأَنَا هَذَا [٣] الْأَمِينُ مُحَمَّدٌ ... فَقُلْنَا رَضِينَا بِالْأَمِينِ مُحَمَّدِ
بِخَيْرِ قُرَيْشٍ كُلِّهَا أمر دِيمَة [٤] ... وَفِى الْيَوْمِ مَعْ مَا يُحْدِثُ اللهُ فِى غَدِ
فَجَاءَ بِأَمْرٍ لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ ... أَعَمَّ وَأَرْضَى فِى الْعَوَاقِبِ وَالْبَدِى
أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ [٥] الرِّدَاءِ وَكُلُّنَا ... لَهُ حِصَّةٌ مِنْ رَفْعِهِ قَبْضَةَ الْيَدِ
فَقَالَ ارْفَعُوا حَتَّى إِذَا مَا عَلَتْ بِهِ ... أَكُفُّهُمْ وَالَى بِهِ خَيْرُ [٦] مُسْنِدِ
وَكُلٌّ رَضِينَا فِعْلَهُ وَصَنِيعَهُ [٧] ... فَأَعْظِمْ بِهِ مِنْ رَأْيِ هَادٍ وَمُهْتَدِ
وَتِلْكَ يَدٌ مِنْهُ عَلَيْنَا عَظِيمَةٌ ... يَرُوحُ بِهَا هَذَا الزَّمَان [٨] وَيَغْتَدِى [٩]

انتهت.

أقول: طالما بحثت عن أهل الزعامة والرياسة من الأربعة الآخذين بطرف الرداء حتى ظفرت بأسمائهم على التعيين فى مروج الذهب للمسعودى، وهم: عتبة بن ربيعة بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى، والأسود بن عبد المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصى، وأبو حذيفة بن المغيرة بن عمرو بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب، وقيس بن عدى السهمى [١٠].

وأما بناء عبد الله بن الزبير لها، قال فى المسامرة: روينا من حديث الأزرقى قال:

---

(١) في ط: بالغض. والمثبت من «سبل الهدى والرشاد» وفي السبل: «تلاقوا لها بالبغض».
(٢) في السبل: جَدَّ جَدُّهُ.
(٣) في السبل: فلم يَفْجَنا إلا.
(٤) في ط: أسو شيمة. والمثبت من سبل الهدى والرشاد.
(٥) في السبل: بأكناف.
(٦) في السبل: أكف إليه فسر في خير.
(٧) في السبل: وكان رضينا ذاك عنه بعينه.
(٨) في السبل: ركب العراق.
(٩) ينظر: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٢/ ١٧٢).
(١٠) ينظر مروج الذهب (٢/ ٢٧٩).

جلس رجال من قريش بالمسجد الحرام: حويطب بن عبد العزى، ومخرمة بن نوفل، فتذاكروا بناء قريش الكعبة وماهاجهم إلى ذلك، فذكروا ماتقدم ذكره آنفًا، وذكروا كَيْفَ كانَ بناؤها قبل ذلك، فقالوا: كانتِ الكعبة مبنيَّة برضم يابس ليس بمدر، وكان بابها بالأرض ولم يكن لها سقف، والكسوة إنما تدلى على الجدار من خارج تربط من أعلى الجدار من باطنها بصخور عظام، وكان عن يمين الداخل لها جُبٌّ يوضع فيه ما يهدى إليها من مال وغيره، ولما سرقت جرهم منه، بعث الله تعالى حية تحرسه، فلم تزلْ حارسة لما فيه خمسمائة سنة، حتى أخذها العقاب حين أرادت قريشٌ تجديدها فمنعهم، كما تقدَّم ذكر ذلك.

وذكروا بناء عبد الله بن الزبير، فقالوا: لما أبطأ عبد الله بن الزبير عن بيعة يزيد، وتخلف وخشى منه، لحق بالحرم ليمتنع به وجميع مواليه، وجعل يظهر عيب يزيد وعدم صلاحيته للخلافة؛ لما هو عليه من الفسوق ويثبط الناس عنه، فبلغ يزيد ذلك، فآلى ألا يؤتى به إلا مغلولاً، وأرسل إليه رجلاً من أهل الشام فى خيل يعظِّم عليه الفتنة، فقال له: لا يُستحل الحرم بسببك؛ فإنه غير تاركك ولا تقوى عليه، وقد أقسم ألا يؤتى بك إلا مغلولاً، وقد صنع لك غُلًّا من فضة وتلبس فوقه الثياب وتبر قسم أمير المؤمنين، فالصلح خير عاقبته، وأجمل بك وبه، فاستمهله أيامًا، وشاور أمه أسماء، فأبت أن يذهبَ مغلولاً، وقالت: يابنى، عش كريمًا، أو مت كريمًا، ولا تمكن صبيان بنى أمية فتلعب بك، فالموت أجملُ بك من هذا. فامتنع فى مواليه ومن يألف مِنْ أهل بيته وأهل مكة وغيرهم، فكان يقال لهم: الزبيرية.

فبينما يزيد على تعبئة الجيوش إليه؛ إذ أتى يزيدَ الخبر بما فعل أهل المدينة بعماله وبمن بالمدينة من بنى أمية، وإخراجهم إياهم منها، ماعدا من كان من ولد عثمان بن عفان، فجهز إليهم مسلم بن عقبة المرى، وكان مريضًا فى بطنه الماء الأصفر، فأباح المدينة وفعل ما سيذكر عنه فى وقعة الحرة، ثم سار إلى مكة يريد ابن الزبير فمات بالمشلل، وولى الحصين بن نمير بوصية إليه من يزيد، فوصل إلى مكة وقاتل بها ابن الزبير أيامًا، ونصب المنجنيق على جبل أبى قبيس ومقابله، وجمع ابنُ الزبير من معه وتحصَّن بهم فى المسجد، وضربت خيام يستظلون بها من الشمس، فكان يرميهم بالنفط والمنجنيق؛ فتصيبُ الحجارة الكعبة حتى تخرقَتْ كسوتها عليها، وصارت

كأنها جيوب النساء، وأوهَنَ رمى المنجنيق الكعبةَ، واحترقَتْ من رمى النفط وهى مبنية بناء قريش السابق مدماك حجر وآخر من خشب الساج، وقيل: كان احتراقها من نار أو قدها رجل من جماعة ابن الزبير فى بعض تلك الخيام مما يلى الصفا بين الركن اليمانى والحَجَر الأسود، والمسجد يومئذ ضَيِّقٌ، خصوصًا من تلك الجهة، فطارت شرارة إلى خيمة منها، فاحترقَتْ كسوة الكعبة ثم منها إلى الخشب الذى بين البناء، وكان احتراقها يوم السبت ثالث ربيع الأول من سنة ٦٤، وتصدع الحجر الأسود، فضعفت جدران الكعبة حتى إنها يقع عليها الحمام فتتناثر حجارتها، ففزع لذلك أهل مكة والشام جميعًا، فورد الخبر بنَعْيِ يزيد هلال ربيع الآخر، وأنه توفى لأربع خلت من ربيع الآخر منها، فأرسل ابن الزبير إلى الحصين بن نمير رجالاً من قريش، فكلَّموه وأعظموا عليه ما أصاب الكعبة منهم، وقالوا له: قد توفى أمير المؤمنين، فعلى ماذا تقاتل ؟ ارجع إلى الشام حتى تنظر ماذا يجتمع عليه أمر صاحبك ، يعنون: معاوية بن يزيد. فلم يزالوا به حتى رجع إلى الشام، وكان رجوعه لخمس من ربيع الآخر من السنة المذكورة.

ثم شاور ابن الزبير الناس فى هدم الكعبة، فأشار عليه ناس غير كثير بهدمها، وقال له ابن عباس: دعها على ما أقرَّهَا عليه رسول الله ﷺ؛ فإنى أخشى أن يأتى بعدك من يهدمها؛ فلا تزال كذلك فيتهاون بحرمتها، ولكن ارممها، فقال ابن الزبير: مايرضى أحدكم أن يرقع بيت أبيه وأمه، كيف أرقع بيت الله وأنا أنظر إليه على ماترون من الوهن ؟! وكان ممن أشار عليه بالهدم: جابر بن عبد الله الأنصارى، وعبيد بن عمير، وعبد الله بن صفوان بن أمية، وكان يحب أن يكون هو الذى يردُّها؛ كما قال عليه الصلاة والسلام على قواعد إبراهيم.

فلما أراد الهدم، خرج أهل مكة إلى مِنى خوفًا من نزول عذاب، فأمر بالهدم، فما اجترأ على ذلك أحد، فلما رأى خوفهم علاها وأخذ المعول، وجعل يهدمها ويرمى أحجارها، فلما رأو أن لا بأس عليه اجترءُوا فهدموا معه، وأصعد ابن الزبير فوقها عبيدًا من الحبش يهدمون؛ رجاء أن يكون فيهم الجيش الذى قال فيه عليه الصلاة والسلام: « إنه يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة » [1] فهدمها والناس

(١) أخرجه البخاري (٣/٥٣٨) كتاب الحج، باب هدم الكعبة، حديث (١٥٩٦) ومسلم =

معه حتى ألصقها بالأرض من جوانبها الأربعة.

وكان ابتداء الهدم النصف من جمادى الآخرة من السنة المذكورة، أعنى: سنة أربع وستين من الهجرة، ولم يقرب ابن عباس من حين هدمت حتى فرغ منها، وأرسل لابن الزبير يقول: لا تدع الناس تغير القبلة، انصب لهم حول الكعبة الخشب، واجعل عليه الستر يطوف الناس من ورائه ويصلون إليه، ففعل. وقال ابن الزبير: سمعت عائشة - رضى الله عنها - تقول: قال رسول الله ﷺ لى: « إن قومك استقصروا فى بناء البيت، لما عجزتْ عنهم النفقَةُ، فتركوا منها أذرعًا، ولولا حداثة قومك بجاهلية، لهدمْتُ الكعبة وأخذت ماتركوا منها وجعلت لها بابين موضوعين بالأرض شرقيًا يُدْخَل منه، وغربيًا يخرج منه [1]، وهل تدرين لم كان قومك رفعوا الباب ؟ قلت: لا، قال: تعززًا؛ لئلا يدخلها إلا من أرادوا؛ فكان الرجل إذا كرهوا أن يدخلها يدعونه يرتقى حتى إذا كاد أن يدخلها دفعوه فسقَطَ، فإن بدا لقومك، فهلمَّ أريك ماتركوا فى الحجر منها » فأراها قريبًا من سبعة أذرع.

ثم نزل بالحفر إلى أن انتهى إلى أساس إبراهيم؛ فوجده داخلاً فى الحجر نحوًا من ستة أذرع وشبر، فإذا أحجاره داخل بعضها فى بعض، فأدخل عبد الله بن مطيع العتلة فى ركن، فتحركت الأركان كلها، ورجفت مكة، وخاف الناس، وندم من أشار بالهدم، فقال ابن الزبير: اشهدوا، وأراد أن يبنيها بالورس، فقيل له: إن الورس يذهب، لكن ابنها بالقصة، فوصفت له قصة صنعاء، فبعث بأربعمائة دينار فأخذت له، وسأل عن محل أخذ قريش الحجارة، فأخبر، فنقل له قدر مايحتاج، ثم وضع البناء على ذلك الأساس، ووضع حذاء باب الكعبة على مدماك على الشاذروان، وجعل الباب الآخر بإزائه فى ظهرها. وكان قد جعل الحجر فى ديباجة وأدخله فى تابوت، وقفل عليه ووضعه عنده فى دار الندوة، وجعل ما كان من حلية فى خزانة الكعبة فى دار شيبة بن عثمان، فلما بلغ البنيان موضع الحجر، نقر فى حجرين من المدماك الأعلى وطوَّقَ بينهما، وأمر ابنه عبادًا وجبير بن شيبة بن عثمان أن يجعلوا الركن في ثوب، وقال: إذا دخلتُ الصلاة، فاحملوه وضعوه فى محله،

= (٤/ ٢٢٣٢) كتاب الفتن وأشراط الساعة، حديث (٢٩٠٩/٥٨) من حديث أبي هريرة.

(١) أخرجه البخاري رقم (١٥٨٤)، ومسلم رقم (١٣٣٣)، والبغوي في شرح السنة (٤/ ٦٦- بتحقيقنا) .

وأنا أطيل الصلاة، فإذا فرغتم فكبروا حتى أخفف، وكان ذلك فى صلاة الظهر فى حر الشمس، فلما أقيمتِ الصلاة، خَرَجَا به من دار الندوة وشَقَّا الصفوف حتى دخلا به الستر الذى دون البناء، فوضعه عباد بن عبد الله بن الزبير، وأعانه جبير بن شيبة، فلما أقرَّاه موضعه وطوَّقا عليه كَبَّرَا، فخفف الصلاة، وتسامع الناس، فغضبت رجال من قريش فقالوا: قد وقع هذا فى الجاهلية حين فتنت قريش، فحكموا فيه أول من يدخل، فلما بلغ البناء ثمانية عشر، قصر طولها لموجب ما أدخله مما كان فى الحجر، فاستُسْمِجَ ذلك؛ لأنها صارت عريضة لا طول لها، فقال: كان طولها قبل قريش تسعة، فزادت قريش تسعة، فبناها سبعة وعشرين بزيادة تسعةٍ أخرَى، وجعل فيها ثلاث دعائم، وأتى برخام من صنعاء يقال: إنه من الحصن الأبلق، فجعله من الروازن التى فى سقفها للضوء، وجعل لكل باب مصراعين، وكان فى بناء قريش مصراعًا واحدًا، وجعل الميزاب فى الحجر، فلما فرغ منها، خلَّقها أعلاها وأسفلها ظاهرًا وباطنًا، وكساها القباطى، وقال: من كانت لنا عليه طاعة، فليخرج وليأتِ بعمرة من التنعيم، ولينحَرْ ما قدر عليه، ومن لم يقدرْ فليتصدَّقْ بقدرته. ونحر هو مائة بَدَنَةٍ، وخرج ماشيًا والناس مشاة، ولم ير أكثر نحرًا وصدقة من ذلك اليوم، فهذه هى العمرة التى يفعلها الناس يوم السابع والعشرين من رجب المسماة: «عمرة الأكَمَةِ».

وأما بناء الحَجَّاج إياها: فكان فى سنة ثلاث وسبعين؛ وذلك أنه لم يزل البيت على حاله إلى أن قتل الحجاج ابن الزبير فى السنة المزبورة، فبعد قتله استأذن عبد الملك بن مروان فيما أحدثه ابن الزبير فى الكعبة، فكتب إليه عبد الملك أن يهدم الجانب الذى يلى الحِجْرَ - بكسر الحاء - خاصَّة، وأن يكبس به البيت، ويرفع الباب الشرقى إلى حده الأول، ويغلق الباب الغربى، ففعل ذلك. ثم بلغ عبدَ الملك أن ما فعله ابن الزبير على حديث عائشة صحيح حدَّثَ به الحارث بن عبد الله بن ربيعة المخزومى، وأنه سمعه من رسول الله ﷺ، فقال عبد الملك: وددت والله أنى كنت تركتُ ابن الزبير وماعمل، ولو بلغنا هذا ما أمرنا بخلافه.[1] انتهى

قلت: قد ظهر مما ذكر أن الحجاج لم يعمرِ الكعبة جميعها، وإنما هدم الجانب الشمالى، وأخرج ما أخرجته قريش، وكبس بنقضه جوف الكعبة، ورفع الباب

(١) ينظر: «سبل الهدى والرشاد» (١/ ١٦٤-١٦٨) فقد ذكر هذا بنحوه.

الشرقى وسَدَّ الغربى، فعدُّه فى بُناة الكعبة تسامُحٌ.

ثم لم يزلِ البيت الشريف قائمًا منذ بناه الحجاج فى رجب سنة ثلاث وسبعين إلى يوم الخميس عشرى شعبان من سنة ١٠٤٩، فكان سقوطه فيه، فعمره السلطان المرحوم مراد بن أحمد خان، وتمت العمارة فى سنة الأربعين بعد الألف، وقدر تلك المدة ألف سنة إلا أربعًا وعشرين سنة، ونرجو ألاَّ ينقضها إلا أشراط الساعة الموعود بها فى الحديث الشريف.

وكان قصى أول من ملك من بنى كعب بن لؤى، أصاب ملكًا فأطاعه قومه. وله كلمات تؤثر عنه، منها: « من أكرم لئيمًا أشركه فى لؤمه، ومن استحسن قبيحًا نزل إلى قبحه، ومن لم تصلحه الكرامة أصلحه الهوان، ومن طلب فوق قدره استحق الحرمان [(١)] ».

وكان قد اجتمع لقصى مالم يجتمعْ لغيره من المناصب؛ فكان بيده: الحجابة، والسقاية، والرفادة، واللواء، والقيادة.

فالحجابة: هى سدانة البيت الشريف، أى: تولية مفتاحه، والقيام بخدمته.

وأما السقاية: فإسقاء الحجيج كلهم الماء العذب، وكان عزيزًا بمكة يجلب إليها من خارجها؛ فيسقيه الحجاج، وينبذ لهم فيه التمر والزبيب.

وأما الرفادة: وذلك إطعام الطعام لسائر الحجاج تمد لهم الأسمطة فى أيام الحج.

وكانت السقاية والرفادة مستمرين إلى أيام الخلفاء ومن بعدهم من الملوك والسلاطين.

قال التقى الفاسى، رحمه الله: إن الرفادة كانت فى زمن الجاهلية وصدر الإسلام واستمرت إلى أيامنا.

قال: والطعام يصنع بأمر السلطان كل عام للناس بمنًى حتى ينقضى الحج.

قال العلامة قطب الدين: وأما فى زماننا فلا يفعل شىء من ذلك.

---

(١) ينظر سبل الهدى والرشاد (١/ ٢٧٦)، وفيه: « ويروى أن قصيًا قال للأكابر من ولده: من عظم لئيما شركه في لؤمه، ومن استحسن مستقبحا شركه فيه. ومن لم تصلحه كرامتكم فداووه بهوانه، فذاك دواء يحسم الداء. والعي عيان: عي إفحام وعي المنطق بغير سداد. والحسود: العدو الخفي. ومن سأل فوق قدره استحق الحرمان ».

قال فى الأرج المسكى فى التاريخ المكى: وكانت الخلفاء قائمين بالرفادة إلى أن كان زمن معاوية؛ فجعل لها محلاً معينًا بمكة يطبخ فيه الطعام للقادمين علينا جميع السنة.

وأما السقاية: فكانت إلى العهد القريب؛ لكن لا ينبذ فيها إلا نادرًا، ثم انقطعت من قرب لعدم الحاجة إليها؛ لكثرة وجود الماء بمكة، ولله الحمد والمنة.

ولم تزل هذه المناصب فى أيدى أولاد قصىّ إلى أن جاء الله بالإسلام، ودخل رسول الله ﷺ مكة عام الفتح عام ثمان من الهجرة، وقد صارت الحجابة إلى عثمان بن أبى طلحة من بنى عبد الدار، وصارت السقاية إلى العباس بن عبد المطلب، فقبض النبى ﷺ على السقاية والحجابة، فقام العباس فبسط يده، وقال: يارسول الله، بأبى أنت وأمى، اجمع لى الحجابة إلى السقاية، فقال ﷺ: أعطيكم ما ترزءون فيه ولا ترزءون به، فقام بين عضادتى باب الكعبة فقال: ألا إن كل دمٍ أو مال أو مأثرة كانت فى الجاهلية فهى تحت قدمىّ هاتَيْنِ، إلا سقاية الحاج وسدانة الكعبة؛ فإنى قد أمضيتهما لأهلهما على ما كانتا عليه فى الجاهلية.

ثم جلس رسول الله ﷺ فى المسجد، فقام إليه على بن أبى طالب - رضى الله عنه - ومفتاح الكعبة فى يده، فقال: يارسول الله، اجمع لنا الحجابة والسقاية، صلى الله عليك، فقال رسول الله ﷺ: أين عثمان بن طلحة ؟ فدُعى له، فقال: هاكَ مفتاحَكَ يا عثمان؛ إن اليوم يوم بر ووفاء، وقد أنزلت تلك الآية المشهورة فى سورة النساء، وهى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ [النساء: ٥٨] فقال: خذوها خالدة تالدة، لا ينزعها منكم ما استقمتم إلا ضال أو ظالم (١).

قال فى الأرج المسكى: كان لمكة ولاة من أهل الجاهلية، وعدة ملوك تفرَّقوا فى ممالك متصلة ومنفصلة، فمنهم المسمون بأبى جاد، وهوز، وحطى، وكلمن، وهو الأعظم، وسعفص وقريشات، وهم بنو المحض بن جندل. فأَبْجَدُ: كان ملك مكة

(١) ذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٢/ ٣١٢) وعزاه إلى ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وله طريق آخر مختصر عن ابن عباس أخرجه الطبراني في « الكبير » « ١١/ ١٢٠) رقم (١١٢٣٤)، وقال الهيثمي في « المجمع » (٣/ ٢٨٨): رواه الطبراني في « الكبير » و « الأوسط » وفيه عبد الله بن المؤمل؛ وثقه ابن حبان وقال: يخطئ، ووثقه ابن معين في رواية، وضعفه جماعة.

وما يليها من الحجاز، وهوز وحطى ملكَيْنِ ببلاد وَجٍّ، وهى أرض الطائف وما اتصل به من أرض نجد، وكَلَمُنْ وسعفَص وقريشات كانوا ملوكًا بمدْيَن، وقيل ببلاد مضْرَ، وكان كلمن وحده على بلاد مَدينَ.

وروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص، وعروة بن الزبير؛ أنهما قالا: أول من وضع الكتاب العربى قوم من الأوائل نزلوا فى عدنان بن أد بن أدد، أسماؤهم: أبجد، وهوز، وحطى، وكلمن، وسعفص، وقرشت، فوضعوا الكتاب العربى على أسمائهم، ووجدوا أحرفًا ليست من أسمائهم، وهى الثاء والخاء والذال والضاد والظاء والغين، فسموها الروادف، يريد: ثخذ ضظغ.

وروى أن هذه الكلمات من أسماء الشياطين.

وروى: أنها أسماء لملوك مدين فقطْ، وأن رئيسهم كَلَمُنْ، وأنهم هلكوا يوم الظلة المذكور فى الكتاب العزيز، وهم قوم شعيب على نبينا وعليه وعلى سائر الأنبياء الصلاة والسلام فقالت أخت كلمن ترثيه: [من مجزوء الرمل]

كَـلَـمُـنْ هَـدَّمَ رُكْـنِـى ... هُـلْـكُـهُ وَسْـطَ الـمَـحَـلَّـهْ

سَـيِّـدُ الْـقَـوْمِ أَتَـاهُ الْـ ... ـحَـتْـفُ نَـارًا وَسْـطَ ظُـلَّـهْ

وقال رجل من أهل مدين يرثيهم كذلك: [من الطويل]

أَلاَ يَا شُعَيْبُ قَدْ نَطَقْتَ مَقَالَةً ... سَبَقْتَ بِهَا عَمْرًا وَحَىَّ بَنِى عَمْرِو

مُلُوك بَنِى حُطِّى وَهَوَّز مِنْهُمُ ... وَسَعْفَص أَهْلٌ فِى المَكَارِمِ ذِى الغَمْرِ

هُمُ صَبَّحُوا أَهْلَ الْحِجَازِ بِغَارَةٍ ... كَمِثْلِ شُعَاعِ الشَّمْسِ أَوْ مَطْلَعِ الْفَجْرِ

وذكر ابن الجوزى فى المضحكات: أن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - لقى أعرابيًا فقال له: هل تحسن أن تقرأ القرآن ؟ قال: نعم، قال له: فاقرأ أم القرآن، فقال الأعرابى: والله، ما أحسن البناتِ، فكيف الأم ؟! قال: فضربه، ثم سلَّمه إلى معلم، فمكث فيه حينًا، ثم هرب وأنشأ يقول:

[من الوفر]

أَتَيْتُ مُهَاجِرِينَ فَعَلَّمُونِى ... ثَـلاَثَـةَ أَسْـطُـرٍ مُـتَـتَـابِـعَـاتِ

كِتَابَ اللهِ فِى رِقٍّ صَحِيح ... وَآيَـاتِ الـقُـرَانِ مُـفَـصَّـلاَتِ

وَخَطُّوا لِى أَبَا جَادٍ بَيَانًا ... وَقَالُوا سَعْفَص وَقُرَيْشَاتِ

وَمَا أَنَا وَالْكِتَابَةَ وَالتَّهَجِّى   وَمَا حَظُّ البَنِينَ مِنَ الْبَنَاتِ

ثم ولى أمر البيت بعدهم الخليل - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - فأقام دعائمه، فكان يبنى وإسماعيل يناوله الحجارة، ثم وليه ابن ابنه نابث بن إسماعيل، ثم العماليق هم أولاد عمليق أو عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح، فضيعوا حرمة البيت، واستحلوا منه أمورًا عظائم، فأخرجهم الله من الحرم: سلط الله عليهم النمل، فخرجوا إلى عدن، وإلى المدينة الشريفة.

ثم وليها بعدهم أبناء جرهم بن قحطان بن عابر - وهو هود النبى؛ كما تقدَّم ذكر ذلك - ابن شالغ بن أرفخشد بن سام بن نوح، عليه السلام.

وقيل: إن جرهمًا ليس هو ابن قحطان؛ بل إنما هو ملك من الملائكة أذنب ذنبًا، فأهبط إلى أرض مكة، فتزوَّج امرأة من العماليق، فولدت له جرهمًا، فلذلك يقول الحارث بن مضاض الجرهمى: [من الرجز]

لاَ هُمَّ إِنَّ جُرْهُمًا عِبَادُكَ   أَلنَّاسُ طِرْفٌ وَهُمُ تِلَادُكْ
وَهُــمْ قَــدِيــمًــا عَــمَّــرُوا بِــلَادَكْ

قلت: كأن الإشارة بقوله: « تِلادكَ » إلى أن هذا القول دليل لكون أبى جرهم من الملائكة، يستنتجُ ذلك من كون معنى الطريف: المال المستجد، والتلاد: المال القديم المستأصل. ولاشك أن جنسَ الملك أقدمُ وجودًا من جنس بنى آدم، ولكنه كما ترى دليلٌ لا يلمس إلا بالأكف الرخصة الناعمة.

وأول من ملك من جرهم: مُضَاضُ بن عمرو بن سعد بن الرقيب بن هنى بن نبت بن جرهم بن قحطان.

قال الأزرقى[١]: حدثنى جدى قال: حدثنى سعيد بن سالم بن عثمان بن ساج قال: أخبرنى ابن إسحاق، فذكر شيئًا من خبر إسماعيل بن إبراهيم - عليهما وعلى نبينا وعلى سائر الأنبياء أفضل الصلاة والسلام - وشيئًا من خبر بنى إسماعيل، ثم قال: ثم توفى نابت[٢] بن إسماعيل، فولى بعده مضاض بن عمرو الجرهمى وهو جد نابت بن إسماعيل أبو أمه، وضم بنى نابت وبنى إسماعيل إليه، وصاروا إلى

(١) انظر الخبر في شفاء الغرام (١/ ٣٥٩).
(٢) في الشفاء (١/ ٣٥٩) ثابت.

جدهم أبى أمهم مضاض بن عمرو المذكور، ومع أخوالهم من جرهم، وجرهم وقطورا يومئذ أهل مكة، وعلى جرهم مضاض بن عمرو ملكًا عليهم، وعلى قطورا رجل منهم يقال له: السميدع ملكًا عليهم، وكانا حين ظعنا من اليمن أقبلا سيارة، فلما نزلا مكة، رأيا بلدًا طيبًا وآجامًا وشجرًا، فأعجبهما، ونزلا به: فنزل مضاض بن عمرو بمن معه من جرهم أعلى مكة وقُعيقعان، فجاز ذلك، ونزل السميدع يعشِّر من دخل من أسفلها ومن كدى، وكل فى قومه على حاله، لا يدخل واحد منهما على صاحبه فى ملكه.

ثم إن جرهما وقطورا بغى بعضهم على بعض، وتنافسوا الملك بها، فاقتتلوا، وشبت الحرب بينهم على الملك وولاية الأمر مع مضاض وبنى نابت بن إسماعيل وبنى إسماعيل وإليه ولاية البيت دون السميدع؛ فلم يزل البغى حتى سار بعضهم إلى بعض؛ فخرج مضاض بن عمرو من قعيقعان فى كتيبة سائرًا إلى السميدع، ومع كتيبته عدة من الرماح والدرق والسيوف والجعاب، فيقعقع ذلك معه، فسمى ذلك الجبل بقعيقعان لذلك. وخرج السميدع بقطورا من أجياد معه الخيل والرماح؛ فيقال: ما سمى ذلك الموضع أجيادًا إلا بخروج الخيل الجياد مع السميدع منه، حتى التقوا بفاضح، فاقتتلوا قتالاً شديدًا، فقتل السميدع وفضحت قطورًا، فيقال: ما سمى فاضح فاضحًا إلا بذلك.

ثم إن القوم تداعوا إلى الصلح، فساروا حتى نزلوا المطابخ، شِعبًا بأعلى مكة، يقال له: شِعْبُ عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، فأصطلحوا بذلك الشعب، وأسلموا الأمر إلى مضاض بن عمرو، فلما جمع أمر مكة وصار ملكها له دون السميدع، نحر للناس وطبخ فأطعمهم، فيقال: ماسمى المطابخ مطابخ إلا بذلك.

قال: وكان الذى بين مضاض بن عمرو والسميدع أول بغى كان بمكة فيما يزعمون، فقال مضاض بن عمرو الجرهمى فى تلك الحرب يذكر السميدع وفعله وبغيه والتماسه ما ليس له: [من الطويل]

وَنَحْنُ قَتَلْنَا سَيِّدَ الْحَيِّ عَنْوَةً ... فَأَصْبَحَ فِيهَا وَهْوَ حَيْرَانُ مُوجَعُ
وَمَا كَانَ يَبْغِى أَنْ يَكونَ سَوَاؤُنَا ... بِهَا مَلِكًا حَتَّى أَتَانَا السَّمَيْدَعُ
فَذَاقَ وَبَالاً حِينَ حَاوَلَ مُلْكَنَا ... وَعَالَجَ مِنَّا غُصَّةً تَتَجَرَّعُ

فَنَحْنُ عَمَرْنَا الْبَيْتَ كُنَّا وُلاَتَهُ   نُدَافِعُ عَنْهُ مَنْ أَتَانَا وَنَدْفَعُ
وَما كان يَبْغِى أَنْ يَلِى ذَاكَ غَيْرُنَا   وَلَمْ يَكُ حَىٌّ قَبْلَنَا ثُمَّ يَمْنَعُ
وَكُنَّا مُلُوكًا فِى الدُّهُورِ الَّتِى مَضَتْ   وَرِثْنَا مُلُوكًا لاَ تُرَامُ فَتُوضَعُ

قال ابن إسحاق: وقد زعم بعض أهل العلم أنه إنما سميت المطابخ، لما كان تُبَّع نحر بها وأطعم، وكانت منهلًا له.

وذكر المسعودى، رحمه الله: وقدم السميدع على وجه يخالف ما ذكره الأزرقى، وأفاد فى ذلك مابعده، فاقتضى ذلك ذكر ما فيه مما يلائم خبر المشار إليهم مما لابد من ذكره؛ لارتباط الكلام به:

قال المسعودى: ولما أسكن الله إبراهيم وولده مكة مع أمه هاجر ثم قال: وكان من خبر إسماعيل وخبر هاجر ما كان، إلى أن أنبع الله زمزم أقحط الشحرُ واليمن، فتفرقت العماليق وجرهم، ومَنْ هنالك من عاد، فيممت العماليق نحو تهامة يطلبون المرعى المخصبة، وعليهم السميدع بن هوثر بن قيطور بن كركر بن عملاق، فلما أمعنت بنو كركر فى السير وقد عدمت الماء والمرعى واشتدَّ بهم الجهد، أقبل السميدع بن هوثر يرتجز بشعر لهم يحثهم على المسير ويشجعهم فيما نزل بهم: [من الرجز]

سِيرُوا بَنِى كَرْكَر فِى الْبِلاَدِ   إِنِّى أَرَى ذَا الدَّهْرَ فِى فَسَادِ
قَدْ سَادَ مِنْ قَحْطَانَ ذُو الرَّشَادِ

فأشرف روادهم على وادى مكة، فنظروا إلى الطير ترفع وتخفض، فاستبطنوا الوادى، فنظروا إلى العريش على الربوة الحمراء - يعنى: عريش هاجر الذى صنعته فى موضع البيت الشريف؛ لأنه ذكر أنه كان ربوة حمراء - وفى العريش هاجر وإسماعيل.

ثم قال: فسلم الرواد عليها، واستأذنوها فى نزولهم، وشربهم من الماء، فأنست إليهم، وأذنت لهم فى النزول، فتلقوا من عداهم من أهلهم وأخبروهم خبر الماء، فنزلوا الوادى مطمئنين مستبشرين بالماء، ولِمَا أضاء لهم الوادى من نور النبوة وموضع البيت الحرام.

ثم قال: تسامعت جرهم ببنى كركر، ونزولهم الوادى، وما فيه من الخصب ودرور الضروع، وهم فى حال قَحْطٍ، فساروا نحو مكة وعليهم الحارث بن مُضَاضِ بن عمرو بن سعد بن رقيب بن ظالم بن نبت بن جرهم، حتى أتوا الوادى ونزلوا

على مكة واستوطنوا الدار مع إسماعيل ومن تقدَّمهم من العماليق من بنى كركر، وقد قيل فى بنى كركر : إنهم من جرهم؛ فإنَّ السهيلى ذكر ما يقتضي أن قطورا الذين منهم السميدع هذا من جرهم، والأشهر أنهم من العماليق، والله أعلم.

وذكر الشيخ فتح الله بن موسى بن حماد الأندلسى - فى كتاب له نظم فيه السيرة لابن إسحاق - خبرًا طويلاً فيه ما يخالف ما ذكره المسعوديُّ والسهيلىُ فى نسب جدهم جرهم، وفيه ما يخالف ما ذكره ابن إسحاق فى سبب تسمية قعيقعان وأجياد وفاضح والمطابخ، فاقتضى ذكره لإفادة ذلك وغيره من الفوائد، وهو: أن إلياس بن مضر قال: سألت عمى إياد بن نزار عن أصل ماله - وكان متمولاً - فذكر أنه مرت عليه سنون، ولم تبق له سوى عشرة أبعر يعود بكراها على أهله، وذكر أنه كان أكبر إخوته الثلاثة: مضر، وربيعة، وأنمار، ثم قال: فخرج إياد إلى الشام بجماله، فلم يجد من يكترى منه، فسمع صوتًا كالرعد ينادى: من يحملنى إلى الحرم، وله وقر جمله درًا وياقوتًا وعقيانًا ؟ ولا يجيبه أحد. فتتبع الصوت إلى أن وجد رجلاً أعمى كالنخلة السحوق، ولحيته تناطح ركبتيه، فهمه ذلك، فقال: يا شيخ، عندى حاجتك، فدنا منه فقال: أنت إياد بن نزار ؟ فقال: نعم، قال: فمن عرفك باسمى ؟ قال: علم عندى من جدى أن إياد بن نزار يردُّ الحارث بن مضاض إلى مكة من طول غربته، فقال: كم جملاً عندك ؟ قال: عشرة، قال: تكفينى ؟ قلت: هل معك غيرك ؟ قال: لا، ولكنى إنما أركب الجمل يومًا ويختلُّ، فقلت: قد لفظت له بحمله؛ فلا أعود، وبيننا وبين مكة عشر مراحل، فحملته، وكلما خر جمل قطرته إلى آخر وأبدلت غيره، إلى أن عارضنا مكة، فقال: يا بنى، إنى أحس الجمل يجمزنى جمزًا، وأظنه واقعًا حول جبل المطابخ، قلت: نعم، قال: اسمع آخر كلامى، قلت له: نعم، قال: أنا الحارث بن مضاض بن عبد المسيح بن نضلة بن عبد المدان بن حشرم بن عبد ياليل بن جرهم بن قحطان بن هود - عليه السلام - كنت ملك مكة وما والاها إلى هجر ومَدْيَنَ وثمود، وكان أخى عمرو بن مضاض ملكًا قبلى، وكنا نعلق التيجان على رءوسنا يومًا، ويومًا نعلقها بباب الحرم، فحضر يهودى بدرٍّ وياقوت، فاشترى منه أخى ما شاء الله، وأنصفه فى الثمن وأوفاه، فباع أفخره على السوقة، فسمع أخى فانتزع جميع ما كان معه، فاغتال اليهوديُّ حارس

التاج بباب الحرم فقتله وحمل التاج، فلم يعرف الخبر إلا من رآه ببيت المقدس، فأرسل أخى إلى ملكهم قاران[١] من سبط بنيامين بن يعقوب بن إبراهيم أن يرده، ويأخذ حق اليهودى، فلم يفعل، فخرج إليهم أخى فى مائتى ألف وخمسين ألفًا من أجناده ومن العمالقة وقضاعة، واستنصر قاران ياسيف[٢] هرقل فخرج إلينا فى مائتى ألف وجماعة من أهل الشام، فساروا إلينا ونزلوا شرقى هذا الجبل، ونزلنا غربيه، وأوقد كلنا النيران وطبخوا وطبخنا فسمى هذا جبل: المطابخ، ثم نزلنا قعيقعان فتقعقعنا نحن وهم بالحجنِ والسلاح، فسمِّىَ الجبل: قعيقعان، ثم لما اصطففنا، خرج أخى، وقال: أنا الملك عمرو بن مضاض، فابرز إلى ياسيف، فمن ظفره الله كان الملك له، فقتله أخى على ربوة فاضح، فنزل إليه فجره برجله، وفضحه بذلك، فسميت تلك الربوة ربوة فاضح، وامتنع قاران من الوفاء بما التزمه سيف فقاتلناهم، فقتل أخى قاران فانهزموا، وتبعناهم إلى بيت المقدس فأذعنوا للطاعة، فتزوج أخى منهم برة بنت شمعون، ولم يكن فى زمانها أجمل منها، فشفعتْ عنده أن يرحل عن قومها، فرحل، فلما بلغ مكة وكان عندها مائة رجل من أعيان بنى إسرائيل رهائن على الطاعة، فلما كانوا بأجياد، سمت زوجته، حسكة من حديد وألقتها فى فراشه، فلما نام عليه شيك بتلك الحديدة فمات، وهربَتِ الزوجةُ فى الرهائنِ المائةِ على نجب أعدوها، فلحقناهم وأحضرناهم، فأمرت بقتلهم، فقال أولهم للسياف: لا تخفض ولا ترفع وانزل بسيفِكَ على الأجياد، فسمى موضع قتلهم: بأجياد، وملكت وتزوجت بعده، وقصدتنى بنو إسرائيل بجنود عظيمة ومعهم تابوت آدم - عليه السلام - الذى فيه السكينة والزبور، فهزمتهم وأخذت جرهم التابوت، فدفنته فى مزبلة، فنهيتهم، فعصونى، فأخرجته ليلاً ووضعتُ مكانه تابوتًا يشبهه، ونهاهم عنه الهميسع بن نبت بن قيدار بن إسماعيل، فأبوا، فأعطيته التابوت، فسلط الله عليهم -هم والعمالقة- عللاً كثيرة، فماتوا إلا من كره فعلهم، فملكت ابنى عمرًا وخرجت أجول فى الأرض، فضربت الأمثال بغربتى، ثم سار به إياد إلى شعب الأثل عند غيضة زيتون، فقال: يا بنى، قد خلونا وثالثنا الشاهد العالم الواحد، وإذا

(١) في الشفاء (١/ ٣٦٦) فأران.
(٢) في الشفاء (١/ ٣٦٦) سنيف.

أسديت إلى المرء نعمة، وجب عليه شكرها، وقد أسديتَ إلىَّ نعمةً وجب على شكرها، فعلىَّ لك النصيحة أو أقع فى الفضيحة، أنبئك بما ينجيك، والذى به أهديك أحب إلى مما يغنيك. يا بنى، هل ولد فى آل مضر مولود اسمه محمد ؟ قلت: لا، قال: إنه سيولد، ويأتى حينه، ويعلو دينه، ويقبل أوانه، ويشرف زمانه، فإن أدركته، فصدق وحقق، وَقبِّلِ الشامةَ التى بين كتفيه ﷺ، وقل له: يا خير مولود، دعوت إلى خير معبود، فأجب ولا تجب. ثم أتى إلى صخرة مطبقة على صخرة، فقلعها ودخل منها سربًا، إلى أن دخل بيتًا فيه أربعة أَسِرَّة: سرير خال، وثلاثة عليها ثلاثة رجال، وفى البيت كرسىّ درّ وياقوت وعقيان ولجين، فقال لى: خذ وِقْرَ جملك لا غير، وقال لى: هذا الذى على يسار سريرى الخالى مضاض أبى، والذى على يساره ابنه عبد المسيح، والذى على يساره ابنته نفيلة، وعلى رأس نفيلة لوح من رخام فيه مكتوب: أنا نفيلة بنت عبد المدان، عشت خمسمائة سنة فى ظل الملك؛ فلم ينجنى من الموت. وعلى رأس عبد المسيح: أنا عبد المسيح بن مضاض عشت مائة سنة، وركبت مائة فرس، وافتضضت مائة بكر، وقتلت مائة مبارز، وهزمت الروم بالروزب - لعله اسم مكان - ولم يكن لى بُدٌّ من الموت. ثم استوَى على سريره الخالى، وإذا على رأسه لوح مكتوب فيه: أنا الحارث بن مضاض، عشت أربعمائة سنة، ملكت مائة سنة، وطفت فى الأرض ثلاثمائة سنة، متغربًا بعد هلاك قومى جرهم، ثم قال: يا بنى، ناولنى القارورة التى فى تلك الكوة، فناولته إياها فشرب نصفها وادَّهَنَ بنصفها، وقال: إذا أتيت إخوتك وقومك وقالوا لك: من أين هذا المال ؟ قل لهم: إن الشيخ الذى حملته هو الحارث بن مضاض الجرهمى، فهم يكذبونك، فقل لهم: إن آيتى الحجر المدفون بجوار زمزم، وفيه مقام إبراهيم الخليل، وفى الحجر الذى يليه شعر الحارث، وهو قوله:

« كأن لم يَكُنْ . . » الأبيات الآتى ذكرها.

ثم قال: ناولنى القارورة الأخرى، فناولته فشربها، فصاح صيحة، فمات لحينه، فخرجتُ بما معى من المال. انتهى

قال الفاسى بعد ذكره لهذا الخبر الغريب: فانظر إلى ما اشتملت عليه هذه الحكاية من المخالفة لما نقله صاحب السيرة من أن هذا الشعر لعمرو بن الحارث بن

مضاض، وهو هنا لوالده، قال: ويمكن الجمع بأن يكون ولده تمثل بما قاله والده لما فارقوا مكة ثانيًا، والله أعلم بالحقائق.

فأقامت جرهم فى ولاية البيت ثلاثمائة سنة، ثم أخرجهم منها بنو بكر بن عبد مناف بن كنانة؛ لأنهم رأوا استحلال جرهم لحرمة البيت، حتى إنه فسق رجل منهم بامرأة فى جوف الكعبة فمسخا حجَرين فوضعتهما خزاعة بعد ذلك، أحدهما على الصفا، والآخر على المروة، بعد أن كانا فى جوف الكعبة، وهما إساف ونائلة، فقام فيهم مضاض بن عمرو بن الحارث بن مضاض بن عمرو خطيبًا فقال: يا قوم، احذروا البغى، فقد رأيتم من كان قبلكم من العمالقة حين استخفوا بالبيت، فلم يعظموه، أخرجوا، وتفرقوا فى البلاد، وتمزقوا كل ممزق. فلا تستخفوا بحق بيت الله يخرجكم الله تعالى منها فتهلكوا. فلم يطيعوه، ودلاَّهم الشيطان بغرور، وقالوا: من يخرجنا ونحن أعزُّ العرب وأكثرها رجالاً وسلاحًا ؟ فقال لهم: إذا جاء أمر الله، بطل ما تقولون. فلما رأى مضاض بن عمرو ذلك، عمد إلى غزالين من ذهب كانا فى الكعبة فى جُبِّهَا الكائن بجوفها المجعول لحفظ ما يهدى إليها من الأموال والذخائر والنفائس وإلى ما فيه من الأموال والأسياف المهداة للكعبة، فدفنها فى بئر زمزم، وكان قد نضب ماؤها، فحفرها بالليل وأعمق، ودفن فيها الغزالين وتلك الأموال، وطمس البئر إلى أن أخذ جميع ذلك عبد المطلب حين أرشد إلى حفرها فى النوم بعد ذلك وضربها صفائح وجعلها بابًا للكعبة.

واعتزل جرهمًا وأخذ معه بنى إسماعيل وخرج من مكة، فجاءت بنو بكر بن عبد مناف بن كنانة وغسان بن خزاعة، وأخرجت جرهمًا من البلاد، ووليت بنو بكر أمر البيت وصاروا أهله، وجاءهم بنو إسماعيل، فكانوا قد اعتزلوا الحرب بين جرهم وبين بنى بكر، ولم يدخلوا بينهما، فسأل بنو إسماعيل من بنى بكر السكنَى بمكة؛ فإنهم كانوا قد أخرجوا منها لما كثروا وانتشروا ونموا وضاقت عليهم مكة، وخئولتهم جرهم هم ولاة البيت وإليهم أمره لا تنازعهم بنو إسماعيل فى ذلك؛ لخئولتهم وقرابتهم، فلما ضاقت عليهم مكة، انتشروا فى الآفاق؛ فلا يأتون قومًا ولاينزلون منزلاً ولا يدخلون بلدًا إلا أظهرهم الله عليهم بدينهم، وهم يومئذ على دين إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - فأذنت بنو بكر لبنى إسماعيل فى السكنى،

واستأذنهم مضاض بن عمرو، وكان قد اعتزل الحرب - أيضًا - بين الفريقين جرهم وبنى بكر بن عبد مناف بن كنانة فأبوا ذلك، وقالوا: من قارب الحرم من جرهم فى السكنَى معهم بمكة، فدمه هدر، فدخلت إبل لمضاض بن عمرو مكة، فأخذتها بنو بكر، وصاروا ينحرون منها ويأكلون، فتبع مضاض بن عمرو أثَرَهَا فوجدها دخلَتْ مكة، فسلك الجبال حتى علا على أبى قبيس يبصر إبله ببطن الوادى، فأبصر الإبل تنحر وتؤكل ولا سبيل إلى استنقاذها، ورأى إن هبط الوادى قتل، فولى منصرفًا إلى أهله وقال: [من الطويل]

كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الحَجُونِ إِلَى الصَّفَا أَنِيسٌ وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرُ
وَلَمْ يَتَرَبَّعْ وَاسِطًا فَجَنُوبَهُ إِلَى المُنْحَنَى مِنْ ذِى الأَرَاكَةِ حَاضِرُ
بَلَى نَحْنُ كُنَّا أَهْلَهَا فَأَبَادَنَا صُروفُ اللَيَالِى وَالْجُدُودُ العَوَاثِرُ
وَأَبْدَلَنَا عَنهَا الأَسَى دَارَ غُرْبَةٍ بِها الذِّئْبُ يَعْوِى وَالْعَدُوُّ مُحَاصِرُ
وَكُنَّا وُلاَةَ البَيْتِ مِنْ عَهْدِ نَابِتٍ نَطُوفُ بِهَذَا البَيْتِ وَالْخَيْرُ حَاضِرُ
وَكُنَّا لإِسْمَاعِيلَ صِهْرًا وَجِيرَةً وَأَبْنَاؤُهُ مِنَّا وَنَحْنُ الأَصَاهِرُ
فَأَخْرَجَنَا مِنْهَا المَلِيكُ بِقُدْرَةٍ كَذَا قَبْلَنَا بِالنَّاسِ تَجْرِى المَقَادِرُ
وَصِرْنَا أَحَادِيثًا وَكُنَّا بِغِبْطَةٍ كَذَلِكَ عَضَّتْنَا السُّنُونَ الغَوَابِرُ
وَسَحَّتْ دُمُوعُ العَيْنِ تَجْرِى بِبَلْدَةٍ بِهَا حَرَمٌ أَمْنٌ وَفِيهَا المَشَاعِرُ
بِوَادٍ أَنِيسٍ لاَ يُطَارُ حَمَامُهُ وَلاَ بَرِحَتْ تَأْوِى إِلَيْهِ العَصَافِرُ
وَفِيهَا وُحُوشٌ لاَ تُرَامُ أَنِيسَةٌ إِذَا خَرَجَتْ مِنْهَا فَلَيْسَتْ تُغَادِرُ
فَيَالَيْتَ شِعْرِى هَلْ يُعَمَّرُ بَعْدَنَا جِيَادٌ وَمُفْضِى سَيْلِهِ وَالظَّوَاهِرُ
وَهَلْ فَرَجٌ يَأْتِى بِشَىْءٍ نُرِيدُهُ وَهَلْ جَزَعٌ يُنْجِيكَ مِمَّا تُحَاذِرُ

وانطلق مضاض بن عمرو ومن تبعه من اليمن، وهم محزونون على مفارقة مكة.

ثم ولى أمرَ مكة والبيت بنو إياد بن نزار، كان أمر البيت إلى رجل منهم يقال له: وكيع بن سلمة بن زهر بن إياد بن نزار، فبنى صرحًا بأسفل مكة عند سوق الخياطين، وجعل فيه محلاً يقال له: الحَزْوَرة، وبها سمى ذلك المحل: حزورة إلى الآن، وجعل فيها سُلَّمًا يرقاه، وكان يزعم أنه يناجى الله تعالى، وكان يقول: ربكم ليجزين بالخير ثوابًا، وبالشر عقابًا، وكان يقول: من فى الأرض عبيد لمن فى

السماء، ولما حضرته الوفاة جمع قومه فقال: اسمعوا وصيتى، الكلام كلمتان، والأمر بعد البيان، من رشد فاتبعوه، ومن غوى فارفضوه، وكل شاة معلقة برجلها، ولما مات رثاه بشر الحجبى فقال: [من المتقارب]

وَنَحْنُ إِيَادٌ عِبَادُ الإِلَهِ وَرَهْطُ مُنَاجِيهِ فِى السُّلَّمِ
وَنَحْنُ وُلَاةُ حِجَابِ العَتِيقِ زَمَانَ النَّخَاعِ عَلَى جُرْهُمِ

ثم ولى مكة مضر، وسبب ولايتهم بها: أن رجلاً من إياد ورجلاً من مضر خرجا يتصيدان، فمرت بهم أرنبٌ، فاكتنفاها يرميانها، فرماها الإيادى، فزل سهمه، فنظم قلب المضرى فقتله، فبلغ الخبر مضر، فاستغاثَتْ بفَهْم وعَدوان يطلبون بهم قَوَدَ صاحبهم، فقالت إياد: إنما أخطأه السهم، فأبت فهم وعَدوان إلا قتله، ورأت إياد من مضر علامة الظفر عليهم، فطلبوا أجل ثلاثة أيام، فوافقهم مضر على ذلك وأجابوهم إليه، فخرجت إياد بعد المدة إلى جهة المشرق، فتبعتهم فهم وعدوان فقالوا: رُدُّوا نساء مضر المتزوجَاتِ فيكم، فقالوا: لا تقطعوا قرابتنا، اعرضوا على النساء فأية امرأة اختارَتْ قومها رددتموها، وإن أحبت الذهاب مع زوجها أعرضتم عنها، قالوا: فكان أول من اختار أهلَهُ امرأة من إياد.

وممن ولى مكة من مضر: أسد بن خزيمة، وضبة، وهو الذى ولى الحجاز واليمن لسليمان بن داود - عليهما الصلاة والسلام - وفيه يقول الشاعر: [من المتقارب]

وَقَدْ كَانَ ضَبَّةُ رَبَّ الْحِجَا زِ تُجْبَى إِلَيْهِ إِتَاوَاتُهَا
فَمِنْ كُلِّ ذِى إِبِلٍ نَاقَةٌ وَمِنْ كُلِّ ذِى غَنَمٍ شَاتُهَا

وهذا ضبة هو وأخوه أدّ ابنان لطابخة بن إلياس بن مضر.

ثم ولى أمر البيت ومكة خزاعة، وسبب ولايتهم لها: أنه لما وقع لإياد ماوقع، وكانت إياد اقتلعوا الحجر الأسود ليسافروا به، فحملوه على بعير، فبرك ولم يقم، ثم على بعير آخر فكذلك، فلما رأوا ذلك، دفنوه تحت شجرة، وكانت تراهم امرأة من النساء اللاتى معهم من خزاعة، فلما أن رجعت إلى مضر ورأتهم يجتهدون فى تحصيل الحجر مظهرين من التعب؛ لعدم وجدانه، قالت لقومها: إنى أعلم محله، فخذوا عليهم العهد أن يولوكم حجابة البيت إن دللتموهم عليه، فأخذ خزاعة من مضر ذلك، فدلتهم المرأة عليه، فأخذوه وأعادوه مكانه فصار لهم حكم ولايته بهذا

السبب، وكانت مدة ولايتهم ثلاثمائة سنة.

وسار بعض التبابعة لإرادة هدم البيت وتخريبه، فقامت دونه خزاعة، وقاتلت عليه أشد القتال، وأول من ملك منهم: عمرو بن لُحَيّ بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر بن مزيقيا بن ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس بن ثعلبة ابن مازن بن الأزد [(١)] بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجُب ابن يعرب بن قحطان؛ هكذا نسبه ابن هشام [(٢)]، وابن حزم، وابن الكلبي.

وقد اختلف في سبب ملك خزاعة لمكة: فذكر صاحب الأرج المسكي فيما تقدم قريبًا: أن سبب ذلك دلالة تلك المرأة الخزاعية مضر على موضع الحجر لما دفنته إياد حالَ خروجهم، واشتراط خزاعة على مضر توليتهم حجابة البيت وأخذهم العهد عليهم في ذلك فولوه.

وذكر الزبير بن بكار، عن أبي عبيدة شيئًا من خبر خزاعة وجرهم؛ فقال: فاجتمعت خزاعة ليحلوا من بقي من جرهم، ورأس خزاعة عمرو بن لحي، واسم لحي ربيعة، فاقتتلوا ووقعت بينهم حروب شديدة طويلة، ثم إن خزاعة غلبت جرهمًا على البيت، وخرجت جرهم حتى نزلت وادي إضم، فجاءهم سيل بالليل فهلكوا جميعًا، قال أمية بن أبي الصلت من شعر له:

وَجُرْهُمٌ دمثوا تِهَامَةَ فِي الد ... دهْرِ فَسَالَتْ بِجَمْعِهِمْ إِضَمُ

وكان عمرو بن لحيّ أول من غير دين إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - فإنه خرج إلى الشام واستخلف على البيت ومكة رجلًا من بني ضخم، يقال له: آكل المروة، وعمرو بن لحي يومئذ وأهل مكة على دين إبراهيم - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - فلما قدم الشام، نزل بالبلقاء، فوجد قومًا يعبدون أوثانًا فقال: ما هذه الأنصاب التي أراكم تعبدونها ؟ فقالوا: أرباب نتخذها، نستنصر بها على عدونا فننصر، ونستشفي بها من المرض فنشفى، فوقع قولهم في نفسه، فقال: هَبُوا لي منها واحدًا أتخذه ببلدي؛ فإني صاحب بيت الله الحرام، وإليَّ وفد العرب من كل أوب، فأعطوه صنمًا يقال له: هُبَل، فحمله حتى نصبه للناس، فتابعته العرب على ذلك.

(١) في السيرة: الأسد.
(٢) ينظر: السيرة النبوية (١/ ١٠٩)، وفيه: « عامر بن حارثة بن امرىء القيس ».

وروى الأزرقى خبرًا طويلاً فى ولاية خزاعة بعد جرهم، فتزوج لحى أبو عمرو فهرة ابنة عامر بن عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمى ملك جرهم، فولدت له عمرو بن لحى هذا، وبلغ بمكة وفى العرب من الشرف ما لم يبلغه عربى قبله ولا بعده فى الجاهلية، وهو الذى قسم بين العرب - فى حطمة حطموها - عشرة آلاف ناقة، وقد كان أعور عشرين فحلاً، وكان الرجل فى الجاهلية إذا ملك ألف ناقة فقأ عين فحل إبله، فكان قد فقأ عشرين فحلاً، وكان أول من أطعم الحاجَّ بمكة سَدِيف الإبل ولحمها على الثريد، وعم فى تلك السنة جميع حاجِّ العرب بثلاثة أثواب من برود اليمن، وكان قد ذهب شرفه كل مذهب؛ فكان قوله فيهم دينًا متبعًا لا يخالف، وهو الذى بَحَّرَ البَحِيرة، ووَصَلَ الوَصِيلة، وحَمَى الحامىَ، وسَيَّبَ السوائبَ، ونصب الأصنام حول الكعبة، وجاء بهُبَل فنصبهُ فى جوف الكعبة، فكانت قريش والعرب تستقسمُ عنده بالأزلام، وهو أول من غير الحنيفية دين إبراهيم وإسماعيل - عليهما الصلاة والسلام - وكان أمره بمكة مطاعًا لا يعصَى، وكان بمكة رجل من جرهم على دين إبراهيم، وكان شاعرًا، فقال لعمرو بن لحى حين غير دين إبراهيم - عليه الصلاة والسلام -: [من مجزوء الكامل]

يَا عَمْرُو لاَ تَظْلِمْ بِمَكْـ كَـةَ إِنَّـهَـا بَـلَـدٌ حَـرَامُ
سَـائِـلْ بِـعَـادٍ أَيْـنَ هُـمْ وَكَـذَاكَ تُـخْـتَـرَمُ الأَنَـامُ
وَبَـنِـى الـعَـمَـالِـيقِ الَّـذِيـ نَ لَهُمْ بِهَا كَانَ السَّوَامُ

فلما سمع عمرو بن لحى هذا الشعر، أخرجه من مكة، فنزل بإضم من أعراض مدينة النبى ﷺ نحو الشام، فقال الجرهمى يتشوَّقُ إلى مكة: [من الطويل]

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِى هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً وَأَهْلِى مَعًا بِالمَأْزِمَيْنِ حُلُولُ
وَهَلْ أَرَيَنَّ العِيسَ تَنْفُخُ فِى البُرَى لَـهَـا بِمِنًى وَالـمَـأْزِمَـيْـنِ زَمِـيـلُ
مَنَازِلُ كُنَّا أَهْلَهَا لَمْ يَحُلْ بِنَا زَمَانٌ بِـهَـا فـيـمـا أَرَاهُ يَـحُـولُ
مَضَى أَوَّلُونَا قَانِعِينَ بِشَأْنِهِمْ جَمِيعًا وَغَالَتْنَا بِمَكَّةَ غُولُ

واستمر ملكهم لها ثلاثمائة سنة، حتى كان آخرهم حليل بن حبشية، وهو القائل: [من الرجز]

وَادٍ حَرَامٌ طَيْرُهُ وَوَحْشُهُ نَـحْـنُ وُلاَتُـهُ فَـلاَ نَـغُـشُّـهُ

وَابْنُ مُضَاضٍ قَائِمٌ يَهُشُّهُ   يَأْخُذُ مَا يُهْدَى لَهُ يَمُشُّهُ

وحليل هذا هو آخر من ولى البيت من خزاعة.

أقول: ورأيت فى تاريخ الفاسى خمسة أقوال فى سبب خروج جرهم من مكة، منها هذان القولان، وثلاثة لم أذكرها تركًا للتطويل من غير كبير فائدة، والله أعلم أيها كان هو.

ثم ولى أمر مكة: قريش، وهم ولد فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، وقيل: ولد النضر بن كنانة، وقد تقدَّم الكلام على هذا.

وأول من ولى منهم: قصى بن كلاب، تقدم ذكر ذلك. ثم تزوج قصىٌّ بعاتكة بنت فالح بن مالك بن ذكوان من بنى سُليم، فأتى منها بعبد مناف، وعبد العزَّى، وعبد الدار، وعبد قصى.

قال السهيلى فى شرح سيرة ابن هشام: عبد مناف اسمه المغيرة، وهو منقول من الوصف، والهاء فيه للمبالغة؛ [أي]: أنه مغيرٌ على الأعداء، أو مغيرٌ من أغار الحبل: إذا أحكمه فتلاً.

وعبد مناف كان يلقب: « قمر البطحاء »؛ كما ذكره المؤرخون. وكانت [أمه][1] حبَّى بنت حليل قد أخدمته مناة، وهو صنم عظيمٌ كان لهم، فكان يسمَّى به، فكان يقال له: عبد مناة، ثم نظر أبوه قصى، فوجد اسمه يوافق عبد مناة بن كنانة، فحوله إلى عبد مناف؛ ذكره البرقى.[2] انتهى

قال العلامة التقىُّ الفاسى[3]: روينا عن الزبير بن بَكَّار، حدثنى أبو الحسن الأثرم، عن أبى عبيدة، قال أبو عبيدة: حدثنا خالد بن أبى عثمان قال: كان قصى أول من ثرد الثريد، فأطعم بمكة، وسقى اللبن، بعد نابت بن إسماعيل، فقال قائل ولم يسموه هاشمًا:

أشبعهم زيد قصى لحمًا   ولبنًا محضًا وخبزًا هشيمًا.

وقال الزبير: حدَّثنى عمرو بن أبى بكر الموئلى، عن عبد الحكم بن سفيان بن أبى نمر، قال: لما ولد لقصىٍّ أول ولد سمته أمه عبد الدار، فذكر ما ذكره السهيلى

---

(١) سقط في ط، والمثبت من الروض.
(٢) ينظر: الروض الأنف (١/٧-٨).
(٣) الشفاء (١/ ٧٢).

آنفًا فيه، قال: وإنما سمى عبد الدار؛ لأنه حين هدم الكعبة، وأراد بناءها، حضر الحج قبل بنائها، وهى مهدومة، فأحاط عليها دارًا من خشب، وربطها بالحبال لتدور الناسُ من وراء الدار فولد له إذ ذاك، فسماه عبد الدار.

وأما عبد بن قصى: فإنه إنما سماه فى الأول عبد قصى؛ فكان بذلك يدعى، ثم أمال اسمه، فقيل: عبد بن قصى.

وقال غير الموئلى: قال قصى: ولد لى، فسميت اثنين بإلهىَّ - يعنى: مناة والعزى - وسميت الثالث بدارى، وسميت الرابع بنفسى، يعنى: عبد الدار وعبد قصى. انتهى

وقولى: «ثم تزوج قصى بعاتكة...إلى آخره» هكذا فى المواهب وسيرة اليعمرى ابن سيد الناس وغيرهما: أن أم عبد مناف وإخوته هى عاتكة بنت فالح، وهو مخالف لما ذكره السهيلى والفاسى والأزرقى: أنها حُبّى بنت حليل بن حبشية، ونص عبارة الأزرقى[1]: فأقام قصى معها، وولدت له عبد الدار، وهو أكبر ولده، وعبد مناف وعبد العزى وعبد قصى، وقد تقدمت، فلعلَّ أن يكون أكبر أولاده عبد الدار من حُبّى، وعبد مناف من عاتكة. لكن عبارته صريحة فى أن الجميع من حبى، فلينظر وجه التوفيق.

وكان عبد مناف قد شرف فى زمان أبيه هو وإخوته. فلما مرض قصىٌّ قال لابنه عبد الدار: لألحقنك بالقوم يابنى، وإن كانوا شرفوا عليك. فأعطاه الحجابة وسلَّم إليه المفتاح، وقال: لا يدخل رجل منهم الكعبة حتى تكون أنتَ تفتحها له، وأعطاه السقاية واللواء، وقال: لا يشرب أحد بمكة إلا من سقايتك، ولا يَعقد لواء لقريش لحربها إلا أنتَ بيدِكَ، وجعل له الرفادة، وقال: لا يأكلْ أحد من أهل الموسم إلا من طعامك.

والرفادة: خراجٌ تخرجه قريش من أموالها فى كل موسم، فتدفعه إلى قصىٍّ فيصنع به طعاماً للحاج، فيأكله من لم يكن له سعة ولا زاد، وكان قصى فرض ذلك على قريش حين جمعهم، وقال لهم: يا معشر قريش، إنكم جيران الله وأهل بيته وحرمه، وإن الحاجَّ ضيفُ الله وزُوَّار بيته، وهم أحقُّ الأضياف بالكرامة، فاجعلوا

(١) ينظر: سبل الهدى والرشاد (١/ ٢٧٤) نحوه.

لهم طعامًا وشرابًا أيام الحجيج حتى يصدروا عنكم.

فجعل قصىٌّ كل ما كان بيده من المناصب إلى ولده عبد الدار بن قصى، وكان قصىٌّ لا يُخَالفُ ولا يُرَدُّ عليه شىء من صنعه، فكان أمره فى قومه من قريش حياته ومماته كالدين المتبع، لا يعمل بغيره، لعظم شأنه ونفوذ سلطانه.

قال ابن إسحاق [(١)]: ثم إن قصيًّا هلك، فقام بهذه المناصب ولده عبد الدار بعده، ثم إن عبد مناف تزوج بعاتكة بنت مرة بن هلال بن فالح بن ذكوان من بنى سُلَيم، فأتى منها بهاشم وعبد شمس والمطلب، ولهم أخ رابع يسمى نوفلاً من امرأة أخرى، يقال لها: واقدة بنت عمرو المازنية، فهو فَذٌّ والثلاثة أشقاء، والأولان من الثلاثة توءمان، يقال: خرجا وجبهة أحدهما متصلة بجبهة الآخر، ففصلا بالحد فتقطر الدم، فقال بعض الكُهَّان: إنه سيقع بين ذريتهما دم إلى آخر الأبد، فأنت ترى ما جرى بين بنى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وبين بنى هاشم بن عبد مناف من الدماء قديمًا وحديثًا، والأمر لله سبحانه، وقد أشار إلى ذكر الإخوة طالب بن أبى طالب فى قصيدة يرثى بها القتلى من قريش يوم بدر: [من الطويل]

أَلا إِنَّ عَيْنِى أَنْفَدَتْ دَمْعَهَا سَكْبَا ... تُبَكِّى عَلَى كَعْب وَمَا إِنْ تَرَى كَعْبَا
أَلاَ إِنَّ كَعْبًا فِى الحُرُوبِ تَخَاذَلُوا ... وَأَرْدَاهُمُ ذَا الدَّهْر واجْتَرَحُوا ذَنْبَا
وَعَامِرُ تَبْكِى لِلْمُلِمَّاتِ غُدْوَةً ... فَيَالَيْتَ شِعْرِى هَلْ أَرَى لَهُمَا قُرْبَا
هُمَا أَخَوَاىَ لَنْ يُعَدَّا لِغَيَّةٍ ... تُعَدُّ وَلَنْ يُسْتَامَ جَارُهُمَا غَصْبَا
فَيَا أَخَوَيْنَا عَبْدَ شَمْسٍ وَنَوْفَلاً ... فِدًى لَكُمَا لاَ تَبْعَثُوا بَيْنَنَا حَرْبَا
وَلاَ تُصْبِحُوا مِنْ بَعْدِ وِدٍّ وَأُلْفَةٍ ... أَحَادِيثَ فِيهَا كُلُّكُمْ يشْتَكِى النَّكْبَا
أَلَمْ تَعْلَمُوا مَا كَانَ فِى حَرْبِ دَاحِسٍ ... وَجَيْشِ أَبِى يَكْسُومَ إِذْ مَلَئُوا الشِّعْبَا
فَلَوْلاَ دِفَاعُ اللهِ لاَ شَىْءَ غَيْرُهُ ... لأَصْبَحْتُمُ لاَ تَمْنَعُونَ لَكُمْ سِرْبَا
فَمَا إِنْ جَنَيْنَا فِى قُرَيْشٍ عَظِيمَةً ... سِوَى أَنْ حَمَيْنَا خَيْرَ مَنْ وَطِئَ التُّرْبَا
أَخَا ثِقَةٍ فِى النَّائِبَاتِ مرزأً ... كَرِيمًا نَثَاهُ[(٢)] لاَ بَخِيلاً وَلاَ ذرِبَا
يُطِيفُ بِهِ العَافُونَ يَغْشَوْنَ دَارَهُ ... يَؤُمُّونَ نَهْرًا لاَ نَزُورًا وَلاَ صَرِبَا[(٣)]

(١) ينظر: السيرة النبوية (١/١٤٩).
(٢) في ط: ثناه. والمثبت من السيرة. والمعنى: كريمًا ذكره.
(٣) الصرب: المنقطع. وينظر: السيرة (٢/ ٣٧٢، ٣٧٣).

ثم إن بنى عبد مناف هؤلاء الأربعة هاشمًا وعبد شمس - وبه كان يكنى عبد مناف، يقال: أبا عبد شمس - والمطلب ونوفلاً-: أجمعوا على أن يأخذوا ما بيدى بنى عبد الدار من الحجابة والسقاية واللواء والرفادة، ورأَوْا أنهم أحقُّ بذلك منهم؛ لشرفهم وفضلهم، وتفرقت قريش بينهم، منهم من يرى أن عبد مناف أحق بهذه المآثر من بنى عبد الدار، ومنهم من يرى إبقاء بنى عبد الدار على ما جعله جدهم قصى لأبيهم عبد الدار، فأجمعوا على الحرب، فتفرقتْ عند ذلك قريش، فكانت طائفة مع بنى عبد مناف على رأيهم يرون أنهم أحق به من بنى عبد الدار لمكانهم وشرفهم فى قومهم، وكانت طائفة من بنى عبد الدار يرون أنه لا ينزع منهم ما كان قصى جعله إلى أبيهم عبد الدار. وكان صاحب أمر بنى عبد مناف عبد شمس بن عبد مناف بن قصى؛ وذلك أنه كان أسن بنى عبد مناف. وكان صاحب أمر عبد الدار عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى، وكان بنو أسد بن عبد العزى بن قصى، وبنو زهرة بن كلاب، وبنو تيم بن مرة بن كعب، وبنو الحارث بن فهر بن مالك بن النضر مع بنى عبد مناف، وكان بنو مخزوم بن يقظة بن مرة، وبنو سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى، وبنو جُمَح بن عمرو بن هصيص، وبنو عدى بن كعب مع بنى عبد الدار.

وخرجت عامر بن لؤى ومحارب بن فهر فلم يكونوا مع أحد من الفريقَين. فعقد كل قوم على أمرهم حلفًا مؤكدًا على ألا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضًا ما أرسى ثبير، وما بلَّ بحرٌ صوفه فأخرج بنو عبد مناف جفنة مملوءة طيبًا - أخرجتها لهم عاتكة بنت عبد المطلب، وقيل: البيضاء أم حكيم بنت عبد المطلب - فوضعوها فى أحلافهم فى المسجد عند الكعبة، ثم غمس القوم أيديهم فيها، فتعاقدوا وتعاهدوا هم وحلفاؤهم، ثم مسحوا الكعبة توكيدًا على أنفسهم، فسمى هذا الحلف: « حلف المطيبين »، فتطيب بذلك بنو عبد مناف، وبنو أسد، وبنو زهرة، وبنو تيم، وبنو الحارث بن فهر، فسموا المطيبين. وتعاقد بنوعبد الدار، وبنو سهم، وبنو جُمح، وبنو عدى وبنو مخزوم، ونحروا جزورًا وقالوا: من أدخل يده فى دمها، فلعق منها فهو منا، ففعلوا ذلك، هؤلاء القبائل يسمون: « لَعَقَة الدَّم »، وتحالفوا على التناصر، وألا يسلم بعضهم بعضًا، ما أرسى ثبير، فسموا الأحلافَ لذلك.

ثم سُوبِدَ بين القبائل وألزم بعضهم بعضًا، فعينت بنو عبد مناف لبنى سهم، وعينت بنو أسد لبنى عبد الدار، وعينت بنو زهرة لبنى جمح، وعينت بنو الحارث ابن فهر لبنى عدى بن كعب.

ثم قال: لتكف كل قبيلة ما أسند إليها. فبينما الناس على ذلك قد أجمعوا للحرب، إذ تداعوا للصلح، فاصطلحوا على أن تكون السقاية والرفادة والقيادة لبنى عبد مناف، واللواء والحجابة ودار الندوة لبنى عبد الدار، فتراضوا على ذلك، وتحاجز الناس عن الحرب، وثبت كل قوم على حلفهم، فلم يزالوا عليه حتى جاء الإسلام [(١)]، فقال - عليه الصلاة والسلام -: « ما كان من حلف فى الجاهلية فإن الإسلام لم يزده إلا شدة »[(٢)].

وحيث انجرَّ الكلام إلى ذكر حلف المطيبين، وحلف الفضول، وحلف الأحابيش، وحرب الفِجار الأول والفجار الثانى، روينا فى السيرة لابن إسحاق تهذيب ابن هشام روايته عن زياد البكائى شيئًا من خبره، ونص ذلك على ما فى السيرة[(٣)]:

قال ابن هشام: وأما حلف الفضول: فحدثنى زياد بن عبد الله، عن محمد بن إسحاق قال: تداعت قبائل [من][(٤)] قريش إلى حلف [(٥)]، فاجتمعوا له فى دار عبد الله بن جُدعانَ بنِ عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى؛ لشرفه وسنه، فكان حلفهم عنده، وهم: بنو هاشم، وبنو عبد المطلب، وبنو أسد بن عبد العزى، وبنو زهرة بن كلاب، وبنو تيم بن مرة، فتعاقدوا وتعاهدوا على ألاَّ يجدوا بمكة مظلومًا - من أهلها أو غيرهم ممن دخلها من سائر الناس - إلا قاموا وكانوا على من ظلمه حتى تردَّ عليه مَظلمته، فسمت قريش ذلك: « حلف الفضول ».

---

(١) ينظر: السيرة النبوية (١/١٤٩-١٥١).

(٢) ورد هذا الحديث عن جبير بن مطعم مرفوعًا بلفظ: « لا حلف في الإسلام، وأيما حلف كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة » أخرجه مسلم (٤/ ١٩٦١) كتاب فضائل الصحابة، باب مؤاخاة النبي ﷺ بين أصحابه، حديث (٢٠٦/ ٢٥٣٠)، وأبو داود (٣/ ١٢٩) كتاب الفرائض باب في الحلف، حديث (٢٩٢٥)، وأحمد (٤/ ٨٣)، وأبو يعلى (١٣/ ٤٠٣-٤٠٤) رقم (٣٤٠٦)، وابن حبان (٤٣٧١، ٤٣٧٢)، والطحاوي في « مشكل الآثار » (٢/ ٢٣٨)، والطبراني في « الكبير » (١٥٩٧)، والطبري في تفسيره (٥/ ٣٦).

(٣) ينظر « السيرة النبوية » (١/ ١٥٣-١٥٤).

(٤) زيادة من السيرة.

(٥) في ط: حلف الفضول. والمثبت أصوب.

قال ابن هشام: [قال ابن إسحاق] [١]: فحدثني محمد بن زيد بن المهاجر بن قنفذ[٢] التيمي؛ أنه سمع طلحة بن عبد الله بن عوف الزهري يقول: قال رسول الله ﷺ: « لقد شهدت في دار عبد الله بن جُدعان حلفًا ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو أدعى به في الإسلام لأجبت »[٣]. انتهى

(١) سقط في ط، وأثبتناه من السيرة.
(٢) في ط: فند، والمثبت من السيرة، وهو الصواب.
(٣) مرسل حسن الإسناد محمد بن زيد بن المهاجر بن قنفذ روى له الجماعة سوى البخاري ووثقه أحمد وابن معين وأبو زرعة وابن حبان ينظر: تهذيب الكمال (٢٥/ ٢٣٢) وطلحة بن عبد الله بن عوف الزهري قال الحافظ في « التقريب » (١/ ٣٧٩): ثقة مكثر فقيه من الثالثة. والحديث أخرجه البيهقي في « السنن الكبرى » (٦/ ٣٦٧) كتاب قسم الفيء والغنيمة باب إعطاء الفيء على الديوان: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر بن الحسن القاضي قالا: ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا أحمد بن عبد الجبار ثنا يونس بن بكير عن ابن إسحاق به، وقد جاء هذا الحديث موصولا من طريق طلحة فأخرجه ابن سعد في « الطبقات الكبرى » (١/ ١٠٣): أخبرنا محمد بن عمر قال: فحدثني محمد بن عبد الله عن الزهري عن طلحة ابن عبد الله بن عوف عن عبد الرحمن بن أزهر عن جبير بن مطعم به مرفوعًا وقال محمد بن عمر: ولا نعلم أحدًا سبق بني هاشم بهذا الحلف. قلت: وهذا إسناد ضعيف جدًّا؛ محمد ابن عمر الواقدي متروك الحديث، وللحديث شواهد مرفوعة من حديث عبد الرحمن بن عوف وأبي هريرة وابن عباس يرتقي بها مرسل ابن إسحاق إلى الصحة. حديث عبد الرحمن بن عوف: أخرجه أحمد (١/ ١٩٠، ١٩٣)، والبخاري في الأدب المفرد رقم (٥٦٧) والحاكم (٢/ ٢٢٠)، وابن حبان (٢٠٦٢-موارد)، وأبو يعلى (٢/ ١٥٦-١٥٧) رقم (٨٤٤-٨٤٦) والبزار (١٩١٤-كشف)، والطبري في « تفسيره » (٥/ ٣٦) والبيهقي في « السنن الكبرى » (٦/ ٣٦٦) كتاب قسم الفيء باب إعطاء الفيء على الديوان، وفي « دلائل النبوة » (٢/ ٣٧-٣٨)، وابن عدي في « الكامل » (٤/ ٣٠١)، كلهم من طريق عبد الرحمن بن إسحاق عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف مرفوعًا: « شهدت حلف المطيبين فما أحب أن لي حمر النعم وأني أنكثه ». وقال البزار: لا نعلمه يروى إلا عن عبد الرحمن بن عوف روى عنه من غير وجه وهذا أحسن إسناد يروى في ذلك ولا روى جبير عن عبد الرحمن إلا هذا. وقال ابن عدي: عبد الرحمن بن إسحاق -وهو عباد بن إسحاق المديني- في حديثه بعض ما ينكر ولا يتابع عليه وهو صالح الحديث كما قال ابن حنبل. وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وصححه ابن حبان. وعبد الرحمن بن إسحاق الذي مدار الحديث عليه قال أحمد: صالح الحديث. واختلف فيه قول ابن معين فقال: ثقة وقال مرة: صويلح، وقال أخرى: صالح، وقال يعقوب بن سفيان: ليس به بأس وقال يعقوب بن شيبه: صالح وقال أبو داود ثقة وذكره ابن حبان في الثقات، وقال الحافظ في « التقريب » صدوق رمى بالقدر. ينظر: « تهذيب الكمال » (١٦/ ٥٢٢-٥٢٤)، والتقريب (١/ ٤٧٢). وعليه فالإسناد حسن إن شاء الله. والحديث ذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٨/ ١٧٥) وقال: رواه أحمد =

وقد ذكر الزبير بن بكار سَبَبَ حلف الفضول فقال: سببه أن رجلًا من أهل اليمن قدم مكة ببضاعة، فاشتراها منه رجل من بنى سهم، فلوى الرجلَ بحقه، فسأله بضاعته فأبى عليه، فقام على الجبل فقال: [من البسيط]

يَا آلَ فِهر لِمَظْلُوم بِضَاعَته ... بِبَطْنِ مَكَّةَ نَائِى الدَّارِ وَالنَّفَرِ
وَأَشْعَثٍ مُحْرِمٍ لَمْ تُقْضَ عُمْرَتُهُ ... بَيْنَ الإِلَهِ وَبَيْنَ الحِجْرِ وَالحَجَرِ
هَل مُخْفرٌ لِبَنِى سَهْم لِخَفْرَتِهِمْ ... فَعَادلٌ أَمْ ضَلَالٌ مَالُ مُعْتَمِرِ
إِنَّ الحَرَامَ لمَنْ تَمَّتْ حرامَتُهُ ... وَلاَ حَرَامَ لِثَوْبِ الفَاجِرِ الغَدِرِ

فلما نزل من الجبل، أعظمت ذلك قريش، فتكلموا فيه، فقال المطيبون: والله، لئن قمنا فى هذا لتغضبن الأحلاف. وقال الأحلاف: والله، لئن تكلمنا فى هذه ليغضبن المطيبون، فقال ناس من قريش: تعالوا فلنكنْ حلفًا فضولاً دون المطيبين ودون الأحلاف، فاجتمعوا فى دار عبد الله بن جدعان، وصنع لهم يومئذٍ طعامًا كثيرًا، وكان رسول الله ﷺ معهم قبل أن يوحى إليه، وهو ابن خمس وعشرين سنة، فاجتمعتْ بنو هاشم وبنو المطلب وبنو أسد بن عبد العزى وبنو زهرة بن كلاب وبنو تيم بن مرة، ثم عمدوا إلى ماء من زمزم، فجعلوه فى جفنة ثم بعثوا به إلى البيت، فغسلت فيه أركانه، ثم أتوا به فشربوه. وكان عتبة بن ربيعة بن أمية بن عبد شمس يقول: لو أن رجلًا وحده خرج من قومه، لخرجْتُ من بنى عبد شمس حتى أدخل فى حلف الفضول، وليست عبد شمس فى حلف الفضول.

وذكر بعض العلماء أن سببه غير ذلك، وهو أن قيس بن شيبة السلمى باع متاعًا

= وأبو يعلي والبزار ورجال حديث عبد الرحمن بن عوف رجال الصحيح. اهـ. قلت: وهو كما قال؛ فعبد الرحمن بن إسحاق روى له مسلم واستشهد به البخاري في صحيحه وروى له في الأدب المفرد. حديث أبي هريرة: أخرجه ابن حبان (٢٠٦٣-موارد) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٦/ ٣٦٦) كتاب قسم الفيء باب إعطاء الفيء على الديوان، وفي «دلائل النبوة» (٢/ ٣٨) من طريق معلى بن مهدي ثنا أبو عوانة عن عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله (: ما شهدت من حلف قريش إلا حلف المطيبين وما أحب أن لي حمر النعم وأني كنت نقضته. ومعلى بن مهدي قال أبو حاتم: أدركته ولم أسمع منه، يحدث أحيانًا بالمناكير. وذكره ابن حبان في «الثقات» وقال الذهبي: من العباد الخيرة صدوق في نفسه. ينظر: الجرح والتعديل (٨/ ٣٣٥)، و«الثقات» (٩/ ١٨٢)، و الميزان (٤/ ١٥١). حديث ابن عباس: أخرجه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٦) وفي سنده المصعب بن المقدام صدوق له أوهام.

من أبىّ بْنِ خلف فلواه، وذهب بحقه، فاستجار برجل من بنى جمح؛ فلم يقم بجواره، فقال قيس: [من الرجز]

يَا لَقُصَىٍّ كَيْفَ هَذَا فِى الحَرَمْ   وحُرْمَةَ البَيْتِ وإِخْلاَف الذِّمَمْ
أُظْلَمُ لاَ يُمْنَعُ عَنِّى مَنْ ظَلَمْ

فبلغ الخبر عباس بن مرداس فقال: [من البسيط]

إِنْ كَانَ جَارُكَ لَمْ تَنفَعْكَ ذِمَّتُهُ   وَقَدْ شَرِبْتَ بِكَأْسِ الذُّلِّ أَنْفَاسَا
فَأْتِ الْبُيُوتَ وَكُنْ مِنْ أَهْلِهَا صَدَدًا   لاَ يَلْقَ نَادِيهُمْ فُحْشًا وَلاَ بَاسَا
وَثَمَّ كُنْ بِفِنَاءِ البَيْتِ مُعْتَصِمًا   تَلْقَ ابْنَ حَرْبٍ وَتَلْقَ المَرْءَ عَبَّاسَا
سَاقِى الحَجِيجِ وَهَذَا يَاسِرٌ فلجٌ   وَالمَجْدُ يُورثُ أَخْمَاسًا وَأَسْدَاسَا

فقام العباس وأبو سفيان حتى رَدَّا إليه حقه؛ فحينئذٍ اجتمعتْ هذه البطون من قريش، وتحالفوا على رد الظلم بمكة وألا يظلم أحد أحدًا إلا منعوه وأخذوا حقه من ظالمه.

وقيل: إن تسميته بذلك قول قوم من قريش: هذا، والله فضلٌ من الحلف، فسمى: حلف الفضول.

وقال آخرون: تحالفوا على مثال حلف تحالف عليه فى الزمان السابق قوم من جرهم، وكانت أسماؤهم الفضل بن سراعة، والفضل بن وداعة، والفضل بن قضاعة، فسمى هذا الحلف بذلك لذلك.

وقدم بعد حلف الفضول رجل من ثمالة فباع سلعة له من أبىّ بن خلف بن وهب ابن حذافة بن جمح فظلمه، وكان سيئ المخالصة، فأتى الثمالى أهل حلف الفضول، فأخبرهم، فقالوا: اذهب إليه فأخبره أنك قد أتيتنا، فإن أعطاك حقك، وإلا فارجع إلينا، فأتاه فأخبره بما قال له أهل حلف الفضول، وقال: فما تقول ؟ فلم يلبث أن دخل البيت فأخرج إليه حقه فأعطاه، فقال الثمالى: [من الطويل]

أَيُعْجِزُنِى فِى بَطْنِ مَكَّةَ ظَالِمًا   أُبَىٌّ وَلاَ قَوْمِى لَدَىَّ وَلاَ صَحْبِى
وَنَادَيْتُ قَوْمِى بَارِقًا لِتُجِيبَنِى   وَكَمْ دُونَ قَوْمِى مِنْ فَيَافٍ وَمِنْ شُهْبِ
وَيَأْبَى لَكُمْ حِلْفُ الفُضُولِ ظُلاَمَتِى   بَنِى جُمَحٍ وَالحَقُّ يُؤْخَذُ بِالغَصْبِ

وقيل: إن أول من قام به من قريش ودعا إليه بعد نداء الرجل اليمنى صاحب

البضاعة بتلك الأبيات على الجبل يستعدى على السهمى: هو الزبير بن عبد المطلب، فقال: إن هذا الأمر ما ينبغى لنا أن نمسك عنه، فطاف فى بنى هاشم وبنى زهرة وبنى أسد وبنى تيم، فاجتمعوا فى دار عبد الله بن جُدعان، وتحالفوا بالله لنكونن يدًا للمظلوم على الظالم حتى نؤدى إليه حقه ما بلَّ بَحْرٌ صوفه، وما رسا ثَبير وحِراء فى مكانه، وعلى التوادد والتعاقل. فتم ذلك إلى أن جاء الإسلام، وفى ذلك يقول الزبير بن عبد المطلب: [من الوافر]

حَلَفْتُ لَنَعْقِدَنْ حِلْفًا عَلَيْهِمْ وَإِنْ كُنَّا جَمِيعًا أَهْلَ دَارِ
نُسَمِّيهِ الفُضُولَ إِذَا عَقَدْنَا يَعزُّ بِهِ الْغَرِيبُ لَدَى الجِوَارِ
وَيَعْلَمُ مَنْ حَوَالَ البَيْتِ أَنَّا أُبَاةُ الضَّيْمِ نَمْنَعُ كُلَّ عَارِ

وأما حلف الأحابيش مع قريش: فقد قال الزبير بن بكار: حدثنى محمد بن الحسن قال: تحالفت قريش والأحابيش، فصارت الأحابيش حلفًا لقريش دون بنى كنانة، والذين جروا حلفهم لقريش بنو عبد مناف بن قصى، والأحابيش: هم بنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة، والحياء، والمصطلق بن خزاعة والقارة: بنو الهون بن خزيمة بن مدركة، ومالك، وملكان ابنا كنانة، وهذيل كلهم: يدًا واحدة مع قريش، وكانت خزاعة كلُّها إلا الحياء والمصطلق مع بنى مدلج، وكان تحالف قريش والأحابيش على الركن، يقوم رجل من قريش، والآخر من الأحابيش؛ فيضعان أيديهما على الركن؛ فيحلفان بالله وبحرمة هذا البيت والمقام والركن والشهر الحرام على النصر على الخلق جميعًا حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وعلى التعاون والتعاقل، وعلى من عاداهم من الناس جميعًا، ما طلعت الشمس من مشرقها وما غربت من مغربها، تدونا ونديكم إلى يوم القيامة.

قلت: ورأيت فى بعض كتب السير: إنما سموا الأحابيش؛ لعقدهم ذلك الحلف عند جبل بأسفل مكة، يقال له: حبشى، فالله تعالى أعلم بالحقائق.

وأما يوم الفِجَار الأول: فقال الفاكهى عند ذكر الفِجَار الأول، وما كان فيه بين قريش وقيس عيلان وسبب ذلك: حدثنا عبد الملك بن محمد، عن زياد بن عبد الله، عن محمد بن إسحاق قال: ثم هاج يوم الفجار الأول بين قريش ومن كان إليها من كنانة كلها وبين قيس عيلان، سببه أن رجلًا من بنى كنانة كان عليه دَيْنٌ لرجل من

بنى نضر بن معاوية بن بكر بن هوازن، فأعدم به الكنانى، فوافاه النضرى بسوق عكاظ بقردٍ معه، فوقف به فى السوق فقال: من يبيعنى مثل هذا بمالى على فلان ابن فلان الكنانى، وإنما أراد بذلك تعيير الكنانى وقومه، فمر به رجلٌ من كنانة، فضرب القرد بالسيف فقتله أنفًا مما يقول النضرى، فصرخ النضرى فى قيس، وصرخ الكنانى فى بنى كنانة، فتجاوز الناس حتى كاد أن يكون بينهم قتال، ثم تداعوا إلى الصلح ويسر الخطب فى أنفسهم، فتراجع الناس وكف بعضهم عن بعض، ولم يكن بينهم إلا ذلك.

ويقال: بل سببه أنَّ فتية من قريش قعدوا إلى امرأة من بنى عامر فى هيئة جميلة، وهى فى درع فضل، وكذلك كُنَّ نساء العرب تفعل، فأعجبهم ما رأوا من حسن هيئتها، فقالوا لها: يا أمة الله، أسفرى لنا عن وجهك ننظر إليك، فأبت عليهم، فقام غلام منهم إلى خلفها فشك درعها إلى ظهرها بشوكة والمرأة لا تدرى، فلما قامت انكشف الدرع عن دبرها، فضحكوا، وقالوا: منعتينا أن ننظر إلى وجهك، فقد نظرنا إلى دبرك، فصاحت المرأة ببنى عامر فضجت، فتجاوز الناس، ثم ترادوا ورأوا أن الأمر دون ذلك.

وقيل فى السبب: إن رجلًا من بنى غفار بن مدركة بن خندف، يقال له: أبو ميسرة كان عارفًا من العراف متعنتًا فى نفسه بسوق عكاظ، فمد رجله وقال: [من الرجز]

أَنَا ابْنُ مُدْرِكَةَ بْنِ خِنْدِفِ   مَنْ يَطْعَنُوا فِى عَيْنِهِ لَمْ يَطْرُفِ

وَمَنْ تَكُونُوا قَوْمَهُ يُغَطْرِفِ

أنا والله أعز العرب، فمن زعم أنه أكرم منى فليضربْهَا بالسيف، فضربها رجل من قيس بالسيف، فخدشها خدشًا غير كبير، فتجاوز الناس عند ذلك، حتى كاد أن يكون بينهم قتال ثم تراجعوا ورأوا أنه لم يكن كبير أمرٍ، فكل هذا الحديث يقال في سبب حرب الفجار الأول، والله أعلم أى ذلك كان هو.

وأما حرب الفِجار الثانى: فقال العلامة التقى الفاسى: قال ابن هشام [1]: لما بلغ رسول الله ﷺ أربع عشرة سنة أو خمس عشرة سنة - فيما حدثنى أبو عبيدة

---

(١) ينظر: السيرة النبوية (١/٢٠٨-٢١٠)، الروض الأنف (١/٢٠٩-٢١١)، سبل الهدي والرشاد (٢/١٥٢).

النحوى، عن أبى عمرو بن العلاء قال: هاج حرب الفِجَار بين قريش ومن معها من بنى كنانة وبين قيس عيلان. وكان الذى هاجها أن عروة الرحال بن عتبة بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن أجاز لطيمة للنعمان بن المنذر (واللطيمة: البعير يحمل الطيب والجواهر والثياب والتجارة، وإجازتُها إيصالُها سالمةً إلى مقصدها فى خفارته) فقال له البرّاض بن قيس أحد بنى ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة: أتجيزها يا عروة على كنانة ؟ قال عروة: نعم، وعلى الخلق أجمعين. فخرج فيها عروة الرحال، وخرج البراض، يطلب[1] غفلته حتى إذا كان بـ« تيمن ذى طَلَّال »[2] بالعالية غفل عروة فوثب عليه البراض، فقتله فى الشهر الحرام؛ فلذلك سمى: حرب الفِجار، وقال البَرَّاض فى ذلك: [من الوافر]

وَدَاهِيَـةٍ تَـهُـمُّ الـنَّـاسَ قَـبْـلِـى ... شَدَدتُّ لَهَا بَنِى بَكْرٍ ضُلُوعِى

هَدَمْتُ بِهَا بُيُوتَ بَنِى كِلَابِ ... وَأَرْضَعْتُ المَوَالِى بِالضُّرُوعِ[3]

رَفَعْتُ لَهَا بِذِى طلَّالِ[4] كَفِّى ... فَخَرَّ يَمِيدُ كَالْجِذْعِ الصَّرِيعِ

وقال لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب يحث على الطلب بدم عروة الرحال: [من الوافر]

فَبَلِّغْ إِنْ عَرَضْتَ بَنِى كِلَابِ ... وَعَامِرَ وَالْخُطوبُ لَهَا تَوَالِى[5]

وَأَبْلِغْ إِنْ عَرَضْتَ بَنِى نُمَيْرِ ... وَأَخْوَالَ القَتِيلِ بَنِى هِلَالِ

بِأَنَّ الـوَافِـدَ الـرَّحَّـالَ أَمْـسَـى ... مُقِيمًا عِنْدَ تَيْمَنَ ذِى طَلَالِ[6]

وهذه الأبيات من أبيات له ذكرها ابن هشام. [قال ابن هشام]: فأتى آت قريشًا

---

(١) في ط: فطلب. والمثبت من السيرة والسبل، وهو الصواب. والله أعلم.

(٢) في ط: بذي ظلال. والمثبت من السيرة والسبل و « تيمن »: بكسر الميم وفتحها؛ تفعِل أو تفعَل من اليمن أو اليمين. وينظر: الروض الأنف (١/ ٢١١).

(٣) في ط: بالفروع. والمثبت من السيرة. وفي « الروض »: « وألحقت الموالي بالضروع » وقال: « جمع ضرع، هو في معنى قولهم: لئيم راضع؛ أي ألحقت الموالي بمنزلتهم من اللؤم ورضاع الضروع وأظهرت فسالتهم (أي: رذالتهم) وهتكت بيوت أشراف بني كلاب وصرحائهم » ينظر الروض الأنف (١/ ٢١٠).

(٤) في ط: ظلال. والمثبت من السيرة والروض والسبل. وهو الصواب وهو مشدد اللام؛ لأنه « فعال من الطل؛ كأنه موضع يكثر فيه الطل ». ينظر الروض (١/ ٢١٠).

(٥) في السيرة والروض: « موالي ».

(٦) « طلال » هنا بالتخفيف للضرورة؛ لأنه فعَّال من الطل، كما مر. وفي ط: ظلال.

فقال: إن البَرَّاض قد قتل عروة [وهم] فى الشهر الحرام بعُكَاظَ، فارتحلوا وهوازن لا تشعُر، ثم بلغهم الخبر فاتبعوهم فأدركوهم قبل أن يدخلوا الحرم، فاقتتلوا حتى جاء الليل، ودخلوا الحرم، فأمسكَتْ عنهم هوازن، ثم التقوا بعد هذا اليوم أيامًا، والقوم متنابذون، على كل قبيلة من قريش وكنانة رئيس منهم [وعلى كل قبيل من قيس رئيس منهم] (١)، وشهد رسول الله ﷺ بعض أيامهم، أخرجه أعمامه [معهم]، وقال رسول الله ﷺ: « كنت أنبلُ على أعمامى » أى: أرد عنهم (٢) نَبْلَ عدوهم إذا رموهم.

قال ابن إسحاق: وإنما سمى حرب الفجار بما استحل فيه هذان الحَيَّان - كنانة وقيس عيلان - من المحارم بينهم

وكان قائد قريش وكنانة حرب بن أمية بن عبد شمس، فكان أول الأيام بعد يوم نخلة، فالتقوا بعكاظ، وكان يسمى: « يوم شيظمة »؛ فكانت هوازن من وراء السيل، وقريش وبنو كنانة فى بطن الوادى. وقال لهم حرب بن أمية: إن انتحت قريش، فلا تبرحوا مكانكم، وعبأت هوازن وأخذوا مصافَّهم، وعبأت قريش وكان على إحدى المجنبتين عبد الله بن جُدْعَان، وعلى الأخرى كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، وحرب بن أمية فى القلب، فكانت الدائرة أول النهار لكنانة على هوازن، حتى إذا كان آخر النهار، وصبرت هوازن، فاستحرَّ القتل فى قريش، فلما رأى ذلك الذين فى بطن الوادى من كنانة، مالو إلى قريش وتركوا مكانهم، فلما فعلوا ذلك، استحرَّ القتل بهم، فقتل تحت رايتهم ثمانون رجلًا، فكان هذا اليوم - وهو يوم شيظمة - لهوازن على كنانة.

ثم كان « يوم العبلاء »، قال: حدثنى الأزدى، قال: حدثنى محمد عن أبى عبيدة قال: وجمع هؤلاء وهؤلاء، فالتقوا يوم العبلاء - وهو الجبل إلى جنب عكاظ - ورؤساؤهم الذين كانوا يوم شيظمة بأعيانهم، فكانت الدائرة لهوازن على كنانة أيضًا.

ثم كانوا يوم سرب، قال: ثم جمع الفريقان، فالتقوا عند قرن الخيول، فاقتتلوا بسرب من عكاظ، وعليهم رؤساؤهم الذين كانوا قبل، ولم يكن يوم أعظم منه يومئذ، وحمل يومئذ ابن جُدعان ألفًا على ألف بعير فالتقوا، وقد كان لهوازن على

(١) المثبت من السيرة.
(٢) في ط: عليهم. والمثبت من السيرة.

كنانة يومان متواليان: يوم شيظمة، ويوم العبلاء، فخشوا مثلهما، وحافظوا يومئذ، وقيدت بنو أمية فيه أنفسهم، وحافظت بنو مخزوم وصبرت، وكذلك صبرت هوازن، وذلك أن عكاظ بلد لهم به نخلٌ وأموال. فلم يعبوا شيئًا فقاتلوا حتى أمسوا وانهزموا (١).

ثم قال: حدثنى محمد بن الضحاك، عن أبيه قال: العنابس: حرب وأبو حرب وسفيان وأبو سفيان بنو أمية بن عبد شمس، وإنما سموا العنابس؛ لأنهم قيدوا أنفسهم يوم عكاظ، وقاتلوا قتالاً شديدًا فشبهوا بالأسد، والأسد يقال له: العنبس، ولابن الزبعرى فيهم أشعار بليغة، وقد ذكروا أن خويلد بن أسد وهو أبو السيدة خديجة زوج النبى ﷺ كان يوم عكاظ على بنى أسد بن عبد العزى.

ثم كان يوم الجزيرة، حدَّثنى الأزدى قال: حدثنى محمد بن حبيب الهاشمى، عن أبى عبيدة قال: كانت فيه الدائرة لهوازن على كنانة، وهى حرة إلى جنب عكاظ مما يلى مهب جنوبها لمن يقبل، يريد مكة فى مهب صبائها، حتى تنقطع دون قرن، قتل فيه أبو سفيان بن أمية. ومن كنانة ثلاثة رهط، وقتل ورقاء بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن عمرو بن عامر.

فهذه أيام الفجار الخمسة التى تراجفوا فيها فى أربع سنين، أولهنَّ يوم نخلة حين تبعتهم هوازن فكان كفافًا لا ولا، ثم يوم شيظمة، وكان لهوازن على كنانة، ثم يوم عكاظ وهو يوم العبلاء، فكان لهوازن على كنانة أيضًا، ثم يوم سرب، وهو يوم عكاظ الثانى كان لبنى كنانة على هوازن، ولم يكنْ بينهم يوم أعظم منه، ثم يوم الجزيرة وهو آخر أيامهم. قال: ثم كان الرجلُ يلقى الرجل أو الرجلين أو أكثر من ذلك أو أقل فيقتتلون، فربما قتل بعضهم بعضًا، فلقى ابن محمية أخو بنى الدئل بن بكر. أخا خداش بن زهير بالصفاح، فقال زهير: إنى حرام جئت معتمرًا، فقتله، ثم ندم، فقال لهم: إن العامرى المعتمر لم آتِ فيه عذرًا لمعتذر.

ثم إن الناس تداعوا إلى الصلح والسلم على أن يَدِىَ الفضلُ من القتلى الذين فيهم أى الفريقين أفضل على الآخر، فتواعدوا عكاظ وتعاقدوا وتوافقوا على أن يتموا ذلك، وجعلوا بينهما أمدًا يلتقون فيه لذلك، فأبى وهب بن معتب وطف على قومه،

---

(١) ينظر: سبل الهدى والرشاد (٢/ ١٥٢)، وهناك بعض الاختلاف في أسماء الأيام.

وجعل لايرضى بذلك، حتى يدركوا ثأرهم، فقال فى ذلك أمية بن جدعان:
[من الكامل]

أَلْمَرْءُ وَهْبٌ وَهْبُ آلِ مُعَتِّبٍ مَلَّ الغُوَاة وَمَنْ يُمَاطِلْ يَمْلَلِ
يَسْعَى لِيُوقِدَهَا بِجَزْلٍ وَقُودِهَا وَإِذَا تَعَايَا صُلْحُ قَوْمِكَ تَأْتَلِى

واندس وهْبٌ حتى مكرت هوازن بكنانة، وهم على الصلح، فبعث خيلاً عليها مسلمة بن شعل البكائى، وخالد بن هوذة فى ناس من بنى هلال، ورئيسهم ربيعة بن أبى طيبان، وناس من بنى نصر عليهم مالك بن عوف، فأغاروا على بنى ليث بصفراء الغميم، وهم غارون فقاتلوهم، وجعل مالك بن عوف يرتجز، وهو أمرد يومئذ:
[من الرجز]

أَمْـرَدُ يَـهْـدِى حِـلْـمُـهُ شيبَ الـلـحَى

قلت: وهذا مالك بن عوف هو الرئيس على هوازن أيام يوم حنين حين قاتلهم رسول الله ﷺ فهزمهم، ثم رجعوا إلى الطائف إلى حصنهم، فحاصرهم رسول الله ﷺ ولم يؤذن له فى فتحه فرجع عنه وقال: « اللهم، اهد ثقيفًا، وائت بهم »[(١)]، ثم أتوه مسلمين بعد ذلك. انتهى.

وهذا اليوم هو أول يوم ذكر فيه مالك بن عوف، فقتلت بنو مدلج يومئذ عبيد بن عوف البكائى، وسبيع بن أبى المؤمل بن محارب، ثم انهزمت بنو الليث، فاستحرَّ القتل ببنى الملوح بن يعمر، فقتلوا منهم ثلاثين رجلاً سوى النساء وساقوا البهائم، ثم أقبلوا فعرضت لهم خزاعة وطمعوا فيهم، فقاتلوهم، فلما رأوا أنهم لابدَّ لهم منهم قالوا: اعرضونا من غنيمتكم عراضة، قال: فحملوا سريتهم، ثم إن الناس تداعوا إلى الصلح ورهنوا رهانًا بالوفاء، بل مات من كان له الفضل فى القتلى، وتم الصلح، ووضعت الحرب أوزارها.

قال الزبير بن بكار: حدثنى محمد بن الحسن، عن حماد بن موسى، عن عبد الله بن عون بن الزبير، قال: حدثنى حكيم بن حزام قال: لما توافت كنانة وقيس من العام القابل بعكاظ بعد العام الأول الذى كانوا التقوا فيه، ورأس الناس حرب بن

(١) أخرجه أحمد (٣/٣٤٣)، والترمذي (٥/٧٢٩) كتاب المناقب باب مناقب في ثقيف وبني حنيفة، حديث (٣٩٤٢) من طريق عبد الرحمن بن سابط وأبي الزبير عن جابر. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

أمية، خرج معه عتبة بن ربيعة وهو يومئذ فى حجر حرب، فمنعه حرب أن يخرج وقال: يابنى أنا لك، فاقتاد راحلته وتقدم فى أول الناس؛ فلم يدر به حرب إلا وهو فى العسكر، قال حكيم بن حزام: فنزلنا عكاظ، ونزلت هوازن بجمع كبير، فلما أصبحنا ركب عتبة جملًا ثم صاح فى الناس: يا معشر مضر، علام تتفانون بينكم ؟ هلموا إلى الصلح ؟ فقالت هوازن: وماذا تعرض ؟ قال: أعرض أن أعطى دية من أصيب، قالوا: ومن أنت ؟ قال: أنا عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، قالوا: قد قبلنا، فأصلح الناس ورضوا بما قال عتبة، وأعطوهم أربعين رجلًا من فتيان قريش - وكنت فيهم، يعنى القائل نفسه وهو حكيم بن حزام - قال: فلما رأت بنو عامر أن الرهن قد صار فى أيديهم، رغبوا فى العفو، فأطلقوهم أجمعين.

قال الزبير: وسمعت عبد الله بن عبد الله بن عمر يقول: لم يَسُدْ محلق من قريش إلا عتبة بن ربيعة هذا، وأبو طالب بن عبد المطلب، فإنهما سادا بغير مال. انتهى

قلت: الداء قديم، وهذا عتبة بن ربيعة هو أبو هند بنت عتبة زوج أبى سفيان صخر بن حرب بن أمية، وهى والدة معاوية بن أبى سفيان، فهو جد معاوية لأمه.

وكلام مغلطاى فى سيرته يقتضى أن أيام الفجار ستة؛ لأنه قال: وأيام الفجار على ما قاله السهيلى، والصواب أنها ستة.

أقول: قد ذكرت فيما تقدم أن الصحيح أنها خمسةٌ، وعددتها بأسمائها وأماكنها لا ستة ولا أربعة، والله أعلم.

وكان حلف الفضول بعد حرب الفجار؛ لأنها كانت فى شعبان، وكان حلف الفضول فى ذى القعدة قبل المبعث بعشر سنين، فكان حلف الفضول أكرم حلف يسمع به وأشرفه فى العرب، وكان فى دار عبد الله بن جدعان؛ كما تقدم، قاله العلامة التقى الفاسى [1]. انتهى

ولنذكر شيئًا من خبر عبد الله بن جدعان، هذا الذى كان حلف الفضول فى داره: هو عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر القرشى التيمى، يكنى: أبا زهير، من رهط أبى بكر الصديق - رضى الله عنه - كان من رؤساء قريش وأجودهم، وله فى الجود أخبار مشهورة.

---

(١) ينظر: شفاء الغرام (٢/ ١٠٤).

منها: أنه كانت له جفنة للأضياف يُستظل فى ظلها فى الهاجرة؛ لأن فى غريب الحديث لابن قتيبة: أن رسول الله ﷺ قال: « كنت أستظل بظلِّ جفنة عبد الله بن جدعان فى الهاجرة »[١]، قال ابن قتيبة: كانت جفنته يأكل منها الراكب على بعيره، وسقط فيها صبيٌّ فغرق، أى: مات [٢].

ومنها - على ما قاله ابن هشام بن الكلبى -: كان له مناديان ينادى أحدهما بأسفل مكة، والآخر بأعلاها، وكان أحدهما سفيان بن عبد الأسد، والآخر أبا قحافة، وكان أحدهما ينادى: ألا من أراد اللحم والشحم، فليأت دار ابن جدعان، وينادى الآخر: إن من أراد الفالوذج، فليأت دار ابن جدعان، وهو أول من أطعم الفالوذج بمكة؛ ذكر هذا الفاكهى فى أخبار مكة.

ومنها: أن أمية بن أبى الصلت قبل أن يمدح ابن جدعان كان قد أتى [بني][٣] الريان[٤] من بنى الحارث بن كعب؛ فرأى طعام بنى الريان [٥] لباب البرِّ والشهد والسمن، وكان طعام ابن جدعان التمر والسويق ويسقى اللبن، فقال أمية: [من الكامل]

وَلَقَدْ رَأَيْتُ الفَاعِلِينَ وَفِعْلَهُمْ ... فَرَأَيْتُ أَكْرَمَهُمْ بَنِى الرَّيَّانِ[٦]
أَلْبُرُّ يُلْبَكُ بِالشُّهادِ طَعَامُهُمْ ... لاَ مَا يُعَلِّلُنَا بَنُو جُدْعَانِ

فبلغ خبر شعره عبد الله بن جدعان، فأرسل ألفى بعير إلى الشام تحمل إليه البر والشهد والسمن، وأمر مناديًا ينادى على الكعبة: ألا هلموا إلى جفنة عبد الله بن جدعان، فقال أمية بن أبى الصلت عند ذلك: [من الوافر]

لَـهُ دَاعٍ بِـمَكَّـةَ مُشْـمَعِـلٌّ ... وَآخَرُ فَوْقَ كَعْبَتِهَا يُنَادِى
إلى رُدُحٍ مِنَ الشِّيزَى عَلَيْهَا ... لُبَابُ البُرِّ يُلْبَكُ بِالشِّهَادِ

وقد كان عبد الله بن جدعان فى بدء أمره صعلوكًا ترب اليدين، وكان مع ذلك

---

(١) ينظر: شفاء الغرام (٢/ ١٠٤)، والروض (١/ ١٥٨).
(٢) ينظر الشفاء (٢/ ١٠٤)، والروض (١/ ١٥٨).
(٣) المثبت من الروض (١/ ١٥٨).
(٤) في الروض: « الدَّيان ».
(٥) في الروض: « المدَان ».
(٦) في الروض: « الديان ».

شريرًا فاتكًا لايزال يجنى الجنايات؛ فيعقل عنه أبوه وقومه، حتى أبغضته عشيرته ونفاه أبوه وحلف أن لا يؤويه أبدًا لما أثقله به من الغرم وحمل الديات، فخرج فى شعاب مكة حائرًا دائرًا [١] يتمنى الموت ينزل به، فرأى شقًّا فى جبل، فظن فيه حية فتعرَّضَ للشق يرجو أن يكون فيه ما يقتله فيستريح، فلم ير شيئًا، فدخل فيه، فإذا فيه ثعبان عظيم له عينان تقدان كالسراجين فحمل عليه الثعبان، فأفرج [٢] له، فانساب عنه مستديرًا بدارة عندها بيتٌ، فخطا خطوة أخرى، فأقبل عليه الثعبان كالسهم [٣] فأفرج عنه، فانساب عنه قدمًا لا ينظر إليه، فوقع فى نفسه أنه مصنوع، فأمسكه بيده فإذا هو مصنوع من ذهب وعيناه ياقوتتان، فكسره وأخذ عينيه، ودخل البيت، فإذا جثث طوال على سرر طوال لم ير مثلهم طولاً وعظمًا، وعند رءوسهم لوح من فضة فيه تاريخهم، وإذا هم رجال من ملوك جرهم، وآخرهم موتًا الحارث بن مضاض صاحب الغربة الطويلة (الذى استأجر من إياد العشرة الأبعرة؛ كما تقدَّم)[٤]، عليهم ثياب لا يمسُّ منها شيئًا إلا انتثر كالهباء من طول الزمن، وشعر مكتوب فى لوح فيه عظات.

وقال ابن هشام: كان اللوح من رخام، وكان فيه: « أنا نفيلة بن عبد المدان بن خشرم بن عبد ياليل بن جرهم بن قحطان بن هود النبى -عليه السلام- عشت خمسمائة عام، وقطعت غور الأرض باطنها وظاهرها فى طلب الثروة والمجد والملك، فلما حصلته لم يكنْ ذلك ينجينى من الموت »، وتحته مكتوب: [من الخفيف]

قَدْ قَطَعتُ البِلَادَ فِى طَلَبِ الثَّرْ ... وةِ والمَجْدِ قَالِصَ الأَثْوَابِ
وَسَرَيتُ البِلَادَ قَفْرًا لِقَفْرِ ... بِشَبَابِى وَقُوَّتِى وَاكْتِسَابِى
فَأَصَابَ الرَّدَى بَنَاتِ فُؤَادِى ... بِسِهَامٍ مِنَ المَنَايَا صِيَابِ
فَانْقَضَتْ شِرَّتِى وَأَقْصَرَ جَهْلِى ... وَاسْتَرَاحَتْ عَوَاذِلِى مِنْ عِتَابِى
وَدَفَعْتُ البَيضَاءَ بِالحِلْمِ لَمَّا ... نَزَلَ الشَّيْبُ فِى مَحَلِّ الشَّبَابِ

(١) في الروض: بائرًا.
(٢) في ط: فأحرج والمثبت من الروض.
(٣) في الروض: فصفر به الثعبان وأقبل عليه كالسهم.
(٤) هذا من كلام المصنف في أثناء كلام « الروض ».

صَاحِ هَلْ رَيْتَ[١] أَوْ سَمِعْتَ بِرَاعٍ رَدَّ فى الضَّرْعِ مَا قَرَى فِى الحِلَابِ

ثم نظر، فإذا فى وسط البيت كوم عظيم من الياقوت واللؤلؤ والزبرجد، فأخذ منه ما أخذ، ثم علَّم على الشق بعلامة، وأغلق بابه بالحجارة، وأرسل إلى أبيه بالمال الذى خرج به يسترضيه ويستعطفه، ووصل عشيرته بعد ذلك كلّهم فسادهُمْ، وجعل ينفق من ذلك الكنز، ويطعم الناس، ويفعل المعروف[٢].

وفى كتاب رى العاطش وأنس الواحش لأحمد بن عمار: أن ابن جدعان ممن حرم الخمر فى الجاهلية بعد أن كان مغرى بها، وذلك أنه سكر ليلة، فطفح ومد يده إلى القمر، فأخبر بذلك حين صَحَا، فحلف لا يشربها أبدًا. ولما كبر وهرم، أرادت قبيلته بنو تيم أن يمنعوه من تبذير ماله ولاموه فى العطاء، فكان يدعو الرجل، فإذا دنا منه، لطمه لطمة خفيفة، ثم قال: قم فأنشد لطمتك، واطلب ديتها، فإذا فعل ذلك، أعطته بنو تيم من مال ابن جدعان حتى يرضى عن لطمته[٣].

وفى صحيح مسلم: أن عائشة - رضى الله عنها - قالت: يا رسول الله، إن ابن جدعان كان يطعم الطعام ويقرى الضيف، فهل ينفعه ذلك يوم القيامة ؟ فقال: « لا؛ لأنه لم يقل يومًا: رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين ».[٤] انتهى

وقد ورد عنه ﷺ لما أمر بأن يستطلع خبر القتلى من قريش يوم بدر، قال: انظروا أبا جهل، فإن فى ساقه أثرًا، كنت تزاحمتُ أنا وهو فى مائدة ابن جدعان فزحمته، فوقع، فخدشت ساقه؛ فذلك الأثر بها، أو كما قال ﷺ.

ثم هلك ابن جدعان.

أقول: ذكر الفاكهى فى وفاة ابن جدعان هذا، خبرًا غريبًا فقال: هلك عبد الله ابن جدعان، فبكته الجن والإنس، فأما بكاء الجن: فحدثنى إبراهيم بن يوسف المكى قال: حدثنا إسماعيل بن زياد، عن ابن جريج؛ أن عبد الله بن عباس - رضى الله عنهما - قال: إن النباش بن زرارة أخا حاجب بن زرارة التميمى، وكان حليفًا

---

(١) رَيْت؛ أى: رأيت.
(٢) ينظر: هذا الكلام بطوله في الروض الأنف (١/١٥٨-١٥٩).
(٣) ينظر: الروض الأنف (١/١٥٩-١٦٠).
(٤) أخرجه أحمد (٦/٩٣)، ومسلم (١/١٩٦) كتاب الإيمان باب الدليل على أن من مات على الكفر لا ينفعه عمل، حديث (٣٦٥، ٢١٤).

لقريش، قال: خرجنا تجارًا فى الجاهلية، وعبد الله بن جدعان حىٌّ حين خرجنا، فلما سرنا نحو خمس عشرة ليلة، نزلنا ذات ليلة، واشتهينا أن نصبح بذلك المكان، قال: فنام أصحابى وأصابنى أرقٌ شديد، فإذا هاتف يهتف يقول: [من الطويل]

أَلاَ هَلَكَ البُهْلُولُ غَيْثُ بَنِى فِهرِ وَذُو العِزِّ والمجدِ التَّلِيدِ وَذُو الفَخْرِ

فأجبته: [من الطويل]

أَلاَ أَيُّهَا النَّاعِى أَخَا المَجْدِ وَالذِّكْرِ مَنِ المَرْءُ تَنْعَاهُ لَنَا مِنْ بَنِى فِهرِ ؟

فأجابنى الهاتف: [من الطويل]

نَعَيْتُ ابْنَ جُدْعَانِ بْنِ عَمْرٍو أَخَا النَّدَى وَذَا الحَسَبِ القدمُوسِ والمَنْصِبِ الفَخْرِ

قال: فأجبته: [من الطويل]

لَعَمْرِى لَقَدْ نَوَّهتَ بِالسَّيِّدِ الَّذِى لَهُ الفَضْلُ مَعْلُومٌ عَلَى وَلَدِ النَّضْرِ

فَأَخبرْ وَأَخبِرْ إِنْ عَلِمْتَ وَفَاتَهُ فَإِنَّكَ قَدْ أَخْبَرْتَ جِلًّا مِنَ الأَمْرِ

فأجابنى الهاتف: [من الطويل]

مَرَرْتُ بِنِسْوَانٍ يُخَمِّشْنَ أَوْجُهَا عَلَيْهِ صَبَاحًا بَيْنَ زَمْزَمَ والحِجْرِ

قال: فأجبته فقلت: [من الطويل]

مَتَى قَدْ ثَوَى، عَهْدِى بِهِ مُنْذُ جُمْعَةٍ وَسِتَّةِ أَيَّامٍ لِغُرَّةِ ذَا الشَّهْرِ

فقال الجنى: [من الطويل]

ثَوَى مُنْذُ أَيَّامٍ ثَلاَثٍ كَوَامِلٍ مَعَ الصُّبْحِ أَوْ فِى الصُّبْحِ مَعْ وَضَحِ الفَجْرِ

قال: فاستيقظت الرفقة، وهى تتراجع بنعى ابن جدعان، وقال: إن كان أحد نعى بعز وشرف، فقد نعى ابن جدعان، فقال الجنى: [من الوافر]

أَرَى الأَيَّامَ لاَ تُبْقِى عَزِيزًا لِعِزَّتِهِ وَلاَ تُبْقِى ذَلِيلاَ

فأجبته فقلت: [من الوافر]

وَلاَ تُبْقِى مِنَ الثَّقَلَيْنِ حَيًّا وَلاَ تُبْقِى الجِبَالَ وَلاَ السُّهُولاَ

ثم ذكر شيئًا من رثاء الإنس لا نطوّل بذكره[١].

رجع: فلم يزل عبد الدار يلى حجابة البيت وولاية دار الندوة واللواء حتى هلك، فجعل قبل هلكه الحجابة بعده إلى ابنه عثمان بن عبد الدار، وجعل دار الندوة إلى

---

(١) ينظر شفاء الغرام (٢/١٠٦-١٠٧).

ابنه عبد مناف بن عبد الدار، فكانت قريش إذا أرادت التشاور فى أمرها، فتحتها لهم عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، أو بعض ولده، أو ولد أخيه. وكانت الجارية إذا بلغت، دخلت دار الندوة، ثم شق عليها بعض ولد عبد مناف بن عبد الدار درعها، ثم درعها إياه، وانقلبت إلى أهلها فحجبوها، وذلك كما كان يفعله قصى بن كلاب، ولم يزل بنو عثمان بن عبد الدار يلون الحجابة دون ولد عبد الدار، ثم وليها عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار، ثم وليها ولده أبو طلحة عثمان بن طلحة حتى كان فتح مكة، فقبضها رسول الله ﷺ من أيديهم وفتح الكعبة ودخلها، ثم خرج من الكعبة مشتملاً على المفتاح، فقال له العباس بن عبد المطلب: بأبى أنت وأمى، يا رسول الله، أعطنا الحجابة مع السقاية، فقال: أعطيكم ما ترزءون فيه ولا ترزءون به، وأنزل الله الآية: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ ﴾ [النساء: ٥٨] ثم دعا عثمان بن طلحة، فدفع إليه المفتاح، وقال: « خذوها يابنى طلحة، بأمانة الله سبحانه وتعالى، واعملوا فيها بالمعروف خالدة تالدة، لا ينزعها منكم - ما استقمتم - إلا ضال أو ظالم[1] »، فلما خرج عثمان [بن طلحة] بن أبى طلحة إلى الهجرة مع النبى ﷺ، أقام ابن عمه شيبة بن أبى طلحة، فلم يزل يحجب هو وولد أخيه وهب بن عثمان.

وأما اللواء: فكان فى أيدى بنى عبد الدار جميعهم، يليه منهم ذو السيف والشرف فى الجاهلية، حتى كان يوم أحد، فقتل عليه تسعة منهم، أشار إلى ذلك حسان بن ثابت شاعر النبى ﷺ فيما قاله من الشعر يوم أحد بقصيدة هى هذه: [من الخفيف]

مَنَعَ النَّوْمَ بِالعِشَاءِ الهُمُومُ ... وَخَيَالٌ إِذَا تَغُورُ النُّجُومُ
مِنْ حَبِيبٍ أَصَابَ[2] قَلْبَكَ مِنْهُ ... سقَمٌ فَهُوَ دَاخِلٌ مَكْتُومُ
يَالَقَوْمِى هَل يَقْتُلُ المَرْءَ مِثْلِى ... وَاهِنُ البَطْشِ وَالعِظَامِ سَئُومُ
لَوْ يَدُبُّ الحَوْلِيُّ مِنْ وَلَدِ الذَّرْ ... رِ عَلَيْهَا لَأَنْدَبَتْهَا الكُلُومُ
شَأْنُهَا العِطْرُ وَالفِرَاشُ وَيَعْلُو ... هَا لُجَيْنٌ وَلُؤْلُؤٌ مَنْظُومُ
لَمْ تَفُتْهَا شَمْسُ النَّهَارِ بِشَىءٍ ... غَيْرَ أَنَّ الشَّبَابَ لَيْسَ يَدُومُ

(١) تقدم تخريجه.
(٢) في السيرة: أضاف.

إِنَّ خَالِى خَطِيبُ جَابِيَةِ الجوْ ... لاَنِ عِنْدَ النُّعْمَانِ حِينَ يَقُومُ
وَأَنَا الصَّقْرُ عِنْدَ بَابِ ابْنِ سلْمَى ... يَوْمَ نُعْمَانُ فِى الكُبُولِ سَقِيمُ
وَأُبَىٌّ وَوَاقِدٌ أُطْلِقَا لِى ... يَوْمَ رَاحَا وَكَبْلُهُمْ مَخْطُومُ
وَرَهَنْتُ اليَدَيْنِ عَنهُمْ جَمِيعًا ... كُلُّ كَفٍّ جُزْءٌ لَهَا مَقْسُومُ
وَسَطَتْ نِسْبَتِى الذَّوَائِبَ مِنهُمْ ... كُلُّ دَارٍ فِيهَا أَبٌ لِى عَظِيمُ
وَأَبِى فِى سميحَة القَائِلُ الفَا ... صِلُ يَوْمَ التَقَتْ عَلَيْهِ الخُصُومُ
تِلك أَفْعَالُنَا وَفِعْلُ الزِّبعرَى ... خَامِلٌ فِى صَدِيقِهِ مَذْمُومُ
رُبَّ حِلْمٍ أَضَاعَهُ عَدَمُ المَا ... لِ وَجَهْلٍ غطا[1] عَلَيْهِ النَعِيمُ
إِنَّ دَهْرًا يَبُورُ فِيهِ ذَوُو الْعِلْـ ... ـمِ لَدَهْرٌ هُو العَتُوُّ الزَّنِيمُ[2]
لاَ تَسُبَّنَّنِى فَلَسْتَ بِسِبِّى ... إِنَّ سِبى مِنَ الرِّجَالِ الكَرِيمُ
مَا أُبَالِى أَنَبَّ بالحُزْنِ تَيْسٌ ... أَمْ لَحَانِى بِظَهْرِ غَيْبٍ لَئِيمُ
وَلِىَ البَأْسُ مِنكُمُ إِذْ رَحَلْتُمْ ... أسرةٌ مِنْ بَنِى قُصَىٍّ صَمِيمُ
تِسْعَةٌ تَحْمِلُ اللوَاءَ وَطَارَتْ ... فِى رَعَاعٍ مِنَ القَنَا مَخْزُومُ
وَأَقَامُوا حَتَّى أُبِيحُوا جَمِيعًا ... فِى مَقَامٍ وَكُلُّهُمْ مَذْمُومُ
بِدَمِ عَاتِكٍ[3] وَكَانَ حِفَاظًا ... أَنْ يُقِيمُوا، إِنَّ الكَرِيمَ كَرِيمُ
وَأَقَامُوا حَتَّى أُزِيرُوا شَعُوبًا ... وَالْقَنَا فِى نُحُورِهِمْ مَحْطُومُ
وَقُرَيْشٌ تَفِرُّ مِنَّا لِوَاذًا ... أَنْ يُقِيمُوا وَخَفَّ مِنْهَا الْحُلُومُ
لَمْ تُطِقْ حَمْلَهُ العَوَاتِقُ مِنْهُمْ ... إِنَّمَا يَحْمِلُ اللوَاءَ النُّجُومُ[4]

والشاهد فى قوله: « تسعة تحمل اللواء »، وانظر إلى قوله: « إن الكريم كريم » ما ألطفه وأصدقه !!

---

(١) وقع في ط، وفي السيرة: غطّى. وقال في الروض الأنف (٣/ ٢١٩): « غطا بتخفيف الطاء؛ أنشده يونس بن حبيب وهكذا كان في حاشية الشيخ مذكورًا عن يونس ومعناه: ارتفع وعلا. وأنشد القتبي:

ومن تعاجيب خلق الله غاطية ... ...

(٢) الزنيم: اللئيم المعروف بلؤمه أو شره. الوسيط (زنم).

(٣) عاتك: شديد الحمرة. الوسيط (عتك).

(٤) تنظر القصيدة في السيرة (٣/ ١٠٨، ١٠٩). والروض الأنف (٢٠٦-٢٠٧، ٢١٩).

وأما السقاية والرفادة والقيادة: فلم تزل لعبد مناف بن قصى يقوم بها حتى توفى، فولى بعده ابنه هاشم بن عبد مناف، ويطعم الناس فى كل موسم ما يجتمع عنده من ترادف قريش، فلم يزل على ذلك حتى أصاب الناسَ جدبٌ شديدٌ، فخرج هاشم إلى الشام، فاشترى من ماله دقيقًا وكعكًا، فقدم به مكة، فهشم ذلك الكعك، ونحر الجزور، وطبخها وجعلها ثريدًا، وأطعم الناس - وكانوا فى مجاعة شديدة - حتى أشبعهم، فسمى بذلك هاشمًا، ولم يزل هاشم على ذلك حتى توفى.

وكان عبد المطلب يفعل ذلك، فلما توفى، قام بذلك أبو طالب فى كل موسم حتى جاء الإسلام وهو على ذلك.

وكان النبى ﷺ قد أرسل بمال يعمل به ذلك الطعام مع أبى بكر الصديق - رضى الله عنه - حين حج بالناس سنة تسع، وعمله النبى ﷺ فى حجة الوداع.

ثم أقام أبو بكر فى خلافته، ثم عُمر، ثم عثمان، ثم الخلفاء، وهلمَّ جرا.

وهو طعام الموسم الذى يَطعمه الخلفاء فى أيام الحج بمكة ومنى، حتى تنقضى أيام الموسم.

قلت: قد انقطع هذا الطعام أوائل القرن العاشر. انتهى

وأما السقاية: فكانت كذلك فى يد عبد مناف، فكان يسقى الناس مِنْ بئرِ كرادم وبئر خمر على الإِبِلِ فى المزاودِ والقِرَبِ، ثم يسكبُ ذلك الماء فى حياضٍ من أدمٍ بِفنَاءِ الكعبةِ يرده الحاجُّ حتى يتفرقوا، فكان يستعذب ذلك الماء. وكان قصى قد حفر آبارًا بمكة، وكان الماء بمكة عزيزًا، إنما يشرب الناس من آبار خارجة عن الحرم. فأول ما حفر قصى بمكة بئرًا يقال لها: العجول، فكان موضعها فى دار أم هانئ بنت أبى طالب بالحزورة.

قلت: قد ذكرت هذه البئر، وما آلت إليه وما أبدل عنها، فكان العربُ يردونها ويتزاحمون عليها.

وحفر قصى - أيضًا - بئرًا عند الردم عند دار أبان بن عثمان، ثم دثرت، فسلمها جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف، ثم حفرها هاشم بن عبد مناف بذرًا، وحفرها - أيضًا سجلة، وهى البئر التى يقال لها: بئر جبير بن مطعم، دخلت فى دار القوارير.

أقول: دار القوارير محلها اليوم المدرسة القايتبائية، ذكرها جار الله وغيرَهَا، وكانت منزلاً للسلاطين إذا وردوا للحج. انتهى

فلم تزل سجلة لولد هاشم حتى وهبها أسد بن هاشم للمطعم بن عدى، حين حَفَرَ عبد المطلب زمزم، فاستغنوا عنها.

ويقال: إنما وهبها له عبد المطلب، وسأله المطعم بن عدى بأن يضع حوضًا من أدم إلى جنب زمزم يسقى فيه من ماء بئره، فأذن له فى ذلك فكان يفعله، فلم يزل هاشم بن عبد مناف يسقى الحاج حتى توفى، فقام بأمر السقاية بعده ولده عبد المطلب بن هاشم، فلم يزل على ذلك حتى حفر زمزم، فكانت لعبد المطلب إبل كثيرة، فإذا كان الموسم، جمعها ثم يسقى لبنها بالعسل فى حياض من أدم عند زمزم، ويشترى الزبيب والتمر فينبذه بماء زمزم ويسقيه الحاج؛ لأنه يكسر غلظ ماء زمزم، وكانت إذ ذاك غليظة جدًا، وكان الناس إذ ذاك لهم فى بيوتهم أسقية فيها الماء من هذه البئار ينبذون فيها القبضاتِ من الزبيب والتمر؛ لأنه يكسر عنهم غلظ ماء آبار مكة، فلبث عبد المطلب على ذلك حتى توفى، فقام بأمر السقاية بعده العباس بن عبد المطلب؛ فلم تزل فى يده، وكان للعباس كرمٌ بالطائف، فكان يحملُ زبيبه إلى السقاية، وكان يداينُ أهلَ الطائف ويقتضى منهم الزبيبَ، فينبذ ذلك كله، ويسقيه الحاج من أيام الموسم حتى تنقضى، فى الجاهلية وصدر الإسلام، حتى دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح، فقبض السقاية من العباس بن عبد المطلب والحجابة من عثمان بن طلحة، فقام بين عضادتى باب الكعبة، فقال: «ألا إن كل دم أو مأثرة كانت فى الجاهلية، فهى تحت قدمىَّ هاتَيْنِ، وأول دم أهدره دَم ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، إلا سقاية الحاجِّ وسدانة الكعبة، فإنى قد أمضيتهما لأهلهما على ما كانتا عليه فى الجاهلية»[1] فقبضها العباس - رضى الله عنه - فكانت فى يده حتى توفى، فوليها بعده ولده عبد الله بن العباس، وكان يفعل فيها كفعله دون بنى عبد المطلب، وكان محمد بن الحنفية كلَّم فيها ابن عباس، فقال له

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ١١، ٣٦)، وأبو داود (٤/ ١٨٥-١٨٦) كتاب الديات باب في الخطأ شبه العمد، حديث (٤٥٤٩)، والنسائي (٨/ ٤٢) مختصرا، وابن ماجه (٢/ ٨٧٨) كتاب الديات باب دية شبه العمد مغلظة، حديث (٢٦٢٨)، والحميدي (٧٠٢) من حديث ابن عمر.

ابن عباس: مالك ولها، نحن أولى بها فى الجاهلية والإسلام، وقد كان أبوك عليٌّ تكلَّم فيها، فأقمت البينة - طلحة بن عبيد الله، وعامر بن ربيعة، وأزهر بن عبد عوف، ومخرمة بن نوفل - أن العباس بن عبد المطلب كان يليها فى الجاهلية بعد عبد المطَّلب، وجدك أبو طالب فى إبله فى باديته بعرفة، وإن رسول الله ﷺ أعطاها لعباس يومَ الفتح دون بنى عبد المطلب، فعرف ذلك من حضر. فسكت عنه محمد ابن الحنفية؛ فكانت بيد عبد الله بن العباس، لا ينازعه منازعٌ ولا يتكلَّم فيها متكلِّم، فكانت بيد ولده وولد ولده إلى أن انقرضوا.

وأما القيادة، وهى عبارة عن قيادة الجيوشِ وضَمِّ أمرها والمسير بها إلى مغزاها، وأن يكون هو الرئيس المطاع فيها، عن رأيه يصدرون ويردون؛ فوليها من بنى عبد مناف: عبد شمس بن عبد مناف أخو هاشم بن عبد مناف شقيقه، ثم وليها من بعده أمية بن عبد شمس، ثم من بعده ولده حرب بن أمية بن عبد شمس، فقاد الناس يوم عكاظ فى حرب قريش وقيس عيلان، وفى حرب الفجار الأوَّل والثانى، وقاد قبل ذلك فى حرب قريش وبنى بكر بن عبد مناة بن كنانة.

ثم توفى حربٌ، فكان ابنه أبو سفيان بن حرب يقود قريشًا، حتى كان يوم بدر فقاد الناس عتبة بن ربيعة بن أمية بن عبد شمس، وكان أبو سفيان فى العير؛ فخرج عتبة من مكة بالنفير، فلما كان يوم أحد، قاد الناس أبو سفيان بن حرب، ثم قاد الناس لذلك يوم الأحزاب، وكانَتْ هى آخِرَ غزوةٍ غزتها قريشٌ النبيَّ ﷺ؛ كما قال ﷺ: « إنهم لا يغزوننا بعدها بل نحنُ نغزوهم »؛ فكان كما قال ﷺ.

فلما هلك عبد مناف، قام هاشم ابنه مقامه بالسقاية والرفادة، وحقيقة اسمه: عمرو، وهو اسم منقولٌ من أحد أربعة أشياء: إما من العُمْرِ الذى هو مدة الحياة، أوئمن العَمْرِ بفتح العين، وهو لحم الأسنان، ومنه الحديث: « أوصانى جبرائيل - عليه السلام - بالسواك، حتى خشيت على عُمُورِى»[1]، أو من العمرى الذى هو طرف الكم، يقال: سجد على عمريه، أى: كميه، أو من العمر الذى هو القرط، قال المعرى: [من البسيط]

(١) أخرجه الطبراني في « الكبير » (١١/ ٤٥٣-٤٥٤) رقم (١٢٨٦) من طريق عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مرفوعًا بلفظ: أمرت بالسواك حتى خفت على أسناني. وعطاء بن السائب قد اختلط.

وَعـمْـر هِـنْـدٍ كَـأَنَّ الـلـهَ صَـوَّرَهُ عَمْرو بْن هِنْدٍ يَسُومُ النَّاسَ تَغْنِينَا

وزاد أبو حنيفة وجهًا خامسًا فقال: أو من العمر الذى هو اسم لنخل السكر، قال: كان ابن أبى ليلى يستاك بعسيب العمر، ذكر الخمسة السهيلى فى الروض الأنف.

فكان هاشم موسرًا، وهو أولُ من سَنَّ الرحلتين: رحلة الشتاء، ورحلة الصيف، وأول من أطعم الطعام الثريد بمكة، ولقب هاشمًا؛ لأنه وقع غلاء فى بعض السنين بمكة، فأتى بالكعك من الشام وهشمه وثرده وأطعم الناس فى تلك المجاعة، فقال عبد الله بن الزِّبَعْرَى السهمىّ فى ذلك: [من الكامل]

قُلْ لِلَّذِى طَلَبَ السَّمَاحَةَ والنَّدَى هَـلَّا مَـرَرْتَ بـآلِ عَـبْـدِ مَـنَـافِ
هَلَّا مَرَرْتَ بِهِمْ تُرِيدُ قِرَاهُـمُ مَنَعُوكَ مِنْ ضُرٍّ وَمِنْ إلحَافِ
كَانَتْ قريشٌ بيضَةً فتفلَّقَتْ فَالمُحُّ خَالِصُها لِعَبْدِ مَنَافِ
أَلرَّائِشِينَ وَلَيْسَ يُوجَدُ رَائِشٌ وَالـقَـائِـلِـيـنَ هَـلُـمَّ لِـلأَضْـيَـافِ
والمُلْحِقِينَ فَقِيرَهُمْ بِغَنِيِّهِمْ حَتَّى يَعُودَ فقيرُهم كَالْكَافِى
والقَائِلِينَ بِكُلِّ وَعْدٍ صَادِقٍ وَالآمِـرِيـنَ بِـرِحْـلَـةِ الإِيـلَافِ
سَفَرَيْنِ سَنَّهُمَا لَهُ وَلِقَوْمِهِ سَفَرَ الشِّتَاءِ وَرِحْلَةَ الأَصْيَافِ
عَمْرُو الَّذِى هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ قَوْم بِمَكَّةَ مُسنِتِينَ عِجَافِ

ثم تزوج هاشم بسلمَى بنت عمرو من بنى النجار، وكانت قبله تحت أحيحة بن الجُلاح، فولدَتْ له عمرو بن أحيحة، ثم ولدت لهاشم: عبد المطلب بن هاشم، فهو أخو عبد المطلب لأمه، واسمه عامر فى قول ابن قتيبة[١]، وشيبة الحمد فى قول ابن إسحاق[٢]، وهو الصحيح.

قيل: إنما سمى شيبة الحمد؛ لأنه ولد وفى رأسه شيب، وأما غيره من العرب ممن سمى شيبة، فإنهم قصدوا فى أنفسهم بهذا الاسم التفاؤل لهم ببلوغ سِنّ الحنكة والرأى؛ كما سموا: مهرم، وكبير.

وإنما قيل له: عبد المطلب؛ لأن أباه هاشمًا قال لأخيه المطلب، وهو بمكة حين حضرته الوفاة: أدرك عبدك بيثرب؛ لأنه كان بيثرب عند أمه سلمى بنت عمرو

---

(١) ينظر: المعارف (٧٢).
(٢) ينظر: السيرة النبوية (١/ ١٥٩).

النَّجَّارية، فمن ثم قيل له: عبد المطلب، فغلب على اسمه.

وقيل: إن سبب ذلك: أن عمه المطلب بن عبد مناف لما جاء به إلى مكة رديفه، كان بهيئة رثة؛ فكان إذا سئل عنه يقول: هو عبدى، حياءً أن يقول: ابن أخى، فلما أحسن من حاله، وجمله، أظهر أنه ابن أخيه، فغلب عليه عبد المطلب، وهجر اسمه الصريح الخالص.

وهو أول من خضب بالوَسْمَةِ، وعاش مائة وعشرين سنة؛ قاله ابن هشام(١).

وقال فى المواهب: وأربعين سنة، وهو لِدة عَبِيد بن الأبرص - بفتح العين، على صيغة الجمع - إلا أن عبيدًا توفى قبله بعشرين سنة، قتله النعمان بن المنذر التنوخى.

وعبيد هذا هو صاحب أولى المجمهرات فى الشعرِ التى مطلعها: [من مخلع البسيط]

عَيْنَاكَ دَمْعُهُمَا سَرُوبُ ... كَأَنَّ شَأْنَيْهِمَا شَعِيبُ

وكان عبد المطلب طويلاً جسيمًا عظيمًا فصيحًا جوادًا.

ثم هلك هاشم بغزَّة من أرض الشام تاجرًا، فولى السقاية والرفادة أخوه المطلب ابن عبد مناف، وكان ذا شرف فى قومه، وكان يسمى الفيض؛ لسماحته وفضله، وكان أصغر أبناء عبد شمس وهاشم؛ لأنهما توءمان، ثم توفى بِرَدْمان من أرض اليمن، وتوفى عبد شمس بمكة، وتوفى نوفل بن عبد مناف بالعراق.

قال ابن إسحاق: وكان أول ولد عبد مناف ملكًا هاشم مات بغزة، ثم عبد شمس، ثم المطلب، ثم نوفل، وقال مطرود بن كعب الخزاعى يرثيهم: [من البسيط]

يَا عَيْنُ جُودِى وَأَذْرِى الدَّمْعَ وانْهَمِرِى ... وَابْكِى عَلَى الشُّمِّ مِنْ كَعْبِ الْمُغِيرَاتِ(٢)

وَابْكِى عَلَى كُلِّ فَيَّاضٍ أَخِى ثِقَةٍ ... ضَخْمِ الدَّسِيعَةِ وَهَّابِ الجَزِيلَاتِ(٣)

صَعْبِ البديهة(٤) لاَ نِكْسٍ وَلاَ وكِلٍ ... مَاضِى الْعَزِيمَةِ مِتْلَافِ الْكَرِيمَاتِ

---

(١) ينظر: سبل الهدى والرشاد (١/ ٢٦٦).

(٢) بعده في السيرة:

يا عين واسحنفري بالدمع واحتفلي ... وابكي خبيئة نفسي في الملماتِ

(٣) بعده في السيرة:

محضِ الضريبة عالى الهم مختلقٍ ... جلد النحيزة نابٍ بالعظيماتِ

(٤) في ط: البديعة. والمثبت من السيرة.

صَقْر تَوَسَّطَ مِنْ كَعْبٍ إِذَا انْتَسَبُوا بُحْبُوحَةَ المَجْدِ وَالشُّمِّ[١] الرَّفِيعَاتِ
ثُمَّ انْدُبِى الفَيْضَ وَالفَيَّاضَ مطلِبًا وَاسْتَخْرِطى[٢] بَعْدَ فَيْضَاتٍ بِجَمَّاتِى[٣]
أَمْسَى بِرَدْمَانَ عَنَّا اليَوْمَ مُغْتَرِبًا يَا لَهْفَ نَفْسِى عَلَيْهِ بَيْنَ أَمْوَاتِ
وَابْكِى لَكِ الوَيْلُ إِمَّا كُنْتِ بَاكِيَةً لِعَبْدِ شَمْسٍ بِشَرْقِىِّ البَنِيَّاتِ
وَهَاشِم فِى ضَرِيحٍ وَسْط بَلْقَعَةٍ تسْفى الرِّيَاحُ عَلَيْهِ بَيْنَ غَزَّاتِ
وَنوفَلٌ كَانَ دُونَ القَوْمِ خَالِصَتى أَمْسَى بِسَلْمَانَ فِى رَدْمِ المَرَمَّاتِ[٤]
لَمْ أَلْقَ مِثْلَهُمُ عُجْمًا وَلاَ عَرَبًا إِذَا اسْتَقلتْ بِهِمْ أُدْمُ المَطِيَّاتِ
أَمْسَتْ دِيَارُهُمُ مِنْهُمْ مُعَطَّلَةً وَقَدْ يَكُونُونَ زَيْنًا فِى السَّرِيَّاتِ[٥]
يَا عَيْنَ وَابْكِى أَبَا الشُّعْثِ الشَّجِيَّاتِ[٦] يَبْكِينَهُ حُسَّرًا مِثْلَ البَلِيَّاتِ
يَبْكِينَ أَكْرَمَ مَنْ يَمْشِى عَلَى قَدَم يَنْعُونَهُ[٧] بِدُمُوعٍ بَعْدَ عَبْرَاتِ[٨]
يَبْكِينَ عَمْرَو العُلاَ إِذْ حَانَ مَصْرَعُهُ سَمْحَ السَّجِيَّةِ بَسَّام العَشِيَّاتِ[٩]
مَا فِى القُرُومِ لَهُمْ عِدْلٌ وَلاَ خَطَرٌ وَلاَ لِمَنْ تَرَكُوا شُرْف المَنِيعَاتِ[١٠]

(١) في ط: الشيم. والمثبت من السيرة.
(٢) في ط: واستخرجي. والمثبت من السيرة، ومعناه: استكثري.
(٣) الجمات: المجتمع من الماء.
(٤) في السيرة: رمس بموماة. والموماة: القفر. والمرمات: مواضع الرم؛ وهو الثرى.
(٥) بعده في السيرة:

أفناهمُ الدهر أم كَلَّتْ سيوفهم أم كُلُّ مَنْ عاش أزواد المنيات
أصبحتُ أرضى من الأقوام بعدهمُ بسط الوجوه وإلقاء التحيات

(٦) في ط: الشيم السجيات. والمثبت من السيرة.
(٧) في السيرة: يعولنه.
(٨) بعده في السيرة:

يبكين شخصا طويل الباع ذا فجر آبي الهضيمة فرَّاج الجليلات

(٩) بعده في السيرة:

يبكينه مستكينات على حَزَن يا طول ذلك من حُزن وعولات
يبكين لما جلاهنّ الزمان له خضر الخدود كأمثال الحميات
محتزمات على أوساطهن لما جرَّ الزمان مِنَ احداث المصيبات
أَبيتُ ليلي أُراعي النجمَ مِنْ أَلمٍ أبكي وتبكي معي شجوى بنياتي

(١٠) في السيرة: شروى بقيات. والقروم: جمع قرم؛ وهو السيد المعظم من الرجال . =

أَبْنَاؤُهُمْ خَيْرُ أَبْنَاءٍ وَأَنْفُسُهُمْ   خَيْرُ النُّفُوسِ لدى جَهْدِ الأَلِيَّاتِ[(١)]
زَيْنُ البُيُوتِ الَّتِى خلوْا مَسَاكِنَهَا   فَأَصْبَحَتْ مِنْهُمُ وحْشًا خَلِيَّاتِ
أَقُولُ - وَالعَينُ لاَ تَرْقَا مَدَامِعُهَا-   لاَ يُبْعِدِ اللهُ أَصْحَابَ الرَّزِيَّاتِ[(٢)]

قال الفاكهى: حدَّثنا عبد الله بن عمرو بن أبى سعيد، قال: حدثنا إسحاق بن البهلول، قال: حدثنى محمد بن عبد الرحمن القرشى، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: « عبد مناف: عز قريش، وأسد ركنها، وعضدها، وعبد الدار: رُءوسها، وأوائلها، وعدى: جناحها، ومخزوم: ريحانتها، وأراكتها فى نصرتها، وجمح وسهم: عديدها، وعامر: ليوثها، وفرسانها، والناس تَبَعٌ لقريشٍ، وقريشٌ تبعٌ لولد قصىٍّ»[(٣)]. انتهى

قلت: وبنو قصىٍّ تبع لبنى هاشم، وقد قال قبلى القائل وهو على طريقة الترقى: [من المتقارب]

قُـرَيْـشٌ خِـيَـارُ بَـنِـى آدَمِ   وَخَيْرُ قُرَيْشٍ بَنُو هَاشِمِ
وَخَيْرُ بَنِى هَاشِمٍ أَحْمَدٌ   رَسُولُ الإِلَـهِ إِلَى العَالَمِ

ومما يوافق معناه ويخالف مبناه قول الآخر: [من السريع]

مُحَمَّدٌ خَيْرُ بَنِى هَاشِمِ   فَمَنْ تَمِيمٌ وَبَنُو دَارِمِ ؟!
وَهَاشِمٌ خَيْرُ قُرَيْشٍ وَمَا   مِثْلُ قُرَيْشٍ فِى بَنِى آدَمِ

قال محمد بن سهل الأزدى: سمعت هشام بن الكلبى يذكر عن أبيه، قال: سئل

= الوسيط (قرم).

(١) بعده في السيرة:

كم وهبوا من طِمِرٍّ سابح أرنٍ   ومن طمرةٍ نهبٍ في طمراتِ
ومن سيوف من الهندي مُخلصَةٍ   ومن رماح كأشطان الركيات
ومن توابعَ مما يفضلون بها   عند المسائل من بذل العطيات
فلو حسبتُ وأحصى الحاسبون معي   لم أقض أفعالهم تلك الهنيات
هم المدلون إن ما معشر فخروا   عند الفخار بأنساب نقيات.

(٢) ينظر السيرة النبوية (١/ ١٦٠-١٦٣).

(٣) ورد هذا الحديث أيضا مرسلاً أخرجه الرامهرمزي في « الأمثال » (١١٣) عن عثمان بن الضحاك مرسلاً. وينظر: « كنز العمال » (٣٤١١٢).

على بن أبى طالب - رضى الله عنه - عن قريش ؟ فقال: أما بنو هاشم، فأصدق قريش فى النوم واليقظة، وأكرمها أحلامًا، وأضربها بالسيف، وأما بنو عبد شمس، فأبعدها هممًا، وأمنعها لما وراء ظهورهم، وأما بنو مخزوم، فريحانة قريش تحبُّ حديثَ رجالها، وتشتهى تزويج نسائها، وسئل عن قوم من قريش ؟ فقال: زعانفة.

وأخبر عبد الله بن عمرو بن أبى سعد، قال: حدثنا محمد بن الحسين الشامى، قال: حدثنا النضر بن عمرو، قال: حدثنى بكر بن عامر العمرى، عن عامر بن عبد الملك المسمعى، قال: دخل دغفل النسابة الشيبانى على معاوية، فقال له معاوية: أخبرنى عن بنى هاشم، فقال: شداد أنجاد، ذوو ألسنة حداد، وهم سادة السياد، قال: فأخبرنى عن بنى أمية، قال: فى الواسطة من القلادة، فى الجاهلية سادة، وفى الإسلام ملوك وقادة، قال: فأخبرنى عن بنى المطلب، قال: نيب مقشعرَّة، أصابتها قرَّة، لاتسمع لها جرَّة، ولا ترى لها درة، قال: فأخبرنى عن بنى نوفل، قال: اسم ولا حسيس، قال: فأخبرنى عن بنى أسد، قال: ذوو شؤم ونكد، وبغى وحسد، قال: فأخبرنى عن بنى زهرة، قال: فاش، وحلم الفراش، قال: فأخبرنى عن تيم بن مرة، قال: كثير أوغادهم، عبيد من سادهم، ولا يرى منهم قائد يقودهم، قال: فأخبرنى عن بنى مخزوم، قال: مِعزَى مَطيرة، أصابتها القشعريرة، إلا بنى المغيرة؛ فإنهم أهل التشدُّق فى الكلام، ومصاهرة الكرام، قال: فأخبرنى عن بنى جمح، قال: كلهم ظلف، إلا بنى خلف، قال: فأخبرنى عن بنى عدى بن كعب، قال: أهل دناءة الأخلاق؛ إن استغنوا شحوا، وإن افتقروا ألحوا.

وأما الحكام من قريش بمكة، فقال الفاكهى: حدثنا محمد بن النجار الصنعانى، قال: حدثنا عبد الرزاق، عن ابن جريج، قال: أخبرنى بشير بن تميم بن عبد الحارث بن عبيد بن عمير بن مخزوم، قال: كان أول من حكم فى الجاهلية بالقسامة والدية عبد المطلب؛ حكم بالقسامة فى رجل، وبمائة من الإبل فى رجل، وكان عقل أهل الجاهلية الغنم[١].

قال العلامة التقى الفاسئ، رحمه الله: حدثنى حسن بن حسين الأزدى، قال: حدثنا محمد أبو جعفر، عن الكلبى فى الحكام من قريش، قال: فمن بنى هاشم:

(١) أخرجه عبد الرزاق (١٠/ ٢٧) باب القسامة رقم (١٨٢٥١).

عبد المطلب بن هاشم، والزبير وأبو طالب ابنا عبد المطلب، ومن بنى أمية: حرب ابن أمية، وأبو سفيان بن حرب، ومن بنى زهرة: العلاء بن حارثة الثقفى حليف بنى زهرة، ومن بنى مخزوم: العدل، وهو الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، ومن بنى سهم: قيس بن عدى بن سعد بن سهم، والعاص بن وائل بن هاشم ابن سُعيد بن سهم، ومن بنى عدى بن كعب: نفيل بن عبد العزى بن رزاح(١) . انتهى

ولم يكن أحد من هؤلاء متملكًا على بقية قريش، وإنما ذلك بتراض من قريش عليه؛ لما فيه من حسم موادِّ الشرِّ، فلما رأى ذلك عثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العزى بن قصى، طمع أن يملك قريشًا ويتملك عليهم، قال الزبير بن بكَّار: حدثنى على بن صالح، عن عامر بن صالح، عن هشام بن عروة، عن أبيه عروة بن الزبير، قال: خرج عثمان بن الحويرث، وكان من أظرف قريش وأعقلها حتى قَدِمَ على قيصر، وقد رأى موضع حاجتهم إليه ومتجرهم من بلاده، فذكر له مكة ورغبه فيها، وقال: تكون زيادة على ملكك؛ كما ملك كسرى صنعاء، فملكه عليهم، وكتب له إليهم، فلما قدم عثمان إليهم، قال: يا قوم، إن قيصر من قد علمتم أمانكم ببلاده، وما تصيبون من التجارة في كنفه، وقد ملكنى عليكم، وإنما أنا ابن عمكم، وإنما آخذ منكم الجراب من القرظ، والعكة من السمن والإهاب، فأجمع ذلك ثم أبعث به إليه. وأنا أخاف إن أبيتم ذلك أن يمنع منكم الشام؛ فلا تتجروا به ويقطع مرفقكم منه، فلما قال لهم ذلك، خافوا قيصر، وأخذ بقلوبهم ما ذَكَرَ من متجرهم، فأجمعوا على أن يعقدوا على رأسه التاجَ عشيةً، وفارقوه على ذلك، فلما طافوا عشية، بعث الله إليه ابن عمه أبا زمعة الأسود بن المطلب بن أسد، فصاح على أحفل ما كانت قريش فى الطواف، فقال: عباد الله، ملك بتهامة ؟! فانحاشوا إليه انحياش حمر الوحش، ثم قالوا: صدقت واللات والعزى، ما كان بتهامة ملك قطُّ، فانتقضَتْ قريش عما كانت قالت له، ولحق بقيصر يعلمه.

ثم روى الزبير بسنده: أن قيصر حمل عثمان على بغلة عليها سرج عليه الذهب حين ملكه، قال الزبير: قال عمى: وكان عثمان بن الحويرث حين قدم مكة بكتاب قيصر مختوم فى أسفله بالذهب.

(١) يبظر: شفاء الغرام (١٠٨/٢).

وذكر الزبير خبرًا فيما انتهى إليه أمر عثمان بن الحويرث، وملخص ذلك: أنه لما خرج إلى قيصر بالشام بعد امتناع قريش من تمليكه، فسأل تجارُ قريش بالشام عَمْرَو ابن جفنة الغسانى عامل قيصَرَ أن يفسد على عثمان عند قيصر، فسأل عمرو فى ذلك ترجمانَ قيصر، فأخبر الترجمان قيصر عن عثمان، وترجم عليه بأن عثمان يَشْتُمُ الملكَ، فأمر قيصر بإخراج عثمان، ثم تحيل عثمان حتى عرف من أين أُتِىَ، ودخل على قيصر وعرفه ما يقتضى أن الترجمان كذب عليه ومالأ أعداءه، فكتب قيصر إلى عمرو بن جفنة يأمره أن يحبس لعثمان من أراد حبسه من تجار قريش بالشام، ففعل ذلك عمرو، ثم سُمَّ عثمان فمات بالشام[١]، انتهى.

قال: وحدثنا حسن بن حسين الأزدى، قال: حدثنا محمد بن حبيب، قال: كانت الرياسة أيام بنى قصى إلى عبد مناف بن قصى، كان القائم بأمور قريش والمنظور إليه فيها، ثم أفضى ذلك بعده إلى ابنه هاشم بن عبد مناف، فأقام ذلك أحسن قيام، فلم يكنْ له نظير من قريش ولا مساو، ثم سارت الرياسة بعده لعبد المطلب، فى كل قريش رؤساء، غير أنهم كانوا يعرفون لعبد المطلب فضله وتقدمه وشرفه، فلما مات عبد المطلب، صارت الرياسة لحرب بن أمية، فلما مات حرب، تفرقت الرياسة والشرف بين عبد مناف وغيرهم من قريش[٢].

وقال الفاكهى: قال لنا الزبير: قال محمد بن الحسن: كان هؤلاء الأربعة من بنى عبد مناف: هاشم، وعبد شمس، والمطلب، ونوفل، أول من رفع اللهُ بهم قريشًا، وكانت قريش إنما كانت تتجر بمكة، وتتبضع مع من يخرج من الأعاجم إليها، فركب هاشم، فأخذ له حبلاً، يعنى: عهدًا من قيصر، فاتجروا إلى الشام، وركب عبد المطلب، فأخذ له حبلاً من ملوك اليمن، فتجروا إلى اليمن بذلك الحبل، يعنى: العهد والذمة، وركب نوفل، فأخذ لهم حبلاً من النجاشى، فتجروا بذلك إلى أرض الحبشة[٣].

وروى الزبير، عن محمد بن الحسن، عن العلاء بن الحسين، عن أفلح بن

---

(١) ينظر: شفاء الغرام (٢/ ١٠٨-١٠٩).
(٢) ينظر: شفاء الغرام (٢/ ٨٣-٨٤).
(٣) ينظر: شفاء الغرام (٢/ ٨٤).

عبد الله بن العلاء، عن أبيه وغيره من أهل العلم، قالوا: هاشم، وعبد شمس، والمطلب، ونوفل هم «الزينون»، وبنو هاشم وبنو المطلب يدان، فإن دهمهم غيرهم، صاروا يدًا واحدة، على ذلك كانوا فى الجاهلية دون جميع بنى عبد مناف.

قلت: ولهذا قال ﷺ: «نحن وبنو المطلب هكذا» وشبك بين أصابع يديه، وهما «البصران» يسميان بذلك، وعبد شمس ونوفل يروهما «الأنهران».

قال: وكانت العرب تسمى هاشمًا والمطلب وعبد شمس ونوفلًا: «أقداح النضار»؛ فإن دهمهم غيرهم اجتمعوا فصاروا يدًا واحدة، وكان يقال لهم جميعهم أيضًا: «المجيرون»؛ قال آدم بن عبد العزَّى بن عمرو بن عبد العزى: [من الرمل]

يَا أَمِينَ اللهِ إِنِّى قَائِلٌ ... قَوْلَ ذِى دِينٍ وبرٍّ وَحَسَبْ
عَبْدُ شَمْسٍ لاَ تُهِنْهَا إِنَّمَا ... عَبْدُ شَمْسٍ عَمُّ عَبْدِ المُطَّلِبْ
عَبْدُ شَمْسٍ كَانَ يَتْلُو هَاشِمًا ... وَهُمَا بَعْدُ لِأُمٍّ وَلِأَبْ[(١)]

فائدة أحببت إيرادها لمناسبتها، وهى: ذِكْرُ مَنْ وَلِىَ الإجازةَ بالناسِ من عرفة ومزدلفة ومنى من العرب، فى ولاية جرهم وخزاعة وقريش على مكة، والحمس والحلة والطلس والنسىء:

أما الأول ممن ولى الإجازة للناس بالحج من عرفة: فقال ابن إسحاق: كان الغوث بن مر بن أد[(٢)] بن طابخة بن إلياس بن مضر هو الذى يليها من عرفة وولده من بعده، وكان يقال له ولولده: «صوفة»، وإنما ولى الغوث بن مر ذلك؛ لأن سببه أن أمه كانت امرأة من جرهم وكانت لا تلد، فنذرت لله إن هى ولدت ذكرًا أن تتصدق به على الكعبة عبدًا لها يخدمها ويقوم عليها، فولدت الغوث، فكان يقوم على الكعبة بخدمتها فى الدهر الأول مع أخواله من جرهم، فولى الإجازة بالناس من عرفة؛ لمكانه الذى كان به من الكعبة، فقالت أمه: [من الرجز]

إِنِّى جَعَلْتُ رَبِّ مِنْ بَنِيَّهْ ... رَبِيطَةً بِمَكَّةَ العَلِيَّهْ
فَبَارِكَنَّ لِى بِهَا أَلِيَّهْ[(٣)] ... وَاجْعَلْهُ لِى مِنْ صَالِحِ البَرِيَّهْ[(٤)]

---

(١) ينظر: شفاء الغرام (٢/ ٨٤).
(٢) في ط: «ود» والمثبت من السيرة.
(٣) في ط: «عليه» والمثبت من السيرة ولعله الصواب.
(٤) ينظر: السيرة (١/ ١٣٨).

ثم استمر ولده من بعده.

قال ابن إسحاق: حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عباد قال: كانت صوفة تدفع بالناس من عرفة، وتجيز لهم إذا نفروا من منى، فإذا كان يوم النفر، أتو لرمى الجمار، ورجل من صوفة يومئ للناس لا يرمون، فكان ذوو الحاجات المستعجلون يأتون له، فيقولون له: قم فارم حتى نرمى، فيقول: لا والله، حتى تميل الشمس؛ فيظل ذوو الحاجات الذين يحبون التعجيل يستعجلونه بذلك، ويرمونه بالحجارة، ويقولون له: ويلك قم فارمِ، فيأبى عليهم، حتى إذا مالت الشمس، قام فرمى، ورمى الناس معه.

قال ابن إسحاق: فإذا فرغوا من رمى الجمار، فأرادوا النفر من منى، أخذت صوفة بجانبى العقبة، فحبسوا الناس، وقالوا: أجيزى صوفة، فلم يجز أحدٌ من الناس حتى يمروا، فإذا نفرت صوفة ومضت، خلى سبيل الناس، فانطلقوا بعدهم، فكانوا كذلك حتى انقرضوا.

فورث ذلك من بعدهم بنو سعد بن زيد مناة بن تميم، فكانت في بنى سعد فى آل صفوان بن الحارث بن شجنة.

قال ابن هشام: صفوان هو ابن الحارث بن شجنة بن عطارد[1] بن عوف بن كعب ابن سعد بن زيد مناة بن تميم، قال: فكان صفوان هو الذى يجيز للناس بالحج من عرفة، ثم بنوه من بعده، حتى كان آخرهم الذى قام عليه الإسلام هو كرب بن صفوان، قال أوس بن مغراء السعدى: [من البسيط]

لا يَبْرَحُ النَّاسُ مَا حَجُّوا مُعَرَّفَهُمْ حَتَّى يُقَالَ أَجِيزُوا آلَ صَفْوَانَا

وهذا البيت من قصيدة له يفخر فيها[2].

وأما الإجازة من المزدلفة، فكانت فى عَدْوَان فيما حدث به زياد بن عبد الله، عن محمد بن إسحاق، يتوارثون ذلك كابرًا عن كابر، حتى كان آخرهم الذى قام عليه الإسلام أبو سيارة عُميلة بن الأعزل، ففيه يقول شاعر العرب: [من الرجز]

نَحْنُ دَفَعْنَا عَنْ أَبِى سَيَّارَهْ وَعَنْ مَوَالِيهِ بَنِى فَزَارَهْ

---

(١) في السيرة: صفوان بن جناب بن شجنة عطارد بن عوف.

(٢) ينظر: السيرة (١/١٣٨-١٤٠).

حَتَّى أَجَازَ سَالِمًا حِمَارَهْ مُسْتَقْبِلَ القِبْلَةِ يَدْعُو جَارَهْ[١]

وذكر الزبير بن بَكّار خبر الإجازة من المزدلفة، فأفاد ما لم يفده ابن إسحاق، فاقتضى ذلك ذكرنا له، قال بعد أن ذكر خبر الإجازة من عرفة قال أبو عبيدة: والإجازة الثانية من جمع غداة النحر إلى منى، وكان ذلك إلى بنى زيد بن عدوان بن عمرو بن قيس عيلان بن مضر، وكان آخر من ولى ذلك منهم أبو سيارة عُمَيْلَة بن الأعزل بن خالد بن سعد الحارث، وكان يجيز على حماره.

قال السهيلى: فكانت له أتان عوراء خطامها من ليف[٢].

وكان يقال فى المثل: «أَصَحُّ من حمار أبى سَيَّارة»، قال أبو الحسن الأثرم: قال أبو عبيدة: أظنه كان سمينًا. وقال محمد بن الحسن: عاش حمار أبى سيارة أربعين سنة لا يصيبه فيها عرض، فقيل: «أصح من عير أبى سيارة».

قال الزبير بن بكار: حدثنى إبراهيم بن المنذر، عن عبد العزيز بن عمران، قال: أخبرنى عقال بن شيبة قال: فلم تزل الإجازة فى صوفة حتى أخذتها عَدوان، حتى أخذتها قريش[٣].

قلت: هذا صريح فى خلاف ما تقدَّم من أن الإجازة من عرفة فى آل صوفة استمرت إلى آخر الاسلام، وكان آخرهم كرب بن صفوان، وكذلك الإجازة من مزدلفة استمرت فى عَدْوَان حتى كان آخرهم أبا سيارة عُمَيْلة بن الأعزل، فلعلَّ قائل هذا أشار إلى ما وقع لقصىٍّ من أخذ ذلك من صوفة وعدوان، ثم ترك ذلك قصى؛ لأنه كان يراه ذنبًا فتركه.

وذكر القاضى: حدثنى أحمد بن سليمان، قال: حدثنى أبو زيد بن مبارك، قال: حدثنى أبو ثور، عن ابن جريج، قال وقال مولى ابن عباس: كانت الحُمس من عَدوان يقومون بالمزدلفة حتى يدفعوهم ومن يعرّف بعرفة من المزدلفة غداة جمع، وكان يدفع بهم أبو سيارة على حمار له عرى، وكان يقول: «أشرقْ ثَبِير، كيما نُغير»، وكان كرب بن صفوان يأخذ بالطريق، فلا يفيض أحد من عرفات حتى يجيز، وكانوا يقفون ولا يعرفون الوقوف بها فيقيمون ويفتخرون بآبائهم وأفعالهم

(١) ينظر السيرة النبوية (١/ ١٤٠-١٤١).
(٢) ينظر: الروض الأنف (١/ ١٤٦)، وشفاء الغرام (٢/ ٣٣).
(٣) ينظر: شفاء الغرام (٢/ ٣٣).

ويسألون لدنياهم، فأنزل الله: ﴿ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾ الآية [البقرة: ٢٠٠] فإذا غربت الشمس، سار كرب بن صفوان نحو جمع، ويسيرون خلفه، لكل حى مجيز، حتى يأتوا الحُمْسَ فى جوف الليل بالمزدلفة، فيقفون معهم، وقد أخذ الطريق لايخرج أحد قبل طلوع الشمس، فإذا أصبحوا، قام أبو سيارة عميلة بن الأعزل العَدْوَانى، فقال: « أشرق ثبير، كيما نغير »، قال ذو الأصبع العدوانى، واسمه حرثان بن عمرو: [من الهزج]

عَذير الحيِّ مِنْ عَدْوَا ... نَ كَانُوا حَيَّةَ الأَرْضِ
بَغَى بَعْضُهُمُ ظُلْمًا ... فَلَمْ يَرْعَ عَلَى البَعْضِ
وَمِنْهُمْ كَانَتِ السَّادَا ... تُ وَالمُوفُونَ بِالقَرْضِ
وَمِنْهُمْ مَنْ يُجِيزُ النَّا ... سَ بِالسُّنَّةِ وَالفَرْضِ[1]

وأما سبب تسمية الغوث وبنيه بصوفة - فيما تقدَّم من قوله: وكان يقال له ولبنيه صوفة - فذكر أبو عبد الله؛ أنه حدَّثه أبو الحسن الأثرم، عن هشام بن محمد بن السائب الكلبى، قال: إنما سمى الغوث بن مرٍّ صوفة؛ لأنه كان لا يعيش لأمه ولد، فنذرت به إن عاش لتعلقنَّ برأسه صوفة، ولتجعلنه ربيطًا للكعبة، ففعلت، فقيل له: صوفة، ولولده من بعده، وهو الربيط، ويقال: سبب التسمية أنها لما ربطته عند البيت أصابه الحرُّ، فمرت به وقد سقط وذوى واسترخَى، فقالت: ما ضار ابنى إلا صوفة[2]. والله أعلم أيهما سبب التسمية، ويحتمل اجتماعهما ويكون سببه للسابق.

وأما الحُمْس والحلة، فذكر خبرهم غير واحد من أهل الأخبار، منهم الزبير بن بكار، فإنه قال: حدثنى إبراهيم بن المنذر بن عبد العزيز بن عمران، قال: الحمس: قريش، وكنانة، وخزاعة، ومن ولدته قريش خاصة من العرب، وإنما سموا الحمس بالكعبة؛ لأنها حمساء حجرها أبيض يضرب إلى السواد.

قال: وكانت لها سيرة، كانوا لا يأقطون أقطًا، ولا يسلون سمنًا، ولا يبيعون دارًا، ولا يقفون إلا بالمزدلفة، ولا يطوفون بالبيت عراة، ولا يسكنون فى بيوت الشعر.

وقال غيره: كانوا يعظمون الشهور الحرم، ويتعاطون الحقوق، ويدحرون عن

---

(١) ينظر: شفاء الغرام (٢/ ٣٢)، والسيرة (١/ ١٤٠).
(٢) ينظر: جمهرة النسب ص(١٨٩). والروض الأنف (١/ ١٤٣، ١٤٤).

الظلم، وينصفون المظلوم.

قال: وحدثنى محمد بن فضالة، عن مبشر بن حفص، عن مجاهد، قال: الحمس: قريش، وبنو عامر بن صعصعة، وثقيف، وخزاعة، ومدلج، وعَدوان، والحارث بن عبد مناة، وعضل أتباع قريش، وسائر العرب حلة.

قال: وحدثنى محمد بن حسن، عن محمد بن طلحة، عن موسى بن محمد، عن أبيه، قال: لم تكن الحمس بحلف، ولكنه دين شرعته قريش وأجمعوا عليه. وكانت الحلة لا تطوف فى حَجِّها إلا فى ثياب جدد، أو ثياب أهل الله سكان الحرم، ويكرهون أن يطوفوا فى ثياب عملتْ فيها المعاصى، فمن لم يجد طافَ عريانًا، ومن طاف من الحلة فى ثيابه، ألقاها، فإذا فرغ فلم ينتفع بها ولا غيره حتى تبلى. وكانت المرأة تطوف عارية، وتضع كفها على هنها، ثم تقول: [من الرجز]

أَلْيَوْمَ يَبْدُو بعضُهُ أَوْ كُلُّهُ وما بَدَا مِنْهُ فَلاَ أُحِلُّهُ

قال: وكانت الحمس تطوف فى ثيابها، وكانت الحلة تَخْرُجُ إلى عرفات، وتراه موقفًا ومنسكًا، وكان موقفها بالعشىّ دون الأنصاب، ومن آخر الليل مع الناس بقزح من المزدلفة، وكان بعض الحلة لا يرى الصفا والمروة، وبعضهم يراها، وكان الذين يرونها خِنْذِف، وسائر الحلة لا يرونها.

فلما جاء الله بالإسلام، أمر الله الحمس أن يقفوا بعرفة مع الحلة، وأن يفيضوا من حيث أفاضَ الناس منها مع الحلة، وأمر الحلة أن يطوفوا بين الصفا والمروة، وقال: ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ . . .﴾ الآية [البقرة: ١٥٨]؛ وذلك أن ناسًا قالوا: ما كان أهل الجاهلية ممن يطوف بهما يطوف بإساف ونائلة، وكان إساف على الصفا، ونائلة على المروة، فأعلمهم الله عز وجل أنهما مشعر[1]. انتهى

وقيل: سبب تسميتهم بالحمس غير ما ذكر، وهو أنهم إنما سموا حمسًا؛ لشجاعتهم، والحماسة الشجاعة.

وقيل: سبب التسمية بذلك لشدتهم فى دينهم، والأحمس المتشدد فى دينه.

وأما الطلس: فهم طائفة من العرب تطوف بالبيت على صفة تختصُّ بها، ذكرهم السهيلى؛ فقال بعد أن ذكر شيئًا فى خبر الحمس والحلة: وكانوا يأتون من أقصى

(١) ينظر: شفاء الغرام (٢/ ٤٣).

اليمن طلسًا من الغبار، يطوفون بالبيت فى تلك الثياب الطلس، فسموا بذلك، ذكره محمد بن حبيب. انتهى

والطلس - أيضًا - لقب لجماعة من أعيان السلف؛ لكونهم لا شعر فى وجوههم، منهم عبد الله بن الزبير الأسدىّ، وشريح بن الحارث القاضى قاضى الكوفة فوق ستين سنة.

وأما النَّسِيء، قال العلامة التقى الفاسى: قال الأزرقى فيما رويناه عنه بسندنا: حدثنى جدى، قال: حدثنا سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج، عن محمد بن إسحاق، عن الكلبى فيما رواه عن أبى صالح مولى أم هانىء، عن ابن عباس - رضى الله عنهما - وذكر شيئًا من خبر الحلة والحمس - ثم قال ابن إسحاق: قال الكلبى: فكان أول من أنسأ الشهور من مضر مالك بن كنانة؛ وذلك أن مالك بن كنانة نكح إلى معاوية بن ثور الكندى، وهو يومئذ فى كندة، وكانت النسأة قبل ذلك فى كندة؛ لأنهم كانوا قبل ذلك ملوك العرب من ربيعة ومضر، فنسأ ثعلبة بن مَلْك، ثم نسأ بعده الحارث بن مَلْك بن كنانة، وهو القَلَمَّسُ، ثم نسأ بعده سَرِيرُ بن القلمس، ثم كانت النسأة فى بنى فُقَيْم من بنى ثعلبة حتى جاء الإسلام، وكان آخر من نسأ منهم أبو ثمامة جنادة بن عوف بن أمية بن عبد فقيم، وهو الذى جاء فى زمن عمر ابن الخطاب - رضى الله عنه - إلى الحجر الأسود، فلما رأى الناس يزدحمون عليه، قال: أيها الناس، أنا له جار، فأجيزوا، فخفقه عمر بالدرة، ثم قال: أيها الجلف الجافى، قد ذهب عزك بالإسلام. فكل هؤلاء قد نشأ فى الجاهلية، انتهى[١].

ذكر صفة الإنساء

روى الأزرقى بسنده إلى ابن إسحاق، عن الكلبى فى الخبر الذى فيه ما سبق ذكره فى أول من نسأ الشهور، قال: والذى ينسأ لهم إذا أرادوا ألاَّ يحلوا المحرم، قام بفناء الكعبة يوم الصدر، فقال الذى ينسأ: «أيها الناس، لا تحلوا حرماتكم، وعظموا شعائركم؛ فإنى أجاب ولا أعاب لقول قلته»؛ فهنالك يحرمون المحرم ذلك العام، وكان الجاهلية يسمون المحرم: صفر الأول، وصفر: صفر الآخر، ويقولون: صفران وشهرا ربيع وجماديان ورجب وشعبان وشهر رمضان وشوال وذو

(١) ينظر: شفاء الغرام (٢/ ٤٢-٤٣).

القعدة وذو الحجة؛ فكان ينسأ الإنساء سنة، ويترك سنة، فيحلوا الشهور المحرمة، ويحرموا الشهور التى ليست بمحرمة، وكان ذلك من فعل إبليس - لعنه الله تعالى - ألقاه على ألسنتهم فرأوه حسنًا، فإذا كانت السَّنَة التى ينسأ فيها، يقوم ويخطب بفناء الكعبة، ويجمع الناس إليه يوم الصدر، فيقول: أيها الناس، إنى قد أنسأت العام صفر الأول، يعنى: المحرم، فيطرحونه من الشهور ولا يعتدون به، ويبتدئون العدة بعده، فيقولون لصفر وشهر ربيع الأول: صفران ويقولون لشهر ربيع الآخر وجمادى الأولى: شهرا ربيع، ويقولون لجمادى الأخرى ورجب: جماديان، ويقولون لشعبان: رجب، ولشهر رمضان: شعبان، ويقولون لشوال: شهر رمضان، ولذى الفطرة: شوال، ولذى الحجة: ذو القعدة، ولصفر الأول، وهو المحرم الشهر الذى أنسأه: ذو الحجة، فيحجون تلك السنة فى المحرم، فيبطل من هذه السنة شهرًا ينسأه.

ثم يخطبهم فى السنة الثانية فى وجه الكعبة - أيضًا - فيقول: « أيها الناس، لا تحلوا حرماتكم، وعظموا شعائركم، فإنى أجاب ولا أعاب لقول قلته، اللهم، إنى قد أحللت دماء المحلين طيئ وخثعم فى الأشهر الحرم من بين العرب »، فيغزونهم ويطلبون بثأرهم ولا يقفون عن حرمات الناس فى الأشهر الحرم؛ كما تفعل غيرها من العرب، وكان سائر العرب من الحلة والحمس لا يَعْدُونَ فى الأشهر الحرم على أحد ولو لقى أحدهم قاتل أبيه وأخيه، ولا يستاقون إعظامًا للشهور الحرم، إلا خثعم وطيىء، فإنهم كانوا يعدون فى الأشهر الحرم؛ فهنالك يحرمون من تلك السنة الشهر المحرم، وهو صفر الأول، ثم يعدون الشهور على عدتهم التى عدوها فى العام الأول، فيحجون فى كل سنة حجتين، ثم ينسأ فى السنة الثانية، فينسأ صفر الأول فى عدتهم هذه، وهو صفر الآخر فى العدة المستقيمة حتى تكون حجتهم فى صفر أيضًا، وكذلك الشهور كلها حتى يستدير الحج فى كل أربع وعشرين سنة إلى المحرم الذى ابتدءوا منه الإنساء، يحجون فى الشهور كلها فى كل شهر حجتين، فلما جاء الله بالإسلام، أنزل الله فى كتابه العزيز: ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ... ﴾ الآية [التوبة: ٣٧](1) انتهى.

---

(١) ينظر: شفاء الغرام (٢/ ٤٠-٤١).

وقال السهيلي: وأما نسؤهم للشهر الحرام، فكان على ضربين:

أحدهما: هذا الذى ذكره ابن إسحاق من تأخير المحرم إلى صفر؛ لحاجتهم إلى شن الغارات، وطلب الثارات.

والثاني: تأخير الحج عن وقته؛ تحريًا منهم للسنة الشمسية؛ فكانوا يؤخرونه فى كل عام أحد عشر يومًا أو أكثر قليلاً، حتى يدور الدور إلى ثلاث وثلاثين سنة؛ فيعود إلى وقته، ولذلك قال ﷺ فى عام حجة الوداع: « إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض»[1]؛ فكانت حجة الوداع فى السنة التى عاد فيها الحج إلى وقته الأصلى، ولم يحجَّ رسول الله ﷺ من المدينة إلى مكة غير تلك الحجة، وذلك لإخراج الكفار الحج عن وقته، ولطوافهم بالبيت عراة - والله أعلم - إذ كانت مكة فى حكمهم حتى فتحها الله على نبيه، عليه الصلاة والسلام.[2]

ثم ولى عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف السقاية والرفادة بعد عمه المطلب، فأقام لقومه وللحجاج ما كانت آباؤه تقيمه من قبله، وشرف فى قومه شرفًا لم يبلغه أحد من آبائه، فأحبه قومه وعظم خطره فيهم، وكان أكبر أولاده الحارث، لم يكن أول أمره غيره، وكان يكنى به، فيقال: يا أبا الحارث، فقال له ابن عمه عدى بن نوفل بن عبد مناف: ياعبد المطلب، أتستطيلُ علينا وتتعاظم وأنتَ فَذٌّ لا ولد لك ؟ فقال له عبد المطلب: أو بالقِلّة تعيرونى ؟ فو الله نذرٌ عليَّ، لئن آتانى الله عشرة من الولد، لأنحرنَّ أحدهم عند الكعبة. فلما كمل له عشرة من الولد، جمعهم فأخبرهم بنذره، ودعاهم إلى الوفاء لله بذلك، فأطاعوه، وقالوا له: أوفِ بنذرِكَ، وافعلْ ما شئت، قال: ليأخذْ كل واحد منكم قِدْحًا فليكتب اسمه عليه، ثم ائتونى، ففعلوا، فقال عبد المطلب لصاحب القداح: اضربْ على هؤلاء بقداحهم - والقِدْحُ: سهم لا نصل له ولا ريش - فأعطى كل واحد منهم قدحه، وكان عبد الله هو أصغرهم سنًا وأحبَّهم إلى والده، ثم ضرب صاحب القداح، فخرج السهم على

(١) أخرجه البخاري في الأضاحي: باب من قال الأضحى يوم النحر، رقم (٥٥٥٠)، ومسلم في القسامة كتاب تحريم الدماء، رقم (١٦٧٩)، والبغوي في شرح السنة (٤/ ١٢٧- بتحقيقنا)، رقم (١٩٥٨)، من حديث أبي بكرة في حديث الخطبة يوم النحر بمنى.

(٢) ينظر: الروض الأنف (١/ ٦٤).

عبد الله، فأخذه عبد المطلب بيده، وأخذ الشفرة، ثم أقبل على أساف - وهو صنم على الصفا - ليذبح عنده، فجذب العباس عبد الله من تحت رجل والده حتى أثر فى وجهه شجة لم تزلْ ترى فى وجه عبد الله إلى أن مات، فقامت قريش عن أنديتها، وقالوا: لئن فعلتَ هذا لايزال الرجل يأتى بابنه فيذبحه، فما بقاء الناس على هذا ؟! ولكن اعذر فيه إلى ربك، فنفديه بأموالنا، وكان بالحجاز عرافة كاهنة لها تابع من الجنِّ، فانطلقوا حتى قدموا عليها، وقصَّ عليها عبد المطلب قصته وخبر نذره.

ويقال: إن نذره لذلك لم يكنْ سببه تعيير عدى بن نوفل له، فأجابه بقوله: أو بالقلَّة تعيرونى، لئن رزقنى الله عشرة من الولد . . . إلى آخر ما تقدم، بل إنما كان النذر: لما رأى فى المنام زمزم، وأرشد إلى مكانها بعلامة أريها فيه، فقال عند ذلك: لئن رزقنى الله عشرة من الولد حتى يعينونى على حفرها لأنحرنَّ أحدهم.

وعلى كل حال: فالمنذور هو نَحْرُ أحد أولاده العشرة، والاختلاف فى سبب عقد النذر هل هو التعيير له بقلة الولد وهى الرواية الأولى، أو حصول الإرشاد إلى محل زمزم وحفرها، والإعانة على ذلك، وذلك أنه بينما عبد المطلب بن هاشم نائم في الحجر إذ أتى فأمر بحفر زمزم، قال عبد المطلب: إنى لنائم فى الحجر إذ أتانى آت، فقال: احفر طيبة، قال: قلت: وما طيبة ؟ قال: ثم ذهب عنى، فلما كان الغد، جئت إلى مضجعى، فنمت فيه، فجاءنى، فقال: احفر المصونة قلت: وما المصونة ؟ ثم ذهب عني، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي، فنمت فيه، فجاءني فقال: احفر برة، قلت: وما برة؟ ثم ذهب عنى، فلما كان الغد، نمت كذلك فجاءنى، فقال: احفر زمزم، قلت: وما زمزم ؟ قال: لا تنزف أبدًا ولا تذمّ، تسقى الحجيج الأعظم، وهى بين الفرث والدم، عند نقرة الغراب الأعصم، عند قرية النمل، وهى شرف لك ولولدك، وكان هناك غراب أعصم لايبرحُ عند الذبائح مكان الفرث والدم.

فلما بين له شأنها، ودل على موضعها، وعرف أن المنام قد صدق، غدا بالمعول، ومعه ابنه الحارث ليس معه يومئذ ولد غيره، فجعل يحفر ثلاثة أيام حتى بدا له الطى، فعرفت قريش أنه أدرك حاجته، فقالوا: ياعبد المطلب، إنها بئر أبينا إسماعيل، وإن لنا فيها حَقًّا، فأشركنا معك، قال: ما أنا بفاعل، إن هذا الأمر قد خصصت به دونكم، وأعطيته من بينكم، قالوا له: فأنصفنا؛ فإنا غير تاركيك حتى

نخاصمك فيها، قال: فافعلوا، بينى وبينكم من شئتم أحاكمكم إليه، قالوا: كاهنة بنى سعد بن هذيم، قال: نعم، وكانت بأشراف الشام، فركب عبد المطلب ومعه نفر من بنى أمية، وركب من كل قبيلة من قريش نفر، والأرض إذ ذاك مفازة، قال: فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض تلك المفاوز، فنى ما كان عند عبد المطلب وأصحابه من الماء، فظمئوا حتى أيقنوا بالهلكة، فاستسقوا من معهم من قبائل قريش، فأبوا عليهم وقالوا: إنا بمفازة نخشَى على أنفسنا مثل ما أصابكم، فلما رأى عبد المطلب ما صنَعَ القوْمُ وما تخوفوا منه، قال لقومه: ما ترون ؟ قالوا: ما رأينا إلا تبع لرأيك، فمرنا بما شئت، قال: فإنى أرى أن يحفر كل رجل منكم حفرة لنفسه بما بكم الآن من بقية الرمق والقوة، فكلما مات رجل على شفير حفرته، ألقاه فيها من بقى معه رمق منكم، قالوا: نِعْمَ ما أمرت به، فقعدوا ينتظرون عطشًا، ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه: والله، لنضربنَّ فى الأرض؛ فلعلَّ الله يرزقنا ماء ببعض البلاد، فتقدم عبد المطلب إلى راحلته فركبها، فلما انبعثت به، انفجرت عين ماء عذب من تحتِ خفها، فكبر عبد المطلب وكبر أصحابه، ثم نزل فشرب هو وأصحابه، واستقوا حتى ملئوا أسقيتهم، ثم دعا القبائل من قريش، فقال: هلموا إلى الماء، فقد سقانا الله، فاشربوا واستقوا، فجاءوا فشربوا واستقوا، ثم قالوا: قد والله قضى الله لكَ علينا ياعبد المطلب، والله لا نخاصمك فى زمزم أبدًا، إن الذى سقاك هذا الماء بهذه المفازة لهو الذى سَقَاكَ، فارجع إلى سقايتك راشدًا، فرجع ورجعوا معه.

ويقال: إن عبد المطلب قام يحفر هنالك، فجاءت قريش فقالوا: لا تحفر فى مسجدنا، فقال: إنى لحافر هذه البئر، ومجاهد من صدنى عنها، فطفق يحفر هو وابنه الحارث، وليس له يومئذ ولد غيره، فسعت إليهما ناس من قريش ونازعوهما، حتى إذا اشتدَّ عليه الأذى، نذر لئن ولد له عشر بنين، ثم بلغوا معه حتى منعوه عمن يريد منعه، وسهل الله عليه حفر زمزم - لينحرن أحدهم عند الكعبة، فلما بلغوا عشرة وأراد ذلك، وقع ما تقدم ذكره. انتهى

وورد أن عبد المطلب كان نائمًا فى الحجر إذ رأى منامًا، فانتبه فرقًا مرعوبًا، وأتى كهنة قريش وقص عليهم [رؤياه، فقالوا: تأويل][1] رؤياك: ليخرجنَّ من

---

(١) هذه زيادة لم توجد في الأصل، فزدناها ليتسق المعنى.

ظهرك من يؤمنُ به أهل السموات والأرض، وليكوننَّ فى الناس علمًا مبينًا. فتزوَّج ابنة عمرو بن عائذ بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، وحملت فى ذلك الوقت بعبد الله الذبيح. وقصة ذبحه سببها نذر أبيه عبد المطلب ذبح أحد أولاده إذا رزقه الله عشرة ذكور؛ كما تقدم آنفًا.

وكانت زمزم مجهولة الموضع، إلى أن رفع عنها الحجاب برؤيا منام رآها عبد المطلب دلته على حفرها بأمارات عليها، وقد كان مضاض بن عمرو الجرهمى، أو عمرو بن الحارث الجرهمى لما أحدث قومَهُ بحرمِ الله الحوادثَ، وقيض الله إيادًا فأخرجوهم من مكة، عمد عمرو هذا إلى ذخائر الكعبة - من الغزالين والأسياف وغير ذلك - وأخرجها من الجب الذى كان بالكعبة معدًا لوضع ذلك، فأخذ جميع ذلك، وجعله فى زمزم، وطمها وعفى أثرها، وفر إلى اليمن بقومه، فلم تزل زمزم من ذلك العهد مجهولة إلى أن رآها عبد المطلب، فأراد ذبح ولده عبد الله فمنعه أخواله بنو مخزوم، وفى الرواية الأولى منعه العباس فاجتذبه من تحت رجل ولده، ولا مانع من وقوع السببين، ويكون المنع منهم بعد الاجتذاب من العباس، ثم احتفرها وكانت له فخرا وعزًا.

فذهبوا، فقالت لهم العرافة: ارجعوا عنى اليوم حتى يأتينى تابعى، فرجعوا من عندها، ثم عادوا إليها، فقالت لهم: كم الدية فيكم ؟ فقالوا: عشر من الإبل، فقالت لهم: قربوا عن ولدكم عشرًا من الإبل، ثم اضربوا عليها وعليه، واستمروا كذلك إلى أن يخرج السهم عليها فانحروها، فقد رضى ربكم ونجّى ولدكم، فخرجوا حتى قدموا مكة، فقربوا عشرًا من الإبل، وضربوا بالقداح، فخرج السهم على عبد الله، واستمروا في كل مرة يزيدون عشرا فعشرًا حتى بلغت الإبل مائة فخرج السهم عليها، فأعادوها ثانية وثالثة فخرج السهم على الإبل، فنحروها، وتركتْ لا يمنع من لحمها آدمى ولا وحش ولا طير.

قال الزهرى: كان عبد المطلب أول من سن دية النفس مائة من الإبل، فجرت فى قريش، ثم فى العرب، وأقرها رسول الله ﷺ فى الإسلام[1].

---

(١) ينظر قصة حفر عبد المطلب لبئر زمزم في السيرة النبوية (١/ ١٦٣-١٦٩) وسبل الهدى والرشاد (١/ ١٨٧-١٨٩).

وذكر الحافظ النيسابورى بسنده عن سعيد بن عمرو الأنصارى، عن أبيه، عن كعب الأحبار؛ أن نور رسول الله ﷺ لما وصل إلى عبد المطلب ونام فى الحجر، فانتبه مكحولاً مدهونًا قد كسى حلة البهاء والجمال، فبقى متحيرًا لايدرى من فعل به ذلك، فأخذه أبوه هاشم بيده، ثم انطلق به إلى كهنة قريش، فأخبرهم بذلك، فقالوا له: اعلم أن إله السموات قد أذن لهذا الغلام أن يتزوج، فزوجه أبوه قيلة، فولدت له الحارثَ وهو أكبر أولاده، وبه كان يكنى؛ كما تقدَّم ذكر ذلك. ثم ماتتْ فزوجه بعدها هندًا بنت عمرو، وكان عبد المطلب تروح منه رائحة المسك الإذفر، ونور رسول الله ﷺ يضىء فى غرته، وكانت قريش إذا أصابها قحط تأخذ بيده، فتخرج به إلى جبل ثبير، فيتقربون به إلى الله تعالى ويسألونه أن يسقيهم الغيث، فكان يغيثهم ويسقيهم ببركة نورِ محمد ﷺ غيثًا عظيمًا.

وعند الحاكم فى مستدركه: عن معاوية بن أبى سفيان: كنا عند رسول الله ﷺ، فأتاه أعرابى، فقال: يا رسول الله، خلفت البلاد يابسة والماءَ يابسًا، هلك المال وضاع العيال، فعد على مما أفاء الله عليك يا بن الذبيحَيْنِ، فتبسم رسول الله ﷺ، ولم ينكر عليه[1]. ويعنى بالذبيحين: عبد الله، وإسماعيل بن إبراهيم، وإن كان قد ذهب بعض العلماء إلى أن الذبيح إسحاق.

قال ابن القيم: ومما يدل على أن الذبيح إسماعيل: أنه لاريب أن الذبح كان بمكة، وكذلك جعلت القرابين يوم النحر كما جعل السعى بين الصفا والمروة ورمى الجمار تذكيرًا بشأن إسماعيل وأمه وإقامة لذكر الله تعالى، ومعلوم أن إسماعيل وأمه هما اللذان كانا بمكة دون إسحاق وأمه.

ثم قال: ولو كان الذبح بالشام - كما يزعم أهل الكتاب ومن تلقَّى عنهم - لكانت القرابين والنحر بالشام لا بمكة[2]، وروى عن عمر بن عبد العزيز: أنه سأل رجلًا أسلم من علماء اليهود: أىُّ ابنىْ إبراهيم أمر بذبحه ؟ فقال: والله يا أمير المؤمنين، إن اليهود ليعلمون أنه إسماعيل، ولكنهم يحسدونكم يا معشر العرب أن يكون أَبًا لكُمْ للفضل الذى ذكره الله تعالى عنه، فهم يجحدون ذلك، ويزعمون أنه

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٥٥١) وسكت عنه وتعقبه الذهبيُّ فقال: إسناده وَاهٍ.
(٢) ينظر: زاد المعاد (١/ ٧٤).

إسحاق؛ لأن إسحاق أبوهم؛ كذا فى المواهب اللدنية[١].

وقد استشكل أن عبد المطلب نذر نحر أحد بنيه إذا بلغوا عشرة، وقد كان تزويجه هالة أم ابنه حمزة بعد وفائه بنذره، فحمزة والعباس إنما ولدا بعد الوفاء بنذره، وإنما كان أولاده عشرة.

قال السهيلى: ولا إشكال فى هذا؛ فإن جماعة من العلماء قالوا: كان أعمامه - عليه الصلاة والسلام - اثنى عشر؛ [وهو قول الأكثر][٢]. وإن صح قول من قال: إنهم عشرة لا يزيدون، فالولد يقع على البنين وبنيهم حقيقةً لا مجازًا، فكأن عبد المطلب قد اجتمع له من ولده وولد ولده عشرة رجال حين الوفاء بنذره.[٣] وقد تقدم أن عبد الله كان أصغر بنى أبيه عبد المطلب، وهو غير معروف، فلعل الرواية أصغر بنى أمه، وإلا فحمزة كان أصغر من عبد الله، والعباس كان أصغر من حمزة، فكيف يستقيم أن يكون عبد الله أصغر أولاد عبد المطلب ؟! وروى عن العباس أنه قال: أذكر مولد رسول الله ﷺ وأنا ابن ثلاثة أعوام ونحوها، فجىء به حتى نظرت إليه، وجعل النساء يقلنَ لى: قَبِّلْ أخاك، فقبلته، فكيف يصح أن يكون عبد الله أصغر أولاد بنيه ؟! لكن يحتمل وجه لصحته أن تكون الرواية أصغر بنى أمه، أو تكون الرواية لذلك أصغر بنى أبيه، ويكون المراد أنه أصغر بنى أبيه حين أريد نحره، ثم ولد له بعد ذلك حمزة والعباس[٤]. انتهى

قلت: يعكر على هذا التوجيه الرواية السابقة التى فيها اجتذابُ العباسِ لعبد الله من تحتِ رجلِ عبد المطلب؛ إذ هى مصرحة بوجوده؛ بل ببلوغه حد الرجولية رأيًا وفعلًا؛ فليتأمل ولينظر وجه التوفيق.

وقيل لعبد المطلب فى صفة زمزم: لا تنزف أبدًا ولا تذم، وهذا برهان عظيم؛ لأنها لم تنزف من ذلك الحين إلى اليوم قطُّ، وقد وقع فيها حبشى، فنزحَتْ من أجله، فوجدوا ماءها. يفور من ثلاثة أعين أقواها وأكثرها ماء عين من ناحية الحجر

---

(١) ينظر: شرح المواهب (١/ ٩٧-٩٨).
(٢) في الروض: « وقاله أبو عمر فإن صح فلا إشكال في الخبر ».
(٣) ينظر الروض (١/ ١٨٠).
(٤) ينظر الروض الأنف (١/ ١٧٦).

الأسود، ذكر هذا الحديث الدارقطنى[(١)].

وقوله: « لا تذم » فينظر، فقد كان خالد بن عبد الله القسرى عامل الوليد بن عبد الملك على مكة يذمها ويسميها أم جعلان، واحتفر بئرًا خارج مكة باسم الوليد ابن عبد الملك، وجعل يفضلها على زمزم، ويحمل الناس على التبرك بها دون زمزم جرأةً منه على الله وقلة حياء منه، وهو الذى كان يفصحُ بلعْنِ على بن أبى طالب - كرم الله وجهه - على المنبر هناك، وإنما ذكرنا هذا ليعلم أنها قد ذمت، لكن

[من الرمل]

لاَ يَضُرُّ البَحْرَ أَمْسَى زَاخِرًا أَنْ رَمَى فِيهِ سَفِيهٌ بِحَجَرْ!

وأول من اتخذ للكعبة بابًا من حديد عبد المطلب، ضربه من تلك الأسياف التى وجدها فى زمزم حين احتفرها، وهى التى أودعها مضاض بن عمرو الجرهمى باطن زمزم وطمها، واتخذ حوضًا لزمزم يسقى منه؛ فكانوا يخربونه بالليل حسدًا له، فلما غمه ذلك، قيل له فى المنام: قُلْ: لا أحلها لغسل، وهى لشاربٍ حلٌّ وبِلّ، وقد كفيتَهُمْ. فلما أصبح قال ذلك، فكان بعد ذلك من أرادها بمكروه، رمى بداء فى جسده حتى انتهوا عنه.

فائدة: كانت قريش قبل حفر زمزم، اتخذت أبيارًا بمكة، فذكروا أن قصيًّا كان يسقى الحجيج فى حياض من أدم، فكان ينقل الماء إليها من آبار خارجة عن مكة، منها بئر ميمون الحضرمى، وكان ينبذ لهم الزبيب، ثم احتفر قصىٌّ العَجُول فى دار أم هانىء بنت أبى طالب، وهى أول سقاية حفرت بمكة، فلم تزلِ العجول قائمة حياة قصىٍّ وبعد موته حتى كبر عبد مناف بن قصىٍّ، فسقط فيها رجل من بنى جعيل، فعطلوها واندفنت واحتفرتْ كل قبيلة بئرًا. واحتفرت سجلة. وأما خم: فهى بئر مرة، وهى من خممت البيت: إذا كنسته.

وأما غدير خم الذى عند الجحفة: فسمى بغيضة عنده، يقال لها: خم.

وأما زم: فبئر بنى كلاب بن مرة.

وأما شغية: فبئر بنى أسد.

---

(١) أخرجه الدارقطني (١/ ٣٣) كتاب الطهارة باب البئر إذا وقع فيها حيوان، حديث (١) من طريق محمد بن سيرين، عن ابن عباس. ومحمد لم يلق ابن عباس، ولا سمع منه.

وأما سنبلة: فبئر بنى جُمح، وهى بئر بنى خلف بن وهب بن جمح.

وأما الغمر: فبئر بنى سهم.

قلت: البئر التى يقال لها: العجول فى دار أم هانىء، قد حفرتْ بعد أن دفنت واستمرت إلى أن دفنها المستنجد العباسى لما وسع المسجد الحرام، وأدخل دار أم هانىء فيه، واحتفر عوضها البئر التى عند باب الحَزْوَرَةِ على يسار الخارج من المسجد المعروفة فى زماننا بالشرشورة يغسل فيها الموتى غالبًا. انتهى. والحديث شجون، يجرالفَنُّ منه إلى فنون.

ولنرجع إلى ما كنا، ونتمُّ ما عنه أبنَّا، من ذكر عبد المطلب، فنقول: ولما قدم أبرهة ملك اليمن من قبل النجاشىِّ لهدم بيت الله الحرام، وذلك أنه بنى كنيسة، وأراد صرف الحاج إليها، فأصبح ذات يوم وإذا هو بالكنيسة قد تَبَرَّزَ فيها رجل من كنانة، فحلف ليهدمنَّ بيت عز العرب، وهو الكعبة، فسار بجيش كالليل، يسير كالسيل، وبلغ عبد المطلب ذلك، فقال: يا معشر قريش، إنه لا يصلُ إلى هدم البيت؛ لأن للبيت ربًا يحميه.

ثم جاء مقدم خيل لأبرهة، فاستاق إبلاً لقريش فيها أربعمائة ناقة لعبد المطلب، فركب عبد المطلب فى قريش حتى طلع جبل ثَبِير، فاستنارتْ دائرة غرة رسول الله ﷺ على جبينه كالهلال، فانتشر شعاعها على البيت الحرام مثل ضوء السراج. فلما نظر عبد المطلب إلى ذلك قال: يا معشر قريش، ارجعوا، قد كفيتم هذا الأمر، فوالله ما استدار هذا النور منى إلا أن يكون الظفر لنا، فرجعوا متفرقين، ثم قصد عبد المطلب إلى خباء أبرهة، فإذا هو على سرير الذهب، فلما وقع نظر أبرهة على عبد المطلب، أكبره أن يقعده تحته، ولم يرض أن يقعد معه على السرير، فنزل على الأرض وأعظمه وأجلَّه، وسأله ما الذى أتَى بك ؟ فقال: إبل لى استاقها بعض جيشك، فقال أبرهة للترجمان: قل له: لقد عظمتَ أولاً فى عينى، فلما تكلمْتَ انحطَّتْ رتبتك عندى، قال عبد المطلب: ولم ذاك ؟ قال: لأنك قد علمت أنى إنما أتيتُ لهدم هذا البيت، وهو عزكَ وعز آبائكَ، فلم يكن لك هم إلا الإبل ورَدُّهَا عليك، فقال عبد المطلب: أنا ربُّ الإبل، وللبيت ربٌّ يحميه، فشأنك وإياه، ثم أمر بردها عليه.

وروى أنه لما حضر عبد المطلب إلى أبرهة، أمر سائس فيله الأبيض العظيم –

الذى كان لا يسجد لأبرهة كما تسجد الفيلة - أن يحضر بين يديه، فلما نظر الفيل إلى وجه عبد المطلب برك كما يبرك البعيرُ وخَرَّ ساجدًا وأنطقه الله، فقال: السلام على النور الذى فى ظهرك يا عبد المطلب؛ كذا رواه فى المنظوم والمفهوم.

ثم قام عبد المطلب حتى أتى البيت، وأخذ بحلقتى الباب، وقال: [من مجزوء الكامل]

لاَهُمَّ إِنَّ الـمَـرْءَ يَـمْـ ـنَعُ رَحْلَهُ فَامْنَعْ حَلاَلَكْ
لاَ يَـغْـلِـبَـنَّ صَـلِـيـبُـهُـمْ وَمِحَالُهُمْ أَبَدًا مِحَالَكْ
وَانْصُرْ عَلَى آلِ الصَّلِيـ ـبِ وَعَابِدِيهِ اليَوْمَ آلَكْ
إِنْ كُنْتَ تَارِكَهُمْ وَكَعْـ ـبَتَنَا فَأَمْرٌ مَا بَدَا لَكْ

ولما وصل الجيش ومعهم الفيل، وكان فيلاً عظيمًا لم ير مثله عظمًا اسمه محمود، فلما كان بالمغمِّس، برك، فضربوه فى رأسه بالمعاول ضربًا شديدًا فأبى، فوجهوه إلى جهة اليمن، فقام مسرعًا. ثم أرسل الله عليهم طيرًا أبابيل من البحر، مع كل طائر ثلاثة أحجار كل حجر زنة طسوج حجر فى منقاره، وحجران فى رجليه كأمثال العدس، هيئة تصيب الفارس فى قنة رأسه، فتقطع أمعاءه، وتخرج من دبره، فخرجوا هاربين يتساقطون بكل طريق، فكان الحجر يغوص فى الأرض من شدة وقعه، وأصيب أبرهة بداء فى جسمه، فتساقطَتْ أنامله أنملة أنملة، وسال منه الصديد والقيح والدم، وما مات حتى اندع قلبه. وإلى هذا أشار سبحانه بقوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ . . . ﴾ السورة [الفيل: ١][1] ثم قام عبد المطلب منشدًا لما بدد الله شملهم وهدهم، وخيب أمالهم وصدهم: [من الرمل]

أَيُّهَا الدَّاعِى الَّذِى أَسْمَعْتَنِى ثَمَّ مَا بِى عَنْ نِدَاكُمْ مِنْ صَمَمْ
إِنَّ لِلْبَيْتِ لَرَبًّا مَانِعًا مَنْ يُرِدْهُ بِأَثَام مُصْطَلَمْ
رَامَهُ تُبَّعُ فِيمَا حَشَدَتْ حِمْيَرٌ وَالحىُّ مِنْ آل قدمْ
فانثَنَى عَنْهُ وَفِى أَوْدَاجِهِ خارجٌ أَمْسَكَ عنه بالكظَمْ
قلتُ والأَشْرَمُ تَرمِى خيلُه إِنَّ ذَا الأَشْرَمَ غِرٌّ بالحَرَمْ

---

(١) ذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٦/ ٦٧٢-٦٧٣) وعزاه إلى ابن أبي حاتم وأبي نعيم في « الدلائل » عن عثمان بن المغيرة بن الأخنس.

نحنُ آلُ اللهِ فيمَا قَدْ مَضَى لَمْ يَزَلْ ذَاكَ عَلَى عهدِ ابرَهَمْ
نَحْنُ دَمَّرْنَا ثمودًا عَنْوَةً ثُمَّ عَادًا قَبْلَهَا ذَات الإِرَمْ
نَعْبُدُ اللهَ وَفِينَا سُنَّةٌ صِلَةُ القُرْبَى وَإِيفَاءُ الذِّمَمْ
لَمْ تَزَلْ للهِ فينَا حُجَّةٌ يَدْفَعُ اللهُ بِهَا عَنَّا النِّقَمْ

وقال أمية بن أبى الصلت فى ذلك: [من الخفيف]

إنَّ آيَاتِ رَبِّنَا بَيِّنَاتٌ لاَ يُمَارِى بِهِنَّ إلاَّ كَفُورُ
حُبِسَ الفِيلُ بِالمُغَمَّسِ حَتَّى ظَلَّ يَحْبُو كَأَنَّهُ مَعْقُورُ

وفى تاريخ الخميس: أن الحجر كان أكبر من العدسة، وأصغر من الحمصة. عن ابن عباس: أنه رأى منها عند أم هانئ خرزاتٍ مخططةً كالجذع الظفارى[1].

فخرجوا هاربين يبتدرون الطريق التى جاءوا منها يسألون عن نفيل بن حبيب ليدلَّهم على الطريق، فقال نفيل حين رأى ما أنزل الله تعالى بهم من نقمة: [من الرجز]

أَيْنَ المَفَرُّ وَالإِلَهُ الطَّالِبُ والأَشْرَمُ المَغْلُوبُ لَيْسَ الغَالِبُ

وقال أيضًا: [من الوافر]

أَلاَ حُيِّيتِ عَنَّا يَا رُدَيْنَا نَعِمْنَاكُمْ مَعَ الإِصْبَاحِ عَيْنَا
رُدَيْنَةُ لَوْ رأيتِ وَلاَ تَرَيْهِ لَنَا جَنْبَ المُحَصَّبِ مَا رَأَيْنَا
إذَنْ لَعَذَرْتِنِى وَحَمِدتِّ أَمْرِى وَلَمْ تَأْسَىْ عَلَى مَا قُلْت مَيْنَا
حَمَدت الله إِذْ أَبْصَرْتُ طَيْرًا وَخِفْتُ حجَارَةً تُلْقَى عَلَيْنَا
وَكُلُّ القَوْمِ يَسْأَلُ عَنْ نُفَيْلٍ كَأَنَّ عَلَيَّ لِلحُبْشَانِ دَيْنَا

قال العلامة ابن الجوزى: ثم إن عبد المطلب بعث ابنه عبد الله على فرس ينظر إلى القوم، فرجع يركض ويقول: هلك القوم، فخرج عبد المطلب وأصحابه وغنموا أموالهم. انتهى

وفى الكشاف: وَدِوِىَ أبرهة - أى: مرض - فتساقطت أنامله وآرابه عضوًا عضوًا حتى قدموا به صنعاء، وهو مثل فرخ الطائر، فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه، فهلك.

---

(١) ذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٦/٦٧٦) وعزاه إلى ابن مردويه وأبي نعيم.

وعن عكرمة: أصابته جدرية، وهو أول جدرى ظهر فى الأرض[١].

قال ابن إسحاق: وحدثنى يعقوب بن عقبة؛ أنه حدثه أنه أول ما رئيت الحصبة والجدرى بأرض العرب ذلك العام.

قال مقاتل: إن السبب الذى جر أصحاب الفيل أن فتية من قريش خرجوا تجارًا إلى أرض النجاشىِّ، فدنوا من ساحل البحر - وثمة بيعة للنصارى تسميها قريش الهيكل - فنزلوا فأججوا نارا، فاشتووا، فلما ارتحلوا تركوا النار كما هى فى يومِ عاصفٍ، فهاجت الريح فاضطرم الهيكل نارًا، فانطلق الصريخ إلى النجاشىِّ، فأسفَ غضبًا للبيعة، فبعث أبرهة لهدم الكعبة.

وقال فيه - يعنى مقاتل -: إنه كان بمكة يومئذٍ أبو مسعود الثقفى، وكان مكفوف البصر يصيف بالطائف ويشتو بمكة، وكان رجلاً نبيهًا نبيلاً تستقيم الأمور برأيه، وكان خليلاً لعبد المطلب، فقال له عبد المطلب: ماذا عندك ؟ هذا اليوم لا نستغنى عن رأيك، فقال أبو مسعود لعبد المطلب: اعهد إلى مائة من الإبل، فاجعلها لله، وقلِّدها نعلاً، ثم بثها فى الحرم، لعل بعض هذه السود أن يعقر منها فيغضب رب هذا البيت فيأخذهم، ففعل ذلك عبد المطلب، فعهد القوم إلى تلك الإبل، فحملوا عليها وعقروا بعضها، وجعل عبد المطلب يدعو، فقال أبو مسعود: إن لهذا البيتِ ربًّا يمنعه، وقد نزل تبع اليمن صحن هذا البيت، وأراد هدمه، فمنعه الله وابتلاه وأظلم عليه ثلاثة أيام، فلما رأى تبع ذلك، رجع عن نيته وكساه القباطئ البيض وعظمه ونحر له الجزائر فانظر كيف جهته ؟ فنظر عبد المطلب فقال: أرى طيرا بيضًا نشأت من شاطىء البحر، فقال أبو مسعود: ارمقها ببصرك أين قرارها ؟ قال: أراها تدورُ على رءوسنا، قال: هل تعرفها ؟ قال عبد المطلب: لا والله ما أعرفها، فما هى بنجدية ولا تهامية ولا غربية ولا شامية، قال: ما قدرها ؟ قال: أشباه اليعاسيب، فى مناقيرها حصى كأنها حصى الخذف، قد أقبلت كالليل يكسَعُ بعضها بعضًا، أمام كل فرقة طير يقودها، أحمر المنقار، أسود الرأس، طويل العنق. فجاءَتْ حتى إذا حاذتْ معسكر القوم، كرت فوق رءوسهم، فلما توافت الرجال

---

(١) ذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٦/ ٦٧٥) وعزاه إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل.

كلها، أهالت ما في مناقيرها وأرجلها على من تحتها، على كل حجر مكتوب اسم صاحبه، ثم إنها انصاعت راجعة من حيث جاءت، فلما أصبحا انحطًا من ذروة الجبل، فمشيا رتوة، فلم يؤنسا أحدًا، ثم دنوا رتوة، فلم يسمعا حسًا، فقالا: بات القوم ساهرين فأصبحوا نيامًا، فلما دنوا من عسكر القوم فإذا هو خامدون، فعمد عبد المطلب فأخذ فأسًا من فئوسهم، فحفر حتى أعمق فى الأرض فملأه من الذهب الأحمر والجوهر، وحفر لصاحبه فملأه، ثم قال له أبو مسعود: اختز لى على نفسك، فقال عبد المطلب: إنى لم آل أجعل أجود المتاع إلا فى حفرتى فهو لك، وجلس كل منهما على حفرته ونادى عبد المطلب فى الناس، فتراجعوا وأصابوا من فضلهما حتى ضاقوا به ذرعًا، وساد عبد المطلب بذلك وبغيره قريشًا وأعطته المقادة.

فلم يزل عبد المطلب وأبو مسعود فى أهليهما فى غِنًى من ذلك المال، ودفع الله عن كعبته.

وفى الكشاف: أن أهل مكة احتووا على أموالهم، وإلى هذه القصة أشار ﷺ بقوله: « إن الله حبس عن أهل مكة الفيل »[(١)] وسلط الله عليهم رسوله والمؤمنين. قيل: كان أبرهة هذا جد النجاشئ الذى كان فى زمنه ﷺ ومات وصلى عليه.

وعن عائشة - رضى الله عنها - قالت: رأيت قائد الفيل وسائسه أعمَيَيْنِ بمكة مقعدين يستطعمان[(٢)]. وروى أن الله أرسل سيلاً فذهَبَ [بهم][(٣)] موتى إلى البحر[(٤)].

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٨٧) كتاب اللقطة باب إذا وجد تمرة في الطريق، رقم (٣٤٣٤)، ومسلم (٢/ ٩٨٨) كتاب الحج باب تحريم مكة وصيدها، رقم (٤٤٧-١٣٥٥)، وأبو داود (٢/ ٥١٨) كتاب المناسك باب تحريم حرم مكة، رقم (٢٠١٧)، والدارمي (٢/ ٢٦٥) كتاب البيوع باب في اللقطة، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٤/ ١٤٠)، وأحمد (٢/ ٢٣٨)، والدارقطني (٣/ ٩٦، ٩٧) والبيهقي (٦/ ١٩٩)، من حديث أبي هريرة قال: لما فتح الله عز وجل على رسوله ﷺ مكة قام في الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: « إن الله حبس عن مكة الفيل، وسلط عليها رسوله والمؤمنين وإنها لم تحل لأحد قبلي وإنها أحلت لي ساعة من نهار وإنها لن تحل لأحد بعدي، فلا ينفر صيدها، ولا يختلى شوكها، ولا تحل ساقطتها إلا لمنشد ».

(٢) ذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٦/ ٦٧٦) وعزاه إلى ابن إسحاق والواقدي وابن مردويه والبيهقي وأبي نعيم.

(٣) زيادة من « الدر المنثور » يقتضيها المعنى.

(٤) ذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٦/ ٦٧٤) وعزاه إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي نعيم في الدلائل.

فلما هلك أبرهة، ومزق الحبشة كل ممزق، أقفر ما حول هذه الكنيسة، وكثرت السباع حولها والحيات، فلا يستطيع أحد أن يأخذ مما فيها شيئًا إلى زمن السفاح أبى العباس، فذكروا له أمرها، فبعث إليها أبا العباس بن الربيع عامله على اليمن ومعه أهل الحزم والجلادة، فخربوها وحصلوا منها مالاً كثيرًا.

ثم بعد ذلك: عفى رسمها وانقطع خبرها؛ كذا فى حياة الحيوان(١).

وقال فى سيرة ابن هشام(٢): فلما هلك أبرهة، ملك الحبشة ملك بعده ابنه يكسوم بن أبرهة، ثم ملك اليمن من الحبشة أخوه مسروق بن أبرهة، فلما طال البلاء على أهل اليمن، خرج سيف بن ذى يَزَن الحِمَيرِىّ حتى قدم على قيصر ملك الروم، فشكا إليه ماهم فيه، وسأله أن يخرجه عنهم ويليهم هو ويبعث إليهم من شاء من الروم، فلم يشكه، فخرج حتى أتى النعمان بن المنذر وهو عاملُ كسرىَ على الحيرة وما يليها من أرض العراق، فشكا إليه أمر الحبشة، فبعثه النعمان مع وفده إلى كسرى، فدخل عليه فقال: أيها الملك، غَلبنا على بلادنا الأغربة، قال كسرى: أى الأغربة، الحبشة أم السند ؟ قال: الحبشة، فجئتك لتنصرنى ويكون ملك بلادى لك، قال كسرى: بعدتْ بلادك مع قِلَّة خيرها، فلم أكن لأورطَ جيشًا من فارس بأرض العرب، لاحاجة لى بذلك، ثم أجازه بعشرة آلاف درهم وكساه كسوة حسنة، فلما قبض ذلك سيف، خرج فجعل ينثر ذلك الوَرِقَ للناس، فقال: وما أصنع بهذا ؟ ما جبال أرضى التى جئت منها إلا ذهب وفضة، يرغبه فيها، فجمع مرازبته، فقال: ماذا ترون فى أمر هذا الرجل ؟ فقال قائل: أيها الملك، إن فى سجونك رجالاً قد حبستهم للقتل، فلو أنك بعثتهم معه، فإن هلكوا، كان ذلك الذى أردت بهم، وإن ظفروا، كان ملكًا ازددته، فبعث معه كسرى من كان فى سجونه - وكانوا ثمانمائة رجل - واستعمل عليهم وهرِز، وكان ذا سن فيهم وأفضلهم حسبًا وبيتًا. فخرج سيف فى ثمان سفائن، فغرقت سفينتان ووصل إلى ساحل عدن ست سفائن، فجمع سيف إلى وهرز من استطاع من قومه، وقال له: رجلى ورجلك حتى نموتَ جميعًا أو نظفر، قال وهرز: أنصفت، وخرج إليه مسروق بن أبرهة ملك اليمن

---

(١) ينظر: حياة الحيوان (٢/ ٢٧٤).

(٢) ينظر: السيرة النبوية (١/ ٧٦).

وجمع إليه جنده، فأرسل إليه وهرز ابنًا له ليقاتلهم، فقتل ابن وهرز، فزاده ذلك حنقًا عليهم، فلما تواقف الناس على مصافهم، قال وهرز: أرونى ملكهم، فقالوا له: أترى رجلاً على الفيل عاقدًا تاجه على رأسه بين عينيه ياقوتة حمراء ؟ قال: نعم، قالوا: ذاك ملكهم، قال: اتركوه، فوقف طويلاً، ثم قال: علام هو ؟ قال: على البغلة، قال وهرز: بئست الحمالة، ذل وذل ملكه، إنى سأرميه، فإن رأيتم أصحابه لم يتحرَّكوا، فاثبتوا حتى أوذنكم؛ فإنى قد أخطأت الرجل، وإن رأيتم القوم قد استداروا ولاذوا به؛ فإنى قد أصبته، فاحملوا عليهم، فأمر بحاجبيه فعصبا له، ثم رماه، فشك الياقوتة التى بين عينيه، فتغلغلتِ النشابة فى رأسه حتى خرجت من قفاه، ونكس عن دابته، فاستدارت الحبشة ولاذت به، وحملت عليهم الفرس، فانهزموا وقتلوا، وهربوا فى كل وجه. وأقبل وهرز ليدخل صنعاء، حتى إذا أتى بابها قال: لا تدخل رايتى منكسة أبدًا، اهدموا الباب، فهدم ثم دخلها ناصبًا رايته.

قال ابن إسحاق: فأقام وهرز والفرس باليمن، فمن بقية ذلك الجيش من الفرس الأبناء الذين من اليمن اليوم.

قال ابن هشام: طاوس اليمانى من هؤلاء الأبناء.

ثم مات وهرز، فأُمِّر ابنه المرزبان على اليمن، ثم عزل وأمر باذان، فلم يزلْ عليها حتى بعث النبى ﷺ.

قال: وكان ملك الحبشة لليمن قبل ذلك أرياط، ثم أبرهة، ثم يكسوم، ثم مسروق الذى قتله وهرز.

قال: وسبب ملك الحبشة لليمنِ أن أهل نجران كانوا أهلَ شرْكٍ يعبدون الأصنام، وكان فى قرية من قراها قريبة من نجران - ونجران القرية العظمى التى إليها جماع تلك البلاد - ساحر يعلم غلمان أهل نجران السحر، فلما نزلها ميمون[1] الراهب، ابتنى خيمة بين نجران وبين تلك القرية التى بها الساحر، فجعل أهل نجران يرسلون غلمانهم إلى ذلك الساحر يعلمهم السحر، فبعث إليه الثامر[2] ابنه عبد الله بن الثامر مع غلمان أهل نجران، فكان عبد الله إذا مَرَّ بصاحب الخيمة، أعجبه ما يرى من

---

(١) في السيرة: « فيميون ». والمثبت من تاريخ الطبري.
(٢) في ط: « التامر » وهو تحريف. والمثبت من السيرة.

صلاته وعبادته، فجعل يجلس إليه ويسمع منه حتى أسلم ووحد الله وعبده، وجعل يسأله عن شرائع الإسلام حتى إذا فقه فيه جعل يسأله عن الاسم الأعظم، وكان يعلمه فكتمه إياه، وقال: يا بن أخي، إنك إن تحمله أخشى ضعفَكَ عنه. والثامر أبو عبد الله لا يظنُّ إلا أن ابنه يختلف إلى الساحر؛ كما يختلف إليه الغلمان، فلما رأى عبد الله أن ميمون[1] قد ضن بالاسم الأعظم عليه، وتخوف ضعفه عنه، عمد إلى قِداحه فجمعها ثم لم يبقِ [لله] [2] اسمًا يعلمه إلا كتبه حتى كتبها فى القداح لكلِّ اسم قدح، حتى إذا أحصاها أوقد لها نارًا ثم [جعل] [3] يقذفها [فيها] [4] قدحًا قدحًا حتى إذا مر بالاسم الأعظم، قذف فيها بقدحه، فوثب القدح من النار حتى خرج منها لم تضره النار شيئًا، فأخذه ثم أتى به صاحبه فأخبره أنه قد علم الاسم الأعظم الذى كتمه عنه، فقال له: ماهو ؟ قال: هو كذا وكذا، قال: وكيف علمته ؟ فأخبره بما صنع، فقال: أى ابن أخى، قد أصبتَهُ، فأمسك على نفسك، وما أظن أن تفعل، فجعل عبد الله بن الثامر إذا دخل نجران لم يلقَ أحدًا به ضراء إلا قال: ياعبد الله أتوحِّدُ اللهَ، وتدخل فى دينى، وأدعو الله فيعافيك مما أنتَ فيه من البلاء ؟ فيقول: نعم، فيوحد الله ويسلم ويدعو له [فيشفى] [5]، حتى لم يبق بنجران أحد به ضراء إلا أتاه فاتبعه على أمره فدعا له [فعوفى] [6]، فرفع أمره إلى ملك نجران فقال له: أفسدت علىَّ أهل مدينتى، و[خالفت] [7] دينى ودين آبائى، لأمثلنَّ بك، فقال عبد الله: لاتقدرُ على ذلك، فجعل يرسل به إلى الجبل الطويل فيطرح من رأسه فيقع على الأرض ليس به بأس، وجعل يبعث[8] به إلى مياه نجران - بحور لا يقع فيها شىء إلا هلك - فيلقى فيها فيخرج ليس به بأس، فلما غلبه ذلك، قال له عبد الله بن الثامر: إنك لا تقدر على قتلى حتى توحد الله فتؤمن

(١) في السيرة « فيميون ».
(٢) زيادة من السيرة.
(٣) المثبت من السيرة.
(٤) المثبت من السيرة.
(٥) المثبت من السيرة.
(٦) المثبت من السيرة.
(٧) في ط: « خلعت » والمثبت من السيرة.
(٨) في ط: « يذهب » والمثبت من السيرة.

بما آمنتُ به، فإن فعلتَ ذلك استطعتَ ذلك، فسلطتَ على فتقتلنى، قال: فوحد الله ذلك الملك، وشهد شهادة عبد الله بن الثامر، ثم ضربه بعصًا فى يده، فشجه شجة غير كبيرة، فقتله وهلك الملك مكانه.

واستجمع أهل نجران على دين عبد الله بن الثامر، وكان على ما جاء به عيسى - عليه الصلاة والسلام - من الإنجيل وحكمه، ثم أصابهم ما أصاب أهل دينهم من الأحداث، فمن هناك كان أصل النصرانية بنجران. هذا حديث محمد بن كعب القرظى برواية محمد بن إسحاق عنه، والله أعلم[١].

وقال ابن إسحاق: حدثنى بعض أهلَ نجران، (عبد الله بن أبى بكر بن عمرو بن حزم)[٢]؛ أنه حُدِّثَ أنَّ رجلاً من أهل نجران فى زمان عمر بن الخطاب - رضى الله عنه -حفر خربة من خرائب نجران ليقضى[٣] حاجته؛ فوجد عبد الله بن الثامر تحت دفن منها قاعدًا واضعًا يده على ضربة فى رأسه ممسكًا عليها بيده، فإذا تأخرت يداه عنها انبعثَ دمًا، وإذا أرسلت يداه ردهما عليه، فأمسك دمه[٤]، وفى يده خاتم مكتوب فيه: « ربى الله »؛ فكتب إلى عمر - رضى الله عنه - يخبره، فكتب إليهم عمر أن أقروه على حاله، وردُّوا عليه الدفن الذى كان عليه، ففعلوا[٥].

وفى أنوار التنزيل: روى أن ملكًا كان له ساحر، فضم إليه غلامًا ليعلمه السحر، وكان فى طريق الغلام راهب، فسمع الغلام من الراهب، ومال قلبه إليه، فرأى الغلام ذات يوم فى طريقه حية قد حبسَتِ الناس، فأخذ حجرًا، وقال: اللهم، إن كان الراهبُ أحبَّ إليك من الساحر فاقتلها، فقتلها بالحجر، فكان الغلام بعد ذلك يبرئ الأكمه والأبرص، ويشفى من البلاء، وعمى جليسُ الملك، فأبرأه، فسأله الملك عمن أبرأه، فقال: ربى، فغضب فعذبه، فدل الغلام على الراهب، فلم يرجعِ الراهب عن دينه، فقدَّ بالمنشار، وأبى الغلام الرجوعَ عن دينه، فأرسل به إلى جبلَ

(١) ينظر: المنتظم (٢/ ١٢٩-١٣٤).
(٢) في ط: « عن عبد الله بن التامر عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن قمر بن حمزة » والمثبت كما في السيرة وهو الصواب إن شاء الله.
(٣) في السيرة: لبعض.
(٤) في السيرة: « فإن أخرت يده عنها تنبعث دما وإذا أرسلت يده ردها عليها فأمسكت دمها ».
(٥) ينظر: السيرة (١/ ٥١).

ليطرحه من ذروته، فرجف بالقوم، فهلكوا ونجا، فأجلسه فى سفينة ليغرق، وقال فى المدرك: فذهب به إلى قرقور، فلججوا به ليغرقوه، فدعا، فانكفأت السفينة بمن معه، فغرقوا ونجا، فقال للملك: لستَ بقاتلى حتَّى تجمع الناس فى صعيد، وتصلبنى على جذع نخلة، وتأخذ سهمًا من كنانتى، وتقول: باسم رب الغلام، ثم ترمينى به، فرماه فوقع السهم فى صدغه، فأمسك بيده عليه فمات، فقال الناس: آمنا برب الغلام، فقيل للملك: نزلَ بك ما كنت تحذر، فأمر بأخاديدَ أوقدَتْ فيها النيران، فمن لم يرجعْ منهم عن دينه، طرحه فيها، حتى جاءت امرأة معها صبى رضيع، فتقاعست، فقال الصبى: يا أماه، قفى ولا تقاعسى؛ فإنك على الحق. فألقى الصبى وأمه فى النار[(١)].

وفى سيرة ابن هشام: لما تنصَّر أهل نجران، سار إليهم ذو نواس اليهودى، فدعاهم إلى اليهودية، وخيرهم بين ذلك أو القتل، فاختاروا القتل، فخدَّد لهم الأخدود، فحرق بالنار، وقتل بالسيف، ومثل بهم حتى قتل منهم قريبًا من عشرين ألفًا، ففى ذى نواس وجنوده أنزل الله تبارك وتعالى قوله: ﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ . . .﴾ الآيات [البروج: ٤- ٦][(٢)] .

قلت: سمعت من إملاء شيخنا العلامة، الذى لم يحتجْ لبيان فضله إلى علامة، مولانا الشيخ محمد بن علاء الدين البابلى نظمًا عزاه للعلامة السيوطى فى عد من تكلَّم فى المهد، فبلغ بهم عشرة أنفس هو قوله: [من الطويل]

تَكَلَّمَ فِى المَهْدِ النَّبى مُحَمَّدٌ ... وَيَحْيَى وَعِيسَى وَالخَلِيلُ المُكَرَّمُ
ومُبْرِى جُرَيْجٍ ثُمَّ شَاهِدُ يُوسُفٍ ... وَطِفْلٌ لَدَى الأُخْدُودِ يَرْوِيهِ مُسْلِمُ
وَطِفْلٌ عَلَيْهِ مُرَّ بِالأَمَةِ الَّتِى ... يُقَالُ لَهَا تَزْنِى وَلاَ تَتَكَلَّمُ
وَمَاشِطَةٌ فِى عَهْدِ فِرْعَوْنَ طِفْلُهَا ... وَفِى زَمَنِ الهَادِى المُبَارَكُ يَخْتِمُ

وبعضهم زاد مريم - عليها السلام - ولم يثبت.

وقوله: « المبارك » يريد الصحابى المشهور والد عبد الله بن المبارك التابعى المشهور. انتهى[(٣)] .

---

(١) ينظر: عرائس المجالس ص (٣٩٣-٣٩٤).
(٢) ينظر: السيرة النبوية (١/ ٥٠).
(٣) ثبت في الصحيحين عند البخاري رقم (٣٤٣٦)، ومسلم رقم (٢٥٥٠)، وغيرهما أن =

قال ابن إسحاق: وأفلت منهم بعد وقوع التحريق رجلٌ يقال له: ذو ثعلبان، على فرس له، فسلك الرميل، فأعجزهم، فمضى على وجهه ذلك حتى أتى قيصر، فاستنصره على ذى نواس المحرق لهم صاحب الأخدود وجنوده، وأخبره بما بلغ منهم، فقال له: بعدتْ بلادك، ولكنى أكتب لك إلى ملك الحبشة؛ فإنه على هذا الدين - يعنى النصرانية - وهو أقرب إلى بلادك.

فكتب إليه يأمره بنصره والطلب بثأر قومه، فقدم ذو ثعلبان على النجاشى بكتاب قيصر، فبعث معه سبعين ألفًا من الحبشة، وأمر عليهم رجلاً منهم يقال له: أرياط، ومعه فى جنده أبرهة الأشرم[1] ، فركب أرياط البحر حتى نزل بساحل اليمن، ومعه ذو ثعلبان، وسار ذو نواس الحميرى فى حمير ومن أطاعه من قبائل اليمن، فلما التقوا، انهزم ذو نواس وأصحابه، فلما رأى ذو نواس وأصحابه ما نزل به وبقومه، وجه فرسه فى البحر، ثم ضربه، فدخل وخاض به ضحضاح البحر حتى أفضى به إلى غمرة، فأدخله فيها، فكان آخر العهد به.

ودخل أرياط اليمن، فملكها، وأقام سنين فى سلطانه ذلك، ثم نازعه فى أمر الحبشة باليمن أبرهة الحبشى الذى كان من جملة جيشه، فتفرقت الحبشة بينهما، فانحاز إلى كل واحد منهما طائفة منهم، ثم سار أحدهما على الآخر، فلما تقارب الناس، أرسل أبرهة إلى أرياط: إنك لاتصنع إلا أن تلقى الحبشة بعضها ببعض حتى تفنيها شيئًا بعد شيء، فابرز إلىّ وأبرز إليك، فأينا أصاب صاحبه انصرف إليه جنده. فأرسل إليه أرياط يقول: أنصفت، فخرج إليه أبرهة، وكان رجلاً حكيمًا قصيرًا - وكان على دين النصرانية - وخرج إليه أرياط، وكان رجلاً جميلاً طويلاً وفى يده حربة له، وخلف أبرهة غلام له يقال له: عيودة يمنع ظهره، فرفع أرياط الحربة، فضرب بها أبرهة يريد يافوخه، فوقعت على جبهة أبرهة، فشرمت حاجبه وأنفه وعينه وشفته ، فلذلك سمى أبرهة الأشرم، وحمل عيودة على أرياط من خلف أبرهة فقتله، فانصرف جند أرياط إلى أبرهة، فاجتمعت عليه الحبشة باليمن.

= النبي ﷺ قال: « لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى، وكان في بني إسرائيل رجل يقال له جريج . . .الحديث. وأما الأحاديث التى ورد فيها أكثر من الثلاثة ففيها ضعف. وانظر سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني رقم (٨٨٠).

(١) في ط: والأثرم. وهو تحريف، والصواب ما أثبتناه.

فلما بلغ ذلك النجاشى غضب غضبًا شديدًا، وقال: عدا على أميرى، فقتله من غير أمرى، ثم حلف لا يدع أبرهة حتى يطأ بلاده ويجزَّ ناصيته، فلما بلغ ذلك أبرهة، حلق رأسه وملأ جرابًا من تراب اليمن، ثم بعثه إلى النجاشى، وكتب معه: أيها الملك، إنما كان أرياط عبدك، وأنا عبدك، اختلفنا فى أمرك وكل طاعة لك، إلا أنى كنت أقوى على أمر الحبشة وأضبَطَ لها وأسوَسَ منه، وقد حلقتُ رأسى كله حين بلغنى قسم الملك، وبعثت إليه بجرابٍ من تراب أرضى؛ ليضعه تحت قدميه، فيبر قسمه فىَّ. فلما انتهى ذلك إلى النجاشى، رضى عنه، وكتب إليه أن اثبت بأرض اليمن حتى يأتيك أمرى. فأقام أبرهة باليمن حتى كان ولد ولده أبرهة الذى قصد إلى تخريب الكعبة، فإن أبرهة المذكور جَدُّ أبرهة الآتى لتخريب الكعبة، فأصابه ما أصابه مما تقدم ذكره.

ولما استقرَّ سيف بن ذى يزن الحميرى باليمن بعد أن دخلها صحبة وهرز الذى أنفذه معه كسرَى، وقتل أبرهة المذكور أنه جد أبرهة الآتى لتخريب الكعبة، واستقر فى تخت ملكه، ونزل بقصر غمدان فى صنعاء اليمن - أتته وفود العرب من كل صوب للتهنئة، فكان من أعظمهم عبد المطلب فى جماعة من وجوه قومه، وكان خروج عبد المطلب ومن صحبه إلى سيف ذى يزن فى السنة السادسة من مولده - عليه الصلاة والسلام - قاله ابن الأثير فى نهايته، فبشره بظهور رسول الله ﷺ من نسله.

وذكر العلامة ابن الجوزى فى المنتظم فى أخبار الأمم العرب والعجم، حديث قدوم سيف بني ذى يزن الحميرى فقال: لما ظهر جد سيف على الحبشة، وذلك بعد مولد النبى ﷺ بسنين، أتته وفود العرب ووجوهها وأشرافها وشعراؤها للتهنئة، ثم أتته وفود قريش فيهم عبد المطلب بن هاشم، وأمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وقصى بن عبد الدار بن قصى[1] ، وسيف فى صنعاء فى رأس قصر له يقال له: غمدان.

وغمدان هو القائل فيه أمية بن أبى الصلت الثقفى يمدح سيف بن ذى يزن المذكور قوله: [من البسيط]

لاَ يَطْلُبُ الثَّأْرَ إلاَّ كَابْنِ ذِى يَزَنٍ   تَيَمَّمَ البَحْرَ لِلأَعْدَاءِ أَحْوَالاَ

(١) في المنتظم أنهم « كانوا خمسة من عظمائهم: عبد المطلب بن هاشم، وأمية بن عبد شمس وعبد الله بن جدعان، وخويلد بن أسد، ووهب بن عبد مناف بن زهرة ». ينظر المنتظم (٢/ ٢٧٧).

أَتَى هِرَقْلاً وَقَدْ سَاءَتْ إجَابَتُهُ فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُ النَّصْرَ الذِى سَالاَ
ثُمَّ انْثَنَى عِنْدَ كِسْرَى بَعْدَ تَاسِعَةٍ مِنَ السِّنِينَ يُهِينُ النَّفْسَ وَالمالاَ
حَتَّى أَتَى بِبَنِى الأَحْرَارِ يَحْمِلُهُمْ تخَالُهُمْ فَوْقَ مَتْنِ الأَرْضِ أَجْبَالاَ
لِلَّهِ دَرُّهُمُ مِنْ فِتْيَةٍ صُبُرٍ مَا إِنْ رَأَيْتُ لَهُمْ فِى النَّاسِ أَمْثَالاَ
أَرْسَلْتَ أُسْدًا عَلَى سُودِ الكِلاَبِ فَقَدْ أَضْحَى شَدِيدُهُمُ فِى البَأْسِ فَلاَّلاَ
فَاشْرَبْ هَنِيئًا عَلَيْكَ التَّاجُ مُرْتَفِعًا فِى رَأْسِ غُمْدَانَ دَارًا مِنْكَ محلالا
فَاشْرَبْ هَنِيئًا فَقَدْ شَالَتْ نَعَامَتُهُمْ وَأَسْبِلِ اليَوْمَ فِى بُرْدَيْكَ إِسْبَالاَ
هَذِى المَكَارِمُ لاقعبان مِنْ لَبَنٍ شِيبَا بِمَاءٍ فَعَادَا بَعْدُ أَبْوَالاَ
هَذِى المَكَارِمُ لاَ ثَوْبَانِ مِنْ عَدَنٍ خيطَا زَمَانًا فَعَادَا بَعْدُ أَسْمَالاَ

أقول: قوله: « شالت نعامتهم » هو كناية فى كلام العرب عن تفرق القوم وتبددهم وذهابهم قتلاً أو موتًا أو غيرهما، والأصل فيه استعماله لتفرقهم بالارتحالِ خاصَّة عن منهلهم المورود لهم فى محلتهم، فإذا ارتحلوا يقال: شالت نعامتهم، أى: ارتفعت بكرتهم عن النعامة، وهى الخشبة المعترضة على شفير البئر على الزرنوقين، وهما المسميان اليوم قَرْنَى البئرِ ، فما دام الحى مجتمعين تكون نعامتهم تلك على منهلهم يستقون بها الماء، فإذا ارتحلوا، رفعوا النعامة فنقلوها إلى منهل آخر؛ فيكون شولها - أى: ارتفاعها - كناية عن رحيلهم، ثم توسع فيه بما ذكر.

وفى القاموس: « غُمْدَان - كـ« عثمان »- : قصر باليمن بناه يَشْرُخُ[١] بن الحارث بن صيفى بن سبأ بن كهلان جد بلقيس - بأربعة وجوه أحمر وأصفر وأبيض وأخضر، وبنى داخله قصرًا بسبعة سقوف بين كل سقفين أربعون ذراعًا »[٢] انتهى.

فلما [٣] وصلوا إليه إذا هو متضمخ بالعنبر ينطف[٤] وبيص المسك فى مفرق رأسه، وعليه رداءان أخضران متزرٌ بأحدهما مرتد بالآخر، عن يمينه وشماله الملوك

---

(١) كذا في القاموس. ووقع في ط: يشرح؛ بالمهملة.
(٢) ينظر ترتيب القاموس: (٣/ ٤١٥) (غمد).
(٣) عاد إلى النقل عن « المنتظم » (٢/ ٢٧٧-٢٨٠) مع اختلاف في بعض الكلام، تقديمًا وتأخيرًا.
(٤) نطف -كـ« ضرب »-: قطر؛ يقال: نَطف عرقه: قطر. ونطف الماء: صبه. ينظر: الوسيط (نطف) وفي ط: بالعبير.

وأبناء الملوك والأقيال، فأخبر بمكانهم فأذن لهم فدخلوا عليه، فدنا عبد المطلب واستأذنه في الكلام، فقال له: إن كنت ممن يتكلَّم بين أيدي الملوك فتكلم. فقال: « إن الله عز وجل أحلك أيها الملك محلاً رفيعًا، باذخًا شامخًا منيعًا، وأنبتك نباتًا طابت أرومته، وعظمت جرثومته، وثبت أصله وبسق فرعه، في أطيب موطن، وأكرم معدن، وأنت - أبيت اللعن - ملك العرب وربيعها الذي به تخصب، ورئيسها الذي له تنقاد، وعمودها الذي عليه العماد، ومعقلها الذي يلجأ إليه العباد، سلفك خير سلف، وأنت لنا منه خير خلف، فلن يهلك من أنت خلفه، ولن يخمد ذكر من سلفك سلفه، أقدمَنا الذي أفرحنا، فنحن وفد التهنئة، لا وفد الترزئة [١] ».

فقال له الملك: من أنت أيها المتكلم ؟ فقال: أنا عبد المطلب بن هاشم، قال: ابن أختنا ؟ قال: نعم.

قلت: قول سيف: « ابن أختنا » يشير به إلى أن عبد المطلب أمه سلمى بنت عمرو من بني النجار، وهم يرجعون إلى حِمْيَرَ.

ثم أقبل عليه وعلى القوم فقال: « مرحبًا وأهلاً، وناقة ورَحْلاً »، فأرسلها مثلا، وكان أول من تكلم بها: « ومناخًا سَهْلاً، وملكًا رِبَحْلاً[٢] ، يعطي عطاءً جزلاً، قد سمع الملك مقالتكم، وعرف مكانتكم، وقبل وسيلتكم، فأنتم أهل الليل والنهار، لكم الكرامة ما أقمتم، والحِبَاء إذا ظعنتم، وانهضوا إلى دار الضيافة والفود »، فنهضوا، وأجرى عليهم الأنزال، فأقاموا كذلك شهرًا لا يَصِلُونَ إليه، ولا يؤذن لهم بالانصراف، ثم إن الملك انتبه لهم انتباهة، فأرسل إلى عبد المطلب، فأدناه، ثم قال له: يا عبد المطلب، إني مفض إليك من سر علمي أمرًا لو غيرك يكون لم أبحْ له به، ولكن رأيتك موضعه، فأطلعتك طلعه، فليكن عندك مطويا حتى يأذن الله - عز وجل - فيه إني أجد في الكتاب المكنون، والعلم المخزون، الذي أخذناه لأنفسنا، واحتجبناه دون غيرنا، خبرًا عظيمًا، وخطرًا جسيمًا، فيه شرف الحياة، وفضيلة الممات، للناس كافة، ولرهطك كافة ، ولك خاصة، فقال عبد المطلب: لقد أتيت

(١) في ط: المرزئة . والمثبت من المنتظم.
(٢) في المنتظم: « سمحلا ». والرِّبحلُ: العظيم الشان من الناس. ينظر: ترتيب القاموس (ربحل).

بخبر أيها الملك، ما سر بمثله وافد قوم، ولولا هيبة الملك وإجلاله لسألته عن بشارته إياه ما أزداد به سرورا، فقال الملك: هذا حين الذى يولد فيه ولد اسمه محمد، يموت أبوه وأمه، ويكفله جده وعمه، والله عز وجل باعثه جهارًا، وجاعل له منا أنصارًا، يعز بهم أولياءه، ويذل بهم أعداءه، ويضرب بهم الناس عن عرض، ويستبيح بهم كرائم أهل الأرض، تخمد به النيران، ويعبد به الرحمن، ويدحر به الشيطان، وتكسر به الأوثان، قوله فصل، وحكمه عدل، يأمر بالمعروف ويفعله، وينهى عن المنكر ويبطله، فقال له عبد المطلب: عز جارك، ودام ملكك، وعلا كعبك، فهل الملك مفصح عنه مزيد إفصاح، فقد وضح بعض الاتضاح، فقال له سيف: ارفع رأسك، ثلج صدرك، وعلا كعبك، فهل أحسست بشىء مما ذكرته لك؟ قال: نعم أيها الملك، كان لى ابن وكنتُ به معجبًا، وعليه رفيقًا، وبه شفيقًا، وإنى زوجته كريمة من كرائم قومى آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة، فجاءتْ منه بغلام سميته محمدًا، مات أبوه وأمه، وكفلته أنا وعمه، فقال له الملك: إن الذى قلت لك كما قلت، فاحفظ ابنك، واحذر عليه من اليهود؛ فإنهم له أعداء، ولن يجعل الله لهم عليه سبيلاً، واطو ما ذكرت لك دون هؤلاء الرهْط الذين معك، فإنى لست آمن أن تدخلهم النفاسة فى أن تكون لك الرياسة، فينصبون لك الحبائل، ويبتغون لك الغوائل، وهم فاعلون ذلك وأبناؤهم من غير شك، ولولا أنى أعلم أن الموت مجتاحى قبل مبعثه لسرتُ إليه بخيلى ورَجْلِى حتى أجعل يثربَ دار ملكى؛ فإنى أجد فى الكتاب الناطق والعلم السابق: أن يثرب دار استحكام أمره، وأهل نصرته وموضع قبره، ولولا أنى أقيه الآفاتِ وأحذرُ عليه العاهاتِ، لأعليتُ على حداثة سنه أمره، ولأوطأت أسنان العرب كعبه، ولكن صار إليك ذلك ممن معك.

ثم دعا بالقوم فدخلوا، فأمر لكلِ منهم بعشرة أعبد، وعشرة إماء، وحلتين من حلل البرود، وخمسة أرطال من الذهب، وعشرة أرطال من الفضة، وكرش مملوء عنبرًا، ومائة من الإبل، وأمر لعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك، وقال: إذا جاء الحول، فائتنى بما يكون منه، يعنى النبى ﷺ، فمات سيف قبل أن يحول عليه الحول، هذا حديث مشهور، ومن أولاد سيف بحمص وعقبهم بها. انتهى.

ولما انصرف عبد الله مع أبيه من نحر الإبل، مَرَّ على امرأة من بنى أسد بن عبد

العزى، واسمها قيلة بنت نوفل - وقيل: رقية - وهى أخت ورقة بن نوفل، وذكر البرقى، عن هشام بن الكلبى؛ أن اسمها: فاطمة بنت مُرّ الخثعمية، كانت من أجمل النساء، وكانت قرأت الكتب فرأت النور فى وجهه، وكان عبد الله أحسنَ رَجُلٍ رئى فى قريش، فقالت له: هل لك فى أن تقع عَلَيَّ ولكَ مثْلُ الإبل التى نُحِرَتْ عنك؟ فقال لها: أنا مع أبى، ولا أستطيع خلافه، ثم قال لها: [من الرجز]

أَمَّا الحَرَامُ فَالمَمَاتُ دُونَهْ وَالحِلُّ لاَ حلَّ فَأَسْتَبِينَهْ
فَكَيْفَ بِالأَمْرِ الَّذِى تَنْوِينَهْ يَحْمِى الكَرِيمُ عِرْضَهُ وَدِينَهْ

ثم مضى به أبوه حتى أتى وهب بن عبد مناف، وهو يومئذ سيد بنى زهرة نسبًا وشرفًا، فزوجه ابنته آمنة، وهى يومئذ أفضل امرأة فى قريش نسبًا وموضعًا، فزعموا أنه دخل عليها حين ملكها مكانه، فوقع عليها يوم الاثنين من أيام منى فى شِعْبِ أبى طالب، فحملت برسول الله ﷺ، ثم خرج من عندها، فأتى المرأة، فقال لها: هل لك فيما قلت بالأمس حِلًّا؟ قالت: كان ذلك بالأمس، وأما اليوم فلا، فقالت: إنى امرأة واللهِ لستُ بصاحبة ريبة، وإنما رأيتُ النورَ الذى كان معك بالأمس، فأردت أن يكون فىَّ، فأبى الله أن يجعله إلا حيث شاء إلا حيث شاء، إلا حيث شاء.

فهو محمدٌ رسولُ اللهِ، ابنُ عبد اللهِ بن عبد المطلب بن هاشمِ بن عبد مناف بن قُصَىِّ بن كِلَابِ بن مُرَّةَ بن كَعْبِ بن لؤىِّ بنِ غالبِ بن فهرِ بن مالكِ بن النَّضْرِ بن كنانَةَ ابن خُزَيْمةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بن إلياسَ بن مُضَرَ بن نِزَارِ بْنِ مَعَدِّ بن عدنانَ بن أدٍّ بن أُدَدَ بْنِ الهميسع بن نَبْت - أو نابت - بن إسماعيلَ بن إبراهيمَ- هذا على قول من قال: إن عمود النسب المحمدى من نبت أو نابت.

وقال غيره: إن عمود النسب المحمدى قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم؛ وهو الذى رجحه السهيلى؛ كما تقدم-: ابن تارح بن ناحور بن ساروع بن أرغو بن فالغ بن عابر ابن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح بن لمك - أو لامك - ابن متوشلخ بن أخنوخ - أو خنوخ - ابن يرد - أو يارد - ابن مهيائيل - أو مهلائيل - ابن قينان - أو قاين - ابن أنوش بن شيث بن آدم صلوات الله وسلامه عليه.

انتهى المقصد الأول

* * *

المقصد الثانى

فى بيان أحواله - عليه الصلاة والسلام -

وفيه سبعة أبواب:

الباب الأول: فى الحمل به، وولادته، ورضاعه، وموت عمه أبى طالب، وزوجته السيدة خديجة، وخروجه للطائف.

الباب الثانى: فى ذكر هجرته الشريفة، إلى المدينة الشريفة.

الباب الثالث: فى ذكر أعمامه وعماته.

الباب الرابع: فى ذكر أزواجه.

الباب الخامس: فى ذكر أولاده، عليه الصلاة والسلام.

الباب السادس: فى ذكر مواليه، وخدامه، وإمائه، وكتابه، وأمرائه، ومؤذنيه، وخطبائه، وحداته، وشعرائه، وخيله، وسلاحه، وغنمه، ولقاحه، وما يتبع ذلك.

الباب السابع: فى الحوادث من أول سِنِى الهجرة إلى وفاته، عليه الصلاة والسلام.

فنقول؛ متوكلين على الله مستمدين من الرسول-:

* * *

الباب الأول
من المقصد الثانى
فى الحمل به، وولادته، ورضاعه، وموت خديجة، وأبى طالب، وخروجه إلى الطائف

لما أذن الله تبارك وتعالى للنور المحمدىِّ، والشخص الأحمدى، أن ينتقل من عبد الله بن عبد المطلب، إلى آمنة بنت وهب، وقد اندرس فى الوجود أعلام الإيمان والإسلام، وفشا فيه مجاهل الظلم والإظلام، ونبذ الناس الطاعة، وكشفوا بالمحارم عن وجه الحياء قناعه- كان انتقال النور الصمدىِّ، بالذرِّ المحمدى، فكان الحمل به ليلة الجمعة فى شِعْب أبى طالب.

وفى سيرة اليعمرى: حملت به آمنة فى أيام التشريق عند الجمرة الوسطى.

وكان سن عبد الله إذ ذاك ثلاثين سنة، ولما حملت به، أمر الله تعالى خازن الجِنَان أن يفتح أبوابها تعظيمًا لنور محمد ﷺ، وهبط جبريل بلوائه الأخضر، فنصبه على ظهر الكعبة.

قال فى المواهب: واختلف فى مدة الحمل به؛ فقيل: تسعة أشهر، وقيل: عشرة، وقيل: ثمانية، وقيل سبعة، وقيل: ستة.

ولما تم من حمله شهران - وفى سيرة مغلطاى: قبل ولادته بشهرين - توفى أبوه عبد الله، وقيل: إنما توفى حين كان النبى ﷺ فى المهد؛ قاله الدولابى؛ والأرجح المشهور هو الأول.

وذكر أهل السيرة أن آمنة لم تحملْ حملاً ولا ولدًا غيره، وكذا أبوه عبد الله لم يولَدْ له ولد غيره - عليه الصلاة والسلام - ولذلك لم يكن له أخ ولا أخت؛ لكن كان له ذلك من الرضاعة، وأما قول بنى زهرة: نحن أخوال النبى ﷺ فلكون أمه آمنة منهم.

وفى الصفوة: قال محمد بن كعب: خرج عبد الله بن عبد المطلب إلى الشام فى تجارة مع جماعة من قريش، فلما رجعوا، مروا بالمدينة، وعبد الله كان مريضًا، فتخلف بالمدينة عند أخوال أبيه بنى عدى بن النجار، فأقام عندهم مريضًا شهرًا، ومضى أصحابه وقدموا مكة وأخبروا عبد المطلب، فبعث إليه ولده الحارث

والزبير - على قول ابن الأثير - فوجدوه قد توفى، ودفن بدار النابغة، وهو رجل من بنى عدى بن النجار، فرجع الحارث، فأخبر أباه، فوجد عليه وجدًا شديدًا، وتوفى وعمره خمس وعشرون سنة[١].

وقيل غير ذلك؛ إذ قد تقدَّم عن سيرة اليعمرى: أن سنه حال التزوج ثلاثون سنة.

وترك عبد الله أم أيمن جارية حبشية اسمها بركة، فورثها - ﷺ وأعتقها يوم تزوُّجه بخديجة، هاجرتْ فأصابها عطش فى طريقها، فدُليت إليها دلو من السماء، فشربت ورويت، فما أصابها عطش بعد ذلك، فكانتْ تتعمد الصوم فى أيام شدة الصيف؛ لتظمأ فما تظمأ. وحضرت يوم حنين، فكانت تمشى بين صفوف المسلمين قائلة: « سَبَّتَ الله أقدامكم » تريد الدعاء لهم بتثبيت الأقدام، فقال لها - عليه الصلاة والسلام -: « اسكتى يا أم أيمن، فإنك عسراء اللسان »[٢]؛ قاله الذهبى زوجها النبى ﷺ زيد بن حارثة، فولدت له أسامة بن زيد، وماتت فى خلافة عثمان.

وخلف - أيضًا - خمسة أجمال، وقطعة من الغنم، وكانت أم أيمن المذكورة محصنة[٣].

واختلف فى عام ولادته: فالأكثرون: أنها عام الفيل؛ وبه قال ابن عباس[٤]، ومن العلماء من حكى الاتفاق عليه[٥]:

قال العلامة ابن الجوزى فى التلقيح: اتفقوا على أنه ﷺ ولد يوم الاثنين فى شهر

---

(١) أخرجه ابن سعد في « الطبقات الكبرى » (١/ ٧٩): أخبرنا محمد بن عمر بن واقد الأسلمي أخبرنا موسى بن عبيدة الربذي عن محمد بن كعب القرظي به، وهذا إسناد كله علل؛ الواقدي محمد بن عمر متروك وكذبه النسائي وغيره. وموسى بن عبيدة الربذي قال الحافظ في « التقريب » (٧٠٣٨): ضعيف اهـ. ومحمد بن كعب تابعي فالقصة مرسلة وينظر: سبل الهدى والرشاد (١/ ٣٣١).

(٢) أخرجه ابن سعد في « الطبقات الكبرى » (٨/ ١٨٠): أخبرنا محمد بن عمر عن عائذ بن يحيى عن أبي الحويرث فذكره. وذكره الهندي في كنز العمال (٢٩٢٦) وعزاه إلى ابن سعد وإسناده كسابقه فيه الواقدي وهو مرسل أيضًا.

(٣) ينظر: الطبقات الكبرى (٨/ ١٧٩-١٨٠) طبقات خليفة (٣٣١)، الإصابة (١١٩٠٢)، الاستيعاب (٣٥٧٩)، أسد الغابة (٧٣٧١).

(٤) أخرجه ابن سعد في « الطبقات الكبرى » (١/ ٨١) والحاكم (٢/ ٦٠٣) والذهبي في « تاريخ الإسلام » (٢/ ٢٢) من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس. وقال الذهبي: صحيح. وينظر: سبل الهدى والرشاد (١/ ٣٣٥).

(٥) وذكره الحافظ ابن كثير في « البداية والنهاية » (٢/ ٣٢١) وذكر أن هذا قول الجمهور.

ربيع الأول عام الفيل، واختلفوا فيما مضَى من ذلك الشهر على أربعة أقوال:

أحدها: ولد لاثنى عشر ليلة خلت منه.

والثانى: لليلتين.

والثالث: لثمان، وهو قول المحدِّثين كلهم أو جلهم.

الرابع: لعشر خلون منه.[١]

وفى المواهب: ولد بعد الفيل بخمسين يومًا، وهلك أصحاب الفيل لثلاث عشرة ليلة بقيت من المحرم، وكان أول المحرم تلك السنة بالجمعة، وذلك فى عهد كِسْرَى أنوشروان لمضىِّ اثنتين وأربعين سنة من ملكه، وعاش بعد مولده ﷺ سبع سنين، وثمانية أشهر[٢]؛ فكان ملكه تسعًا وأربعين سنة وثمانية أشهر، وقال فيه - عليه الصلاة والسلام -: « ولدتُ فى زمن الملك العادل كِسْرَى أنوشروان »؛ كذا قاله ابن الأثير فى أسد الغابة[٣].

واختلف فى مكان ولادته - عليه الصلاة والسلام - فقيل: ولد بمكة فى الدار التى كانت لمحمد بن يوسف الثقفى أخى الحجاج.

وقيل: بالشعب.

وقيل: بالردم.

وقيل: بعسفان.

والمشهور: أنه ولد فى الدار التى تعرف بدار محمد بن يوسف الثقفى، بزقاق معروف: بزقاق المولد فى شِعْبٍ مشهور: بشعب بنى هاشم، من الطرف الشرقى لمكة، تزار ويتبرك بها الآن.

قال الإمام أبو القاسم السهيلى: ذكر ابن مخلد فى تفسيره: أن إبليس - لعنه الله تعالى - رنَّ أربع رنات: حين لُعِن، وحين أُهبط، وحين وُلد النبى ﷺ وحين أنزلت فاتحة الكتاب[٤].

---

(١) ينظر: « التلقيح » ص (٧).

(٢) ينظر: « البداية والنهاية » (٢/ ٣٢١) وسبل الهدى والرشاد (١/ ٣٣٥)، وصححه المسعودي والسهيلي.

(٣) ينظر: أسد الغابة (١/ ١٢٢).

(٤) وقع في ط رنة مولده ﷺ بعد رنة نزول الفاتحة. والترتيب المثبت أنسب كما في الروض (١/ ١٨١). وينظر: سبل الهدى والرشاد (١/ ٣٥٠).

وفى الكشاف، وأنوار التنزيل: الفترة بين عيسى ومحمد - عليهما الصلاة والسلام - ستمائة أو خمسمائة وتسع وستون سنة، وبينهما أربعة أنبياء: ثلاثة من بنى إسرائيل، وواحد من العرب، وهو خالد بن سنان العبسى، ثم قال: أما خالد بن سنان، فروى أنه كان فى زمن كسرى أنوشروان، وأنه كان يدعو الناس إلى دين عيسى، وكان بأرض بنى عبس، وأطفأ النار التى كانت تخرجُ من بئر هناك، وتحرق من لقيته من عابر السبيل وغيرهم.

قال فى مروج الذهب[١] : ظهرت فى العرب نار، فكادوا بها يفتتنون، وسالت سيلاً، فأخذ خالد هراوته ودخَلَ فيها، وهو يقول: بَدَا بَدَا، كل هذا مؤد إلى الله الأعلى، لأدخلنها وهى نارٌ تلظَّى، ولأخرجَنَّ منها وثيابى تندى، فأطفأها، ولما حضرته الوفاة قال لإخوته: إذا دفنت، فستجىء عانة من حِمْيَر، يقدمها عير أبتر، فيضرب قبرى بحافره، فإذا رأيتم ذلك فانبشوا عنى، فإنى أخرج وأخبركم بجميع مايكون وماهو كائن. فلما مات ودفن، رأواما قال، وأرادوا أن يحفروا عنه، فكره ذلك بعضهم وقالوا: نخاف السبة . وأتت ابنته رسول الله ﷺ فسمعته يقرأ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ١] فقالت: كان أبى يقولها[٢].

[و] جرجيس أدرك بعض حوارى عيسى - عليه السلام - أرسل إلى بعض ملوك الموصل بدعوة فقتله، فأحياه الله، ففعل به ذلك مرارًا، فأمر بنشره أجزاء وإحراقه وإذرائه فى دجلة، فأهلكه الله وجميع أهل مملكته؛ كما وردت به الأخبار عن أهل الكتاب ممن آمن؛ ذكر ذلك وهب بن منبه[٣] .

وفى كتاب الابتداء والسير: وحبيب النجار بأنطاكية من أرض الشام، وبها ملك متجبر يعبد التماثيل والصور، فصار إليه اثنان من تلاميذ عيسى، دَعَوَاهُ، فحبسهما وضربهما، فعزَّزَا بثالثٍ شمعون الصفا؛ كما أخبر عنهم تعالى بقوله: ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا ... ﴾ الآية [يس: ١٤] [٤]

ومنهم: حنظلة بن صفوان نبى بين عيسى ومحمد - عليهما الصلاة والسلام -

---

(١) ينظر: مروج الذهب (٢/ ٢٢٦).
(٢) ينظر: عرائس المجالس (٣٨٦-٣٩٢) والمنتظم (٢/ ١٤٨-١٤٩).
(٣) ينظر: قصة هؤلاء في « عرائس المجالس » ص (٣٦٣-٣٦٦).
(٤) ينظر: مروج الذهب (٢/ ٢٢٥، ٢٢٦)، مع بعض الاختلاف.

أرسل إلى أصحاب الرَّسِّ، قوم ابتلاهم الله تعالى بطيرٍ عظيم لها عنق طويل من أحسن الطيور، كان فيها من كل لون فسميت: « العنقاء »؛ لطول عنقها، ولأنها تغرب بكل ما خطفته، فانقضَّتْ على جارية وضمتها بين جناحين لها صغيرَيْن غير الجناحَيْن الكبيرَين، ثم ذهبت بها، فضربتها العرب مثلاً، فقالوا: « طارت به عنقاء مغرب »، فشكوا ذلك إلى نبيهم حنظلة بن صفوان[١]، فدعا عليها، فأصابتها الصاعقة فأهلكتها.

ثم إنهم قتلوا نبيهم حنظلة، لما قدم يدعوهم إلى الله تعالى، فأوحى الله تعالى إلى نبي من الأسباط يأمر بخت نصّر أن يسير إليهم، فأتى عليهم، فذلك قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٣- ١٥] .

ومن أصحاب الفترة: أسعد بن كرب الحميرى، كان مؤمنًا بالنبى قبل مبعثه بسبعمائة سنة فقال: [من المتقارب]

شَـهِـدتُ عَـلَـى أَحْـمَـدٍ أَنَّـهُ ... رَسُولٌ مِنَ اللهِ بَارِى النَّسَمْ
فَلَـوْ مُدَّ عُمْرِى إِلَى عُـمْرِهِ ... لَـكُـنْـتُ وَزِيـرًا لَـهُ وَابْـنَ عَـم

وهو أول من كسا الكعبة الأنطاع والبرود.

ومنهم: قس بن ساعدة الإيادى، وكان حكيمَ العَرَبِ، قال الأعشى: [من الطويل]

وَأَحْكَمُ مِنْ قُسٍّ وَأَجْرَا مِنَ الَّذِى ... لَدَى الْفِيلِ مِنْ خفان أَصْبَحَ جَاذِرَا

قدم على رسول الله ﷺ وفد من إياد، وسألهم عنه، فقالوا: هلك، فقال: « رحمه الله، كأنى أنظر إليه بسوق عكاظ على جمل أحمر، وهو يقول: يأيها الناس، اجتمعوا واسمعوا وعوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ماهو آت آت، أما بعد: فإن فى السماء لخبرًا ، وإن فى الأرض لعبرًا، نجوم[٢] تمور، وبحار لا تغور[٣] ، وسقف مرفوع، ومهاد موضوع، أقسم بالله قُسُّ بن ساعدة قسمًا [حقا،

(١) في مروج الذهب: خالد بن سنان.
(٢) في ط: بحور . والمثبت من البداية والنهاية (٢/ ٢٩٠).
(٣) في ط: ونحور تغور. والمثبت من البداية والنهاية.

لئن كان في الأمر رضا ليكونن بعده سخط] (١) إن لله دينًا هو أرضَى من دين أنتم عليه، ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون ؟ أرضوا بالمقام فأقاموا، أم نزلوا (٢) فناموا ؟! سبيل مؤتلف، وعمل مختلف. وقال أبياتًا لا أحفظها »، فقال أبو بكر - رضى الله عنه -: أنا أحفظها يا رسول الله، فقال: « هاتها »، فقال: [من مجزوء الكامل]

فِى السَّابِقِينَ الأَوَّلِيـ نَ مِنَ القُرُونِ لَنَا بَصَائِرْ
لَمَّا رَأَيْتُ مَوَارِدًا لِلْقَوْمِ لَيْسَ لَهَا مَصَادِرْ
وَرَأَيْتُ قَوْمِى نَحْوَهَا يَمْضِى الأَوَائِلُ وَالأَوَاخِرْ(٣)
لاَ يَرْجِعُ المَاضِى وَلاَ يَبْقَى مِنَ البَاقِينَ غَابِرْ(٤)
أَيْقَنْتُ أَنِّى لاَ مَحَا لَةَ حَيْثُ صَارَ القَوْمُ صَائِرْ(٥)

فقال النبى ﷺ: « يرحم الله قُسًّا، إنى لأرجو أن يبعث أمة وحده(٦)».

ومنهم: أصحاب الأخدود فى مدينة نجران باليمن فى ملك ذى نواس القاتل الذى شاتر، وكان على دين اليهود، فبلغه أن قومًا بنجران على دين المسيح بن مريم، فسار إليهم واحتفروا الأخدود؛ كما ذكرهم الله تعالى بقوله: ﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴾ [البروج: ٤] وأتى بامرأة معها طفل، فتقهقرت عن النار عند الأخدود، فتكلم طفلها، وقال: يا أماه، قفى ولا تقاعسى؛ فإنك على الحق، وهم على دين النصرانية في ذلك الوقت مؤمنين موحدين، فمضى منهم رجل، يقال له: ذو ثعلبان إلى قيصر يستنجده، فكتب له إلى النجاشي؛ لأنه كان أقرب إليهم دارًا، فكان من أمر الحبشة وعبورهم إلى أرض اليمن وتغلبهم عليها ما كان، إلى أن كان من أمر سيف بن ذي يزن واستنجاده بكسرى وإمداده له بمن كان في حبسه وأميرهم وهرز، وظفر سيف على الحبشة، ما هو مشهور.

ومنهم أمية بن أبي الصلت الثقفي، كان يتجر إلى الشام، فلقى أهل الكتابين

(١) المثبت من البداية والنهاية.
(٢) في البداية والنهاية: تُرِكُوا.
(٣) في البداية والنهاية: يسعى الأصاغر والأكابر.
(٤) في البداية والنهاية:

لا يرجع الماضي إلى ىَّ ولا من الباقين غابر

(٥) تنظر القصيدة بأكثر من رواية في البداية والنهاية (٢/ ٢٨٩، ٢٩٠).
(٦) أخرجه البيهقي في « دلائل النبوة » (٢/ ١٠١) في ذكر حديث قس بن ساعدة الإيادي.

وأخبروه أن نبيًا يبعث فى العرب، فلما بلغه ظهوره - عليه الصلاة والسلام - اغتاظ وتأسف، ثم أتى المدينة يسلم، فرده الحسد، فرجع إلى الطائف، فبينما هو يشرب مع فتية إذ صاح غرابٌ ثلاثة أصوات وطار، فقال: أتدرون ما قال ؟ قالوا: لا، قال: إنه يقول: إن أمية لا يشرب الكأس الثالثة حتى يموت، فقالوا: لتكذبنَّ، وقالوا: احسوا كأسكم، فلما انتهت إليه أغمى عليه فسكت طويلاً، ثم أفاق يقول: لبيكما لبيكما، هأنذا لديكما، ثم أنشأ يقول: [من الخفيف]

إنَّ يَوْمَ الحِسَابِ يَوْمٌ عَظِيمٌ ... شَابَ فِيهِ الصَّغِيرُ يَوْمًا طَوِيلاَ
لَيْتَنِي كُنْتُ قَبْلَ مَا قَدْ بَدَاَ لِى ... فِى رُءُوسِ الجِبَالِ أَرْعَى الوُعُولاَ
كُلُّ عَيْشٍ وَإِنْ تَطَاوَلَ دَهْرًا ... صَائِرٌ مَرَّةً إِلَى أَنْ يَزُولاَ

ثم شهق شهقة، فكانت فيها نفسه.

وقد ذكر العلماء بأمثال العرب وأخبار من سلف: أن السبب فى كتابة قريش واستفتاحها بقولهم: « باسمك اللهم » هو أن أمية بن أبى الصلت خرج إلى الشام فى نفر من ثقيف وقريش وغيرهم، فلما قفلوا راجعين، نزلوا منزلاً واجتمعوا لعشائهم؛ إذ أقبلت حية صغيرة حتى دنت منهم، فحصبها بعضهم فى وجهها، فرجعَتْ عن سفرتهم، وقاموا إلى إبلهم وارتحلوا من منزلهم، فلما برزوا من المنزل، أشرفت عليهم عجوز من كثيب رمل متوكئة على عصا لها، فقالت: مامنعكم أن تطعموا رحيمة الجارية اليتيمة التى جاءتكم عشية ؟ قالوا: وما أنت ؟ قالت: أم العوام، أيمت منذ أعوام، أما ورب العباد لتفرقنَّ فى البلاد، ثم ضربت بعصاها فى الأرض، فأثارت الرمل، ثم قالت: أطيلى إيابهم، ونفرى ركابهم، فنفرت الإبل كأنَّ على كل ذروة بعير شيطانًا، ما نملك منها شيئًا حتى افترقَتْ فى الوادى، فجمعناها من آخر النهار إلى غد ولم نكد، فلما أنخنا لنركب، طلعت العجوز، فعادت بالعصر لفعلها الأول، وعادت لمقالتها: ما منعكم أن تطعموا ؟! إلى آخر ما قالته أولاً، فتفرقت الإبل، فجمعناها من بكرة النهار إلى العشاء ولم نكد، فلما أنخنا لنركب، طلعت وفعلت مثل فعلها الأول والثانى فنفرت الإبل، فأمسينا فى ليلة مقمرة ويئسنا من ظهرنا، فقال بعض القوم لأمية بن أبى الصلت: أين ماكنت تخبرنا به عن نفسك ؟! فتوجه إلى ذلك الكثيب الذى أتتْ منه العجوز حتى هبط من ناحية أخرى، ثم صعد كثيبًا آخر حتى هبط منه، ثم رُفِعَتْ له كنيسة فيها

قناديل، وإذا رجل على بابها معترض أبيض الرأس واللحية، قال أمية: فلما وقفت عليه، قال - بعد أن رفع رأسه إلى -: إنه لمتبوع؟ قلت: أجل، قال: ما حاجتك؟ فحدثته حديث العجوز وفعلها، فقال: صدقتْ وليست بصادقة، هى امرأة يهودية، هلك زوجها منذ أعوام، وإنها لم تزل تصنع بكم ذلك حتى تهلككم إن استطاعت، قال أمية: فما الحيلة؟ قال: أجمعوا ظهركم، فإذا جاءت وفعلت ما كانت تفعله، فقولوا لها سبعًا فوق، وسبعًا أسفل: باسمك اللهم؛ فإنها لن تضركم شيئًا، فرجع أمية إلى أصحابه، فأخبرهم بما قال له، فجاءت ففعلت كما كانت تفعل، فقالوا لها ما قال الرجل، فلم تضرَّهم، فلما رأت الإبل، قالت: عرفت صاحبكم، ليبيضّ أعلاه وليسودّ أسفله، فلما أدركهم الصبح، نظروا إلى أمية قد ابيض فى عذاريه وفى رقبته وصدره، واسودَّ أسفله، فلما قدموا مكة، ذكروا هذا الحديث، فكان أول ما كتب أهل مكة: « باسمك اللهم »، واستمروا كذلك إلى أن جاء الإسلام، فرفع ذلك وكتب: « بسم الله الرحمن الرحيم » انتهى. ذكر ذلك المسعودى فى مروج الذهب.

وفى صحيح البخارى: عن سلمان الفارسى؛ أنه قال: فترة ما بين عيسى ومحمد ﷺ ستمائة سنة، ومن إبراهيم إلى نوح ألفا سنة وستمائة وأربعون سنة، ومن نوح إلى آدم ألف سنة[١].

وروى أن رسول الله ﷺ لما صار ابن شهرين، كان يتزحلق مع الصبيان إلى كل جانب، وفى ثلاثة أشهر كان يقوم على قدميه، وفى أربعة أشهر كان يمسكُ الجدار ويمشى، وفى خمسة أشهر حصل له قدرة على المشى، ولما تم له ستة أشهر، كان يسرع فى المشى، وفى سبعة أشهر كان يسعى ويعدو إلى كل جانب، ولما مضَى عليه ثمانية أشهر، كان يتكلم بحيث يفهم كلامه، وفى تسعة أشهر تكلم بكلام فصيح، وفى عشرة أشهر كان يرمى السهام؛ كذا فى شواهد النبوة.

قال فى المواهب: وخرج أبو نعيم، عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أنه كان من دلالة حمل آمنة برسول الله ﷺ أن كل دابة كانت لقريش نطقَتْ تلك الليلة،

---

(١) أخرجه البخاري (٧/ ٦٩٧) كتاب مناقب الأنصار باب إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه حديث (٣٩٤٨)، ولفظه: « فترة بين عيسى ومحمد ﷺ ستمائة سنة ».

وقالت: حمل برسول الله ﷺ ورب الكعبة، وهو إمام الدنيا وسراج أهلها، ولم يبق سرير لملك من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوسًا، ومرتْ وحوش المشرق إلى وحوش المغرب بالبشارات، وكذلك أهل البحار بشر بعضها بعضًا، وله فى كل شهر من شهور حمله نداء فى الأرض، ونداء فى السماء؛ أن أبشروا فقد آن أن يظهر أبو القاسم - ﷺ ميمونًا مباركًا.

ولما تم من حملها شهران، توفى عبد الله؛ كما تقدم ذكره.

وقالت آمنة ترثى عبد الله والده عليه الصلاة والسلام: [من الطويل]

عَفَى جَانِبُ البَطْحَاءِ مِنْ إِبْنِ[1] هَاشِمٍ ... وَجَاوَرَ لَحدًا خَارِجًا فِى الغَمَاغِمِ[2]

دَعَتْهُ المَنَايَا دَعْوَةً فَأَجَابَهَا ... وَمَا تَرَكَتْ فِى النَّاسِ مِثْل ابْن هَاشِمِ

عَشِيَّةَ رَاحُوا يَحْمِلُونَ سَرِيرَهُ ... تَعَاوَرَهُ أَصْحَابُهُ فِى التَّزَاحُمِ

فَإِنْ تَكُ غَالَتْهُ المَنَايَا وَرَيْبُها ... فَقَدْ كَانَ مِعْطَاءً كَثِيرَ التَّرَاحُمِ[3]

ومن شعر عبد الله بن عبد المطلب والد نبينا - عليه الصلاة والسلام - نقله الصفدى فى ترجمته، وذكره خاتمة الحفاظ الجلال السيوطى فى كتابه مسالك الحنفا فى حكم إيمان والدى المصطفى قوله: [من الطويل]

لَقَدْ حَكَمَ السَّارُونَ فِى كُلِّ بَلْدَةٍ ... بِأَنَّ لَنَا فَضْلاً عَلَى سَائِرِ الأَرْضِ

وَأَنَّ أَبِى ذُو المَجْدِ وَالسُّؤْدَدِ الَّذِى ... يُسَارُ بِهِ مَا بَيْنَ نَشْزٍ إِلَى خَفْضِ

وَجَدِّى وَآبَاءً لَهُ أَثَّلُوا العُلَا ... قَدِيمًا بِطِيبِ العِرضِ وَالحَسَبِ المَحْضِ[4]

قال القطب النهروانى فى بعض تذاكره، ومن خطه نقلت: قد ذيل على هذه الأبيات صاحبنا العلامة الشيخ عبد النافع بن محمد بن عراق بيتين على لسان عبد الله ابن عبد المطلب فقال: [من الطويل]

وَقَدْ جَاءَ مِنْ صُلْبِى نَبِىٌّ مُعَظَّمٌ ... يُشَفِّعُهُ الرَّحْمَنُ فِى مَوْقِفِ الْعَرْضِ

وَمَا لِنَبِىٍّ غَيْرِهِ مِثْلُ فَخْرِهِ ... فَهَلْ مِثْلُ هَذَا المَجْدِ فِى الطُّولِ وَالعرْضِ

وعن ابن عباس - رضى الله عنهما -: لما توفى عبد الله، قالت الملائكة: إلهنا

(١) في ط: آل. والمثبت من الطبقات الكبرى والسبل وهو الصواب إن شاء الله. وقطعت الهمزة للوزن.

(٢) في ط: الغمائم. والمثبت من الطبقات والسبل ومعناها: التصويت عند الفزع.

(٣) ينظر الطبقات الكبرى (١/ ٨٠) وسبل الهدى والرشاد (١/ ٣٣٢).

(٤) ينظر: الحاوي للفتاوي (٢/ ٢٣٣).

وسيدنا ومولانا، بقى نبيك يتيمًا، فقال الله تعالى: أنا حافظ له ونصير، وقيل لجعفر الصادق: لم يتم النبى ﷺ من أبويه ؟ فقال: لئلا يكون عليه حق لمخلوق؛ نقله عنه أبو حيان فى البحر.

وروى أبو نعيم، عن عمرو بن قتيبة؛ قال: سمعت أبى وكان من أوعية العلم، قال: لما حضرتْ ولادة آمنة، قال الله تعالى تلك السنة لنساء الدنيا: ليحملنَ ذكورًا كرامةً لمحمد ﷺ.

وعنه: عن ابن عباس قال: كانت آمنة تحدِّثُ وتقول: أتانى آتٍ حين مرَّ بى من حملى ستة أشهر فى المنام، وقال: يا آمنة، حملت بخير العالمين، فإذا ولدتيه فسميه محمدًا، واكتمى شأنك، ثم لما أخذنى ما يأخذ النساء، ولم يعلم بى أحد، وإنى لوحيدة فى المنزل وعبد المطلب فى طوافه، فسمعتُ وجبة عظيمة، ثم رأيت كأن جناح طائر أبيض قد مسح على فؤادى، فذهب عنى الروع وكل وجع أجده، ثم التفت فإذا بشربة بيضاء فتناولتها فأصابنى نور عال، ثم رأيت نسوة كالنخل طوالاً كأنهنَّ من بنات عبد مناف يحدِّقْنَ بى، فبينما أنا أتعجبُ وأقول: واغوثاه، من أين علمنَ بى ؟ فقلن لى: نحن آسية امرأة فرعون، ومريم ابنة عمران، وهؤلاء من الحور العين، فبينما أنا كذلك إذا بديباج أبيض قد مَرَّ بين السماء والأرض، وإذا بقائل يقول: خذاه عن أعين الناس، ورأيت رجالاً وقفوا فى الهواء بأيديهم أباريق من فضة، ثم نظرت فإذا أنا بقطعة من الطير قد أقبلَتْ حتى غطت حجرتى، مناقيرها من الزمرد، وأجنحتها من الياقوت، وكشف الله عن بصرى، فرأيت مشارق الأرض ومغاربها، ورأيت ثلاثة أعلام مضروبات: علمًا بالمشرق، وعلمًا بالمغرب، وعلمًا على ظهر الكعبة، فأخذنى المخاض، فوضعت محمدًا ﷺ فنظرت إليه فإذا هو ساجد قد رفع إصبعيه إلى السماء كالمتضرع المبتهل، ثم رأيت سحابة بيضاء قد أقبلتْ حتى غشيته فغيبته عنى، فسمعت مناديًا: طوفوا به مشارق الأرض ومغاربها، وأدخلوه البحار ليعرفوه باسمه ونعته وصورته، ويعلموا أنه سمى فيها الماحى، لايبقى من الشرك شىء إلا محى فى زمنه.

قال ابن الجوزى فى التلقيح: لا يعرف فى العرب من تسمى بمحمد قبله ﷺ إلا ثلاثة، طمع آباؤهم حين سمعوا بذكْر محمد ﷺ وبقرب زمانه، وأنه يبعث

بالحجاز: أن يكون ولدًا لهم: أحدهم محمد بن سفيان بن مجاشع جدُّ الفرزدقِ الشاعر التميمى، والآخر: محمد بن أحيحة بن الجُلاح بن الجريش بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، والآخر: محمد بن حمران بن ربيعة، كان آباء هؤلاء قد وفدوا علم بعض الملوك، وكان عنده علم بالكتاب الأول، فأخبرهم بمبعث النبى ﷺ باسمه، وكان كل واحد منهم قد خلف امرأته حاملاً، فنذر كل واحد منهم إن ولد له ذكر أن يسميه محمدًا، ففعلوا[١].

فائدة: ذكر الحسين بن محمد الدامغانى فى كتابه: شوق العروس، وأنس النفوس؛ نقلاً عن كعب الأحبار؛ أنه قال: اسم النبى ﷺ عند أهل الجنة: عبد الكريم، وعند أهل النار: عبد الجبار، وعند أهل العرش: عبد الحميد، وعند الملائكة: عبد المجيد، وعند الأنبياء: عبد الوهاب، وعند الشياطين: عبد القهار، وعند الجن: عبد الرحيم، وفى الجبال: عبد الخالق، وفى البر: عبد القادر، وفى البحر: عبد المهيمن، وعند الحيتان: عبد القُدُّوس، وعند الهوام: عبد الغياث، وعند الوحوش: عبد الرزاق، وعند السباع: عبد السلام، وعند البهائم: عبد المؤمن، وعند الطيور: عبد الغفار، وفى التوراة: مودود، وفى الإنجيل: طاب طاب، وفى الصحف: عاقب، وفى الزبور: فاروق، وعند الله: طه ويس، وعند المؤمنين: محمد ﷺ[٢].

روى مخزوم بن هانئ المخزومى، عن أبيه، وكان له مائة وخمسون سنة، قال: لما ولد النبى ﷺ ارتجس إيوان كسرى أنوشروان، فسقطَتْ منه أربع عشرة شرفة، وكانت له اثنتان وعشرون شرفة[٣]، وانشق صدعًا ظاهرًا، وهذه آية، وبناؤه إلى الآن كذلك.

قلت: أخبرنى من رآه فقال: هو - يعنى الشق - مستطيلٌ من أعلى الجدار إلى أسفله فى كتف الإيوان الأيسر، وسعة فتحة الشق مدخل رجل، وعرض جداره فوق

---

(١) ينظر سبل الهدى والرشاد (١/ ٤٠٩).
(٢) ينظر سبل الهدى والرشاد (١/ ٤٨٧-٤٨٨).
(٣) أخرجه أبو نعيم في « الدلائل » (٨٢)، والبيهقي في « الدلائل أيضًا (١/ ١٢٦-١٢٩) من طريق يعلى بن عمران ثنا مخزوم بن هانئ المخزومي عن أبيه به وأخرجه أيضًا ابن الجوزي في « المنتظم » (٢/ ٢٤٩-٢٥١) وذكره السيوطي في « الخصائص الكبرى » (١/ ٨٧) وعزاه أيضًا للخرائطي في الهواتف وابن عساكر.

خمسة أذرع كذا أخبرنى، وقد سألت غيره فطابق قوله. انتهى.

وخمدت نار فارس، وكان لها أكثر من ألف عام لم تخمدْ، وهى التى يعبدونها.

وغاضت بحيرة ساوة، وهى بين هَمَذان وقمّ، وكانت أكثر من ستة فراسخ فى الطول والعرض، وكان يعبر فيها بالسفن، وبقيت كذلك ناشفة يابسة على هؤلاء القوم حتى بنيت موضعها مدينة ساوة الباقية اليوم.

وأرى الموبذان كأن إبلاً صعابًا، تقود خيلاً عرابًا، حتى عبرت دجلة وانتشرت فى بلاد فارس، فلما أصبح، تجلد كسرَى وجلس على سرير ملكه، ولبس تاجه، وأرسل إلى الموبذان فقال: يا موبذان، إنه سقطت من إيوانى أربع عشرة شرفة، وخمدت نار فارس، فقال الموبذان: وأنا أيها الملك، رأيتُ إبلاً صعابًا، تقود خيلاً عرابًا، حتى عبرت دجلة وانتشرت فى بلاد فارس، قال كسرى: فما ترى ذلك يا موبذان ؟ وكان موبذان أعلمهم، قال: حدثٌ يكونُ من جانب العرب، فكتب حينئذ: من كسرى ملك الملوك إلى النعمان بن المنذر، ابعث إلىَّ رجلاً من العرب يخبرنى عما أسأله عنه، فبعث إليه عبد المسيح بن حيان بن عمرو الغسانى، قيل: كان له من العمر قريب من أربعمائة سنة، فقال له كسرى: ياعبد المسيح، هل عندك علم بما أريد أن أسألك عنه ؟ فقال: يسألنى الملك، فإن كان عندى منه علم أعلمته، وإلا فأعلمه بمن عنده علم، فأخبره برؤيا الموبذان، فقال: علمه عند خال لى يسكنُ مشارف الشام، يقال له: سَطِيح، واسمه: ربيع بن ربيعة بن ماذر بن منصور بن ذئب، كاهن لم يكنْ مثله فى بنى آدم، وكان خلقه عجيبًا؛ عن ابن عباس: إن الله خلق سطيحًا الغسانى كلحم على وضم، ليس له عظم ولا عصب ولا جمجمة والكفين، ولم يتحرك منه إلا لسانه، قيل: لكونه مخلوقًا من ماء امرأتين تساحقتا، ولم يقدر على القيام والقعود، إلا أنه كان إذا غضب، نفخه الريح، فيجلس لا غير، وكان وجهه فى صدره، لم يكن له رأس ولا عنق، وقد عمل له سرير من السعف والجريد، فإذا أريد نقله إلى مكان يطوى من رجله إلى ترقوته كما يطوى الثوب، فيوضع على ذلك السرير، فيذهب به إلى حيث يشاء، وإذا أريد تكهنه وإخباره بالمغيبات، يحرك وطب المخيض، فينتفخ ويمتلىء ويعلو النفس فيخبر عن المغيبات، وكان يسكن الجابية، وهى مدينة من مشارف الشام.

وفى حياة الحيوان الكبرى: روى أنه ولد شقيق وسطيح فى الليلة التى ماتَتْ فيها طريفة الكاهنة امرأة عمرو بن عامر مزيقيا الآتى ذكرها - إن شاء الله تعالى - فى المقصد الرابع، ودعت بسطيح قبل أن تموت، فتفلت فى فيه، وأخبرت أنه سيخلفها فى علمها وكهانتها، ودعت بشقيق، ففعلت به مثل ذلك ثم ماتت، وقبرها بالجحفة. انتهى.

هذا سطيح، وأما شِقّ: فهو بكسر الشين، كان شِقَّ إنسان، له يد واحدة، ورجل واحدة، وعين واحدة، وذكران، من ولده خالد بن عبد الله القسرى، عامل بنى أمية على مكة.

قيل: كانت ولادة سطيح فى أيام سَيْلِ العَرِم، وخرج من مأرب مع رهط من الأزد فى أيام تفرق الناس منها، وعاش إلى زمن ولادته - عليه الصلاة والسلام - فكان له من العمر قريب من ستمائة سنة.

وعن وهب بن منبه: سئل سطيح من أين لك علم الكهانة ؟ قال: إن لى قرينًا من الجن كان قد استمع أخبار السماء فى زمان كلَّم الله موسى فى الطور، فيقول لى من ذاك أشياء، وأنا أقولها للناس. انتهى.

فقال كسرى لعبد المسيح: اذهب إلى سطيح واسأله فأخبر بما يخبرك به، فخرج عبد المسيح حتى قدم على سطيح، وهو مشرفٌ على الموت، فأنشد عبدُ المسيح رجزًا، فلما سمعه سطيح، رفع رأسه إليه، وقال: عبد المسيح، من بلد نزيح، على جمل مسيح، جاء إلى سطيح، وقد وافاه على ضريح، بعثك ملك ساسان، لارتجاس الإيوان، وخمود النيران، ورؤيا الموبذان، رأى إبلاً صعابًا، تقود خيلاً عرابًا، قد قطعت دجلة، فانتشرت فى بلاد فارس، ياعبد المسيح، إذا ظهرت التلاوة، وبعث صاحب الهراوة، وغاضت بحيرة ساوة، وانقطع وادى سِمَاوة، وخمدت نار فارس، لم تكن بابلُ للفرس مُقامًا، ولا الشام لسطيح شامًا، يملك منهم ملوكٌ وملكات، على عدة تلك الشرفات، ثم تكون هنات وهنات، وكل ماهو آت آت، ثم مات.

وفى معجم ما استعجم: السِّمَاوة - بكسر السين، وتخفيف الميم -: مفازة بين الكوفة والشام، وقيل: بين الموصل والشام، من أرض كلاب. وقال الأصمعى:

السماوة: أرض قليلة العرض، كثيرة الطول، سميت بذلك لعلوها وارتفاعها. انتهى.

فرجع عبد المسيح إلى كسرى، وأخبره بما قال سطيح، فقال كسرى: إلى أن يملك منا أربعة عشر ملكًا كانت أمور، فملك منهم عشرة ملوك فى أربع سنين، وملك الباقون إلى خلافة عثمان، رضى الله عنه.

وروى أن عبد المسيح هذا هو الذى صالح خالد بن الوليد على الحيرة، وكان ذلك المال أول مال ورد على أبى بكر الصديق، رضى الله عنه.

ولنذكر غزوة خالد بن الوليد للحيرة ومصالحة أهلها إياه على المال المذكور؛ إذ الكلامُ يجر بعضه بعضًا، فالمسئول من الناظر التسامح والإغضاء، فنقول.

قال العلامة المسعودى فى تاريخه المسمى بمروج الذهب، ومعادن الجوهر، ومن كتابه نقلت: ذكر جماعة من الإخباريين وذوى العلم بأيام العرب، منهم هشام ابن محمد الكلبى، وأبو مِخْنَف لوط بن يحيى، وشرقى بن القطامى؛ أن خالد بن الوليد المخزومى لما أقبل يريد الحيرة فى سلطان أبى بكر - رضى الله عنه - بعد فتح اليمامة، وقتل مسيلمة الكذاب، فلما رآه أهل الحيرة، تحصَّنوا فى القصر الأبيض، وقصر القادسية، وقصر بنى ثعلبة، وهذه أسماء قصور كانت بها، فلما نظر خالد إلى أهل الحيرة ورآهم تحصنوا، أمر العسكر فنزلوا نحو النجف، وأقبل خالد ومعه ضرار بن الأزور الأسدى، فوقف حيال قَصْرِ بنى ثعلبة، فجعل العباديون يرمونهما بالخذف، فجعل فرسه ينفر، فقال له ضرار: ليس لهم مكيدة أعظم من هذه، ومضى خالد إلى عسكره، فبعث إلى أهل الحيرة أن أرسلوا إلينا رجلاً من عقلائكم وذوى أنسابكم نسأله عن أمركم، فبعثوا إليه عبد المسيح بن عمرو بن قيس الغسانى هذا، وهو الرسول إلى سطيح لتعبير رؤيا الموبذان، فأقبل عبد المسيح، فنظر إليه خالد بن الوليد، فقال له: من أين قصُّ أثرك أيها الشيخ ؟ فقال: من صلب أبى، فقال له خالد: فمن أين جئت ؟ قال: من بطن أمى، فقال خالد فعلام أنت ويحك ؟ قال: على الأرض، فقال له: ففيم أنت لا كنت ؟ فقال: فى ثيابى، فقال خالد: أتعقل لا عقلت ؟ قال عبد المسيح: إى والله وأقيد، فقال خالد: ابن كم أنت؟ فقال: ابن رَجُلٍ واحد، فقال خالد: اللهم أخزهم أهل بلدة فما يزيدوننا إلا عماء، أسأله عن الشيء، فيجيب عن غيره، قال: كلا والله ما أجبتُكَ إلا عما سألتنى عنه، فسل عما بدا لك، فقال خالد: أعَرَبٌ أنتم أم نبط ؟ فقال عبد المسيح: عربٌ

استنبطنا، ونبط استعربنا، قال خالد: فحربٌ أنتم أم سِلْم ؟ قال: لا بَلْ سِلْم، قال: فما بال هذه الحصون ؟ قال: بنيناها للسفيه نحبسه حتى يأتى الحليم فينهاه، فقال خالد: كم أتَتْ لك من السنين ؟ قال خمسون وثلاثمائة، قال خالد: فما أدركتَ ؟ قال: أدركتُ سُفُنَ البحر ترفأ إلينا فى هذا النجف بمتاع الصين والهند، وأمواج البحر تضرب ما تحت قدميك، وبيننا اليوم وبين البحر ما تعلم، ورأيت المرأة من الحيرة تأخذ مكتلها على رأسها لاتتزوَّدُ إلا رغيفًا واحدًا، فلا تزال تمشى فى قرى متصلة، وعمائر متصلة، وأشجار مثمرة، وأنهار جارية، وغدران غدقة حتى ترد الشام، فوجم خالد لذلك.

قال الراوى: ومع عبد المسيح سم ساعة يقلبه بيده، فقال له خالد: ما هذا معك؟ قال: سم ساعة، قال: ما تصنع به ؟ قال: أتيتك: فإن يكن عندك ما يسرنى ويوافق أهل بلدتى، قبلته وحمدت الله، وإن تكن الأخرى، لم أكنْ أول سائق إلى أهل بلدتى ذلاً وبلاء، فآكل هذا السم وأستريح من الدنيا، فإنما بقى من عمرى اليسير، فقال له خالد: هاته فأخذه ووضعه فى راحلته، ثم قال: بسم الله وبالله، بسم الله ربِّ الأرض والسماء، بسم الله الذى لا يضرُّ مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء، وهو السميع العليم، ثم اقتحمه فتخللته غشية وضرب بذقنه على صدره، ثم سُرِّىَ عنه، فأفاق كأنما نَشِطَ من عقال، قال: فانصرف الغسانى المذهب - وهم النسطورية من النصارى - إلى قومه فقال: يا قوم، جئتكم من عند شيطان يَأْكُلُ سم ساعة فلا يضره، صالحوه وأخرجوه عنكم، فالقوم مصنوع لهم، وأمرهم مقبل، وأمر بنى ساسان مُدْبِر، وسيكون لهذه الملة شأن يغشى الأرض، قال: فصالحوا خالدًا على مائة ألف ألف درهم وتاج، فرحل عنهم خالد بن الوليد، رضى الله تعالى عنه.

قلت: قال ابن الجوزى: والحيرة بينها وبين الكوفة ثلاثة أميال، ولم يزل عمرانها يتناقص من الوقت المذكور إلى صدر خلافة المعتضد العباسى، فاستولى عليها الخراب، وقد كان السفاح أول خلفاء بنى العباس والمنصور والمهدى والرشيد ينزلونها ويطلبون المقام بها؛ لطيب هوائها، وصفاء جوها، وصحة تربتها، وصلابتها، وقرب الخورنق منها، وقد كان فيها رهبان، فلحقوا بغيرها من البلاد لتداعى خرابها.

قال المسعودى: وأقفرت من أنيس فى هذا الوقت - يعنى: وقت تصنيف كتابه المروج، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة - وتوحشت إلا من الضب والبوم.

وذكر كثير من أهل الدراية أن سعدها سيعود فى المستقبل بالعمران، وكذلك الكوفة، والله تعالى أعلم.

قال الشيخ بدر الدين الزركشى: والصحيح أن ولادته - عليه الصلاة والسلام - كانت نهارًا، قال: وأما ما روى من تدلِّى النجوم، فضعفه ابن دحية؛ لاقتضائه أن الولادة ليلاً، قال: وهذا لا يصلح[(١)] أن يكون تعليلاً؛ فإن زمان النبوة صالح للخوارق، ويجوز أن تسقط [النجوم][(٢)] نهارًا[(٣)].

فإن قلت: إذا قلنا بأنه ولد ليلاً فأيما أفضل: ليلة القدر، أو ليلة مولده - عليه الصلاة والسلام - أفضل من ليلة القدر؟

أجيب: بأن ليلة مولده - عليه الصلاة والسلام - أفضل من ليلة القدر من وجوه ثلاثة:

أحدها: أن ليلة المولد ليلة ظهوره، وليلة القدر معطاة له، وما شرف بظهورِ ذاتِ المشرف من أجله أفضلُ مما شرف بسبب ما أعطيه، ولا نزاعَ فى ذلك؛ فكانت ليلة المولد بهذا الاعتبار أفضلَ.

الثانى: أن ليلة القدر شرفتْ بنزول الملائكة فيها، وليلة المولد شرفت بظهوره ﷺ فيها، ومن شرفتْ به ليلة المولد أفضلُ ممن شرفت به ليلة القدر على الأصح المرتضَى؛ فتكون ليلة المولد أفضل.

الثالث: أن ليلة القدر وقع التفضيل فيها على أمة محمد ﷺ وليلة المولد الشريف وقع التفضيل فيها على سائر الموجودات؛ فهو الذى بعثه الله رحمة للعالمين، فعمت به النعمة على جميع الخلائق؛ فكانت ليلة المولد أعم نفعًا؛ فكانت أفضل.

قال فى الجمع الغريب، فيما يسر الكئيب: قال أهل السير: أرضعتْ رسولَ الله ﷺ أمه آمنة ثلاثة أيام، وقيل: سبعة أيام[(٤)].

---

(١) في ط: يصح. والمثبت من السبل.
(٢) المثبت من السبل.
(٣) ينظر: سبل الهدى والرشاد (١/ ٣٣٣-٣٣٤).
(٤) ذكر ذلك جماعة منهم صاحب المورد والغرر وينظر سبل الهدى والرشاد (١/ ٣٧٥).

ثم أرضعته ثويبة جارية عمه أبى لهب، وهى التى بشرته بولادته، فأعتقها فرحًا بابن أخيه، ثم بدت عداوته له - عليه الصلاة والسلام - فأثابه الله على ذلك بأن سقاه ليلة كل اثنين فى مثل نقرة الإبهام بلبان أمه، وقد رأى العباس أبا لهب بعد موته فى النوم، فقال له: ما حالك ؟ فقال له: فى النار، إلا أنه خفف عنى كل ليلة اثنين وأمصنِى من بين إصبعى هاتين ماءً باردًا، وأشار له إلى إصبعيه، وأن ذلك بإعتاقه ثويبة فرحًا عندما بشرته بولادة ابن أخيه وإرضاعها له، وكانت قد أرضعت قبله عمه حمزة بن عبد المطلب، وأرضعت بعده أبا عبد الله سلمة بن عبد الأسد المخزومى، وهو ابن عمته بلبن ابنها مسروح الذى تزوج بزوجته بعد وفاته النبى ﷺ وهى المعروفة بأم سلمة، وأرضعت ابن عمه أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب.

ثم أرضعته حليمة بنت عبد الله السعدية بلبن ابنها عبد الله من زوجها الحارث بن عبد العزى، جاء بعد البعثة وأسلم، وظهر له - عليه الصلاة والسلام - عند حليمة آيات كثيرة، وعندها شق صدره، وملىء إيمانًا وحكمه.

قيل: وأرضعته خولة بنت المنذر، وأم أيمن دايته وحاضنته بعد موت أمه، وله حين حضنته أربع سنين.

وردته حليمة إلى أمه بعد سنتين؛ فكان عند أمه آمنة إلى أن بلغ ست سنين، فخرجت به إلى أخوال أبيه بنى عدى بن النجار تزورُهُمْ، ومعها أمُّ أيمن تحضنه، فأقامت به عندهم شهرًا، ثم رجعت به إلى مكة، فلما كانت بالأبواء، توفيت وقبرها هنالك[1].

روى أبو نعيم من طريق الزهريِّ عن أم سماعة بنت رهم، عن أمها، قالت: شهدت آمنة فى علتها التى ماتَتْ بها ومحمد ﷺ غلام له خمس سنين، فنظرتْ إلى وجهه، ثم قالت: [من الرجز]

بَارَكَ فِيكَ اللهُ مِنْ غُلَامِ ... يَابْنَ الَّذِى مِنْ حَوْمَةِ الحِمَامِ[2]
نَجَا بِعَوْنِ المَلِكِ العَلَّامِ ... فُودِى غَدَاةَ الضَّرْبِ بِالسِّهَامِ
بِمِائَةٍ مِنْ إِبِلٍ سَوَامِ ... إِنْ صَحَّ مَا أَبْصَرْتُ فِى المَنَامِ

---

(١) ينظر: سبل الهدى والرشاد (١/ ٣٧٥-٣٧٨).
(٢) في ط: حرمة الحرام. والمثبت من السبل والخصائص الكبرى وهو الصواب.

فَـأَنْـتَ مَـبْـعُـوثٌ إِلَـى الأَنَـامِ ... مِنْ عِنْدِ ذِى الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ
تُبْعَثُ فِى الحِلِّ وَفِى الْحَرَامِ ... تُـبْـعَـثُ بِـالـتَّـحْـقِـيـقِ وَالإِسْـلَامِ
دِيـنِ أَبِـيـكَ الـبَـرِّ إِبْـرَاهَـامِ ... فَـالـلـهُ يَـنْـهَـاكَ عَـنِ الأَصْـنَـامِ
أَنْ لاَ تُـوَالِـيـهَـا مَـعَ الأَقْـوَامِ

ثم قالت: كل حى ميت، وكل جديد بال، وكل كبير يفنى، وأنا ميتة وذكرى باق، ولقد تركت خيرًا، وولدت طهرًا، ثم ماتت، فسمع من نَوْحِ الجنِّ عليها قولهم: [من الرجز]

نَـبْـكِـى الْـفَـتَـاةَ الـبَـرَّةَ الأَمِـيـنَـهْ ... ذَاتَ الْـحَـيَـا وَ الْـعِـفَّـةِ الـرَّزِيـنَـهْ
زَوْجَـةَ عَـبْـدِ الـلـهِ وَالْـقَـرِيـنَـهْ ... أُمَّ نَـبِـىِّ الـلـهِ ذِى الـسَّـكِـيـنَـهْ
وَصَـاحِـبِ الـمِـنْـبَـرِ بِـالْـمَـدِيـنَـهْ ... صَـارَتْ لَـدَى حُـفْـرَتِـهَـا رَهِـيـنَـهْ[١]

روى إسحاق بن راهويه، وأبو يعلى، والطبرانى، والبيهقى، وأبو نُعيم، عن حليمة، قالت: قدمت مكة فى نسوة من بنى سعد بن بكر نلتمسُ الرضعاء فى سنة شهباء، فقدمت على أتان لى ومعى صبى لنا وشارف والله ماتبضُّ بقطرة وما ننام ليلنا ذلك أجمع، صبينا لا يجد فى ثديى ما يغنيه ولا شارفنا ما يغذيه، فقدمنا مكة، فو الله ما علمتُ امرأة منا إلا أخذت رضيعًا غيرى. فلما لم أجدْ غيره، قلت لزوجى: والله، إنى لأكره أن أرجع من بين صواحبى ليس معى رضيع، لأنطلقنَّ إلى ذلك اليتيم، فلآخذنه[٢]، فذهبت فإذا هو مدرج فى ثوب صوف أبيض من اللبن، يفوحُ

(١) ذكره الصالحي في « سبل الهدى والرشاد » (٢/ ١٢١) وعزاه إلى أبي نعيم. وينظر: الخصائص الكبرى (١/ ١٣٥-١٣٦). وزاد بعد هذه الأبيات في « السبل »:

لـو فُـودِيَـتْ لـفُـودِيَـتْ ثَـمينـهْ ... ولـلـمـنـايـا شَـفْـرة سَـنـيـنَهْ
لـم تـبـق ظـعَّـانًـا ولا ظعـيـنَـهْ ... إلا أتـت وقـطَّـعـت وَتـيـنَـهْ
إمَّـا هـلـكـت أيـهـا الـحـزيـنَـهْ ... عنِ الذي ذو العرش يُعْلي دينَهْ
فـكـلُّـنـا والـهـةٌ حـزيـنَـهْ ... نبكيك للعطلة أو للزينَهْ
ولـلـضـعـيـفـاتِ ولـلـمـسـكـيـنَـهْ

(٢) في السيرة: أنه قال لها: « لا عليك أن تفعلي؛ عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة » وفيه: « قالت: فذهبت إليه فأخذته وما حملني على أخذه إلا أني لم أجد غيره. فلما أخذته رجعت به إلى رحلي فلما وضعته في حجري أقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن » ينظر: السيرة (١/ ١٨٨).

منه المسك وتحته حريرة خضراء راقدٌ على قفاه يغطّ، فأشفقتُ أن أيقظه من نومه لحسنه وجماله، فدنوت منه رويدًا، فوضعت يدى على صدره، فتبسم ضاحكًا، وفتح عينيه لينظر إلى، فخرج من عينيه نور وصل عَنَانَ السماء وأنا أنظر، فقبلته بين عينيه، وأعطيته ثديى الأيمن، فأقبل عليه ما شاء من لبن، فحولته إلى الأيسر فأبى، وكانت تلك حاله بعد.

قال أهل العلم: أعلمه الله أن له شريكًا فألهمه العدل.

قالت: فروى وروى أخوه، ثَمَّ أخذته فما هو إلا أن جئت به رَحْلى، فقام صاحبى - تعنى زوجها - إلى شارفنا تلك، فإذا إنها لحافل، فشرب وشربتُ حتى روينا وبتنا بخير ليلة، فقال صاحبى: يا حليمة، والله إنى لأراك قد أخذت خيرًا، وفى رواية ذكرها فى المنطق المفهوم: فلما نظر صاحبى إلى هذا، قال: اسكتى واكتمى أمرك، فمن ليلة ولد هذا المولود أصبحتِ الأحبارُ قوامًا على أقدامها لايهنأ لها عيش النهار ولا نوم الليل، قالت حليمة: فودع الناس بعضهم بعضًا، وودعت أنا أم النبى ﷺ ثم ركبت أتانى وأخذت محمدًا ﷺ بين يدى.

قالت: فنظرت إلى الأتان، وقد سجَدَتْ نحو الكعبة ثلاث سجدات، ورفعتْ رأسها إلى السماء، ثم مشت حتى سبقَتْ دواب الناس التى كانت معى، وصار الناس يتعجبون منى ويقلْنَ النساء لى وهُنَّ ورائى: يابنت أبى ذؤيب، أهذه أتانك التى كنت عليها، وأنت جائية معنا تخفضك تارة، وترفعك أخرى ؟! فأقول: تالله إنها هى، فيتعجبْنَ منها ويقلْنَ: إن لها لشأنًا عظيمًا[1]، قالت: فكانت أتانى تنطق، وتقول: والله، إن لى لشأنًا، ثم شأنًا، بعثنى بعد موتى، ورد سمنى بعد هزلى، ويحكُنَّ يانساء بنى سعد، إنكن لفى غفلة، أتدرينَ مَنْ على ظهرى ؟! على ظهرى خير النبيين، وسيد المرسلين، وخير الأولين والآخرين، وحبيب رب العالمين.

---

(١) أخرجه ابن إسحاق في « السيرة » (١/ ١٨٧-١٩٠) ومن طريقه أبو يعلى (٧١٦٣) وابن حبان (٢٠٩٤)، وأبو نعيم في « الدلائل » (٩٤)، والبيهقي في الدلائل (١/ ١٣٢-١٣٦)، والطبراني في « الكبير » (٢٤/ ٢١٢-٢١٥) رقم (٥٤٥) من طريق جهم بن أبي جهم عن عبد الله بن جعفر عن حليمة به وجهم بن أبي جهم مجهول وأيضًا لم يدرك عبد الله بن جعفر وعبد الله بن جعفر لم يدرك حليمة والحديث ذكره الحافظ ابن حجر في المطالب العالية (٤/ ١٦٧) رقم (٤٢٥٢) وعزاه إلى إسحاق بن راهويه وأبي يعلى. وهو أيضًا عند ابن عساكر (١/ ٧٤-٧٩).

قالت حليمة فيما ذكره ابن إسحاق[١] وغيره: ثم قدمنا منازل بنى سعد، فلا أعلم أرضًا من أرض الله أجدب منها، فكانت غنمى تروح شباعًا لبنا، فنحلب ونشرب، وما يحلب إنسان قطرة لبن، ولا يجدها فى ضرع حتى كان الحاضرون[٢] من قومنا يقولون لرعيانهم: اسرحوا حيث يسرح راعى غنم بنت أبى ذؤيب، فتروح أغنامهم جياعًا ماتبض بقطرة، وتروح أغنامنا شباعًا لبنًا. فلله درها من بركة!.

وأخرج البيهقى، وابن عساكر، عن ابن عباس قال: كانت حليمة تحدث أنها أول ما فطمت رسول الله ﷺ فقال: الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، وسبحان الله بكرةً وأصيلاً، فلما ترعرع، كان يخرج ينظر إلى الصبيان يلعبون فيجتنبهم[٣].

وقد روى ابن سعد، وأبو نعيم، وابن عساكر، عنه: [كانت حليمة لا تدعه يذهب مكانا بعيدا، فغفلت عنه]؛[٤] فخرج مع أخته الشيماء إلى البهم، فخرجت حليمة تطلبه حتى تجده، فوجدته مع أخته، فقالت: فى هذا الحر ؟ فقالت أخته: يا أمه، ما وجدنا حَرًا، رأيت غمامة تظل عليه، إذا وقف وقفت، وإذا سار سارت معه حتى انتهى إلى هذا الموضع[٥].

قال أهل السير: كانت سنة العرب فى المولود إذا ولد فى استقبال الليل كفئوا عليه قدرًا حتى يصبح، ففعلوا ذلك بالنبى ﷺ فأصبحوا وقد انشق عنه القدر، وهو شاخص ببصره إلى السماء.

وفى المنتقى: أن أمه لما ولدته ﷺ أرسلت إلى جده عبد المطلب، فجاءه البشير وهو جالسٌ فى الحجر معه ولده ورجال من قومه، فقام هو ومن كان معه، ودخل عليها، فأخبرته بما كانت رأته مما تقدَّم ذكره، وما قيل لها، وما أمرت به، فأخذه عبد المطلب، فأدخله جوف الكعبة، وقام عندها يدعو الله تبارك وتعالى له، ويشكره

---

(١) ينظر: السيرة النبوية (١/ ١٨٩) بنحوه.

(٢) في ط: الخاص. والمثبت من السيرة.

(٣) أخرجه البيهقي في « الدلائل » (١/ ١٣٩-١٤٥) ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١/ ٣٨٤-٣٨٨) وينظر: الخصائص الكبرى (١/ ٩٣-٩٥). وقال ابن عساكر: هذا حديث غريب جدًا وفيه ألفاظ ركيكة لا تشبه الصواب.

(٤) المثبت من الخصائص الكبرى (١/ ١٠٠).

(٥) ذكره السيوطي في « الخصائص الكبرى » (١/ ١٠٠) وعزاه إلى ابن سعد وأبي نعيم وابن عساكر وابن الطراح في كتاب الشواعر.

على ما أعطاه، وأمر بالجزائر، فنحرت ودعا رجالاً من قريش، فحضروا وطعموا.

وفي بعض الكتب: كان ذلك يوم سابعه، يعني عقيقته.

فلما فرغوا من الأكل، قالوا: ما سميته ؟ قال: سميته محمدًا. قالوا: رغبت عن أسماء آبائه ؟ قال: أردت أن يكون محمودًا في السماء لله، وفي الأرض لخلقه، فحقق الله رجاءه.

ولما ولدته أمه آمنة، أرضعته ثلاثة أيام، ثم أرضعته ثويبة الأسلمية جارية عمه أبي لهب أيامًا قبل قدوم حليمة من قبيلتها، ثم أرضعته حليمة كما تقدَّم.

روى أنه أرضعتِ النبيَّ ﷺ ثمان نسوة غير أمه: ثويبة، وحليمة، وخولة بنت المنذر، وأم أيمن، وامرأة سعدية غير حليمة، وثلاث نسوة من سليم اسم كلّ واحدة عاتكة، وهو المراد من قوله ﷺ: « أنا ابن العواتك من سليم »؛ كذا قاله الإمام السهيلي ناقلاً له عن بعض العلماء؛ لكن المشهور: أن العواتك المشار إليهنَّ في الحديث المذكور: عاتكة بنت هلال بن فالح بن ذكوان السلمية، وهي أم عبد مناف جده، والثانية: عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالح بن ذكوان السلمية - أيضًا - وهي أم هاشم بن عبد مناف، والثالثة: عاتكة بنت الأوقص بن مرة بن هلال بن فالح بن ذكوان، وهي أم وهب أبي أمه آمنة؛ فهي جدته أم أبي آمنة. فالأولى عمته، والثانية والثالثة عمته، وبنو سليم يفتخرون بهذه الولادة.

وكانت أخته من الرضاعة تحضنه وترقِّصه فتقول: [من الرجز]

هَـذَا أَخٌ لِـي لَـمْ تَـلِـدْهُ أُمِّـي ... وَلَـيْسَ مِنْ نَـسْلِ أَبِـي وَعَـمِّـي

فَـدَيْـتُـهُ مِـنْ مُـخْـوَل مُـعَـمِّ ... فَـأَنْـمِـهِ الـلـهُـمَّ فِـيـمَـا تُـنْـمِـي

وأخرج البيهقي، والخطيب البغدادي، وابن عساكر، عن العباس بن عبد المطلب، قال: قلت: يارسول الله، دعاني للدخول في دينك أمارة لنبوتك؛ رأيتك في المهد تناغي القمر، وتشير إليه بإصبعك، فحيث أشرت إليه مال، فقال ﷺ: « إني كنت أحدِّثه ويحدِّثني، ويلهيني عن البكاء، وأسمع وجبته حين يسجد تحت العرش »(١).

---

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢/ ٣٥٩) وذكره السيوطي في « الخصائص » (١/ ٩١) وعزاه أيضًا للبيهقي والخطيب والصابوني في المأتين قال البيهقي: تفرد به أحمد بن إبراهيم الحلبي وهو مجهول وقال الصابوني: غريب الإسناد والمتن وينظر « كنز العمال » (٣١٨٢٨).

وفى سيرة الواقدى: أنه ﷺ تكلم فى أوائل ما ولد، وذكر ابن سبع فى الخصائص أن مهده ﷺ كان يتحرَّك بتحريك الملائكة له[١] .

قال فى المواهب: قالت حليمة: ومن العجائب أنى ما رأيت له بولاً، ولا غسلْتُ له وضوءًا قطُّ، وكانت له طهارة ونظافة، وكان له فى كل يوم وقت وَاحدٌ يتوضأ فيه ولا يعود حتى يأتى وقته الآخر من الغد، ولم يكن شىء أبغض إليه من أن يرى جسده مكشوفًا، فكنت إذا كشفت عن جسده يصيح حتى أستره عليه، وكان لا يبكى قطُّ، ولا يسىء خلقه.

وروى عن ابن عباس: كانت حليمة تحدث أنها أول ما فطمته - عليه الصلاة والسلام - تكلم، فقال: الله أكبر كبيرًا، وسبحان الله بكرة وأصيلاً[٢] .

وفى تاريخ الخميس، عن المنتقى: قالت حليمة: انتبهت ليلة من الليالى، فسمعته يتكلم بكلام لم أسمعْ كلامًا قطُّ أحسنَ منه، فقال: لا إله إلا الله قدوسًا قدوسًا، نامت العيون والرحمن لا تأخذه سنة ولا نوم، وهو أول ماتكلم، فكنت أتعجب من ذلك، فلما بلغ المنطق، لم يمس شيئًا إلا قال: بسم الله، ولم يتناول شيئًا بيساره بل بيمينه، وكنت قد اجتنبت الزوج إلا إن اغتسلْتُ منه هيبة لرسول الله ﷺ حتى تمت له سنتان كاملتان، فبينما هو قاعد فى حجرى ذات يوم إذ مرَّتْ به غنيمات، فأقبلتْ شاة من الغنم حتى سجَدتْ له، وقبلَتْ رأسه، ثم رجعت إلى صواحباتها. وكان ينزل عليه كل يوم نور كنور الشمس فيغشاه ثم ينجلى عنه.

قال العلامة القسطلانى: ولما ترعرع ﷺ كان يخرج إلى الصبيان، وهم يلعبون فيجتنبهم.

وفى المنتقى: كان أخواه من الرضاع يخرجان فيمران بالغلمان فيلعبان معهم، فإذا رآهم النبى ﷺ، اجتنبهم، وأخذ بيد أخويه، وقال لهما: إنا لم نخلق لهذا.

ولما مضت له سنتان من مولده، قالت حليمة: فصلته، وقدمنا به على أمه، ونحن أحرص شىء على مكثه فينا لما نرى من بركته. وكلمنا أمه، وقلنا: لو تركتيه عندنا حتى يغلظ، فإنا نخشى عليه وباء مكة، ولم نزل بها حتى ردته معنا فرجعنا به،

---

(١) ينظر: الخصائص الكبرى (١/ ٩١)، وسبل الهدى والرشاد (١/ ٣٤٩) وفيهما بعده: «وأن أول ماتكلم به: الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا» وقد تقدم.

(٢) تقدم تخريجه قريبًا.

فوالله إنه لبعد مقدمنا بشهرين أو بثلاثة أشهر مع أخيه من الرضاع خلف بيوتنا؛ إذ أتانا أخوه يشتد فقال: يا أماه، ذلك أخي القرشي قد جاء رجلان عليهما ثيابٌ بيض فأضجعاه وشقًا بطنه. قالت حليمة: فخرجت أنا وأخوه وأبوه نشتدُّ نحوه فوجدناه قائمًا منتقعًا لونه، فاعتنقه أبوه، وقال: أي بني، ما شأنك ؟

قلت: هذه هي المرة الأولى من مرات شق صدره الشريف؛ كما سيأتي.

فقال - عليه الصلاة والسلام - جاءني رجلان عليهما ثيابٌ بيض فأضجعاني، ثم شقا بطني، ثم استخرجا منه شيئًا، فطرحاه ثم رداه كما كان، فرجعنا به، فقال أبوه: يا حليمة، لقد خشيت أن يكون ابني هذا قد أصيبَ، فانطلقي نرده إلى أهله قبل أن يظهر به مايتخوف، قالت حليمة: فاحتملناه حتى قدمنا به على أمه، فقالت: ما لكما رددتماه، وقد كنتما حريصين عليه ؟ قالا: نخشى الأحداث عليه، فقالت أمه آمنة: ما ذاك بكما، فاصدقاني ما شأنكما ؟ فلم تدعنا حتى أخبرناها خبره، فقالت: خشيتما عليه الشيطان، كلا والله، ما للشيطان عليه سبيل؛ فإنه لكائن لابْنِي هذا شأن، فدعاه عنكما.

وقد وقع شق صدره الشريف مرة أخرى عند مجيء جبريل بالوحي في غار حراء، وهذه هي المرة الثانية، ومرة أخرى عند الإسراء وهي المرة الثالثة.

وعن حليمة أنها قالت: لما تم له سنتان، قال لي: يا أماه، مالي لا أرى أخويَّ ؟ أي: بالنهار، قالت: يابني، إنهما يرعيان غنيمات لنا، قال: فما لي لا أخرج معهما ؟ قالت: أتحب ذلك ؟ قال: نعم، فلما أصبح، دهنته وكحلته وعلقت في عنقه خيطًا فيه جزع يمان، فنزعه ثم قال لي: مهلاً يا أماه؛ فإن معي من يحفظني، قالت: ثم دعوت بابنيَّ، فقلت لهما: أوصيكما بمحمدٍ خيرًا، لا تفارقاه، وليكنْ نصب أعينكما، فخرج مع أخويه في الغنم، فبينما هو قائم معهما، إذ أتاه الرجلان المذكوران وهما جبرائيل وميكائيل، ومعهما طَشْتٌ من ذهب فيه ماء بثلج، فاستخرجاه من الغنم والصبية، فشقا بطنه، وشرحَا صدره، واستخرجا منه نكتة سوداء، وغسلاه بذلك الماء والثلج وحشى إيمانًا وحكمة، ومسحا عليه، وعاد كما كان، ثم قال أحدهما لصاحبه: زنه بعشرة من أمته فوزن، فرجح بهم، ثم قال: زنه بمائة فوزن فرجح، ثم قال: زنه بألف فوزن فرجح، ثم قال: دعه عنك فلو وزنته بأمته كلِّها لوزنها.

وفى رواية: ثم قال أحدهما لصاحبه: اغسل بطنه غسل الإناء، واغسل قلبه غسل الملاء، ثم قال: خط بطنه، فخاطه، وجعل الخاتم بين كتفيه؛ كما هو الآن.

وفى الحديث: إن خاتم النبوة لم يكنْ قبل ذلك، قالت حليمة: فحملناه إلى مخيم لنا، فقال الناس: اذهبوا به إلى كاهن ينظر إليه ويداويه، فقال ﷺ: مابى شىء مما تكرهونه، وإنى أرى نفسى سليمة وفؤادى صحيحًا بحمد الله تعالى، قال الناس: أصابه لمم أو طائفٌ من الجنِّ، قالت حليمة: فغلبونى على رأيى حتى انطلقتُ به إلى الكاهن، فقصصت عليه قصته من أولها إلى آخرها، فقال الكاهن: دعينى أسمع من الغلام؛ فإنه أبصر بأمره منكم؛ تكلم ياغلام، قالت: فقصَّ ابنى محمد قصته من أولها إلى آخرها عليه، فوثب الكاهن على قدميه، وضمه إلى صدره، ونادى بأعلى صوته: يا للعرب، من شر قد اقترب، اقتلوا هذا الغلام، واقتلونى معه؛ فإنكم إن تركتموه، وبلغ مبلغ الرجال، ليسفُهَنَّ أحلامكم، وليبدلَنَّ أديانكم إلى رب لا تعرفونه، ودين تنكرونه، قالت حليمة: فلما سمعت مقالته، انتزعته من يده، وقلت: أنت أعته وأجن من ابنى، ولو علمت أن هذا يكون منك ما أتيتك به، اطلب لنفسك من يقتلك فإنا لا نقتل ابنى محمدًا ﷺ فاحتملت به وأتيت به منزلى، فما بقى يومئذ بيت فى بنى سعد إلا وجد منه ريح المسك، وكان ينقضُّ عليه فى كل يوم طيران أبيضان يغيبان فى ثيابه ولا يظهران، فلما رأى أبوه ذلك، قال لى: يا حليمة، إنا لا نأمنُ على هذا الغلام، وخشيتُ عليه من أتباع الكهنة، فألحقيه بأهله قبل أن يصيبه عندنا شىء، قالت حليمة: فلما عزمت على ذلك، سمعتُ صوتًا فى جوف الليل ينادى: ذهب ربيع الخير، وأمان بنى سعد، هنيئًا لبطحاء مكة إذ كان مثلك فيها، فالآن قد أمنتْ أن تخرب أو يصيبها بؤس بدخولك إليها ياخير البشر، قالت: فلما أصبحتُ ركبت أتانى، ووضعت النبى ﷺ بين يدى، فلم أكنْ أقدر مما كنت أنادى يمنة ويسرة، حتى انتهيت به إلى الباب الأعظم من أبواب مكة وعليه جماعة مجتمعون، فنزلتُ لأقضى حاجة، وأنزلت النبى ﷺ فغشينى كالسحابة البيضاء، وسمعت صوتًا شديدًا، ففزعت وجعلتُ ألتفت يمنة ويسرة، ونظرت، فلم أر النبىّ ﷺ فصختُ: يامعشر قريش الغلام الغلام، قالوا: وما الغلام ؟ قلت: محمد بن آمنة، فجعلت أبكى وأنادى: وامحمداه، فبينما أنا كذلك إذ أنا بشيخ كبير

قد استقبلنى، فقال: ما لكِ أيتها السعدية ؟ قلت: إن لى قصة عظيمة، محمد بن آمنة أرضعته ثلاث سنين لا أفارقه ليله ولا نهاره، فعيشنى الله به وأنضر وجهى، وجئتُ لأؤدى لأمه الأمانة؛ ليخرج من عهدى وأمانتى، فاختُلِسَ منى اختلاسًا قبل أن تمسَّ قدمه الأرض، فقال الشيخ: لا تبكى أيتها السعدية، ادخلى على هبل فتضرعى إليه، فلعله يرده عليك؛ فإنه القوى على ذلك، العالم بأمره، فقلت: أيها الشيخ، كأنك لم تشهد ولادة محمد ليلة ولد ما نزل باللات والعزى، فقال: أيتها السعدية، إنى أراك جزعة، وأنا أدخل على هبل، وأذكر أمرك له، فقد قطعتِ أكبادنا ببكائك، ما لأحد من الناس على هذا صبر، قالت: فقعدت مكانى متحيرة، ودخل الشيخ على هبل، وعيناه تذرفان بالدموع، فسجد طويلاً، وطاف به أسبوعًا، ثم نادى: ياعظيم المنة، يا قويًا فى الأمور، إن منتك على قريش كثير، وهذه السعدية مرضعة محمد تبكى، قد قطع بكاؤها الأنياط، فإن رأيت أن ترده عليها إن شئت، فارتجَّ والله الصنم، وتنكَّس ومشَى على رأسه، وسمعت منه صوتًا يقول: أيها الشيخ، أنت فى غرور، مالى ولمحمد ؟! وإنما يكون هلاكُنَا على يديه، وإن رب محمد لم يكنْ ليضيعه، بل يحفظه، أبلغ عبدة الأوثان أن معه الذبح الأكبر إلا أن يدخلوا فى دينه.

قال: فخرج الشيخ فزعًا مرعوبًا يُسمع لسنه قعقعة، ولركبه اصطكاك، فقال لى: يا حليمة، ما رأيتُ من هبل مثل هذا، فاطلبى ابنك إنى لأرى لهذا الغلام شأنًا عظيمًا، قالت: فقلت لنفسى: كم تكتمى أمره عن جده عبد المطلب، أبلغيه الخبر قبل أن يأتيه من غيرك، قالت: فدخلت على جده عبد المطلب، فلما نظر إلىَّ قال: يا حليمة، مالى أراك جزعة باكية، ولا أرى معك محمدًا ؟ فقلت: يا أبا الحارث، جئت بمحمد أَسَرَّ ما كان، فلما صرت على الباب الأعظم من أبواب مكة، نزلت لأقضى حاجتى، فاختلس منى اختلاسًا قبل أن تمس قدمه الأرض، فقال لى: اقعدى ياحليمة، ثم علا الصفا فنادى: يا آل غالب، فاجتمعت إليه الرجال، فقالوا له: نعم، يا أبا الحارث، فقد أجبناك، فقال لهم: إن ابنى محمدًا فقد، فقالوا له: اركبْ يا أبا الحارث حتى نركب معك، قالت: فركب عبد المطلب، وركب الناس معه، فأخذ بأعلى مكة، فانحدر بأسفلها، فلم ير شيئًا، فلما لم ير شيئًا، ترك

الناس، فاتزر بثوب وارتدى بآخر، وأقبل إلى البيت الشريف فطاف به أسبوعًا، وأنشأ يقول: [من الرجز]

يَـارَبِّ رُدَّ رَاكِـبِـى مُـحَـمَّـدَا رُدَّ إِلَىَّ وَاتَّخِذْ عِنْدِى يَدَا[1]

أَنْتَ الَّذِى جَعَلْتَهُ لِى عَضُدَا [لاَ يُبْعد الدَّهْرُ بِهِ فَيَبْعدَا][2]

يَاَ ربِّ إِنْ مُحَمَّدٌ لَمْ يُوجَدَا فـجـمعُ قـومـي كـلّهـم تبـدَّدَا

قالت: فسمعنا مناديًا ينادى من جو الهواء: معاشر الناس، لا تضجوا؛ فإن لمحمد ربًّا لا يضيعه ولا يخذله، قال عبد المطلب: يأيها الهاتف، من لنا به وأين هو ؟ قال: بوادى تهامة، فأقبل عبد المطلب راكبًا متسلحًا، فلما صار فى بعض الطريق، تلقاه ورقه بن نوفل، فسارا جميعًا فبينما هما كذلك؛ إذ النبى ﷺ تحت شجرة، وفى رواية: بينما أبو مسعود الثقفى وعمرو بن نوفل يدوران على رواحلهما إذا هما برسول الله ﷺ قائمًا عند شجرة الطلحة، وهى الموز يتناول من ورقها، فأقبل عليه عمرو، وهو لا يعرفه، فقال له: من أنت ياغلام ؟ فقال: أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، فاحتمله بين يديه على الراحلة حتى عبد المطلب[3] .

روى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أنه قال: لما رد الله محمدًا ﷺ على عبد المطلب، تصدَّق بألف ناقة كوماء، وخمسين رطلاً من الذهب، ثم جهز حليمة بأفضل جهاز.

قال فى تاريخ الخميس: روى نافع بن جبير: أنه كان رسول الله ﷺ مع أمه آمنة بعد رد حليمة إياه لها، فلما توفيتْ، ضمه وكفله جده عبد المطلب، ورَقَّ عليه رقة لم يرقها على ولده، وكان يقربه منه ويدخل عليه إذا خلا وإذا نام، وكان يجلس على فراشه، وكان أولاده لا يجلسون عليه[4].

---

(١) في السبل:

... ... ازْدُدْهُ لي ثم اتخذ عندي يدا

(٢) المثبت من السبل.

(٣) ينظر سبل الهدى والرشاد (١/ ٣٨٦-٣٩٠).

(٤) أخرجه ابن سعد في « الطبقات الكبرى » (١/ ٩٤-٩٥) عن نافع بن جبير. وينظر سبل الهدى والرشاد (٢/ ١٢٩).

قال ابن إسحاق: حدثنى العباس بن عبد الله بن معبد[١]، عن بعض أهله قال: كان يوضع لعبد المطلب فراش فى ظل الكعبة، وكان لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالاً له، وكان رسول الله ﷺ يأتى حتى يجلس عليه، فيذهب أعمامه ليؤخروه عنه؛ فيقول عبد المطلب: دعوا ابنى، ويمسح على ظهره، ويقول: إن لابنى هذا شأنًا؛ كذا قاله ابن الأثير فى أسد الغابة[٢].

وقال قوم من بنى مدلج - وهم مشهورون بالقيافة -: يا عبد المطلب، احتفظ به؛ فإنا لم نر قدمًا أشبه بالقدم الذى فى مقام إبراهيم منه، فقال عبد المطلب لأبى طالب: اسمع ما يقول هؤلاء فى ابن أخيك، وقال عبد المطلب لأم أيمن وكانت تحضنه: لا تغفلى عن ابنى؛ فإن أهل الكتاب يزعمون أنه نبى هذه الأمة، وكان عبد المطلب لا يأكل طعامًا إلا قال: علىَّ بابنى، فيؤتى به إليه، فلما حضرت عبد المطلب الوفاة، أوصى به أبا طالب[٣].

وروى أن رسول الله ﷺ أصابه رمد شديدٌ، فعولج بمكة، فلم يُغْنِ عنه، فقيل لعبد المطلب: إن فى ناحية عكاظ كاهنًا يعالج الأعين، فركب إليه عبد المطلب فناداه، ودير الراهب مغلق عليه لا يجيبه، فتزلزل به ديره حتى خاف أن يسقط عليه، فخرج مبادرًا، فقال: يا عبد المطلب، إن هذا الغلام نبى هذه الأمة، ولو لم أخرج إليك، لخرَّ ديرى، فارجعْ به واحفظه لا يغتاله بعض أهل الكتاب، ثم عالجه.

وروى عن رقيقة بنت صيفى بن هاشم؛ أنها قالت: تتابعتْ على قريش سنون، حتى يبستِ الضروع، ودقت العظام، فبينما أنا راقدة إذ أنا بهاتف يصرخ بصوت صحل[٤] يقول: يا معشر قريش، إن هذا النبى المبعوث منكم، هذا إبان نجومه، أي: هذا وقت ظهوره، فحيهَلا بالحيا والخصب، ألا فانظروا منكم رجلاً طوالاً

(١) في ط: عن معبد. والمثبت من أسد الغابة والسيرة.

(٢) ينظر السيرة النبوية (١/ ١٩٤) وأسد الغابة (١/ ١٢٣). وسبل الهدى والرشاد (٢/ ١٢٩).

(٣) ينظر سبل الهدى والرشاد (٢/ ١٢٩) أما قصة الطعام فقد ذكرها الصالحي في السبل (٢/ ١٢٩-١٣٠) فقال: « وروى البلاذري عن الزهري ومحمد بن السائب أن عبد المطلب كان إذا أتي بالطعام أجلس رسول الله ﷺ إلى جنبه وربما أقعده على فخذه فيؤثره بأطيب طعامه وكان رقيقا عليه برًا به فربما أتى بالطعام وليس رسول الله ﷺ حاضرا فلا يمس شيئا منه حتى يؤتى به ».

(٤) صحل الرجل - بالكسر - وصحل صوته يصحل صحلا فهو أصحل وصحيل: بح. ويقال في صوته صحل؛ أي: بحوحة. ينظر: اللسان (صحل).

عظامًا أبيض بضًا أشمَّ العرنين سهل الخدين له فخر يكظم عليه [وسنة تهدي إليه][١]. ويروى: رجلًا وسيطًا عظامًا جسامًا أوطف الأهداب ألا فليخلص[٢] هو وولده، وليدلف إليه من كل بطن رجل، ألا فليشنُّوا الماء وليمسوا من الطيب وليطوفوا بالبيت سبعًا وفيهم المطيب الطاهر لذاته، ألا فليستسق الرجل وليؤمن القوم ألا فغثتم ما شئتم.

قالت: فأصبحت مذعورة قد وقف جلدى وذهل عقلى واقتصصت رؤياى [ونمت في شعاب مكة][٣] [فوالحرمة والحرم][٤] إن بقى [بها] أبطحى إلا قال: هذا شيبة الحمد عبد المطلب، والتأمت عنده قريش وانقض إليه رجل من كل بطن، فشنوا الماء، ومسوا الطيب، وطافوا بالبيت سبعًا، ورفع عبد المطلب ابنه محمدًا ﷺ على عاتقه، وهو يومئذٍ ابن سبع سنين، وارتقوا أبا قبيس، فدعا واستسقى[٥] وأمن القوم، قالت: فما وصلوا البيت حتى انفجرت السماء بمائها وامتلأ الوادى، قالت: وسمعت شيوخ العرب يقولون لعبد المطلب: هنيئًا لك يا أبا البطحاء، وفى ذلك يقول قائلهم[٦]: [من البسيط]

بِشَيْبَةِ الحمْدِ أَسْقَى اللهُ بَلْدَتَنَا ... لَمَّا فَقَدْنَا الحَيَا وَاجْلَوَّذَ المَطَرُ
فَجَادَ بِالْمَاءِ جونى[٧] لَهُ سَبَلٌ ... سَحًّا فَعَاشَتْ بِهِ الأَنْعَامُ وَالشَّجَرُ[٨]

---

(١) المثبت من أسد الغابة ودلائل البيهقي.
(٢) في ط: « فليخصه » والمثبت من الأسد والدلائل.
(٣) المثبت من « الأسد ».
(٤) في ط: « في الحرم والحرام » والمثبت من الأسد والدلائل للبيهقي.
(٥) قال عبد المطلب في دعائه: « اللهم سادَّ الخلة، وكاشف الكربة، أنت معلِّم غير معلَّم ومسئول غير مبخَّل وهذه عبداؤك وإماؤك بعذرات حرمك يشكون إليك سنتهم التي أذهبت الخف والظلف اللهم فأمطر غيثا مغدقا مريعا ». ينظر: أسد الغابة (٧/ ١١٣)، ودلائل النبوة للبيهقي (٢/ ١٨).
(٦) القائل هو رقيقة بنت صيفي بن هاشم بن عبد مناف؛ كما في دلائل النبوة وأسد الغابة. وترجمتها في الأسد (٧/ ١١٢-١١٤).
(٧) في ط: فجاء بالماء جوى. والمثبت من سبل الهدى والرشاد والطبقات الكبرى ودلائل النبوة للبيهقي وأسد الغابة. والجوني: السحاب الأسود . والسبل: المطر الهاطل. وفي الطبقات والدلائل: « سَبَل. . دانٍ » بدل قوله: « سبل. .سحًا » وما شرحه المصنف وعزاه لابن الأثير لم أجده في النهاية. وما أثبتناه فى أسد الغابة، له.
(٨) أخرجه البيهقي في « دلائل النبوة » (٢/ ١٥-١٧) وابن سعد في « الطبقات الكبرى » (١/ ٧٢-٧٣)، والبلاذري في « أنساب الأشراف » (١/ ٩٠-٩١) والطبراني في « الكبير » =

واجلوذ المطر: امتد وقت تأخره. والجوية: هى الحفيرة المستديرة الواسعة الوسط، وكل منفتق جوىّ؛ كذا فى نهاية ابن الأثير.

ولما بلغ رسول الله ﷺ من العمر ثمان سنين وشهرًا وعشرة أيام، مات جده عبد المطلب، وسئل رسول الله ﷺ: أتذكر موت عبد المطلب؟ قال: نعم، وأنا يومئذٍ ابن ثمان سنين، وقيل: كان ابن تسع سنين، وقيل: عشر، وقيل: ست، وقيل: ثلاث.

وقد تقدم ذكر عمر عبد المطلب، وأنه عاش مائة وعشرين، وفى المواهب: مائة وأربعين سنة، وقد عمى قبل موته، ودفن على ما ذكره ابن عساكر بالحَجُون؛ كذا فى شفاء الغرام للعلامة التقى الفاسى.

ولما توفى عبد المطلب، كفله عمه أبو طالب، فضمه إليه، وكان يحبه حبًا شديدًا لا يحب أولاده كذلك، ولا ينام إلا إلى جنبه، ويخرج معه متى يخرج.

قالت أم أيمن: رأيت رسول الله ﷺ يبكى خلف جنازة عبد المطلب. انتهى.

وقد كانت أم أيمن بركة دايته وحاضنته بعد موت أمه، فكان - عليه الصلاة والسلام - يقول لها: «أنت أمى بعد أمى»،فشب ﷺ مطهرًا من دنس الجاهلية مبرَّأً من العيب، وأعطى كل خلق جميل حتى لم يكن يعرف إلا بالأمين، فلما بلغ اثنتى عشرة وشهرين وعشرة أيام، خرج مع عمه أبى طالب إلى الشام، فرأى ببُصْرَى بَحِيرَا الراهبَ، فعرفه بصفته، فأخذ بيده فقال: هذا رسول رب العالمين، قيل: وما علمك بذلك؟ قال: لم يبق حين أقبل حجر ولا شجر إلا خرَّ ساجدًا، ولا يسجدان إلا لنبيٍّ، وإنا نجده فى كتبنا، وقال لأبى طالب: لئن قدمت به إلى الشام، لتقتلنه اليهود؛ فَرَدَّه خوفًا عليه.

ثم خرج رسول الله ﷺ مرة ثانية إلى الشام مع ميسرة غلام خديجة فى تجارة لها، وعمره خمس وعشرون إلا أربعة عشر يومًا بقين من ذى الحجة، فلما قدم الشام، باع تجارته بسوق بُصْرَى، ونزل تحت شجرة قريبًا من صومعة نسطور، فقال:

= (٢٤/ ٦٦١)، وفي الأحاديث الطوال (٢٦). وأخرجه أيضا ابن أبي الدنيا وينظر: سبل الهدى والرشاد (٢/ ١٣١) وأسد الغابة (٧/ ١١٢-١١٣) وورد بعد هذين البيتين في «الطبقات» و«السبل» و«الدلائل» و«الأسد» هذان البيتان:

مَنًّا سَيْلٌ من الله بالميمون طائره … وخير من بشرت يوما به مضر

مبارك الأمر يستسقي الغمام به … ما في الأنام له عِدل ولا خطرُ

ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبئ، وكان ميسرة يرى فى الهاجرة ملكين يظلانه من الشمس، فلما رجع، تزوج بخديجة بنت خويلد بن أسد بعد ذلك بشهرين وخمسة وعشرين يومًا، زوَّجها منه عمها عمرو بن أسد، أصدقها اثنتى عشرة أوقية ونَشًا.

ولما بلغ خمسة وثلاثين، خافت قريش أن تنهدم الكعبة من السيول، فأمروا بأقومَ النجار أن يبنيها، وشهد - عليه الصلاة والسلام - بنيانها، وهو الذى وضع الحجر الأسود بيده حين تنازع القبائل فيمن يضعه حتى كادوا يقتتلون، وقد تقدم ذكر ذلك مفصلاً فى المقصد الأول.

ولما بلغ أربعين سنة، اختصه الله تعالى وبعثه برسالته؛ ففى الصحيحين عن عائشة - رضى الله تعالى عنها -: أول ما بدئ به من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءَتْ مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء فيتحنَّث فيه، أى: يتعبد، حتى جاءه الحق وهو فى الجبل، يوم الاثنين سابع عشر رمضان، فقال له جبريل: أبشر يا محمد، إنك رسول هذه الأمة، وقال: ﴿ ٱقْرَأْ ﴾ [العلق: ١] فقال - عليه الصلاة والسلام -: « ما أنا بقارئ »، فغطه ثم أرسله، وتكرر ذلك، فقال: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ [العلق: ١] إلى: ﴿ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: ٥] وذكر أبو نعيم أن جبريل وميكائيل شَقَّا صدره وغسلاه، ثم قالا: اقرأ. انتهى

وأنبع له جبريل عين ماء، فتوضأ وصلى ركعتين، فجاء إلى خديجة وعلمها الوضوء وصلى بها كما فعل جبريل، فقال مقاتل: فكان فرض الصلاة ركعتين بالغداة، وركعتين بالعشى، حتى فرضتْ خمس صلوات ليلة الإسراء.

وكانت خديجة ذهبت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل شيخ كبير، ترك الأوثان، ورجع إلى النصرانية، يكتب بالعربية من الإنجيل المكتوب بالعبرانى، وصار يعرف ما فيه، فقالت له وقد عمى: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك ما يقول، فذكر له ما رآه، فقال له: أبشر، فإنك نبى مرسل، وهذا الناموس الذى أنزل على موسى، يا ليتنى كنتَ حَيًّا إذ يخرجك قومك، فقال: أو مخرجى هم ؟ قال: نعم، لم يأت أحد بمثل ما أتيت به إلا عودى، وإن يدركنى يومك أنصرك نصرًا مؤزَّرًا[1]، ثم لم يلبث ورقة أن توفى.

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٣٢-٣٣) كتاب بدء الوحي حديث (٣)، ومسلم (١/ ١٣٩-١٤٢) كتاب الإيمان باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ حديث (٢٥٢/ ١٦٠) من حديث عائشة.

فآمن بالنبىِّ حينئذٍ أبو بكر، ثم على، وقيل: على فأبو بكر، ثم زيد بن حارثة، ثم عثمان، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبى وقاص، وطلحة بن عبيد الله، وغيرهم أرسالاً.

وأمره الله تعالى أن يصدع بما أمر به، فعاداه قومه وآذوه ومن آمن به وتبعه، فأذن لهم فى الهجرة إلى الحبشة فى رجب سنة خمس من النبوَّة، فهاجر اثنا عشر رجلاً وأربع نسوة، أولهم عثمان وزوجته رُقيَّة ابنته - عليه الصلاة والسلام - وأبو حذيفة وزوجته سُهَيْلة، وأبو سلمة، والزُّبَيْر، ومصعب، وعبد الرحمن بن عوف، وعثمان ابن مظعون، وعامر بن ربيعة بن كُرَيْز العبشمى وزوجته ليلى، وأبو سبرة بن أبى رهم: وحاطب بن عمرو، وسهيل بن وهب، وعبد الله بن مسعود الهذلى.

قيل: وأميرهم عثمان بن مظعون، وأنكره الزهرى، وقال: لم يكن لهم أمير، وخرجوا مشاة إلى البحر، فاستأجروا سفينة بنصْفِ دينار، وكان أول من خرج إلى الهجرة عثمان بن عفان - رضى الله عنه - وزوجته رقية.

وأخرج يعقوب بن سفيان بسندٍ موصول إلى أنس قال: أبطأ على رسول الله ﷺ خبرهما، فقالت امرأة: قد رأيتهما وقد حمل عثمانُ امرأته على حمار، فقال: « إن عثمان أول من هاجر بأهله بعد لوط »[1]. فوفدوا على ملكها النجاشى، واسمه أَصْحَمَةُ بن مجرى، فأكرمهم، فلما رأت قريش استقرارهم فى الحبشة وأمنهم، أرسلوا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة بهدايا وتُحَفٍ من بلادهم إلى النجاشى، وكان معهم عمارة بن الوليد ليردَّهُمْ إلى قومهم، فأبى ذلك وردَّهُمَا خائبَيْنِ.

قال فى تاريخ الخميس: قال محمد بن إسحاق: كان من لحق من المسلمين بأرض الحبشة ثلاثة وثلاثين رجلاً، ومن النساء إحدى عشرة امرأة قرشية وتسع عربيات، فلما سمعوا بمهاجر النبى ﷺ إلى المدينة، رجع منهم ثلاثة وثلاثون رجلاً وثمان نسوة، فمات منهم رجلان بمكة، وحبس سبعة، وشهد بدرًا منهم أربعة وعشرون.

وفى ذخائر العقبى للمُحِبِّ الطبرى: إن أم سلمة زوج النبى ﷺ قالت: لما فتن

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في « السنة » (٢/٥٩٦) من حديث أنس بن مالك. وأخرجه أيضًا الفسوي في « المعرفة والتاريخ » (٣/ ٢٥٥)، وينظر تاريخ الإسلام (٢/ ١٨٣).

أصحاب النبى ﷺ بمكّة، أشار عليهم أن يلحقوا بأرض الحبشة، وقال: إن بها ملكًا لا تظلم الناس ببلاده، فاخرجوا إليه، فخرجوا أرسالاً.

قالت: فلما نزلنا أرض الحبشة، جاورنا بها خير جار من النجاشى، فأمنا على ديننا، وعبدنا ربنا لا نؤذى، فلما بلغ قريشًا ذلك، بعثوا إلى النجاشى رجلَيْن جَلْدَيْنِ من قريش بهدايا إلى النجاشى مستطرفة من متاع مكة من الأدم وغيره، كان الأدم يعجب النجاشى أن يهدى إليه، فجمعوا له هدية عظيمة فيها أدم كثير، ولم يتركوا بطْرِيقًا من بطارقته إلا أهدوا إليه هدية، ثم بعثوا الرجلين عمرو بن العاص وعبد الله ابن أبى ربيعة المخزومى، وقالوا لهما: ادفعوا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلِّما النجاشى، ثم قدما إلى النجاشى هديته واسألاه أن يسلِّمهم إليكما. فلما قدما، دفعا هدية البطارقة إليهم، ثم دفعا هدية النجاشى إليه، وقالا: إِنَّهُ قد صبأ إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا فى دين الملك، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لنردهم إليهم، فقال بطارقته: صدقوا أيها الملك، فارددهم إليهم، فغضب النجاشى، ثم قال: لا والله لا أردُّ إليكما قومًا جاورونى، فنزلوا ببلادى، وجاءوا إلىّ، واختارونى على من سواى حتى أدعوهم، فأسألهم ما يقول هذان فى أمرهم، فإن كانوا كما يقولان، سلمتهم إليهما، وإن كانوا غير ذلك، منعتهم منهما، وأحسنتُ جوارهم ما جاورونى، فأرسل إليهم فدعاهم، فلما أن جاءهم رسوله، اجتمعوا، ثم قال بعضهم لبعض: ما تقولون للرجل إذا جئتموه ؟ قال: نقول: والله ما علمنا، وما أمرنا به نبينا ﷺ. وأرسل النجاشى، فجمع بطارقته وأساقفته، فنشروا مصاحفهم حوله، فلما دخلوا عليه، قال لهم: إن هؤلاء يزعمون أنكم فارقتم دينهم، فأخبرونى ماهذا الدين الذى فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا فى دينى ولا في دين آخر ؟ فتكلَّم جعفر بن أبى طالب فقال له: أيها الملك، كنا أهل جاهلية لا نعرفُ الله ولا رسوله، نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتى الفواحش ونقطع الأرحام ونسىء الجوار، يأكل القوىُّ منا الضعيفَ، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله عز وجل لنوحِّده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة، وأمرنا بالمعروف ونهانا عن المنكر، وأمرنا

بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام والصدقة، وكُل ما يعرف من الأخلاق الحسنة، ونهانا عن الزنى والفواحش وقول الزور وقذف المحصنات وكل ما يعرف من السيئات، وتلا فِينَا تنزيلاً لا يشبهه شيء، فصدَّقناه وآمنا به وعرفنا أنَّ ما جاء به هو الحق من عند الله، فعبدنا الله وحده لا شريك له، وحرمنا ما حرم علينا، وفعلنا ما أحلَّ لنا، ففارقنا عند ذلك قومنا فآذونا وفتنونا عن ديننا ليردُّونا إلى عبادة الأوثان وأن نستحلَّ ما كنا نستحلُّ من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وحالوا بيننا وبين ديننا وبلغوا منا ما نكره ولم نقدرْ على الامتناع، أمرنا نبينا ﷺ أن نخرج إلى بلادك اختيارًا لك على من سواك، ورغبنا فى جوارك، ورجونا ألاَّ نظلم عندك أيها الملك، فقال له النجاشى: هل معكم مما جاءكم به عن الله عز وجل ؟ فقال له جعفر: نعم، قال: فاقرأه على، فقرأ عليه جعفر صدرًا من « كهيعص »؛ فبكى والله النجاشى حتى اخضلَّتْ لحيته، وبكت أساقفتهم حتى اخضلَّتْ لحاهم ومصاحفهم، ثم قال النجاشى: والله، إنَّ هذا الكلام والكلام الذى جاء به موسَى ليخرجان من مشكاة واحدة، ثم قال النجاشى لعمرو بن العاص ورفيقه: أعبيد لكم هم ؟ قالا: لا، قال: فلكم عليهم دَيْنٌ ؟ قالا: لا، قال: فخلوا سبيلهم، قالت أم سلمة: فلما خرجنا، قال عمرو بن العاص: لآتينه غَدًا فأتهمهم بما أستأصِلُ به خضراهم، فقال له عبد الله ابن أبى ربيعة، وهو أتقى الرجلين: فإن لهم رحمًا، وفى رواية: فإن للقوم رحمًا، وإن كانوا قد خالفوا، فما نحبُّ أن نبلغ ذلك منهم، فقال عمرو: والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عَبْدٌ، فلما كان الغد، غدا إليه عمرو، فدخل فقال: أيها الملك، إنهم يخالفونك ويقولون فى عيسى بن مريم قولاً عظيمًا، إنهم يقولون: إنه عبد، فأرسل إليهم فاسألهم، قال النجاشى: إن لم يقولوا فى عيسى مثل قولى، أخرجتهم من أرضى، فأرسل النجاشى إلى القوم، قالت أم سلمة: فكانت الدعوة الثانية أشدَّ علينا من الأولى، فاجتمعوا، فقال بعضهم لبعض: قد عرفتم أن عيسى إلهه الذى يعبده، وقد عرفتم أن نبيكم ﷺ جاءكم بأنه عبد، وأنَّ ما يقولون هو الباطل، فماذا تقولون ؟ قال جعفر: نقول والله فيه ما قال عز وجل وما جاء به نبينا ﷺ كائن فى ذلك ما هو كائن، فلما دخلوا عليه، قال لهم: ماذا تقولون فى عيسى ابن مريم ؟ فقال جعفر: نقول فيه ما جاء به نبينا ﷺ؛ أنه عبد الله ورسوله وكلمتُهُ

ألقاها إلى مريم العذراء البتول، فضرب النجاشى بيده إلى الأرض، فأخذ منها عودًا فقال: ما عدا عيسى بن مريم ما تقولون مثل هذا العود، فنخرت أساقفته نخرة، أى: تكلمت بلغتهم، فقال لهم النجاشى: وإن نخرتم، ثم قال للمسلمين: اذهبوا فأنتمْ سيوم بأرضى - والسيوم: الآمنون - ما أحب أن آذى منكم رجلاً وإن لى دبرًا من ذهب، والدبر بلسانهم: الجبل، ثم قال: ردوا عليهما هداياهما؛ فلا حاجة لى بها، فو الله، ما أخذ الله منى رشوة حين رد علىَّ ملكى، وما أطاع فى الناس فأطيعهم فيه، فردوا عليهما هداياهما، فعادا خائبين، ثم قال: مرحبًا بكم وبمن جئتم من عنده، وأنا أشهد أنه رسول الله، وأنه الذى بَشَّرَ به عيسى، ولولا ما أنا فيه من الملك، لأتيته حتى أُقَبِّلَ نعله، ثم دعا النجاشى فلانًا القسَّ، وفلانًا الراهب، فأتاه أناس منهم فقال: ما تقولون فى عيسى بن مريم ؟ قالوا: أنت أعلم بما نقول، فقال النجاشى: وأخذ العود، فقال ما تقدم. . . ثم قال للمسلمين: أيؤذيكم أحدٌ ؟ قالوا: نعم، فأمر مناديًا ينادى: من آذى واحدًا منهم فأغرموه أربعة دراهم، ثم قال: أيكفيكم هذا ؟ قالوا لا، قال: فأضعفوها.

فلما هاجر رسول الله ﷺ، وخرج إلى المدينة، وظهر بها، أتاه المسلمون فقالوا: أيها الملك، إن نبينا قد خرج إلى المدينة، فظهر بها وقُتِلَ الذين كنا حدَّثناك عنهم، وقد أردنا الرحيل، فزودنا، فزودهم وحملهم، ثم قال: يا جعفر، أخبر صاحبك بما صنعتُ إليكم، وهذا صاحبى معكم، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأنه محمد رسول الله، وقل له يستغفر لى[1].

قال السهيلى: روى أن وقعة بدر حين انتهَى خبرها إلى النجاشى - رحمه الله تعالى - علم بها قبل من عنده من المسلمين، فأرسل إليهم، فلما دخلوا عليه إذ هو قد لبس مسحًا وقعد على التراب والرماد، فقالوا: ما هذا أيها الملك ؟ فقال: إنا نجد فى الإنجيل أن الله سبحانه إذا أحدث بعبده نعمة، وجب على العبد أن يحدث لله تواضعًا، وإن الله قد أحدث إلينا وإليكم نعمة عظيمة، وهو أن محمدًا ﷺ بلغنى أنه التقى هو وأعداؤُهُ بوادٍ يقال له: بَدْرٌ كثيرُ الأراكِ، كنت أرعَى فيه الغنم على سيدى، وهو

(١) ينظر الهجرة الأولي للحبشة في المصادر التالية: السيرة النبوية (١/ ٣٤٩-٣٦٦) تاريخ الطبري (٢/ ٣٣١)، الطبقات الكبرى (١/ ١٥٩-١٦٢) دلائل النبوة (٢/ ٢٨٥-٣٠٧) تاريخ الإسلام (٢/ ١٨٣-١٩٦)، سبل الهدى والرشاد (٢/ ٣٦٣-٣٦٩) البداية والنهاية (٣/ ٨٤-١٠٥).

من بني ضمرة، وأن الله قد هزم أعداءه فيه ونصر دينه. انتهى

وقد دل هذا الخبر على طول مكثه فى بلاد العرب، فمن هنا - والله أعلم - تكلم بلسان العرب، وتعلم ما فهم به سورة مريم حين قرأها عليه جعفر بن أبى طالب حتى بكى واخضلَّتْ لحيته بالدمع؛ كما تقدم.

وروى أنه قال: إنا نجد فى الإنجيل: أن اللعنة تقع فى الأرض إذا كانت إمارة الصبيان. وكانت وفاة النجاشى فى رجب سنة تسع من الهجرة، ونعاه رسول الله ﷺ فى اليوم الذى مات فيه، وصلى عليه بالبقيع، رُفع إليه سريره بأرض الحبشة حتى رآه، وهو بالمدينة، فصلى عليه، وتكلم المنافقون فقالوا: صلى على هذا العِلْج، فأنزل الله: ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ... ﴾ الآية [آل عمران: ١٩٩] .

وفى رواية يونس، عن ابن إسحاق؛ أن أبا نيزر مولى على بن أبى طالب - رضى الله عنه -: كان ابنًا للنجاشى نفسه، وأن عليًا - رضى الله عنه - وجده عند تاجر بمكة فاشتراه منه، وأعتقه مكافأة لما صنع أبوه مع المسلمين.

وذكر أن الحبشة عَرَّجَ إليه أمرها بعد موت النجاشى، وأنهم أرسلوا وفدًا منهم إلى نيزر، وهو مع على ليملِّكوه ويتوَّجوه، فأبى، وقال: ما كنت لأطلب الملك بعد أن منَّ على بالإسلام، قال: وكان نيزر من أطول الناس قامة وأحسنهم وجهًا، ولم يكن لونه كألوان الحبشة، ولكن إذا رأيته قلت: رجل من العرب.

قال جعفر: فخرجنا حتى أتينا المدينة، فتلقانى رسول الله ﷺ فاعتنقنى، ثم قال: أنا أسر بفتح خيبر، أم بقدوم جعفر ؟ ووافق ذلك فتح خيبر، فقام رسول النجاشى، فقال: هذا جعفر، فاسأله ما صنع به صاحبنا ؟ فقال جعفر: فعل كذا وكذا، وزودنا وحملنا وشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، وقال: قل له يستغفر لى، فقام رسول الله ﷺ فتوضأ ثم دعا ثلاثَ مراتٍ: اللهم اغفر للنجاشى، فقال المسلمون: آمين، قال جعفر: فقلت لرسول النجاشى: فأخبر صاحبك بما رأيت من النبى ﷺ.

ومعنى قول النجاشى: « ما أخذ الله منى رشوةً حين رد على ملكى ... إلى آخره » أنه لم يكن لأبيه غيره، وكان أبوه ملك قومه، وكان للنجاشى عم، له من صلبه اثنا عشر رجلًا، وكانوا أهل بيت مملكة الحبشة، فقالت الحبشة فيما بينها: لو

قتلنا أبا النجاشى، ثم ملكنا أخاه، فتوارث ملكه بنوه؛ فإنهم اثنا عشر رجلاً يمكث فيهم الملك زمانًا، فعدوا على أبى النجاشى، فقتلوه، ثم ملكوا أخاه، ونشأ مع عمه وكان لبيبًا حاذقًا، فغلب على أمر عمه، ونزل منه كل منزل، فلما رأت الحبشة مكانه منه، قالت الحبشة: والله لقد غلب هذا الفتى على أمر عمه، وإنا لنتخوف أن يملكه علينا فيقتلنا أجمعين، لقد عرف أنا قتلنا أباه، فمشوا إلى عمه، فقالوا: إنا قتلنا أبا هذا الغلام، وقد عرف أنا قتلناه، وملكناك علينا، فإنا نتخوف على أنفسنا منه، فاقتله أو أخرجه من بلادك، فقال: ويحكم قتلتم أباه بالأمسِ وأقتله اليوم ؟ اذهبوا فأخرجوه من بلادكم فبيعوه فى هذا السوق، فأخرجوه إلى السوق وأقاموا فيه، فجاء تاجر، فاشتراه بستمائة درهم، فأخذه فى سفينة، فانطلق به حتى إذا كان العشىُ من ذلك اليوم، هاجت سحابة من سحائب الحريق فخرج عمه يستمطرُ، فأصابته صاعقة فأحرقته، فرجعوا إلى بنيه، فإذا هم ليس فيهم خير، فقالت الحبشة بعضهم لبعض: هلك والله ملككم، تعلمون أن ملككم الذى بعتموه، فإن كان لكم فى ملككم حاجة، فأدركوه، فخرجوا فى طلبه، فأدركوا التاجر وأخذوه منه، ثم جاءوا به فعقدوا عليه التاج وأقعدوه على سرير الملك، فملّكوه، فجاءهم التاجر فقال: أعطونى دراهمى كما أخذتم غلامى، قالوا: لا والله لا نفعلُ، قال: والله لأشكونكم إلى الملك، فجاء إلى مجلس الملك، فقال: أيها الملك، إنى ابتعتُ غلامًا، ثم أتانى باعته، فانتزعوه منى، فسألتهم مالى، فأبوا أن يعطونى، فنظر النجاشى إليه، فقال: والله لتعطنه ماله، أو ليضعنَّ يده فى يد عبده، فيذهب به حيث يشاء، فقالوا: بلى نعطيه ماله، فكان هذا من النجاشى أول ما اختبر من صلابته فى دينه وعدله فى ملكه. انتهى.

والكلام يجرُّ بعضه بعضا، فالمسئول من الناظر التسامح والإغضاء:

وكان عمرو بن العاص سافر بامرأته، فلما ركبوا البحر، كان عمارة قد هوى امرأة عمرو وهويته؛ لأنه كان جميلاً وسيمًا عزيزًا فى قريش.

قلت: وهو الذى قالتْ قريش عنه لأبى طالب: خذ عمارة بن الوليد وتبناه بدلاً عن محمد ﷺ وادفعْ إلينا محمدًا نقتله، فقال لهم أبو طالب: تعطونى ولدكم أغذوه لكم، وأدفع لكم ابنى تقتلونه ! بئسما سفهتْ به أحلامكم. وهو أيضًا أحد الرجلين

اللذين حكى الله تعالى عنهما قولَ قريش: ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ [الزخرف: ٣١] أرادوا بالقريتين: مكة، والطائف، وبعظيم مكة هذا: عمارة بن الوليد بن المغيرة، وبعظيم الطائف: عروة بن مسعود الثقفى. انتهى

فلما هويها وهويته عزما على دفع عمرو فى البحر، فدفعا عمرًا فسقط فى البحر، فسبح عمرو ونادَى أصحاب السفينة فأخذوه، فرفعوه إلى السفينة، فأضمرها عمرو فى نفسه، ولم يبدها لعمارة، بل قال لامرأته: قتلنى ابن عمك عمارة لتطيبَ بذلك نفسه، فلما انتهيا إلى أرض الحبشة مكر عمرو بعمارة، فقال له: إنى كتبت إلى قومى بنى سهم ليبرءوا من دمى لك، فاكتب أنت لبنى مخزوم قومك ليبرءوا من دمك لى؛ حتى تعلم قريش أنا قد تصافينا، فكتب عمارة لبنى مخزوم وتبرءوا من دمه لبنى سهم، فقال شيخ من قريش: قتل والله عمارة، وعلم أنه مكر به عمرو، ثم أخذ عمرو يحرِّض عمارة على التعرض لامرأة النجاشى، وقال له: أنت امرؤ جميل، وهنَّ النساءُ يحببْنَ الجمال من الرجال، فلعلها أن تشفع لنا عند الملك فى قضاء حاجتنا، ففعل عمارة، فلما رأى عمرو ذلك، وتكرر عمارة على امرأة الملك، ورأى إنابتها إليه، أتى الملك مستنصحًا، وجاءه بأمارةٍ عرفها الملك من امرأته، كان عمارة أطلع عمرًا عليها، وهى قليل بياض فوق ركبها اسم الفرج، فلما أخبره بذلك، أدركته غيرة الملوك، وقال: لولا أنه جارى لقتلته، ولكن سأفعلُ به ما هو شرٌّ من القتل. ثم دعا بالسواحر فأمرهنَّ أن يسحرنه، فنفخْنَ فى إحليله نفخة طارَ منها هائمًا على وجهه حتى لحق بالوحوش فى الجبال، فكان يُرى آدميا فتوحش، فكان ذلك آخر العهد به إلى زمن عمر - رضى الله عنه - فجاء ابن عمه عبد الله بن ربيعة إلى عمر، واستأذنه أن يذهب إليه لعله يجده فأذن له عمر فى ذلك، فسار عبد الله بن ربيعة إلى أرض الحبشة، ولم يزلْ فى الفحص عن أمره حتى أخبر أنه فى جبل يرد مع الوحوش إذا وردَتْ ويصدر معها إذا صدرَتْ، فسار إليه حتى كمن له فى طريقه إلى الماء، فإذا هو قد غطاه شعره، وطالت أظفاره حتى كأنه شيطان، فقبض عليه عبد الله، وجعل يذكره بالرحم ويستعطفه، وهو ينتفض منه ويقول: أرسلنى يا بجير، أرسلنى يا بجير، وكان اسم عبد الله بن ربيعة المذكور بجيرًا، فسماه النبى ﷺ: عبد الله، فأبى عبد الله أن يرسله حتى مات عمارة بين يديه، وهذا خبر مشهور

اختصره بعض من ألف السير كما ذكرنا، وطوّله أبو الفرج الأصبهانى، وهذا حاصله. انتهى[(١)]

ثم بلغهم بأرض الحبشة: أن أهل مكة قد سجدوا مع النبى ﷺ وأسلموا، وذلك حين صلى النبى ﷺ، فقرأ سورة «النجم» حتى بلغ: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾ [النجم: ١٩، ٢٠] ، ألقى الشيطان فى أمنيته، أى: فى تلاوته هاتين الجملتين: تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى. فلما ختم السورة سجد وسجد معه المشركون؛ لتوهمهم أنه ذكر آلهتهم بخير، فمشى ذلك فى الناس، وأظهره الشيطان حتى بلغ أرض الحبشة ومَنْ بها من المسلمين، وتحدَّثوا أن أهل مكة قد أسلموا كلُّهم وصلَّوْا معه ﷺ، وقد أمن المسلمون بمكة، فأقبلوا سراعًا من الحبشة. والغرانيق: جمع غرنوق، وغرنيق، وهى فى الأصل: الذكور من طيور الماء، سميت بذلك؛ لبياضها. وقيل: هو الكركى. والغرنوق - أيضًا - هو الشاب الأبيض الناعم، وكانوا يزعمون أن الأصنام تقربهم من الله وتشفع لهم، فشبهتْ بالطيور التى تعلُو فى السماء وترتفع.

قلتُ: وهذه القصة قد وهن أصلها وادعى وضعها جماعات من العلماء؛ منهم القاضى عياض، والفخر الرازى، والبيهقى، وقال البيهقى: رواة هذه القصة مطعونون، وأيضًا: فقد روى البخارى فى صحيحه قراءة سورة النجم وسجود المسلمين معه ﷺ والمشركين والإنس والجن وليس فيه حديث الغرانيق، ثم قال: وقيل: إنها من وضع الزنادقة ولا أصل لها. انتهى

وصححها جماعة؛ منهم ابن أبى حاتم، والطبرانى، وابن المنذر وأخرجها من طرق، وكذا ابن مردويه، والبزار، وابن إسحاق فى السيرة، وموسى بن عقبة فى المغازى، وأبو معشر فى السيرة؛ كما نبه عليه الحافظ عماد الدين بن كثير وغيره، لكن قال: إن طرقها كلها مرسلة، وإنه لم يرها مسندة من وجه صحيح[(٢)].

---

(١) ذكره الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٣/ ٨٩-٩٠) بنحوه وعزاه إلى أبي نعيم في الدلائل.

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢/ ٥٣) رقم (١٢٤٥٠) والبزار في مسنده كما في تخريج الكشاف (٢/ ٣٩١)، وابن مردويه كلهم من طريق يوسف بن حماد ثنا أمية بن خالد ثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . . . فذكر القصة. وقال البزار: هذا حديث لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ بإسناد متصل يجوز ذكره إلا بهذا الإسناد ولا نعلم أحدًا =

. . . .

= أسند هذا الحديث عن شعبة عن أبي بشر عن سعيد عن ابن عباس إلا أمية ولم نسمعه نحن إلا من يوسف بن حماد وكان ثقة، وغير أمية يحدث به عن أبي بشر عن سعيد بن جبير مرسلاً، وإنما يعرف هذا الحديث عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وأمية ثقة مشهور اهـ. وقد مشى الهيثمي على ظاهر السند فقال في « المجمع » (٧/ ١١٨): رواه البزار والطبراني ورجالهما رجال الصحيحين. وهذا الطريق فيه اضطراب فقد رواه بعضهم عن أبي بشر عن سعيد مرسلاً، وقد أشار إلى ذلك البزار رحمه الله. وهذا الطريق أخرجه الطبري في تفسيره (٩/ ١٧٦) رقم (٢٥٣٣١) من طريق محمد بن جعفر ثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير مرسلاً وقد رويت هذه القصة عن محمد بن كعب القرظي وعن قتادة وعن أبي العالية مرسلة: أما مرسل محمد بن كعب فأخرجه الطبري (٩/ ١٧٥-١٧٦) رقم (٢٥٣٢٨) وذكر السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٦٦٢) وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور. ومرسل قتادة أخرجه الطبري وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٦٦٣) وعزاه لابن أبي حاتم أما مرسل أبي العالية فأخرجه الطبري (٩/ ١٧٦) رقم (٢٥٣٣٠) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٦٦٣) وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وللحديث طريق موصول عن ابن عباس أخرجه الطبري في تفسيره (٩/ ١٧٦) رقم (٢٥٣٣٣) حدثني محمد بن سعد قال: ثنى أبي قال: ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس به قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٣٩٢): ولكن فيه عدة مجاهيل عينا وحالا اهـ وقال العلامة أبو شهبة: وقد طعن فيها كثير من المحققين والمحدثين، قال البيهقي وهو من كبار رجال السنة: هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل. وقال القاضي عياض في: « الشفاء » إن هذا حديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة، ولا رواه ثقة بسند سليم متصل، وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون، والمولعون بكل غريب، المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم، ومن حكيت عنه هذه المقالة من المفسرين والتابعين، لم يسندها أحد منهم ولا رفعها إلى صاحب، وأكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية، والمرفوع منها حديث شعبة عن أبي البشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فيما أحسب (الشك في وصل الحديث): أن النبي كان بمكة. . . وذكر القصة. قال أبو بكر البزار: هذا الحديث لا نعرفه يروى عن النبي بإسناد متصل، إلا هذا، ولم يسنده عن شعبة إلا أمية بن خالد، وغيره يرسله عن سعيد بن جبير، وإنما يعرف عن الكلبي عن أبي خالد عن ابن عباس اهـ. فقد بين أبو بكر أنه لا يعرف عن طريق يجوز ذكره سوى هذا، وفيه من الضعف ما نبه عليه، مع وقوع الشك فيه، الذي لا يوثق به ولا حقيقة معه، وأما حديث الكلبي: فمما لا يجوز الرواية منه، ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه وكذا أنكر القصة القاضي أبو بكر بن العربي وطعن فيها من جهة النقل، وسئل محمد بن إسحاق بن خزيمة، عن هذه القصة، فقال: هذا من وضع الزنادقة. وصنف في ذلك كتاباً، وذهب إلى وضعها الإمام أبو منصور الماتريدي، في كتاب «حصص الأتقياء» حيث قال: الصواب أن قوله: « تلك الغرانيق العلا » من جملة إيحاءِ الشياطين إلى أوليائه من الزنادقة، حتى يلقوا بين الضعفاء وأرقاءِ الدين، ليرتابوا في صحة الدين، والرسالة بريئة من مثل هذه الرواية. فها نحن نرى أن من أنكرها وقضى بوضعها أكثر ممن صححها اعتمادًا على روايات مرسلة. ومما يقلل الثقة بالحديث: اضطراب الروايات اضطرابًا فاحشًا. =

....

= فقائل يقول: إنه كان في الصلاة، وقائل يقول: قالها في نادي قومه، وثالث يقول: قالها وقد أصابته سِنَة، ورابع يقول: بل حدث نفسه فيها، ومن قائل: إن الشيطان قالها على لسانه، وإن النبي لما عرضها على جبريل قال: ما هكذا أقرأتك؟ وآخر يقول: بل أعلمهم الشيطان: أن النبي قرأها كما رويت: « تلك الغرانيق العلا » على أنحاء مختلفة، وكل هذا الاضطراب مما يوهن الرواية، ويقلل الثقة بها. والحق أبلج والباطل لجلج. وقد حكمت الصنعة والقواعد الاصطلاحية على الحافظ ابن حجر، فصحح القصة، وجعل لها أصلاً، قال في « الفتح » في تفسير سورة الحج، بعد ما ساق الطرق الكثيرة: وكلها سوى طريق سعيد بن جبير إما ضعيف وإما منقطع لكن كثرة الطرق تدل على أن لها أصلاً، مع أن لها طريقين مرسلين آخرين، رجالهما على شرط الصحيح: أحدها: ما أخرجه الطبري من طريق يونس بن يزيد، عن ابن شهاب، حدثني أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فذكر نحوه. والثاني: ما أخرجه أيضًا من طريق المعتمد بن سليمان، وحماد بن سلمة، فرقهما عن داود بن أبي هند، عن أبي العالية. وبعد أن ذكر كلام القاضي أبي بكر بن العربي، وعياض قال: وجميع ذلك لا يتمشى مع القواعد، فإن الطرق إذا كثرت وتبينت مخارجها دل ذلك على أن لها أصلاً. وقد ذكرت أن ثلاثة أسانيد منها على شرط الصحيح، وهي مراسيل، يحتج بمثلها من يحتج بالمرسل، وكذا من لا يحتج لاعتضاد بعضها ببعض، وإذا تقرر ذلك تعين تأويل ما فيها مما يستنكر وهو قوله: « ألقى الشيطان على لسانه: تلك الغرانيق العلا » فإنه لا يجوز حمله على ظاهره، لأنه يستحيل عليه ﷺ أن يزيد في القرآن عمدًا ما ليس منه، وكذا سهوًا إن كان مغايرًا، لما جاءَ به من التوحيد، لمكان عصمته، وقد سلك العلماءُ في ذلك مسالك. وبعد أن ذكر الكثير منها، ولم يرتضه، ارتضى لتصحيح القصة هذا التأويل، وهو أن النبي ﷺ كان يرتل القرآن ترتيلاً، فارتصده الشيطان في سكتة من السكتات ونطق بتلك الكلمة محاكيًا نغمته، بحيث سمعها من دنا، فظنه من قوله، وأشاعها بين الناس، قال: وهو الذي ارتضاه القاضي عياض وأبو بكر بن العربي اهـ. والقاضيان عياض وأبو بكر رأيهما البطلان نقلاً وعقلاً ولكنهما ارتضيا ذلك تنزلاً على تسليم الصحة.

والذي أجيب به على ما ذكره الحافظ:

١- أن جمهور المحدثين لم يحتجوا بالمرسل، وجعلوه من قسم الضعيف؛ لاحتمال أن يكون المحذوف غير صحابي، وحينئذ: يحتمل أن يكون ثقة أو غير ثقة. وعلى الثاني: فلا يؤمن أن يكون كذابًا، والإمام مسلم قال في مقدمة كتابه: والمرسل في أصل قولنا وقول أهل العلم بالإخبار ليس بحجة. وقال ابن الصلاح في مقدمته: « وذكرنا من سقوط الاحتجاج بالمرسل والحكم بضعفه: هو الذي استقر عليه آراء جماهير حفاظ الحديث، وتداولوه في تصانيفهم » والاحتجاج به مذهب مالك، وأبي حنيفة والشافعي، بشروط ذكرها في رسالته. ونقلها العراقي في شرح ألفيته، وقد قالوا في مراسيل أبي العالية: إنها كالريح، كما في « التدريب »، وإني لأذكر الحافظ بما ذكره من البلاء في الاحتجاج بالمراسيل في مقدمة كتابه لسان الميزان.

٢- الاحتجاج بالمرسل إنما هو في الفرعيات التي يكفي فيها الظن، أما الاحتجاج به على إثبات شيءٍ يصادم العقيدة وينافي دليل العصمة فغير مسلم. وقد قال علماءُ التوحيد: إن خبر الواحد =

وإذا تقرر ذلك، تعين تأويلُ ما وقع فيها مما يستنكر، وهو قوله: « تلك الغرانيق... إلى آخره » فإن ذلك لا يجوز حمله على ظاهره؛ لأنه يستحيل عليه - عليه الصلاة والسلام - أن يزيد فى القرآن عمدًا ما ليس منه، وكذا سهوًا إذا كان مغايرًا لما جاء به من التوحيد؛ لمكان عصمته؛ وقد سلك العلماء فى ذلك مسالك:

فقيل: جرى ذلك على لسانه حين أصابته سنة وهو لا يشعر، فلما علم بذلك، أحكم الله آياته؛ وهذا أخرجه الطبرى، عن قتادة، ورده عياض بأنه لا يصحُّ؛ لكونه لا يجوز على النبى ﷺ ذلك، ولا ولاية للشيطان عليه: لا فى اليقظة ولا فى النوم.

وقيل: إن الشيطان ألجأه إلى قول ذلك، فقال بغير اختياره؛ ورده ابن العربى بقوله تعالى؛ حكاية عن الشيطان: ﴿ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ ﴾ [إبراهيم: ٢٢] قال: فلو كان للشيطان قوة على ذلك، لما بقى لأحد قوة على طاعة.

وقيل: لعله قال ذلك توبيخًا للكفار؛ قال عياض: وهذا جائز إذا كان هناك قرينة تدلُّ على المراد، ولا سيما وقد كان الكلام فى ذلك الوقت جائزًا فى الصلاة؛ وإلى هذا نحا الباقلانى.

وقيل: إنه لما وصل إلى قوله: ﴿ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾ [النجم: ٢٠] خشى المشركون أن يأتي بعدها شيء بذم آلهتهم، فبادروا إلى ذلك الكلام، فخلطوا فى تلاوته عليه الصلاة والسلام - على عادتهم فى قولهم: ﴿ لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا فِيهِ ﴾ [فصلت: ٢٦] ونسب ذلك إلى الشيطان؛ لكونه الحامل لهم على ذلك، والمراد: شيطان الإنسان.

= لو كان صحيحًا لا يؤخذ به في العقائد، لأنه لا يكتفى فيها إلا باليقين، فما بالك بالضعيف.
٣- هذا التأويل الذي ارتضاه ما أضعفه عند النظر والتأمل، فهو يوقع متأوله فيما فر منه، وهو تسلط الشيطان على النبي، فالتسلط عليه بالمحاكاة، كالتسلط عليه بالإجراءِ على لسانه، كلاهما لا يجوز، وفتح هذا الباب خطر على الرسالات، وإذا سلمنا أن الشيطان هو الذي نطق في أثناءِ سكوت الرسول، فكيف لا يسمع ما حكاه الشيطان؟ وإذا سمعها، فكيف لا يبادر إلى إنكارها؟ والبيان في مثل هذا وجب على الفور، وإذا لم يسمع النبي، ألم يسمع أصحابه؟ وإذا سمعوا، فكيف يسكتون؟ وإذا لم يسمعوا فهل بلغ من تسلط الشيطان أن يحول بينهم وبين السماع؟ ومثل هذا ما ذكره موسى بن عقبة في مغازيه من أن المسلمين ما سمعوها، وإنما ألقى الشيطان ذلك في أسماع المشركين، فهل كان الشيطان يسر في آذان المشركين دون المؤمنين؟ ثم كيف يتفق هذا وما روى من أن النبي حزن حزنًا شديدًا، وأن جبريل قال له : ما جئتك بهذا الحق!! والحق أن نسج القصة مهما تأول فيه المتأولون فهو مهلهل متداع لا يثبت أمام البحث.
ينظر: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص ٢٤٢ وما بعدها بتصرف.

وقيل: كان النبى ﷺ يرتِّلُ القرآن، فارتصده الشيطان فى سكتة من السكتات، ونطق بتلك الكلمات محاكيًا نغمة النبى ﷺ بحيْثُ يسمعه من دنا إليه، فظنها من قوله وأشاعها.

قال: وهذا الأخير أحسن وجوه التأويل فى هذه القصة؛ ويؤيده ما ورد عن ابن عباس من تفسير ﴿ تَمَنَّىٰٓ ﴾ [الحج: ٥٢] تلا، وكذا استحسن ابن العربى هذا التأويل، وقال: معنى ﴿ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ ﴾ [الحج: ٥٢] أى: فى تلاوته؛ فأخبر الله تعالى فى هذه الآية أن سنة الله فى رسله إذا قالوا قولاً زاد الشيطان فيه من قبل نفسه؛ فهذا نَصٌّ فى أن الشيطان زاد فى قول النبى ﷺ لا أن النبى ﷺ قاله. انتهى

ولما رجعوا سراعًا من الحبشة، ثم تحققوا قبل دخول مكة بساعة خلافَ ذلك، فلم يدخل أحد منهم إلا بجوار أو مستخفيًا، وكذلك لما تبين للمشركين عدم مدح النبى آلهتهم رجعوا إلى أشد ما كانوا عليه.

فلما اشتدَّ إيذاء المشركين للمسلمين، أذن لهم ﷺ فى الهجرة الثانية، فهاجر ثلاثة وثمانون رجلاً وثمان عشرة امرأة، فيهم جعفر بن أبى طالب، وأم سلمة، وغيرهما، فأقاموا فى الحبشة على أحسن حال حتى رجعوا إليه - عليه الصلاة والسلام - كما تقدم ذكر ذلك.

ولما رأت قريش عزَّة النبى ﷺ بمن معه، وعزة أصحابه بالحبشة، وفشوَّ الإسلام فى القبائل، اجتمعوا وأجمعوا على أن يكتبوا كتابًا يتعاقدون فيه على بنى هاشم وبنى المطلب أن لا يناكحوهم ولا يبايعوهم، فكتبه منصور بن عكرمة، أو بغيض بن عامر، فشَلَّتْ يده، وعلقوا الصحيفة فى جوف الكعبة هلال المحرم سنة سبع من البعثة، فانحاز الهاشميون غير أبى لهب والمطلبيون إلى أبى طالب فى شِعبه سنتين أو ثلاثًا حتى جهدوا، وكان لا يصلُ إليهم القوت إلا خفية، حتى قام رجال خمسة فى نقض الصحيفة، وهم، هشام بن الحارث بن حبيب بن خزيمة بن مالك بن حسل ابن عامر بن لؤى العامرى، وزمْعة بن الأَسْوَد بن المطلب بن أسد بن عبد العزى، وزهير ابن أبى أمية بن المغيرة، وهو ابن عمة النبى ﷺ عاتكة ابنة عبد المطلب، والمطعم بن عدى، وأبو البخترى بن هشام بن الحارث بن أسد الأسدى؛ وذلك أن بنى هاشم والمطلب جهدوا ولم يصلْ إليهم شىء إلا سِرًّا حتى إن حكيم بن حزام بن خويلد حَمَّلَ غلامه قمحًا يريد عمته خديجة ابنة خويلد - رضى الله عنها - فلقيه

أبو جهل؛ فتعلَّق به، وأراد أن يفضحه، فانتصر له أبو البخترى بن هشام، وقال: خل سبيله، فأبى أبو جهل، فأخذ له لحى جمل فضربه به فشجه ووطئه وطئًا شديدًا، فلما مضت تلك المدة، قام أولئك النفر الخمسة فى نقض الصحيفة، وكان رأسهم هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث لعزته بعمه لأمه الذى هو أخو عبد المطلب؛ ومن ثم كان واصلاً لبنى هاشم؛ فكان يأتيهم بالبعير عليه الطعام إلى فم الشعب، فيخلع خطامه ويضربه حتى يدخل.

فمشى هشام هذا إلى زهير بن أمية المخزومى، وهو ابن عاتكة ابنة عبد المطلب، فقال له: يا زهير، أرضيت بأن تأكل الطعام، وتشرب الماء، وتلبس الثياب، وتنكح النساء، وأخوالك حيث ماعلمت ؟! وشدد عليه حتى قال: أبغنا ثالثًا، قال: قد وجدت المطعم بن عدى، قال: أبغنا رابعًا، فذهب إلى أبى البخترى، واستنخاه أيضًا، فقال: وهل من معين ؟ فذكر له أولئك فقال: أبغنا خامسًا، فذهب إلى زمعة ابن الأسود، واستنخاه فقال: هل من أحد ؟ فذكر له القوم، فاجتمعوا بالحَجُونِ، وأجمعوا على نقضها، فقال لهم زهير: وأنا أول من يتكلم، فلما أصبحوا، غدوا إلى أنديتهم، وغدا زهير فطاف سبعًا، ثم أقبل على الناس فقال: يا أهل مكة، إنا نأكل الطعام ونلبس الثياب، وبنو هاشم هلكى لا يبايعون ولا يبتاع منهم، والله لا أقعدُ حتى تشقَّ هذه الصحيفة الظالمة القاطعة، فقال أبو جهل: كذبت والله ما تشق، فقال زمعة لأبى جهل: أنت واللهِ أكذبُ، ما رضينا كتابتها حين كتبت، وقال أبو البخترى: صدق زمعة، ما نرضَى ماكتب فيها ولا نقرُّ به، فقال المطعم: صدقتما وكَذَبَ من قال غير ذلك، نبرأ إلى الله منها ومما كتب فيها، فقال أبو جهل: هذا أمرُ بيت بليل، اشتور فيه بغير هذا المكان، وأبو طالب جالس، فقام المطعم إلى الصحيفة ليشقها، فوجد الأرضة قد أكلتها إلاَّ: « باسمك اللهم ».

ولا يعارض ذلك أن رسول الله ﷺ قبل ذلك أخبر أبا طالب أن الله سلط الأرضة على صحيفة قريش، فلم تدع فيها اسمًا هو لله إلا أثبتته، ومحت منها الظلم والقطيعة والبهتان، فقال له أبو طالب : أربك أخبرك بهذا ؟ قال: نعم، فأخبرهم بذلك فقال: يا معشر قريش، إن ابن أخى أخبرنى بكذا وكذا، فهلمَّ صحيفتكمْ، فإن صدق فانتهوا عن قطيعتنا، وإلا دفعته إليكم، فنظروها، فإذا هى كما قال - عليه الصلاة

والسلام - فازدادوا أشرًا.

ووجه عدم المعارضة: أنه لا مانع من أنهم لما نظروا ذلك، وازدادوا أشرًا، قام أولئك الخمسة المذكورون فى إزالتها من أصلها، فسعوا فى نقضها وبذلوا جهدهم فيه.

قال الشارح الجوجرى: ويحتمل أن أبا طالب إنما أخبرهم بعد سعيهم فى نقضها. انتهى

قال العلامة ابن حجر الهيتمى: ويبعده أن الإخبار حينئذ ليس له كبير جدوى.

قلت: إن كان الإخبار بعد الاطلاع عليها، فلا ريبَ فى عدم أصل الجدوى فضلاً عن كبيرها، وإن كان الإخبار قبل تنزيلها بعد السعْيِ فى نقضها؛ كما هو ظاهر فحواه، فجدواه جدواه، فلا بُعد فى احتماله بعد[1]. انتهى

ولما مزقت الصحيفة، وبطل ما فيها، قال أبو طالب - فيما كان من أولئك النفر الذين قاموا فى تمزيقها يمدحهم فى فعلهم - هذه القصيدة: [من الطويل]

أَلاَ هَلْ أَتَى بَحْرِيَّنَا فِعْلُ رَبِّنَا ... عَلَى نَأْيِهِمْ وَاللهُ بِالنَّاسِ أَرْوَدُ
فَيُخْبِرَهُمْ أَنَّ الصَّحِيفَةَ مُزِّقَتْ ... وَأَنْ كُلُّ مَا لَمْ يَرْضَهُ اللهُ مُفْسدُ
تَراوَحَهَا إِفْكٌ وَسِحْرٌ مُجَمَّعٌ ... وَلَمْ يُلْفَ سِحْرٌ آخِرَ الدَّهْرِ يَصْعَدُ
جَزَى اللهُ رَهْطًا بالحَجُونِ تَبَايَعوا ... عَلَى مَلإٍ يَهْدِى لِحَزْمٍ وَيُرْشِدُ
قُعُودًا لَدَى خَطْمِ الحَجُونِ كَأَنَّهُمْ ... مُقَاوِلَةٌ بَلْ هُمْ أَعَزُّ وَأَمْجَدُ
أَعَانَ عَلَيْهَا كُلُّ صَقْرٍ كَأَنَّهُ ... إِذَا مَا مَشَى فِى رَفْرَفِ الدِّرْعِ أَجْرَدُ
جَرِىءٌ عَلَى جُلِّ الْخُطُوبِ كَأَنَّهُ ... شِهَابٌ بِكَفَّىْ قَابِسٍ يَتَوَقَّدُ
مِنَ الأَكْرَمِينَ مِنْ لُؤَىِّ بْنِ غَالِبٍ ... إِذَا سِيمَ خَسْفًا وَجْهُهُ يَتَرَبَّدُ
طَوِيلُ النِّجَادِ خَارِجٌ نِصف سَاقِهِ ... عَلَى وَجْهِهِ يُسْقَى الْغَمَامَ وَيُسْعدُ
عَظِيمُ الرَّمَادِ سَيِّدٌ وَابْنُ سَيِّدٍ ... يَحُضُّ عَلَى مقْرَى الضُّيُوفِ وَيَحْشُدُ

---

(١) لخبر الصحيفة ونقضها ينظر المصادر الآتية: الطبقات الكبرى (١/ ١٦٢-١٦٤)، المغازي لعروة (١١٤)، دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٣١١-٣١٦)، دلائل النبوة لأبي نعيم (١/ ٣٥٧)، تاريخ الطبري (٢/ ٣٣٦)، أنساب الأشراف (١/ ٢٦٥-٢٧٥)، السيرة النبوية (٢/ ٥-٨)، المنتظم (٣/ ٥)، السيرة الحلبية (١/ ٣٦٦)، عيون الأثر (١/ ١٢٦)، تاريخ الخميس (١/ ٢٩٧)، البداية والنهاية (٣/ ١١٩-١٢٣)، الكامل في التاريخ (٢/ ٨٧)، تاريخ الإسلام (٢/ ٢٢١-٢٢٤).

وَيَبْنِى لِأَبْنَاءِ الْعَشِيرَةِ صَالِحًا ... إِذَا نَحْنُ طُفْنَا فِى الْبِلَادِ وَيَمْهَدُ
أَلَظَّ بِهَذَا الصُّلْحِ كُلُّ مُبَرَّإٍ ... عَظِيم اللواءِ أَمْرُهُ ثَمَّ يُحْمَدُ
قَضَوا مَا قَضَوا فِى لَيْلِهِمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا ... عَلَى مَهَلٍ وَسَائِرُ النَّاسِ رُقَّدُ
هُمُ رَجَعُوا سَهْلَ بْنَ بَيْضَاءَ رَاضِيًا ... وَسُرَّ أَبُو بَكْرٍ بِهَا وَمُحَمَّدُ
مَتَى شرك الْأَقْوَام فِى جُلِّ أَمْرِنَا ... وَكُنَّا قَدِيمًا قَبْلَهَا نَتَوَدَّدُ
وَكُنَّا قَدِيمًا لاَ نُقِرُّ ظُلَامَةً ... وَنُدْرِكُ مَا شِئْنَا وَلاَ نَتَشَدَّدُ
فَيَالَقُصَىٍّ هَلْ لَكُمْ فِى نُفُوسِكُمْ ... وَهَلْ لَكُمْ فِيمَا يَجِىءُ بِهِ غَدُ
فَإِنِّى وَإِيَّاكُمْ كَمَا قَالَ قَائِلٌ ... لَدَيْكَ الْبَيَانُ لَوْ تَكَلَّمْتَ أَسْوَدُ(١)

أسود: جبل كان قد قتل فيه قتيل ولم يعرف قاتله، فقال أولياء المقتول هذه المقالة يعنون بها أن هذا الجبل لو تكلم لأبان عن القاتل ولعرف بالجانى، ولكنه لا يتكلم، فذهبت مقالتهم مثلاً، وقد أشار صاحب الهمزية إلى ذلك بقوله: [من الخفيف]

فِتْيَةٌ بَيَّتوا عَلَى فِعْلِ خَيْرٍ ... حَمِدَ الصُّبْحُ أَمْرَهُمْ وَالْمَسَاءُ
يَالأَمْرٍ أَتَاهُ بَعْدَ هِشَامٍ ... زَمْعَةُ إِنَّهُ الْفَتَى الأَتَّاءُ
وَزُهَيْرٌ وَالْمُطْعِمُ بْنُ عَدِىٍّ ... وَأَبُو الْبَخْتَرِىِّ مِنْ حَيْثُ شَاءُوا
نَقَضُوا مُبْرَمَ الصحِيفَةِ إذ شَدْ ... دَتْ عَلَيْهِمْ مِن الْعِدَا الأَنْدَاءُ
أَذْكَرَتْنَا بِأَكْلِهَا أَكْلَ منسَا ... ةِ سُلَيْمَانَ الارْضَةُ الْخَرْسَاءُ
وَبِهَا أَخْبَرَ النَّبِىُّ وَكَمْ أَخْـ ... رَجَ خَبْئًا لَهُ الْغُيُوبُ خِبَاءُ

وكان ذلك فى السنة العاشرة من البعثة.

ثم بعد ذلك بثمانية أشهر وأحد وعشرين يومًا، مات عمه أبو طالب، ثم خديجة بعده بثلاثة أيام على الصحيح فى رمضان(٢)، وكان - عليه الصلاة والسلام - يسمى ذلك العام: عام الحزن، وكانت مدة إقامتها معه - عليه الصلاة والسلام - خمسًا

---

(١) ينظر سبل الهدى والرشاد (٢/ ٤١٤-٤١٥)، والسيرة النبوية (٢/ ٣٠-٣١) مع خلاف في بعض الألفاظ.

(٢) قال ابن كثير: المشهور أنه مات قبل موت خديجة وكان موتهما في عام واحد قبل مهاجرة رسول الله ﷺ بثلاث سنين وقال صاعد في كتاب « الفصوص »: بعد ثمانية وعشرين يومًا من خروجهم من الشعب وقال ابن حزم: توفي أبو طالب في شوال في النصف منه وينظر سبل الهدى والرشاد (٢/ ٤٢٨)، وينظر أيضًا تاريخ الطبري (٢/ ٣٤٣) الكامل في التاريخ (٢/ ٩٠)، عيون الأثر (١/ ١٢٩) تاريخ الإسلام (٢/ ٢٢٩).

وعشرين سنة على الصحيح.

وبعد أيام من موتها: تزوج بسودة بنت زمعة، ثم خرج إلى الطائف بعد موت خديجة بثلاثة أشهر فى ليال بقين من شوال سنة عشر من النبوة، وهى سنة خمسين من مولده، لما ناله من قريش بعد موت أبى طالب، وكان معه زيد بن حارثة، فأقام شهرًا يدعو أشراف ثقيف إلى الله تعالى، فلم يجيبوه وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم وصبيانهم يسبونه[1].

قال موسى بن عقبة: ورجموا عراقيبه بالحجارة حتى اختضَبَ نعلاه بالدماء، وكان إذا أذلقته الحجارة، قعد على الأرض؛ فيقيمونه بعضديه؛ فإذا مشى، رجموه وهم يضحكون، وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى لقد شجَّ فى رأسه مرارًا.[2]

وفى البخارى من حديث عائشة - رضى الله عنها -: « فانطلقتُ عنهم وأنا مهموم على وجهى، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسى فإذا سحابة قد أظلتنى فإذا فيها جبريل »[3].

وذلك بعد أن دعا ﷺ فى طريقه بالدعاء المشهور، وهو: « اللهم، إليك أشكو ضعف قوتى، وقلة حيلتى، وهوانى على الناس، أنت أرحم الراحمين، وأنت رب المستضعفين، إلى من تكلنى ؟! إلى بعيد يتجهمنى، أم إلى صديق قريب كلفته أمرى ؟! إن لم تكن غضبانًا علىَّ فلا أبالى، غير أن عافيتك أوسَعُ لى، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن تنزل بى غضبك، أو تحل بى سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك » أورده ابن إسحاق، ورواه الطبرانى فى كتاب الدعاء: « فنادانى فقال: إن الله قد سمع قومك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت، فقال ملك الجبال: إن شئت، أن أطبق عليهم الأخشبين ؟! قال النبى ﷺ: بل أرجو أن

---

(١) ينظر خروج النبي ﷺ إلى الطائف في المصادر الآتية: السيرة النبوية (٢/ ٦٧-٧٠)، المغازي لعروة (١١٧-١١٩)، الدرر في اختصار المغازي والسير (٦٥)، وتاريخ الإسلام (٢/ ٢٨٣).

(٢) ينظر المصادر السابقة.

(٣) أخرجه البخاري (٦/ ٣١٢-٣١٣) كتاب بدء الخلق باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء حديث (٣٢٣١)، ومسلم (٣/ ١٤٢٠)، كتاب الجهاد والسير باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين حديث (١١١).

يخرج الله من أصلابهم من يعبده ولا يشرك به شيئًا »[١].

ولما بلغ - عليه الصلاة والسلام - خمسين سنة، قدم عليه جن نصيبين، ولم يعلم بهم حتى نزلت؛ ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾ [الأحقاف : ٢٩] فأسلموا وكانوا سبعة، قيل: وكانوا يهودًا، ولذا قالوا: ﴿ أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ ﴾[٢] [الأحقاف: ٣٠] وفى الترمذى: قرأ عليهم سورة الرحمن، كلما قرأ: ﴿ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [الرحمن : ١٣] قالوا: لا بشىء من نعمائك ربنا نكذب[٣].

وبعد إحدى وخمسين وتسعة أشهر: أسرى به إلى بيت المقدس، وشق وغسل قلبه وملئ إيمانًا وحكمة، وهى المرة الرابعة.

ثم أتى بالبراق، فركبه وعرج به إلى السموات السبع، فسلم على من بهنّ من الأنبياء والملائكة، حتى بلغ سدرة المنتهى، وفرض عليه وعلى أمته خمسون صلاة فى اليوم والليلة، فلم يزل يراجع ربه فيسقط عنه عشرًا عشرًا إلى الخمس، حتى قال تعالى: « هن خمس وهن خمسون لا يبدل القول لدى »، ولما رجع أخبر قومه، فكذبوه إلا من وقاه الله، وارتدّ جمع بعد الإسلام، وسألوه أمارة، فأخبرهم بقدوم العير يوم الأربعاء، ثم لم تقدم حتى كادت الشمس أن تغرب، فدعا الله عز وجل، فحبس له الشمس حتى قدمت كما وصف، وسألوه عما فى المسجد الأقصى، فجلاه الله له فصار ينظر إليه ويجيبهم عن كل ما يسألونه عنه، ووضع له جنب بيت

---

(١) هو مشهور كما قال المؤلف لكن شهرته لا تعني صحته وهو حديث مرسل أو معضل. أخرجه ابن إسحاق (٢/ ٦٧-٦٨) حدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي به. وينظر « تاريخ الإسلام » (٢/ ٢٨٤-٢٨٥).

(٢) ينظر: قصة إسلام الجن في المصادر التالية: السيرة النبوية (٢/ ٦٩-٧٠)، دلائل النبوة (٢/ ١٢)، عيون الأثر (١/ ٨٣٧)، تاريخ الطبري (٢/ ٣٤٦-٣٤٧)، تاريخ الخميس (١/ ٣٤٣-٣٤٤)، تاريخ الإسلام (٢/ ١٩٨).

(٣) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٩٩) كتاب التفسير باب ومن سورة الرحمن حديث (٣٢٩١)، والحاكم (٢/ ٤٧٣) من طريق الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد عن محمد بن المنكدر عن جابر به وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم عن زهير ابن محمد، قال أحمد بن حنبل: كأن زهير بن محمد الذي وقع بالشام ليس هو الذي يروى عنه بالعراق كأنه رجل آخر فقلبوا اسمه يعني لما يروون عنه من المناكير. وسمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: أهل الشام يروون عن زهير بن محمد مناكير وأهل العراق يروون عنه أحاديث مقاربة.

عقيل أو عقال[١].

وكان ﷺ يوافى الموسم كل عام، ويبلغ الحاج فى منازلهم، وفى أسواقهم: عكاظ، ومجنة، وذى المجاز.

أما ذو المجاز: فهو سوق عند عرفة كانت العرب إذا حجَّتْ، أقامت بسوق عكاظ شهر شوال، ثم تنتقل عنه إلى سوق مجنة؛ فتقيم فيه عشرين يومًا من ذى القعدة، ثم تنتقل إلى سوق ذى المجاز، فتقيم به أيام الحج.

وكانوا فى سوق عكاظ يتفاخرُونَ ويتناشدون الأشعار المشعرة بفَخْرِ كل قبيلة؛ يقال: عكظ الرجل صاحبه: إذا فاخره وغلبه بالمفاخرة، فسمى عكاظ بذلك لذلك.

وعكاظ هو المسمَّى الآن بأرض نخلة، ويسمى بالمضيق، وبه الآن عيون ونخيل وزروع ومساكن؛ كذا ذكره السهيلى، رحمه الله.

وأما سوق مجنة: فهو بأسفل مكة على بريد منها؛ فلم يجد من ينصره حتى جاءت الأنصار وهم الأوس والخزرج، فأسلم منهم ستة نفر؛ كما هو المشهور، وقيل: اثنان؛ كما ذكره الشمس البرماوى؛ كما سيأتى بيانه فى الباب الثانى من المقصد الثانى على الأثر.

ثم أذن الله لنبيه بالهجرة إلى المدينة الشريفة؛ قاله ابن عباس بقوله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ ...﴾ الآية [الإسراء: ٨٠] أخرجه الترمذى، وصححه الحاكم[٢].

* * *

(١) هذا جزء من حديث الإسراء من رواية أنس بن مالك ذكره السيوطي في « الدرالمنثور » (٤/ ٢٦١-٢٦٢) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٠٤) كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة بني إسرائيل [الإسراء] رقم (٣١٣٩)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٣) كتاب الهجرة. وقال الترمذي: حسن صحيح.

الباب الثانى
من المقصد الثانى
فى ذكر هجرته إلى المدينة الشريفة

قال أهل السير: لما وقعت البيعة الأولى بالعقبة، وكان المبايع له فيها ستة أنفار من الأنصار، وقيل: اثنان: أسعد بن زرارة، وذكوان بن عبد القيس، ثم الثانية فلقيه فيها اثنا عشر رجلًا فيهم خمسة من الستة الأولين، وهم: أبو أمامة أسعد بن زرارة، وعوف بن عفراء، ورافع بن مالك، وقطبة بن عامر بن حديدة، وعقبة بن عامر بن نابى، ولم يكن فيهم جابر بن عبد الله بن رئاب؛ فلم يحضرها.

وأما السبعة تمام الاثنى عشر، وهم: معاذ بن الحارث بن رفاعة، وهو ابن عفراء أخو عوف المذكور، وذكوان بن عبد القيس الزرقى، وقيل: إنه دخل إلى رسول الله ﷺ إلى مكة، فسكنها معه، فهو مهاجرى أنصارى قتل يوم أحد، وعبادة بن الصامت بن قيس، وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة البلوى، والعباس بن عبادة بن نضلة، وهؤلاء من الخزرج.

ومن الأوس رجلان: أبو الهيثم بن التيهان من بنى عبد الأشهل، وعويم بن ساعدة، فأسلموا وبايعوا[١].

ثم لما وقعت فى ذى الحجة من السنة الثالثة عشرة من النبوة قبل الهجرة بثلاثة أشهر بيعة العقبة الكبرى الثالثة، قدم مكة فى موسم الحج قريب من خمسمائة نفر.

وفى رواية: ثلاثمائة نفر من الأوس والخزرج.

وخرج معهم مصعب بن عمير إلى مكة، اتفق منهم سبعون رجلًا، قال ابن إسحاق: ثلاثة وسبعون نفسًا[٢] لاقوا رسول الله ﷺ، فوعدهم أن يحضروا العقبة فى الليلة الثانية من ليالى التشريق؛ فكانت تلك الليلة هى ليلة العقبة الكبرى الثالثة، وهى معروفة مبينة[٣].

---

(١) ينظر المغازي لعروة (١٢١)، السيرة النبوية (٢/ ٧٩)، الطبقات الكبرى (١/ ١٧٠)، أنساب الأشراف (١/ ٢٩٣)، الكامل في التاريخ (٢/ ٩٥)، تاريخ الإسلام (٢/ ٢٩١)، عيون الأثر (١/ ١٥٥)، الروض الأنف (٢/ ١٩٥)، وسبل الهدى والرشاد (٣/ ١٩٤-١٩٥).

(٢) في السيرة: كانوا ثلاثة وسبعين رجلًا وامرأتين.

(٣) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٩٩).

قال فى الوفا: لما أبرم عقد المبايعة بين النبى ﷺ وبين أهل المدينة، ولم يقدر أصحابه أن يقيموا بمكة من أذى المشركين، ولم يصبروا على جفوتهم رخص لهم فى الهجرة إلى المدينة، فتوجه مصعب بن عمير إلى المدينة ليفقه من أسلم من الأنصار، ثم توالى خروجهم بعد العقبة الأخيرة هذه، فخرجوا أرسالاً، منهم: عمر ابن الخطاب، وأخوه زيد بن الخطاب، وطلحة بن عبيد الله، وصهيب، وحمزة، وزيد بن حارثة، وعبيدة بن الحارث، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير بن العوام، وعثمان بن عفان، وغيرهم، ولم يبق معه ﷺ إلا أبو بكر الصديقُ، وعلى بن أبى طالب، ذكره ابن إسحاق وغيره.

وفى صحيح البخارى: تجهز أبو بكر الصديق قبلَ المدينة، فقال له رسول الله ﷺ: « على رِسْلكَ؛ فإنى أرجو أن يؤذن لى »، فقال له أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبى أنت وأمى ؟ قال: « نعم »، فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه، وعلف راحلتين كانتا عنده، ودق السمر - وهو الخبط - أربعة أشهر ليسمنا وينتظره ﷺ متى يؤمر بالهجرة إلى المدينة.

فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ أصابوا منعةً وأصحابًا بغير ديارهم، ووجدوا مُهاجَرا قريبا يهاجرون إليه، عرفوا أنه قد عزم أن يلحق بهم وسيحميه المدنيون، فخافوا خروجه إليهم وحذروا تفاقم أمره، فاجتمعوا بدار الندوة للمشاورة. وقال ابن دريد فى « الوشاح »: إنهم كانوا خمسة عشر رجلًا. وقال ابن دحية: كانوا مائة.

ولما قعدوا للتشاور تبدى لهم إبليس فى صورة شيخ نجدى؛ لأنهم قالوا: لا يدخلن عليكم أحد من تهامة؛ لأن أهواءهم مع محمد، فلذلك تمثل اللعين فى صورة شيخ نجدى، فدخل، فقالوا له: من أدخلك خلوتنا بغير إذننا ؟ قال: أنا شيخ من قبيلة نجد، وجدت وجوهكم مليحة ورائحتكم طيبة، أردت أن أسمع كلامكم وأقتبس منه شيئًا، ولقد أعرف مقصودكم، وإن كنتم تكرهون جلوسى عندكم خرجت. فقالت قريش: رجل نجدى لا يضركم حضوره.

فقال بعضهم لبعض: إن محمدًا قد كان من أمره ما علمتم، وإنا والله لا نأمن منه الوثوب علينا بمن اتبعوه، فأجمعوا فيه رأيًا. فقال أبو البخترى بن هشام: أرى أن

تحبسوه وتشدوا وثاقه فى بيت ما لبابه غير كوة تلقون إليه طعامه وشرابه منها، وتربصوا به ريب المنون حتى يهلك كما هلك الشعراء من قبله كزهير والنابغة، فصرخَ الشيخُ وقالَ: بئس الرأى رأيتم، والله لو حبستموه لخرج أمره من وراء الباب إلى أصحابه؛ فوثبوا وانتزعوه من أيديكم. قالوا: صدق الشيخ. وقال هشام بن عمرو: أرى أن تحملوه على جمل، وتخرجوه من بين أظهركم، فلا يضركم ما صنع واسترحتم منه. فقال الشيخ النجدى: والله ما هذا لكم برأى، ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه، وغلبته على قلوب الرجال بما أتى به ؟ فو الله لو فعلتم ذلك ما أمنتم أن ينزل على حى من أحياء العرب فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يبايعوه، ثم يسير بهم حتى يطأكم. فقالوا: صدق والله الشيخ.

فقال أبو جهل لعنه الله: والله إن لى فيه لرأيًا لا أراكم وقعتم عليه بعد. قالوا وما هو يا أبا الحكم ؟ قال: رأيى أن تأخذوا من كل قبيلة شابًا جلدًا نسيبًا وسيطًا فينا، ثم نعطى كل فتًى سيفًا صارمًا، ثم يعمدون إليه فيضربونه ضربة رجل واحد فيقتلونه فنستريح منه؛ فإنكم إن فعلتم ذلك تفرق دمه فى القبائل كلها، فلا يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعًا، فإن رضوا منا بالعقل عقلناه لهم.

فقال الشيخ النجدى: القول ما قال هذا الرجل، هو أجودكم رأيًا، لا أرى لكم غيره. قال ابن إسحاق: وكان فيما أنزل الله فى ذلك قوله: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٠] وقوله عز وجل: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴾[1] [الطور: ٣٠] قال ابن هشام: « المنون »: الموت، وريبها ما يريب ويعرض منها. قال أبو ذؤيب الهذلى فى مرثيته لبنيه الثمانية التى مطلعها: [من الكامل]

أَمِنَ المَنُونِ وَرَيْبِهَا تَتَفَجَّعُ وَالدَّهْرُ لَيْسَ بِمُعْتِبٍ مَنْ يَجْزَعُ[2]

---

(١) ينظر في ذلك المصادر الآتية: السيرة النبوية (٢/ ١٢١-١٢٥)، والطبقات الكبرى (١/ ١٧٥-١٧٨)، أنساب الأشراف (١/ ٣٠٣-٣٠٨)، مروج الذهب (٢/ ٢٨٥) الكامل في التاريخ (٢/ ١٠١)، نهاية الأرب (١٦/ ٣٣٠)، عيون الأثر (١/ ١٧٣)، المختصر في أخبار البشر (١/ ١٢٣)، عيون التواريخ (١/ ٩٧)، تاريخ الإسلام (٢/ ٣١٨)، سبل الهدى والرشاد (٣/ ٢٣١-٢٣٣).

(٢) ينظر البيت في السيرة النبوية (٢/ ١٢٥).

ولما استقر رأى قريش على قتل النبى ﷺ بعد المشاورة، جاءه جبريل وأخبره بذلك، وقال: لا تبت هذه الليلة على فراشك. وأذن الله له عند ذلك بالخروج. ولما أمره بذلك سأل عمن يهاجر معه، فقال: أبو بكر الصديق.

وعن ابن عباس: أن الله لما أذن لنبيه بالهجرة خاطبه بهذه الآية ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٠] الآية. أخرجه الترمذى وصححه هو والحاكم[١] كذا فى « الوفاء » و « المواهب » وفى « العمدة »: أمر أن يقول ذلك عند الهجرة، وكان أبو بكر حين استأذن رسول الله ﷺ فى الهجرة قال له: « لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبًا »، فطمع أبو بكر أن رسول الله إنما يعنى نفسه، فابتاع راحلتين فحبسهما يعلفهما كما تقدم ذكر ذلك.

وعن عروة عن عائشة أم المؤمنين: كان النبى ﷺ لا يخطئ أن يأتى بيت أبى بكر طرفى النهار إما بكرة أو عشية، حتى إذا كان يوم أذن له فى الهجرة أتانا رسول الله ﷺ بالهاجرة، فى ساعة كان لا يأتى فيها.

قلت: فلما رآه أبو بكر قال: ما جاء به عليه الصلاة والسلام فى هذه الساعة إلا لأمر حدث. فلما حضر تأخر له أبو بكرعن سريره، فجلس عليه الصلاة والسلام، وليس عند أبى بكر إلا أنا وأختى أسماء. فقال عليه الصلاة والسلام « أخرج عنى من عندك ». فقال: إنما هما ابنتاى، وفى رواية: إنما فى البيت أهلك وأختها؛ لأنها كانت معقودًا عليها منه ﷺ، فقال: « إن الله قد أذن لى فى الهجرة ». فقال أبو بكر: الصحبة يا رسول الله. قال: « نعم » قالت عائشة: رأيت أبى يبكى من الفرح، وما كنت أظن أحدًا يبكى من الفرح. فقال أبو بكر: فخذ إحدى راحلتىَّ هاتين. فقال رسول الله ﷺ: « لا، إلا بالثمن ». فقال أبو بكر: بالثمن، وكان ثمنها ثمانمائة درهم[٢]. قال ابن سعد: وعاشت إلى زمن خلافة أبى بكر، وكانت مرسلة ترعى بالبقيع، وهى الجدعاء. قاله ابن إسحاق. وقال: إنها من نعم بنى الجريش.

قالت عائشة: فجهزناهما أحب الجهاز، ووضعنا لهما سفرة فى جراب، فقطعت

---

(١) تقدم تخريجه قريبا.

(٢) أخرجه البخاري (٧/ ٦٣٦-٦٣٨) كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة حديث (٣٩٠٥)، من طريق الزهري عن عروة عن عائشة.

أسماء بنت أبى بكر قطعة من نطاقها فربطت بها فم الجراب، وبالقطعة الأخرى فم السقاء، فلذلك سميت « ذات النطاقين »[(١)] رواه البخارى.

قال ابن إسحاق: واستأجر أبو بكر من بنى الديل هاديًا خرِّيتًا يقال له: عبد الله بن الأريقط وكان مشركًا - أو قال على دين الكفار - فأمنه ودفع إليه الراحلتين وواعده غار ثور بعد ثلاث، وأمر أبو بكر مولاه عامر بن فهيرة - وكان راعيًا لأغنام حول جبل ثور - أن يخرج عليها الغنم بعد هزيع من الليل، وأمر ابنه عبد الله بن أبى بكر أن يستمع ما يقول الناس فيهما نهارًا، ويأتيهما بذلك إذا أمسى ليلاً فيخبرهما بما كان فى ذلك اليوم من الخبر، وكان يفعل ذلك[(٢)].

وفى « أنوار التنزيل »: الغار: ثقب فى أعلى ثور، وثور: جبل. قال فى « القاموس »: يقال « ثور »؛ نسبة إلى ثور بن عبد مناة، نسب الجبل إليه. قال ابن جبير فى رحلته: جبل ثور من مكة على ثلاثة أميال. وفى بعض كتب اللغة: ثور: أبو قبيلة من مضر، وهو ثور بن عبد مناة بن أد بن طابخة، وهم رهط سفيان الثورى رضى الله عنه، نسب إليه الجبل، وفيه الغار المذكور فى القرآن العظيم الذى دخله النبى ﷺ مع أبى بكر، ويقال له: ثور أطحل، وقال بعضهم: اسم الجبل: أطحل، والبحر يرى من أعلى هذا الجبل، وفيه من كل نبات الحجاز، وفيه ألبان، وفيه شجرة من حمل منها شيئًا لم تلدغه الهامة.

ولما كانت العتمة من تلك الليلة اجتمع المشركون بمكة على باب النبى ﷺ، ثم ترصدوه حتى ينام فيثبون عليه فيقتلونه. وفى « الوفا »: اجتمعت قريش إلى باب الدار، فقال أبو جهل: لا تقتلوه حتى يجتمعوا - يعنى الخمسة من الخمس القبائل - وجعل يقول لهم: هذا محمد يزعم: إن بايعتموه غلبتم العرب والعجم، ويكون لكم فى الآخرة جنات تأكلون منها، وإن لم تبايعوه يكون لكم ذبح فى الدنيا، ويوم القيامة نار تحرقون فيها. فقال رسول الله ﷺ: « نعم، كذا أقول وكذا يكون، وأنت أحدهم ».

فلما رأى رسول الله ﷺ اجتماعهم ومكانهم قال لعلى: « نم على فراشى،

---

(١) ينظر: الحديث السابق.

(٢) ينظر: « السيرة النبوية » (٢/ ١٢٦-١٢٧).

واتشح بردائى الحضرمى الأخضر؛ فإنه لا يخلص إليك شىء تكرهه منهم، فرد هذه الودائع إلى أهلها ». وكانت الودائع تودع عنده ﷺ لصدقه وأمانته. فبات على كرم الله وجهه على فراشه ﷺ وخرج رسول الله ﷺ إلى الغار، ولما خرج قام على رءوسهم، وقد ضرب الله على أبصارهم، ونزل تلك الليلة أول سورة يس، فأخذ قبضة من تراب، وجعل ينثر على رءوس القوم وهو يقرأ: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [يس: ٨، ٩] وتلا ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾.[الإسراء : ٤٥]

ثم أتى منزل أبى بكر. ثم خرجا من خوخة كانت له فى ظهر البيت وعمد إلى غار ثور، ولم يعلم بخروجهما إلا على وآل أبى بكر، وأقام المشركون ساعة فجعلوا يتحدثون فأتاهم آتٍ فقال: ما تنتظرون ؟ قالوا: أن نصبح فنقتل محمدًا. قال: قبحكم الله وخيبكم، أو ليس قد خرج عليكم، وجعل على رءوسكم التراب ! قال أبو جهل: أو ليس هو ذاك مسجى ببرده، الآن كلمنا[1].

وذكر أهل السيرة: أن السبب المانع لهم من التقحم عليه فى الدار مع قصر الدار، وأنهم إنما جاءوا لقتله- هو أنهم لما هموا بالولوج عليه صاحت امرأة من الدار، فقال بعضهم لبعض: والله إنها لسبة فى العرب أن يتحدث عنا أنا تسورنا الحيطان على بنات العم وهتكنا ستر حرمتنا، فهذا الذى أقامهم حتى أصبحوا ينتظرون خروجه، ثم طمست أبصارهم عند خروجه. فلما أصبحوا قام علىٌ من الفراش، فلما رآه أبو جهل قال: صدقَنا ذلك المخبر.

فاجتمعت قريش وأخذت الطرق، وجعلت الجعائل لمن جاء به، وانصرفت عيونهم فلم يجدوا شيئًا. وفى رواية: لما قام علىّ من الفراش قالوا له: أين صاحبك؟ فقال: لا علم لى. قيل: إنهم ضربوا عليًا وحبسوه ساعة ثم تركوه، واقتصوا أثر النبى ﷺ، فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم. روى أنه لم يبق أحد من الذين وضع على رءوسهم التراب إلا قتل يوم بدر.

---

(١) ينظر: سبل الهدى والرشاد (٣/ ٢٣٢-٢٣٣).

وأنشأ على - رضى الله عنه - يقول هذه الأبيات: [من الطويل]

وَقَيْتُ بِنَفْسِى خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الثَّرَى ... فَنَجَّاهُ ذُو الطَّوْلِ الإلَهُ مِنَ المَكْرِ
وَقَيْتُ بِنَفْسِى خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الثَّرَى ... وَمَنْ طَافَ بِالبَيْتِ العَتِيقِ وَبِالْحِجْرِ
رَسُولَ إِلَهٍ خَافَ أَنْ يَمْكُرُوا بِهِ ... فَنَجَّاهُ ذُو الطَّوْلِ الْإِلَهُ مِنَ المَكْرِ
وَبَاتَ رَسُولُ اللهِ فِى الغَارِ آمِنًا ... مُوَقًّى وَفِى حِفْظِ الْإِلَهِ وَفِى سِتْرِ
وَبِتُّ أُرَاعِيهِمْ وَمَا يُثْبِتُونَنِى ... وَقَدْ وَطَنَتْ نَفْسِى عَلَى الْقَتْلِ وَالْأَسْرِ(١)

قال الفقير إلى الله تعالى: وقد سمعت بأبيات أربعة فى مثل معنى هذه الأبيات الأربعة وزيادة لبعض الفضلاء وهى: [من الكامل]

أَمُجَادلى فِيمَنْ رَوَيْتُ صِفَاتِهِ ... عَنْ ﴿ هَلْ أَتَى ﴾ وَشَرُفْنَ مِنْ أَوْصَافِ
أَتَظُنُّ تَأْخِيرَ الإِمَامِ نَقِيصَةً ... وَالنَّقْصُ فِى الأَطْرَافِ لا الأَشْرَافِ
زَوْجُ البَتولِ وَوَالِدُ السِّبْطَيْنِ وَالْـ ... ـفَادِى النَّبى وَنَجْلُ عَبْدِ مَنَافِ
أَوَ مَا تَرَى أَنَّ الْكَوَاكِبَ سَبْعَةٌ ... وَالشَّمْسُ رَابِعَةٌ بِغَيْرِ خِلَافِ

وقوله فى البيت الأول « هل أتى » أراد به ما روى الترمذى أنه رضى الله عنه كان عنده ستة أرغفة يريد بها العشاء مع زوجته وولديه وخادمه، فوقف عليه سائل، وكان رضى الله عنه ومن ذكر طاوين يومًا وليلة ويومًا، فورد عليه سائل فقال: مِسكين مسكين، فدفع إليه كرم الله وجهه الستة الأرغفة وطوى ومن معه. ثم وجد مثلها فجاء عند الليل سائل فوقف قائلاً: يتيم منقطع يتيم، فأعطاه إياها وطوى ومن معه. ثم وجد مثلها فجاءه عند الليل سائل فوقف قائلاً: أسير أسير، فأعطاه إياها. فأنزل الله فى شأنه الآيات فى سورة ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴾ [الإنسان : ١] إلى قوله ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ [الإنسان : ٨] أخرج هذه القصة غير واحد من المحدثين، وإن ضعفها بعض النقاد(٢). انتهى

قال الغزالى فى « الإحياء »: إن ليلة بات على بن أبى طالب على فراش النبى

---

(١) أخرجه الحاكم (٣/ ٤) عن على بن الحسين قال: إن أول من شرى نفسه ابتغاء رضوان الله على ثم ذكر الأبيات وسكت عنه هو والذهبي، وينظر أيضا: سبل الهدى (٢/ ٢٣٣).

(٢) عزاه المصنف للترمذي ولم أجده عنده ولا في الدر المنثور، وسورة الإنسان مكية، وعلى تزوج من فاطمة بالمدينة فكيف تنزل فيه هذه الآية، فالحديث بهذا اللفظ أيضا متنه منكر جدًا ولعله من وضع جهلة الشيعة.

ﷺ أوحى الله إلى جبريل وميكائيل: إنى قد آخيت بينكما، وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر، فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة ؟ فاختار كل منهما الحياة، فأوحى الله إليهما: أفلا كنتما مثل على بن أبى طالب؛ آخيت بينه وبين محمد، فبات على فراشه؛ يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة ؟ اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه. فكان جبريل عند رأسه، وميكائيل عند رجليه ينادى: بخ بخ، من مثلك يابن أبى طالب؛ يباهى بك الله ملائكته ؟ فأنزل الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [البقرة: ٢٠٧].

ولما سار النبى ﷺ ومعه أبو بكر إلى الغار جعل أبو بكر يمشى ساعة بين يدى رسول الله ﷺ وساعة خلفه، فقال رسول الله ﷺ: ما بالك يا أبا بكر تفعل ذلك ؟ فقال: أذكر الطلب فأمشى خلفك، ثم أذكر الرصد فأمشى أمامك. وروى عن أبى بكر أنه قال لعائشة: لو رأيتنى ورسول الله ﷺ إذ صعدنا الجبل، فأما قدما رسول الله ﷺ فقطرتا دمًا، وأما قدماى فعادتا كأنهما صفوان. فقالت عائشة: إن رسول الله ﷺ لم يتعود الحفاء.

وفى « معالم التنزيل » لما وصل إلى فم الغار قال أبو بكر: يا رسول الله، مكانك حتى أستبرئ لك الغار. وكان الغار مشهورًا بكونه سكن الهوام. قال: ادخل. فدخل فرأى غارًا مظلمًا، فجلس وجعل يلمس بيده، كلما وجد جُحْرا شق ثوبه فألقمه إياه، حتى فعل ذلك بثوبه كله، فبقى جحر ألقمه عقبه.

وفى « الرياض النضرة »: فجعل الأفاعى والحيات يضربنه. وعلى كلا التقديرين لدغته الحية تلك الليلة. قال أبو بكر: قد كانت اللدغة أحب إلىَّ من أن يلدغ رسول الله ﷺ، ثم قال أبو بكر: ادخل يا رسول الله؛ فإنى قد بوأت لك مكانًا. فدخل فاضطجع. وأما أبو بكر فكان متألمًا من لدغة الحية، فلما أصبحا رأى النبى ﷺ على أبى بكر أثر الورم، فسأله عنه فقال: من لدغة الحية، فقال: « هلا أخبرتنى »؟ فقال: كرهت أن أوقظك. فمسحه النبى ﷺ؛ فذهب ما به من الورم والألم، ثم قال: « فأين ثوبك »؟ فأخبره بما فعل، فعند ذلك رفع النبى ﷺ يديه وقال: « اللهم اجعل أبا بكر معى فى درجتى يوم القيامة »[1].

---

(١) ذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٣/ ٢٤٢) عن أنس وعزاه لابن مردويه.

قلت: نظرت إلى بعض غلاة الروافض، فإذا هو لابس طاقية لبادٍ وقد خاط عليها مما يلى ناصيته التعيسة خرقة زرقاء فى طول وعرض الخنصر، فأُخبرت أن فرقة منهم تعمل ذلك حبًا للحية وشكرًا لها لما فعلت فى الصدِّيق رضى الله تعالى عنه، يعتقد ذلك عملاً صالحًا يثاب عليه ! أخزاه الله فى دنياه وأخراه.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كان أبو بكر مع النبى ﷺ فى الغار، فعطش عطشًا شديدًا، فشكا ذلك إلى النبى ﷺ، فقال له النبى ﷺ: « اذهب إلى صدر الغار فاشرب ». قال أبو بكر: فانطلقت إلى صدر الغار، فشربت ماء أحلى من العسل، وأبيض من اللبن، وأذكى رائحة من المسك، ثم عدت إلى النبى ﷺ فقال: « شربت ؟ » قلت: نعم. قال: « ألا أبشرك يا أبا بكر »؟ قلت: بلى يا رسول الله. فقال: « إن الله تبارك وتعالى أمر الملك الموكل بأنهار الجنة أن اخرق نهرًا من جنة الفردوس إلى صدر الغار، ليشرب أبو بكر » فقلت: يا رسول الله، ولى عند الله هذه المنزلة ؟ فقال النبى ﷺ: نعم، وأفضل؛ والذى بعثنى بالحق لا يدخل الجنة مبغضك ولو كان له عمل سبعين نبيا »[1]. أخرجه الملا فى سيرته. كذا فى « الرياض النضرة » للمحب الطبرى.

قال السهيلى فى « الروض الأنف »[2]: ورد فى الصحيح عن أنس بن مالك، رضى الله عنه، قال: قال أبو بكر لرسول الله ﷺ وهما فى الغار: لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لرآنا. فقال رسول الله ﷺ: « يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟ »[3] وروى أيضًا أنهم لما انتهوا إلى باب الغار وقد أنبت الله عليه شجرة الراء - كما سيأتى - رأى أبو بكر القافة فاشتد حزنه على رسول الله ﷺ وقال: إن قتلتُ فإنما أنا رجل من قريش، وإن قتلتَ أنت هلكت الأمة. فعندها قال له رسول الله ﷺ ﴿ لَا تَحْـزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة: ٤٠] ألا ترى كيف قال: « لا تحزن » ولم يقل: « لا تخف » لأن حزنه على رسول الله ﷺ شغله عن خوفه على نفسه، ولأنه -

---

(١) ذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٣/ ٢٤٢-٢٤٣) وعزاه لابن عساكر. وقال السيوطي بسند واه.

(٢) ينظر: الروض الأنف (٢/ ٢٣٢-٢٣٣).

(٣) أخرجه البخاري (٩/ ٢٢٢) كتاب التفسير باب قوله: ﴿ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ... ﴾ [التوبة: ٤٠] حديث (٤٦٦٣) من طريق ثابت عن أنس.

أيضًا - رأى ما نزل برسول الله ﷺ من النصب، وكونه فى ضيق من الغار مع فرقة الأهل ووحشة الغربة، وكان أرقَّ الناس على رسول الله وأشفقهم؛ [عليه](١) فحزن.

وقول الله تعالى ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ ﴾ [التوبة: ٤٠] قال أكثر أهل التفسير: يريد: على أبى بكر، فالضمير له. وأما الرسول ﷺ فكانت السكينة عليه، وقوله ﴿ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمۡ تَرَوۡهَا ﴾ [التوبة: ٤٠] الهاء فيه راجعة إلى النبى ﷺ، والجنود: الملائكة، أنزلهم عليه الغار فبشروه بالنصر على أعدائه، فأيده ذلك وقواه على الصبر، وقيل: أيده بجنود لم تروها، يعنى يوم بدر وحنين وغيرهما من مشاهده. وقد قيل: الهاء راجعة على النبى ﷺ فى الموضعين « عليه، وأيده » جميعًا، وأبو بكر تبع له، فدخل فى حكم السكينة بالمعنى، وكان فى مصحف حفصة: « فأنزل الله سكينته عليهما »، وقيل: إن حزن أبى بكر عندما رأى بعض الكفار يبول عند باب الغار كما سيأتى ذكره قريبًا؛ فأشفق أبو بكر أن يكونوا قد رأوهما، فقال له النبى ﷺ: لا تحزن؛ فإنهم لو رأونا لم يستقبلونا بفروجهم عند البول، إن لقريش نخوة، ولما تشاغلوا بشىء عن أخذنا.

فائدة: زعمت الرافضة أن فى قوله عليه الصلاة والسلام لأبى - بكر رضى الله عنه - غضا منه وذمًّا له؛ فإن فى حزنه ذلك إن كان طاعة فالنبى ﷺ لا ينهى عن الطاعة، فلم يبق إلا أنه معصية. فيقال لهم على طريقة الجدل: قد قال تعالى لرسوله محمد ﷺ ﴿ فَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡ ﴾ [يس: ٧٩] وقال تعالى ﴿ ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر ﴾ [آل عمران: ١٧٨] وقال لموسى عليه الصلاة والسلام ﴿ خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡ ﴾ [طه: ٢١] وقالت الملائكة للوط عليه الصلاة والسلام ﴿ وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالُواْ لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡ ﴾ [العنكبوت: ٣٣] فإن زعمتم أن الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - حين قيل لهم هذا كانوا فى معصية - فقد كفرتم، ونقضتم أصلكم فى وجوب العصمة للإمام المعصوم فى زعمكم وهو من غير الأنبياء، فكيف بهم ؟ وإنما قوله عليه الصلاة والسلام: « لا تحزن » وقوله تعالى لأنبيائه، مثل هذا تسكين لإيحاشهم وتيسير لهم وتأنيس، لا على جهة النهى الذى زعموا، ولكن كما قال تعالى ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ

---

(١) المثبت من الروض.

﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾ [فصلت: ٣٠] وهذا القول إنما يقال لهم عند المعاينة، وليس - إذ ذاك - أمر بطاعة ولا نهى عن معصية. فانتبه للصواب أيها العبد الموفق، المأمور بتدبر كتاب الله تعالى، لقوله ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] كيف كان معهما بالمعنى وباللفظ؛ أما المعنى فكان معهما بالنصر والإرشاد والهداية، وأما اللفظ فإن اسم الله تعالى كان يذكر إذا ذكر رسوله وإذا دعى فقيل: يا رسول الله، أو فعل رسول الله، ثم كان لصاحبه أبى بكر كذلك يقال: يا خليفة رسول الله، وفعل خليفة رسول الله، فكان يذكر مع ذكرهما بالرسالة وبالخلافة، ثم ارتفع ذلك فلم يكن لأحد من الخلفاء ولا يكون. انتهى ما قاله السهيلى فى الروض[(١)].

قلت: قوله: « ثم ارتفع ذلك » صحيح؛ لأنه لما ولى عمر- رضى الله عنه - استثقل دعاؤه بـ« يا خليفة خليفة رسول الله » حتى جاء أعرابى فقال: يا أمير المؤمنين، فاستمرت تلك عليه وعلى الخلفاء بعده إلى آخر الدهر. وأما قوله: « ولا يكون » فيه نظر؛ إذ كان يصح فى عمر وعثمان وعلى ذلك المعنى لو قيل، لكنه ترك لما ذكر من الاستثقال والاكتفاء بأمير المؤمنين. والله أعلم.

وحكى الواقدى: أن رسول الله ﷺ لما دخل الغار دعا شجرة كانت أمام الغار، فأقبلت حتى وقفت عند فم الغار؛ فحجبت أعين الكفار. قال السهيلى: وذكر قاسم ابن ثابت فى « الدلائل » فيما شرح من الحديث: أن رسول الله ﷺ لما دخل الغار أنبت الله على بابه الراء. قال عاصم: قال ابن ثابت: وهى شجرة معروفة من أعلاث الشجر، تكون مثل قامة الإنسان، ولها خيطان وزهر أبيض، تحشى منه المخادُّ فيكون كالريش لخفته ولينه.[(٢)] وأخرج البزار: أن الله أمر العنكبوت فنسجت على وجه الراء، وأرسل حمامتين فوقفتا وباضتا فى أسفل النقب، وإن ذلك مما صد المشركين، وأن حمام الحرم من نسل تينك الحمامتين[(٣)]. وفى « المواهب اللدنية »: أخرج أبو نعيم فى الحديث، عن عطاء بن ميسرة، قال: نسجت العنكبوت

---

(١) ينظر: الروض الأنف (٢/ ٢٣٢-٢٣٣).
(٢) ينظر: الروض الأنف (٢/ ٢٣١-٢٣٢).
(٣) ذكره السهيلي في « الروض الأنف » (٢/ ٢٣٢) وعزاه إلى البزار.

مرتين: على داود حين كان يطلبه طالوت، ومرة هذه على النبى ﷺ[١]. انتهى.

قلت: وكذا نسجت على الغار الذى دخله عبد الله بن أنيس لما بعثه النبى ﷺ لقتل سفيان بن خالد بن نبيح الهذلى بـ « عرنة » فقتله ثم احتمل رأسه، ودخل في الغار فنسجت عليه العنكبوت، وجاء الطلب فلم يجدوا شيئًا فانصرفوا راجعين. وفى تاريخ ابن عساكر: أن العنكبوت نسجت - أيضًا - على عورة زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب لما صلب عريانًا فى سنة إحدى وعشرين ومائة فى دولة هشام بن عبد الملك؛ فإنه قتل بالكوفة في المصاف، وكان قد خرج وبايعه خلق كثير، فحاربه نائب العراق يوسف بن عمر، وظفر به فقتله وصلبه عريانًا، وبقى جسده مصلوبًا أربع سنين.

روى أن المشركين كانوا يعلمون محبة رسول الله ﷺ لأبى بكر رضى الله عنه، فذهبوا لطلبه على باب أبى بكر وفيهم أبو جهل، فخرجت إليهم أسماء بنت أبى بكر فقالوا لها: أين أبوك ؟ فقالت: لا أدرى. فرفع أبو جهل يده - وكان فاحشًا خبيثًا - فلطم خدها لطمة خرج منها قرطها وسقط، ثم انصرفوا فوقعوا فى طلبهما.

وفى « الاكتفاء »: فقدت قريش رسول الله ﷺ فلم يجدوه بمكة أعلاها وأسفلها، وبعثوا القافة يتبعون أثره فى كل جهة، فوجد الذى ذهب جهة ثور أثره هناك، فلم يزل يتبعه حتى انقطع لما انتهى إلى ثور، وشق على قريش خروجه عليه الصلاة والسلام، وجزعوا لذلك؛ فطفقوا يطلبونه بأنفسهم فيما قرب منهم، ويرسلون من يطلبه فيما بعد عنهم، وجعلوا مائة بعير لمن رده عليهم. ولما انتهوا إلى فم الغار - وقد كانت العنكبوت ضربت على بابه - قال قائل منهم: ادخلوا الغار، فقال أمية بن خلف: ما أربكم فى الغار ؟ إن عليه لعنكبوتًا أبعد من ميلاد محمد، قيل: فلذلك نهى رسول الله ﷺ عن قتل العنكبوت وقال: إنها جند من جنود الله[٢].

وفى رواية: أقبل فتيان من مشركى قريش، ومعهم قائف من قافة بنى مدلج وهم

(١) ذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٣/ ٢٤٠) وعزاه لأبي نعيم في « الحلية ». وهو في الحلية (٥/ ١٩٧).

(٢) ذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٣/ ٢٤٠) وعزاه لأبي نعيم عن محمد بن إبراهيم التيمي.

المشهورون بالقيافة بين العرب، فالتمسوا أثرهما فقصوه إلى أن دنوا من فم الغار، قال القائف: والله ما جاز مطلوبكم هذا الغار، فعند ذلك حزن أبو بكر، فقال له رسول الله ﷺ: « لا تحزن إن الله معنا » قال: يا رسول الله لو نظر أحدهم إلى قدميه لرآنا. ثم دنا بعضهم فبال فى أسفل النقب، فقال النبى ﷺ: « إن لقريش نخوة، وإنه لو رآك لما كشف سوءته قبلك ». وقال له النبى ﷺ: « ما بالك باثنين الله ثالثهما ».

وفى « معالم التنزيل »: لم يكن حزن أبى بكر جزعًا من الموت، وإنما اشفاقًا على رسول الله ﷺ. قال: إن أقتل فأنا رجل من قريش، وإن قتلتَ هلكت الأمة ولم يعبد الله. فجعلوا يضربون حول الغار يمنة ويسرة ويقولون: لو دخل الغار لانكسر بيض الحمام، وتفسخ نسج العنكبوت. فلما سمع ذلك النبى ﷺ علم أن الله تعالى قد حمى حماهما بالحمام، وصرف عنهما كيدهم بالعنكبوت، أشار إلى ذلك البوصيرى رحمه الله تعالى: [من البسيط]

ظَنُّوا الْحَمَامَ وَظَنُّوا العَنْكَبُوتَ عَلَى ... خَيْرِ البَرِيَّةِ لَمْ تَنْسِجْ ولَمْ تَحُمِ
وِقَايَةُ اللهِ أَغْنَتْ عَنْ مُضَاعَفَةٍ ... مِنَ الدُّروعِ وَعَنْ عَالٍ مِنَ الأُطُمِ

وقال فى همزيته: [من الخفيف]

وَكَفَتْهُ بِنَسْجِهَا عَنْكَبُوتٌ ... مَا كَفَتْهُ الْحَمَامَةُ الحَصْدَاءُ[1]

ولله در القائل: [من الوافر]

ودودُ القَزِّ إنْ نَسَجَتْ حَرِيرًا ... يُجَمِّلُ لُبْسُهُ فِى كُلِّ زِيِّ
فَإن العنكَبُوتَ أَجَلُّ مِنْهَا ... بِمَا نَسَجَتْ عَلَى رَأْسِ النَّبِيِّ

وقد تقدم أن عامر بن فهيرة اتبع أثره حتى يعفى عليه بأظلاف الغنم، فخرج معهما رديف أبى بكر يخدمهما. وعامر بن فهيرة أسلم وكان حسن الإسلام، عذب فى الله فاشتراه أبو بكر فأعتقه، وشهد بدرًا وأحدًا، وقتل يوم بئر معونة، وهو ابن أربعين سنة قتله عامر بن الطفيل. وهو من مولدى الأزد، أسود اللون، ذكر ذلك كله موسى ابن عقبة عن ابن شهاب. وأقاما فى الغار ثلاثة أيام - الجمعة والسبت والأحد - وركبا ليلة الاثنين، ومعهما دليلهما عبد الله بن أريقط، وكان ماهرًا خرّيتًا، فسلك

---

(١) ينظر: سبل الهدى والرشاد (٣/ ٢٤٢) وفيه زيادة عمّا هنا.

بهما أسفل مكة ثم مضى بهما إلى ساحل من عسفان، ثم سلك بهما على أسفل أمج، ثم نزل على قُدَيد حيث خيام أم معبد، عاتكة بنت خالد الخزاعية، من بنى كعب، وكانت بـ « قديد » وفى « معجم ما استعجم »: من قديد إلى المسلك ثلاثة أميال، بينهما خيمة أم معبد، امرأةً برزة جلدة تحتبى بِفناء الخيمة، ومعنى برزة تخرج للناس.

وفى « خلاصة الوفا »: قُديد، كزُبير: قرية جامعة بطريق مكة كثيرة المياه. فنزلوا عندها فسألوها لحمًا وتمرًا ليشتروا منها، فلم يصيبوا عندها شيئًا من ذلك، وكان القوم مرملين مسنتين، فقالت: والله لو كان عندى شاة ما أعوزَكم القرى، فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة فى كسر الخيمة فقال: ما هذه الشاة يا أم معبد ؟ فقالت: خلَّفها الجهد عن الغنم. قال: هل بها من لبن ؟ قالت: هى أجهد من ذلك. فقال لها: أتأذنين لى أن أحلبها ؟ فقالت: بأبى أنت وأمى، إن رأيت بها حلبًا فاحلبها، فدعا بالشاة فاعتقلها، ومسح ضرعها فتفاجت ودرّت، ودعا بإناء يُربض الرهط - أى: يشبع الجماعة - حتى يَربضوا فحلب فيه ثَجًّا حتى علاه البهاء وسقى القوم حتى رووا ثم شرب آخرهم، ثم حلب فيه مرة أخرى، ثم غادره عندها وذهبوا، فقلما لبث حتى جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزًا عجافًا، وكن هزالاً مخهن قليل. واسم أبى معبد قال السهيلى(١): لا يعرف، وقال العسكرى: اسمه أكثم بن أبى الجون. فلما رأى اللبن قال: ما هذا يا أم معبد ؟ أنّى لك هذا ؟ والشاء عازب حيال ؟ ولا حلوبة بالبيت ؟ فقالت: لا والله إلا أنه مر بنا رجل مبارك. فقال: صفيه يا أم معبد. فقالت: رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة، أبلج الوجه، حسن الخلق، لم تعبه نُجْلة، ولم تزرِ به صعلة، وسيم قسيم، فى عينيه دعج، وفى أشفاره وطف، وفى صوته صحل، أحور أكحل، أزجّ أقرن، شديد سواد الشعر، وفى عنقه سطع، وفى لحيته كثاثة، إن صمت فعليه الوقار، وإن تكلم سما به وعلاه البهاء، أكمل الناس وأبهاهم من بعيد، وأحسنهم وأعلاهم من قريب، حلو المنطق فصل، لا نزر ولاهذر، كأن منطقه خرزات نظم ينحدرن. ربعة لا تشنؤه عين من طول، ولا تشنؤه من قصر، غصن بين غصنين، وهو أنضر الثلاثة منظرًا وأحسنهم قدرًا، له رفقاء يحفون به؛ إذا قال

---

(١) ينظر الروض الأنف (٢/ ٢٣٥).

أنصتوا، وإن أمر تبادروا لأمره. محفود محشود، لا عابس ولا مفند.

قال أبو معبد: هذا - والله - صاحب قريش الذى ذكر لنا من أمره ما ذكر بمكة، ولقد هممت أن أصحبه، ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلاً. فخرج أبو معبد فى أثرهم ليسلم، فيقال أدركهم ببطن « دلم » فبايعه وانصرف. وفى « الصفوة »: بلغنا أن أم معبد هاجرت إلى النبى ﷺ وأسلمت.

قال رزين: أقامت قريش أيامًا لا يدرون أين توجه رسول الله ﷺ، وأى طريق سلك، حتى سمعوا بعد ذهابهما بأيام هاتفًا أقبل من أسفل مكة بأبيات يغنى بها غناء العرب عاليا بين السماء والأرض، والناس يسمعون الصوت ويبتغونه ولا يرون صاحبه، حتى خرج من أعلى مكة وهو يقول: [من الطويل]

جَزَى اللهُ رَبُّ النَّاسِ خَيْرَ جَزَائِهِ ... رَفِيقَيْنِ حَلاَّ خَيْمَتَىْ أُمِّ مَعْبَدِ

هُمَا نَزَلاَ بِالبرِّ ثُمَّ تَرَحَّلاَ[1] ... فَأَفْلَحَ مَنْ أَمْسَى رَفِيقَ مُحَمَّدِ

فَمَا حَمَلَتْ مِنْ نَاقَةٍ فَوْقَ رَحْلِهَا ... أَبَرَّ وَأَوْفَى ذِمَّةً مِنْ مُحَمَّدِ

فَيَالَقُصَىٍّ مَا زَوَى اللهُ عَنْكُمُ ... بِهِ مِنْ فِعَالٍ لاَ تُجَارَى وَسُؤْدَدِ

لِيَهْنِ بَنِى كَعْبٍ مَكَانُ فَتَاتِهِمْ ... وَمَقْعَدُهَا لِلْمُؤْمِنِينَ بِمَرْصَدِ

سَلُوا أُخْتَكُمْ عَنْ شَاتِهَا وَإِنَائِهَا ... فَإِنْ أَنْتُمْ تَسْتَشْهِدُوا الشَّاةَ تَشْهَدِ[2]

دَعَاهَا بِشَاةٍ حَائِلٍ فَتَحَلَّبَتْ ... لَهُ بِصَرِيحٍ ضَرَّةُ الشَّاةِ مُزْبِدِ

فَغَادَرَهَا رَهْنًا لَدَيْهَا لِحَالِبٍ ... يُرَدِّدُهَا فِى مَصْدَرٍ ثُمَّ مَوْرِدِ[3]

وقيل: كان الهاتف القائل هذه الأبيات يسمع صوته الجهورى على « أبى قبيس ». ولما سمع هذه الأبيات حسان بن ثابت قال هذه الأبيات: [من الطويل]

لَقَدْ خَابَ قَوْمٌ زَالَ[4] عَنْهُمْ نَبِيُّهُمْ ... وَقَدْ سُرَّ مَنْ يَسْرِى إِلَيْهِمْ وَيَغْتَدِي

تَرَحَّلَ عَنْ قَوْمٍ فَزَالَتْ[5] عُقُولُهُمْ ... وَحَلَّ عَلَى قَوْمٍ بِنُورٍ مُجَدَّدِ

---

(١) في السبل: وارتحلا به.

(٢) في الروض والسبل: فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد.

(٣) تنظر الأبيات في الروض الأنف (٢/ ٢٣٤)، سبل الهدى والرشاد (٣/ ٢٤٦)، ديوان حسان (٥٩).

(٤) في الروض والسبل: غاب.

(٥) في الروض والسبل: فضلت .

هَدَاهُمْ بِهِ بَعْدَ الضَّلاَلَةِ رَبُّهُمْ ... وَأَرْشَدَهُمْ، مَنْ يَتْبَعِ الحَقَّ يَرْشُدِ
وَهَلْ يَسْتَوِي ضُلاَّلُ قَوْمٍ تَسَفَّهُوا ... عَمًى وَهُدَاةٌ يَهْتَدُونَ بِمُهْتَدِي
لَقَدْ نَزَلَتْ مِنْهُ عَلَى أَهْلِ يَثْرِبٍ ... رِكَابُ هُدًى حَلَّتْ عَلَيْهِمْ بِأَسْعُدِ
نَبِيٌّ يَرَى مَا لاَ يَرَى النَّاسُ حَوْلَهُ ... وَيَتْلُو كِتَابَ اللهِ فِي كُلِّ مَشْهَدِ[1]
وَإِنْ قَالَ فِي يَوْمٍ مَقَالَةَ غَائِبٍ ... فَتَصْدِيقُهَا فِي الْيَوْمِ أَوْ فِي ضُحَى الغَدِ
لِيَهْنِ أَبَا بَكْرٍ سَعَادَةُ جَدِّهِ ... بِصُحْبَتِهِ؛ مَنْ يُسْعِدِ اللهُ يَسْعَدِ[2]

ومما يسئل عنه فى هذه القصة أن يقال: هل استمرت هذه البركة فى شاة أم معبد بعد ذلك اليوم، أم عادت إلى حالها الأول؟ ففى الخبر عن هشام بن حبيش الكعبى أنه قال: أنا رأيت تلك الشاة وإنها لتؤدم أم معبد وجميع صرمها، أى أهل ذلك الماء[3]. فقد ظهر أنها استمرت.

ومر ﷺ على تَعْهِن صخرة. وروى: أن امرأة تسكن «تعهن» يقال لها: «أم عقى» فحين مر بها النبى ﷺ استسقاها فلم تسقه، فدعا عليها فمسخت صخرة، فهى تلك الصخرة. ثم مر بعبد يرعى غنمًا فاستسقاه اللبن فقال: ما عندى شاة تحلب، غير أن ههنا عَنَاقًا حملت أول، وما بقى لها لبن، فقال: ادع بها، فاعتقلها ﷺ ومسح ضرعها، ودعا حتى أنزلت، وجاء أبو بكر بمجن فسقى أبا بكر، ثم حلب فسقى الراعى، ثم حلب فشرب، فقال الراعى: من أنت؟ فوالله ما رأيت مثلك. قال: أو تكتم علىّ حتى أخبرك؟ قال: نعم. قال: فإنى محمد رسول الله ﷺ فقال: أنت الذى تزعم قريش أنه صابئ. فقال: إنهم ليقولون ذلك. قال: أشهد أنك نبىٌّ، وأن ما جئت به حق، وأنه لا يفعل ما فعلت إلا نبى، وأنا متبعك. قال: إنك لا تستطيع ذلك يومك، فإذا بلغك أنى قد ظهرت فأتنا.

قال أبو بكر رضى الله عنه: ثم قلت أنى الرحيل - يعنى من المكان الذى نحن به عند الراعى المذكور - فارتحلنا والقوم يطلبوننا، فلم يدركنا أحد منهم إلا سراقة بن مالك المدلجى، فقلت: يا رسول الله، هذا الطلب قد لحقنا. قال: لا تحزن، إن

---

(١) في السبل: مسجد.
(٢) تنظر الأبيات في المصادر السابقة.
(٣) ذكره الصالحي في «سبل الهدى والرشاد» (٣/ ٢٤٥) وعزاه لابن سعد وأبي نعيم.

الله معنا. حتى إذا دنا منَّا، وكان بيننا وبينه قدر رمح أو رمحين أو ثلاثة: قلت: يا رسول الله، هذا الطلب قد لحقنا، فدعا رسول الله ﷺ فقال: الله اكفنا بما شئت فساخت قوائم فرسه إلى صدرها فى أرض صلد، فوثب عنها وقال: يا محمد، قد علمتُ أن هذا عملك، فادع الله أن ينجينى مما أنا فيه، فوالله لأعمين على من ورائى من الطلب، وهذه كنانتى فخذ منها سهمًا: فإنك ستمر بإبلى وغنمى فى موضع كذا وكذا فخذ منها حاجتك. فقال رسول الله ﷺ: لا حاجة لى فيها. فأطلق، فرجع إلى أصحابه وجعل لا يلقى أحدًا إلا قال: كفيتم، ما ههنا. فلا يلقى أحدًا إلا رده. وإن أبا جهل - لعنه الله - لما سمع قصة سراقة أنشأ هذين البيتين: [من الطويل]

بَنِى مُدْلجٍ إِنِّى أَخَافُ سَفِيهَكُمْ ... سُرَاقَةَ يَسْتَغْوِى بِنَصْرِ مُحَمَّدِ

عَلَيْكُمْ بِهِ أَلاَّ يُفَرِّقَ جَمْعَكُمْ ... فَيُصْبِحَ شَتَّى بَعْدَ عِزٍّ وَسُؤْدَدِ

ولما سمع سراقة شعر أبى جهل قال: [من الطويل]

أَبَا حَكَمٍ وَاللهِ لَوْ كُنْتَ شَاهِدًا ... لِأَمْرِ جَوَادِى إِذْ تَسُوخُ قَوائِمُهْ

عَلِمْتَ وَلَمْ تَشْكُكْ بِأَنَّ مُحَمَّدًا ... رَسُول بِبُرْهَانٍ فَمَنْ ذَا يُقَاوِمُهْ

عَلَيْكَ بِكَفِّ القَوْمِ[(١)] عَنْهُ فَإِنَّنِى ... أَرَى أَمْرَهُ يَوْمًا سَتَبْدُو مَعَالِمُهْ

بِأَمْرٍ يَوَدُّ النَّاسُ فِيهِ بِأَسْرِهِمْ ... بِأَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ طُرًّا يُسَالِمُهْ[(٢)]

قال الشيخ فتح الدين محمد بن سيد الناس فى سيرته: سراقة بن مالك بن جُعشم الكنانى يكنى أبا سفيان. روى سفيان بن عيينة عن أبى موسى عن الحسن: أن رسول الله ﷺ قال لسراقة هذا بعد إسلامه وهو بالمدينة: كيف بك إذا لبستَ سوارى كسرى! فلما أتى عمر - رضى الله عنه - بسوارى كسرى ومنطقته وتاجه فى وقعة القادسية، وظفر جنده رضى الله عنه بالغنيمة فأتى بذلك مع ما أتى به إليه، دعا سراقة ابن مالك هذا فألبسه السوارين[(٣)].

وكان سراقة رجلا أزبَّ الذراعين كثير شعرهما، وقال له: ارفع يديك وقل: الله

---

(١) في الدلائل: الناس.

(٢) وجاء هذا البيت في الدلائل هكذا:

بأمرٍ يود النصر فيه بإلبها ... لو انَّ جميع الناس طُرًّا تسالمه

ينظر دلائل النبوة (٢/ ٤٨٩).

(٣) ينظر « الشفاء » (١/ ٦٧٤)، وإتحاف السادة المتقين (٧/ ١٨).

أكبر، الحمد لله الذى سلبهما كسرى بن هرمز الذى كان يقول: أنا رب الناس، وألبسهما سراقة بن مالك بن جعشم أعرابيًا من بنى مدلج. فرفع صوته وقال ذلك. وكان سراقة شاعرًا مجيدًا، وهو الذى قال لأبى جهل: أبا حكم والله لو كنت شاهدًا. . . الأبيات التى ذكرناها.

روى عنه من الصحابة ابن عباس وجابر، وروى عنه سعيد بن المسيب، وابنه محمد بن سراقة، وروى لسراقة البخارى والأربعة، وجاء سراقة إلى النبى ﷺ وقال: يا رسول الله، أرأيت الضالة ترد على حوض إبلى ألى أجرٌ إن سقيتها؟ فقال ﷺ «فى الكبد الحرَّى أجر»[1] وهو السائل عن متعة الحج أللأبد هى[2]؟ توفى سنة أربع وعشرين فى خلافة عثمان رضى الله عنهما، وقيل: فى خلافة على رضى الله عنه وكرم وجهه. انتهى.

وذكر ابن إسحاق: أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه قال فى دخوله الغار مع النبى ﷺ، وسيرهم وطلب سراقة إياهم هذه الأبيات: [من البسيط]

قَالَ النَّبِىُّ وَلَمْ يَجْزَعْ يُوَقِّرُنِى ... وَنَحْنُ فِى سُدْفَةٍ[3] مِنْ ظُلْمَةِ الْغَارِ
لاَ تَخْشَ شَيْئًا فَإِنَّ اللهَ ثَالِثُنَا ... وَقَدْ تَكَفَّلَ لِى مِنْهُ بِإِظْهَارِ
وَإِنَّمَا كَيْدُ مَنْ تَخْشَى بَوَادِرَه ... كَيْدُ الشَّيَاطِينِ كَادَتْهُ لِكُفَّارِ
وَاللهُ مُهْلِكُهُمْ طُرًّا بِمَا كَسَبُوا ... وَجَاعِلُ الْمُنْتَهَى مِنْهُمْ إِلَى النَّارِ
وَأَنْتَ مُرْتَحِلٌ عَنْهُمْ وَتَارِكُهُمْ ... إِمَّا غُدُوًّا[4] وَإِمَّا مُدْلِجٌ سَارِى
وَهَاجِرٌ أَرْضَهُمْ حَتَّى يَكُونَ لَنَا ... قَوْمٌ عَلَيْهِمْ ذَوُو عِزٍّ وَأَنْصَارِ
حَتَّى إِذَا اللَّيْلُ وَارَانَا جَوَانِبُهُ ... وَسُدَّ مِنْ دُونِ مَا يُخْشَى بِأَسْتَارِ
سَارَ الْأُرَيْقِطُ يَهْدِينَا وَأَيْنُقُهُ ... يَنْعَبْنَ بِالْقَوْمِ نَعْبًا[5] تَحْتَ أَكْوَارِ[6]

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٧٥)، وابن ماجه (٣٦٨٦)، والحميدي (٩٠٢)، قال في الزوائد: في إسناده محمد بن إسحاق، وهو مدلس.
(٢) أخرجه النسائي (٥/ ١٧٩)، وابن ماجه (٢٩٧٧).
(٣) سدفة: طائفة من الليل. ترتيب القاموس (سدف).
(٤) في ط: عدو والمثبت من السبل.
(٥) فى ط: يبعثن . . بعثا . والمثبت من السبل؛ ومعناه: تمد أعناقها.
(٦) وبعده في السبل:

يعسفن عُرْضَ الثنايا بعد أَطْوَلها ... وكل سهب رقاق الترب مَوَّار

حَتَّى إِذَا قُلْتُ قَدْ أَنْجذَنَ عَارِضنا … مِنْ مُدْلجٍ فَارِسٌ فِى مَنْصِبٍ وَارِى[١]
فَقَالَ كُرُّوا فَقُلْنَا إِنَّ كَرَّتَنَا … مِنْ دُونِ ذَلِكَ نَصْرُ الخَالِقِ البَارِى
إِنْ يَخْسِفِ اللهُ[٢] بِالأَحْوَى وَفَارِسِهِ … فَانْظُرْ إِلَى أَرْبعٍ فِى الأَرْضِ غُوَّارِ
فَهِيلَ لَمَّا رَأَى أَرْسَاغَ مُهْرَتِهِ … يَرْسُخْنَ فِى الأَرْضِ لَمْ تُحْفَرْ بِمِحْفَارِ
فَقَالَ هَلْ لَكُمُ أَنْ تُطْلِقُوا فَرَسِى … وَتَأْخُذُوا مَوْثِقًا مِنْ[٣] نُصْحِ إِسْرَارِى[٤]
فَادْعُو الَّذِى كَفَّ عَنْكُمْ أَمْرَ غدوَتِنَا … يُطْلِقْ جَوَادِى فَأَنْتُمْ خَيْرُ أَبْرَارِ
فَقَالَ قَوْلاً رَسُولُ اللهِ مُبْتَهِلاً … يَارَبِّ إِنْ كَانَ يَنْوِى غَيْرَ إخفار[٥]
فَنَجِّهِ سَالِمًا مِنْ شَرِّ دَعْوَتِنَا … وَمُهْره مطلق مِنْ كُلِّ آسَارِ
فَأَظْهَرَ اللهُ إِذْ يَدْعُو حَوَافِرَهُ … وَفَازَ فَارِسُهُ مِنْ هَوْلِ أخطار[٦]

قلت: أنكر بعض العلماء نسبة هذا الشعر إلى الصديق رضى الله عنه، وهو كذلك، وأنا أنكره أيضًا؛ لما فيه من الركة والسماجة التى مالها حاجة. قال العارف بالله تعالى محمد بن موسى بن النعمان فى كتابه المسمى: «مصباح الظلام، فى المستغيثين بسيد الأنام، فى اليقظة والمنام»: روينا أن رسول الله ﷺ قال لحسان بن ثابت: أقلت فى أبى بكر شيئًا؟ قال: نعم. قال: قل فأسمع. فقال: [من البسيط]

إِذَا تَذَكَّرْتَ شَجْوًا مِنْ أَخِى ثِقَةٍ … أُذْكُرْ أَخَاكَ أَبَا بَكْرٍ بِمَا فَعَلَا
خَيْرَ البَرِيَّةِ أَتْقَاهَا وَأَعْدَلَهَا … بَعْدَ النَّبِيِّ وَأَوْفَاهَا بِمَا حَمَلَا
والثانِىَ التَّالِىَ المَحْمُود مَشْهَدُهُ … وَأَوَّلَ النَّاسِ حَقًّا صَدَّقَ الرُّسُلَا
وَثَانِى اثْنَيْنِ فِى الغَارِ المُنِيفِ وَقَدْ … طَافَ العَدُوُّ بِهِ إِذْ صَعَّدَ الجَبَلَا
وَكَانَ حِبَّ رَسُولِ اللهِ قَدْ عَلِمُوا … مِنَ البَرِيَّةِ لَمْ يَعْدِلْ بِهِ رَجُلَا

---

(١) وبعده في السبل:
يردي به مشرف الأقطار معتزم … كالسِّيد ذي اللبدة المستأسد الضاري
(٢) في السبل: إن يخسف الأرض.
(٣) في السبل: في.
(٤) وبعده في السبل:
وأصرف الحيَّ عنكم إن لقيتهم … وأن أُعوِّر منهم عين عُوَّار
(٥) في ط: إجمار. والمثبت من السبل.
(٦) ينظر الروض الأنف (٢/ ٢٣٤)، وسبل الهدى والرشاد (٣/ ٢٤٩-٢٥٠).

وخرج بهم على الساحل، ثم أجاز عسفان، ثم عارض الطريق بعد إلى أن أجاز قُديدًا، ثم سلك « الحرار »، ثم أجاز على تثنية « المرة »، ثم سلك مدلجة « لقف »، ثم استبطن مدلجة « مجلح »، ثم بطن « مرجح » من « ذى العصوين »، ثم أجاز « القاحة »، ثم هبط « العرج »، ثم أجاز فى ثنية « العائر » عن يمين ركوبه، ثم هبط « رِئم »، ثم قدم « قباء » من قبل « العالية ».

قال الذهبى: روى البخارى فى صحيحه من حديث الزهرى، عن عروة، عن عائشة، رضى الله عنها قالت: إن المسلمين بالمدينة لما سمعوا بمخرج النبى ﷺ كانوا يغدون إلى « الحرة » ينتظرونه حتى يردهم حرُّ الشمس، فركب بريدة بن الخصيب فى سبعين من بنى أسلم، وقال الزهرى: أخبرنى عروة أن الزبير كان فى ركب تجار بالشام، فقفلوا إلى مكة فعارضوا رسول الله ﷺ وأبا بكر بثياب بياض، فتلقوا رسول الله ﷺ ليلاً فقال له: من أنت ؟ قال: بريدة، فالتفت إلى أبى بكر وقال: برد أمرنا وصلح، ثم قال له: وممن ؟ قال: من أسلم، قال لأبى بكر: سلمنا. ثم قال: ممن ؟ قال من بنى سهم، قال: خرج سهمك؛ فأسلم بريدة والذين معه جميعًا.

فلما أصبحوا قال بريدة للنبى ﷺ: لا تدخل المدينة إلا ومعك لواء، فحل عمامته ثم شدها فى رمح، ثم مشى بين يدى النبى ﷺ، وقال: يا نبى الله، تنزل على مَن ؟ فقال: أنزل على بنى النجار، أخوال جَدِّي عبد المطلب؛ لأكرمهم بذلك، فلما أصبح غدا حيث أمر، فلما كان يوم دخوله جلسوا كما كانوا يجلسون، حتى إذا رجعنا وحميت القائلة، إذا رجل من اليهود أشرف من أطم، فرأى النبى ﷺ، فلم يملك أن صاح: يا بنى قيلة، هذا جدكم قد أقبل، أى: حظكم وسعدكم.

فثار المسلمون إلى السلاح فتلقوه بظهر الحرة، فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل فى بنى عمرو بن عوف على كلثوم بن الهدم، وكان شيخًا صالحًا عابدًا، يوم الاثنين من ربيع الأول، فطفق من لم يعرف النبى ﷺ يسلم على أبى بكر، حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ، فأقبل أبو بكر يظله بردائه، فعرف الناس عند ذلك رسول الله ﷺ. فلبث فى بنى عمرو بن عوف أربعين ليلة، وأسس مسجدهم. أقبل النبى ﷺ مردفًا أبا بكر وهو شيخ، يعنى فيه مبادئ الشمط، والنبى شابٌّ لا يعرف. فيلقى

الرجل أبا بكر فيقول: من هذا بين يديك ؟ فيقول: رجل يهدينى الطريق[1]، وإنما يعنى طريق الخير.

وفى « الوفاء » للعلامة السيد السمهودى رحمه الله: روى رزين عن أنس بن مالك قال: كنت إذ قدم رسول الله ﷺ المدينة ابن تسع سنين، فأسمع الغلمان والولائد يقولون: جاء رسول الله ﷺ وأبو بكر، فمكثا فى حرث فى طرف المدينة.

وفى رواية: فنزلا جانب الحرة. فأرسلا رجلاً من أهل البادية ليؤذن بهما الأنصار، فاستقبلهما زهاء خمسمائة رجل من الأنصار، حتى انتهوا إليهما، فنزل فى بنى عمرو بن عوف بقباء على كلثوم بن الهدم. ولرزين: نزل فى ظل نخلة، ثم انتقل إلى دار كلثوم، وفى رواية: على سعد بن خيثمة. ووجه الجمع بين الروايتين أن أول نزوله كان على كلثوم بن الهدم. ولكن عينوا له مسكنا فى دار سعد بن خيثمة يكون الناس فيه، وذلك لأن سعدًا كان عزبًا لا أهل له، ويسمى منزله منزل الغرباء.

قال المطرزى: وبيت سعد بن خيثمة أحد الدور التى قبلى مسجد قباء، وهى التى تلى المسجد فى قبلته، يدخلها الناس إذا رأوا مسجد قباء ويصلون فيها. وهناك أيضا دار كلثوم بن الهدم. وفى تلك العرصة كان رسول الله ﷺ نازلاً قبل خروجه إلى المدينة، وكذلك أهله عليه الصلاة والسلام، وأهل أبى بكر حين قدموا بعد خروج رسول الله ﷺ من مكة، وهن سودة وعائشة وأمها أم رومان، وأختها أسماء، وهى حامل بعبد الله بن الزبير، فولدت بقباء قبل نزولهم المدينة.

ونزل أبو بكر بالسنح على خبيب بن يساف، أحد بنى الحارث بن الخزرج، وقيل على خارجة بن زيد بن رهم. وعن سعد بن عبد الرحمن بن أبى رقيش عن عبد الرحمن بن زيد بن حارثة قال: نزل رسول الله ﷺ بظهر حرتنا هو وأبو بكر، ثم ركبا فأناخ على عذق عند بئر « غرس » قبل أن تبزغ الشمس. وقوله « عند بئر غرس »: الظاهر أنه تصحيف، ولعله « بئر عذق »؛ لبعد بئر غرس عن منزله ﷺ بقباء بخلاف بئر عذق.

ولما نزل النبى ﷺ وأبو بكر وعامر بن فهيرة على كلثوم قال كلثوم لمولى له: يا نجيح، أطعمنا رطبًا. فلما سمع رسول الله ﷺ بنجيح التفت إلى أبى بكر فقال:

(١) تاريخ الإسلام ص (٣٣٣- السيرة)، وأخرجه البخاري (٣٩١١) نحوه.

أنجحنا. فأتوا بقنو من أم جودان فيه رطب منصف وزهو، فقال: هذا عذق أم جودان. فقال ﷺ: « اللهم بارك فى أم جودان ». وكان لكلثوم بن الهدم مربد، وهو الموضع الذى يبسط فيه التمر لييبس، فأخذ منه ﷺ فأسسه مسجدًا. كذا فى رواية ابن زبالة وغيره.

وفى الصحيح عن عروة[١]: أقام فى بنى عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة، وأسس مسجده الذى أسس على التقوى. وقد اختلف فى المراد بقوله تعالى ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ﴾ [التوبة: ١٠٨] فالجمهور على أن المراد به مسجد قباء، ولا ينافيه قوله ﷺ فى مسجد المدينة: « هو مسجدكم هذا »؛ إذ كل منهما أسس على التقوى.

وعن جابر بن سمرة قال: لما سأل أهل قباء النبى ﷺ أن يبنى لهم مسجدًا قال رسول الله ﷺ: « ليقم بعضكم فليركب الناقة »، فقام أبو بكر فركبها، فحركها فلم تنبعث، فرجع فقعد. فقام عمر فركبها فلم تنبعث، فرجع فقعد. فقال رسول الله ﷺ: « ليقم بعضكم فيركب الناقة » فقام على، فلما وضع رجليه فى غرز الركاب وثبت به، فقال رسول الله ﷺ « أرخ زمامها » فسارت حتى وقفت حيث المسجد اليوم، فقال: « ابتنوا على مدارها فإنها مأمورة »، ثم قال: « يا أهل قباء، ائتونى بأحجار من الحرة ». فجمعت عنده أحجار كثيرة، فخط قبلتهم، فأخذ حجرًا فوضعه، ثم قال: « يا أبا بكر، خذ حجرًا فضعه إلى جنب حجرى »، ثم قال: « يا عمر، خذ حجرًا فضعه إلى جنب حجر أبى بكر » ثم قال: « يا عثمان، خذ حجرًا فضعه إلى جنب حجر عمر »[٢].

وفى الصحيحين عن ابن عمر: كان رسول الله ﷺ يأتى قباء راكبًا أو ماشيا[٣].

وعنه أيضًا: إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: « من صلى فيه كان كعدل

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩٠٦)

(٢) ذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٤/ ١٤) وقال: رواه الطبراني في الكبير، وفيه يحيى بن يعلى الأسلمي وهو ضعيف.

(٣) أخرجه البخاري (٣/ ٦٩)، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة باب من أتى مسجد قباء كل سبت حديث (١١٩٣)، وباب إتيان مسجد قباء ماشيًا وراكبًا حديث (١١٩٤)، ومسلم (٢/ ١٠١٦-١٠١٧) كتاب الحج: باب فضل مسجد قباء حديث (٥١٦/ ١٣٩٩)، ومالك (١/ ١٦٧) كتاب قصر الصلاة في السفر باب العمل في جامع الصلاة حديث (٧١).

عمرة »[1]، وروى ابن زبالة أن النبى ﷺ صلى إلى الأسطوانة الثالثة فى مسجد قباء التى فى الرحبة. وعن سعيد بن عبد الرحمن قال: كان فى موضع الأسطوانة المخلقة الخارجة فى رحبة المسجد. قال ابن رقيشى: حدثنى نافع: أن عمر كان إذا جاء مسجد قباء صلى إلى الأسطوانة المخلقة. يقصد بذلك مسجد النبى ﷺ الأول. وروى ابن زبالة عن عبد الملك بن بكير عن أبى ليلى عن أبيه: أن رسول الله ﷺ صلى فى مسجد قباء إلى الأسطوانة الثالثة فى الرحبة إذا دخلت من الباب الذى بِفناء دار سعد بن خيثمة.

قال السيد السمهودى رحمه الله: الباب المذكور هو المشدود اليوم بظهر رسمه من خارج المسجد من جهة المغرب، وكان شارعًا فى الرواق الذى يلى الرحبة من السقف القبلى، فالأسطوانة الثالثة فى الرحبة هى التى عندها اليوم محراب فى رحبة المسجد؛ لانطباق الوصف المذكور عليها، فهى المرادة بقول الواقدى: كان المسجد فى موضع الأسطوانة المخلقة الخارجة فى رحبة المسجد، وهى التى كان ابن عمر يصلى إليها.

وأقام ﷺ بقباء يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس، ثم أرسل إلى بنى النجار أخوال جده عبد المطلب، فجاءوا متقلدين سيوفهم فسلموا على النبى ﷺ وأبى بكر وقالوا: اركبا آمنين مطاعين، فركبا يوم الجمعة، واجتمعت بنو عمرو بن عوف وقالوا: أخرجتَ ملالاً لنا، أم تريد دارًا خيرًا من دارنا ؟ قال: إنى أمرت بقرية تأكل القرى، فخلوها - أى ناقته - فإنها مأمورة. فسار حتى أدركته الجمعة فى بنى سالم، فصلاها بمن معه فى بطن الوادى وادي « ذى صلت » - وفى سيرة ابن هشام: وادى « رانوناء »، وكانوا أربعين رجلاً وقيل: مائة، وكانت هذه أول جمعة جمعها فى الإسلام حين قدم المدينة. وقيل: إنه كان يصلى الجمعة فى مسجد قباء فى إقامته هناك، على قول من قال: إنها كانت أربعين يومًا، وخطب يومئذ خطبة

---

(١) أخرجه الترمذي (٢/ ١٤٥-١٤٦) كتاب الصلاة باب ماجاء في الصلاة في مسجد قباء حديث (٣٢٤) من حديث أسيد بن ظهير الأنصاري وقال الترمذي: حديث حسن غريب ولا نعرف لأسيد بن ظهير شيئًا يصح غير هذا الحديث، وأخرجه أيضًا الحاكم (١/ ٤٨٧)، والبغوي في « شرح السنة » (٢/ ١٠٩)، وينظر كلام الشيخ أحمد شاكر حول هذا الحديث في سنن الترمذي (٢/ ١٤٦).

بليغة - يعنى فى بنى سالم - وهى أول خطبة خطبها عليه السلام فى الإسلام(١).

وروى عن سعيد بن عبد الرحمن الجمحى أنه بلغه عن خطبة رسول الله ﷺ فى أول جمعة صليت فى المدينة فى بنى سالم بن عوف أنها هى هذه: « الحمد لله أحمده وأستعينه، وأستغفره وأستهديه، وأومن به ولا أكفره، وأعادى من يكفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، أرسل بالهدى والنور والموعظة على فترة من الرسل، وقلة من العلم، وضلالة من الناس، وانقطاع من الزمان، ودنو من الساعة، وقرب من الأجل. من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فقد غوى وفرط، وضل ضلالا بعيدًا.

أوصيكم بتقوى الله فإنه خير ما أوصى به المسلم أخاه أن يحضه على الآخرة، وأن يأمره بتقوى الله، فاحذروا ما حذركم الله من نفسه، ولا أفضل من ذلك ذكر، وإن تقوى الله - لمن عمل بها على وجل ومخافة من ربه - عون صدق على ما تبتغون من أمر الآخرة، ومن يصلح الذى بينه وبين الله من أمره فى السر والعلانية - لا ينوى بذلك إلا وجه الله - يكن له ذخرًا فى عاجل أمره، وذخرًا فيما بعد الموت حين يفتقر المرء إلى مايقدم. وما كان من سوى ذلك يود لو أن بينها وبينه أمدًا بعيدًا، ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد، والذى صدق قوله وأنجز وعده ولا خلف لذلك؛ فإنه يقول: ﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [ق: ٢٩] فاتقوا الله فى عاجل أمركم وآجله فى السر والعلانية؛ فإنه من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرًا، ومن يتق الله فقد فاز فوزًا عظيمًا. وإن تقوى الله تُوَقِّى مقته وعقوبته وسخطه، وتبيض الوجوه، وترضى الرب، وترفع الدرجة.

خذوا بحظكم ولا تفرطوا فى جنب الله؛ فقد علمكم الله كتابه، ونهج لكم سبيله؛ ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين. فأحسنوا كما أحسن إليكم، وعادوا أعداءه، وجاهدوا فى الله حق جهاده، وهو اجتباكم وسماكم المسلمين، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة، ولا قوة إلا بالله. وأكثروا ذكر الله. ثم اعلموا أنه خير من الدنيا وما فيها، واعملوا لما بعد الموت، فإنه من يصلح ما بينه وبين الله يكفيه ما بينه وبين الناس، وذلك بأن الله يقضى الحق على الناس ولا يقضون

(١) ينظر السيرة النبوية (٢/ ١٣٦)، وسبل الهدى والرشاد (٣/ ٣٣١).

عليه، ويملك من الناس ولا يملكون عليه، ولا قوة إلا بالله العلى العظيم »[١].

ثم ركب ﷺ ناقته « القصوى »، والناس عن يمينه وشماله وخلفه، منهم الراكب ومنهم الماشى، فاعترضه الأنصار فلا يمر بدار إلا قالوا: هلمَّ إلى العز والمنعة والثروة. فيقول لهم خيرًا ويدعو لهم ويقول: إنها مأمورة خلوا سبيلها، فمر ببني سالم فقام إليه عتبان بن مالك ونوفل بن عبد الله بن مالك والعجلان، وهو آخذ بزمام راحلته يقول: يا رسول الله، انزل فينا فإن فينا العدة والعدد والحلقة - يعنى السلاح- ونحن أصحاب الفضاء والحدائق والدرك يا رسول الله. كان الرجل من العرب يدخل هذه البحرة خائفًا فيلجأ إلينا فنقول: توقل[٢] حيث شئت. فجعل عليه الصلاة والسلام يبتسم ويقول: خلوا سبيلها؛ فإنها مأمورة[٣].

وقام إليه عبادة بن الصامت ونضلة بن العجلان فجعلا يقولان: يا رسول الله، انزل فينا. فيقول: إنها مأمورة. ثم أخذ عن يمين الطريق حتى جاء بنى « الحبلى » وأراد أن ينزل على عبد الله بن أبىّ بن سلول. فلما رآه وهو عند مزاحم - اسم لأطم- محتبيًا قال عبد الله بن أبىّ: اذهب إلى الذين دعوك فانزل عليهم. فقال سعد ابن عبادة: يا رسول الله، لا تجد فى نفسك من قوله، فقد قدمتَ علينا والخزرج تريد أن تملكه علينا، وإنهم لينظمون له الودع ليتوجوه.

قلت: وهذا عبد الله وهو رأس المنافقين، ورأس أهل الإفك المشار إليه بقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور: ١١] مات على كفره ونفاقه لعنه الله تعالى. ثم قال سعد بن عبادة: ولكن هذه دارى. فمر ببنى ساعدة فقال له المنذر بن عمرو وأبو دجانة: يا رسول الله، إلى العدد والثروة والقوة والجلد، وسعد ابن عبادة يقول: ليس فى قومى أكثر عذقًا ولا أوسع فم بئر مع الثروة والعدد والحلقة. فيقول عليه الصلاة والسلام: بارك الله عليكم. ويقول: يا أبا ثابت، خل سبيلها؛ فإنها مأمورة.

---

(١) أخرجه الطبري في تاريخه (٢/ ٢٥٥)، وذكره الصالحي في سبل الهدى والرشاد (٣/ ٣٣١- ٣٣٢).

(٢) توقَّل: يقال توقل في الجبل: صعد فيه، ويقال: توقل في مصاعد الشرف. ينظر: الوسيط (وقل).

(٣) تقدم تخريجه.

ثم مر ببنى عدى بن النجار أخوال جده عبد المطلب، فقام إليه أبو سليط وصرمة ابن أبى أنيس فقالا: يا رسول الله، نحن أخوالك، هلم إلى العدد والمنعة والقوة مع القرابة، لا تجاوزنا إلى غيرنا، ليس أحد من قومنا أولى بك منا لقرابتنا لك. فقال: خلوا سبيلها، فإنها مأمورة. فسارت حتى استناخت فى موضع المسجد، فلم ينزل عن ظهرها، فقامت ومشت قليلاً وهو ﷺ لا يهيجها. ثم التفتت فكرت راجعة إلى مكانها الأول وبركت به ووضعت جرانها على الأرض، فنزل عنها، فأخذ أبو أيوب الأنصارى رحلها فحمله إلى داره، ونزل النبى ﷺ فى بيت من دار أبى أيوب، ثم دعته الأنصار إلى النزول عليهم فقال ﷺ: « المرء حيث رحله »، فمضت كلمته عليه الصلاة والسلام مثلاً[1].

ولما بركت الناقة خرجن جوارى بنى النجار يضربن الدفوف ويقلن: [من الرجز]

نَحْنُ جَوَارٍ مِنْ بَنِى النَّجَارِ يَا حَبَّذَا مُحَمَّد مِنْ جَارِ

قلت: أبو أيوب اسمه خالد بن يزيد - أو زيد - هو من بنى النجار، أخوال جده عبد المطلب. فقال لهن النبى ﷺ: أتحببننى ؟ قلن: نعم يا رسول الله. قال: والله وأنا أحبكن. قالها ثلاثًا[2].

وعن أفلح مولى أبى أيوب: أن رسول الله ﷺ لما نزل عليه، نزل أسفل وأبو أيوب فى العلو، فانتبه أبو أيوب فبات ليله لم ينم فقال: نمشى فوق رسول الله ﷺ! فتحوّل هو وأهله فى جانب. فلما أصبح ذكر ذلك للنبى ﷺ، فقال عليه الصلاة والسلام: « الأسفل أرفق بى »، فقال أبو أيوب: لا أعلو سقيفة أنت تحتها. فتحول أبو أيوب إلى السفل والنبى ﷺ إلى العلو[3]، وأقام ﷺ فى دار أبى أيوب سبعة أشهر بتقديم السين.

قال فى « الروض الأنف »: منزل أبى أيوب الذى نزل فيه رسول الله ﷺ تصير بعده إلى أفلح مولى أبى أيوب، فاشتراه منه - بعد ما خرب وتثلمت حيطانه -

(١) ينظر « السيرة النبوية » (٢/ ١٣٦-١٣٨).
(٢) ذكره الصالحي في سبل الهدى والرشاد (٣/ ٢٧٤)، وعزاه للحاكم وأبي سعد النيسابوري. وينظر: البداية والنهاية (٣/ ٢٠٠).
(٣) أخرجه ابن إسحاق في « السيرة » (٢/ ١٤٠-١٤١) حدثني يزيد بن أبي حبيب عن مرثد بن عبد الله اليزني عن أبي رهم السماعي عن أبي أيوب به.

المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بألف دينار بحيلة احتالها عليه المغيرة، ثم أصلح المغيرة ما وهى من البيت، وتصدق [به] على أهل بيت من فقراء المدينة، فكان بعد ذلك أفلح يقول للمغيرة: خدعتنى، فيقول له المغيرة: لا أفلح من ندم[(١)]. انتهى.

وهى فى شرقى المسجد المقدس. ثم بيعت فاشتراها الملك المظفر لشهاب الدين غازى، ابن الملك العادل، سيف الدين بن أبى بكر بن شادى مع عرصة الدار، وبناها مدرسة للمذاهب الأربعة تعرف اليوم بـ « مدرسة الشهابية ». ومن إيوان قاعتها الصغرى خزانة صغيرة جدًا، مما يلى القبلة فيها محراب يقال إنه مبرك ناقته ﷺ، وذلك على رواية أنها بركت عند دار أبى أيوب رضى الله عنه.

قال ابن إسحاق: إن هذا البيت بناه تُبَّع الأول لما مر بالمدينة للنبى ﷺ ينزله إذا قدم المدينة، فتداول البيت الملاك إلى أن صار إلى أبى أيوب، وهو من ذرية الحبر الذى أسلمه تبع كتابه للنبى ﷺ، فلم يزل ساكنًا عند أبى أيوب حتى بنى مسجده وحجرة فى المربد[(٢)].

قال فى « المواهب »: لما أراد النبى ﷺ بناء المسجد الشريف قال: يا بنى النجار، ثامنونى بحائطكم. قالوا: لا نطلب ثمنه إلا إلى الله تعالى، فأبى ذلك وابتاعه بعشرة دنانير أداها من مال أبى بكر. قال أنس: وكان فى مواضع نخل وخرب ومقابر مشركين، فأمر بالقبور فنبشت وأخرج منها العظام، وبالخرب فسويت، وبالنخل فقطعت، ثم أمر باتخاذ اللبن فاتخذه وبنى المسجد، وسقفه بالجريد، وجعلت عمده خشب النخل، صف النخل، فنصب فى قبلة المسجد، أى: جعله سوارى فى جهة القبلة ليسقف عليها، وجعل عضادتيه حجارة، وجعل قبلة المسجد المقدس، وجعل له ثلاثة أبواب: بابًا فى آخره يقال له: باب الرحمة، والباب الذى يدخل منه، وجعل طوله مما يلى القبلة إلى مؤخره مائة ذراع، وفى الجانبين مثل ذلك أو دونه، وجعل أساسه قريبًا من ثلاثة أذرع، وبنى بيوتًا إلى جانبه باللبن، وسقفها بجذوع النخل والجريد. فلما فرغ من بنائه بنى لعائشة فى البيت

(١) ينظر الروض الأنف (٢/ ٢٤٩).
(٢) ينظر السيرة النبوية (٢/ ١٤٠).

الذى يليه شارعًا إلى المسجد، وجعل سودة بنة زمعة فى البيت الآخر الذى يليه، أى: الباب الذى يلى آل عثمان. ثم تحول من دار أبى أيوب إلى مساكنه التى بناها.

قال البلاذرى: نزل رسول الله ﷺ عند أبى أيوب، ووهبت له الأنصار كل فضل كان فى خططها، وقالوا: خذ منا منازلنا. فقال لهم خيرًا. وكان أبو أمامة أسعد بن زرارة يجمع بمن يليه فى مسجد له، فكان عليه الصلاة والسلام يصلى بهم فيه، ثم إنه سأل أسعد أن يبيعه أرضًا متصلة بذلك المسجد، وهى مربد التمر، كانت فى يده ليتيمين فى حجره يقال لهما: سهل وسهيل، ابنى رافع بن عمرو بن عائذ بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار، وكان مسجد أسعد الذى بناه جدارًا مجدرًا ليس عليه سقف، وقبلته إلى القدس(١).

وعن أم سلمة رضى الله عنها قالت: بنى رسول الله ﷺ مسجده فضرب اللبن وعجن الطين وقرب ما يحتاجون إليه، فقام عليه الصلاة والسلام فوضع رداءه، فلما رأى ذلك المهاجرون والأنصار وضعوا أرديتهم وجعلوا يرتجزون فيقولون: [من الرجز]

لَئِنْ قَعَدْنَا وَالنَّبِيُّ يَعْمَلُ ... ذَاكَ إِذَنْ لَعَمَلٌ مُضَلَّلُ(٢)

قال فى المواهب: وروينا أنه ﷺ كان ينقل معهم اللبن فى ثيابه ويقول وهو ينقل: [من الوسيط]

هَذَا الحِمَالُ لاَ حِمَالُ خَيْبَرْ ... هَذَا أَبَر ربنَا وأَطْهَرْ

اللهمَّ إِنَّ العَيْشَ عَيْشُ الآخِرَهْ ... فَارْحَمِ الأَنْصَارَ وَالمُهَاجِرَهْ

قال: قال ابن شهاب: ولم يبلغنا أن رسول الله ﷺ تكلم ببيت شعر غير هذا. وقيل: إن الممتنع عليه إنشاء الشعر لا إنشاده. ولا دليل على منع إنشاده متمثلاً. وقوله « هذا الحمال » هو بالحاء المهملة، أى: المحمول من اللبن، أبر عند الله من حمال خيبر، أى الذى يحمل منها من التمر والزبيب ونحو ذلك. وفى رواية المستملى بالجيم. انتهى.

وعن الزهرى: وكان عثمان بن مظعون رجلاً متنظفًا، فكان يحمل اللبنة فى ثوبه، فإذا وضعها نفض كمه ونظر إلى ثوبه، فإن أصابه شىء من التراب نفضه، فنظر إليه

---

(١) ينظر أنساب الأشراف (١/٢٦٦،٢٧٦) بمعناه.

(٢) ذكره الصالحي في سبل الهدى والرشاد (٣/٣٣٦) وعزاه لمحمد بن الحسن المخزومي.

على بن أبى طالب فأنشأ يقول: [من الرجز]

لاَ يَسْتَوِى مَنْ يَعْمُرُ المَسَاجِدَا يَدْأَبُ فِيهَا قَائِمَا وَقَاعِدَا
وَمَنْ يُرَى عَنِ التُّرَابِ حَائِدَا

فسمعها عمار بن ياسر فجعل يرتجز بها وهو لا يدرى من يعنى بها، فمر بعثمان ابن مظعون، فقال له: يابن سمية بمن تعرّض وتشتمه، لتكفن أو لأعترضن بها وجهك - لحديدة كانت بيده - فسمعه النبى ﷺ وهو جالس فى ظل بيت أم سلمة فغضب، ثم قال الصحابة لعمار: إن النبى ﷺ قد غضب فيك، ونخاف أن ينزل فينا قرآن، فقال: أنا أرضيه كما غضب. فقال: يا رسول الله، مالى ولأصحابك، قال: مالك ولهم ؟ قال: يريدون قتلى؛ يحملون لبنة لبنة ويحملون عليَّ اللبنتين والثلاث. فأخذ بيده فطاف به فى المسجد، وجعل يمسح وفرته بيده من التراب ويقول: يابن سمية لا يقتلك أصحابى، ولكن تقتلك الفئة الباغية[(١)] وقال ابن إسحاق: وسألت غير واحد من أهل العلم بما يشعر عن هذا الرجز، يعنى قوله « لا يستوى . . . إلى آخره .

فقالوا: بلغنا أن على بن أبى طالب ارتجز به، فلا ندرى أهو قائله أم غيره[(٢)]، وإنما قال علىّ ذلك مطايبة ومباسطة كما هى عادة الجماعة إذا اجتمعوا على عمل، وليس ذلك طعنًا منه على عثمان بن مظعون.

وفى الصحيح: كنا نحمل لبنة لبنة وعمار لبنتين لبنتين، فقال عليه الصلاة والسلام: « ويح عمار تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار » فيقول عمار: أعوذ بالله من الفتن[(٣)]. فقتل عمار فى حرب معاوية بصفين تحت راية على، رضى الله عنه وكرم وجهه.

وعن أسامة عن أبيه قال: كان الذين أسسوا المسجد جعلوا طوله مائة ذراع والعرض مثله أو دونه[(٤)] كما تقدم ذكر ذلك. وروى رزين عن جعفر بن محمد عن

---

(١) ينظر سبل الهدي والرشاد (٣/ ٣٣٦)، والسيرة النبوية (٢/ ١٣٩).
(٢) ينظر السيرة النبوية (٢/ ١٣٩).
(٣) أخرجه البيهقي في « الدلائل » (٢/ ٥٤٦) وأصله عند مسلم رقم (٢٩١٥)، والترمذي (٣٨٠٠).
(٤) ذكره الصالحي في سبل الهدى وعزاه إلى يحيى بن الحسن، وينظر سبل الهدى والرشاد (٣/ ٣٣٨).

أبيه، قال: بناء مسجده عليه الصلاة والسلام لبنة لبنة ثم بالسعيدة لبنة ونصف أخرى، ثم كثروا فقالوا: يا رسول الله، لو زيد فيه، ففعل، فبنى بالذكر والأنثى، وهما لبنتان مختلفتان. وقال: رفعوا أساسه قريبًا من ثلاثة أذرع بالحجارة ولم يسطح، فشكوا الحر، فجعلوا خشبه وسواريه جذوعًا، وظللوه بالجريد ثم بالخصف، فلما وكف عليهم المطر طينوا عليه بالطين. وكان جداره قبل أن يظلل قامة وشيئًا، وجعل وسطه رحبة. وبنى بيتين لزوجتيه عائشة وسودة على نعت بناء المسجد من لبن وجريد، وكان باب عائشة مواجه الشام، وكان بمصراع واحد من عرعر أو ساج.

ولما تزوج عليه الصلاة والسلام أزواجه بنى لهن حجرًا وهن تسعة أبيات. قال أهل السير: ضرب عليه الصلاة والسلام بيوتهن ما بين بيت عائشة وبين القبلة والشرق إلى الشام، ولم يضربها فى غربيه، وكانت خارجة من المسجد مديرة به، إلا من المغرب فكانت أبوابها شارعة فى المسجد. وعن محمد بن هلال: أدركت بيوت أزواجه عليه الصلاة والسلام من جريد، مستورة بمسوح الشعر، مستطيرة إلى القبلة والشرق والشام، ليس فى غربى المسجد منها شيء.

وفى « دلائل النبوة »: قال محمد بن عمر: كانت لحارثة بن النعمان منازل قرب المسجد وحوله، فلما أحدث عليه الصلاة والسلام أهلاً تحول له حارثة عن منزله، حتى صارت كلها لرسول الله ﷺ. وكان فى المسجد موضع مظلل تأوى إليه المساكين يسمى « الصُّفَّة »، وكان عليه الصلاة والسلام يدعوهم بالليل فيفرقهم على أصحابه، وتتعشى طائفة منهم معه عليه الصلاة والسلام.

قال الحافظ الذهبى: إن القبلة - قبل أن يحول استقبال بيت المقدس إلى الكعبة- كانت فى شمالى المسجد، فلما حولت القبلة إلى الكعبة بقى حائط المسجد الأول مكان أهل الصفة. وقال الحافظ ابن حجر: الصُّفَّةُ مكانٌ مؤخَرَ المسجد، مظلل، أعد لنزول الغرباء ومن لا مأوى له، فكانوا يكثرون فيه تارة ويقلون أخرى، بحسب من يتزوج منهم أو يموت أو يسافر.

وقد سرد أسماءهم أبو نُعيم فى كتابه المسمى بـ « الحلية » فزادوا على المائة.

وكان المسجد على هذه الهيئة فى عهد رسول الله ﷺ وأبى بكر، فزاد فيه عمر بن

الخطاب مائتى ذراع من جهة الشام فقط سنة ١٧ فوسعه، ولم يغير شيئًا؛ بل بناه على ما بنى فى عهد رسول الله ﷺ باللبن والجريد، ثم وسعه عثمان، ثم وسعه عمر ابن عبد العزيز بأمر الوليد سنة ٩٣، ثم زاد فيه المهدى مائة ذراع من جهة الشام فقط سنة ١٦١، ثم جدده المأمون وزاد فيه وذلك سنة. . . .، ثم الملك الأشرف قايتباى عمارة لا غير سنة ٨٨٨، وإلى يومنا هذا بناؤه، كما سيأتى إن شاء الله تعالى.

ويقال: إنه ﷺ لم يقم فى قباء إلا أربعة عشر يومًا وقيل: ثمانية عشر، ولحقه بها بعد ثلاث علىّ بن أبى طالب، وكان قد تخلف عنه بمكة لرد ودائع وأمانات كانت للناس عند رسول الله ﷺ، وفاطمة بنت أسد والدته، وفاطمة ابنة عمه حمزة، رضوان الله عليهم أجمعين.

* * *

الباب الثالِث
من المقصد الثاني
فى ذكر أعمامه - عليه الصلاة والسلام - وأولادهم، وعماته وأولادهن.

قال العلامة ابن الجوزى فى « التلقيح »[(١)]: كان عليه الصلاة والسلام له اثنا عشر عمًّا بنو عبد المطلب، أبوه عبد الله ثالث عشرهم: عبد الله، أبو طالب، الزبير، حمزة، حَجْل، المقوَّم، العوام، ضِرار، العباس، الحارث، قُثم، أبو لهب، مصعب. وقيل: نوفل الملقب بالغيداق. وقال العلامة شمس الدين عبد الدائم بن شرف الدين موسى العسقلانى البرماوى رحمه الله: اثنا عشر فعدهم: الحارث أول أولاد عبد المطلب وبه كان يكنى فيقال: يا أبا الحارث، وأبو طالب، والزبير، وعبد الكعبة، والمقوم، وحَجْل - واسمه المغيرة - والغيداق، وقُثم مات صغيرًا، وضِرار، وأبو لهب - واسمه عبد العزى - وحمزة، والعباس، وهما اللذان أسلما من أعمامه.

وقال العلامة الطبرى فى كتابه « ذخائر العقبى، فى مناقب ذوى القربى »: أولاد عبد المطلب ثلاثة عشر: عبد الله والد رسول الله ﷺ، والحارث، وأبو طالب واسمه عبد مناف، والزبير، وحمزة، وأبو لهب واسمه عبد العزى، والغيداق، والمقوم، وضرار، والعباس، وقثم، وعبد الكعبة، وجحل بتقديم الجيم وهو السقاء الضخم. وقال الدارقطنى: بتقديم الحاء مكسورة قبل الجيم الساكنة، وهو القيد والخلخال، ويسمى المغيرة. وقيل: كانوا اثنى عشر فأسقط المقوم، وقيل: هو لقب عبد الكعبة. وقيل: كانوا أحد عشر فأسقط الغيداق وحجل، وقيل: عشرة، وقيل: تسعة، كلهم ماتوا قبل البعثة إلا أربعة: أبو طالب وأبو لهب والحمزة والعباس، أسلم الأخيران بلا خلاف واختلف فى إسلام أول الأولين. وست عمات: البيضاء بنت عبد المطلب تكنى بأم حكيم، ودرة، وعاتكة، وأروَى، وأمية، وصفية. وسيأتى ذكرهن وذكر من ولدن، بعد ذكر الذكور من أبنائه وأبنائهم قريبًا[(٢)].

---

(١) ينظر: تلقيح فهوم أهل الأثر (١٥-١٧). وفي عبارة ابن الجوزي اختلاف، وينظر: زاد المعاد (١/ ١٠٤).

(٢) وينظر التلقيح (١٨)، وزاد المعاد (١/ ١٠٤-١٠٥).

ولنذكر أعمامه جميعًا، ونبدأ بتقديم حمزة والعباس على غيرهما، وإن كان أكبر كالحارث بن عبد المطلب، فإنه - كما تقدم - أكبر أولاد عبد المطلب، لأن الإسلام قدمهما فنقول: أما حمزة فأمه هالة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة، أسلم فى السنة الثانية من البعث بعد دخوله عليه الصلاة والسلام دار الأرقم، وقبل إسلام عمر رضى الله عنه بثلاثة أيام، وكان أعز فتى فى قريش وأشده شكيمة، فعزَّ به رسول الله ﷺ، وكفت عنه قريش قليلًا من أذاها، فقال حين أسلم هذه الأبيات: [من الوافر]

حَمِدتُ اللهَ حينَ هَدَى فُؤَادِى ... إِلَى الْإِسْلَامِ وَالدِّينِ الْحَنِيفِ
لِدِينٍ جَاءَ مِنْ رَبٍّ عَزِيزٍ ... خَبِيرٍ بِالْعِبَادِ بِهِمْ لَطِيفِ
إِذَا تُلِيَتْ رَسَائِلُهُ عَلَيْنَا ... تَحَدَّرَ دَمْعُ ذِى اللبِّ الْحَصِيفِ
رَسَائِلُ جَاءَ أَحْمَدُ منْ هدَاهَا ... بِآيَاتٍ مُبَيَّنَةِ الحُرُوفِ
وَأَحْمَدُ مُصْطَفًى فِينَا مُطَاعٌ ... فَلَا تَغْشُوهُ بِالْقَلْبِ الْعَنِيفِ[1]
فَلَا واللهِ نُسْلِمُهُ لِقَوْمٍ ... وَلَمَّا نَقْضِ فِيهِمْ بِالسُّيُوفِ[2]

وشهد بدرًا وقتل بها شيبة بن ربيعة مبارزة. وأول راية عقدها النبى ﷺ كانت لحمزة فى أول سرية بعثها؛ أرسله يعترض عيرًا لقريش فيها أبو جهل بن هشام، فلما تصافُّوا حجز بينهم مجدى بن عمرو الجهنى، كما سيأتى ذكر ذلك فى باب: الحوادث من سنة هجرته إلى وفاته ﷺ. وقال عليه الصلاة والسلام: « خير أعمامى حمزة » رواه الحافظ الدمشقى.

وقصة سبب إسلامه ذكرها صاحب « تاريخ الخميس » وغيره، وهى أنه ﷺ كان جالسًا عند الصفا، فمر به أبو جهل - لعنه الله - فشتمه وآذاه، وقال فيه ما يكره من

(١) في السبل: فلا تغسوه بالقول الضعيف. وتغشوه: يقال: غشيه بالسوط، أي: ضربه، ولعل المعنى: لا تؤذوه. ترتيب القاموس (غشو).

(٢) ينظر الشعر في سبل الهدى والرشاد (٢/ ٣٣٣)، والروض الأنف (٢/ ٤٩، ٥٠). وزاد بعد هذه الأبيات في السبل (٢/ ٣٣٣):

ونترك منهم قتلى بقاع ... عليها الطير كالورد العُكُوف
وقد خُبِّرْتَ ما صنعت ثقيف ... به فجزى القبائل من ثقيف
إله الناس شرَّ جزاءِ قومٍ ... ولا أسقاهُمُ صوب الخريف

العيب لدينه والتضعيف لأمره، فلم يكلمه رسول الله ﷺ، ومولاة لعبد الله بن جُدعان القرشى التيمى فى مسكن لها تسمع ذلك، ثم انصرف أبو جهل عنه فعمد إلى نادى قريش عند الكعبة فجلس معهم، فلم يلبث حمزة بن عبد المطلب أن أقبل متوشحًا قوسه راجعًا من قنصه، وكان إذا رجع من قنصه لم يصل إلى أهله حتى يطوف بالكعبة، وكان إذا فعل ذلك لا يمر على نادٍ من أندية قريش إلا وقف وسلم. فلما مر بالمولاة - وقد رجع رسول الله ﷺ إلى بيته - قالت له: يا أبا عمارة، لو رأيت اليوم ما لقى ابن أخيك من أبى الحكم بن هشام؛ وجده فآذاه وسبه، وبلغ به ما يكره، ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد. فاحتمل حمزة الغضب لما أراد الله تعالى به من كرامته، فخرج يسعى لم يقف على أحد مُغذًا لأبى جهل أن يوقع به فعلاً.

فلما دخل المسجد نظر إليه جالسًا فى القوم، فأقبل نحوه حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها فشجه شجة عظيمة فقال: أتشتمه وأنا على دينه، أقول ما يقول ؟ فاردد علىَّ ذلك إن استطعت، فقامت رجال من بنى مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل، فقال أبو جهل: دعوا أبا عمارة، فإنى والله سببت ابن أخيه سبًّا قبيحًا. وتم حمزة على إسلامه ومتابعة النبى ﷺ. فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد عزَّ وامتنع، وأن حمزة سيمنعه، فكفُّوا عن بعض ما كانوا ينالون منه ﷺ، وأنشد حمزة تلك الأبيات السابقة[1].

وكان إسلام حمزة يوم ضُرب أبو بكر، وذلك أن أصحاب رسول الله ﷺ لما اجتمعوا فى دار الأرقم وكانوا تسعة وثلاثين رجلاً، ألحَّ أبو بكر على رسول الله ﷺ فى الظهور، فقال: يا أبا بكر، إنا قليل، فلم يزل يلحُّ عليه حتى ظهر رسول الله ﷺ فى نواحى المسجد، وقام أبو بكر فى الناس خطيبًا ورسول الله ﷺ جالس، وكان أول خطيب دعا إلى الله تعالى وإلى رسوله، فثار المشركون على أبى بكر وعلى المسلمين يضربونهم فى نواحى المسجد ضربًا شديدًا ووُطىء أبو بكر وضرب ضربًا شديدًا، ودنا منه عتبة بن ربيعة وأدخل إصبعه فى عينه، وجعل يضربه بنعلين مخصوفتين ويحرفهما بوجهه، وأثر ذلك على وجه أبى بكر رضى الله عنه حتى صار لا يعرف.

(١) ينظر: السيرة النبوية (١/ ٣٢١-٣٢٢)، شرح المواهب (١/ ٢٥٥)، تاريخ الإسلام (٢/ ١٧٠)، عيون الأثر (١/ ١٠٤)، سبل الهدى والرشاد (٢/ ٣٣٢-٣٣٣).

وجاءت بنو تيم تتعادى، فأجلوا المشركين عن أبى بكر، وحمل أبو بكر فى ثوب حتى أدخلوه بيته ولا يشكون فى موته، فرجعت بنو تيم فدخلوا المسجد وقالوا: والله لئن قتل أبو بكر لنقتلن عتبة بن ربيعة، ورجعوا إلى أبى بكر، وجعل أبوه أبو قحافة وبنو تيم يكلمون أبا بكر حتى أجابهم آخر النهار فقال: ما فعل برسول الله ﷺ؟ فقالوا لأم الخير: انظرى تطعمينه شيئًا أو تسقينه إياه. فلما خلت به وألحت عليه جعل يقول: ما فعل برسول الله ﷺ ؟ قالت: والله مالى علم بصاحبك. قال: فاذهبى إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه، فخرجت حتى جاءت إلى أم جميل فقالت: إن أبا بكر يسأل عن محمد ﷺ، قالت: ما أعرف أبا بكر ولا محمدًا، وإن تحبى أن أمضى معك إلى ابنك. فقالت: نعم. فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعًا دنفًا، فرنت أم جميل وأعلنت بالصياح، وقالت: إن قومًا نالوا منك هذا لأهل فسق، وإنى لأرجو أن ينقم الله لك.

قال: ما فعل رسول الله ﷺ ؟ قالت: هذه أمك تسمع، قالت: هو صالح سالم. قال: فأنى هو ؟ قالت: فى دار الأرقم. قال: فإن لله على ألا أذوق طعامًا ولا شرابًا أو آتى رسول الله ﷺ. فأمهلنا حتى هدأت الرجل، وسكن الناس، خرجنا به يتكىء حتى أدخلناه على النبى ﷺ. فأكب عليه فقبله وأكب عليه المسلمون، ورقَّ رسول الله ﷺ عليه رقة شديدة. فقال أبو بكر رضى الله عنه: بأبى أنت وأمى، ليس بى إلا ما نال الفاسق من وجهى، وهذه امرأة برة بولدها، وأنت مبارك فادعها إلى الله تعالى، وادع لها عسى أن يستنقذها الله بك من النار، فدعا لها رسول الله ﷺ ودعاها إلى الله عز وجل فأسلمت.

وأقاموا على رسول الله ﷺ شهرًا وهم تسعة وثلاثون رجلاً، فأسلم حمزة ذلك اليوم ورجع[1]، وكان له من الولد ذكران وأنثى: عمارة وبه يكنى، ويَعلى. وكان - أيضًا - يكنى به قليلاً ولم يعقبا، والأنثى: فاطمة، تزوجها عمرو بن سلمة المخزومى، ربيبه عليه الصلاة والسلام، ابن أم سلمة زوجته عليه الصلاة والسلام، وأمها زينب بنت عميس، أخت أسماء بنت عميس واستشهد حمزة رضى الله عنه فى

---

(١) ذكر هذه القصة بطولها الصالحي في « سبل الهدي والرشاد » (٢/ ٣١٩-٣٢٠) وعزاه إلى أبي الحسن سليمان بن خيثمة الأطرابلسي عن عائشة.

وقعة أحد؛ قتله وحشى، غلام لجبير بن مطعم بن عدى، وعده العتق على قتله حمزة عم النبى ﷺ بعمه طعمة بن عدى، فقتله غيلة لا مبارزة.

وعن سعيد بن المسيب كان يقول: « كنت أعجب لقاتل حمزة؛ كيف ينجو حتى أنه مات غريقًا فى الخمر » رواه الدارقطنى على شرط الشيخين. وقال ابن هشام: بلغنى أن وحشيًّا لم يزل يُحد فى الخمر حتى خلع من الديوان. وكان عمر يقول لقد علمت أن الله لم يكن ليدع قاتل حمزة[١]. ولما رأى ﷺ حمزة قتيلاً بكى، فلما رأى ما مثل به شهق. وذلك أن هند ابنة عتبة بن ربيعة لما قتل أباها وعمها وأخاها: أبو عبيدة بن الحارث وحمزة وعلى مبارزة لم تزل هى والنسوة اللاتى كن معها يوم أحد يجدعن آناف القتلى وآذانهم، ونظمت من ذلك أساور ومخانق وخلاخل، وأعطت أساورها ومخانقها وخلاخلها لوحشى، ثم عمدت إلى بطن حمزة فشقتها وأخرجت كبده فلاكتها، فلم تستطع سيغها فلفظتها، ثم علت على صخرة مشرفة ثم أنشدت: [من الرجز]

نَـحْـنُ جَـزَيْـنَـاكُـمْ بِـيَـوْمِ بَـدْرِ وَالحَرْبُ بَعْدَ الحَرْبِ ذَاتُ سُعْرِ
مَا كَانَ عَنْ عُتْبَةَ لِى مِنْ صَبْرِ وَلاَ أَخِـى وَعَـمِّـهِ وَبِـكْـرِى
[شَفَيت نَفْسِى وَقضيت نَذْرى][٢] شَفَيْتَ وَحْشِيُّ غَلِيلَ صَدْرِى
فَشُكْر وَحْشِيٌّ عَلَىَّ عمري حَتَّى ترمَّ أَعظُمِي فى قَبْرِى

فأجابتها هند بنت أثاثة بن عباد بن المطلب فقالت: [من الرجز]

خُزِيتِ فِى بَدْرٍ وبعد[٣] بَدْرِ يَا ابْنَةَ وَقَّاعٍ عَظِيمِ الْكُفْرِ
صَبَّحكِ اللهُ غَدَاةَ الْفَجْرِ فِى الهاشِمِّيِينَ الطِّوَالِ الغُرِّ
بِكُلِّ قَطَّاعٍ حُسَامٍ يَفْرِى حَمْزَةُ لَيْثِى وَعَلِىٌّ صَقْرِى
إِذْ رَامَ شَيْبٌ وَأَبُوكِ غَدْرِى فَخَضَّبَا مِنْهُ ضَوَاحِى النَّحْرِ
وَنَذْرُكِ السُّوءُ فَشَرُّ نَذْرِ

(١) ينظر: السيرة النبوية (٣/ ٣٦). ينظر: السيرة النبوية (٣/ ٥٣-٥٤)، وأسد الغابة (٥/ ٥٥٩)، والاستيعاب (٤/ ٤٢٢)، ونهاية الأرب (١٧/ ١٠١)، والروض الأنف (٣/ ١٦٩).
(٢) المثبت من الروض.
(٣) في ط: ويوم. والمثبت من الروض.

وقد ذكرها ﷺ بذلك حين أسلمت وبايعت يوم فتح مكة فقال: أنت هند ؟ فبايعته بيعة النساء المشار إليها فى الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [الممتحنة : ١٢] إلى آخر الآية كما تقدم ذكر جميع ذلك. وعن أبى هريرة: وقف عليه الصلاة والسلام على حمزة وقد قتل ومثل به، فلم ينظر منظرًا كان أوجع لقلبه منه. رواه أبو عمرو وصاحب الصفوة[(١)].

وعن ابن شاذان من حديث ابن مسعود: ما رأينا رسول الله ﷺ باكيًا قط أشد من بكائه على عمه حمزة بن عبد المطلب، وضعه فى القبلة ثم وقف على جنازته، وانتحب حتى نشغ من البكاء يقول: يا حمزة، يا عم رسول الله وأسد رسول الله، يا حمزة يا فاعل الخيرات، يا حمزة يا كاشف الكربات، يا ذابًا عن وجه رسول الله- والنشغ: الشهيق - حتى بلغ به الغشى. ثم قال: لئن أمكننى الله تعالى لأمثلن بسبعين من قريش. فأنزل الله تعالى عليه آخر سورة النحل ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ﴾ [النحل: ١٢٦] إلى آخر السورة. فقال ﷺ: اللهم إنى أصبر وأحتسب عندك مصيبتى.

وقوله تعالى فى الآية ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾ [النمل : ٧٠] قيل: لاتحزن على هؤلاء القتلى؛ فإنهم شهداء الدارين، أو: لا تحزن على عدم إيمان قريش؛ فيكون الضمير لهم، قيل: وهو الأولى؛ لأنه هو الذى يقتضيه ما بعده وهو ﴿ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ [النمل : ٧٠] لعدم تفرق الضميرين على الثانى دون الأول. قاله بعض محشى البيضاوى.

وصلى عليه فكبر سبعين تكبيرة، رواه البغوى فى معجمه. وقد روى أنس بن مالك: أن شهداء أحد لم يغسلوا، ودفنوا بدمائهم، ولم يصل عليهم[(٢)]، أخرجه

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/ ٩)، والبزار (٢/ ٣٢٦-٣٢٧) رقم (١٧٩٥)، والحاكم (٣/ ١٩٧)، والبيهقي في « الدلائل » (٣/ ٢٨٨) عن أبي هريرة. وقال الهيثمي في « المجمع » (٦/ ١٢٢): رواه البزار والطبراني وفيه صالح بن بشير المري وهو ضعيف. وذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٤/ ٢٥٥) وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن مردويه. وعزاه الحافظ أيضا في الإصابة (٢/ ١٠٦) إلى الغيلانيات.

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ١٢٨)، وعبد بن حميد (١١٦٤)، وأبو داود (٣١٣٦)، والترمذي (١٠١٦) من طريق الزهري عن أنس مطولاً، وأخرجه أبو داود (٣١٣٥) من نفس الطريق مختصرًا.

أحمد وأبو داود، فيحمل أمر حمزة على التخصيص.

وكان سن حمزة يوم قتل تسعًا وخمسين سنة، ودفن هو وابن أخته عبد الله بن جحش فى قبر واحد فى سفح أحد حيث الوقعة، رضى الله عنه، وكان له من الولد عمارة، أمه خولة بنت قيس بن فهر النجارى، ويعلى. قال مصعب: لم يعقب واحد منهما، ولم يحفظ عن أحد منهما رواية. وولد ليعلى خمسة رجال وماتوا عن غير عقب. وابنة اسمها فاطمة - وقيل اسمها أمامة - من زينب بنت عميس الخثعمية، تزوجها عمر بن أبى سلمة، عبد الله بن عبد الأسد المخزومى، ربيب رسول الله ﷺ، ابن زوجته أم سلمة، وهى التى اختصم فى حضانتها على وجعفر وزيد: فقال على: ابنة عمى، وقال جعفر: ابنة عمى كذلك، وقال زيد: ابنة أخى، فقضى بها رسول الله ﷺ لخالتها وقال: الخالة بمنزلة الأم[1]، وفيه دلالة على أن من نكحت

---

(١) حديث البراء بن عازب أخرجه البخاري (٥/ ٣٥٧)كتاب الصلح باب كيف يكتب: « هذا ما صالح فلان بن فلان ...» (٢٦٩٩). وأطرافه في البخاري (١٧٨١، ١٨٤٤، ٢٦٩٨، ٢٧٠٠، ٣١٨٤، ٤٢٥١)، والبيهقي (٨/ ٥)كتاب النفقات باب الخالة أحق بالحضانة من العصبة، وقال: رواه البخاري في الصحيح عن عبيد الله بن موسى هكذا عن عبيد الله بن موسى عن إسرائيل مدرجًا. وقد ورد الحديث عن على بن أبي طالب وأبي مسعود البدري وأبي هريرة ومحمد بن علي بن الحسين بن على وابن شهاب مرسلاً. أما حديث على بن أبي طالب فقد رواه أحمد (١/ ٩٨-٩٩) حدثنا يحيى بن آدم ثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن هانئ بن هانئ وهبيرة بن يريم عن علي رضي الله عنه قال: لما خرجنا... فذكر الحديث بطوله. وعزاه الزيلعي في « نصب الراية » (٣/ ٢٦٧) لإسحاق ابن راهويه في مسنده بالإسناد المذكور عند أحمد، وأبو داود في السنن (١/ ٦٩٤) كتاب الطلاق باب من أحق بالولد (٢٢٨٠)، والترمذي والخطيب في « تاريخ بغداد » (٤/ ١٤٠)، وعزاه الألباني في الإرواء (٧/ ٢٤٧) للطحاوي في المشكل (٤/ ١٧٣-١٧٤)، والحاكم (٢/ ١٢٠) وقال: « صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي، ورواه في موضع آخر مختصرًا (٤/ ٣٤٤) وقال: « صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي والبيهقي (٨/ ٦) كتاب النفقات باب الخالة أحق بالحضانة من العصبة، وأما حديث أبي مسعود قال الزيلعي في « نصب الراية » (٣/ ٢٦٧) رواه الطبراني في « معجمه » حدثنا أبو الشيخ محمد بن الحسن الأصبهاني وأحمد بن زهير التستري قالا: ثنا محمد بن حرب النسائي ثنا يحيى بن عباد ثنا قيس بن الربيع عن أبي حصين عن خالد بن سعد عن أبي مسعود قال: قال رسول الله « (الخالة والدة » قال الهيثمي في « المجمع » (٤/ ٣٢٣) « وفيه قيس ابن الربيع، وثقه شعبة والثوري وضعفه جماعة، وبقية رجاله ثقات » أمّا حديث أبي هريرة فأخرجه العقيلي في « الضعفاء » (٤٧٢) في ترجمة السمتي قال: حدثنا أبو هريرة المدني عن مجاهد عن أبي هريرة قال رسول الله (: « الخالة والدة » وأعله بيوسف هذا ووصفه =

لا يسقط حقها من الحضانة. وعن على: قلت لرسول الله ﷺ: ألا تتزوج ابنة حمزة؛ فإنها أحسن فتاة فى قريش ؟ فقال: « أليس قد علمتَ أنها ابنة أخى من الرضاعة، وأن الله عز وجل قد حرم بالرضاعة ما حرم من النسب »[١] أخرجه البغوى فى معجمه. انتهى

وأما العباس بن عبد المطلب وكنيته أبو الفضل، فأمه نثلة ويقال نثيلة بنت جنَّاب ابن كلب بفتح الجيم وتشديد النون بن النمر بن قاسط، ويقال: إنها أول عربية كست البيت بالديباج. وسبب الكسوة أن العباس ضل وهو صبى، فنذرت إن وجدته لتكسون البيت. وكان العباس جميلاً وسيمًا أبيض، له ضفيرتان، معتدلاً، وقيل: كان طوالاً.

ولد قبل الفيل بثلاث سنين، وكان أسنّ من النبى ﷺ بسنتين أو ثلاث، وكان رئيسًا فى قومه، وإليه عمارة المسجد الحرام. وكان مع النبى ﷺ يوم العقبة يعقد له البيعة على الأنصار، وكان عليه الصلاة والسلام يثق به فى أمره كله، ولما شدوا وثاقه فى أسرى بدر سهر ﷺ فى تلك الليلة، فقيل ما يسهرك يا رسول الله ؟ قال: أنين العباس. فقام رجل فأرخى من وثاقه، وفعل ذلك بالأسارى كلهم[٢]، ذكره أبو عمر وصاحب الصفوة.

وقيل: كان يكتم إسلامه، وخرج مع المشركين يوم بدر فقال عليه الصلاة والسلام: من لقى منكم العباس فلا يقتله، فإنه خرج مستكرهًا[٣]. فأسره كعب بن

= بالكذب وقال: لا يتابع عليه أمَّا حديث جعفر بن محمد بن على بن الحسين عن أبيه مرسلاً فأخرجه ابن سعد في الطبقات (٤/ ٣٥-٣٦) قال الألباني في الإرواء: « إسناده مرسل صحيح » أما حديث الزهري بلاغًا أن رسول الله ﷺ قال: العم أب إذا لم يكن دونه أب والخالة والدة إذا لم يكن دونها أم » قال الزيلعي في « نصب الراية » (٣/ ٢٦٨) رواه ابن المبارك في « البر والصلة » بسنده عن الزهري وقال الألباني في الإرواء (٦/ ١٤٤) « وقد رأيته في كتاب الجامع لعبد الله بن وهب شيخ الإمام أحمد عن ابن شهاب بلاغًا ». اهـ. وهو ضعيف.

(١) أخرجه البخاري (٢٦٤٥، ٥١٠٠)، ومسلم (١١/ ١٤٤٦).

(٢) ينظر: الاستيعاب (١٣٨٦)، وأسد الغابة (٢٧٩٩)، والإصابة (٤٥٢٥).

(٣) أخرجه الحاكم (٣/ ٢٢٣) وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه قلت: وفيه محمد بن إسحاق ولم يحتج به مسلم إنما روى له في الشواهد والمتابعات ثم هو مدلس ولم يصرح بالتحديث والله أعلم.

عمرو، ففادى نفسه ورجع إلى مكة. ورروى من حديث أبى اليسر: أنه أسر العباس. وقيل للعباس - وكان جسيمًا - كيف أسرك وهو دميم الخلقة، ولو شئت لجعلته فى كفك؟ فقال: ما هو إلا أن لقينى فظهر فى عينى كالخندمة[(١)]. انتهى. قلت: الخندمة، بالخاء المعجمة: جبل من جبال مكة معروف، قاله فى القاموس[(٢)].

وأخرج ابن إسحاق من حديث ابن عباس أنه ﷺ قال: يا عباس، افد نفسك وابنى أخيك - عقيل بن أبى طالب ونوفل بن الحارث - وحليفك عقبة بن عمرو. وقال: إني كنت مسلمًا ولكن القوم استكرهونى. قال ﷺ: الله أعلم بما تقول، إن يك ما تقول حقًّا فإن الله يجزيك، ولكن ظاهر أمرك أنك كنت علينا[(٣)]. وذكر موسى ابن عقبة: أن فداءهم كان أربعين أوقية ذهبًا[(٤)]. وفى رواية من حديث ابن عباس: أنه جعل على العباس مائة أوقية[(٥)]، وعلى عقيل ثمانين. فقال العباس: القرابة صنعت هذا. فأنزل الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٧٠] فقال العباس بعد ذلك: وددت لو كنت أخذ منى أضعافها لقوله تعالى ﴿يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ﴾.

وكان العباس - فيما قاله أهل العلم بالتاريخ - قد أسلم قديمًا وكان يكتم إسلامه. وقيل: إنه أسلم يوم بدر. وسبب إسلامه أنه خرج لبدر بعشرين أوقية من ذهب ليطعم بها المشركين، فأخذت منه فى الحرب، فكلم النبى ﷺ أن يحسب العشرين أوقية من فدائه، فأبى عليه الصلاة والسلام وقال: أما شىء خرجت تعين به علينا فلا نتركه كذلك. فقال العباس: تركتنى فقيرًا أتكفَّفُ الناس. وفى رواية: قريشًا. فقال عليه الصلاة والسلام: فأين الذهب الذى دفنته أنت وأم الفضل تحت رجل السرير وقت خروجك من مكة؟ فقال العباس: وما يدريك؟ قال: أخبرنى

---

(١) أخرجه البزار (٢/ ٣٢٠) رقم (١٧٨٠) من طريق على بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس به، وقال الهيثمي في «المجمع» (٦/ ٨٨): رواه الطبراني والبزار وفيه على ابن زيد وهو سيئ الحفظ وبقية رجاله وثقوا.

(٢) ينظر ترتيب القاموس (خندم) (٢/ ١١٦).

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٣٥٣)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٧/ ٣٢-تهذيب) من طريق محمد بن إسحاق، وينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٤/ ٩).

(٤) ينظر: دلائل النبوة (٣/ ١٤٢).

(٥) ينظر: دلائل النبوة (٣/ ١٤١).

ربى. فقال العباس: أشهد أنك صادق؛ فإن هذا لم يطلع عليه إلا الله، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك عبده ورسوله ثم أقبل إلى المدينة مهاجرًا، فاستقبل النبيَّ ﷺ يوم الفتح بالأبواء، وكان أبو اليسر معه فى فتح مكة وبه ختمت الهجرة(١).

وقال عمرو: أسلم قبل فتح خيبر، وكان يكتم إسلامه ويسرُّه ما يفتح الله به على المسلمين، وأظهر إسلامه يوم فتح مكة، وشهد حنينا والطائف وتبوك. ويقال - أيضًا -: إن إسلامه كان قبل بدر أيضًا، وكان يكتب بأخبار المشركين إلى رسول الله ﷺ، وكان المسلمون يثقون به، وكان يحب القدوم على رسول الله ﷺ، فكتب إليه ﷺ: إن مقامك بمكة خير لك. وذكر السهيلى فى « الفضائل »: أن أبا رافع لما بشر النبى ﷺ بإسلام العباس أعتقه(٢).

خبر أبى رافع: اسمه أسلم. وقال ابن معين: اسمه إبراهيم. وقيل هرمز. كان عبدًا قبطيًا فوهب للنبى ﷺ، فأعتقه لما بشره بإسلام العباس، فكان مولى رسول الله ﷺ. ولما قدم أبو سفيان بن الحارث من بدر إلى مكة سأله أبو لهب - وكان قد تخلف عن الخروج إلى الحرابة فلم يشهد بدرًا - عن خبر قريش فقال له أبو سفيان: ما هو إلا أن لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاءوا، ويأسروننا كيف شاءوا. وايم الله مع ذلك ما لمت الناس، لقينا رجالاً بيضًا على خيلٍ بلقٍ بين السماء والأرض، والله لا يقوم لها شىء. قيل: وكان جلوسهما للمحادثة بهذا الأمر عند خباء العباس جنب زمزم. قال: فلما سمع ذلك أبو رافع وكان فى الخباء ينحت أقداحًا له، قال: وكان الإسلام قد دخلنا، فرفعت طرف الخباء فقلت: والله تلك الملائكة. فرفع أبو لهب يده فضربنى فى وجهى، ثم احتملنى فضرب بى الأرض. فقامت أم الفضل إلى عمود فضربت به رأس أبى لهب، وقالت: استنقصته أن غاب عنه سيده : ! فقام منكسرًا، فوالله ما عاش سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة، وهى قرحة كانت العرب تتشاءم بها، وأنها تعدى أشد العدوى؛ فتباعد عنه بنوه حتى قتله الله بها، وبقى بعد موته ثلاثًا لا تقرب جنازته ولا تدفن. فلما خافوا السبة فى تركه حفروا له ثم دفعوه بعود فى حفرته، ثم قذفوا عليه بالحجارة من بعيد، كذا. ورواه

(١) روى هذا بنحوه عن عائشة -رضي الله عنها- ذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٣/ ٣٦٩)، وعزاه للحاكم والبيهقي.

(٢) ينظر: الروض الأنف (٣/ ٦٦).

كذا فى « الروض الأنف » [١]. قلت: فى حفظى عن كبار مشايخى أن محل الحفرة التى ألقى فيها أبو لهب هى الآن محطة العجم من سوق « المعلاة ». والله أعلم.

وكان عليه الصلاة والسلام يكرم العباس بعد إسلامه ويعظمه، ووصفه ﷺ فقال: أجود الناس وأحناهم عليهم. رواه الفضائلى. فى معجم البغوى: « العباس عمى، وصنو أبى، من آذاه فقد آذانى »[٢]. وذكر السهيلى فى « الفضائل »: أن العباس أتى النبى ﷺ، فلما رآه قام إليه وقبل بين عينيه ثم قال: « هذا عمى، فمن شاء فَلْيُبَاهِ بعمه » فقال العباس: نعم القول يا رسول الله قلت. قال « ولم لا أقول هذا وأنت عمى، وصنو أبى وبقية آبائى، ووارثى خير من أخلف من أهلى »[٣].

وقال عليه الصلاة والسلام: يا عم، لا ترم منزلك أنت وبنوك غدًا حتى آتيكم فإن لى فيكم حاجة. فلما أتاهم اشتمل عليهم بملاءة ثم قال: يا رب، هذا عمى وصنو أبى، وهؤلاء أهل بيتى، فاسترهم من الناس كسترى إياهم بملاءتى هذه قال: فأمّنت أسكفة الباب وحوائط البيت. رواه ابن غيلان والسهمى، ورواه ابن السرى، ورواه الترمذى من حديث ابن عباس بلفظ: فألبسنا كساء ثم قال: « اللهم اغفر للعباس وولده مغفرة ظاهرة وباطنة لا تغادر ذنبا. اللهم احفظه وولده »[٤] وقال: حسن غريب.

وعن ابن عبد الباقى من حديث أبى هريرة: « اللهم اغفر للعباس وولد العباس ولمن أحبهم »[٥]. وروى البغوى أنه ﷺ قال: « لك ياعم من الله حتى ترضى »[٦]

---

(١) أخرجه ابن إسحاق في « السيرة النبوية » (٢/ ٢٨٨) حدثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس عن عكرمة مولى ابن عباس به وينظر: الروض الأنف (٣/ ٦٦-٦٧)، وتاريخ الطبري (٢/ ٤٦٢)، وعيون الأثر (١/ ٢٦٦ - ٢٦٧).

(٢) ذكره بهذا اللفظ الهندي في « كنز العمال » (٣٣٤٠٢) وعزاه لابن عساكر عن عطاء الخراساني مرسلاً.

(٣) ذكره الهندي في « كنز العمال » (٣٣٣٨٦) وعزاه إلى ابن عساكر عن على.

(٤) أخرجه الترمذي (٥/ ٦٥٣) كتاب المناقب باب مناقب العباس بن عبد المطلب -رضي الله عنه- حديث (٣٧٦٢)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

(٥) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (١٠/ ٣٩) وابن عساكر (٧/ ٢٣٩-تهذيب) من حديث أبي هريرة وذكره الهندي في « كنز العمال » (٣٣٤٤٦) وعزاه إليهما.

(٦) أخرجه الحاكم (٣/ ٣٢٥) وصححه وتعقبه الذهبي وأخرجه ابن عساكر (٧/ ٢٤٣-تهذيب) من طريق محمد بن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه عن جده. وذكره الهندي في « كنز العمال » (٣٣٤٤٥) وعزاه لابن عدي وابن عساكر عن سعيد بن المسيب مرسلاً ولابن عساكر عن محمد بن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه عن جده.

وروى السهمى فى « الفضائل »: أنه ﷺ قال: يا عباس، إن الله عز وجل غير معذبك ولا أحدًا من ولدك[١] !

وفى المناقب للإمام أحمد - رضى الله عنه - أن العباس قال: كنت عند النبى ﷺ ذات ليلة قال: هل ترى فى السماء ؟ قلت: نعم، قلت: الثريا. قال: أما إنه يلى هذه الأمة بعددها من صلبك[٢]. وروى السهمى من حديث ابن عباس أنه ﷺ قال: ألا أبشرك يا عم ؟ قلت: بلى، بأبى أنت وأمى. فقال عليه الصلاة والسلام: إن من ذريتك الأصفياء، ومن عترتك الخلفاء[٣].

ومن حديث أبى هريرة: « فيكم النبوة والمملكة»[٤] ومن حديث ابن عباس أنه ﷺ قال: « يا أبا بكر، هذا العباس قد أقبل وعليه ثياب بيض، وسيلبس ولده من بعده السواد »[٥] وعن جابر بن عبد الله: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « ليكونن من ولد العباس ملوك يكونون أمراء أمتى يعز الله بهم الدين »[٦]. قال الحافظ

(١) لم أجده بهذا اللفظ، وعند المتقي الهندي في كنز العمال (٣٣٤٤١) نحوه، ولفظه: « اللهم استر العباس وولد العباس من النار ».

(٢) أخرجه الحاكم (٣/ ٣٢٦) من طريق يحيى بن معين ثنا عبيد بن أبي قرة ثنا الليث بن سعد عن أبي قبيل عن أبي ميسرة مولى العباس عن العباس به، وقال الحاكم: تفرد به عبيد بن أبي قرة عن الليث وإمامنا أبو زكريا رحمه الله لو لم يرضه لما حدث عنه بمثل هذا الحديث. وتعقبه الذهبي فقال: لم يصح هذا. وزاد نسبته المتقي الهندي في « الكنز » (٣٣٤٢٩) لأحمد والطبراني وابن عساكر.

(٣) ذكره الهندي في « كنز العمال » (٣٣٤٢٠) وعزاه إلى الرافعي عن ابن عباس، نحوه. والعترة: نسل الرجل ورهطه وعشيرته. ينظر: الوسيط (عتر).

(٤) ذكره الهندي في « كنز العمال » (٣٣٤٣٣) وعزاه إلى ابن عساكر عن أبي هريرة بلفظ: الخلافة فيكم والنبوة. وأخرجه ابن الجوزي في « العلل المتناهية » (٤٦٨) من حديث أبي هريرة وقال: تفرد به ابن شبيب، قال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به وكان فضلك الرازي يحل ضرب عنقه، وقد تعقبه الحافظ في « اللسان » (٣/ ٣٠٠) بأن ابن شبيب لم ينفرد به.

(٥) لم أجده بهذا اللفظ، وانظر الأحاديث التي تقدمت في معناه.

(٦) أخرجه الدارقطني في « الأفراد » كما في « الجامع الصغير » (٢/ ١٣٨)، ومن طريقه ابن الجوزي في « العلل المتناهية » (١/ ٢٨٨-٢٨٩) رقم (٤٦٧) من طريق عمر بن راشد ثنا عبد الله بن محمد بن صالح مولى التوءمة عن أبيه عن عمرو بن دينار عن جابر. قال الدارقطني: تفرد به عبد الله بن محمد ولم يرو عنه إلا عمر وقال ابن الجوزي: وأما محمد ابن صالح فقال ابن حبان: يروي المناكير عن المشاهير لا يجوز الاحتجاج بأفراده. وأما عمر بن راشد، فقال أحمد بن حنبل: لا يساوي حديثه شيئاً. وقال ابن حبان: لا يحل ذكره إلا على سبيل القدح يضع الحديث.

أبو الحسن الدارقطنى: هذا حديث غريب من حديث عمرو بن دينار عن جابر خرجه الأصفهانى.

وتوفى رضى الله عنه فى خلافة عثمان قبل مقتله بسنتين بالمدينة الشريفة يوم الجمعة لاثنتى عشرة - وقيل: لأربع عشرة - ليلة خلت من رجب، وقيل: من رمضان سنة اثنتين، وقيل: ثلاث وثلاثين من الهجرة، بعد أن كف بصره وهو ابن ثمان وثمانين سنة، أدرك منها فى الإسلام اثنتين وثلاثين، ودفن بالبقيع، ودخل قبره ابنه عبد الله بن العباس، رضى الله عنهما.

وفى البخارى: لما رجع رسول الله ﷺ من غزوة تبوك فدنا من المدينة الشريفة قال: « إن بالمدينة أقوامًا ما سرتم مسيرًا ولا قطعتم واديًا إلا كانوا معكم، حبسهم العذر»[(١)] وهذا يؤيد معنى ما روى: « نية المرء خير من عمله »[(٢)] فإن نية هؤلاء أبلغ من أعمالهم؛ فإنها بلغت بهم مبلغ أولئك العاملين بأبدانهم، وهم على فرشهم فى بيوتهم، فالمسابقة إلى الله وإلى الدرجات العلى بالنيات والهمم لا بمجرد الأعمال. ولما أشرف عليه الصلاة والسلام على المدينة قال: هذه طابة، وهذا أحد، جبلٌ يحبنا ونحبه[(٣)].

ولما دخل قال العباس: يا رسول الله قد امتدحتك فائذن لى. قال: قل لا يفضض الله فاك. فقال: [من المنسرح]

مِنْ قَبْلِهَا طِبْتَ فى الظِّلَالِ وَفِى ... مُسْتَوْدَعٍ حَيْثُ يُخْصَفُ الوَرَقُ

ثُمَّ هَبَطْتَ البِلَادَ لاَ بَشَرٌ ... أَنْتَ وَلاَ مُضْغَةٌ وَلاَ عَلَقُ

بَلْ نُطْفَةٌ تَرْكَبُ السَّفِينَ وَقَدْ ... أَلْجَمَ نَسْرًا وَأَهْلَهُ الغَرَقُ

تُنْقَلُ مِنْ صَالِبٍ إِلَى رَحِمٍ ... إِذَا مَضَى عَالَمٌ بَدَا طَبَقُ

---

(١) أخرجه مسلم (٣/ ١٥١٨) كتاب الإمارة باب ثواب من حبسه عن الغزو مرض أو عذر آخر حديث (١٥٩/ ١٩١١)، وأحمد (٣/ ٣٠٠، ٣٤١)، وابن ماجه (٢٧٦٥)، وعبد بن حميد (١٠٢٧، ١٠٥٧) من حديث جابر بن عبد الله. وأخرجه البخاري (٤٤٢١) من حديث أنس.

(٢) أخرجه الطبراني في « الكبير » (٦/ ٢٢٨) رقم (٥٩٤٢) من حديث سهل بن سعد. وقال الهيثمي في « المجمع » (١/ ٦٤): رجاله موثقون إلا حاتم بن عبادة بن دينار لم أر من ذكر له ترجمة.

(٣) أخرجه البخاري (٨/ ٤٦٨-٤٦٩) كتاب المغازي باب (٨٢) حديث (٤٤٢٢) من حديث أبي حميد.

حَتَّى احْتَوَى بَيْتكَ المُهَيْمِن مِنْ خِنْدِف عَلْيَاءَ دُونَهَا النُّطُقُ
وَرَدت نَارَ الْخَلِيلِ مُكْتتِمًا فِى صُلْبِهِ أَنْتَ كَيْفَ يَحْتَرِقُ
وَأَنْتَ لَمَّا وُلِدتَّ أَشْرَقَت الْـ أَرْضُ وَضَاءَتْ بِنُورِكَ[1] الأُفُقُ
فَنَحْنُ فِى ذَلِكَ الضِّيَاءِ وَفِى النـ نور وَسُبْلِ الرَّشَادِ نَخْتَرِقُ
وَعَالِيًا قَدْرُكَ الرَّفِيعُ وَفِى مَغْنَاكَ حَسْنَا يُميلُهَا النَّسَقُ
قَدًّا تـثَـنِّـيكَ والقَوَام إذًا غُصْنًا رَطِيبًا قَوَامُكَ الرَّشِقُ
وَوَجْهُكَ البَدْرُ إِذْ يُضِيءُ وَمِنْ شَعْرٍ لَكَ اللَّيْل يحلكُ الغَسَقُ
أَضَاءَ مِنْكَ الْوُجُودُ نُورَ سَنًا وَفَاحَ مِسْكًا نَسِيمُكَ الْعَبِقُ[2]

قوله « من قبلها » إضمار قبل الذكر لظهور المعنى، وهو وارد فى كلامهم كثيرًا، والمراد بها الدنيا أو الأرض، أى: كنت طيبًا فى صلب آدم حيث كان فى الجنة. وقوله: « تركب السفين » يريد به: حال كونه فى صلب أبيه نوح؛ فإنه الراكب السفين. وقوله « ألجم نسرًا » يريد به: الذى كان يعبده قوم نوح. و« النُّطُق »: جمع نطاق، وهى أعراض من جبال بعضها فوق بعض، أى: نواحى وأوساط منها، شبهت بالنطق التى تشد فى الأوساط، ضربه مثلاً فى ارتفاعه وتوسطه فى عشيرته، وجعلهم تحته بمنزلة أوساط الجبال. قوله « حتى احتوى بيتك » أراد به: شرفه ومجده ﷺ الشاهد على فضله، أى: احتوى أعلى مكان من نسب خندف؛ إشارة إلى القبيلة. وهذا الاسم - أعنى خِندِف - لزوجة إلياس بن مضر، واسمها سلمى بنت عمران بن الحاف بن قضاعة، وله قصة تقدمت، سميت القبيلة بها فقيل « خندف » ومنها ما هنا. انتهى.

وكان له من الذكور تسعة، وقيل: عشرة، ومن الإناث ثلاث: الفضل وبه كان يكنى، وعبد الله، وعبيد الله، وعبد الرحمن، وقُثَم، ومَعبد، وأم حبيب. والثانية والثالثة: صفية، وأمينة من أمَةٍ. وأم هؤلاء - ماعدا صفية وأمينة - لبابة الكبرى،

---

(١) في ط: بنورها. والمثبت من المستدرك، ولعله الأصوب.
(٢) أخرجه الحاكم (٣/٣٢٦-٣٢٧)، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (١/ ٣٦٤) من حديث خريم بن أوس بن حارثة، وقال الحاكم: هذا حديث تفرد به رواته الأعراب عن آبائهم وأمثالهم من الرواة لا يضعون، ووافقه الذهبي.

الهلالية، أخت ميمونة زوج النبى ﷺ، روى أنها أول امرأة أسلمت بعد خديجة[١]. وكثير وتمام شقيقان أمهما أم ولد، والحارث بمفرده من أم هذلية، وعون هو العاشر على الرواية الثانية. وروى صبيح ومسهر ولم يتابع عليهما ابن الكلبى قُتِلَ هذا الحارث سنة ثلاث عشرة من الهجرة، وقيل: مات فى طاعون «عمواس»، وهو أول طاعون فى الإسلام بالشام سنة ثمان عشرة فى خلافة عمر، وقيل: قتل يوم اليرموك فى خلافة أبى بكر، رضى الله عنه.

أما الفضل بن العباس فكان أكبر أولاد العباس وبه كان يكنى، لم يزل اسمه جاهليةً وإسلامًا، وكان أجمل الناس وجها. ولما دفع عليه الصلاة والسلام من مزدلفة إلى منى أردفه فمر ظعن يجرين، فجعل الفضل ينظر إليهن، فوضع رسول الله ﷺ يده على وجه الفضل، فحول الفضل وجهه إلى الشق الآخر، فحول النبى ﷺ يده إلى الشق الآخر[٢]. أخرجه مسلم. وفى رواية غيره: قال العباس: لويتَ عنق ابن عمك يا رسول الله. قال: رأيت شابًا وشابة فلم آمن الشيطان عليهما[٣].

شهد الفضل فتح مكة، وغزا حنينًا وثبت يومئذ، وشهد حجة الوداع. وهو الذى كان يصب الماء فى غسل رسول الله ﷺ فى رواية، وعلىّ يغسله[٤]. استشهد بـ«أجنادين»، بلد من نواحى دمشق، فى وقعة بين المسلمين والروم، أميرها عمرو ابن العاص وأبو عبيدة ويزيد بن أبى سفيان وشرحبيل بن حسنة، كل منهم على طائفة. وقيل: بطاعون عمواس. ولم يخلف غير ابنة تزوجها بعد الحسن بن على أبو موسى الأشعرى فولدت له موسى، ومات عنها فتزوجها عمر بن طلحة بن عبيد الله. ويقال: خلفت أيضًا ابنًا اسمه عبد الله، ولم يثبت ذلك. انتهى.

وأما عبد الله فهو الحبر، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، وحنكه رسول الله ﷺ

---

(١) وهو قول ابن سعد، وينظر الاستيعاب (٣٦٥٤)، وأسد الغابة (٧٥٦٦)، والإصابة (١٢٢٠٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢/ ٨٨٦-٨٩٢) كتاب الحج باب حجة النبي ﷺ حديث (١٤٧/ ١٢١٨) من حديث جابر.

(٣) أخرجه الترمذي (٣/ ٢٢٣-٢٢٤) كتاب الحج باب ماجاء أن عرفة كلها موقف حديث (٨٨٥) من حديث على بن أبي طالب. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) ينظر: تلخيص الحبير (٢/ ٢١٥-٢١٦)، وعزاه الحافظ ابن حجر لأحمد، من حديث ابن عباس، وقال: وفي إسناده حسين بن عبد الله وهو ضعيف.

بريقه، ودعا له: « اللهم بارك فيه وانشر منه - أو أكثر - وعلمه الحكمة »[١] وسماه « ترجمان القرآن »[٢]. وروى أنه قال: توفى رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين، وقيل: وأنا ابن خمس عشرة. وكان طويلاً، أبيض مشربًا بالشقرة، جسيمًا وسيمًا صبيح الوجه[٣]، شهد مع على الجمل وصفين والنهروان، وقالت أمه: لما وضعته أتيت به النبى ﷺ، فأذَّن فى أذنه اليمنى، وأقام فى أذنه اليسرى، وحنكه من ريقه، وسماه عبد الله. ثم ناولنيه فقال: اذهبى بأبى الخلفاء[٤]. رواه ابن حبان وغيره.

وقد ملأ عقبه الأرض، حتى قيل: إنهم بلغوا فى زمن المأمون ستمائة ألف واستبعد. كذا فى « المواهب ».

توفى - رضى الله عنه - بالطائف سنة ثمان وستين - أيام ابن الزبير - وهو ابن أربع وسبعين سنة، وقيل: سبعين، وقيل: إحدى وسبعين. وصلى عليه محمد بن الحنفية وقال: اليوم مات ربانى هذه الأمة، وضرب على قبره فسطاطًا[٥].

قال العلامة جمال الدين محمد الشامى فى سيرته: أخرج الطبرانى عن حسان بن ثابت رضى الله عنه قال: بدت لنا معشر الأنصار حاجة إلى الوالى - وكان الذى طلبنا إليه أمرًا صعبًا - فمشينا إليه برجال من قريش وغيرهم فكلموه، وذكروا له وصية رسول الله ﷺ بنا، فذكر لهم صعوبة الأمر، فعذره القوم، وألحَّ ابن عباس عليه، فوالله ما وجد الوالى بدًّا من قضاء حاجته. فخرجنا فإذا القوم أندية. قال حسان: فضحكت وأنا أسمعهم، إنه والله كان أولاكم بها، إنه والله صبابة النبوة، ووراثة أحمد، وتهذيب أعراقه، وأسرع شبه طباعه. فقال القوم: أجمل بها حسان، فقال ابن عباس: صدقوا فأجمل. فأنشأ حسان يمدح ابن عباس رضى الله عنهم:

---

(١) ذكره الحافظ في « الإصابة » (٤/ ١٢٥) وعزاه إلى الزبير بن بكار، من طريق داود عن زيد بن أسلم عن ابن عمر.

(٢) الذي سماه ترجمان القرآن عبد الله بن مسعود وقد روى ذلك بسند حسن عنه. وينظر: الإصابة (٤/ ١٢٦-١٢٧).

(٣) قاله ابن منده. وينظر: الإصابة (٤/ ١٢٣).

(٤) ذكره الهندي في كنز العمال (٣٣٤٣٢، ٣٣٥٨٧) وعزاه للخطيب عن أمه أم الفضل. وأخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٧/ ٢٤٧-تهذيب).

(٥) ذكره الحافظ في « الإصابة » (٤/ ١٣٠) وعزاه للزبير بن بكار.

[من الطويل]

إِذَا مَا ابْنُ عَبَّاسٍ بَدَا لَكَ وَجْهُهُ رَأَيْتَ لَهُ فِي كُلِّ مَعْمَعَةٍ فَضْلاَ

إِذَا قَالَ لَمْ يَتْرُكْ مَقَالاً لِقَائِلٍ بِمُلْتَقَطَاتٍ لاَ تَرَى بَيْنَهَا فَصْلاَ

كَفَى وَشَفَى مَا فِي النُّفُوسِ(١) فَلَمْ يَدَعْ لِذِي إِرْبَةٍ فِي القَوْلِ جِدًّا وَلاَ هَزْلاَ

سَمَوتَ إِلَى العَلْيَا بِغَيْرِ مَشَقَّةٍ وَنِلْتَ ذُرَاهَا لاَ دَنِيًّا وَلاَ وَغْلاَ

خُلِقْتَ طبيعا لِلْمُرُوءَةِ وَالنَّدَى مَلِيحًا وَلَمْ تُخْلَقْ كَهَامًا وَلاَ جَبْلاَ(٢)

فقال الوالى: ما أراد بالكهام غيرى، والله بينى وبينه(٣). انتهى مروياته رضى الله عنه ألف وستمائة وستون حديثًا.

وكان له من الولد سبعة: خمسة ذكور، والسادس والسابع أنثيان: العباس، وعلى، والفضل، ومحمد، وعبيد الله، ولبابة، وأسماء. وأما عبيد الله فقيل: إنه رأى النبى ﷺ وسمع منه، استعمله على بن أبى طالب على اليمن، وأمره على الموسم فحج بالناس سنة ست وثلاثين، فلما كان سنة ثمان وأربعين بعثه أيضًا على الموسم، وبعث معاويةُ ذلك العام يزيد بن شجرة الرُّهاوى ليقيم الحج. فلما اجتمعا سأل كل منهما صاحبه أن يسلم له فأبى، واصطلحا على أن يصلى بالناس شيبة بن عثمان الحجبى.

وروى أن معاوية بعث بسر بن أرطأة العامرى إلى اليمن وعليها عبيد الله بن العباس هذا من قبل على، فتنحى عبيد الله، واستولى بسر عليه، فبعث على - رضى الله عنه - جارية بن قدامة السعدى؛ فهرب بسر، ورجع عبيد الله بن عباس فلم يزل عليها حتى قتل على. وكان عبيد الله هذا أحد الأجواد المشهورين، كان يقال: من أراد الجمال والعفة والسخاء فليأت ولد العباس: الجمال للفضل، والعفة لعبد الله، والسخاء لعبيد الله. مات عبيد الله بالمدينة سنة ثمان وخمسين.

وأما عبد الرحمن بن عباس ومعبد فولدا على عهده ﷺ، وقتلا شهيدين بإفريقية فى خلافة عثمان مع عبد الله بن أبى سرح سنة خمس وثلاثين، واستعمل الثانى

(١) في الإصابة: الصدور.

(٢) جَبْلا؛ أي: بخيلا.

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٤/ ٤٢-٤٣) رقم (٣٥٩٣)، وذكره الحافظ في الإصابة (٤/ ١٢٢-١٢٣) بتقديم وتأخير.

منهما على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه على مكة. ويقال: ما من إخوة أشد تباعدَ قبورٍ من بنى العباس: الفضل بدمشق، وعبد الله بالطائف، وعبيد الله بالمدينة، وعبد الرحمن ومعبد بإفريقية، وقثم بسمرقند.

وأما قُثَم فهو أحد السبعة المشبهين برسول الله ﷺ. وهو لدة الحسن بن على ورضيعه. وعن ابن عباس: أنه كان له ابن يقال له: قثم، يضعه على صدره وهو يقول: [من الرجز]

خَيْرَ الْبَنِينِ ذَا قُثَمْ شَبِيهِ ذِى الأَنْفِ الأَشَمّ
نَبِىّ ربٍ ذِى نِعَمْ بِرَغْمِ أَنْفِ مَنْ رَغِمْ

وقثم هذا آخر الناس عهدًا برسول الله ﷺ؛ لأنه آخر من خرج من قبره ممن نزل فيه(١). وقيل: إن المغيرة بن شعبة آخر من خرج من قبره عليه الصلاة والسلام ممن نزل فيه؛ لأنه ترك خاتمه فى القبر فلما خرج قال: نسيت خاتمى، فنزل ثانيًا فكان آخر الناس عهدًا به عليه الصلاة والسلام(٢). وأنكر كونه آخرًا ابنُ عباس فقال: آخر الناس عهدًا برسول الله ﷺ أخى قثم بن العباس. وولاه على بن أبى طالب رضى الله عنه مكة زمن معاوية وأبى قتادة الأنصارى فلم يزل عليها حتى قتل على رضى الله عنه وكرم وجهه، ثم خرج إلى سمرقند مع سعيد بن عثمان زمن معاوية - فاستشهد بها وقبره فى قبة عالية تعرف بـ « مزار شاه زنده » يعنى السلطان الحى - خارج سور سمرقند.

وأما كثير بن عباس: فأمه أم ولد، رومية اسمها « سبا »، وقيل: حميرية. ولد قبل وفاته - عليه الصلاة والسلام - بأشهر، وكان فقيهًا فاضلاً ذكيًا، روى عنه الأعرج وابن شهاب الزهرى.

وأما تمام: فأمه وأم أخيه قبله واحدة وهى سبا الرومية أو الحميرية. روى عنه عليه الصلاة والسلام: « لا تدخلوا علىَّ قُلْحًا، استاكوا، فلولا أن أشق على أمتى

---

(١) أخرجه البيهقي في « دلائل النبوة » (٧/ ٢٥٧). وينظر « السيرة النبوية » (٤/ ٢٧٢)، وسبل الهدى والرشاد (١٢/ ٣٣٨).

(٢) أخرجه البيهقي في « دلائل النبوة » (٧/ ٢٥٨)، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة وينظر المغازي للواقدي (٣/ ١١٢١)، وأخرجه ابن سعد (٢/ ٢٣١) عن أبي عسيب وعروة بن الزبير. وينظر: سبل الهدى (١٢/ ٣٣٨-بتحقيقنا) ففيه روايات أخرى عن المغيرة وغيره.

لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة »[١] ولأه على رضى الله عنه المدينة، وكان قد استخلف قبله سهيل بن حنيف حين توجه إلى العراق، ثم عزله واستجلبه لنفسه، وولى تمَّامًا ثم عزله، وولى أبا أيوب الأنصارى ثم أشخص أبا أيوب الأنصارى واستخلفه، فلم يزل تمام واليًا فيها إلى أن قتل على. وكان تمام أشد الناس بطشًا، وله عقب.

قال أيوب بن بكار: كان للعباس عشرة بنين ستة منهم من أم الفضل، لبابة الهلالية، فيهم يقول يزيد الهلالى: [من الرجز]

مَا وَلَدَتْ نَجِيبَةٌ مِنْ فَحْلِ   كَسِتَّةٍ مِنْ بَطْنِ أُمِّ الفَضْلِ
أَكْرِمْ بِهَا مِنْ كَهْلَةٍ وَكَهْلِ

وهم: الفضل، وعبد الله، وعبيد الله، وقثم، ومعبد، وعبد الرحمن. وقد تقدم أنهم أشقاءٌ، وهم ستة سابعتهم أم حبيبة شقيقتهم.

وأما عون: فقال ابن عمرو: لم أقف على اسم أمه، وأصغرهم سنًّا تمام. وكان العباس أبوه يحمله ويقول: [من الرجز]

تَمُّوا بِتَمَّامٍ فَصَارُوا عَشَرَهْ   يَا رَبِّ فَاجْعَلْهُمْ كِرَامًا بَرَرَهْ
وَاجْعَلْ لَهُمْ ذِكْرًا وَأَنْمِ الشَّجَرَهْ

وأما الإناث من أولاد العباس فثلاث: أم حبيب، وقد روى من حديث أمها أم الفضل أن النبى ﷺ قال: « لو بلغت أم حبيب بنت العباس وأنا حى لتزوجتها »[٢] فتوفى ﷺ قبل أن تبلغ، فتزوجها الأسود بن عبد الأسد، أخو أبى سلمة بن عبد الأسد، فولدت له رزق بن الأسود. ولبابة وصفية وأمينة، تزوج أمينة عباس بن عيينة بن أبى لهب؛ فولدت له الفضل الشاعر، ولا رواية لها ولا لصفية، وهى الثالثة من بنات العباس.

---

(١) بهذا اللفظ أخرجه أحمد (١/ ٢١٤)، والطبراني في « الكبير » (٢/ ٦٤) رقم (١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣)، وذكره الهيثمي في « المجمع » (٢/ ١٠٠) وقال: رواه البزار والطبراني في « الكبير » وأبو يعلى بنحوه، وفيه أبو على الصيقل، قال ابن السكن وغيره مجهول. والقلح: تغير السن بصفرة وخضرة تعلوها. والحديث أصله في الصحيحين عن أبي هريرة عند البخاري (٨٨٧)، ومسلم (٢٥٢).

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ٣٣٨) من حديث أم الفضل. وينظر: الإصابة (٧/ ٣٧٣).

وروى الطبرى فى « ذخائر العقبى » ابنة رابعة للعباس تسمى أم كلثوم، وروى عنها وعن أختها أم حبيب محمدُ بن إبراهيم التيمى.

وأما أبو طالب فاسمه عبد مناف. ولما مات جده عبد المطلب كافله، كان له عليه الصلاة والسلام من العمر ثمان سنين، كفله عمه أبو طالب بوصية من عبد المطلب؛ لكونه شقيق والده عبد الله. وقد أخرج ابن عساكر عن جُلهمة عن عطرفة قال: قدمتُ مكة وهم فى قحط، فقالت قريش: يا أبا طالب، أقحط الوادى وأجدب العيال، فهلم فاستسق. فخرج أبو طالب ومعه غلام كأنه شمس دجن تجلت عنه سحابة قتماء، وحوله أغيلمة، فأخذه أبو طالب وألصق ظهره بالكعبة، ولاذ الغلام بأصبعه - وما فى السماء قزعة - فأقبل السحاب من ههنا وههنا، وأغدق وانفجر له الوادى، وأخصب البادى والنادي وفى ذلك يقول أبو طالب: [من الطويل]

وَأَبْيَضُ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ ... ثِمَالُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلأَرَامِلِ(١)

وهو من قصيدة نحو ثمانين بيتًا، قالها لما تولت عنه وتمالأت عليه قريش، ونفروا عنه عليه الصلاة والسلام. وأولها: [من الطويل]

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْقَوْمَ لاَ وُدَّ عِنْدَهُمْ ... وَقَدْ قَطَّعُوا كُلَّ الْعُرَى وَالْوَسَائِلِ
وَقَدْ جَاهَرونَا بِالْعَدَاوَةِ وَالأَذَى ... وَقَدْ طَاوَعُوا أَمْرَ العَدُوِّ الْمُزَايِلِ(٢)
صَبَرْتُ لَهُمْ نَفْسِى بِسَمْرَاءَ سَمْحَةٍ ... وَأَبْيَضَ عَضْبٍ مِنْ تُرَاثِ المقَاوِلِ
وَأَحْضَرْتُ عِنْد البَيْتِ رَهْطِى وَإِخْوَتِى ... وَأَمْسَكْتُ مِنْ أَثْوَابِهِ بِالْوَصَائِلِ
أَعَبْدَ مَنَافٍ أَنْتُمُ خَيْرُ قَوْمِكُمْ ... فَلاَ تُشْرِكُوا فِى أَمْرِنَا كُلَّ وَاغِلِ
فَقَدْ خِفْتُ إنْ لَمْ يُصْلِحِ اللهُ أَمْرَكُمْ ... تَكُونُوا كَمَا كَانَتْ أَحَادِيثُ وَائِلِ
أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مِنْ كُلِّ طَاعِنٍ ... عَلَيْنَا بِسُوءٍ أَوْ مُلِحٍّ بِبَاطِلِ
وَثَوْرٍ وَمَنْ أَرْسَى ثَبِيرًا مَكَانَهُ ... وَرَاقٍ لِيَرْقَى فِى حِرَاءٍ وَنَازِلِ
وَبِالبَيْتِ حَقًّا حَلَّ فِى بَطْنِ مَكَّةٍ ... وَبِاللهِ إنَّ اللهَ لَيْسَ بِغَافِلِ
لَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ ابْنَنَا لاَ مُكَذَّبٌ ... لَدَيْنَا وَلاَ يُعْنَى بِعَوْرَاءَ بَاطِلِ
كَذَبْتُمْ وَبَيْتِ الله نُبْزِي مُحَمَّدًا ... وَلَمَّا نُطَاعِنْ عِنْدَهُ وَنُنَاضِلِ

---

(١) ذكره الصالحي في « سبل الهدى والرشاد » (٢/ ١٣٧) وعزاه لابن عساكر.
(٢) المزايل: المفارق. الوسيط (زيل).

وَنُسْلِمُهُ حَتَّى نُصَرَّعَ حَوْلَهُ ... وَنَذْهَلَ عَنْ أَبْنَائِنَا وَالْحَلاَئِلِ
وَيَنْهَضَ قَوْمٌ فِى الْحَدِيدِ إِلَيْكُمُ ... نُهُوضَ الرَّوَايَا[١] تَحْتَ ذَاتِ الصَّلاَصِلِ
وَيَنْهَضَ قَوْمٌ نَحْوَكُمْ غَيْر عُزَّلٍ ... بِبِيضٍ حَدِيثٍ عَهْدُهَا بِالصَّيَاقِلِ[٢]
وَأَبْيَض يُسْتَسْقَى الغَمَامُ بِوَجْهِهِ ... ثِمَال الْيَتَامَى عِصمَة لِلأَرَامِلِ
يَلُوذُ بِهِ الهُلَّاكُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ ... فَهُمْ عِنْدَهُ فِى رَحْمَةٍ وَفَوَاضِلِ
لَعَمْرِى لَقَدْ كُلِّفْتُ وَجْدًا بِأَحْمَدٍ ... وَإِخْوَتِهِ دَأْبَ المُحِبِّ المُوَاصِلِ
فَمَنْ مِثْلُهُ فِى النَّاسِ أَىُّ مُؤَمَّلٍ ... إِذَا قَاسَهُ الحُكَّامُ عِنْدَ التَّفَاضُلِ
حَلِيمٌ رَشِيدٌ عَادِلٌ غَيْرُ طَائِشٍ ... يُوَالِى إِلَهًا لَيْسَ عَنْهُ بِغَافِلِ
وَمِيزَانُ حَقٍّ مَا يَعُولُ شَعِيرَةً ... وَوَزَّانُ حَقٍّ وَزْنُهُ غَيْرُ عَائِلِ[٣]
فَوَاللهِ لَوْلاَ أَنْ أَجِىءَ بِسُبَّةٍ ... تجرُّ عَلَى أَشْيَاخِنا فِى المَحَافِلِ
لَكُنَّا اتَّبَعْنَاهُ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ ... مِنَ الدَّهْرِ جِدًّا غَيْرَ قَوْلِ التَّهَازُلِ
فَأَصْبَحَ فِينَا أَحْمَدٌ ذَا أَرُومَةٍ ... تَقَصَّرُ عَنْهَا سَورة المُتَطَاوِلِ
حَدِبْت بِنَفْسِى دُونَهُ وَحَمَيْتُهُ ... وَدَافَعْتُ عَنْهُ بِالذُّرَا وَالْكَلاَكِلِ
جَزَى اللهُ عَنَّا عَبْدَ شَمْسٍ وَنَوْفَلاً ... عُقُوبَةَ شَرٍّ عَاجِلٍ غَيْرِ آجِلِ

قلت: لم أظفر من هذه القصيدة إلا بنحو السبعة والثمانية الأبيات فى غالب كتب السير، ولم أزل أطلبها حتى ظفرت بغالبها من تاريخ العلامة الحافظ محمد بن أحمد ابن عثمان الذهبى المسمى « دول الإسلام » فنقلتها منه ولله الحمد.

وقوله: « ذات الصَّلاصل »: رأيت فى تاريخ التقى الفاسى رحمه الله ما نصه: بئر صلاصل فى الجانب الذى يكون على يمين الصاعد إلى منى، ولعل ذلك نسبتها إلى صلصل بن أوس بن مجاسر[٤] بن معاوية بن شرف[٥] من بنى عمرو بن تميم؛ لأن الفاكهى روى بسنده عن هشام بن الكلبى، عن أبيه، قال: كانت العرب فى أشهر الحج على ثلاثة أهواء: منهم من يفعل المنكر، وهم المحلّون الذين يحلون

(١) الروايا: جمع راوية؛ وهي الدابة التي يُستقى عليها الماء .
(٢) صقل السيف: جلاه، فهو صَقَّال وصَيْقَل والجمع: صياقل. الوسيط (صقل).
(٣) عال الميزان عولاً: لم يستو طرفاه، وعال فلانٌ في الميزان؛ أي: خان. الوسيط (عول).
(٤) في ط: مخاشن. والمثبت من شفاء الغرام.
(٥) في شفاء الغرام: شريف.

الأشهر الحرم فيغتالون فيها ويسرقون، ومنهم من كان يكف عن ذلك، ومنهم أهل هوى شرعه لهم صلصل بن أوس بن مجاسر المذكور، في[(١)] قتال المحلين. ثم قال بعد أن ذكر المحرمين: وكانوا يسمونهم « الصلاصل »؛ لأن صلصل شرع ذلك لهم، وكانوا ينزلون على بئر قرب منى ثم يتفرقون على[(٢)] الناس منها، وكانت البئر تسمى بئر صلصل[(٣)]، انتهى.

قلت: قول أبى طالب « تحت ذات صلاصل » يعنيها؛ كأنه يريد تشبيه القوم الثائرين للمدافعة عن النبى ﷺ بأولئك القوم النازلين عند البئر، ويكون وجه الشبه الجرأة والإقدام إن كانت الرواية بالزاى المعجمة فى الزوايا جمع زوية للجماعات الكامنين هناك. وإن كانت الرواية بالراء المهملة فيها فيكون وجه التشبيه الثقل بالحديد والسلاح كثقل الروايا بالماء القراح. وهذه البئر هى المسماة الآن عند العامة « بئر صراصر »، براءين مهملتين، وهى معروفة، انتهى. ومعنى نناضل هنا: نناظر ونجادل ونخاصم. ونبزى، بضم النون والباء ساكنة، أى: نقهره ونغلب عليه.

وأنشأ أبو طالب أبياتًا منها قوله [من الطويل]

وَشَقَّ لَهُ مِنْ إِسْمِهِ لِيُجِلَّهُ ... فَذُو العَرْشِ مَحْمُودٌ وَهَذَا مُحَمَّدُ

فقال حسان وضمن ذلك: [من الطويل]

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَرْسَلَ عَبْدَهُ ... بِآيَاتِهِ وَاللهُ أَعْلَى وَأَمْجَدُ
أَغَرُّ عَلَيْهِ لِلنُّبُوَّةِ خَاتَمٌ ... مِنَ اللهِ مَشْهُورٌ يَلُوحُ وَيَشْهَدُ
وَضَمَّ الإِلَهُ اسْمَ النَّبِيِّ إِلَى اسْمِهِ ... إِذَا قَالَ فِي الخَمْسِ المُؤَذِّنُ أَشْهَدُ
وَشَقَّ لَهُ مِنْ إِسْمِهِ لِيُجِلَّهُ ... فَذُو العَرْشِ مَحْمُودٌ وَهَذَا مُحَمَّدُ
نَبِيٌّ أَتَانَا بَعْدَ يَأْسٍ وَفَتْرَةٍ ... مِنَ الدِّينِ وَالأَوْثَانُ فِي الأَرْضِ تُعْبَدُ
وَأَرْسَلَهُ ضَوْءًا مُنِيرًا وَهَادِيًا ... يَلُوحُ كَمَا لاَحَ الصَّقِيلُ المُهَنَّدُ

قال العلامة ابن التين: فى شعر أبى طالب دلالة على أنه كان يعرف نبوة النبى ﷺ قبل أن يبعث، لما أخبره بَحِيرا الراهب وغيره من شأنه. وتعقبه الحافظ ابن حجر بأن

(١) في ط: منه. والمثبت من شفاء الغرام.
(٢) في شفاء الغرام: في.
(٣) ينظر شفاء الغرام (١/ ٣٤٤).

ابن إسحاق ذكر أن إنشاء أبى طالب لهذا الشعر كان بعد البعث، ومعرفة أبى طالب بنبوته عليه الصلاة والسلام جاءت فى كثير من الأخبار.

قال الذهبى[١]: قال محمد بن إسحاق: أتت قريش إلى أبى طالب فقالوا: يا أبا طالب، هذا عمارة بن الوليد أعز فتى فى قريش وأجمله، فخذه فلك عقله ونصرته واتخذه لك ولدًا فهو لك، وأسلم إلينا ابن أخيك؛ فقد أفسد أحلامنا وعاب آلهتنا، وخالف دينك ودين آبائك نقتله، فإنما رجل كرجل. فقال: والله بئسما تأمروننى، أتعطوننى ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابنى تقتلونه ؟ هذا والله لا يكون أبدًا. فقال المطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف: والله يا أبا طالب، لقد أنصفك قومك وجهدوا على التخلص مما تكره، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئًا. فقال: والله ما أنصفوا، ولكنك قد أجمعت على خلافى ومظاهرة القوم على، فاصنع ما بدا لك. فحقب[٢] الأمر وحميت الحرب وتنابذ القوم. فقال أبو طالب: [من الطويل]

أَلاَ قُلْ لِعَمْرٍو وَالْوَلِيدِ وَمُطْعِمٍ ... أَلاَ لَيْتَ حَظِّى مِنْ حِيَاطَتِكُمْ بَكْرُ
مِنَ الخَوْرِ صَخَّابٌ كَثِيرٌ رُغَاؤُهُ ... يُرَشُّ عَلَى السَّاقَيْنِ مِنْ بَوْلِهِ قَطْرُ
أَرَى أَخَوَيْنَا مِنْ أَبِينَا وَأُمِّنَا ... إِذَا سُئِلاَ قَالاَ: إِلَى غَيْرِنَا الأَمْرُ
أَخُصُّ خُصُوصًا عَبْدَ شَمْسٍ وَنَوفَلاً ... هُمَا نَبَذَانَا مِثْلَ مَا تُنْبَذُ الْخَمْرُ[٣]

وفى « حياة الحيوان »: مات أبو طالب فى نصف شوال من السنة العاشرة من البعثة، وكان النبى ﷺ ابن سبع وأربعين سنة وثمانية أشهر وأحد عشر يومًا، وأبو طالب ابن بضع وثمانين سنة. وقال ابن الجوزى: قبل هجرته بثلاث سنين.

روى سعيد بن المسيب عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أخاه العباس وعبد الله بن أمية وأبا جهل بن هشام، فقال: يا عم، قل « لا إله إلا الله »، كلمة أشهد لك بها عند الله. فقال أبو جهل: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه. ويقول له أبو جهل: أترغب . . . . إلى آخره، فلما رأى حرص النبى ﷺ قال: يا ابن أخى،

(١) ينظر تاريخ الإسلام (٢/ ١٥٢-١٥٣)، وقال الذهبي: هذا لا يصح ولو كان سمعه العباس يقولها لما سأل النبي ﷺ، وقال: هل نفعت عمك بشيء.
(٢) في ط: فحق الأمر. والمثبت من تاريخ الإسلام ومن الروض.
(٣) ينظر: السيرة النبوية (١/ ٢٩٩-٣٠١).

والله لولا مخافة قريش أن تقول إنى إنما قلتها جزعًا من الموت لقلتها. فلما تقارب من أبى طالب الموت نظر العباس إليه يحرّك شفتيه فأصغى إليه بأذنيه فسمعه، فقال: يا ابن أخى، والله لقد قال أخى الكلمة التى أمرته بها. فقال ﷺ: لم أسمعه. كذا فى رواية ابن إسحاق أنه أسلم عند الموت[١].

ورواه البيهقى فى الدلائل من طريق يونس بن بكير، لكن قال: إنه منقطع[٢]. والحديث أثبت لأبى طالب الوفاة على الكفر والشرك، كما روينا فى الصحيح من حديث سعيد بن المسيب عن أبيه حتى قال: آخر ما كلمهم به أبو طالب قوله: « على ملة عبد المطلب »، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله. ثم قال رسول الله ﷺ: « لأستغفرن لك ما لم أُنه عنك. فأنزل الله سبحانه وتعالى قوله: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ ﴾ [التوبة: ١١٣] وأنزل الله فى أبى طالب: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾[٣] [القصص: ٥٦] وفى مسند الإمام أحمد من حديث يحيى بن سلمة بن كهيل، عن أبيه، عن حبة العُرَنى، قال: رأيت على بن أبى طالب ضحك على المنبر حتى بدت نواجذه. ثم سُئل بعد فقال: ظهر علينا أبو طالب وأنا مع رسول الله ﷺ نصلى ببطن نخلة فقال: ماذا تصنعان يا ابن أخى ؟ فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام فقال: ما بالذى تصنعان من بأس، ولكن والله لا تعلونى استى أبدًا. فذكرت ذلك فضحكت تعجبًا من قول أبى[٤]. انتهى. ذكره الذهبى فى تاريخه[٥] وفى الصحيح: إن ابن عباس سأل رسول الله ﷺ فقال: إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك، فهل نفعه ذلك ؟ قال: « نعم، وجدته فى غمرات النار فأخرجته إلى ضحضاح منها ». وروى البخارى حديث

---

(١) ليس هذا الحديث بهذا اللفظ من رواية سعيد بن المسيب عن أبيه لكنه ورد من حديث ابن عباس أخرجه ابن إسحاق (٢/ ٦٥-٦٦) حدثني العباس بن عبد الله بن معبد بن عباس عن بعض أهله عن ابن عباس به. وينظر: تاريخ الإسلام (٢/ ٢٣٢).

(٢) أخرجه البيهقي في « الدلائل » (٢/٣٤٦) من طريق يونس بن بكير عن ابن إسحاق به.

(٣) أخرجه البخاري (٣/ ٥٨٦-٥٨٧) كتاب الجنائز باب إذا قال المشرك عند الموت: لا إله إلا الله حديث (١٣٦٠)، ومسلم (١/ ٥٤) كتاب الإيمان باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت حديث (٣٩/ ٢٤).

(٤) أخرجه أحمد (١/ ٩٩).

(٥) ينظر « تاريخ الإسلام » (٢/ ٢٣١-٢٣٢).

الضحضاح، ولفظه: ما أغنيت عن عمك؛ فإنه كان يحوطك ويغضب لك ؟ قال: « نعم هو فى ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان فى الدرك الأسفل من النار »(١) وعن أبى سعيد الخدرى: أن رسول الله ﷺ قال: « أهون أهل النار عذابًا أبو طالب، فى ضحضاح من نار، منعل نعلين من حديد يغلى منهما دماغه »(٢). قيل: إن النبى ﷺ مسح أبا طالب بعد موته بيده الشريفة وأنسى باطن قدميه فلم يمسحهما، فكان مس العذاب لهما وذلك أنه لما ثبت قدماه ثبوتًا معنويًا على الشرك كان العقاب عليهما(٣). قال ابن عباس رضى الله عنهما: عارض رسول الله ﷺ فقال « وصلتك رحم وجزاك الله خيرًا يا عم »(٤).

وفى « معالم التنزيل »: الكفر أربعة أنواع: كفر الإنكار، وكفر الجحود، وكفر النفاق، وكفر العناد. أما كفر الإنكار فهو ألا يعرف الله بالقلب ولا يعترف باللسان. وأما كفر الجحود فهو أن يعرف الله بقلبه، ولكن لا يقر بلسانه ككفر إبليس، وكفر اليهود بمحمد ﷺ من هذا القبيل. قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ﴾ [البقرة: ٨٩] أى: جحدوا وأما كفر النفاق فهو أن يقر باللسان ولا يعتقد

(١) أخرجه البخاري (٧/ ٥٩٠) كتاب مناقب الأنصار باب قصة أبي طالب حديث (٣٨٨٣) ومسلم (١/ ١٩٤-١٩٥) كتاب الإيمان، باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب حديث (٣٥٧/ ٢٠٩) من حديث العباس وليس من حديث ابن عباس كما ذكر المصنف.

(٢) أخرجه البخاري (٧/ ٥٩١) كتاب مناقب الأنصار باب قصة أبي طالب حديث (٣٨٨٥)، ومسلم (١/ ١٩٥) كتاب الإيمان باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب حديث (٣٦٠/ ٢١٠).

(٣) قال السهيلي: الحكمة في كون أبي طالب متنعلاً بنعلين من نار أن أبا طالب كان مع النبي ﷺ بجملته إلا أنه كان مثبتا لقدميه على ملة عبد المطلب حتى قال عند الموت: هو على ملة عبد المطلب فسلّط العذاب على قدميه خاصة لتثبيته إياهما على ملة آبائه. انظر الروض الأنف (٢/ ١٧٠) ونقله عنه الصالحي في سبل الهدى والرشاد (٢/ ٤٣١) بتحقيقنا.

(٤) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٣٤٩) من طريق ابن عدي، وهو في الكامل له (١/ ٢٦٠)، وأخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١٣/ ١٩٦)، ونقل الخبر ابن كثير في البداية والنهاية (٣/ ١٥٤)، وعزاه صاحب كنز العمال لتمام الرازي في الفوائد وابن عساكر في « التاريخ »، وهو في العلل المتناهية لابن الجوزي (٢/ ٤٢٢). قال البيهقي عقب الحديث: إبراهيم بن عبد الرحمن هذا هو الخوارزمي تكلموا فيه. وقال ابن كثير بعد أن نقل كلام البيهقي: « قلت: قد روى عنه غير واحد منهم الفضل بن موسى السيناني، ومحمد بن سلام البيكندي، ومع هذا قال ابن عدي: ليس بمعروف وأحاديثه عن كل من روى عنه ليست بمستقيمة ». وقد ذكر الذهبي الخبر في ميزان الاعتدال (١/ ١٦٦) في ترجمة الخوارزمي، وقال عقبه وهذا خبرٌ منكر.

بالقلب. وأما كفر العناد فهو أن يعرف الله بقلبه ويعترف بلسانه، ولكن لا يدين به ولا يكون منقادًا مطيعًا، ككفر أبى طالب؛ فإنه قال فى شعر له: [من الكامل]

وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينَا
لَوْلاَ الْمَلاَمَةُ أَوْ حَذارى سُبَّةٍ لَوَجَدتَّنِى سَمْحًا بِذَاكَ مُبِينَا
وَدَعَوْتَنِى وَعَلِمْتُ أَنَّكَ نَاصِحِى[١] وَلَقَدْ صَدَقْتَ وَكُنْتَ ثَمَّ أَمِينَا
وَاللهِ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ حَتَّى أُوَسَّدَ فِى التُّرَابِ دَفِينَا
فاصْدَعْ بِأَمْرِكَ مَا عَلَيْكَ غَضَاضَةٌ وَاجْهَرْ وَقَرَّ بِذَاكَ مِنْكَ عُيُونَا[٢]

وجميع الأنواع الأربعة سواء فى أن الله تعالى لا يغفر لأصحابها إذا ماتوا عليها، نعوذ بالله منها.

وحكى عن هشام بن السائب الكلبى - أو أبيه - أنه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جمع إليه وجوه قريش فأوصاهم فقال: يا معشر قريش أنتم صفوة الله من خلقه، وإنى أوصيكم بمحمد خيرًا فإنه الأمين فى قريش، والصديق فى العرب، وهو الجامع لكل ما أوصيكم به. وقد جاء بأمر قبله الجنان، وأنكره اللسان، مخافة الشنآن. وايم الله كأنى أنظر إلى صعاليك العرب، وأهل الوبر، والأطراف، والمستضعفين من الناس، قد أجابوا دعوته، وصدقوا كلمته، وعظموا أمره؛ فخاض بهم غمرات الموت؛ فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذنابًا، ودورها خرابًا، وضعفاؤها أربابًا، فإذا أعظمهم إليه أحوجهم إليه، وأبعدهم منه أحظاهم عنده. قد محضته العرب ودادها، وأصفت له فؤادها، وأعطت له قيادها. يا معشر قريش، كونوا له ولاة، ولحرمه حماة، والله لا يسلك أحد سبيله إلا رشد، ولا يأخذ أحد بهديه إلا سعد. ولو كان لنفسى مدة، ولأجلى تأخير، لكففت عنه الهزاهز، ولدفعت عنه الدواهى ثم هلك، ودفن بصدر الشعب أعلي الحَجون.

وجملة أولاده أربعة ذكور وأنثيان، أكبرهم طالب وبه كان يكنى، ثم ولد له بعد عشر سنين عقيل، ثم بعد عشر سنين جعفر، ثم بعد عشر سنين على. والأنثيان هند أو فاختة، وتكنى بأم هانىء؛ بابنٍ كان لها اسمه هانئ، والأخرى جمانة.

---

(١) في السبل: وعلمت أنك صادق.
(٢) ينظر: سبل الهدى والرشاد (٢/ ٤٣١، ٤٣٢) واقتصر على ذكر البيت الثالث من هذه الأبيات.

وأما طالب فهو القائل: [من الرجز]

لَاهُمَّ إِمَّا يَغْزُوَنَّ طَالِبْ فِى عُصْبَةٍ مُخَالِفٌ مُحَارِبْ
فِى مِقنَبٍ مِنْ تِلْكُمُ المَقَانِبْ فَلْيَكُنِ المَسْلُوبَ غَيْرَ السَّالِبْ
وَلْيَكُنِ المَغْلُوبَ غَيْرَ الغَالِبْ(١)

قال هذا الشعر عند خروج قريش لمنع العير فى وقعة بدر، ومحاربة النبى ﷺ، وهى وقعة بدر الكبرى. وكان بين طالب فى القوم وبين بعض قريش محاورة فقالوا: والله لقد عرفنا يا بنى هاشم - وإن خرجتم معنا - أن هواكم مع محمد ﷺ. فرجع طالب إلى مكة فقال هذه الأبيات.

قلت: لم أفهم معنى هذه الأبيات، وهى كما تراها، نقلتها من نسخة قديمة من سيرة ابن هشام، تاريخ كتبها سنة إحدى وثمانين وخمسمائة، مصححة مقروءة، فلا غلط فى اللفظ ولا تصحيف، إلا أن المعنى يحتاج إلى تبيين وتوقيف، إذ المغلوب غير الغالب، والمسلوب غير السالب، ولم يظهر لى وجه فى صحة المعنى. إلا أن تكون لفظة « غير » مصحفة من لفظة « عين »؛ فيكون هكذا: فليكن المسلوب عين السالب بنصب المسلوب على أنه خبر كان متوسطًا واسمها عين، فيكون دعاء منه على قريش بالسلب لهم والغلبة عليهم انتهى.

قال المحب الطبرى فى « الرياض النضرة، فى مناقب العشرة »: عن أبى الحجاج مجاهد بن جبير قال: كان من نعم الله تعالى على علىّ بن أبى طالب، ومما أراد الله به من الخير، أن قريشًا أصابتهم شدة ومجاعة، وكان أبو طالب فى مبدأ أمره مقلا ذا عيال كثير، فقال رسول الله ﷺ للعباس عمه: يا عباس، إن أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة، فانطلق بنا إليه فلنخفف من عياله، فآخذ من بنيه رجلًا، وتأخذ رجلًا فنكفيهما عنه. قال العباس: نعم، فانطلقا

(١) ويروى هذا الرجز هكذا:

إمـا يـخـرجـن طـالـب بـمـقـنـب مـن هـذه الـمقـانـب
فـي نـفـر مـقـاتـل مـحـارب فليكن المسلوب غير السالب
والـراجـع الـمـغـلـوب غـيـر الـغـالـب

ينظر: دلائل النبوة للبيهقي (٣/ ١٠٥)، وسيرة ابن هشام (٢/ ٢٦٢)، وتاريخ الطبري (٢/ ٤٣٩).

حتى أتيا أبا طالب فقالا لا: إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه. فقال لهما أبو طالب: إذا تركتما لى عقيلاً فاصنعا ما شئتما. وفى رواية: وطالبًا. فأخذ رسول الله ﷺ عليًا رضى الله عنه فضمه إليه، فلم يزل علىّ مع رسول الله ﷺ حتى بعثه الله رسولاً؛ فآمن به علىّ وصدقه، وأخذ العباس جعفرًا، ولم يزل جعفر عند العباس انتهى. ولكل من على وجعفر وعقيل عقب، وأكثرهم عقبًا على رضى الله عنه، وسيأتى ذكرهم عند ذكر خلافته رضى الله تعالى عنه.

وأما عقيل بن أبى طالب فلم يزل اسمه جاهلية وإسلامًا «عقيلاً»، ويكنى أبا يزيد، وكان قد خرج مع كفار قريش مُكْرَهًا يوم بدر، فأسر ففداه عمه العباس، ثم أتى النبى ﷺ مسلمًا قبل الحديبية، وشهد غزوة مؤتة. روى أنه عليه الصلاة والسلام قال له: يا أبا يزيد، إنى أحبك حبين: حبًا لقرابتك، وحبًا لما كنت أعلم من حب عمى إياك[1]. وكان أعلم قريش بأنسابها وأعرفهم بأيامها، وكان مُبَغَّضًا إليهم؛ لأنه كان يعد مساويهم، وكانت له قطيفة تفرش فى مسجد رسول الله ﷺ يصلى عليها، ويُجتمع عليه فى علم النسب وأيام العرب. وكان أسرع الناس جوابًا، وأحضرهم مراجعة فى القول وأبلغهم فى ذلك.

وعن جعفر بن محمد، عن أبيه: أن عقيلاً جاء إلى على بالعراق فسأله، فقال له على رضى الله عنه: إن أحببت أن أكتب لك إلى مالى بـ «ينبع»[2] فأعطيك منه. فقال له عقيل: لأذهبن إلى رجل أوصل لى منك. فذهب إلى معاوية. وقال أبو عمرو: غاضب عقيل عليًا وخرج إلى معاوية وأقام عنده، فزعموا أن معاوية قال يومًا بحضرة عقيل: هذا أبو يزيد، لولا علمه بأنى خير له من أخيه ما أقام عندى وتركه. فقال عقيل: أخى خير لى فى دينى، وأنت خير لى فى دنياى، وقد آثرت دنياى، وأسأل الله خاتمة خير.

وتوفى عقيل فى خلافة معاوية. يروى أن الوليد بن عقبة بن أبى مُعيط قال له: غلبك أبو تراب على الثروة والعدد. فقال عقيل: نعم وسبقنى وإياك إلى الجنة. فقال

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١٧/ ١٩١) رقم (٥١٠)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٥٧٦)، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٢٧٣)، وعزاه للطبراني مرسلاً وقال: رجاله ثقات.

(٢) يَنْبُع: حصن وقرية غنّاء على يمين رضوى على ليلة منه. وهي لبني حسن بن علي بن أبي طالب، وفيها عيون عذاب. ينظر: المراصد (٣/ ١٤٨٥).

الوليد: أما والله إن شدقيك لمتوضمتان من دم عثمان. فقال له عقيل: مالك ولقريش ؟ إنْ أنت فيهم إلا كمنيح الميسر. فقال الوليد: والله إنى لأرى أهل الأرض لو أشركوا فى قتله لوردوا صعودًا. فقال له عقيل: كلَّا، أما ترغب لهم عن صحبة أبيك. وذكر أنه حضر ومعه كبش له إلى مجلس على - كرم الله وجهه - فقال علىٌّ يمازحه بعد أن استقر بهما المجلس: أحد الثلاثة أحمق. فقال عقيل: أما أنا وكبشى فلا. فتضاحكا طويلًا. كذا فى « دول الإسلام » للعلامة الذهبى.

ومن أولاد عقيل: مسلم بن عقيل، الذى قتله أهل الكوفة حين سيره الحسين بن على رضى الله عنهم أجمعين إليهم برسالة قبله، وجميعهم من فاطمة بنت أسد بن هاشم.

وأما جعفر بن أبى طالب فيكنى أبا عبد الله، أسلم قديمًا، وهاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية ومعه زوجته أسماء بنت عميس، وولدت له ثمة ابنيه عبد الله ومحمدًا، فحصلت له الهجرتان، وقد تقدم ذكر جواره بأرض الحبشة، وما جرى له هو وأصحابه مع النجاشى؛ بسبب ما قاله عمرو بن العاص للنجاشى، وقراءة جعفر سورة الكهف بين يدى النجاشى.

وأما أم هانىء فتزوجها هبيرة بن أبى وهب المخزومى، وولدت له أولادًا، وهرب إلى نجران ومات بها مشركًا، وهو القائل يوم أحد يذكر قومه ويفتخر: [من البسيط]

مَا بَالُ هَمٍّ عَمِيدٍ بَاتَ يَطْرُقُنِى ... بِالْوُد مِنْ هِنْدَ إِذْ تَغْدُو عَوَادِيهَا
بَاتَتْ تُعَاتِبُنِى هِنْدٌ وَتَعْذِلُنِى ... وَالحَرْبُ قَدْ شَغَلَتْ عَنِّى مَوَالِيهَا
مَهْلًا فَلَا تَعْذِلِينِى إنَّ مِنْ خُلُقِى ... مَا قَدْ عِلَمْتِ وَمَا إنْ لَسْتُ أُخْفِيهَا
مُسَاعِفٌ لِبَنِى كَعْب بِمَا كُلِفُوا ... حَمَّالُ عِبْءٍ وَأَثْقَال أُعَانِيهَا
وَقَدْ حَمَلْتُ سِلَاحِى فَوْقَ مُشْتَرِف ... سَاطٍ سَبُوحٍ إِذَا يَجْرِى يُبَارِيهَا
كَأَنَّهُ إِذْ جَرَى عيرٌ بِفَدْفَدَةٍ ... مُكَدَّمٌ لَاحِقٌ بِالْعَوْنِ يَحْمِيهَا
مِنْ آلِ أَعْوَجَ يَرْتَاحُ النَّدِىُّ لَهُ ... كَجِذْعِ شَعْرَاءَ[1] مُسْتَعْلٍ مَرَاقِيهَا
أَعْدَدتُّهُ وَرِقَاقَ الحَدِّ مُنْتَخِلًا ... وَمَا رَنَا لِخُطُوبٍ قَدْ أُلَاقِيهَا
هَذَا وَبَيْضَاءُ مِثْلُ النهى مُحْكَمَةٌ ... لَظَّتْ عَلَىَّ فَمَا تَبْدُو مَسَاوِيهَا

(١) شَعْراء: نخلة كثيرة الأغصان، والشجرة من الحمض. ينظر: ترتيب القاموس (شعر).

سُقْنَا كِنَانَةَ مِنْ أَطْرَافِ ذِى يَمَنٍ ... عُرْضَ الْبِلَادِ عَلَى مَا كَانَ يُزْجِيهَا
قَالَتْ كِنَانَةُ أَنَّى تَذْهَبُونَ بِنَا ... قُلْنَا النَّخِيلُ فَأَمُّوهَا وَمَنْ فِيهَا
نَحْنُ الْفَوَارِسُ يَوْمَ الجَرِّ مِنْ أُحُدٍ ... هَابَتْ مَعَدٌّ فَقُلْنَا نَحْنُ نَأْتِيهَا
هَابُوا ضرابًا وَطَعْنًا صَارِمًا خَذِمًا ... مِمَّا يَرَوْنَ وَقَدْ ضُمَّتْ قَوَاصِيهَا
ثُمَّتَ رُحْنَا كَأَنَّا عَارِضٌ بَرِد ... وَقَامَ هَامُ بَنِى النَّجَّارِ يَبْكِيهَا
كَأَنَّ هَامَهُمُ عِنْدَ الوَغَى فِلَقٌ ... مِنْ قَيْضِ رَبْدٍ نَفَتْهُ عَنْ أَدَاحِيهَا
أَوْ حَنْظَلٌ زَعْزَعَتْهُ الرِّيحُ فِى غُصُنٍ ... بَالٍ تَعَاوَرَهُ مِنْهَا سَوَافِيهَا
قَدْ نَبْذُلُ المَالَ سَحًّا لاَ حِسَابَ لَهُ ... وَنَطْعَنُ الخَيْلَ شَزْرًا فِى مَآقِيهَا
وَلَيْلَةٍ يَصْطَلِى بِالفَرْثِ جَازِرُهَا ... يَخْتَصُّ بِالنَّقْرِ المُثْرِينَ دَاعِيهَا
فِى لَيْلَةٍ مِنْ جُمَادَى ذَاتِ أَنْدِيَةٍ ... جربا[1] جُمَادِيَّةٍ قَدْ بِتُّ أَسريهَا
لاَ يَنْبَحُ الكَلْبُ فِيهَا غَيْرَ وَاحِدَةٍ ... مِنَ القَرِيسِ[2] وَلاَ تَسْرِى أَفَاعِيهَا
أَوْقَدتُ فِيهَا لذي الضَّرَّاءِ جَاحِمَةً[3] ... كَالْبَرْقِ ذَاكِيَةَ الأَرْكَانِ أَحْمِيهَا
أَوْرَثَنِى ذَاكُمُ عَمْرٌو وَوَالِدُهُ ... مِنْ قَبْلِهِ كَانَ بِالمَثْنَى يُغَالِيهَا
كَانُوا يُبَارُونَ أَنْوَاءَ النُّجُومِ فَمَا ... دَنَتْ عَنِ السُّورَةِ العُلْيَا مَعَالِيهَا

فأجابه حسان بن ثابت – رضى الله عنه – فقال: [من البسيط]

سُقْتُمْ كِنَانَةَ جَهْلاً مِنْ سَفَاهَتِكُمْ ... إِلَى الرسُولِ فَجُنْدُ الله مُخْزِيهَا
أَوردتموهَا حِيَاضَ المَوْتِ ضَاحِيَةً ... فَالنَّارُ مَوْعِدُهَا وَالقَتْلُ لاَقِيهَا
جَمَعْتُمُوهُمْ أَحَابِيشًا بِلاَ حَسَبٍ ... أَئِمَّةُ الكُفْرِ غَرَّتْكُمْ طَوَاغِيهَا
أَلاَ اعتبَرتُمْ بِخَيلِ اللهِ إِذْ قَتَلَتْ ... أَهْلَ الْقَلِيبِ وَمَنْ أَلْقَيْنَهُ فِيهَا
كَمْ مِنْ أَسِيرٍ فَكَكْنَاهُ بِلاَ ثَمَنٍ ... وَجَزِّ نَاصِيَةٍ كُنَّا مَوَالِيهَا[4]

وإنما أوردتها وجوابها لاشتمالها على المبانى الراسخة والمعانى الشامخة.

وأم هانئ هذه هى التى صلى – عليه الصلاة والسلام – فى بيتها يوم الفتح صلاة الضحى ثمان ركعات فى ثوب واحد مخالفا بين طرفيه، فروت ذلك، وقالت: وكان

(١) جربا: أي: جَرْبَاء؛ وهى الأرض المقحوطة. وجمادية: نسبة إلى جمادٍ.
(٢) القريس: الجامد من البرد. الوسيط (قرس).
(٣) جاحمة: ملتهبة. ترتيب القاموس (جحم).
(٤) ينظر السيرة النبوية (٣/ ٩٤)، والبداية والنهاية (٣/ ١٠٥، ١٠٦).

قد التجأ إليها بعض أصهارها من بنى مخزوم - قيل: هو الحارث بن هشام وآخر معه - فقالت: « يا رسول الله، إن أخى عليًا لا تأخذه فى الله لومة لائم، وإنى أخاف أن يعلم بمن لجأ إلىَّ فيقتله، فاجعل من دخل دار أم هانىء آمنًا حتى يسمع كلام الله ». وفى رواية: « إن أخى أراد قتلهما، وإنى قد أجرتهما ». فقال ﷺ: « قد أجرنا من أجرتِ يا أم هانئ »[1]. ثم قال: « هل عندك من طعام نأكله؟ فقالت: ليس عندى إلا كسر يابسة، وإنى لأستحى أن أقدمهن إليك. قال: هلمى بهن. فكسرهن فى ماء وملح فقال: هل من إدام؟ فقالت: ما عندى يا رسول الله إلا شىء من خل. فقال: هلميه. فصبه على طعامه فأكله، ثم حمد الله تعالى، ثم قال: « نعم الإدام الخل يا أم هانئ، لا يفقر بيت فيه خل »[2]. أخرجه الطبرانى بهذا السياق.

---

(١) أخرجه مالك (١/ ١٥٢) كتاب قصر الصلاة في السفر باب صلاة الضحى حديث (٢٨) وأحمد (٦/ ٣٤٣)، والبخاري (١/ ٤٦٩) كتاب الصلاة باب الصلاة في الثوب الواحد ملتحفًا به حديث (٣٥٧) ومسلم (١/ ٤٩٨) كتاب الصلاة باب استحباب صلاة الضحى حديث (٨٢/ ٧١٩)، وأبو عوانة (١/ ٢٨٢-٢٨٣)، وأبو داود (٢/ ٩٣) كتاب الجهاد باب في أمان المرأة حديث (٢٧٦٣)، والنسائي (١/ ١٢٦) كتاب الطهارة باب ذكر الاستتار عند الاغتسال، والترمذي (٥/ ٧٣-٧٤) كتاب الاستئذان باب ما جاء في (مرحبا) حديث (٢٧٣٤)، وابن ماجه (١/ ٤٣٩) كتاب الصلاة باب ماجاء في صلاة الضحى حديث (١٣٧٩)، والدارمي (٢/ ٢٣٤-٢٣٥) كتاب الجهاد باب يجير على المسلمين أدناهم، وأحمد (٦/ ٣٤١)، وعبد الرزاق (٩٤٣٩)، وابن الجارود رقم (١٠٥٥)، والحميدي (١/ ١٥٨-١٥٩) رقم (٣٣١)، وسعيد بن منصور (٢٦٢١)، وابن خزيمة (٢/ ٢٣٤-٢٣٥) وابن حبان (٢٥٢٨-الإحسان)، والدولابي في « الكنى والأسماء » (٢/ ٨٢)، والحاكم (٣/ ٢٧٧)، والبيهقي (٩/ ٩٥)، وفي دلائل النبوة (٥/ ٨٠-٨١)، وابن سعد في « الطبقات الكبرى » (٢/ ١١٠)، والطحاوي في « شرح معاني الآثار » (٣/ ٢٢٣-٢٢٤)، والطبراني في « الصغير » (٢/ ٦٧)، والبغوي في « شرح السنة » (٢/ ٥١٧-بتحقيقنا) من طرق مطولاً ومختصرًا عن أم هانئ بنت أبي طالب.

(٢) لم أجده عند الطبراني بهذا السياق، بل بهذا السياق أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٥٤)، وذكره الزيلعي في نصب الراية (٤/ ٣١٠)، عن أم هانئ. والحديث له طرق أخرى: فأخرجه مسلم (٣/ ١٦٢٢) كتاب الأشربة باب فضيلة الخل والتأدم به حديث (١٦٦/ ٢٠٥٢) وأبو داود (٢/ ٣٨٧) كتاب الأطعمة باب في الخل حديث (٣٨٢١)، النسائي (٧/ ١٤) كتاب الأيمان باب إذا حلف ألا يأتدم فأكل خبزًا بخل، وأحمد (٣/ ٤٠٠)، والطيالسي (١/ ٣٣٠-منحة) رقم (١٦٦٨)، والدارمي (٢/ ١٠١) كتاب الأطعمة باب أي الإدام كان أحب إلى رسول الله ﷺ، وأبو يعلى (٢٢١١، ٢٢١٨)، والبيهقي (١٠/ ٦٣) كتاب الأيمان باب من حلف أن لا يأكل خبزًا بإدام فأكله، والبغوي في « شرح السنة » (٦/ ٨٤-بتحقيقنا) =

ومن أولادها من هبيرة جعدة بن هبيرة[١]، وقد استعمله على رضى الله عنه حين أفضت إليه الخلافة، وهو القائل: [من الطويل]

أَنَا مِنْ بَنِى مَخْزُومَ إِنْ كُنتَ سَائِلاً وَمِنْ هَاشِمٍ أُمِّى لَخَيْرُ قَبِيل
فَمَنْ ذَا الَّذِى يَنْأَى عَلَّى بِخَالِهِ وَخَالِى عَلِىٌّ ذُو النَّدَى وَعَقِيلُ

قلت: لعل قبيلاً مضاف إلى ياء المتكلم تخلصًا من الوقوع فى الضرورة أو ورطة عيب الإقواء. والله أعلم.

وأما جمانة بنت أبى طالب[٢] فتزوجها ابن عمها أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وولدت له، ولم يسند عنها شيء، ذكر ذلك الدارقطنى. وأما أبو عمرو فلم يذكرها؛ فلعله لم يثبت إسلامها عنده؛ لأنه لا يذكر إلا من أسلم، فلم يذكرها لذلك، وذكرها ابن قتيبة وأبو سعد فى « شرف النبوة » فى جملة أولاد أبى طالب.

وأما الحارث فهو كما سبق أكبر أولاد عبد المطلب وبه كان يكنى. مات قبل البعثة. وله من الأولاد خمسة ذكور: أبو سفيان، ونوفل، وربيعة، والمغيرة، وعبد شمس. وأنثى واحدة وهى أروَى. أما أبو سفيان بن الحارث، وهو الأول من أولاد الحارث ذكرًا، وأخو رسول الله ﷺ من الرضاعة؛ أرضعتهما حليمة السعدية، وكان تِرب رسول الله ﷺ يألفه إلفًا شديدًا قبل النبوة، فلما بعث عليه الصلاة والسلام عاداه وهجاه وهجا أصحابه، وكان شاعرًا. قال الذهبى: وعن محمد بن

= كلهم من طريق أبي سفيان عن جابر به وأخرجه أبو داود (٢/ ٣٨٧) كتاب الأطعمة باب في الخل حديث (٣٨٢٠)، والترمذي (٤/ ٢٧٨) كتاب الأطعمة باب ماجاء في الخل حديث (١٨٣٩)، وفي « الشمائل » رقم (١٥٤)، وابن ماجه (٢/ ١١٠٢) كتاب الأطعمة باب الائتدام بالخل حديث (٣٣١٧)، وأبو يعلى (١٩٨١)، والبغوي في « شرح السنة » (٦/ ٨٣-بتحقيقنا) من طريق محارب بن دثار عن جابر به. وأخرجه الترمذي (٤/ ٢٧٨) كتاب الأطعمة باب ماجاء في الخل حديث (١٨٣٩) من طريق مبارك بن سعيد عن سفيان عن أبي الزبير عن جابر به وأخرجه الطبراني في « الكبير » (٢/ ١٨٤) رقم (١٧٤٩) من طريق إسماعيل بن مسلم عن عطاء عن جابر به. وأخرجه مسلم (٣/ ١٦٢٢) كتاب الأشربة باب فضيلة الخل والتأدم به حديث (٢٠٥١)، والترمذي (٤/ ٢٧٨) كتاب الأطعمة باب ما جاء في الخل حديث (١٨٤٠)، والدارمي (٢/ ١٠١) كتاب الأطعمة باب أى الإدام كان أحب، من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة مرفوعًا.

(١) له ذكر في طبقات ابن سعد (١/ ٣٠)، وروى هناك حديثًا في اسم الشجرة التي أكل منها آدم عليه السلام.

(٢) ينظر ترجمتها في الإصابة (٨/ ٦٣)، وأسد الغابة (ت ٦٨٠٨)، والاستيعاب (ت٣٣١٨).

إبراهيم، عن أبي سلمة، عن عائشة: أن رسول الله ﷺ قال: « اهجوا قريشًا؛ فإنه أشد عليهم من رشق النبل ». وأرسل إلى عبد الله بن رَواحة فقال: اهجهم، فهجاهم، فلم يرضه عليه الصلاة والسلام هجوه، فأرسل إلى كعب بن مالك كذلك فهجاهم فلم يرضه، ثم أرسل إلى حسان فلما دخل قال: قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبه، ثم أدلع لسانه فجعل يحركه، ثم قال: والذى بعثك بالحق لأفرينهم به فرىَ الأديم. فقال عليه الصلاة والسلام: « لا تعجل؛ فإن أبا بكر أعلم قريش بأنسابها، وإن لى فيهم نسبًا، فأته حتى يخلص لك نسبى » فأتاه حسان ابن ثابت، ثم رجع فقال: يا رسول الله، قد أخلص لى نسبك، والذى بعثك بالحق لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين(١). فقال: [من الطويل]

لَقَدْ عَلِمَ الأَقْوَامُ أَنَّ ابْنَ هَاشِمٍ ... هُوَ الغُصْنُ ذُو الأَفْنَانِ لاَ الْوَاحِدُ الوَغْدُ

وَأَنَّ سَنَامَ المَجْدِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ ... بَنُو بِنْتِ مَخْزُومٍ وَوَالِدُكَ العَبْدُ

وَمَنْ ولدت أبناء زَهْرَةَ مِنْهُمُ ... كِرَام وَلَمْ يَلْحَقْ عَجَائِزَكَ المَجْدُ

وَلَسْتَ كَعَبَّاسٍ وَلاَ كَابْنِ أُمِّهِ ... وَلَكِنْ لَئِيمٌ لاَ يَقُومُ لَهُ زَنْدُ

وَما لَكَ فِيهِمْ مَحتِدُ غير ملصق ... فدونك فالصق مثل ما لصق القُرْدُ

وَإِنَّ امْرَأً كَانَتْ غَزِيَّة أُمهُ ... وَسَمْرَاء مغمور إِذَا بُلِغَ الجَهْدُ

وَأَنْتَ زَنِيمٌ لِيطَ فِى آلِ هَاشِمٍ ... كَمَا لِيطَ(٢) خَلْفَ الرَّاكِبِ القَدَحُ الفَرْدُ

وقال حسان: عدمتُ بنيتى - تصغير بنت - ورأيت فى نسخة: ثنيتى، وفى أخرى: نشيتى، وكلها يقع به القسم بينهم، وفى رواية: عدمنا خيلنا: [من الوافر]

عَدِمْنَا خَيْلَنَا إِنْ لَمْ تَرَوْهَا ... تُثِيرُ النَّقْعَ مَطْلَعُهَا كَدَاءُ

يُبَارِينَ الأَعِنَّةَ مُسْرَجَاتٍ ... تُلَطِّمُهُنَّ بِالخُمُرِ النِّسَاءُ(٣)

فَإِمَّا تُعْرِضُوا عَنَّا اعْتَمَرْنَا ... وَكَانَ الفَتْحُ وَانْكَشَفَ الغِطَاءُ

وَإِلاَّ فَاصْبِرُوا لِجِلاَدِ يَوْمٍ ... يُعِزُّ اللهُ فِيهِ مَنْ يَشَاءُ

وَقَالَ اللهُ قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْدًا ... يَقُولُ الحَقَّ لَيْسَ بِهِ خَفَاءُ

---

(١) انظر تاريخ الإسلام للذهبي كتاب المغازي ص (٥٤٣).

(٢) ليط فيهم: ألحق بهم، ونُسب إليهم. وفى ط فى الموضعين: « نيط ». وتنظر الأبيات في ديوان حسان (٩٩).

(٣) رواية البيت في الديوان واللسان:

يباريـن الأعـنـة مـصـعـرات ... على أكتافها الأسل الظماء

وَقَالَ اللهُ قَدْ سَيَّرْتُ جُنْدًا ... هُمُ الأَنْصَارُ عُرْضَتُهَا اللِّقَاءُ
لَنَا فِى كُلِّ يَوْمٍ مِنْ مَعَدٍّ ... سِبَابٌ أَوْ قِتَالٌ أَوْ هِجَاءُ
وَجِبْرِيلٌ رَسُولُ اللهِ فِينَا ... وَرُوحُ اللهِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ

وصرح بخطاب أبى سفيان خاصة فقال:

هَجَوْتَ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ ... وَعِنْدَ اللهِ فِى ذَاكَ الْجَزَاءُ
هَجَوْتَ مُبَارَكًا بَرًّا حَنِيفًا ... رَسُول اللهِ شِيمَتُهُ الوَفَاءُ
أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكُفْءٍ ... فَشَرُّكُمَا لِخَيْرِكُمَا الفِدَاءُ
فَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللهِ مِنْكُمْ ... وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُره سَوَاءُ
فَإِنَّ أَبِى وَوَالِدَهُ وَعِرْضِى ... لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَاءُ
لِسَانِى صَارِمٌ لاَ فَلَّ فِيهِ ... وَبَحْرِى لاَ تُكَدِّرُهُ الدِّلاَءُ[1]

فقال رسول الله ﷺ: « يا حسان، إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله ».

قالت عائشة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « هجاهم حسان فشفى وأشفى »[2]. وقد قال حسان بن ثابت رضى الله عنه غير هذه الأبيات الهمزية قبل فتح مكة.

وفى مغازى ابن عقبة[3]: أن رسول الله ﷺ أمر خالدًا أن يدخل من أسفل مكة، ونهاه عن القتال، فلما دخل من أسفلها قاتل، فقال له النبى ﷺ: « لم قاتلت وقد نهيتك عن القتال؟» قال خالد: هم بدءونا بالقتال، ووضعوا فينا السلاح وأشعرونا بالنبل، وقد كففت يدى ما استطعت. فقال عليه الصلاة والسلام: « ما قضى الله خير ». ويقال: قال أبو بكر يومئذ: يا رسول الله، إنى أرانى فى المنام وأراك دنونا من مكة، فخرجت إلينا كلبة تهر، فقال عليه الصلاة والسلام: « ذهب كلبهم وأقبل

---

(١) ينظر الشعر في ديوان حسان ص (٤-١٠) مع اختلاف في ألفاظه، وشفاء الغرام (٢/ ٢٢١)، وسيرة ابن هشام (٤/ ١٠٦، ١٠٧)، والبداية والنهاية (٤/ ٣١٠).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٣٥) كتاب فضائل الصحابة باب فضائل حسان بن ثابت (٢٤٩٠) من حديث أبي سلمة عن عائشة -رضي الله عنها- وأخرجه البيهقي في الدلائل (٥/ ٥٠).

(٣) وينظر السيرة النبوية (٤/ ٧١)، وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص (٥٤٢)، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٩/ ١٢١).

درهم». ثم التفت إلى أبى بكر مبتسمًا حين رأى الخيل يلطمن بالخمر، أى: ينفضن الغبار عن الخيل، فاستنشده هذه الأبيات لحسان، فأنشده إياها[(١)].

أقول تحتاج هذه السبعة الأبيات الدالية إلى تفسير مبناها وتفصيل معناها. أما قوله « بنو بنت مخزوم » فأراد بهم عبد الله بن عبد المطلب والد النبى ﷺ، والزبير بن عبد المطلب، وأبا طالب بن عبد المطلب، والبيضاء بنت عبد المطلب، ومرة، وعاتكة، وأروَى، وأميمة؛ فهؤلاء الثلاثة الذكور والخمس الإناث أشقَّاء؛ أمهم جميعًا فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمرو بن مخزوم، وهى المرادة بقوله « بنو بنت مخزوم ».

وأما قوله « ومن ولدت أبناء زهرة منهم » فيريد بذلك حمزة، والمقوم، وحجل، وصفية؛ فهم أشقاء أيضًا؛ أمهم هالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة.

وأما قوله « ولست كعباس ولا كابن أمه » يعنى أخاه ضرارًا، وهما شقيقان أيضًا أمهما نثلة بنت جناب بن كلب بن النمر بن قاسط. وأما الحارث بن عبد المطلب فهو مفرد، وأمه سمراء بنت جندب بن هجير بن عامر بن صعصعة، وابنه أبو سفيان هذا المقصود بالهجاء كذلك مفرد لا شقيق له، وأمه غزية بنت قريش بن طريف من ولد فهر بن مالك، وقيل له شقيق يسمى قثم بن الحارث مات صغيرًا.

والمعنى أن حسانًا جعل تفرُّد أبى سفيان من غزية أمه تفرد أبيه من سمراء أمه غَمْزًا فى نسبه مضمرًا، ثم أفصح بإخراجه أصالة من النسب فى قوله فى البيت الأخير: « وأنت زنيم . . . » إلى آخره، كما أفحش فى قوله فى البيت الثانى « ووالدك العبد » لعله أراد معنى العبودية لله، وروى عنه بالمعنى الذى يقتضيه هجاؤه. وعلى الجملة فلله در حسان فيما أتى به فى هجاء هذا السيد الكريم ذى النسب الصريح اللباب الصميم؛ إذ هو من أكبر أولاد عبد المطلب ومن به كان يكنى فيقال: يا أبا الحارث، كما تقدم ذكر ذلك، لكن يستحق العزيز المذلة بتطاوله على الأعز، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين. ولكنه ولله الحمد أسلم؛ فإنه لما كان عام الفتح ألقى الله فى قلبه الإسلام، فخرج متنكرًا فتصدى لرسول الله ﷺ فأعرض عنه، فتحول إلى

---

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٦٦) من حديث نافع عن عبد الله بن عمر والطحاوي في شرح معاني الآثار (٤/ ٢٩٦) وعزاه في كنز العمال (٣٠١٨٠) لابن جرير، ونقله ابن كثير في البداية والنهاية (٣/ ٣٣٦)، وينظر: تاريخ الإسلام (المغازي) ص (٥٤٢).

الجانب الآخر فأعرض عنه، قال أبو سفيان: فقلت: أنا مقتول قبل أن أصل إليه، وذلك بطريق الأبواء مقبل النبى ﷺ إلى فتح مكة، فأسلم وحسن إسلامه.

ويقال: إنه ما رفع رأسه إلى النبى ﷺ حياء منه، وأسلم معه ابنه جعفر فأسلما قبل دخول مكة. وقيل: بل لقيه هو وابنه بين السقيا والعرج فأعرض رسول الله ﷺ عنهما، فقالت له أم سلمة زوج النبى ﷺ: يا رسول الله، لا يكن ابن عمك أشقى الناس بك. وقال له على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه: يا أبا سفيان، ائت رسول الله ﷺ من قبل وجهه فقل له ما قال إخوة يوسف ليوسف: ﴿ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴾ [يوسف: ٩١] فإنه لا يرضى أن يكون أحد أحسن قولاً منه، ففعل ذلك أبو سفيان رضى الله عنه، فقال عليه الصلاة والسلام ﴿ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾(١) [يوسف: ٩٢].

قال أبو سفيان: وسرت معه حتى شهدت فتح مكة وحنينًا، فلما لقينا العدو بحنين اقتحمت فرسى وبيدى السيف صلتا، والله يعلم أنى أريد الموت دونه وهو ينظر إلى، فقال له العباس: يا رسول الله، أخوك وابن عمك أبو سفيان فارض عنه. فقال: قد فعلت فغفر الله كل عداوة عادانيها. ثم التفت إلىَّ فقال: أخى لعمرى. فقبلت رجله فى الركاب(٢).

وكان أبو سفيان ممن ثبت مع رسول الله ﷺ ولم يفر، ولم تفارق يده لجام بغلة رسول الله ﷺ(٣).

وكان الذين يشبهون رسول الله ﷺ سبعة: جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه،

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٤٣) بنحوه كتاب المغازي، وانظر تاريخ الإسلام (المغازي) (٥٤٦).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٢٥٤) كتاب فضائل الصحابة باب ذكر مناقب أبي سفيان.

(٣) أخرجه البخاري كتاب المغازي باب قول الله تعالى: ﴿ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم﴾ (٥/ ٩٨)، ومسلم (٣/ ١٤٠٠) كتاب الجهاد والسير باب غزوة حنين رقم (١٧٧٦)، والترمذي في كتاب الجهاد باب ما جاء في الثبات عند القتال رقم (١٧٣٨)، وأحمد في المسند (٤/ ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٩، ٣٠٤) عن البراء -رضي الله عنه- أن رجلاً قال له: يا أبا عُمارة، أفررتم عن رسول الله (يوم حنين؟ قال لكن رسول الله لم يفر إن هوازن كانوا رماة فلما لقيناهم وحملنا عليهم انهزموا فأقبل الناس على الغنائم فاستقبلوا بالسهام، فانهزم الناس، فلقد رأيت رسول الله ﷺ، وأبو سفيان بن الحارث آخذ بلجام بغلته، والنبي ﷺ يقول: أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب ».

والحسن بن على رضى الله عنه، وعبد الله بن عامر ابن عمته البيضاء المكناة أم حليمة، وعبد الله بن جعفر رضى الله عنهما، وأبو سفيان بن الحارث هذا رضى الله عنه.

وكان ﷺ يحب أبا سفيان بن الحارث وشهد له بالجنة، فقال: « أبو سفيان بن الحارث من شبان الجنة »[(١)]، وقال: « أبو سفيان خير أهلى »[(٢)] أو: « من خير أهلى ».

ولما حضرتْ أبا سفيان الوفاة قال لأهله: لا تبكوا على، فإنى لم ألمم بخطيئة منذ أسلمت. ومات رضى الله عنه بالمدينة بعد استخلاف عمر سنة عشرين من الهجرة، وصلى عليه عمر رضى الله عنه، ودفن قيل: بالبقيع، وقيل: بدار عقيل بن أبى طالب، وحفر قبر نفسه قبل أن يموت بثلاثة أيام، فكان له من الأولاد جعفر الذى أسلم معه وشهد حنينًا مع النبى ﷺ، وتوفى فى خلافة معاوية، وعبد الله رأى النبى ﷺ وروى عنه، وأبو الهياج قيل: اسمه عبد الله أو على، فهم ثلاثة وابنة رابعة واسمها عاتكة تزوجها معتب بن أبى لهب، وولدت له.

وأما نوفل بن الحارث بن عبد المطلب - وهو الثانى من أولاد الحارث ذكرًا - وكان أسن من إخوته ومن جميع من أسلم من بنى هاشم، فأسر يوم بدر؛ ففداه العباس، أو هو فدى نفسه، وذلك أنه لما أسر قال رسول الله ﷺ: « افد نفسك برماحك التى بجدة »، قال: والله ما علم أحد أن لى بجدة رماحًا بعد الله، أشهد أنك رسول الله. وفدى نفسه بها وكانت ألف رمح[(٣)]. ثم شهد مع رسول الله ﷺ فتح مكة وحنينًا والطائف، وكان ممن ثبت مع رسول الله ﷺ يوم حنين، فقال رسول الله ﷺ: « كأنى أرى رماحك تقصف أصلاب المشركين[(٤)] ». وآخى رسول الله ﷺ بينه

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٢٥٥) كتاب معرفة الصحابة باب ذكر مناقب أبي سفيان بن الحارث بلفظ: سيد فتيان الجنة أبو سفيان بن الحارث وسكت عليه الذهبي في التلخيص.

(٢) أخرجه الحاكم (٣/ ٢٥٥) كتاب معرفة الصحابة باب ذكر مناقب أبي سفيان ولفظه: « أبو سفيان بن الحارث خير أهلي »، وقال عقبه: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٤/ ٣٤) قال أخبرنا على بن عيسى النوفلي عن أبيه عن عمه إسحاق بن عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن الحارث بن نوفل به.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٢٤٦) كتاب معرفة الصحابة؛ ذكر مناقب نوفل بن الحارث ابن عبد المطلب، وذكره ابن سعد في الطبقات الكبرى (٤/ ٣٥) في ترجمة نوفل بن الحارث.

وبين العباس بن عبد المطلب، وكانا شريكين فى الجاهلية متفاوضين فى المال متحابين، توفى بالمدينة فى خلافة عمر، وصلى عليه وشيعه للبقيع، ووقف على قبره حتى دفن.

وكان له من الولد: الحارث، وعبد الله، وعبيد الله، والمغيرة، وسعيد، وعبد الرحمن، وربيعة؛ فهم سبعة؛ فأما الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب فهو الذى يقال له: « ببّة »؛ لأن أمه هند ابنة أبى سفيان بن حرب بن أمية كانت ترقصه وهو طفل فتقول: [من الرجز]

لَأُنْكِحَنَّ بَبَّهْ جَارِيَةً خِدَبَّهْ
مُكْرَمَةً مُحَبَّهْ تُحِبُّ أَهْلَ الْكَعْبَهْ

والخِدَبَّةُ: العظيمة السمينة، والخِدَبُّ: العظيم السمين الجافى.

وكان الحارث هذا قد اصطلح عليه أهل البصرة حين توفى يزيد بن معاوية، وخرج ابن الأشعث، فلما هزم هرب إلى همذان فمات بها.

وقال الواقدى: كان الحارث بن نوفل على عهده عليه الصلاة والسلام، ولد له عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، فأتى به رسول الله ﷺ فحنكه ودعا له. وكانت تحت الحارث هذا درة بنت أبى لهب بن عبد المطلب، واستعمله عليه الصلاة والسلام على بعض أعماله بمكة، واستعمله أبو بكر أيضًا، وقيل: إنه مات بالبصرة بعد أن اختطها دارًا فى ولاية عبد الله بن عامر بن كريز، فمات بها آخر خلافة عثمان رضى الله عنهما.

وأما المغيرة بن نوفل بن الحارث فيكنى أبا يحيى، بابن له من أمامة بنت الربيع التى أمها زينب بنت رسول الله ﷺ، كان المغيرة تزوجها بعد على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه، شهد صفين مع على، وولاه القضاء عثمان بن عفان. ولد المغيرة المذكور بمكة قبل الهجرة وقيل: بعدها، ولم يدرك من حياته عليه الصلاة والسلام غير ست سنين، وهو الذى تلقى عبد الرحمن بن ملجم - لعنه الله حين ضرب عليًا، فلما علم الناس به حمل عليهم بسيفه فأفرجوا له، فتلقاه المغيرة هذا بقطيفة فرماها عليه، واحتمله وضرب به الأرض، وقعد على صدره، وانتزع السيف من يده، وكان أسدًا وافرًا.

وأما عبد الله بن نوفل فكان جميلاً يشبه رسول الله ﷺ، ولى القضاء بالمدينة لمعاوية وهو أول قاضٍ له بها.

وأما عبيد الله بن نوفل، وسعيد بن نوفل، فقد روى عنهما العلم.

وأما عبد الرحمن بن نوفل، وربيعة بن نوفل، فذكر الدارقطنى: أن لا لُقْيَا لهما ولا رواية.

وأما ربيعة بن الحارث، وهو الثالث من أولاد الحارث بن عبد المطلب ذكرًا، ويكنى أبا أروى، فكانت له صحبة، وهو الذى قال فيه عليه الصلاة والسلام يوم فتح مكة: « ألا إن كل مأثرة كانت فى الجاهلية فهى تحت قدمى هاتين، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أنا واضعه دم آدم بن ربيعة بن الحارث »[1]، وذلك أنه كان قتل لربيعة بن الحارث المذكور ابن سمى آدم، وقيل: تمام، وأبطل عليه الصلاة والسلام الطلب به فى الإسلام، ولم يجعل لربيعة فى ذلك تبعة، وأطعمه عليه الصلاة والسلام مائة وسق من خيبر كل عام، وكان أسن من العباس بنحو سنة، وكان شريك عثمان فى التجارة، توفى فى آخر خلافة عمر رضى الله عنه. وله من الولد العباس بن ربيعة وعبد المطلب بن ربيعة وعبد الله بن ربيعة، وشهد العباس وعبد الله صفين مع على، وللعباس واقعة غريبة سأذكرها فى وقعة صفين إن شاء الله تعالى.

والحارث بن ربيعة وأمية بن ربيعة وعبد شمس بن ربيعة، ذكر هؤلاء الثلاثة الدارقطنى، وآدم بن ربيعة - وكان هذا ذا قدر عظيم - أقطعه عثمان دارًا بالبصرة، وأعطاه مائة ألف درهم، وله أولاد من أم فراس بنت حسان بن ثابت، وكذلك عدة بنات لم تذكر أسماؤهن، منهن: أروَى بنت ربيعة، وهند تزوجها حيان بن منقذ الأنصارى النجارى، فولدت له يحيى بن حيان. قال المحب الطبرى: ولم أظفر بأسمائهن ولا بعددهن، وإنما ذكرن على سبيل الإجمال.

وأما المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب - وهو الرابع من أولاد الحارث الستة - فله

---

(١) هو جزء من خطبته (يوم فتح مكة، وهو حديثٌ طويل أخرجه أحمد في المسند (٢/ ١١)، والحميدي (٧٠٢)، وأبو داود (٤٥٤٧) كتاب الديات باب في دية الخطأ شبه العمد، والنسائي (٨/ ٤٢) كتاب القسامة، وابن ماجه (٢٦٢٨) كتاب الديات باب دية شبه العمد المغلظة، كلهم من حديث عبد الله بن عمر. وانظر: سبل الهدى والرشاد (٥/ ٢٤٢)، والروض الأنف (٤/ ١١٥).

صحبة، قيل: إن المغيرة اسم لأبى سفيان فهو عينه، والصحيح أنه أخوه فهو غيره.

وأما عبد شمس بن الحارث بن عبد المطلب، فهو الخامس من أولاد الحارث بن عبد المطلب، سماه عليه الصلاة والسلام عبد الله، ومات بالصفراء فى حياته عليه الصلاة والسلام فكفنه فى قميصه، وقال سعيد: أدركته السعادة، وله عقب بالشام يقال لهم المنازرة لقلتهم، لا يكادون يزيدون على ثلاثة أشخاص. وفى معجم البغوى: لا عقب له.

وأما أبو لهب بن عبد المطلب، واسمه عبد العزى، فقد كناه أبوه بذلك لحسنه وإشراق وجهه، وله من الأولاد ثلاثة ذكور وأنثيان: عتبة، وعتيبة، ومعتب، ودرة، وسبيعة - إن كانت غير درة - وإلا فالأربعة، أسلم الأول والثالث من الذكور - وهما من أم جميل حمالة الحطب ابنة حرب بن أمية أخت أبى سفيان بن حرب - أسلما يوم الفتح، وكانا قد هربا من النبى ﷺ، ولما قدم مكة عليه الصلاة والسلام قال: يا عباس، أين ابنا أخيك عتبة ومعتب لا أراهما ؟ قال العباس: فقلت: يا رسول الله، تنحيا فيمن تنحى من مشيخة قريش. فقال: اذهب إليهما فائتنى بهما. قال العباس: فركبت إليهما بعرفة فقلت: إن رسول الله ﷺ يدعوكما. فركبا معى فقدما على رسول الله ﷺ، فدعاهما إلى الإسلام، فأسلما وبايعهما، وسر بإسلامهما[(١)]، وشهدا معه حنينًا والطائف. وفقئت عين معتب بحنين، وكان فيمن ثبت ولم ينهزم. ولم يخرجا بعد من مكة، ولم يأتيا المدينة، ولهما عقب.

وروى الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: لما نزلت ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤] خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا فهتف: يا صباحاه : ! قالوا: من هذا الذى يهتف ؟ قيل: محمد. فاجتمعوا إليه فقال: أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج من خلف هذا الجبل، أكنتم مصدقيَّ ؟

(١) انظر قصة إسلامهما في طبقات ابن سعد (٤/ ٤٢) (٦/ ١١)، وسبل الهدى والرشاد (٥/ ٢٥٠)، وتكملة الأثر قال العباس: ثم قام رسول الله (فأخذ بأيديهما وانطلق بهما حتى أتى الملتزم، فدعا ساعة ثم انصرف والسرور يرى في وجهه، فقلت: يا رسول الله سرك الله، إني أرى السرور في وجهك فقال: « إني استوهبت ابني عمي هذين من ربي فوهبهما لي ». والأثر ذكره صاحب كنز العمال برقم (٣٣٦٠٥) وعزاه لابن سعد وهو في طبقاته (٤/ ٤٢). وذكره الحافظ ابن حجر في الإصابة في ترجمة عتبة رقم (٥٤٢٩) من طريق ابن سعد وقال إسناده ضعيف.

قالوا: نعم، ما جربنا عليك كذبًا. قال: فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد، فقال أبو لهب: تبًا لك. ألهذا جمعتنا ؟ فنزلت ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾[1] [المسد: ١] كذا فى صحيح مسلم.

وروى ابن عيينة عن أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما: لما نزلت سورة « تبت » أقبلت أم جميل بنت حرب زوجة أبى لهب ولها ولولة وبيدها فهر وهى تقول: [من الرجز]

مُذَمَّمًا قَلَيْنَا وَدِينَهُ أَبَيْنَا وَأَمْرَهُ عَصَيْنَا

والنبى ﷺ بالمسجد وأبو بكر معه، فقال: يا رسول الله، قد أقبلت هذه، وإنها امرأة بذيئة، فلو قمت. فقال النبى ﷺ: إنها لن ترانى. فجاءت فلم تره، فقالت: يا أبا بكر، أين صاحبك ؟ فقد أخبرت أنه هجانى، فو الله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه، والله إنى لشاعرة. فقال لها أبو بكر رضى الله عنه: لا ورب البيت ما هجاك، وإنه لا يقول الشعر. فقالت: أنت عندى مصدق. فانصرفت وهى تقول: لقد علمت قريش أنى ابنة سيدها. فقال أبو بكر للنبى ﷺ: إنها لم ترك يا رسول الله. فقال عليه الصلاة والسلام: لم يزل عندى ملك يسترنى منها بجناحه[2].

قال أبو الزناد: عن الأعرج، عن أبى هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: « انظروا قريشًا كيف يصرف الله عنى شتمهم ولعنهم، يشتمون مذممًا ويلعنون مذمما، وأنا محمد النبى ﷺ »[3] كذا فى « التلقيح » للعلامة ابن الجوزى رحمه الله.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان (١/ ١٩٣) باب في قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤] حديث رقم (٣٥٥)، والحديث عند البخاري كتاب التفسير حديث رقم (٤٨٠١) والمناقب (٣٥٢٥)، والترمذي في التفسير (٣٣٦٣)، والنسائي في التفسير (٧٣٤)، والبيهقي في الدلائل (٢/ ١٨١)، وزاد السيوطي نسبته في الدر المنثور (٦/ ٤٠٨) لسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبي نعيم.

(٢) أخرجه الحميدي رقم (٣٢٣) من طريق سفيان قال حدثنا الوليد بن كثير، عن ابن تدرس، عن أسماء... ومن طريق الحميدي أخرجه الحاكم (٢/ ٣٦١)، ومن طريق الحاكم أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ١٩٥). وذكره ابن كثير في التفسير (٧/ ٤٠١)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وذكره السيوطي في الخصائص الكبرى (١/ ١٢٧)، وقال: أخرجه أبو يعلى، وابن أبي حاتم، والبيهقي، وأبو نعيم، عن أسماء بنت أبي بكر .

(٣) أخرجه البخاري في المناقب (٣٥٣٣) باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ وأحمد (٢/ ٢٤٤)، وابن حبان في الصحيح رقم (٦٤٦٩)، والبيهقي في الكبرى (٨/ ٢٥٢) باب من قال: لا حد =

ولما نزلت سورة « تبت » قال أبو لهب لولديه عتبة وعتيبة: رأسي من رأسكما حرام إن لم تفارقا ابنتي محمد. وكانتا تحتهما: رقية تحت عتبة، وأم كلثوم تحت عتيبة، ففارقاهما ولم يكونا دخلا بهما، فصانهما الله تعالى عنهما. ولما فارقاهما جاء عتيبة إلى النبي ﷺ فقال: كفرتُ بدينك وفارقت ابنتك، لا تحبني ولا أحبك. ثم سطا عليه وشق قميصه وهو خارج نحو الشام تاجرًا، فقال عليه الصلاة والسلام: « اللهم سلط عليه كلبًا من كلابك ». وأبو طالب حاضر، فوجم لها. فقال له: ما كان أغناك عن دعوة ابن أخي. فخرج في تجر من قريش حتى نزلوا مكانًا بالشام يقال له: « البلقاء » ليلًا، فأطاف بهم الأسد تلك الليلة، فجعل عتيبة يقول: يا ويل أمي، هو والله آكلي كما دعا على محمد، أقاتلي ابن أبي كبشة وهو بمكة وأنا بالشام؟ روي أنهم جمعوا متاعهم وقصدوه وناموا حوله وعليه، فجاء الأسد فجعل يشم وجوههم، ثم ألقى ذنبه فضربه ضربة واحدة فخدشه، فقال: قتلني. ومات. وفي رواية: أن الأسد أقبل يتخطاهم حتى أخذ برأس عتيبة ففدغه[١]. ذكره الدولابي. كذا في « الذخائر ».

قلت: قول عتيبة « أقاتلي ابن أبي كبشة » يعني النبي ﷺ، هو كقول أبي سفيان بن حرب، وهو عند ملك الروم لما جاءه كتاب النبي ﷺ وسأل أبا سفيان عن نسب النبي ﷺ وغيره، ورأى أبو سفيان ما رأى من خوف هرقل-: لقد أَمِرَ أمرُ ابن أبي كبشة حين أصبح يخافه ملكُ بني الأصفر[٢]. وكقول غيره من كفار قريش: قال ابن أبي كبشة، وفعل ابن أبي كبشة.

ونسبة النبي ﷺ إليه فيها أقوال؛ قيل: إنها كنية أبيه لأمه وهب بن عبد مناف،

= إلا في القذف الصريح. وفي دلائل النبوة (١/ ١٥٢) من طريق سفيان حدثنا أبو الزناد، عن الأعرج عن أبي هريرة، به وأخرجه أحمد (٢/ ٣٤٠)، والنسائي في الطلاق (٦/ ١٥٩) باب الإبانة والإفصاح بالكلمة من طريقين عن أبي الزناد، بالإسناد السابق.

(١) فدغه: شدخه وكسره. والحديث بطوله أخرجه الطبراني في الكبير، كما ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٢١-٢٢)، وقال: « رواه الطبراني هكذا مرسلًا وفيه زهير بن العلاء وهو ضعيف ». وكذا ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٧٠٢) باختصار، وعزاه للطبراني فقط.

(٢) قصة أبي سفيان مع هرقل أخرجها البخاري في صحيحه في عدة مواضع (١/ ٤٨- الفتح) كتاب بدء الوحي رقم (٧)، وأطرافه (٥١، ٢٦٨١، ٢٩٤١، ٥٩٨٠، ٦٢٦٠، ٧١٩٦، ٧٥٤١)، ومعنى أَمِر: عظم، كما في الفتح (١/ ٥٨).

وقيل: كنية أبيه من الرضاعة الحارث بن عبد العزى، وقيل: إن سلمى أم عبد المطلب كان أبوها عمرو بن لبيد يكنى أبا كبشة، والأشهر من هذه الأقوال كلها عند الناس أنهم شبهوه برجل كان يعبد الشعرى وحده دون العرب، فشبهوه بخروجه عن دين قومه كخروج المشبه به، ونسبوه إليه بسبب هذه المشابهة. وذكر الدارقطنى اسم أبى كبشة هذا فى « المؤتلف والمختلف »[1] فقال: اسمه وخز بن غالب، وهو خزاعى. انتهى. كذا فى « الروض الأنف » للعلامة السهيلى.

وأما درة بنت أبى لهب فأسلمت، تزوجها نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، فولدت له أبا سلمة والوليد وعقبة، وروت عن أبى هريرة أن أختها سبيعة بنت أبى لهب شكت إليه عليه الصلاة والسلام أذى الناس لها بقولهم لها بنت حطب النار: وقيل: إن سبيعة لقب لـ « درة » فهى عينها لا غيرها، وزيد عليهما فروى: خالدة، ولا رواية لهما. قاله الدارقطنى.

وأما الزبير بن عبد المطلب فله ثلاثة أولاد: ذكر واحد وهو عبد الله، وابنتان: أم حكيم، وضباعة أم عبد الله بن الزبير، فأمه عاتكة بنت أبى وهب، أخت هبيرة بن أبى وهب زوج أم هانىء بنت أبى طالب، أدرك الإسلام وثبت معه عليه الصلاة والسلام يوم حنين، شهد أجنادين فى خلافة أبى بكر، واستشهد بها، بعد أن قتل جماعة من الروم وجدوا حوله قتلى، ثم أثخنته الجراحة فمات. وذكر الواقدى فقال: كان أول قتيل من الروم بطريقٌ معلم برز ودعا إلى البراز، فبرز إليه عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب هذا فقتله عبد الله ولم يتعرض لسلبه، ثم برز آخر يدعو إلى البراز فبرز إليه أيضًا عبد الله فاقتتلا بالرمحين ثم صارا إلى السيفين، فضربه عبد الله على عاتقه وهو يقول: خذها وأنا ابن عبد المطلب، فقطع سيفه وأسرع فى منكبه. ثم ولى الرومى منهزمًا، فعزم عليه عمرو بن العاص ألا يبارز، فقال عبد الله: إنى والله ما أجد أنى أصبر، فلما التحمت السيوف وأخذ بعضها بعضًا وجد فى ربضة من الروم عشرة حوله قتلى وهو بينهم قتيل، وكانت سنُّه نحوًا من ثلاثين سنة ولم يعقب.

وأما ضباعة بنت الزبير، وهى التى أمرها عليه الصلاة والسلام بالاشتراط فى

---

(١) انظر المؤتلف والمختلف (٤/ ١٩٧٣)، والإكمال لابن ماكولا (١٥٧)، وتوضيح المشتبه لابن ناصر الدين (٧/ ٢٧٢).

الحج[١] - يعنى اشتراط التحلل بوقوع المرض - فكانت تحت المقداد بن الأسود الكندى، وأما أم حكيم فكانت تحت ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، قاله ابن قتيبة.

وأما الغيداق، والمقوَّم، وحجل، وضرار، والعوام، وقثم - على العدة المصدرة التى عدها ابن الجوزى - فلم يذكر القسطلانى وابن هشام لهم عقبًا.

والحاصل أن جملة بنى أعمامه ﷺ خمسة وعشرون: اثنان منهم لم يسلما: طالب بن أبى طالب، وعتيبة بن أبى لهب أكيل السبع، والباقون أسلموا ولهم صحبة، وأما أولاد أبى طالب: فعقيل وجعفر وعلى. وأما بنو العباس فعشرة: الفضل، وعبد الله، وعبيد الله، وعبد الرحيم، وقثم، ومعبد، وكثير، والحارث، وعون، وتمام. وأما بنو الحارث بن عبد المطلب فخمسة: أبو سفيان، ونوفل، وربيعة، والمغيرة، وعبد شمس. كذا عدهم صاحب « تاريخ الخميس ».

قلت: وليس منهم عبيدة بن الحارث بن المطلب كما توهم بعضهم فعدهم به ستة؛ إذ الكلام فى بنى الحارث بن عبد المطلب، لا فى أبناء المطلب؛ فهو ابن ابن عم أبيهم لا أخوهم، وعبارته فى ترجمة عبيدة بن الحارث هى: عبيدة بن الحارث ابن المطلب، كان أسن من رسول الله ﷺ بعشر سنين، وأسلم قبل دخوله دار الأرقم، ثم شهد بدرًا وجرح بها، وتأخرت وفاته حتى وصل وادى الصفراء فدفن بها وهو ابن ثلاث وستين سنة. انتهى

قلت: وهو المبارز لعتبة بن ربيعة يوم بدر؛ فإنه صرع عتبة، وعتبة ضربه فى نصف ساقه فقطعها، فذلك هو الجرح الذى مات به. وأما بنو أبى لهب فثلاثة عتبة وعتيبة ومعتب. وأما بنو حمزة فعمارة ويعلى. وأما بنو الزبير بن عبد المطلب فواحد: عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب. فهؤلاء خمسة وعشرون رجلاً. وإن جملة بنات أعمامه ﷺ عشر: اثنتان لأبى طالب: أم هانىء وجمانة، وثلاث

(١) نص الحديث: « أن رسول الله (دخل على ضُباعة بنت الزبير فقال لها: لعلك أردت الحج فقالت: والله ما أجدني إلا وجعة فقال لها: حجي، واشترطي وقولي: اللهم إن محلي حيث حبستني » أخرجه البخاري (٣/ ٤١٧) كتاب الحج. ومسلم (٤/ ٢٦) كتاب الحج باب جواز اشتراط المحرم التحلل بعذر المرض ونحوه حديث رقم (١٠٥) والنسائي (٥/ ١٨٣) كتاب مناسك الحج باب كيف يقول إذا اشترط، وابن حبان (٩٧٣)، وابن الجارود (٤٢٠)، والدارقطني (٢٦٢)، والبيهقي (٥/ ٢٢١) كلهم من طريق عروة عن عائشة وله ألفاظ أخرى عن غير عائشة.

للعباس: أم حبيبة وصفية وأمينة. وواحدة لأبى لهب اسمها درة، وواحدة لحمزة اسمها فاطمة.

وأما عماته وأولادهن: فعماته ست: البيضاء، وعاتكة، وأروَى، وبَرَّة، وأُميمة، وصفية. أما البيضاء، وتكنى أم حكيم، فهى توأم عبد الله، والد النبى ﷺ، تزوجها كريز بن ربيعة بن عبد شمس فولدت له عامرًا، وهذا عامر هو الذى ينسب إليه الشعب بمكة المعروف بشعب عامر، كذا رأيته فى « شفاء الغرام » للعلامة الفاسى، وهو والد عبد الله بن عامر الذى تفل فى فمه النبى ﷺ وهو طفل فتسوّغها وازدردها، فقال النبى ﷺ: « إنه لمسقى »[1]، وهو أحد السبعة المشابهين له ﷺ فى الخلقة، وقد تقدم ذكرهم، وهو الذى شق نهر البصرة حين كان عاملًا عليها لعثمان رضى الله عنه، ولي العراق وخراسان وهو ابن أربع وعشرين سنة، وقال فيه النبى ﷺ: « يا بنى عبد شمس، هو من صلبكم، وهو بنا أشبه منه بكم ». ثم ولدت البيضاء المذكورة لكريز بعد عامر أختًا له اسمها أروى، وهى أم عثمان بن عفان رضى الله عنه، فعامر خال عثمان، وابنه عبد الله بن عامر ابن خاله، وعثمان ابن عمة عبد الله بن عامر المذكور.

وأما عاتكة ابنة عبد المطلب، فتزوجها أبو أمية المخزومى، فأنجب منها عبد الله وزهيرًا. فأما عبد الله بن أبى أمية بن المغيرة المخزومى فأسلم، وكان قبل إسلامه شديد العداوة له - عليه الصلاة والسلام - وللمسلمين، وهو الذى قال: « لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعًا » ثم إنه خرج مهاجرًا إلى النبى ﷺ فلقيه فى الطريق بين السقيا والعرج مريدًا مكة عام الفتح فتلقاه، فأعرض عنه عليه الصلاة والسلام، ثم تلقاه فأعرض عنه مرة أخرى، حتى دخل على أخته لأمه، أم سلمة، وسألها أن تشفع له، فشفعها فيه رسول الله ﷺ، فأسلم وحسن إسلامه[2]، وشهد مع رسول الله ﷺ فتح مكة مسلمًا وحنينًا والطائف، فرمى يوم الطائف بسهم فقتل فمات

(١) الحديث ذكره ابن حجر في الإصابة (٥/ ١٤) في ترجمة عبد الله بن عامر ولفظه: « ولد على عهد النبي ﷺ وأتي به إليه وهو صغير، فقال: « هذا شبيهنا » وجعل يتفل عليه، ويعوذه، فجعل يبتلع ريق النبي ﷺ؛ فقال النبي ﷺ: « إنه لمسقي » وكان لا يعالج أرضًا إلا ظهر له الماء »، وعزاه لابن عبد البر وهو عنده في أسد الغابة (٣/ ٢٨٩) بغير إسناد.

(٢) ينظر: الإصابة (٤/ ١٢) ونقل الأثر عن الزبير بن بكار في ترجمة عبد الله بن أبي أمية.

شهيدًا، وهو الذى قال له المخنث فى بيت أم سلمة: يا عبد الله، إذا فتح الله عليكم الطائف غدًا فإنى أدلك على بادية بنت غيلان؛ فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان، إن مشت تثنت، وإن قعدت تبنت، وإن تحدثت تغنت، وإن لبين فخذيها لكالعقب المكفى. قال: فدخل عليه الصلاة والسلام على أم سلمة حينئذ فسمعه يتكلم بهذا الكلام، فقال: اخرج فقد غلغلت النظر يا عدو الله(١).

وفى رواية من حديث عائشة رضى الله عنها قالت: كان يدخل على أزواج رسول الله ﷺ مخنث. قالت: وكانوا يعدونه من غير أولى الإربة. ثم قال ﷺ: « لا يدخل عليكم هذا بعد اليوم »(٢)، فحجبوه. وقوله تقبل بأربع . . . إلى آخر ما قال سيأتى بيانه فى المقصد الرابع قبل الخاتمة إن شاء الله تعالى، فالأليق تأخيره عن ذكره فى معرض ذكر أعمامه وعماته عليه الصلاة والسلام.

وأما زهير بن أمية فأسلم وعد من المؤلفة قلوبهم، وهو أحد القائمين فى نقض الصحيفة القاطعة المتقدم ذكرها، والإشارة إليها فى قول الإمام أبى سعيد البوصيرى وزهير والمطعم بن عدى. . . إلى آخره. وأبو أمية هذا هو والد أم سلمة زوج النبى ﷺ مشيرة الحديبية بالحلق(٣)، التى كانت زوجة أبى سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومى، تزوجها النبى ﷺ بعد وفاته.

وعاتكة هذه هى صاحبة الرؤيا فى قصة بدر(٤). قال ابن هشام: لما سمع رسول

---

(١) أخرجه الحميدي (٢٩٧)، وأحمد (٦/ ٢٩٠)، ومسلم (٤/ ١٧١٥) كتاب السلام باب منع المخنث من الدخول على النساء الأجانب رقم (٢١٨٠). وأبو داود (٤٩٢٩) كتاب الأدب باب الحكم في المخنثين. وابن ماجه (٢٦١٤) كتاب الحدود باب المخنثين.

(٢) رواية عائشة أخرجها مسلم (٤/ ١٧١٦) كتاب السلام باب منع المخنث من الدخول على النساء الأجانب، وأخرجه أبو داود رقم (٤١٠٧) (٢١٨١).

(٣) أي في عمرة الحديبية حيث كتب ﷺ صلح الحديبية فقال لأصحابه: قوموا فانحروا ثم احلقوا فوالله ما قام منهم رجلٌ واحد حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقُم منهم أحد قام فدخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا رسول الله: أتحب ذلك؟ اخرج ثم لا تُكلم أحدًا منهم كلمةً حتى تَنحر بُدنك، وتدعو حالقك فيحلقك، فقام فخرج، فلم يُكلم أحدًا منهم حتى فعل ذلك: نحر بُدْنَهُ ودعا حالقه فحلقه، فلما رأى الناس ذلك، قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يَحلقُ بعضًا » أخرج قصة الحديبية البخاري (٢٧٣١) كتاب الشروط باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وسيأتي في فضائل أم سلمة وانظر زاد المعاد لابن القيم (٣/ ٢٩٥)، وتاريخ الإسلام للذهبي: المغازي ص(٣٧٢).

(٤) رؤيا عاتكة أخرجها ابن إسحاق قال: أخبرني من لا أتهم عن عكرمة عن ابن عباس، ويزيد=

الله ﷺ بأبى سفيان مقبلاً من الشام بتجارات لقريش قال: هذه عير قريش فيها تجارتهم وأموالهم، فاخرجوا إليها لعل الله أن ينفلكموها. فانتدب الناس، فخف بعضهم وثقل بعضهم، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقى حربًا، وكان أبو سفيان فى العير، وكان حين دنا من الحجاز يتحسس[1] الأخبار، ويسأل من لقى من الركبان والرجلان عن أمر الناس، حتى أصاب خبرًا من بعض الركبان أن محمدًا قد استفز[2] أصحابه لك ولعيرك، فَحَذِرَ عند ذلك، واستأجر ضمضم بن عمرو الغفارى فبعثه إلى مكة، وأمره أن يأتى قريشًا ويستنفرهم[3] إلى أموالهم، ويخبرهم أن محمدًا قد عرض لها فى أصحابه، فخرج ضمضم بن عمرو سريعًا إلى مكة.

قال ابن إسحاق: فحدثنى من لا أتهم، عن عكرمة، عن ابن عباس، ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير، قالا: وقد رأت عاتكة ابنة عبد المطلب قبل قدوم ضمضم بثلاثٍ رؤيا أفزعتها، فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب فقالت له: والله يا أخى، لقد رأيت الليلة رؤيا أفظعتنى، وتخوفت أن يدخل على قومك منها شر ومصيبة، فاكتم عنى ما أحدثك. فقال لها: مارأيت ؟ قالت: رأيت الليلة راكبًا أقبل على بعير له حتى وقف بالأبطح، ثم صرخ بأعلى صوته: ألا انفروا يا آل غدر لمصارعكم فى ثلاث. فأرى الناس اجتمعوا إليه، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه، فبينما هم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة، ثم صرخ بمثلها: ألا انفروا يا آل غدر لمصارعكم فى ثلاث، ثم مثل به بعيره على رأس أبى قبيس فصرخ بمثلها، ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوى، حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضت[4]، فما بقى بيت من بيوت مكة ولا دار منها إلا دخلها فلقة من تلك الصخرة.

= ابن رومان عن عروة بن الزبير، قالا: فلابن إسحاق في هذه القصة طريقان أما طريق ابن عباس ففيها جهالة شيخ ابن إسحاق، وأما طريق عروة، فهي مرسلة. وانظر سيرة ابن هشام (٢/ ٢٥٠)، تاريخ الإسلام للذهبي - المغازي ص (٧٥).

(١) فى ط: يتجسس، والمثبت من السيرة، والفرق بينهما أن التجسس يكون عن طريق الغير، والتحسس يكون بالنفس، ولعل الأخير هو المراد هنا. ينظر: اللسان (جسس، حسس).

(٢) في السيرة: استنفر.

(٣) في السيرة: فيستنفرهم.

(٤) ارفضّتْ: تفتتت.

قال العباس: والله إنها لرؤيا، وأنت فاكتميها ولا تذكريها لأحد. ثم خرج العباس فلقى الوليد بن عتبة بن ربيعة، وكان له صديقًا فذكرها له واستكتمه إياها، فذكرها الوليد لابنه عتبة، ففشا الحديث حتى تحدثت به قريش فى أنديتها. قال العباس: فغدوت لأطوف بالبيت وأبو جهل بن هشام فى رهط من قريش، يتحدثون برؤيا عاتكة، فلما رآنى أبو جهل قال: يا أبا الفضل، إذا فرغت من طوافك فأقبل إلينا. فلما فرغت أقبلت حتى جلست معهم، فقال لى أبو جهل: يابنى عبد المطلب، متى حدثتْ فيكم هذه النبية ؟ قلت: وما ذاك ؟ قال: تلك الرؤيا التى رأت عاتكة. فقلت: وما رأت ؟ فقال أبو جهل: يا بني عبد المطلب، أما رضيتم أن تتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم ؟ قد زعمت عاتكة فى رؤياها أنه قال: انفروا فى ثلاثٍ، فسنتربص بكم هذه الثلاث، فإن يك حقًّا ما تقول فسيكون وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شىء نكتب عليكم كتابًا أنكم أكذب أهل بيت فى العرب.

قال العباس: فو الله ماكان منى إليه كبير إلا أنى جحدت ذلك، وأنكرت أن تكون رأت شيئًا. قال: ثم تفرقنا. فلما أمسيت لم تبق امرأة من بنى عبد المطلب إلا أتتنى فقالت: أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع فى رجالكم، ثم قد تناول النساء وأنت تسمع ثم لم يكن عندك غيرة لشىء ! قال: قلت: قد والله فعلت، ما كان منى إليه كبير أمر، وايم الله لأتعرضن له، فإن عاد لأكفيكنَّه. قال: فغدوت فى اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا حديد مغضب، أرى أن قد فاتنى منه أمر أحب أن أدركه منه، قال: فدخلت المسجد فرأيته، فو الله إنى لأمشى نحوه أتعرضه ليعود لبعض ما قال فأقع به، وكان رجلاً خفيفًا حديد الوجه حديد اللسان حديد النظر.

قال: إذ خرج نحو باب المسجد يشتد، قال: قلت فى نفسى: ماله - لعنة الله عليه - أكل هذا فرقًا من أن أشاتمه؟ قال: فإذا هو قد سمع ما لم أسمع صوت ضمضم بن عمرو الغفارى، وهو يصرخ ببطن الوادى واقفًا على بعيره قد جدع بعيره، وحول رحله، وشق قميصه، وهو يقول: يا معشر قريش، اللطيمة اللطيمة ! أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد فى أصحابه لا أدرى أن تدركوها، الغوث الغوث ! قال: فشغله عنى، وشغلنى عنه ما جاء من الأمر، فتجهز الناس سراعًا فخرجوا إلى بدر، وكانت القتلة فى أشرافهم ورءوسهم وصناديدهم، وأعز الله الإسلام

وأهله. فهذه رؤيا عاتكة المشار إليها بقوله: وهى صاحبة الرؤيا فى قصة بدر[١].

وأما أروَى ابنة عبد المطلب فكانت تحت عمير بن وهب بن عبد بن قصى بن كلاب، أسلم رضى الله عنه، ولإسلامه قصة، هى أنه لما كانت وقعة بدر وقتل من قتل من أشرافهم وصناديدهم، منعت قريش النياحة على من قتل إظهارًا للجد والثبات، فاجتمع صفوان بن أمية وعمير ابن وهب وكان هذا عمير فى الجاهلية شيطانًا من الشياطين، وهو الذى حزر لقريش النبىَّ ﷺ وأصحابه يوم بدر، فضرب بفرسه بطن الوادى ثم قال: القوم ثلاثمائة يزيدون قليلاً أو ينقصون. وهم كذلك كانوا فى الحقيقة ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً. ثم رجع واستبطن الوادى وقال: توهمت أن للقوم كمينًا، فلم أجد، ولكنى - يا معشر قريش - رأيت المنايا على البلايا، نواضح يثرب تحمل السم الناقع، لا ملجأ لهم ولا منعة إلا سيوفهم، والله لئن أصابوا منا كما نصيب منهم لَبطن الأرض خير من ظهرها. فاجتمع هو وصفوان بعد وقعة بدر، فقال عمير: لولا أن لى صبية وأهلاً لذهبت حتى أغتال محمدًا، أصِل إليه بالمدينة فى طلب ابنى. وكان له ابن أسر يوم بدر، فضمن له صفوان كفاية أولاده وأهله، وأن يجعلهم أسوة أهله، ويقوم عليهم بما يحتاجون، فاتفقا على ذلك وأن يعطيه ما يعطيه، فخرج عمير حتى قدم المدينة المشرفة وأناخ بباب المسجد، فأقبل عليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فأخذ بمجامع ثوبه فى صدره وحمائل سيفه، ودخل به إلى النبى ﷺ. فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلاً كذلك قال: « أرسله يا عمر ؟ ادنُ يا عمير ». فدنا إليه، فقال له عليه الصلاة والسلام: « ما الذى أقدمك؟ » قال: لهذا الأسير الذى فى أيديكم. فقال له عليه الصلاة والسلام: « فما بال هذا السيف معك ؟ » فقال عمير: قبحها الله من سيوف، وهل أغنت عنَّا يوم بدر شيئًا ؟ ثم قال له: إنما أتيتُ من أجل فداء ابنى. قال عليه الصلاة والسلام: « ألم تجلس أنت وصفوان بن أمية بالحجر فتذاكرتما مصاب قريش، فقلت ماقلت، وشكوت خوف ضيعة صبيتك وأهلك فضمن لك صفوان القيام بالنفقة عليهم والكفاية لهم ؟ » قال: من أخبرك بهذا ؟ فلم يكن أحد معنا. قال: « أخبرنى الله

---

(١) تقدم الكلام على رؤيا عاتكة. وسيأتي تخريج ألفاظها في غزوة بدر في حوادث السنة الثانية وانظر السيرة (٢/ ٢٥٠-٢٥٣).

عز وجل ». قال: صدق الله وصدقتَ، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله[١].

هذا وصفوان بعد ذهاب عمير كان يقول: سيأتيكم يا أهل مكة أمر يسرُّ كل ذى حزن. فلما طالت المدة، وجاء الخبر بإسلام عمير غضب صفوان، ومنع النفقة على أولاد عمير وأهله، فهذا سبب إسلامه رضى الله عنه.

فولدت له طُلَيْبَ بن عمير، أسلم طليب[٢] وهاجر إلى الحبشة، وشهد بدرًا وقتل بأجنادين، وكان سببًا فى إسلام أمه كما ذكره الواقدى. ثم خلف عليها بعد موت عمير كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى، أمها غزية بنت جندب أم الحارث ابن عبد المطلب؛ فهى شقيقته، وكأن حسانًا لما جعله فذًا فى السبعة الأبيات المتقدم ذكرها لم يعتبرها شقيقة له للأنوثة التى ليست موضعًا للفخر، فنبذ ابنه أبا سفيان بانفراده من سمراء، وبتره بانفراده من غزية.

وكيفية سببيته فى إسلام أمه أروَى هى أنه لما أسلم طُليب فى دار الأرقم ثم خرج، دخل على أمه أروى بنت عبد المطلب فقال لها: تبعتُ محمدًا وأسلمت لله عز وجل. فقالت: إن أحق من وادد وعضدت ابن خالك، والله لو قدرنا على ما تقدر عليه الرجال لمنعناه وذببنا عنه. فقال لها طليب: ما يمنعك أن تسلمى وتتبعيه؟ فقد أسلم أخوك حمزة. قالت: أنظر مايصنع أخواتى، ثم أكون إحداهن. قال: فقلت: إنى أسألك بالله إلا أتيته فسلمت عليه وصدقتيه، وشهدت أن لا إله إلا الله. قال: فأتت النبى ﷺ وقالت: إنى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله. ثم

(١) قصة إسلام عُمير بن وهب ذكرها الحافظ في الإصابة (٤/ ٦٠٣) في ترجمة عمير وذكرها من طريق موسى بن عقبة ثم قال عقبها: « هكذا ذكره أبو الأسود عن عروة مرسلاً، وأورده ابن إسحاق في المغازي عن محمد بن جعفر بن الزبير مرسلاً أيضًا. وجاء من وجهٍ آخر موصولاً، أخرجه ابن منده من طريق أبي الأزهر، عن عبد الرزاق عن جعفر بن سليمان، عن أبي عمران الجوني عن أنس وغيره. وقال ابن منده: غريب لا نعرفه عن أبي عمران إلا من هذا الوجه. وأخرجه الطبراني من طريق محمد بن سهل بن عسكر عن عبد الرزاق بسنده، فقال: لا أعلمه إلا عن أنس بن مالك. اهـ. وانظر سيرة ابن هشام (٢/ ٣٠٢) وتاريخ الإسلام (المغازي ص٧١).

(٢) قصة إسلام طليب وأمه أروى أخرجها الحاكم في المستدرك (٣/ ٢٣٩) من طريق موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي، عن أبيه، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن فذكرها وقال عقبها الحاكم: صحيح على شرط البخاري وتعقبه ابن حجر في الإصابة (٣/ ٤٤٠) في ترجمة طليب فقال: « قلت: وليس كما قال؛ فإن موسى ضعيف، ورواية أبي سلمة عنه مرسلة ».

كانت تعضد النبى ﷺ بلسانها، وتحض على نصرته والقيام بأمره.

وقال الزبير بن بكار: كان طليب من المهاجرين الأولين، وقتل بأجنادين شهيدًا ولا عقب له، وقيل: قتل يوم اليرموك. والله أعلم.

وأما بَرَّة بنت عبد المطلب فكانت عند أبى رُهم بن عبد العزى العامرى، فولدت له أبا سبرة بن أبى رهم، ثم خلف عليها عبد الأسد بن هلال المخزومى، فولدت له أبا سلمة بن عبد الأسد الذى كان زوج أم سلمة قبل النبى ﷺ، واسم أبى سلمة عبد الله، أسلم وهاجر إلى أرض الحبشة الهجرتين، وهو أول من هاجر إلى المدينة، وهو أيضًا أول من هاجر إليها، وكانت هجرته قبل بيعة العقبة، لما آذته قريش حين قدم من الحبشة، وقد بلغه إسلام من أسلم من الأنصار، فخرج مهاجرًا إليها، وشهد بدرًا، وجرح جرحًا اندمل، ثم انتقض عليه فمات منه.

وتزوج عليه الصلاة والسلام زوجته أم سلمة بعده، قالت أم سلمة: دخل على أبى سلمة وقد شق بصره فأغمضه، وقال: « إن الروح إذا قبض تبعه البصر »، فصاح ناس من أهله، فقال: « لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير؛ فإن الملائكة تؤمن على ما تقولون. ثم قال: اللهم اغفر لأبى سلمة وارفع درجته فى المقربين. اللهم افسح له فى قبره ونوره له »[1]. أخرجه البخارى ومسلم. ثم قال لها: « قولى اللهم إنى أحتسب عندك مصيبتى واخلف علىّ خيرًا منه ». فقالت: وهل خير من أبى سلمة؟ فأخلف الله علىّ منه النبى ﷺ؛ فكان هو خيرًا. أو كما قال ﷺ[2].

وأما أميمة بنت عبد المطلب فكانت تحت جحش بن رئاب، فولدت له عبد الله، وعبيد الله، والبصير الملقب أبا أحمد، وزينب، وأم حبيبة، وحمنة. أما عبد الله بن جحش فهو ابن أخت حمزة، مثل به كما مثل بحمزة، وعبد الله هذا يعرف بالمجدع فى الله؛ جدع أنفه وأذناه يومئذ.

(١) الحديث أخرجه مسلم (٢/ ٦٣٤) كتاب الجنائز باب إغماض الميت والدعاء له إذا حضر وأبو داود (٣/ ١٩٠) كتاب الجنائز باب تغميض الميت (٣١١٨) وابن ماجه (١/ ٤٦٧) كتاب الجنائز باب ما جاء في تغميض الميت رقم (١٤٥٤)، والنسائي في الكبرى (٥/ ٧٧) كتاب المناقب حديث رقم (٨٢٨٥). والحديث ليس في البخاري انظر تحفة الأشراف (١٣/ ٢٧) حديث رقم (١٨٢٠٥) حيث عزاه لمسلم وأبي داود والنسائي وابن ماجه.

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٦/ ٣٢١) من طريق عبد العزيز ابن ابنة أم سلمة به وأخرج نحوه مالك في الموطأ (١٦٣) من طريق ربيعة بن عبد الرحمن عن أم سلمة بنحوه.

وكان سعد بن أبى وقاص يحدِّث أنه لقيه يوم أحد أول النهار فخلا به وقال له عبد الله: ياسعد، هلم فلندعُ الله، وليذكر كل منا حاجته وليؤمِّن الآخر. قال سعد: فدعوت الله أن ألقى فارسًا شديدًا جريئًا من المشركين فأقتله فآخذ سلبه. فقال عبد الله: آمين. ثم استقبل عبد الله القبلة وقال: اللهم لقنى اليوم فارسًا شديدًا بأسه شديدًا جرده فيقتلنى ويجدع أنفى وأذنى، فإذا لقيتك غدًا تقول لى: يا عبد الله، فيم جدع أنفك ؟ فأقول: فيك يارب وفى رسولك فتقول لى: صدقت. قل يا سعد: آمين، فقلتها. ثم مررت به آخر النهار قتيلاً مجدع الأنف والأذنين، وإن أنفه وأذنيه معلقتان فى خيط، ولقيت أنا فلانًا من المشركين فقتلته وأخذت سلبه[1].

وذكر الزبير بن بكار: أن سيف عبد الله بن جحش انقطع يوم أحد فأعطاه رسول الله ﷺ عرجونًا فعاد فى يده سيفًا صقيلاً فقاتل به، وكان ذلك السيف يسمى العرجون، ولم يزل حتى بيع من بُغا التركى بمائة دينار[2]، والذى قتل عبد الله بن جحش هو الأخنس بن شُريق، وكان عبد الله حين قتل ابن بضع وأربعين سنة، ودفن مع حمزة رضى الله عنهما.

وأما عبيد الله بن جحش فأسلم وهاجر بزوجته رملة بنت أبى سفيان إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية، ثم تنَّصر وارتد عن الإسلام والعياذ بالله تعالى، ومات هناك، وسيأتى ذكر زينب فى زوجاته عليه الصلاة والسلام.

وأما حمنة فكانت تحت مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، فلم يولد له منها، ثم تزوجها طلحة بن عبيد الله التيمى فولدت له محمدًا وعمران، وهى التى استحيضت وسألت النبى ﷺ، وحديثها فى باب الاستحاضة مشهور[3].

وأما أم حبيبة - ويقال: أم حبيب - فكانت تحت عبد الرحمن بن عوف، وكانت تستحاض أيضًا، وأهل السير يقولون: المستحاضة حمنة، والصحيح أنها

---

(١) ذكر القصة ابن حجر في الإصابة (٤/ ٣٢) في ترجمة عبد الله بن جحش، وعزاه للبغوي، قال: « وأخرجه ابن شاهين من وجهٍ آخر، عن سعيد بن المسيب أن رجلاً سمع عبد الله بن جحش، فذكر نحوه، وأخرجه ابن المبارك في الجهاد مرسلاً ». اهـ

(٢) ذكره ابن حجر في الإصابة (٤/ ٣٢) وعزاه للزبير بن بكار.

(٣) أخرجه أبو داود (١/ ٧٦) كتاب الطهارة باب من قال إذا أقبلت الحيضة تدع الصلاة، رقم (٢٨٧)، والترمذي (١/ ٢٢١) أبواب الطهارة باب ماجاء في المستحاضة أنها تجمع بين الصلاتين بغسلٍ واحد رقم (١٢٨) وقال عقبه: « حسنٌ صحيح ».

استحيضت[١]، وقد قيل: إن زينب أيضًا كانت استحاضت[٢].

وأما أبو أحمد الملقب بالبصير، فكان سِلفًا لرسول الله ﷺ؛ كانت تحته الفارعة بنت أبي سفيان، مات بعد وفاة أخته زينب فى سنة عشرين.

وكان عبد الله بن جحش أول من سن الخُمس فى الغنيمة للنبى ﷺ قبل أن يفرض، ثم افترض بعد ذلك. واستشاره وأبا بكر النبى ﷺ فى أسارى بدر فأشارا بالفداء، وأشار عمر بالقتل. وكان أول لواء عقد له، وقيل: لحمزة، وقيل: لعبيدة ابن الحارث.

وأما صفية ابنة عبد المطلب، فأمها هالة بنت وهب بن عبد مناف، وشهدت الخندق، وقتلت رجلاً من اليهود، وضرب لها عليه الصلاة والسلام بسهم، وروت عنه حديثًا رواه عنها الزبير. وقتلُها لليهودى هو أنه لما كانت فى النساء والذرارى رأت يهوديًا يدور حول الحصن يريد اغتيالاً، فقالت لحسان بن ثابت - وكان مع النساء والذرارى فيه - ألا تتسوَّر له تقتله ؟ فقال: ما لى وله يا ابنة عبد المطلب ؟ ثم إنها احتزمت وأخذت بيدها عمودًا فضربت به اليهودى فقتلته، ثم قالت: يا حسان، انزل إليه فاسلبه؛ فإنى امرأة وهو رجل، فقال حسان: مالى ولسلبه يا بنة عبد المطلب[٣] ؟ قال السهيلى عند ذكر حسان حين جعل فى الآطام مع النساء والذرارى ما نصه: قيل إن حسانًا كان جبانًا شديد الجبن؛ وقد دفع هذا بعض العلماء وقال: إنه حديث منقطع الإسناد، وقال: لو صح هذا لهجى به حسان؛ فإنه كان يهاجى فحول الشعراء كضرار وابن الزبعرى وغيرهما، وكانوا يناقشونه ويردون عليه، فما

---

(١) أخرجه مسلم (٦٣-٣٣٤)، وأبو داود (٢٨٨)، والترمذي (١٢٩)، وغيرهم.

(٢) قال الحافظ ابن حجر في الإصابة (٨/ ٨٨) في ترجمه حمنة: « روى عاصم الأحول، عن عكرمة، عن حمنة أنها استحيضت، وخالفه أبو إسحاق الشيباني، وأبو بشر، عن عكرمة قال: « كانت أم حبيبة تُستحاض » فجمع بعضهم الاختلاف بأن كلًّا منهما كانت تستحاض، وكانت أم حبيبة أو أم حبيب تحت عبد الرحمن بن عوف. وقد قيل: إن زينب أيضًا كانت من المستحيضات حتى قيل: إن بنات جَحش كلهن كن ابتلين بذلك وأنكر الواقدي أن تكون حمنة استحيضت أصلاً، والعلم عند الله تعالى ». اهـ.

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٨/ ٢٧) وعزاه ابن حجر في الإصابة (٨/ ٢١٤) لابن خَيْثَمَةَ وابن منده من رواية أم عروة بنت جعفر بن الزبير، عن أبيها، عن جدتها صفية، قال: وذكره ابن إسحاق في رواية يونس بن بكير عن أبيه عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال: كانت صفية. . . القصة.

عيَّره أحد منهم بجبن ولا وصمه به؛ فدل ذلك على ضعف حديث ابن إسحاق، وإن صح فلعل حسانًا كان معتلاً فى ذلك اليوم بعلة منعته من شهود القتال. انتهى ما قاله السهيلى[١].

قلت: ورأيت فى كتب السير: إن حسانًا أصابته علة أحدثت فيه الجبن، ولم يكن أول أمره جبانا وإلا لعير به كما قاله السهيلى، وقد سألت بعض حذاق الأطباء عن هذا فقال: نعم، ذلك مذكور عندنا. والله أعلم.

وكانت فى الجاهلية تحت الحارث بن حرب بن أمية، فولدت له صيفى بن الحارث، ثم هلك عنها فخلف عليها العوَّام بن خويلد أخو خديجة، فولدت له الزبير والسائب وعبد الكعبة. فأما الزبير فأسلم قديمًا وهو ابن ثمان سنين أو ست عشرة سنة، وهاجر إلى أرض الحبشة الهجرتين، ولم يتخلف عنه ﷺ فى غزاة، وقتل يوم الجمل غيلة، وسيأتى ذكره عند ذكر وقعته. وأما عبد الكعبة فهو مذكور من أولاد صفية.

توفيت بالمدينة فى خلافة عمر رضى الله عنه سنة عشرين من الهجرة ولها ثلاث وسبعون سنة، ودفنت بالبقيع.

فهؤلاء عماته ﷺ وأولادهن، أسلم منهن صفية بيقين، واختلف فى إسلام عاتكة وأروَى. والأشقاء من أولاد عبد المطلب: عبد الله والزبير وأبو طالب، والخمس الإناث ماعدا صفية؛ كلهم من فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمر بن مخزوم.

---

(١) الروض الأنف (٣/ ٢٨١) وزيادة على ما ذكره السهيلي في تضعيف هذا الأثر، فقد أخرج الحاكم القصة بإسنادين أما الأول فمن طريق أم فروة بنت جعفر بن الزبير عن أبيها عن جدها الزبير عن أمه صفية بها. وقال عقبه: « هذا حديث كبير غريب بهذا الإسناد وقد روي بإسنادٍ صحيح ». اهـ. قلت: الإسناد فيه أم عروة، وهي لا تعرف وأبوها جعفر ذكره ابن أبي حاتم: (٢/ ٤٧٨) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلاً. ثم رواها بإسنادٍ آخر من طريق يونس بن بكير عن هشام بن عروة عن أبيه عن صفية قال عروة، وسمعتها تقول. . . وقال الحاكم: « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ». وقال الذهبي في التلخيص: « عروة لم يدرك صفية ». والمرسل من أقسام الضعيف ولا حجة فيه، ومن هنا يتبين أن قول الحاكم: « وقد روي بإسنادٍ صحيح » فيه ما فيه. وأورده الهيثمي في المجمع (٦/ ١٣٤)، وقال: « رواه الطبراني ورجاله إلى عروة، رجال الصحيح ولكنه مرسل ». ورواه ابن إسحاق من طريق يحيى بن عباد عن أبيه، وهو مرسلٌ أيضًا. وانظر سيرة ابن هشام (٢/ ٢٢٨). وتاريخ الطبري (٢/ ٥٧٧).

وحمزة وحجل والمقوم وصفية أشقاء أمهم هالة بنت وهب، وكذلك بقيتهم أشقاء كالعباس وضرار وقثم؛ فإنهم من نثلة بنت جناب، ماعدا أكبر أولاد عبد المطلب وهو الحارث؛ فإنه فذٌّ أمه سمراء بنت جندب كما تقدم عند ذكر أبيات حسان بن ثابت رضى الله عنه فى أبى سفيان.

وأما أولاد عماته ﷺ فأحد عشر رجلاً وثلاث بنات عرفن، أما الرجال: فعامر بن البيضاء بن كريز بن ربيعة بن عبد شمس، وعبد الله وزهير ابنا عاتكة بن أبى أمية المخزومى، وأبو سلمة بن عبد الأسد المخزومى، وعبد الله وعبيد الله والبصير الملقب أبا أحمد - بنو أميمة بنت عبد المطلب من جحش بن رئاب، وطليب بن أروَى من عمير بن وهب المخزومى، والزبير والسائب وعبد الكعبة بنو صفية من العوام بن خويلد، كلهم أسلموا وثبتوا على الإسلام إلا عبيد الله بن جحش، كما تقدم؛ فإنه ارتد وتنصر بالحبشة ومات بها.

وأما الإناث فزينب وأم حبيبة وحمنة بنات أميمة من جحش، وذكر للبيضاء بنات ولم يذكر عددهن ولا أساميهن سوى أروَى من كريز المذكور، وهى أم عثمان بن عفان، فهن بها أربع. وذكر لبرة ابن من أبى رُهم فيكون ثانى عشر أبناء العمات.

وأما جداته عليه الصلاة والسلام من جهة أبيه؛ فأم أبيه عبد الله بن عبد المطلب - فاطمة بنت عمر بن عائذ بن عمرو بن مخزوم، وأم عبد المطلب سلمى بنت عمرو النجارية، وكانت قبل هاشم تحت أُحَيْحة بن الجُلاح، فولدت له عمرو بن أحيحة، فهو أخو عبد المطلب لأمه، وله - أو لأبيه - القصيدة المرثية البليغة التى يستشهد أهل المعانى منها بقوله: [من المنسرح]

أَلْأَلْمَعِىُّ الَّذِى يَظُنُّ بِكَ الظْـ ... ـظَنَّ كَأَنْ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا

وقبله قوله:

إِنَّ الَّذِى جَمَعَ السَّمَاحَةَ وَالسْـ ... ـسُؤْدَدَ وَالْمَجْدَ وَالتُّقَى جَمَعَا

وهى طويلة. مطلعها:

أَيَّتُهَا النَّفْسُ أَجْمِلِى جَزَعَا ... إِنَّ الَّذِى تَحْذَرِينَ قَدْ وَقَعَا

ولعلى أن أظفر إن شاء الله تعالى بها فألحقها بما هنا.

وأم هاشم هى عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالح بن ذكوان من بنى سُليم، وأم عبد

مناف عاتكة البيضاء بنت فالح بن مالك بن ذكوان من بنى سليم، وأم قصى فاطمة بنت سعد بن سبل من أزد السراة، وأم كلاب نُعم بنت سرير بن ثعلبة بن مالك بن كنانة، وأم مرة وحشية بنت شيبان بن محارب بن فهم، وأم كعب سلمى بنت فهر - أو فهم - وأم لؤى وحشية بنت مدلج بن مرة بن عبد مناف بن كنانة، وأم غالب سلمى بنت سعد بن هُذيل، وأم فهر جذلة ابنة الحارث الجرهمى، وأم مالك هند بنت عَدوان بن عمرو بن قيس عيلان، وأم النضر بَرَّة أخت تميم بن مر، ذكره ابن قتيبة فى كتاب « المعارف ». فالجدة الأولى مخزومية، والثانية نجارية، والثالثة سُلَمية، والرابعة سلمية أيضًا، والخامسة أزدية، والسادسة كنانية، والسابعة فهمية، والثامنة فهرية أو فهمية؛ لإيهام الخط فيها، والتاسعة كنانية، والعاشرة هُذَلية، والحادية عشرة جُرْهمية، والثانية عشرة قيسية من قيس عيلان، والثالثة عشرة مرية.

وأما جداته من جهة أمه فأم آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب - بَرَّة بنت عبد العزى بن قصى بن كلاب، وأم أبيها وهب عاتكة بنت الأوقص بن مرة بن هلال بن فالح بن ذكوان من سبى سُليم، وأم مرة أم حبيب بنت أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب، وأم أم حبيب بَرَّة بنت عوف بن عبيد بن عدى بن كعب بن لؤى، وأم بَرَّة قلابة بنت الحارث بن صعصعة بن عائذ بن لحيان بن هذيل، وأم قلابة هند بنت يربوع من ثقيف؛ فالجدة الأولى والثانية والثالثة من أمهات أمه عليه الصلاة والسلام قرشيات، والرابعة لحيانية هذلية، والخامسة ثقفية، ففى كل قبيلة من قبائل العرب له عليه الصلاة والسلام علقة نسب.

وأما إخوته من الرضاعة فحمزة عمه، وأبو سلمة بن عبد الأسد؛ أرضعتهما معه ثويبة جارية عمه أبى لهب بلبن ابنها مسروح بن ثويبة، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب أرضعته مع رسول الله ﷺ حليمة السعدية، وعبد الله وأنيسة وحذافة وتعرف بالشيماء، الثلاثة أولاد حليمة. وقد روى أن خيلاً له عليه الصلاة والسلام أغارت على هوازن فأخذوا هذه الشيماء فى جملة السبى، فقالت: أنا أخت نبيكم - أو صاحبكم - فلما قدموا على رسول الله ﷺ قالت له: يا محمد، أنا أختك، فرحب بها وبسط لها رداءه وأجلسها عليه، ودمعت عيناه وقال لها: إن أحببتِ أقيمى عندى مكرَّمة محببة، وإن أحببت أن ترجعى إلى قومك وصلتك. قالت: بل أرجع

إلى قومى؛ فأسلمت وأعطاها ﷺ ثلاثة أعبد وجارية ونعمًا وشيئًا ذكره ابن قتيبة. ويقال: إنه عليه الصلاة والسلام قال لها حين قالت: أنا أختك: ما آية ذلك ؟ قالت: عضة فى ظهرى منك خفيفة إذ كنا نروح فى البهم(١). والله تعالى أعلم. وإلى هذا الإشارة فى قول البوصيرى رحمه الله تعالى: [من الخفيف]

وأتى السَّبْىُ فِيهِ أُخْتُ رَضَاعٍ   وَضَعَ الكُفرُ قَدْرَهَا والسِّبَاءُ

بَسَطَ المُصْطَفَى لَهَا مِن رِدَاءٍ   أَىُّ فَضْلٍ حَوَاهُ ذَاكَ الرِّدَاءُ

* * *

(١) الأثر ذكره ابن حجر في الإصابة بلفظ آخر (٨/ ٢٠٥) في ترجمة الشيماء وقال: « أخرجه المستغفري من طريق سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق ». اهـ.قلت: وسلمة بن الفضل هذا هو سلمة بن الفضل الأبرش روى عن محمد بن إسحاق، قال الحافظ في التقريب: صدوق كثير الخطأ، وقال البخاري. عنده مناكير، وقال أبو حاتم: محله الصدق، في حديثه إنكار، لا يمكن أن أطلق لساني فيه أكثر من هذا: يُكتبُ حديثه ولا يُحتج به. تهذيب الكمال (١١/ ٣٠٥). وأخرجه ابن إسحاق عن أبي وجزة السعدي قال إن الشيماء لما انتهت إلى رسول الله (قالت . . . انظر الإصابة (٨/ ٢٠٥).

الباب الرابع
من المقصد الثانى
فى ذكر أزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين، وسراريه

لا خلاف بين أهل السير والعلم بالأثر أن أزواجه عليه الصلاة والسلام اللاتى دخل بهن إحدى عشرة امرأة: ست من قريش، وأربع عربيات، وواحدة من بنى إسرائيل من سبط هارون بن عمران، وهى صفية بنت حيى بن أخطب. وكونهن أمهات المؤمنين إنما هو فى تحريم نكاحهن، ووجوب احترامهن، لا فى جواز النظر إليهن والخلوة بهن، لا يقال بناتهن أخوات المؤمنين، ولا آباؤهن ولا أمهاتهن أجداد وجدات المؤمنين، ولا إخوتهن وأخواتهن أخوال وخالات المؤمنين.

قال البغوى: هن أمهات المؤمنين من الرجال دون النساء، روى ذلك عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت فى قضية: أنا أم رجالكم لا أم نسائكم[1]، وهو جار على الصحيح عند أصحابنا وغيرهم من أهل الأصول: أن النساء لا يدخلن فى خطاب الرجال. وقال: وكان ﷺ أبا للرجال والنساء، ويجوز أن يقال: أبو المؤمنين فى الحرمة، وفضلت زوجاته عليه الصلاة والسلام على النساء، وثوابهن وعقابهن مضاعف، ولا يحل سؤالهن إلا من وراء الحجاب، وأفضلهن خديجة وعائشة، ويأتى تحقيق ذلك قريبًا. انتهى

ولنذكرهن على ترتيب تزوجه بهن عليه الصلاة والسلام:

فأولهن خديجة، ثم سودة بنت زمعة، ثم عائشة بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما، ثم حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنهما، ثم زينب بنت خزيمة، ثم أم سلمة، ثم زينب بنت جحش، ثم جويرية بنت الحارث، ثم أم حبيبة رملة بنت

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/ ١٤٤) من طريق الواقدي قال حدثنا الثوري عن فراس عن الشعبي عن مسروق عن عائشة به. والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٧٠) من طريق أبي عوانة عن فراس به. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٣٥١) وعزاه لهما وزاد نسبته لابن المنذر. قلت: فراس هو فراس بن يحيى الهمداني الخارفي يروي عن الشعبي وإبراهيم التيمي وغيرهما قال ابن حجر في التقريب: صدوق ربما وهم. اهـ. انظر التقريب (٥٤١٦) وتهذيب الكمال (٢٣/ ١٥٢). وأخرج ابن سعد في الطبقات (٨/ ١٤٤) عن أم سلمة قالت: «أنا أم الرجال منكم والنساء».

أبى سفيان بن حرب، ثم صفية بنت حُيى، ثم ميمونة بنت الحارث العامرية.

أما أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها فهى بنت خُوَيلد بن أسد بن عبد العزَّى بن قصى، كانت تدعى فى الجاهلية « الطاهرة »، وكانت قد ذكرت وهى بكر لورقة بن نوفل فلم يقض بينهما نكاح. وفى « السمط الثمين فى مناقب أمهات المؤمنين » قال ابن شهاب: تزوجتْ خديجة قبله عليه الصلاة والسلام رجلين: الأول منهما: عتيق ابن عائذ بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، فولدت له جارية اسمها هند فأسلمت وتزوجت. وفى سيرة مغلطاى: ولدت له عبد الله، وقيل: عبد مناف، ثم خلف عليها بعده أبو هالة النباش بن زرارة التميمى، أخو حاجب بن زرارة، ويقال له: هند، فولدت له رجلاً يقال له: هند، وامرأة يقال لها: هالة، ويكنى بها. وفى روايةٍ: المتزوج لها أولا أبو هالة، ثم بعده عتيق، ولم يذكر ابن قتيبة غير الأول، فأما هند بن أبى هالة المسمى هندًا - أيضًا - فهو ربيب النبى ﷺ، عاش مسلمًا إلى أن قتل مع على يوم الجمل، وقيل: بالبصرة فى الطاعون، فازدحم الناس على جنازته وتركوا جنائزهم وقالوا: ربيب رسول الله ﷺ. وكان فصيحًا بليغًا وصَّافًا؛ وصف رسول الله ﷺ فأحسن وأتقن.

قلت: وعلى نعته غالب أحاديث الكتاب المسمى بالشمائل وروايته، وكان يقول: أنا أكرم الناس أمًا وأبًا وأخًا وأختًا، أبى رسول الله ﷺ، وأمى خديجة، وأخى القاسم بن محمد، وأختى فاطمة بنت محمد ﷺ ورضى الله عنهم. وأما الجاريتان - وهما هند التى من عتيق وهالة التى من النباش بن زرارة - فقال ابن قتيبة وأبو سعيد وأبو عمرو: لم نظفر من أخبارهما بشىء.

روى أن رسول الله ﷺ لما بلغ خمسًا وعشرين سنة قال له عمه أبو طالب: أنا رجل معيل لا مال لى، وقد اشتد الزمان، وهذه عير قومك قد حضر خروجها إلى الشام، وخديجة بنت خويلد تبعث رجالاً من قومك فى تجارتها، فلو ذهبتَ إليها وقلت لها فى ذلك لعلها تقبل، وبلغ خديجة ذلك فأرسلت إلى النبى ﷺ فى ذلك وقالت: أعطيك ضعف ما أعطى رجلاً من قومك[1]. وفى رواية: أتى إليها

(١) قال الذهبي في تاريخ الإسلام (السيرة-٦٤): روى قصة خروجه ﷺ إلى الشام تاجرًا، المحاملي عن عبد الله بن شبيب وهو واهٍ . . . وهو حديثٌ منكر. وهو في طبقات =

أبو طالب فقال لها: هل لك أن تستأجرى محمدًا ؟ فقد بلغنا أنك استأجرت ببكرين ولسنا نرضى لمحمد دون أربع بكرات، فقالت خديجة: لو سألتَ ذلك لبعيد بغيض فعلنا، فكيف وقد سألت لحبيب قريب ؟! فقال أبو طالب للنبى ﷺ: هذا رزق ساقه الله إليك. فخرج عليه الصلاة والسلام مع غلامها ميسرة، ووقعت له القصة مع نسطور الراهب . . . إلى آخر ما هو مذكور فى محله من كتب السير المفردة لذلك.

ولما رجع عليه الصلاة والسلام بالتجارة من الشام، وربحت التجارة الدرهم أربعة دراهم؛ قالت نفيسة بنت منية: أرسلتنى خديجة دسيسًا إلى محمد ﷺ فقلتُ: يامحمد، ما يمنعك أن تتزوج ؟ فقال: ما بيدى ما أتزوج به. قلت: فإن كفيت ذلك ودُعيت إلى المال والجمال والشرف والكفاءة ألا تجيب ؟ قال عليه الصلاة والسلام: فمن هى ؟ قلت: خديجة. قال: وكيف لى بذلك ؟ قلت: علىَّ، فأنا أفعل. فذهبتُ إلى خديجة فأخبرتها، فأرسلت إلى النبى ﷺ أن ائتِ ساعة كذا وكذا. وصنعتْ طعامًا وشرابًا ودعت أباها[1] - والصحيح أنه عمها وهو عمرو أخو خويلد، والعرب تسمى العم والدًا؛ فإن أباها خويلد مات قبل حرب الفجار[2]، وحرب الفجار كانت وسنه عليه الصلاة والسلام عشرون عامًا كما تقدم ذكره - ونفرًا من قريش فطعموا وشربوا، فقالت خديجة: إن محمد بن عبد الله يخطبنى، فزوجها منه عليه الصلاة والسلام، فخلقته وألبسته حلة، وكذلك كانوا يصنعون إذا زوجوا نساءهم، والضمير فى خلقته ورديفه إلى عمها المزوج لها عمرو بن خويلد المذكور

= ابن سعد (١/ ١٢٣) من طريق الواقدي قال أخبرنا موسى بن شيبة عن عميرة بنت عُبيد الله ابن كعب بن مالك عن أم سعد بنت سعد عن نفيسة بنت منية أخت يعلى بن منية قالت. . . وهو في الدلائل لأبي نعيم (١/ ٥٤) وانظر سيرة ابن هشام (١/ ٢١٢)، وتاريخ الطبري (٢/ ٢٨٠)، وسبل الهدى والرشاد (٢/ ١٥٨)، وقد ذكر القصة وعزاها لابن سعد وابن السكن وأبو نُعيم.

(١) أخرج القصة الإمام أحمد في المسند (١/ ٣١٢) من طريق عمار بن أبي عمار عن ابن عباس وانظر تاريخ الإسلام (السيرة-٦٥) وذكرها الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٢٤) من حديث ابن عباس وقال: رواه أحمد والطبراني، ورجال أحمد والطبراني رجال الصحيح ». اهـ

(٢) قال الصالحي في سبل الهدى: « ما تقدم من أن عمها هو الذي زوجها رسول الله (ذكره أكثر علماء أهل السير، قال السهيلي: وهو الصحيح لما رواه الطبري عن جُبير ابن مُطعم وابن عباس وعائشة كلهم قال: إن عمرو بن أسد هو الذي أنكح خديجة رسول الله ﷺ، وإن خويلد كان قد هلك قبل الفجار ورجحه الواقدي وغلط من قال بخلافه » انظر سبل الهدى (٢/ ١٦٥).

لا إليه عليه الصلاة والسلام.

قال فى « السمط الثمين » للمحب الطبرى: وحضر أبو طالب ورؤساء مضر، فخطب أبو طالب فقال: الحمد لله الذى جعلنا من ذرية إبراهيم، وزرع إسماعيل، وضِئضىء مَعَد، وعنصر مضر، وجعلنا سَدَنَة بيته، وسوَّاس حرمه، وجعل لنا بيتًا محجوجًا وحرمًا آمنًا، وجعلنا الحكام على الناس. ثم إن ابن أخى هذا محمد بن عبد الله من لا يوزن به رجل إلا رجح به؛ فإن كان فى المال قِلٌّ فإن المال ظل مائل وأمر حائل، ومحمد قد عرفتم قرابته، وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها ما آجله وعاجله من مالى كذا، وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم، وخطر جليل جسيم.

فلما أتم أبو طالب خطبته تكلم ورقة بن نوفل فقال: الحمد لله الذى جعلنا كما ذكرت، وفضلنا على ما عددت، فنحن سادة العرب وقادتها، وأنتم أهل ذلك كله، لا تنكر العشيرة فضلكم، ولا يرد أحد من الناس فخركم وشرفكم، وقد رغبنا فى الاتصال بحبلكم وشرفكم، فاشهدوا علىَّ معاشر قريش بأنى قد زوجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبد الله على أربعمائة دينار. ثم سكت ورقة. فقال أبو طالب: قد أحببت أن يشركك عمها، فقال عمها عمرو بن خويلد: اشهدوا علىَّ يا معشر قريش أنى قد أنكحت محمد بن عبد الله خديجة بنت خويلد. وشهد على ذلك صناديد قريش(١).

وفى « السمط الثمين »: أصدقها عشرين بكرة. وفى « المواهب » عن الدولابى: أصدقها اثنتى عشرة أوقية ذهبًا ونَشًّا. قالوا: وكل أوقية أربعون درهمًا والنَّش: نصف أوقية. ولا منافاة بين هذا وبين من قال أصدقها أبو طالب لقوله فى الخطبة من مالى كذا؛ لجواز كون أبى طالب أصدقها، وزاد عليه الصلاة والسلام فى صداقها، فكان الكل صداقًا(٢).

وذكر المُلا فى سيرته: لما تزوج عليه الصلاة والسلام خديجة ذهب ليخرج، فقالت له خديجة: إلى أين يا محمد ؟ اذهب فانحر جَزورًا أو جزورين وأطعم

(١) خطبة أبي طالب وغيره في قصة نكاحه ﷺ في الروض الأنف (١/ ٢١٣) وانظر سبل الهدى (٢/ ١٦٥)، والذي في سيرة ابن هشام (١/ ٢١٥) أنه حمزة بن عبد المطلب.

(٢) قال الصالحي: « قال ابن هشام: أصدقها عشرين بكرة، وقال البلاذري والدمياطي: اثنتي عشرة أُوقية ونَشا، قال المحب الطبري: ذَهبا » سبل الهدى (٢/ ١٦٥).

الناس، ففعل ذلك رسول الله ﷺ، وهى أول وليمة أولمها رسول الله ﷺ. وفى رواية: أمرت خديجة جواريها أن يرقصن ويضربن الدفوف، وقالت: يا محمد، مر عمك أبا طالب أن ينحر بكرًا من بكارك، وأطعم الناس على الباب، وهلم فقِل مع أهلك. فأطعم الناس ودخل، فقال مع أهله خديجة، فأقر الله عينه. وفرح أبو طالب بذلك فرحًا شديدًا وقال: الحمد لله الذى أذهب عنا الكرب، ودفع عنا الهموم.

وأم خديجة فاطمة بنت زائدة بن الأصم، تزوج ﷺ خديجة ولها من العمر أربعون سنة وبعض أخرى، وله خمس وعشرون سنة، وقيل: إحدى وعشرونْ سنة، والأول عليه الأكثرون. وكانت مدة إقامتها معه عليه الصلاة والسلام أربعًا وعشرين سنة وخمسة أشهر وثمانية أيام، خمس عشر سنة منها قبل الوحى والباقيات بعده، إلى أن توفيت وهى ابنة خمس وستين سنة، ولم يكن يومئذ يصلى على الجنائز.

ولا خلاف فى أنها أول امرأة تزوج بها عليه الصلاة والسلام، ولم يتزوج قبلها ولا عليها. وكانت وفاتها قبل الهجرة بثلاث سنين، ودفنت بالحَجون، وولدت له عليه الصلاة والسلام أولاده كلهم، ما عدا إبراهيم؛ فإنه من مارية القبطية، وسيأتى ذكرها آخر الباب. قال حكيم بن حزام بن خويلد: توفيت عمتى خديجة بنت خويلد فخرجنا بها من منزلها حتى دفناها بالحجون، ونزل ﷺ فى قبرها. وفى « المواهب اللدنية »: وكانت خديجة أول من آمن من الناس. وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه: أن جبريل قال للنبى ﷺ: « إن خديجة قد أتتك بإناء فيه طعام وإدام وشراب، فإذا هى أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومنى، وبشرها ببيت فى الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب »[(١)]. والمراد بالقصب: اللؤلؤ المجوف.

قال ابن إسحاق: كان عليه الصلاة والسلام لا يَسْمَعُ شيئًا مِنْ رَدٍّ عليه وتكذيبٍ له فيحزنه ذلك إلا فرج الله عنه بخديجة إذا رجع إليها؛ تثبته وتخفف عنه، وتصدِّقه وتهوِّن عليه أمر الناس حتى ماتت. وعن عبد الرحمن بن يزيد: قال آدم عليه الصلاة والسلام: إنى لسيد البشر يوم القيامة، إلا رجلاً من ذريتى نبيًا من الأنبياء يقال له:

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢٣٠)، والبخاري (٧/ ٥١٢-فتح) كتاب مناقب الأنصار باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها -رضي الله عنها- حديث رقم (٣٨٢٠). ومسلم (٤/ ١٨٨٧) كتاب فضائل الصحابة باب فضائل خديجة أم المؤمنين حديث رقم (٢٤٣٢)، والنسائي في الكبرى (٥/ ٩٤) كتاب المناقب باب مناقب خديجة بنت خويلد حديث رقم (٨٣٥٨).

أحمد؛ فُضِّلَ عليَّ باثنتين: زوجته عاونته فكانت له عونًا وكانت زوجتي عونًا عليَّ، وأعانه الله على شيطانه فأسلم وكفر شيطاني. أخرجه الدولابي كما ذكره الطبري. وخرج الإمام أحمد عن ابن عباس أنه ﷺ قال: أفضل نساء الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم بنة عمران، وآسية امرأة فرعون[(١)].

قال الشيخ ولى الدين العراقى: خديجة أفضل أمهات المؤمنين على الصحيح المختار، وقيل: عائشة. وقال شيخ الإسلام زكريا الأنصارى فى شرح بهجة الحاوى المسمى بـ «الغرر البهية، فى شرح البهجة الوردية»: أفضلهن خديجة وعائشة، وفى أفضليتهما خلاف، صحح ابن العماد تفضيل خديجة لما ثبت أنه ﷺ قال لعائشة حين قالت له: لا تزال تلهج بذكر خديجة، إن هى إلا عجوز من عجائز قريش، كأنى أنظر إلى حمرة شدقيها ودردرها، وقد رزقك الله خيرًا منها. فقال عليه الصلاة والسلام: لا والله ما رزقنى خيرًا منها، آمنتْ بى حين كفر بى الناس، وصدقتنى حين كذبنى الناس، وأعطتنى مالها حين حرمنى الناس[(٢)]. وسئل ابن داود: أيهما أفضل؟ فقال: عائشة أقرأها النبى ﷺ السلام عن جبريل[(٣)]، وخديجة

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٩٣)، وعبد بن حميد (٥٩٧)، والنسائي في الكبرى (٥/ ٩٤) كتاب المناقب باب مناقب خديجة بنت خويلد حديث رقم (٨٣٦٤) ثلاثتهم من حديث ابن عباس. وفي الصحيحين وغيرهما من حديث علي قال: سمعتُ رسول الله (يقول: خَير نسائها خديجة بنت خويلد وخير نسائها مريم بنت عمران. أخرجه البخاري (٧/ ٥١١) كتاب مناقب الأنصار باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها رقم (٣٨١٥). ومسلم (٤/ ١٨٨٦) كتاب فضائل الصحابة باب فضائل خديجة أم المؤمنين حديث (٢٤٣٠).

(٢) أصل الحديث إلى قول عائشة: «قد أبدلك الله خيرًا منها» أخرجه البخاري (٧/ ٥١٢-فتح) كتاب مناقب الأنصار باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها حديث رقم (٣٨٢١) من حديث عائشة، وبقيته أخرجه أحمد في المسند (٦/ ١١٧) والطبراني في الكبير كما في المجمع (٩/ ٢٢٧) وقال الهيثمي: «رواه الطبراني وأسانيده حسنة» من حديث عائشة، وذكر بعده رواية أحمد وقال: رواه أحمد وإسناده حسن ينظر: المجمع (٦/ ١١٧).

(٣) يشير إلى قوله ﷺ: يا عائشة هذا جبريل يُقرئك السلام أخرجه أحمد (٦/ ٥٥) والبخاري كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ باب فضل عائشة حديث رقم (٣٧٦٨) ومسلم (٤/ ١٨٩٦) كتاب فضائل الصحابه باب فضل عائشة - رضي الله عنها - الحديث (٢٤٤٧) وأبو داود (٢/ ٧٨٠) كتاب الأدب باب في الرجل يقول: فلان يقرئك السلام حديث رقم (٥٢٣٢)، والترمذي (٥/ ٥٥) كتاب الاستئذان باب ما جاء في تبليغ السلام حديث رقم (٢٦٩٣)، وابن ماجه (٢/ ١٢١٨) كتاب الأدب باب رد السلام حديث رقم (٣٦٩٥) كلهم من طرق عن عائشة رضي الله عنها.

أقرأها السلام جبريل من ربها على لسان محمد ﷺ، فهى أفضل[١].

وقيل له: فمن أفضل خديجة أم فاطمة ؟ فقال: إن رسول الله ﷺ قال: فاطمة بضعة منى[٢] فلا أعدل ببضعة رسول الله ﷺ أحدًا. ويشهد له قوله ﷺ: أما ترضين أن تكونى سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم بنة عمران[٣]. واحتج من فضل عائشة بما احتجت به هى من أنها فى الآخرة مع النبى ﷺ فى الدرجة، وفاطمة مع على فيها.

وسئل العلامة السبكى عن ذلك فقال: الذى نختاره وندين الله به أن فاطمة بنت محمد ﷺ أفضل من أمها خديجة، ثم أمها خديجة، ثم عائشة[٤]. ثم استدل لذلك بما تقدم بعضه. وأما خبر الطبرانى: « خير نساء العالمين مريم بنة عمران، ثم خديجة بنت خويلد، ثم فاطمة بنت محمد ﷺ، ثم آسية امرأة فرعون »[٥] فأجاب

---

(١) يشير إلى ما رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- فقال: يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبشرها ببيت في الجنة من قَصب، لا صخبَ فيه ولا نصب أخرجه البخاري (٧/ ٥١٢) كتاب مناقب الأنصار باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها -رضي الله عنها- حديث رقم (٣٨٢٠). ومسلم (٤/ ١٨٨٧) كتاب فضائل الصحابة باب فضائل خديجة أم المؤمنين. حديث رقم (٢٤٣٢) وأخرج الجزء الأخير منه من قوله بشرها ببيتٍ في الجنة غير واحد عن عبد الله بن أبي أوفى.

(٢) أخرجه البخاري (٧/ ٤٧٦- فتح) كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ باب مناقب فاطمة -رضي الله عنها- حديث رقم (٣٧٦٧) ومسلم (٤/ ١٩٠٢) كتاب فضائل الصحابة باب فضائل فاطمة حديث رقم (٢٤٤٩). وأبو داود (١/ ٦٣٢) كتاب النكاح باب ما يكره أن يجمع بينهن من النساء، حديث رقم (٢٠٧١). والترمذي (٥/ ٦٩٨) كتاب المناقب باب فضل فاطمة بنت محمد ﷺ. وابن ماجه (١/ ٦٤٣) كتاب النكاح باب الغيرة حديث رقم (١٩٩٨، ١٩٩٩). كلهم من طرق عن المِسْوَر بن مَخْرَمَةَ بألفاظٍ متقاربة.

(٣) أخرجه البخاري (٦٢٨٥، ٦٢٨٦)، ومسلم (٩٨/ ٢٤٥٠)، وابن ماجه (١٦٢١).

(٤) نقل كلام السبكي الحافظ في الفتح (٧/ ٥١٩).

(٥) أخرج الطبراني عن ابن عباس قال قال رسول الله (: « سيدات نساء أهل الجنة مريم بنت عمران ثم فاطمة بنت محمد ثم خديجة ». وأورده الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٢٦) وقال عقبه: « رواه الطبراني وفيه محمد بن الحسن بن زبَالَة وهو متروك ». اهـ. قلت: ابن زبَالَةَ: قال أبو داود: كذاب، وقال النسائي والأزدي: متروك، وقال أبو حاتم: واهي الحديث، وقال الدارقطني وغيره منكر الحديث. اهـ من ميزان الاعتدال (٦/ ١٠٨)، وقال الحافظ في التقريب (٥٨٥٢): محمد بن الحسن بن زَبَالَةَ - بفتح الزاي وتخفيف الموحدة، المخزومي- كذبوه . اهـ. وأخرج عن ابن عباس قال: خط رسول الله ﷺ في الأرض أربعة خطوط فقال: أتدرون ما هذا؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم، فقال رسول الله ﷺ: أفضل نساء أهل =

عنه ابن العماد بأن خديجة إنما فضلت فاطمة باعتبار الأمومه لا باعتبار السيادة، واختار السبكى أن مريم أفضل من خديجة لهذا الخبر للاختلاف فى نبوتها.

وقال ابن النقاش: إن سبق خديجة وتأثيرها فى أول الإسلام ومؤازرتها ونصرتها وقيامها فى الدين لله بمالها ونفسها لم يشركها فيه أحد لا عائشة ولا غيرها من أمهات المؤمنين، وتأثير عائشة فى آخر الإسلام فى حمل الدين وتبليغه إلى الأمة وإدراكها من الأمر ما لم تشركها فيه خديجة ولا غيرها مما تميز به عن غيرها. وفى سيرة الشامى: روى الطبرانى برجال الصحيح عن الزهرى، قال: لم يتزوج رسول الله ﷺ على خديجة حتى ماتت بعد أن مكثت عنده ﷺ أربعًا وعشرين سنة وأشهرًا[1].

وروى الطبرانى بسند فيه مَنْ لا يُعْرَفُ، عن عائشة رضى الله عنها: أن رسول الله ﷺ أطعم خديجة من عنب الجنة[2]. وعن أنس رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أتى بالشىء يقول: « اذهبوا به إلى بيت فلانة؛ فإنها كانت صديقة لخديجة » رواه ابن حبان والدولابى. وفى رواية: فإنها كانت تحب خديجة، وفى رواية: جاءت عجوز إليه ﷺ فقال لها من أنت ؟ فقالت: جثامة المزنية. فقال: كيف أنتم، كيف حالكم، كيف كنتم بعدنا ؟ قالت: بخير بأبى أنت وأمى يا رسول الله[3].

= الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة ابنة محمد ﷺ، ومريم ابنة عمران، وآسية ابنة مزاحم امرأة فرعون ». وذكره الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٢٦) وقال: رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني ورجالهم رجال الصحيح. وهو عند الحاكم (٢/ ٥٩٤)، والطحاوي في المشكل (١٤٨) وانظر فتح الباري (٧/ ٥١٢).

(١) أورده الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٢٣) وقال: رجاله رجال الصحيح. اهـ. قلتُ: والحديث عند مسلم (٤/ ١٨٨٩) كتاب فضائل الصحابة باب فضل خديجة أم المؤمنين رقم (٢٤٣٦) فعزوه للطبراني فقط قصورٌ من المؤلف.

(٢) أورده الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٢٨) وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه من لم أعرفه.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٢٣٢) وابن حبان حديث رقم (٧٠٠٧)، والطبراني (٢٣/ ٢٠) والحاكم (٤/ ١٧٥) وقال الحاكم: « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ». اهـ. ووافقه الذهبي- كلهم من طرق عن المبارك بن فضالة عن ثابت عن أنس به. قلت: وفي إسناده المبارك بن فضالة - بفتح الفاء وتخفيف المعجمة - قال ابن حجر في التقريب: « صدوق يدلس ويسوي » التقريب (٦٥٠٦)، قلت: وقد عنعن ونقل الذهبي في الميزان (٦/ ١٥): قال ابن معين: صالح، وقال أبو داود: شديد التدليس، فإذا قال حدثنا، فهو ثبت، وقال أبو زرعة: يدلس كثيرًا، فإذا قال حدثنا فهو ثقة، وكان عفان يوثقه ». اهـ. وله شاهد من حديث عائشة -رضي الله عنها- أخرجه مسلم (٤/ ١٨٨٨) كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين حديث رقم (٢٤٣٥).

وعن عائشة رضى الله عنها: كانت عجوز تأتى النبى ﷺ فيبش لها ويكرمها. وفى لفظ: كانت تأتى النبى ﷺ امرأة فقلت: يا رسول الله، من هذه ؟ وفى لفظ: بأبى أنت وأمى؛ إنك لتصنع بهذه العجوز ما لم تصنع بأحد، وفى لفظ: فلما خرجت قلت: يا رسول الله، تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال ؟! فقال: يا عائشة، إنها كانت تأتينا زمان خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان. وفى لفظ: فإن كرم العهد من الإيمان[1]. انتهى

وأما أم المؤمنين سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس القرشية، فأمها الشموس بنت قيس بن زيد بن لبيد ابن أخى سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد أم عبد المطلب، فأسلمت قديمًا وبايعت، وكانت تحت ابن عم لها يقال له: السكران بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن عامر بن لؤى أخى سهيل بن عمرو وسهل بن عمرو وسليط وحاطب، أسلم السكران زوجها معها قديمًا وهاجرا جميعًا إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية، فلما قدما مكة مات زوجها، وقيل: إنه مات بالحبشة، وولدت له ابنًا اسمه عبد الرحمن، قتل فى حرب « جلولاء » - اسم قرية من قرى فارس، وقعت تلك الحرب فيها - وتزوجها ﷺ بمكة بعد موت خديجة بأيام فى السنة العاشرة من النبوة قبل أن يعقد على عائشة، وهذا قول قتادة وأبى عبيدة، ولم يذكر ابن قتيبة غيره. وقال عبد الله بن محمد بن عقيل: تزوجها بعد عائشة، روى القولان عن ابن شهاب. ويجمع بين القولين بأنه ﷺ عقد على عائشة قبل سودة، ودخل بسودة قبل عائشة، والتزويج يطلق على كل من العقد والدخول، وإن كان المتبادر إلى الفهم الأول.

وللبخارى: توفيت خديجة قبل مخرج النبى ﷺ إلى المدينة بثلاث سنين، فلبث سنتين، أو قريبًا من ذلك، ونكح عائشة وهى بنت ست سنين، ثم بنى بها بالمدينة

---

(١) الروايتان أخرجهما الحاكم في المستدرك (١/ ١٥) كتاب الإيمان، وابن الأعرابي في معجمه، وعنه القضاعي في مسند الشهاب (٧٩٢) وقال الحاكم: « حديث صحيح على شرط الشيخين، فقد اتفقا على الاحتجاج برواته في أحاديث كثيرة، وليس له علة ». اهـ. ووافقه الذهبي. وقد ذكر الحافظ ابن حجر الحديث في الفتح (١٠/ ٣٦٥) من هذا الوجه، من رواية الحاكم والبيهقي في الشعب ثم قال: وأخرجه البيهقي أيضا من طريق مسلم بن جنادة عن حفص بن غياث عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة مثله، بمعنى القصة، وقال: غريب. ومن طريق أبي سلمة عن عائشة نحوه، وإسناده ضعيف.

وهى بنت تسع سنين[١] بتقديم التاء. قال فى « السيرة الشامية »[٢]: قال ابن كثير: والصحيح أن عائشة عقد عليها قبل سودة، ولم يدخل بعائشة إلا فى السنة الثانية من الهجرة. وأما سودة فإنه دخل بها بمكة. وسبقه إلى ذلك[٣] أبو نعيم، وجزم به الجمهور [و] منهم قتادة وأبو عبيدة معمر بن المثنى والزهرى.

قال فى « تاريخ الخميس »: روى أنه لما ماتت خديجة جاءت خولة بنت حكيم امرأة مظعون فقالت: يا رسول الله، ألا تتزوج ؟ قال: من ؟ قالت: إن شئت بكرًا وإن شئت ثيبًا. قال: فمن البكر ؟ قالت: ابنة أحب الخلق إليك أبى بكر. قال: ومن الثيب ؟ قالت سودة بنت زمعة، قد آمنت بك واتبعتك على ما تقول. قال: فاذهبى فاذكريهما على. فدخلت بيت أبى بكر وقالت: يا أم رومان، ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة ؟ قالت: وما ذاك ؟ قالت: أرسلنى رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة. قالت: انتظرى أبا بكر حتى يأتى. فجاء أبو بكر فقالت له: ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة ؟ قال: وما ذاك ؟ قالت: أرسلنى رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة. قال: وهل تصلح له؛ إنما هى ابنة أخيه!. فرجعت إلى رسول الله ﷺ فذكرت له ذلك قال ارجعى إليه فقولى له: أنا أخوك وأنت أخى فى الإسلام، وابنتك تصلح لى. فرجعت فذكرت ذلك له. قال: انظرى.

قالت أم رومان: إن مطعم بن عدى قد كان ذكرها على ابنه، فوالله ما وعد وعدًا قط فأخلفه - تعنى: أبا بكر - فدخل أبو بكر على مطعم بن عدى وعنده امرأته أم الفتى فقالت: يا ابن أبى قحافة لعلك تصبى صاحبنا، تدخله فى دينك الذى أنت عليه إن تزوج إليك. قال أبو بكر لمطعم بن عدى: أَقَوْلَ هذه تقول ؟ قال: إنها تقول ذلك. فخرج أبو بكر من عنده وقد أذهب الله ما فى نفسه من عدته التي وعده بها، فخرج فقال لخولة: ادعى لى رسول الله ﷺ. فدعته فزوجه إياها، وعائشة يومئذ بنت ست سنين كما مر. ثم خرجت خولة حتى دخلت على سودة بنت زمعة فقالت: ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة ؟ قالت: وما ذاك ؟ قالت: أرسلنى

---

(١) أخرجه البخاري (٧/ ٦٢٨-الفتح) كتاب مناقب الأنصار باب تزويج النبي ﷺ رقم (٣٨٩٦).
(٢) ينظر: سبل الهدى والرشاد (١١/ ١٩٨).
(٣) في ط: على هذا. والمثبت من السبل.

رسول الله ﷺ أخطبك عليه. قالت: وددت ذلك، ادخلى على أبى واذكرى له ذلك، وكان شيخًا كبيرًا قد أدركته السن، وقد تخلف عن الحج، فدخلت عليه فذكرت له، فقال: كفؤ كريم. فدعا رسول الله ﷺ فزوّجه إياها، فجاء أخوها عبد الله بن زمعة، فجعل يحثو التراب على رأسه أن تزوج رسول الله ﷺ سودة بنت زمعة. فلما أسلم قال: إنى لسفيه يوم أحثو التراب على رأسى أن تزوج رسول الله ﷺ أختى[1]. رواه الطبرانى برجال ثقات، والإمام أحمد عن عائشة رضى الله عنها بسند جيد.

قال العلامة محمد الشامى: روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كانت سودة بنت زمعة تحت السكران بن عمرو أخى سهيل بن عمرو العامرى، فرأت فى المنام كأن النبى ﷺ أقبل يمشى حتى وضع رجله على رقبتها، فأخبرت زوجها بذلك فقال: لئن صدقت رؤياك لأموتن وليتزوجنك محمد، ثم رأت فى المنام ليلة أخرى أن قمرًا انقض عليها وهى مضطجعة، فأخبرت زوجها فقال: لئن صدقت رؤياك لم ألبث إلا يسيرًا حتى أموت، وتتزوجين من بعدى. فاشتكى السكران من يومه، فلم يلبث إلا قليلاً حتى مات، وتزوجها عليه الصلاة والسلام[2].

وروى أبو عمر عن عائشة رضى الله عنها قالت: لما أَسَنَّتْ سودةُ عند رسول الله

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى ((٨/ ٤٥) وذكره الحافظ في الإصابة (٨/ ١٩٦) في ترجمة سودة بنت زمعة وقال: أخرجه ابن سعد بسند مرسل رجاله ثقات. وأخرجه ابن أبي عاصم موصولاً، وسيأتي في ترجمة عائشة. اهـ. وذكره في ترجمة عائشة (٨/ ٢٣٢) من طريق ابن أبي عاصم قال: « أخرج ابن أبي عاصم، من طريق يحيى القطان، عن محمد بن عمرو، عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن عائشة. . . به. ورواه أحمد في المسند (٦/ ٢١٠) من طريق يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب وأبي سلمة قالا: لما هلكت خديجة. . . إلخ. وذكره الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٢٨) وقال عقبه: « رواه أحمد . بعضه صرح فيه بالاتصال عن عائشة وأكثره مرسل، وفيه محمد بن عمرو بن علقمة، وثقه غير واحد، وبقية رجاله رجال الصحيح ». اهـ. ورواه الطبراني كما في المجمع (٩/ ٢٢٨) عن عائشة قالت: لما توفيت خديجة قالت خولة بنت حكيم . . .» وقال الهيثمي: « رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن عمرو بن علقمة وهو حسن الحديث ». اهـ. ومحمد بن عمرو بن علقمة قال فيه الحافظ في التقريب (٦٢٢٨) صدوق له أوهام. وقد ذكر القصة الذهبي في تاريخ الإسلام المغازى (ص٢٨٠) من طريق يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب به وحسن إسنادها.

(٢) ينظر سبل الهدى والرشاد (١١/ ١٩٨، ١٩٩)، وأخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/ ٤٥).

ﷺ همَّ بطلاقها فقالت: لا تطلقنى وأنت فى حل منى، فأنا أريد أن أحشر فى أزواجك، وإنى قد وهبت يومى لعائشة، وإنى لا أريد ما تريد النساء. فأمسكها رسول الله ﷺ حتى مات عنها مع سائر من توفى عنهن من أزواجه ﷺ ورضى عنهن[١].

وروى الإمام أحمد عن أبى هريرة: أن رسول الله ﷺ قال لنسائه عام حجة الوداع: هذه ثم ظهور الحصر. قال: فكن كلهن[٢] يحججن إلا زينب وسودة هذه، فكانتا تقولان: والله لا تحركنا دابة بعد أن سمعنا ذلك من رسول الله ﷺ[٣]. ماتت بالمدينة فى خلافة عمر رضى الله عنه. هذا هو المشهور فى وفاتها. ونقل ابن سعد عن الواقدى: أنها توفيت سنة أربع وخمسين فى خلافة معاوية[٤]. أصدقها عليه الصلاة والسلام أربعمائة دينار، قال هذا الشمس البرماوى فى مختصر سيرته.

وأما أم المؤمنين عائشة بنت أبى بكر الصديق، القرشية، التيمية، فأمها أم رومان بنت عامر بن عويمر، روى أبو بكر بن خيثمة، عن على بن زيد، عن القاسم بن محمد: أن أم رومان، زوج أبى بكر، أم عائشة، لما دليت فى قبرها قال رسول الله ﷺ: «من سره أن ينظر إلى امرأة من الحور العين فلينظر إلى أم رومان»[٥]، ولدت عائشة بعد البعثة بأربع سنين أو خمس.

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/ ٤٣) من طرق عن عائشة -رضي الله عنها - وينظر سبل الهدى والرشاد (١١/ ١٩٩).

(٢) في ط: قال فكلكن. والمثبت من المسند لأحمد .

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٤٤٦) من طريق ابن أبي ذئب قال حدثني صالح مولى التوءمة عن أبي هريرة. . . به، وابن سعد في الطبقات (٨/ ٤٤) من طريق صالح بن كيسان عن ابن أبي ذئب وكذا البزار (٢/ ٥) حديث رقم (١٠٧٨). وذكره الهيثمي في المجمع (٣/ ٢١٧) وقال: «رواه أحمد وأبو يعلى . . . والبزار. . . وفيه صالح مولى التوءمة، ولكنه من رواية ابن أبي ذئب عنه، وابن أبي ذئب سمع منه قبل اختلاطه، وهو حديث صحيح». اهـ. وينظر: سبل الهدي والرشاد (١١/ ٢٠٠).

(٤) ينظر طبقات ابن سعد (٨/ ٤٦).

(٥) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/ ٢١٦) قال أخبرنا يزيد بن هارون وعفان بن مسلم قالا حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن القاسم بن محمد قال. . . وأخرجه البخاري في تاريخه وكذا ابن منده وأبو نعيم كما في الإصابة (٨/ ٣٩٢) كلهم من طريق حماد بن سلمة به. وقال البخاري عقب تخريجه : فيه نظر. وانظر سبل الهدى والرشاد (١١/ ١٦٤).

وروى ابن الجوزى فى الصفوة عنها رضى الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، أتكنينى ؟ قال: تكنى بابنك. يعنى عبد الله بن الزبير ابن أختها أسماء بنت أبى بكر.[١]

وروى ابن حبان عنها قالت: لما ولد عبد الله بن الزبير - ابن أختها أسماء - أتيت به رسول الله ﷺ فتفل فى فيه، فكان أول شىء دخل جوفه ريقه عليه الصلاة والسلام، وقال: هو عبد الله وأنت أم عبد الله[٢]. وقيل: إنها ولدت من رسول الله ﷺ ولدًا مات طفلاً. وهذا غير ثابت[٣]، والصحيح الأول.

وروى الإمام أحمد والشيخان عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال لى رسول الله ﷺ: « أريتك فى المنام قبل أن أتزوجك مرتين، وفى لفظ: ثلاث ليال، جاءنى بك الملك فى سرقة من حرير فيقول: هذه امرأتك، فأكشف عن وجهك فإذا هى أنت، فأقول: إن يكن من عند الله يمضه »[٤]. وروى الترمذى وحسنه ابن عساكر عنها عن

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٨٥٠)، وأحمد في المسند (٦/ ١٨٦)، وابن ماجه (٢/ ١٢٣١) كتاب الأدب باب الرجل يكنى قبل أن يولد له، حديث رقم (٣٧٣٩)، وأبو داود (٢/ ٧١١) كتاب الأدب باب في المرأة تكنى حديث رقم (٤٩٧٠)، والطبراني (٢٣/ ٣٦)، كلهم عن عائشة بألفاظ متفاوتة.

(٢) أخرجه البخاري (٧/ ٦٦٠) كتاب مناقب الأنصار باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة حديث رقم (٣٩١٠). وعبد الرزاق (١٩٨٥٨). وأحمد (٦/ ١٠٧)، وأبو داود (٢/ ٧١١) كتاب الأدب، باب في المرأة تكنى حديث رقم (٤٩٧٠). وابن حبان (١٦/ ٥٤) كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة باب ذكر السبب الذي من أجله كانت عائشة تُكنى بأم عبد الله والطبراني (٢٣/ ٣٤) كلهم من طرق عن عائشة.

(٣) ذكر ابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ٩) من طريق داود بن المحبّر حدثنا محمد بن عروة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: « أسقطت من النبي ﷺ سقطًا فسماه عبد الله وكنّاني أم عبد الله ». ثم قال عقبه: هذا حديث موضوع، قال أبو حاتم بن حبان: « محمد ابن عروة يروي عن جده هشام ما ليس من حديثه حتى يسبق إلى القلب أنه كان المتعمد لذلك لا يجوز الاحتجاج به. قال داود بن المحبّر: يضع الحديث على الثقات ويروي عن المجاهيل المقلوبات، كان أحمد يقول: هو كذاب. وأما كنية عائشة فإن رسول الله ﷺ كناها بابن أختها عبد الله بن الزبير، وما ولدت قط، ولا أسقطت ». اهـ.

(٤) أخرجه أحمد (٦/ ١٦١)، والبخاري (٧/ ١٧٥) كتاب مناقب الأنصار باب تزويج النبي ﷺ عائشة رقم (٣٨٩٥)، ومسلم (٢٤٣٨) كتاب فضائل الصحابة باب فضل عائشة. وابن سعد في الطبقات (٨/ ٦٤)، وأبو يعلى (٤٤٩٨)، والطبراني (٢٣/ ٤١)، والبيهقي (٧/ ٨٥)، كلهم من طرق عن عائشة -رضي الله عنها- وانظر سبل الهدى والرشاد (١١/ ١٦٥).

رسول الله ﷺ قال: جاءنى بك جبريل فى خرقة خضراء فقال: هذه زوجتك فى الدنيا والآخرة[١].

وروى الطبرانى برجال ثقات، والإمام أحمد فى « المناقب »و « المسند »، والبيهقى بإسناد حسن، عن أبى سلمة بن عبد الله بن حاطب، عن عائشة قالت: لما ماتت خديجة جاءت خولة بنت حكيم، امرأة عثمان بن مظعون - فذكر الحديث المتقدم فى خطبة سودة - وتمامه: فقالت لخولة: قولى لرسول الله ﷺ فليأت، فجاء رسول الله ﷺ فملكها. قالت عائشة: فتزوجنى، ثم لبثت سنتين، فلما قدمنا المدينة نزلنا بالسنح فى دار بنى الحارث بن الخزرج، قالت: فإنى لأترجح بين عذقين وأنا ابنة تسع، فجاءت بى أمى من الأرجوحة ولى جميمة، ثم أقبلت تقودنى حتى وقفت عند الباب وأنا أنهج، فمسحت وجهى بشىء من ماء، وفرقت جميمتى، ودخلت بى على رسول الله ﷺ، وفى البيت رجال ونساء، فأجلستنى فى حجرة، ثم قالت: هؤلاء أهلك يا رسول الله، فبارك الله لك فيهن وبارك لهن فيك. قالت: فقام الرجال والنساء، فبنى بى رسول الله ﷺ، ولا والله ما نحرت على من جزور، ولا ذبحت من شاة، ولكن جفنة كان يبعث بها سعد بن عبادة رضى الله عنه إلى رسول الله ﷺ [٢].

وروى ابن حبان زيادة بعد قولها: « وأنا أنهج » فقلت: هَهْ هَهْ حتى ذهب نفسى، فأخذت شيئًا من ماء فمسحت به وجهى، ثم دخلت بى الدار، فإذا نسوة من الأنصار فى البيت فقلن: على الخير والبركة وعلى خير طائر، فأسلمتنى إليهن فأصلحوا شأنى، فلم يرعنى إلا رسول الله ﷺ جالس على سرير فى بيتنا، فأسلمتنى إليه، وبنى بى رسول الله ﷺ فى بيتنا. ثم ذكرت قولها: فما نحرت[٣] ... إلى آخر الحديث.

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٧٠٤) كتاب المناقب باب فضل عائشة -رضي الله عنها- حديث رقم (٣٨٨٠)، وقال: « هذا حديثٌ حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الله بن عمرو بن علقمة ». اهـ. وانظر سبل الهدى والرشاد (١١/ ١٦٥).

(٢) تقدم تخريجه ، وانظر سبل الهدى والرشاد (١١/ ١٦٥،١٦٦).

(٣) أخرجه ابن حبان (١٦/ ٩) كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة حديث رقم (٧٠٩٧). والبيهقي (٧/ ٢٥٣) وأصله عند البخاري (٢٨٩٦) كتاب مناقب الصحابة باب تزويج النبي ﷺ. ومسلم (١٤٢٢) كتاب النكاح، باب تزويج الأب البكر الصغيرة وأبو داود (٤/ ٢٨٤) كتاب الأدب باب في الأرجوحة حديث رقم (٤٩٣٦) وأبو يعلى (٤٨٩٧)، والبيهقي =

وروى مسلم والنسائى عنها قالت: تزوجنى رسول الله ﷺ وأنا ابنة ست، وبنى بى وأنا ابنة تسع، وكنت ألعب بالبنات، وكن جوارٍ يأتيننى، فإذا رَأَيْنَ رسول الله ﷺ يتقنعن منه، وكان ﷺ يُسَرِّبُهُنَّ إلى[١].

وروى ابن سعد عنها قالت: دخل علىَّ رسول الله ﷺ وأنا ألعب بالبنات فقال: ما هذا يا عائشة ؟ فقلت: خيل سليمان. فضحك عليه الصلاة والسلام[٢].

وروى الإمام أحمد فى مسنده عن أسماء بنت يزيد بن السكن عن أسماء بنت عميس رضى الله عنها قالت: كنت صاحبة عائشة رضى الله عنها التى هيأتها وأدخلتها على رسول الله ﷺ ومعى نسوة، فوالله ما وجدنا عندها قِرًى إلا قدحًا من لبن، قالت: فشرب منه ﷺ ثم ناوله عائشة فاستحيت الجارية. فقلت: لا تردّن يد رسول الله ﷺ. فأخذته على حياء فشربت منه، ثم قال: ناولى صواحبك. فقلن: لا نشتهيه. فقال: لا تجمعن جوعًا وكذبًا. فقلت: يا رسول الله، إنا إذا قلنا لشىء نشتهيه « لا نشتهيه » يعدُّ ذلك كذبا ؟ قال: إن الكذب يكتب كذبًا حتى تكتب الكذيبة كذيبة[٣].

= (٧/ ١١٤)، والطيالسي (١٤٥٤)، والطبراني (٢٣/ ٤١).

(١) رَكَّبَ المصنف هنا حديثين فجعلهما حديثًا واحدًا: أما الأول فقول عائشة -رضي الله عنها-: « تزوجني رسول الله ﷺ وأنا ابنة ست، وبنى بي وأنا ابنة تسع » أخرجه مسلم (٢/ ١٠٣٨) كتاب النكاح باب تزويج الأب البكر الصغيرة حديث رقم (١٤٢٢)، والنسائي (٦/ ٣٩٠) كتاب النكاح باب إنكاح الرجل ابنته الصغيرة حديث رقم (٣٢٥٥). وابن حبان (١٦/ ٩) كتاب مناقب الصحابة باب ذكر وصف زفاف عائشة (٧٠٩٧). وأما الثاني: فقول عائشة: « كنتُ أَلعبُ بالبنات تعني اللعب وكن جوارٍ يأتينني، فإذا رَأَيْنَ رسول الله ﷺ يتقنعن منه، وكان ﷺ يسر بهن إليَّ » أخرجه البخاري (١٢/ ١٥٨) كتاب الأدب باب الانبساط إلى الناس حديث رقم (٦١٣٠). ومسلم (٤/ ١٨٩٠) كتاب فضائل الصحابة باب فضل عائشة حديث رقم (٢٤٤٠). وأبو داود (٤/ ٢٨٣) كتاب الأدب باب في اللعب بالبنات حديث رقم (٤٩٣١) وابن ماجه (١٩٨٢) كتاب النكاح باب حسن معاشرة النساء، والطبراني (٢٣/ ٢٧٥)، والبيهقي (١٠/ ٢١٩)، وابن سعد (٨/ ٦٢). وانظر السبل (١١/ ١٦٧) وفي ط: يسيرهن إليَّ، والمثبت لفظ البخاري، قال الحافظ في الفتح (١٢/ ١٥٨) يسربهن أى: يرسلهن.

(٢) أخرجه بهذا اللفظ ابن سعد في الطبقات (٨/ ٦٢) وأخرجه أبو داود (٢/ ٧٠١) كتاب الأدب باب في اللعب بالبنات حديث رقم (٤٩٣٢). والنسائي في الكبرى (٥/ ٣٠٦) كتاب عشرة النساء حديث رقم (٨٩٤٧) (٨٩٤٩) والبيهقي (١٠/ ٢١٩) كتاب الشهادات باب ماجاء في اللعب بالبنات. وانظر السبل (١١/ ١٦٧).

(٣) أخرجه أحمد ف المسند (٦/ ٤٣٨) من طريق مجاهد عن أسماء وذكره الهيثمي في المجمع (١/ ١٤٧) وقال: رواه أحمد والطبراني في الكبير. . . وفي إسناده أبو شداد عن مجاهد، =

وروى الإمام أحمد ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه عنها قالت: تزوجنى رسول الله ﷺ فى شوال، وبنى بى فى شوال، فأى نسائه كان أحظى عنده منى[١]؟ قال أبو عبيدة، معمر بن المثنى: تزوجها عليه الصلاة والسلام قبل الهجرة بسنتين[٢]- قلت: يعنى عقد عليها، كما تقدم التنبيه عليه - فى شوال وهى ابنة ست سنين، فكانت تستحب أن يبتنى بنسائها فى شوال. قال أبو عاصم: إنما كره الناس أن تدخل النساء فى شوال لطاعون وقع فى شوال فى الزمن الأول. وروى أبو بكر ابن أبى خيثمة عن الزهرى قال: لم يتزوج رسول الله ﷺ بكرًا غير عائشة. وروى ابن حبان وأبو بكر عنها: تزوجنى عليه الصلاة والسلام وأنا ابنة ست، ودخلتُ عليه وأنا ابنة تسع. ومكث عندها تسع سنين، ومات عنها وهى ابنة ثمان عشرة سنة[٣].

وروى الترمذى وصححه عن عبد الله بن زياد الأسدى قال: سمعت عمارًا يقول: هى زوجته فى الدنيا والآخرة[٤]. قال أبو الحسن [الخلِعيُّ] عنها قالت: قال رسول

= قال في الميزان: « لم يرو عنه سوى ابن جريج، قلت: أي الهيثمي قد روى عنه يونس بن يزيد الأيلي في هذا الحديث في المسند فارتفعت الجهالة ». قلت: انظر الميزان (٧/ ٣٨٠)، وذكره الحافظ في تعجيل المنفعة (٢/ ٤٧٨) وقال: « أبو شداد عن مجاهد، وعنه يونس بن يزيد الأيلي، وابن جريج، قال الذهبي في الميزان: « ماروى عنه سوى ابن جريج ». ورواية يونس هذه ترد عليه ...». أهـ قلت رواية يونس وابن جريج ترفع عنه جهالة العين، أما جهالة الحال فهي لازمةٌ له، فلم نقف على توثيق معتبر له وفي الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٩/ ٣٨٩) « أبو شداد روى عن مجاهد وروى عنه ابن جريج ويونس بن يزيد، سمعتُ أبي يقول ذلك، قال أبو زرعة: لا أعرف اسمه ». وانظر السبل (١١/ ١٦٧، ١٦٨).

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٥٤)، وعبد بن حميد (١٥٠٨) والدارمي (٢/ ١٤٥) كتاب النكاح باب بناء الرجل بأهله في شوال. ومسلم (٢/ ١٠٣٩) كتاب النكاح باب استحباب التزويج والتزوج في شوال واستحباب الدخول فيه حديث رقم (١٤٢٣) والترمذي (٣/ ٣٩٣) كتاب النكاح باب ماجاء في الأوقات التي يستحب فيها النكاح حديث رقم (١٠٩٣). والنسائي (٥/ ٣٧٨) كتاب النكاح باب التزويج في شوال حديث رقم (٣٢٣٦) وابن ماجه (١/ ٦٤١) كتاب النكاح باب متى يستحب البناء بالنساء حديث رقم (١٩٩٠). وانظر سبل الهدى والرشاد (١١/ ١٦٨).

(٢) ينظر السبل (١١/ ١٦٨).

(٣) أخرجه مسلم (٢/ ١٠٣٩) كتاب النكاح باب تزويج الأب البكر الصغيرة رقم (١٤٢٢)، والنسائي (٦/ ٣٩٠) كتاب النكاح باب إنكاح الرجل ابنته الصغيرة حديث رقم (٣٢٥٨).

(٤) أخرجه الترمذي (٥/ ٧٠٧) كتاب المناقب باب فضل عائشة -رضي الله عنها- حديث رقم (٣٨٨٩). وانظر سبل الهدى والرشاد (١١/ ١٦٩).

الله ﷺ: « ياعائشة، إنها ليهوّن على الموت أنى قد رأيتك زوجتى فى الجنة »[١]. وروى ابن عساكر بلفظ: « ما أبالى الموت منذ علمت أنك زوجتى فى الجنة »[٢]. وروى الطبرانى بإسناد حسن عن عمرو بن العاص، قال: قيل: يا رسول الله، أى الناس أحب إليك ؟ قال: عائشة. قيل: فمن الرجال ؟ قال: أبوها[٣].

وروى أبو يعلى والبزار بسند حسن عن عائشة قالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ وأنا أبكى فقال: ما يبكيك ؟ قلت: سبَّتنى فاطمة. فقال: يا فاطمة أسببت عائشة ؟ قالت: نعم. قال: أليس تحبين من أحبُّ ؟ قالت: بلى. وتبغضين من أبغضُ ؟ قالت: بلى. قال: فإنى أحب عائشة فأحبيها. قالت فاطمة: لا أقول لعائشة شيئًا يؤذيها أبدًا[٤]. وروى النسائى عنها: ماعلمت حتى دخلت عليَّ زينب [بغير إذن] وهى

---

(١) ذكره ابن أبي حاتم في العلل (٢/ ٣٧٥) من طريق المعلى بن عبد الرحمن عن عبد الحميد ابن جعفر عن الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام عن أبيه عن عائشة قالت قال رسول الله (في مرضه: « إنه ليهون على الموت . . . » إلخ ثم قال: سمعتُ أبي يقول هذا حديث موضوع بهذا الإسناد والمعلى متروك الحديث ». أهـ وفي الميزان في ترجمة المعلى بن عبد الرحمن (٦/ ٤٧٤): « قال أبو حاتم: « متروك الحديث »، وذهب ابن المديني إلى أنه كان يضع الحديث، وقال الدارقطني: « ضعيفٌ كذاب ». وعند الإمام أحمد في المسند (٦/ ١٣٨) من طريق مصعب بن إسحاق بن طلحة، عن عائشة عن النبي ﷺ قال: « إنه ليهون علي أني رَأيتُ بياضَ كف عَائشة في الجنة ». وعزاه المتقي الهندي في كنز العمال (١٢/ ١٣٥) للطبراني في « الكبير »، وانظر سبل الهدى والرشاد (١١/ ١٦٩).

(٢) أورده الشيخ محمد الصالحي في سبل الهدى والرشاد (١١/ ١٦٩)، وعزاه لابن عساكر كذلك.

(٣) عزو المصنف الحديث للطبراني فقط قصورٌ بَيِّن؛ فالحديث: أخرجه أحمد (٤/ ٢٠٣) وعبد ابن حميد (٢٩٥) والبخاري (٧/ ٣٦٧) كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذًا خليلاً، رقم (٣٦٦٢)، ومسلم (٤/ ١٨٥٦) كتاب فضائل الصحابة باب فضائل أبي بكر حديث رقم (٢٣٨٤) والترمذي (٥/ ٧٠٦) كتاب المناقب باب فضل عائشة حديث رقم (٣٨٨٥)، والنسائي في الكبرى (٥/ ٣٩) كتاب المناقب باب فضل أبي بكر وعمر حديث رقم (٨١١٧). والحاكم (٤/ ١٢) كتاب معرفة الصحابة باب تسمية أزواج رسول الله ﷺ. والبيهقي (١٠/ ٢٣٣) كتاب الشهادات باب شهادة أهل العصبية والبغوي في شرح السنة (٧/ ١٧٩-بتحقيقنا) كتاب فضائل الصحابة باب فضائل أبي بكر. والطبراني في الكبير (٢٣/ ٤٣) كلهم من طرق عن عمرو بن العاص.

(٤) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٨/ ٣٦٥) وذكره الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٤١)، وقال: « رواه أبو يعلى، والبزار باختصار، وفيه مجالد بن سعيد وهو حسن الحديث، وبقية رجاله =

غضبى، ثم قالت لرسول الله ﷺ: أحسبك إذا قلبت لك بنت أبى بكر ذُرَيْعَتَيْهَا[١] ثم أقبلت علىَّ فأعرضت عنها. حتى قال لى ﷺ: دونك فانتصرى. فأقبلتُ عليها حتى رأيتها قد يبست ريقتها فى فمها ما ترد على شيئًا، فرأيته ﷺ يتهلل وجهه[٢].

وروى البخارى فى « الأدب » عن عائشة رضى الله عنها قالت: أرسل أزواج النبى ﷺ فاطمةَ إلى النبى ﷺ فاستأذنت، والنبىُّ ﷺ مع عائشة فى مرطها، فأذن لها فدخلت فقالت: إن أزواجك أرسلننى يسألنك العدل فى بنت أبى قحافة. قال: أى بنية أتحبين ما أحب ؟ قالت بلى. قال: فأحبى هذه. فقامت فخرجت فحدثتهن. فقلن: ما أغنيتِ عنا شيئًا، فارجعى إليه. فقالت: والله لا أكلمه فيها أبدًا[٣].

وروى ابن أبى خيثمة أن النساء قلن لأم سلمة: قولى لرسول الله ﷺ: إن الناس تأتيك هداياهم يوم عائشة، فقل للناس يهدوا إليك حيث ما كنت، فإنا نحب الخير كما تحبه عائشة. فلما جاءها رسول الله ﷺ قالت له ذلك، فأعرض عنها. فلما ذهب جاء النساء إلى أم سلمة يقلن: ما قال لك رسول الله ﷺ ؟ قالت: قد قلت له، فأعرض عنى. فقلن لها: عودى فقولى له أيضًا. فلما دار إليها قالت له مثل ذلك،

= رجال الصحيح ». وذكره الحافظ في « المطالب العالية » (٤/ ١٢٧) برقم (٤١٣٤) وعزاه لأبي يعلى، وقال البوصيري في زوائده: « إسناده ضعيف لضعف مجالد بن سعيد » أهـ.
قلت: ومجالد بن سعيد قال فيه ابن معين: لا يحتج به وقال الدارقطني: ضعيف وقال النسائي: لا يُحتج به انظر ترجمته في ميزان الاعتدال (٦/ ٢٣).

(١) « ذُرَيْعَتَيْهَا »: قال ابن الأثير (٢/ ١٥٨) (ذرع): الذُّرَيْعَة تصغير الذراع، ولحوق الهاء فيها لكونها مؤنثة، ثم ثنتها مصغرة، وأرادت به ساعديها وفى ط: درسها .

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى (٥/ ٢٩٠) كتاب عشرة النساء باب الانتصار حديث رقم (٨٩١٤)، وأحمد في المسند (٦/ ٩٣)، والبخاري في الأدب المفرد (٥٥٧)، مختصرًا باب من انتصر ممن ظلمه. وابن ماجه (١/ ٦٣٧) كتاب النكاح باب حسن معاشرة النساء حديث رقم (١٩٨١) وقال البوصيري في مصباح الزجاجة: إسناده صحيح ورجاله ثقات وزكريا بن أبي زائدة كان يدلس. أهـ قلت: قال الحافظ في التقريب (٢٠٣٣): « ثقة وكان يدلس ».

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١٦٤) حديث رقم (٥٥٨). وأخرجه في صحيحه « تعليقًا » كتاب الهبة باب من أهدى إلى صاحبه وتحرى بعض نسائه دون بعض حديث رقم (٢٥٨١). وأخرجه مسلم (٤/ ١٨٩١) كتاب فضائل الصحابة باب في فضل عائشة –رضي الله تعالى عنها– حديث رقم (٢٤٤٢)، والنسائي في الصغرى (٨/ ٧٥) كتاب عشرة النساء باب حب الرجل بعض نسائه أكثر من بعض حديث رقم (٣٩٥٤)، وفي الكبرى (٥/ ٢٨١) كتاب عشرة النساء باب حب الرجل بعض نسائه أكثر من بعض حديث رقم (٨٨٩٢)، وأحمد في المسند (٦/ ٨٨).

فقال لها: يا أم سلمة لا تؤذينى فى عائشة، فو الله ما منكن امرأة ينزل على الوحى فى ثوبها إلا عائشة[١].

وروى أبو عمرو بن السماك أن عائشة قالت: إنى لأفخر على أزواج النبى ﷺ بأربع: ابتكرنى ولم يبتكر امرأة غيرى، ولم ينزل عليه القرآن منذ دخل على إلا فى بيتى، ونزل فى عذرى قرآن يتلى، وأتاه جبريل بصورتى مرتين قبل أن يملك عقدى[٢].

وروى الطبرانى والبزار برجال ثقات، وابن حبان عنها، قالت: رأيت رسول الله ﷺ طيب النفس، فقلت: يا رسول الله، ادعُ لى. فقال: اللهم اغفر لعائشة ما تقدم من ذنبها وما تأخر، وما أسرَّت وما أعلنت. فضحكت عائشة حتى سقط رأسها فى حجرها من الضحك، فقال رسول الله ﷺ. أسرَّك دعائى؟ فقالت: ما لى لا يسرنى دعاؤك؟ فقال: فو الله إنها لدعوتى لأمى فى كل صلاتى[٣]. وروى أنه عليه الصلاة والسلام كان يقبلها وهو صائم ويمصُّ لسانها[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٥١٩) كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها باب من أهدى إلى صاحبه، وتحرى بعض نسائه دون بعض حديث رقم (٢٥٨١)، والترمذي (٥/ ٧٠٣) كتاب المناقب باب فضل عائشة رضي الله عنها حديث رقم (٣٨٧٩)، والنسائي (٧/ ٧٩) كتاب عشرة النساء باب حب الرجل بعض نسائه أكثر من بعض حديث رقم (٣٩٦٠). من طرق عن عائشة رضي الله عنها. وأخرجه أحمد (٦/ ٢٩٣) والنسائي (٧/ ٦٨) كتاب عشرة النساء باب حب الرجل بعض نسائه أكثر من بعض والطبراني في الكبير (٢٣/ ٨٥٠). والحاكم (٤/ ٩) كتاب معرفة الصحابة باب تسمية أزواج رسول الله ﷺ من طرق عن أم سلمة. وانظر السبل (١١/ ١٧٢).

(٢) ذكره الشيخ الصالحي في سبل الهدى والرشاد (١١/ ١٧٢)، وعزاه لأبي عمرو بن السماك عن عائشة به.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ١١) كتاب معرفة الصحابة باب ذكر الصحابيات من أزواج النبي ﷺ وابن حبان في صحيحه (١٦/ ٤٨) كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة باب ذكر مغفرة الله جل وعلا ذنوب عائشة ما تقدم منها وما تأخر. وأخرجه البزار (٢٦٥٨) وقال: لا نعلم رواه إلا عائشة، ولا روى عنها إلا بهذا الإسناد، وذكره الهيثمي في «المجمع» (٩/ ٢٤٣)، وقال: «رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير أحمد بن منصور الرمادي، وهو ثقة اهـ. وقال الذهبي في «مختصر المستدرك» متعقبًا على الحاكم: «منكر على جودة إسناده» اهـ. قلت: في إسناده أبو بكر بن حفص واسمه عبد الله بن حفص بن عمر لا تُعرف له رواية عن عائشة. انظر: تهذيب الكمال (١٤/ ٤٣٣)، وانظر سبل الهدى والرشاد (١١/ ١٧٢).

(٤) أخرجه أبو داود (١/ ٧٢٦) كتاب الصيام باب الصائم يبلع الريق حديث رقم (٢٣٨٦) من طريق مصدع أبي يحيى، عن عائشة أن النبي ﷺ كان يُقبلها وهو صائم ويمص لسانها. قال ابن الأعرابي: بلغني عن أبي داود أنه قال: هذا الإسناد ليس بصحيح. وأخرجه أحمد =

وروى ابن عساكر عنها: أنه كان بينها وبين رسول الله ﷺ كلام، فقال لها: من ترضين بيني وبينك، أترضين بعمر بن الخطاب؟ قالت: لا، عمر فظٌ غليظٌ. قال عليه الصلاة والسلام: أترضين بأبيك بيني وبينك؟ قالت: نعم. فبعث إليه رسول الله ﷺ فقال: إن هذه من أمرها كذا ومن أمرها كذا. قالت فقلت: اتق الله ولا تقل إلا حقًّا. قالت: فرفع أبو بكر يده فرثم[١] أنفي وقال: أنت لا أم لكِ يا ابنة أم رومان، تقولين الحق أنت وأبوك ولا يقوله ﷺ؟ فابتدرني منخراي كأنهما عزلاوان[٢]، فقال رسول الله ﷺ: إنا لم ندعُك لهذا. قالت: ثم قام إلى جريدة في البيت، وجعل يضربني بها، فوليت هاربة منه، فلزقت برسول الله ﷺ فقال: أقسمت عليك لما خرجت، فإنا لم ندعك لهذا. فلما خرج قمت فتنحيت عن رسول الله ﷺ فقال: ادني مِنّي. فأبيت أن أفعل، فتبسم رسول الله ﷺ وقال لها: لقد كنتِ [من قبل] شديدة اللصوق لي بظهري[٣].

وروى مسلم والنسائي والدارقطني عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ: إني لأعلم إذا كنتِ عليَّ راضية وإذا كنت علي غضبى. قالت: فقلت: بم تعلم ذلك يا رسول الله؟ قال: إذا كنت راضية قلت: لا وربِّ محمد، وإذا كنت غضبى قلت: لا ورب إبراهيم. قلتُ: صدقتَ يا رسول الله، ما أهجر إلا اسمك[٤].

= (٦/ ٢٣). وأخرجه ابن خزيمة (٣/ ٢٤٦) كتاب الصوم باب الرخصة في مص الصائم لسان المرأة حديث رقم (٢٠٠٣) من طريق مصدع أبي يحيى وقال: « مصدع أبى يحيى لا أعرفه بعدالة ولا جرح ». وانظر: سبل الهدى والرشاد (١١/ ١٧٢) وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (٤/ ٦٥٦) بعد أن ذكر الحديث من طريق « مصدع » عند أبي داود قال: « إسناده ضعيف » أهـ. قلت: ولذلك صدر المصنف الحديث بقوله: « روي » وهي صيغة تمريض تدل على التضعيف. و« مصدع » هذا قال فيه الحافظ في التقريب (٦٧٢٨): « مقبول ». وقال الذهبي في الميزان (٦/ ٤٣٣): « صدوق، قد تُكلم فيه قال السعدي: زائغ جائر عن الطريق ». قلت: وقد صح تقبيله ﷺ لعائشة وهو صائم عند البخاري وغيره، أما مص لسانها فمداره على « مصدع » هذا وقد ذكرنا ما فيه من كلام.

(١) رثم أنفي: أدماها من شدة الضرب. وينظر الوسيط (رثم).

(٢) ابتدرت: أي سالت. والعزلاوان: المزادتان. ولعل المعنى: أن الدم قد سال من أنفها متدفقًا كالماء الذي يسيل من فم المزادة.

(٣) ينظر سبل الهدى والرشاد (١١/ ١٧٣).

(٤) أخرجه البخاري (٩/ ٢٣٧) كتاب النكاح باب غيرة النساء ووجدهن حديث رقم (٥٢٢٨). ومسلم (٤/ ١٨٩٠) كتاب فضائل الصحابة باب في فضل عائشة -رضي الله عنها- حديث =

وروى الترمذى والنسائى وابن عدى والإسماعيلى عن عائشة رضى الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ جالسًا، فسمعنا لغطًا وصوت صبيان، فقام رسول الله ﷺ، فإذا الحبشة يزفنون ويلعبون بحرابهم فى المسجد والصبيان حولهم، فقال: ياعائشة، تعالى فانظرى. وفى رواية النسائى: ياحُمَيْرَاءُ، أتحبين أن تنظرى إليهم؟ فقلت: نعم، فوضعتُ خدى على منكب رسول الله ﷺ، وهو يسترنى بردائه، فجعلت أنظر بين المنكب إلى رأسه، فجعل يقول يا عائشة، أما شبعت، أما شبعت؟ وفى رواية: حسبك. قلت: يا رسول الله، لا تعجل. فقام ثم قال: حسبك. قلت: لاتعجل يا رسول الله، إنى أحب النظر إليهم. تقول عائشة: قد بلغت القصد من النظر إليهم، ولكن أحببت أن يبلغ النساءَ مقامه لى ومكانى منه. وفى لفظ: فأقول: لا؛ لأنظر منزلتى عنده. ولقد رأيته يزاوج بين قدميه، إذ طلع عمر فارفَضَّ الناس عنهم والصبيان، فقال رسول الله ﷺ: إنى لأنظر إلى شياطين الإنس والجن قد فروا من عمر[1].

وروى البرقانى عنها قالت: دخل علىَّ رسول الله ﷺ، وعندى جاريتان تغنيان بغناء بعاث، فاضطجع على الفراش وحوَّل وجهه، ودخل أبو بكر فانتهرنى، وقال: مزمارة الشيطان عند رسول الله ﷺ! فأقبل عليه - عليه الصلاة والسلام - فقال: دعها. فلما غفل غمزتهما فخرجتا. وقالت: كان يوم عيد تلعب السودان بالدف والحراب[2]... إلى آخر الحديث الأول.

= رقم (٢٤٣٩). والنسائي في الكبرى (٥/ ٣٦٥) كتاب عشرة النساء باب غضب المرأة على زوجها حديث رقم (٩١٥٦). والطبراني في الكبير (٢٣/ ١١٩). والبيهقي (١٠/ ٢٧) كتاب الأيمان باب الحلف بالله عز وجل أو باسم من أسماء الله عز وجل. والبغوي في شرح السنة (٥/ ١٢٤) كتاب النكاح باب حسن العشرة معهن حديث رقم (٢٣٣١). كلهم من طرق عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة وانظر السبل (١١/ ١٧٣).

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٦٢١) كتاب المناقب باب في مناقب عمر -رضي الله عنه- حديث رقم (٣٦٩١) وقال عقبه: «هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه». والنسائي في الكبرى (٥/ ٣٠٨) كتاب عشرة النساء باب إباحة الرجل لزوجته النظر إلى اللعب حديث رقم (٨٩٥١) وابن عدي في الكامل (٣/ ٥١) في ترجمة خارجة بن عبد الله الأنصاري. وانظر السبل (١١/ ١٧٤).

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ٣٣). والبخاري (٣/ ١١٢) كتاب العيدين باب الحراب والدرق يوم العيد حديث رقم (٩٤٩). ومسلم (٢/ ٦٠٧) كتاب العيدين باب الرخصة في اللعب الذي =

وروى النسائى عن عائشة رضى الله عنها، قالت: زارتنا سودة يومًا، فجلس عليه الصلاة والسلام بينى وبينها، إحدى رجليه فى حجرى والأخرى فى حجرها، فحملتُ له حريرة - أو قالت خزيرة - فقلت: كلى، فأبت، فقلت: كلى أو لألطخن وجهك، فأبت، فأخذت من القصعة شيئًا فلطخت به وجهها، فضحك رسول الله ﷺ، ورفع رجله عن حجرها لتبعد منى، وقال: الطخى وجهها. فأخذتْ من القصعة شيئًا ولطختْ به وجهى، ورسول الله ﷺ يضحك[1].

وروى ابن أبى شيبة عن قيس بن وهب، قال: قلت لعائشة: أخبرينى عن خُلق رسول الله ﷺ. قالت: أو ما تقرأ القرآن ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [نون: ٤]. قالت: جاءنى عليه الصلاة والسلام مع أصحابه فصنعت لهم طعامًا وصنعتْ له حفصة طعامًا، فسبقتنى حفصة، فقلت للجارية: انطلقى فاكفئى قصعتها. فلحقتها وقد هوت أن تضع بين يديه عليه الصلاة والسلام فكفأتها، فانكسرت القصعة وانتثر الطعام، فجمعها رسول الله ﷺ ومافيها من الطعام على الأرض، وبعث بقصعتى فدفعها إلى حفصة فقال: ظرفا مكان ظرف. قالت: فما رأيت فى وجهه تغيرًا[2].

وروى النسائى عن أم سلمة: أنها أتت بطعام فى صحفة لها[3].

وروى مسلم عن عائشة رضى الله عنها: أن الله عز وجل أنزل الخيار، فبدأ بعائشة وقال: إنى أذكر لك أمرًا ما أحب أن تعجلى فيه حتى يأتى أبو بكر. قالت: ماهو ؟ فتلا رسول الله ﷺ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا. . . . ﴾ [الأحزاب: ٢٨] إلى آخر الآية، فقالت: أفيك أستأمر أبى ؟! بل أختار الله ورسوله[4].

= لا معصية فيه (٨٩٢)، والنسائي (٣/ ٢١٨) كتاب العيدين باب الرخصة في الاستماع إلى الغناء وضرب الدف يوم العيد حديث رقم (١٥٩٦) وابن حبان (١٣/ ٥٨٦٨) كتاب الحظر والإباحة باب اللعب واللهو حديث رقم (٥٨٦٨).

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٥/ ٢٩١) كتاب عشرة النساء باب الانتصار حديث رقم (٨٩١٧).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٦/ ١١١) من طريق شريك عن قيس بن وهب وابن ماجه (٢/ ٧٨٢) كتاب الأحكام باب الحكم فيمن كسر شيئًا. حديث رقم (٢٣٣٣) من طريق شريك به. وقال البوصيري في زوائد ابن ماجه « إسناده ضعيف للجهالة بالتابعي ».

(٣) أخرجه النسائي في الكبرى (٥/ ٢٨٥، ٢٨٦) كتاب عشرة النساء باب الغيرة رقم (٨٩٠٤).

(٤) أخرجه البخاري (٩/ ٤٧٣) كتاب التفسير باب « قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا =

وروى أبو طاهر عن الشعبى والطبرانى بإسناد حسن، عن عمرو بن الحارث بن المصطلق، قال: بعث زياد بن أمية مع عمرو بن الحارث بهدايا وأموال إلى أمهات المؤمنين، ففضل عائشة عليهن، فجعل رسوله يعتذر إلى أم سلمة وصفية، فقلن: يعتذر إلينا زياد، فقد كان يفضلها من كان أعظم علينا تفضيلاً من زياد: رسول الله ﷺ[(١)].

وروى ابن سعد عن عائشة رضى الله عنها قالت: فضلت على نساء النبى ﷺ بخصال عشر. قيل: وماهن يا أم المؤمنين؟ قالت: لم ينكح بكرًا غيرى، ولم ينكح امرأة أبوها مهاجر غيرى، وأنزل الله براءتى من السماء، وجاءه جبريل بصورتى من السماء فى حريرة وقال: تزوجها فإنها امرأتك، وكنت أغتسل أنا وهو من إناء واحد، ولم يكن يصنع ذلك بأحد من نسائه، وكان يصلى وأنا معترضة بين يديه، وكان ينزل عليه الوحى وهو معى، ولم يكن ينزل عليه وهو مع أحد من نسائه، وقبضه الله وهو بين سحرى ونحرى[(٢)]، ودفن فى بيتى، ورأيت جبريل ولم يره أحد من نسائه[(٣)].

= وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحًا جميلاً » حديث رقم (٤٧٨٥). ومسلم (٢/ ١١٠٣) كتاب الطلاق باب بيان أن تخيير امرأته لايكون طلاقًا إلا بنية (١٤٧٥). والترمذي (٢/ ٤٧٤) كتاب تفسير القرآن، باب سورة الأحزاب وحديث رقم (١١٧٩)، والنسائي (٥/ ٣٦٣) كتاب النكاح باب ما افترض الله عز وجل على رسوله عليه السلام وحرمه على خلقه ليزيده إن شاء الله قربه إليه حديث رقم (٣٢٠١). وابن ماجه (١/ ٦٦٢) كتاب الطلاق باب الرجل يخير امرأته حديث رقم (٢٠٥٣).

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٣/ ١١٤) حديث رقم (٢٦٥١) وقال عقبه: « لم يرو هذا الحديث عن مغيرة إلا قيس، ولا عن قيس إلا يحيى، تفرد به الوكيعي » أهـ وذكره الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٤٥) وقال: « إسناده حسن ». وانظر سبل الهدى والرشاد (١١/ ١٧٦).

(٢) السَّحر: الرئة، وقيل: ما لصق بالحلقوم من أعلى البطن. والنَّحر: أعلى الصدر. ينظر النهاية (٢/ ٣٤٦)، والوسيط (نحر).

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٨/ ٥٠) من طريق عيسى بن ميمون عن القاسم بن محمد عن عائشة به. قلت: في إسناده عيسى بن ميمون مولى القاسم بن محمد قال فيه الحافظ في التقريب (٥٣٧٠): (ضعيف ». وقال الذهبي في « المغني في الضعفاء » (٢/ ٥٠١) عيسى بن ميمون القرشي المدني، مولى القاسم، عن مولاه. قال عبد الرحمن بن مهدي: « استعديت عليه وقلت ماهذه الأحاديث التي تروي عن القاسم عن عائشة؟! فقال: لا أعود » قال البخاري: منكر الحديث ». أهـ وذكر عقبه ترجمة سميه: عيسى بن ميمون الخواص المديني، عن القاسم أيضًا والسُّدي، تركوه. كذا فرق بينه وبين الذي قبله ابن حبان، وأظنهما واحدا ». أهـ وفي الميزان (٥/ ٣٩٢) في ترجمة الأول قال ابن حبان: يروي =

وروى الترمذى وصححه وابن أبى خيثمة عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال: ما أشكل علينا - أصحاب رسول الله ﷺ - حديث قط فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها منه علمًا[(١)]. وروى الطبرانى عن الزهرى: أن رسول الله ﷺ قال: «لو جمع نساء هذه الأمة فيهن أزواج النبى ﷺ كان علم عائشة أكثر من علمهن»[(٢)]. وروى الحاكم بسند حسن عن مسروق أنه كان يحلف بالله لقد رأيت الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ يسألون عائشة عن الفرائض[(٣)]. وروى الطبرانى عن موسى بن طلحة: مارأيت أحدًا كان أفصح من عائشة[(٤)]. وروى أبو عمر وابن عساكر عن عروة بن الزبير قال: ما رأيت أحدًا أعرف بالقرآن، ولا بفريضة، ولا بحلال ولا بحرام، ولا بفقه، ولا بطب، ولا بحديث العرب، ولا بنسب من عائشة[(٥)].

وروى عن عروة - وقد قيل له: ما أرواك - وكان أروى الناس للشعر - فقال: ماروايتى فى رواية عائشة ؟ ماكان ينزل بها شىء إلا أنشدت فيه شعرًا[(٦)]. وروى

= أحاديث كلها موضوعات، وقال الفلاس: متروك». اهـ وانظر سبل الهدى والرشاد (١١/ ١٧٨).

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٧٠٥) كتاب المناقب باب فضل عائشة -رضي الله عنها- حديث رقم (٣٨٨٣). وانظر سبل الهدى والرشاد (١١/ ١٧٩).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير وذكره الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٤٦) وقال عقبه: «رواه الطبراني مرسلًا، ورجاله ثقات». أهـ، والحاكم (٤/ ١١) كتاب معرفة الصحابة باب ذكر الصديقة بنت الصديق. وانظر: سبل الهدى والرشاد (١١/ ١٧٩).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ١١) كتاب معرفة الصحابة باب ذكر الصديقة بنت الصديق عائشة بنت أبي بكر -رضي الله عنهما- والطبراني في الكبير كما في المجمع (٩/ ٢٤٥) وقال الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح». وانظر السبل (١١/ ١٧٩).

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير كما في مجمع الزوائد (٩/ ٢٤٦) وقال الهيثمي: «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح». وكذا أخرجه الحاكم (٤/ ١١) كتاب معرفة الصحابة باب ذكر الصديقة بنت الصديق. وانظر السبل (١١/ ١٧٩).

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ١١) كتاب معرفة الصحابة باب ذكر الصديقة بنت الصديق عائشة بنت أبي بكر -رضي الله عنهما- والطبراني في الكبير كما في المجمع (٩/ ٢٤٥) وقال الهيثمي: «إسناده حسن» أهـ وانظر السبل (١١/ ١٧٩).

(٦) انظر السبل (١١/ ١٧٩).

الإمام أحمد عن عروة - أيضًا - أنه كان يقول لعائشة: يا أماه، لا أعجب من فقهك؛ أقول: زوجة رسول الله ﷺ وابنة أبى بكر، ولا أعجب من علمك بالشعر وأيام الناس؛ أقول: ابنة أبى بكر وكان أعلم - أو من أعلم - الناس بأيام العرب وأنسابها، ولكن أعجب من علمك بالطب كيف هو وأين هو ؟ فضربت على منكبه وقالت: أى عُرَيَّة - تصغير عروة - إن رسول الله ﷺ كان يسقم - وفى لفظ: كثرت أسقامه - آخر عمره، فكانت تقدم عليه وفود العرب من كل وجه، فكانت تنعت له الألعاق، وكنت أعالجها، فمن ثَمَّ[1].

وروى الحاكم وأبو عمر وابن الجوزى، عن الزهرى، قال: لو جمع علم الناس كلهم، ثم علم أزواج رسول الله ﷺ، لكانت عائشة أوسعهم علمًا[2].

وروى الإمام أحمد فى « الزهد » والحاكم عن الأحنف بن قيس، قال: سمعت خطبة أبى بكر وعمر وعثمان وعلى والخلفاء وهلم جرًّا، فما سمعت لكلام مخلوق منهم أفخم ولا أحسن من فِى عائشة[3].

وروى ابن أبى خيثمة عن سفيان بن عيينة قال: قال معاوية بن أبى سفيان: يازياد، أىُّ الناس أعلم ؟ قال: أنت يا أمير المؤمنين. قال: أعزم عليك. قال: أما إذا عزمت علىَّ فعائشة[4]. وروى البلاذرى عن القاسم بن محمد، قال: كانت عائشة قد استقلت بالفتوى زمن أبى بكر وعمر وعثمان، وهلم جرًّا إلى أن ماتت[5].

وعنها رضى الله عنها قالت: كنت أدخل البيت الذى دفن فيه رسول الله ﷺ وأبى، واضعة ثوبى عنى وأقول: إنما هما زوجى وأبى، فلما دفن عمر والله ما دخلته

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٦/ ٦٧) وقال الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٤٥) رواه البزار. . . وأحمد بنحوه . . . والطبراني في الأوسط والكبير، وفيه عبد الله بن معاوية الزبيري، قال أبو حاتم مستقيم الحديث وفيه ضعف، وبقية رجال أحمد والطبراني في الكبير ثقات . . .». وانظر أسد الغابة (٧/ ١٨٩). وأخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ٥٠، ٨٦، ٨٧)، وذكره الصالحي في سبل الهدى والرشاد (١١/ ١٨٠).

(٢) تقدم تخريجه وانظر سبل الهدى والرشاد (١١/ ١٨٠).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ١١) كتاب معرفة الصحابة باب ذكر الصديقة بنت الصديق، وعزاه لأحمد في « الزهد » الصالحي في سبل الهدى والرشاد (١١/ ١٨٠).

(٤) ينظر: السبل (١١/ ١٨٠).

(٥) ينظر: السبل (١١/ ١٨٠)

إلا مشدودة عليَّ ثيابى حياء من عمر[١].

وروى أبو يعلى وأبو الشيخ ابن حيان - وسنده حسن - عن عائشة قالت: كان متاعى فيه خفة، وكان على جمل قارح[٢]، وكان متاع صفية فيه ثقل، وكان على جمل ثَفال بطىء، فقال رسول الله ﷺ: حولوا متاع عائشة على جمل صفية، وحولوا متاع صفية على جمل عائشة. فلما رأيت ذلك قلت: يا لعباد الله، غلبتنا هذه اليهودية على رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: يا أم عبد الله، إن متاعك فيه خف، ومتاع صفية فيه ثقل، فأبطأ بالركب، فحولنا متاعها على بعيرك، وحولنا متاعك على بعيرها. فقالت عائشة: ألستَ تزعم أنك رسول الله؟ فتبسم رسول الله ﷺ وقال: أو فيَّ شك؟ فقلت: ألست تزعم أنك رسول الله، فهلا عدلت؟ فسمعنى أبو بكر وكان فيه غرب - أى حدة - فأقبل عليَّ ولطم وجهى، فقال رسول الله ﷺ: مهلاً يا أبا بكر. فقال: يا رسول الله، أما سمعت ما قالت؟ فقال رسول الله ﷺ: إن الغيرة لا تبصر أسفل الوادى من أعلاه[٣].

وروى ابن أبى خيثمة عن عروة بن الزبير أن عائشة رضى الله عنها قالت له: إذا أنا مت فادفنى مع صواحبى بالبقيع[٤] وكانت وفاتها فى رمضان ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت منه على الصحيح عند الأكثرين، سنة ثمان وخمسين من الهجرة، وصلى عليها أبو هريرة خليفة مروان بالمدينة.

رُوى لها عن رسول الله ﷺ ألف ومائتا حديث وعشرة أحاديث، اتفق البخارى

(١) ينظر: السبل (١١/ ١٨١، ١٨٢).

(٢) قال ابن الأثير: القارح من الخيل هو الذي دخل في السنة الخامسة ينظر: النهاية (٥/ ٣٦) (قرح).

(٣) أخرجه أبو يعلى في مسنده رقم (٤٦٧٠)، وأورده الهيثمي في المجمع (٤/ ٣٢٢): وقال « رواه أبو يعلى، وفيه محمد بن إسحاق وهو مدلس، وسلمة بن الفضل، وقد وثقه جماعة: ابن معين وابن حبان وأبو حاتم وضعفه جماعة، وبقية رجاله رجال الصحيح. وقد رواه أبو الشيخ بن حيان في كتاب الأمثال، وليس فيه غير أسامة بن زيد الليثي، وهو من رجال الصحيح وفيه ضعف وبقية رجاله ثقات ». وأورده الحافظ ابن حجر في « المطالب العالية » (٢/ ١٩) برقم (١٥٤٠) وعزاه إلى أبي يعلى، وكذا أورده في (٢/ ١٥٧)، برقم (١٩٢٧) وعزاه إلى ابي يعلى، ونقل الأعظمي في الحاشية عن البوصيري تضعيفه، لتدليس ابن إسحاق ». وانظر: سبل الهدى والرشاد (١١/ ١٨٢).

(٤) ينظر: طبقات ابن سعد (٨/ ٥٩)، والإصابة (٨/ ٢٣٥)، وسبل الهدى والرشاد (١١/ ١٨٢).

ومسلم منها على مائة وأربعة وسبعين حديثًا، وانفرد الأول بأربعة وخمسين حديثًا والثانى بمائة وسبعين. ورَوى عنها خلق كثير من الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين[١].

وأما أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب - رضى الله عنهما - فأمها زينب بنت مظعون، أسلمت وهاجرت، وكانت قبل رسول الله ﷺ تحت خنيس بن حذافة السهمى، هاجرت معه ومات عنها بعد غزوة بدر، فلما تأيمت ذكرها عمر على أبى بكر وعثمان فلم يجبه واحد منهما إلى زواجها، فخطبها رسول الله ﷺ فأنكحه إياها فى شوال سنة ثلاث من الهجرة، وطلقها رسول الله ﷺ تطليقة واحدة ثم راجعها؛ نزل عليه الوحى « راجع حفصة؛ فإنها صوامة قوامة، وإنها زوجتك فى الجنة »[٢] روى عنها جماعة من الصحابة والتابعين.

وفى « تاريخ الخميس »: توفى عنها زوجها خنيس - أو حبيش - بن حذافة بالمدينة بعد شهوده بدرًا معه عليه الصلاة والسلام، فعرضها عمر أبوها على أبى بكر فلم يجبه بشىء، ثم عرضها على عثمان فلم يجبه بشىء، فشكا عمرُ إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله عرضت على عثمان حفصة فأعرض عنى. فقال رسول الله ﷺ: « هل لك فى خير من ذلك ؟ أتزوج أنا حفصة وأزوج عثمان أم كلثوم »[٣] أخرجه أبو عمر وقال: حديث صحيح.

وعن ربعى بن حراش عن عثمان أنه خطب إلى عمر ابنته فرده، فبلغ ذلك النبى ﷺ. فلما راح إليه عمر قال له: أدلك على خير لك من عثمان، وأدل عثمان على خير له منك، قال: نعم يا نبى الله. قال: تزوجنى ابنتك، وأزوج عثمان ابنتى.

---

(١) ينظر: السبل (١١/ ١٨٠).

(٢) أخرجه الطبراني كما في المجمع (٩/ ٢٤٨) وقال الهيثمي في المجمع: « رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح ». من حديث قيس بن يزيد وورد من طريق غيره كأنس وعمار بن ياسر، وانظر سبل الهدى والرشاد (١١/ ١٨٥).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (١/ ١٢) وعبد الرزاق في المصنف (٦/ ٨٣)، والبخاري كتاب المغازي رقم (٤٠٠٥)، وفي النكاح باب عرض الإنسان ابنته أو أخته على أهل الخير حديث رقم (٥١٢٢) وأخرجه النسائي (٦/ ٧٨)، كتاب النكاح باب عرض الرجل ابنته على من يرضى. وفي الكبرى (٣/ ٢٧٧) كتاب النكاح باب عرض الرجل ابنته على من يرضى حديث رقم (٥٣٦٣). وذكره ابن عبد البر في الاستيعاب ت (٣٣٣٣)، والصالحي في « السيل » (١١/ ١٨٤).

أخرجه الخجندى. قلت: مارواه الخجندى يخالف ما تقدم عن « تاريخ الخميس »؛ فإنه ذكر فيه أن عمر رضى الله عنه عرض ابنته على عثمان وأعرض عثمان عنه، وما رواه الخجندى خطب عثمان إلى عمر ابنته فردَّه، فلينظر وجه الوفاق. والله اعلم.

وتزوج عثمان أم كلثوم بعد رقية، وتزوج عليه الصلاة والسلام حفصة، ثم إنه عليه الصلاة والسلام طلقها، فأتاها خالاها قدامة بن مظعون وعثمان بن مظعون، فبكت وقالت: والله ما طلقنى رسول الله ﷺ عن شبع[(١)]. روى أنه لما بلغ خبر طلاقها أباها عمر حثا على رأسه التراب وقال: مايعبأ الله بعمر وابنته بعد هذا. فنزل جبريل من الغد وقال للنبى ﷺ: إن الله يأمرك أن تراجع حفصة رحمة لعمر، فجاء رسول الله ﷺ فقال: إن جبريل أتانى فقال لى: راجع حفصة فإنها صَوّامة قوامة، وإنها زوجتك فى الجنة[(٢)].

وفى رواية: همَّ بطلاقها ولم يطلق[(٣)]. وروى عن عمر رضى الله عنه أنه قال: لما تزوجها رسول الله ﷺ قلت لأبى بكر: ما حملك على ما صنعت ؟ قال: إن رسول الله ﷺ قد ذكرها، فمن ذلك سكتُّ عنك وأعرضت، فكانت عند النبى ﷺ قريبًا من ثمان سنين[(٤)].

قال العلامة الشامى: كان زوجها خنيس - بالخاء المعجمة بعدها نون ثم ياء وسين - ممن شهد بدرًا، فعاد إلى المدينة فمات بها من جراحات أصابته يوم بدر[(٥)].

توفيت حفصة فى شعبان سنة خمس وأربعين بالمدينة فى خلافة معاوية، وبكى

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير من حديث قيس بن يزيد وذكره الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٤٨): وقال عقبه: « رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح ». أهـ وانظر السبل (١١/ ١٨٥).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير من حديث عقبة بن عامر الجهني، وذكره الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٤٧) وعزاه له ثم قال: « وفيه عمرو بن صالح الحضرمي ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات ». أهـ وانظر السبل (١١/ ١٨٥).

(٣) أخرجه البزار، والطبراني من حديث عمار بن ياسر كما في مجمع الزوائد (٩/ ٢٤٧) وقال الهيثمي: « وفي إسناديهما الحسن بن أبي جعفر، وهو ضعيف ». قلت: الحسن ضعفه يحيى بن سعيد، وأحمد، والنسائي وغيرهم وقال فيه البخاري: منكر الحديث » انظر تهذيب الكمال (٦/ ٧٦).

(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/ ٦٦) وأصله في الصحيح وقد تقدم تخريجه.

(٥) انظر السبل (١١/ ١٨٤)، وفيه: وقيل بل أحد، ورجح كُلًّا مرجحون، والأول أشهر -يعني ببدر.

عليها مروان بن الحكم أمير المدينة، وحمل سريرها بعض الطريق، ثم حمل أبو هريرة إلى قبرها، فنزل فى قبرها عبد الله وعاصم ابنا عمر رضى الله عنهم، وسالم وعبد الله وحمزة أبناء عبد الله بن عمر، وقد بلغت ستين سنة. وقيل: ماتت سنة ثنتين وأربعين، وأوصت إلى عبد الله أخيها بما أوصى إليها أبوها عمر، وتصدقت بمال لها وقفته بالغابة[١].

مروياتها سبعون حديثًا، اتفق البخارى ومسلم منها على أربعة، وانفرد مسلم بستة، والباقية فى سائر الكتب.

وأما أم المؤمنين زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف ابن هلال الهلالية، فتزوجها عليه الصلاة والسلام فى رمضان من السنة الثالثة من الهجرة، تكنى « أم المساكين » لإطعامها إياهم، كانت تحت عبد الله بن جحش فى قول الزهرى، قتل عنها يوم أحد فتزوجها عليه الصلاة والسلام، ولم تلبث عنده عليه الصلاة والسلام إلا شهرين أو ثلاثة أشهر.

توفيت فى حياته ﷺ، وقيل: مكثت عنده ثمانية أشهر، ذكره الفضائلى. قال الشامى فى سيرته: قال قتادة بن دعامة: كانت قبل رسول الله ﷺ عند الطفيل بن الحارث بن عبد المطلب، ولما خطبها عليه الصلاة والسلام جعلت أمرها إليه فتزوجها، وأشهد وأصدقها اثنتى عشرة أوقية ونشًا. روى الطبرانى برجال الصحيح عن ابن إسحاق: تزوج النبى ﷺ زينب بنت خزيمة الهلالية أم المساكين، كانت قبله عند الحصين - أو عند الطفيل - بن الحارث بالمدينة وهى أول نسائه موتًا[٢].

قال ابن الكلبى: كانت عند الطفيل بن الحارث فطلقها، فتزوجها أخوه عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب فقتل عنها يوم بدر شهيدًا، ثم خلف عليها رسول الله ﷺ قبل أن يتزوج أختها لأمها ميمونة. قال ابن أبى خيثمة: كانت تسمى « أم المساكين » فى الجاهلية، وأرادت أن تعتق جارية لها سوداء فقال لها رسول الله ﷺ: ألا تفدين بها بني أخيك أو بني أختك[٣] من رعاية الغنم[٤].

---

(١) انظر سبل الهدى والرشاد (١١/ ١٨٦)، والإصابة (٨/ ٧٦).

(٢) سبل الهدى والرشاد (١١/ ٢٠٥).

(٣) في ط وفي السبل: ألا تفدين أخاك أو أختك. والمثبت من « الطبقات ».

(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٨/ ٩٢) من حديث: إسماعيل بن عبد الله بن أبي =

وأما أم المؤمنين أم سلمة هند - وقيل: رملة والأول أصح - بنت أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم بن نقطة بن مرة بن كعب بن لؤى، واسم أبى أمية سهيل، ويقال له: « زاد الراكب » وقال أبو عمرو: تزوجها رسول الله ﷺ سنة أربع فى شوال، كذا فى « السمط الثمين ». قال فى « المواهب »: تزوجها فى ليال بقين من شوال من السنة التى مات فيها أبو سلمة، ومات أبو سلمة سنة أربع وقيل سنة ثلاث، وكانت أم سلمة سمعت منه - عليه الصلاة والسلام - يقول: « مامن مسلم تصيبه مصيبة فيقول: اللهم آجرنى فى مصيبتى واخلف لى خيرًا منها، إلا أخلف الله له خيرًا منها »[1] قال: فلما مات أبو سلمة قلت: أى المسلمين خير من أبى سلمة ؟ ثم إنى قلتها، فأخلف الله لى رسول الله ﷺ، فأرسل إلىّ حاطب بن أبى بلتعة يخطبنى له، وكانت قبله - عليه الصلاة والسلام - تحت أبى سلمة، عبد الله بن عبد الأسد المخزومى، وكانت هى وزوجها المذكور أول من هاجر إلى أرض الحبشة، فولدت له بها زينب، وولدت له بعد ذلك سلمة وعمر ودرة.

وقيل: هى أول ظعينة دخلت المدينة مهاجرة. ولما مات زوجها أبو سلمة خطبها عمر رضى الله عنه فأبت ، فأرسل إليها رسول الله ﷺ فقالت: مرحبًا برسول الله ﷺ، إن فىّ خلالاً ثلاثًا: أنا امرأة شديدة الغيرة، وأنا امرأة مصبية، وأنا امرأة ليس هنا أحد من أوليائى فيزوجنى. فغضب عمر رضى الله عنه لرسول الله ﷺ أشد مما غضب لنفسه حين ردّته، فأتاها رسول الله ﷺ فقال: « أما ما ذكرتِ من غيرتك فإنى أدعو الله أن يذهبها عنك، وأما ماذكرتِ من صبيتك فإن الله سيكفيهم، وأما ماذكرتِ من أوليائك، فما أحد منهم يكرهنى » فقالت لابنها عمر: زوجنى عليه[2]. قلت:

= أويس، حدثني عبد العزيز بن محمد عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر عن عطاء بن يسار عن الهلالية التي كانت عند رسول الله (به. وانظر السبل (١١/ ٢٠٥). قلت: أما إسماعيل بن أبي أويس فقد قال فيه الحافظ في التقريب (٤٦٤): « صدوق أخطأ في أحاديث من حفظه ». أهـ وضعفه النسائي وغيره، انظر تهذيب الكمال (٣/ ١٢٨)، وعبد العزيز بن محمد هو الدراوردي قال في التقريب (٤١٤٧) صدوق كان يحدث من كتب غيره فيخطئ. أهـ

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٦٣١، ٦٣٢) رقم (٩١٨) وأبو داود (٢٣٠٥) كتاب الطلاق باب فيما تجتنبه المعتدة في عدتها. والنسائي (٦/ ٥١٥) كتاب الطلاق باب الرخصة للحادة أن تمتشط بالسدر. وانظر سبل الهدى والرشاد (١١/ ١٨٨).

(٢) أصل القصة عند أبي داود والنسائي وقد تقدم تخريجها وهي بهذا السياق عند ابن سعد في الطبقات (٨/ ٧١).

لعل هذا من خصوصياته عليه الصلاة والسلام؛ إذ قواعد مذهبنا أن الابن لايزوج أمه إلا إن كان ابن ابن عم لها، والله سبحانه أعلم، فيزوج بجهة العصوبة حينئذٍ لا بجهة البنوة. انتهى

قال صاحب « السمط الثمين »: رواه بهذا السياق هدبة بن خالد وصاحب « الصفوة ». وخرج أحمد والنسائى طرفًا منه، ومعناه فى الصحيح، وفيه دلالة على أن الابن يلى العقد على أمه، وعندنا أنه إنما زوجها بالعصوبة لأنه ابن ابن عمها، لأن أبا سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله، وأم سلمة هند بنت سهل ابن المغيرة بن عبد الله، ولم يكن من عصبتها أحد حاضرًا غيره.

وكانت أم سلمة من أجلِّ الناس، روى عن عائشة أنها قالت: لما تزوج رسول الله ﷺ أم سلمة حزنتُ حزنًا شديدًا لما ذكروا لى من جمالها، فاطلعت حتى رأيتها - والله - أضعافَ ما ذُكرتْ لى فى الحسن، فذكرتُ ذلك لحفصة - وكانتا يدًا واحدة- فقالت: لا والله إن هذا إلا لغيرة، ماهى كما يقولون. فتلطفتْ بها حفصة حتى رأتها فقالت: رأيتها، لا والله، ماهى كما يقولون ولا قريبًا منه وإنها لجميلة. قالت عائشة فرأيتها بعد، فكانت كما قالت حفصة، ولكنى كنت غيراء[1].

وفى « السمط الثمين، فى مناقب أمهات المؤمنين »: أرسل إليها رسول الله ﷺ حاطب بن أبى بلتعة يخطبها، فقال لها رسول الله ﷺ: أما إنى لم أنقصك عما أعطيت فلانة، يعنى زينب بنت خزيمة، وكانت قد ماتت زينب قبلها، قيل لأم سلمة: ما أعطى فلانة ؟ قالت: أعطاها جرَّتين تضع فيهما حبها ورحى ووسادة من أدم حشوها ليف. ثم انصرف حاطب، فأقبل رسول الله ﷺ يأتيها، فلما رأته وضعت زينب أصغر ولدها فى حجرها، فرجع عليه الصلاة والسلام، ثم عاد مرة ثانية ففعلت ذلك أيضًا، ففطن عمار[2] فأقبل مسرعًا بين يدى رسول الله ﷺ - وكان أخاها لأمها - وانتزعها من حجرها، وقال: هاتي هذه المقبوحة المشقوحة التى

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٨/ ٧٥) من طريق الواقدي محمد بن عمر، وهو « متروك » وأمره مشهور، وقد تقدم مرارًا، وانظر تقريب التهذيب (٦٢١٥)، وتهذيب الكمال (٢٦/ ١٨٠)، وميزان الاعتدال (٣/ ترجمة ٥١٥٦) وانظر الإصابة ترجمة أم سلمة (٨/ ٤٠٦).

(٢) في ط: عمارة، والمثبت من الطبقات.

منعت رسول الله ﷺ، فجاء رسول الله ﷺ فلم يرها فى حجرها فقال: أين زنابُ ؟ قالت: أخذها عمار. فدخل رسول الله ﷺ إلى أهله، فكانت أم سلمة فى النساء كأنها لم تكن منهن، ولاتجد مايجدن من الغيرة[١].

قلت: هذا لا يخالف ما تقدم من قولها له عليه الصلاة والسلام فى ابتداء الخطبة: أنا امرأة شديدة الغيرة؛ لأنها كانت كذلك قبل الدعوة بإذهاب غيرتها، وما هنا بعدها. انتهى. قال أنس: إن النبى ﷺ تزوج أم سلمة على متاع قيمته عشرة دراهم. وروى أنه لما تزوجها نقلها إلى بيت زينب بنت خزيمة بعد موتها، فدخلت فرأت جرة فيها شعير ورحى وبرمة فطحنته ثم عجنته ثم عصدته فى البرمة فأَدَمته بإهالة، وروى عن هند بنت الحارث الفراسية قالت: قال رسول الله ﷺ: « إن لعائشة منى شعبة مانزلها منى أحد » فلما تزوج أم سلمة قيل: يا رسول الله ما فعلت تلك الشعبة؟ فسكت، فيوجب أن أم سلمة نزلتها[٢].

قال فى « السيرة الشامية »: مات زوجها أبو سلمة سنة أربع، شهد بدرًا وأحدًا، ورمى به بسهم فى عضده فمكث شهرًا يداويه ثم برأ الجرح. بعثه - عليه الصلاة والسلام - هلال المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهرًا من مهاجره، وبعث معه مائة وخمسين رجلاً إلى « قطن » جبل بنجد، فغاب تسعًا وعشرين ليلة، ثم رجع إلى المدينة فانتقض جرحه فمات منه لثمان خلون من جمادى الآخرة سنة أربع، فاعتدَّت أم سلمة وحلت لعشر بقين من شوال من السنة المذكورة، فتزوجها عليه الصلاة والسلام فى ليال بقين من شوال المذكور. ولو لم يكن من فضلها إلا مشورتها على رسول الله ﷺ بالحلق فى قصة الحديبية لمَّا امتنع منه أكثر أصحابه - لكفاها[٣].

وروى أبو الحسين الخلعي عن عمرو بن شعيب: أنه دخل على زينب بنت أبى

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/ ٧١)، مطولاً وأصله في مسند أحمد (٦/ ٣١٣)، والنسائي: (٦/ ٣٨٩) كتاب النكاح باب إنكاح الابن أمه حديث رقم (٣٢٥٤).

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٨/ ٧٥) من طريق محمد بن عمر الواقدي وهو متروك أضف إلى ذلك أن الحديث مرسل إذ هو من رواية هند بنت الحارث الفِراسِية بكسر الفاء وتخفيف الراء بعدها مهملة، ويقال القرشية، قال الحافظ في التقريب (٨٧٩٣): « ثقة من الثالثة ». أهـ فهي تابعية وحديثها مرسل.

(٣) ينظر: « السبل » (١١/ ١٨٧).

سلمة فحدثته أن رسول الله ﷺ كان عند أم سلمة فجعل حسنًا من شق، وحسينًا من شق، وفاطمة فى حجره، وقال: ﴿ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾ [هود: ٧٣]، وأنا وأمى أم سلمة جالسان، فبكت أم سلمة، فقال رسول الله ﷺ: « إنك من أهل البيت »[١].

وروى عمر الملا عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا صلى العصر دخل على نسائه واحدة واحدة، يبدأ بأم سلمة؛ لأنها أكبرهن، ويختم بعائشة[٢].

وروى الإمام أحمد عن موسى بن عقبة عن أمه عن أم كلثوم قالت: لما تزوج رسول الله ﷺ أم سلمة قال: يا أم سلمة، إنى قد أهديت إلى النجاشى حلة وأواقى مسك، ولا أرى النجاشى إلا قد مات، ولا أرى هديتى إلا مردودة فهى لك، فكان كما قال ﷺ، وردت إليه هديته، فأعطى كل واحدة منهن أوقية، وأعطى أم سلمة المسك والحلة[٣].

وروى عنها قالت: « يا رسول الله، إنى امرأة أشد ضفر رأسى، فأنقضه لغسل الجنابة ؟ فقال رسول الله ﷺ: لا، إنما يكفيك أن تحثى على رأسك ثلاث حثيات، ثم تفيضى عليك الماء فتطهرى »[٤].

وروى الإمام أحمد والشيخان عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قالا: إن

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط وذكره الهيثمي في المجمع (٩/ ١٧١) وقال: « رواه الطبراني في الأوسط وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف ». اهـ وانظر السبل (١١/ ١٩٠).

(٢) ذكره الصالحي في سبل الهدى (١١/ ١٩٠) وعزاه لعمر الملا.

(٣) رواه الإمام أحمد (٦/ ٤٠٤) وابن سعد في الطبقات (٨/ ٩٥) والبيهقي (٦/ ٢٦) كتاب البيوع باب المسك طاهر يحل بيعه وشراؤه والسلف فيه وابن حبان (١١/ ٥١٥) حديث رقم (٥١١٤). والطبراني في الكبير (٢٣/ ٣٥٢، ٣٥٣). كلهم من طريق مسلم بن خالد عن موسى بن عقبة عن أمه عن أم كلثوم. وذكره الهيثمي في المجمع (٤/ ١٥٠) وقال عقبه: « رواه أحمد والطبراني، وفيه مسلم بن خالد الزنجي، وثقه ابن معين وغيره، وضعفه جماعة. وأم موسى بن عقبة لم أعرفها، وبقية رجاله رجال الصحيح ». اهـ وانظر « السبل » (١١/ ١٩٠).

(٤) أخرجه الحميدي (٢٩٤)، وأحمد في المسند (٦/ ٢٨٩)، ومسلم (١/ ٢٥٩) كتاب الحيض باب حكم ضفائر المغتسلة رقم (٣٣٠) وأبو داود (١/ ١١٥) كتاب الطهارة باب في المرأة هل تنقض شعرها عند الغسل حديث رقم (٢٥١) والترمذي (١/ ١٧٥) كتاب الطهارة باب هل تنقض المرأة شعرها عند الغُسل حديث رقم (١٠٥) والنسائي (١/ ١٣١) كتاب ما =

رسول الله ﷺ صالح أهل مكة، وكتب كتاب الصلح بينه وبينهم، فلما فرغ قال للناس: قوموا فانحروا ثم احلقوا. قال: فو الله ما قام منهم رجل، حتى قالها ثلاثًا، فلما فرغ قالت أم سلمة: يا رسول الله، لا ترى أحدًا منهم يفعل ذلك حتى تنحر بُدنك، وتدعو الحلاق فيحلقك، فخرج ففعل، فلما رأوا ذلك قاموا ونحروا حتى كادوا يقتتلوا على الحلاق، وجعل بعضهم يحلق بعضًا[(١)].

توفيت أم سلمة فى خلافة يزيد بن معاوية سنة إحدى وستين على الصحيح - واستخلف يزيد سنة ستين - بعد ما جاءها الخبر بقتل الحسين بن على رضى الله عنه، ولها من العمر أربع وثمانون سنة على الصواب[(٢)].

وروى الطبرانى بسند رجاله ثقات عن الهيثم بن عدى قال: أول من مات من أزواجه عليه الصلاة والسلام زينب بنت جحش، وآخرهن موتًا أم سلمة هذه[(٣)].

وكان لها ثلاثة أولاد: سلمة أكبرهم وعمر وزينب أصغرهم، ربوا فى حجر النبى ﷺ.

واختلف فيمن زَوَّجها [من النبي ﷺ][(٤)]؛ فقيل: ولدها عمر كما تقدم، وقيل: غيره، وعليه الأكثرون. وزوَّج سلمةَ هذا النبيُّ ﷺ أمامة، وقيل: فاطمة بنة حمزة بن عبد المطلب. وعاش سلمة إلى خلافة عبد الملك بن مروان ولم تحفظ له

= يوجب الغسل وما لا يوجبه باب ذكر ترك المرأة نقض ضفر رأسها حديث رقم (٢٤١)، وابن ماجه (١/ ١٩٨) كتاب الطهارة باب ما جاء في غسل النساء من الجنابة (٦٠٣) وابن خزيمة (١/ ١٢٢) كتاب الوضوء باب الرخصة في ترك المرأة نقض ضفائر رأسها في الغسل من الجنابة حديث رقم (٢٤٦). والدارمي (١/ ٢٦٣) كتاب الصلاة باب اغتسال الحائض إذا وجب الغسل عليها قبل أن تحيض. وانظر السبل (١١/ ١٩٠).

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٤٢٣)، والبخاري (٣/ ١٨٢) كتاب الشروط باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وأبو داود (١/ ٥٤٦) كتاب المناسك باب في الإشعار حديث رقم (١٧٥٤)، والنسائي في الكبرى (٥/ ٢٦٣) باب توجيه عين واحدة حديث رقم (٨٨٤٠) وغيره من المواضع كلهم عن مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة والحديث لم يخرجه مسلم كما ذكر المصنف، ولم يعزه المزي في تحفة الأشراف، انظر تحفة الأشراف (٨/ ٣٧١، ٣٨٣ وانظر السبل (١١/ ١٩١)، وقد تقدم في غزوة الحديبية.

(٢) ينظر السبل (١١/ ١٩١).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٣/ ٢٤٨) وذكره الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٤٨) وقال عقبه: « رجاله ثقات ». وانظر السبل (١١/ ١٩١).

(٤) زيادة من السبل مناسبة للمعنى.

رواية. وأما أخوه عمر بن أبي سلمة فله رواية، وتوفي رسول الله ﷺ وله تسع سنين، ومولده كان بالحبشة، واستعمله علي رضي الله عنه على فارس والبحرين، وتوفي بالمدينة سنة ثلاثة وثمانين في خلافة عبد الملك.

وأما زينب بنت أبي سلمة فولدت بأرض الحبشة وكان اسمها برة فسماها رسول الله ﷺ زينب، دخلت على رسول الله ﷺ وهو يغتسل؛ فنضح في وجهها شيئًا من الماء؛ فلم يزل ماء الشباب في وجهها حتى كبرت وعجزت[١]. قال العطاف: قالت أمي: رأيت وجه زينب وهي عجوز كبيرة مانقص من وجهها شيء، تزوجها عبد الله بن زمعة بن الأسود الأسدي وولدت له، وكانت من أفقه أهل زمانها رضي الله عنها.

ولما ماتت أم سلمة دفنت بالبقيع، وصلى عليها أبو هريرة، وقيل: سعيد بن زيد، وكان عمرها أربعًا وثمانين سنة.

وأما أم المؤمنين زينب بنت جحش، وأمها أمية بنت عبد المطلب بن هاشم، فكان رسول الله ﷺ زوَّجها من زيد بن حارثة، فمكثت عنده مدة ثم طلقها، فلما انقضت عدتها منه قال ﷺ لزيد بن حارثة: اذهب فاذكرني لها، فقال زيد: فذهبت فجعلت ظهري إلى الباب فقلت: يازينب، بعث رسول الله ﷺ يذكرك، فقالت: ما كنت لأحدث شيئًا حتى أؤامر ربي عز وجل. فقامت إلى مسجد لها فأنزل الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا ﴾ [الأحزاب٣٧] فجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن[٢]، أخرجه مسلم. وقال المنافقون: حرَّم محمد نساء الولد وقد تزوج امرأة ابنه، فأنزل الله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾

(١) أخرجه الطبراني في « الكبير » كما ذكره الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٦٢) وعزاه للطبراني وقال عقبه: « وأم عطاف لم أعرفها ». اهـ. وكذا أخرجه ابن الأثير في أسد الغابة (٧/ ١٣٣) بإسناده. وذكره الحافظ في الإصابة (٨/ ١٥٩) في ترجمة زينب بنت أبي سلمة، وعزاه للقطعيات. كلاهما إسناد ابن الأثير والإسناد الذي ذكره الحافظ ابن حجر من طريق عطاف ابن خالد عن أمه به. وانظر سبل الهدى والرشاد (١١/ ١٩١).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ١٩٥) وعبد بن حميد (١٢٠٦)، وابن سعد في الطبقات (٨/ ٨٢). ومسلم (٢/ ١٠٤٨) كتاب النكاح باب زواج زينب بنت جحش ونزول الحجاب وإثبات وليمة العرس حديث رقم (٨٩/ ١٤٢٨)، والنسائي (٦/ ٣٨٧) كتاب النكاح باب صلاة المرأة إذا خطبت واستخارتها ربها، حديث رقم (٣٢٥١)، وأبو يعلى في مسنده (٦/ ٧٨) حديث رقم (٥٧٧)، والبغوي في شرح السنة رقم (٢٣١٢)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٣٨٢) وزاد نسبته لابن أبي حاتم وابن مردويه.

[الأحزاب: ٤٠] الآية. فكانت زينب تفتخر على أزواج النبى ﷺ فتقول: زوَّجكن آباؤكن وزوجنى الله من فوق سبع سموات[١]، رواه الترمذى وصححه. وكان اسمها برة فسماها عليه الصلاة والسلام زينب.

وعن أنس: لما تزوج ﷺ زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون، فإذا هو ﷺ كأنه يتهيأ للقيام، فلم يقوموا، فلما رأى ذلك قام، وقام من قام وقعد ثلاثة نفر، فجاء النبى ﷺ ليدخل فإذا القوم جلوس. ثم إنهم قاموا، فانطلقتُ فجئت فأخبرت النبى ﷺ أنهم انطلقوا، فجاء حتى دخل، فذهبت لأدخل فألقى الحجاب بينى وبينه فأنزل الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ ﴾ [الأحزاب: ٥٣] الآية[٢]. تزوجها ﷺ هلال ذى القعدة سنة أربع من الهجرة وهى بنت خمس وثلاثين سنة يومئذ، كذا فى « مختصر سيرة البرماوى ». وقال فى المواهب: سنة خمس، وقيل: سنة ثلاث، وهى أول من مات من أزواجه بعده.

وروى ابن أبى شيبة وابن منيع بسند صحيح عن أنس قال: أولم رسول الله ﷺ على زينب فأشبع المسلمين خبزًا ولحمًا، ثم خرج فصنع كما كان يصنع إذا تزوج، فأتى أمهات المؤمنين فسلم عليهن وسلمن عليه ودعا لهن، ثم رجع وأنا معه[٣].

وروى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: كانت زينب هى التى تسامينى من

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٢٢٦)، والبخاري (١٥/ ٣٦١) كتاب التوحيد باب ﴿وكان عرشه على الماء﴾ حديث رقم (٧٤٢٠)، والترمذي (٥/ ٣٥٤) كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة الأحزاب حديث رقم (٣٢١٣)، والنسائي (٦/ ٣٨٨) كتاب النكاح باب صلاة المرأة إذا خطبت واستخارتها ربها حديث رقم (٣٢٥٢)، وفي الكبرى (٣/ ٢٨٧) كتاب النكاح باب صلاة المرأة إذا خطبت واستخارتها ربها حديث رقم (٥٤٠٠)، و (٥٤٠١)، وأخرجه في مواضع أخرى منها (٤/ ٤١٨)، (٥/ ٢٩١)، (٦/ ٤٣٣).

(٢) أخرجه البخاري (٩/ ٤٨٣)، رقم (٤٧٩١) (١٢/ ٢٨٥) كتاب الاستئذان باب آية الحجاب حديث رقم (٦٢٣٩) وأطرافه أيضًا: (٥١٥٤، ٥١٦٣، ٥١٧٠، ٦٢٧١، ٧٤٢١)، ومسلم (٢/ ١٠٥٠) كتاب النكاح باب زواج زينب بنت جحش ونزول الحجاب حديث رقم (١٤٢٨)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٤٣٥) كتاب التفسير باب قوله تعالى: ﴿لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم﴾،كلهم من طريق لاحق بن حميد. أبي مجلز السدوسي البصري به. وانظر السبل (١١/ ٢٠١).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣/ ٥٦١)، وأحمد في المسند (٣/ ١٠٥)، والبخاري (١٠/ ٢٧٧-فتح) كتاب النكاح باب (٥٦) حديث رقم (٥١٥٤)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٢٧٢). وانظر السبل (١١/ ٢٠٢). ولفظ البخاري: « أولم النبي ﷺ بزينب فأوسع =

أزواج النبى ﷺ فى [حُسْنِ][1] المنزلة عنده - عليه الصلاة والسلام - وما رأيت امرأة قط خيرًا من زينب وأتقى لله وأصدق حديثًا وأوصل للرحم وأعظم صدقة[2].

وروى أبو يعلى بسند حسن عن أبى برزة رضى الله عنه قال: كان لرسول الله ﷺ تسع من النساء، فقال يومًا: « خيركن أطولكن يدًا » فقامت كل واحدة تضع يدها على الجدار، فقال: « لست أعنى هذا، أصنعكن يدين »[3]. وروى الشيخان عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: « أولكن لحاقًا بى أطولكن يدًا » قالت: فكن يتطاولن أيتهن أطول يدًا، قالت: وكانت أطولنا يدًا زينب؛ أنها كانت تعمل بيدها وتتصدق. وفى لفظ البخارى: فكنا إذا اجتمعنا فى بيت إحدانا بعد وفاته عليه الصلاة والسلام نمد أيدينا فى الجدار نتطاول، فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش. وكانت امرأة قصيرة ولم تكن بأطولنا، فعرفنا حينئذٍ أن النبى ﷺ إنما أراد طول اليد بالصدقة[4].

وروى الطبرانى عن راشد بن سعد قال: دخل رسول الله ﷺ منزله ومعه عمر بن الخطاب، فإذا هو بزينب تصلى وهى تدعو فى صلاتها، فقال النبى ﷺ: إنها لأوَّاهة[5]. وقالت عائشة: لقد ذهبت زينب حميدة فقيدة مفزعًا لليتامى

= المسلمين خيرًا، فخرج كما يصنع إذا تزوج، فأتى حجر أمهات المؤمنين، يدعو ويدعون له، ثم انصرف فرأى رجلين فرجع، لا أدري أخبرته أو أخبر بخروجهما ».

(١) زيادة من السبل يستقيم بها المعنى.

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ١٨٩١) كتاب فضائل الصحابة باب في فضل عائشة -رضي الله عنها- حديث رقم (٢٤٤٢)، وأحمد في المسند (٦/ ١٥١). وانظر السبل (١١/ ٢٠٢، ٢٠٣).

(٣) أخرجه أبو يعلى (١٣/ ٤٢٥)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٢٤٨) وقال: « رواه أبو يعلى، وإسناده حسن، لأنه يعتضد بما يأتي ». ثم ذكر حديث ميمونة بمثله، وقال: « رواه الطبراني في الأوسط، وفيه مسلمة بن علي، وهو ضعيف ». اهـ. وانظر: سبل الهدى والرشاد (١١/ ٢٠٣).

(٤) أخرجه أحمد (٦/ ١٢١)، والبخاري (٤/ ٣٥) كتاب الزكاة باب أي الصدقة أفضل وصدقة الشحيح الصحيح حديث رقم (١٤٢٠)، ومسلم (٤/ ١٩٠٧) كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل زينب أم المؤمنين حديث رقم (٢٤٥٢)، والنسائي (٥/ ٧٠) كتاب الزكاة باب فضل الصدقة حديث رقم (٢٥٤٠). كلهم من حديث عائشة، رضي الله عنها.

(٥) رواه الطبراني في الكبير كما في المجمع (٩/ ٢٥٠) وقال الهيثمي: « إسناده منقطع وفيه يحيى بن عبد الله البابلي وهو ضعيف ». اهـ. وانظر السبل (١١/ ٢٠٣).

والأرامل[١]. وروى ابن الجوزى عن عبد الله بن رافع، عن برزة بنت رافع، قالت: لما جاءنا العطاء بعث عمر إلى زينب بنت جحش بالذى لها، فلما أدخل عليها قالت: غفر الله لعمر، غيرى من أخواتى أقدر منى على قسم هذا. قالوا: هذا كله لك. قالت: سبحان الله، واستترت منه بثوب وقالت: صُبُّوه واطرحوا عليه ثوبًا، ثم قالت: أدخلى يدك، فاقبضى منه قبضة فاذهبى بها إلى بنى فلان وبنى فلان - من أهل رحمها وأيتامها - فغرفته حتى مابقى منه بقية تحت الثوب، فقالت لها برزة بنت رافع: غفر الله لك يا أم المؤمنين، والله لقد كان لنا فى هذا حق، قالت: لكم ما تحت الثوب، فوجدنا تحته خمسة وثمانين درهمًا، ثم رفعت يدها إلى السماء فقالت: اللهم لايدركنى عطاء عمر بعد عامى هذا. فماتت قبله[٢].

قال فى الروض الأنف: زينب بنت جحش كان اسمها بُرَة بضم الباء وتخفيف الراء فسماها عليه الصلاة والسلام زينب[٣] اسم أبيها جحش بن رياب فقالت: يا رسول الله، لو غيرت اسم أبى، وإن البُرَة ضفيرة. فقال لها: لو كان أبوك مسلمًا سميته باسم من أسمائنا أهل البيت، ولكن قد سمى جحشًا، والجحش أكبر من البرة. ذكر هذا الحديث مسندًا فى كتاب « المؤتلف والمختلف » أبو الحسن الدارقطنى. قلت: أصل البرة حلقة تجعل فى أنف البعير ليذل بها فينقاد، تكون من فضة أو حديد، وقد تجعل للذلول لقصد الزينة كما كانت فى جمل أبى لهب الذى غنمه عليه الصلاة والسلام، فأهداه إلى الكعبة عام الحديبية ليغيظ المشركين حين يرونه[٤]. والله أعلم.

توفيت سنة ستة وعشرين، وصلى عليها عمر بن الخطاب رضى الله عنهما، وعاشت ثلاثًا وخمسين سنة.

وأما أم المؤمنين جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار، بكسر الضاد المعجمة

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/ ٨٧) من طريق عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة وفي إسناده الواقدي وهو متروك. وانظر السبل (١١/ ٢٠٣).

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٨/ ٨٦) و (٣/ ٢٢٨) أيضًا.

(٣) ينظر: « السبل » (١١/ ٢٠١)، ولم أجده في الروض الأنف. وانظر الروض (٤/ ٢٦٨).

(٤) انظر: تاريخ الإسلام للذهبي (المغازي-٣٩٣) وفيه: أن الجمل كان لأبي جهل.

وتخفيف الراء، المصطلقية - فكانت تحت سافع بن مسافع، بالسين المهملة والفاء، ابن صفوان المصطلقى؛ كانت وقعت فى سهم ثابت بن قيس بن شماس الأنصارى فى غزوة المريسيع - وهى غزوة بنى المصطلق - سنة خمس، وقيل: ست، وكاتبت ثابتًا على نفسها، ثم جاءت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، أنا جويرية بنت الحارث، وكان من أمرى ما لا يخفى عليك، ووقعتُ فى سهم ثابت بن قيس، وإنى كاتبت على نفسى فجئت أسألك فى كتابتى. فقال لها رسول الله ﷺ: هل لك فيما هو خير لك؟ قالت: وماهو يا رسول الله؟ قال: أوفى عنك كتابتك وأتزوجك. قالت: قد فعلت.

وتسامع الناس أن رسول الله ﷺ تزوج جويرية فأرسلوا ما بأيديهم من السبى فأعتقوهم وقالوا: أصهار رسول الله ﷺ. قالت عائشة: فما رأيت امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها. أعتق بسببها مائة أهل بيت من بنى المصطلق[١]، أخرجه أبو داود من حديث عائشة. وقال ابن هشام ومقاتل: اشتراها عليه الصلاة والسلام من ثابت وأعتقها وتزوجها، وأصدقها أربعمائة درهم[٢]. وعن ابن شهاب: سباها ﷺ يوم المريسيع فحجبها وقسم لها وكانت ابنة عشرين سنة[٣]، وكان اسمها برة فحوَّله ﷺ وسماها جويرية[٤]، كما تقدم فى زينب بنت جحش.

وروى ابن سعد عن أبى قلابة قال: جاء أبو جويرية فقال: لايسبى مثلها فخلِّ سبيلها. فقال عليه الصلاة والسلام: بل أخيرها. قال: قد أحسنت، فأتى أبوها إليها فقال: إن هذا الرجل قد خيرك فلا تفضحينا. قالت: إنى أختار الله ورسوله[٥].

(١) أخرجه ابن هشام في السيرة (٣/ ٢٤٠) عن ابن إسحاق، ومن طريقه أحمد في المسند (٦/ ٢٧٧). وإسناده حسن؛ فقد صرح ابن إسحاق بالتحديث.

(٢) أخرجه أبو داود (٢/ ٤١٥) كتاب العتق باب في بيع المكاتب إذا فسخت الكتابة حديث رقم (٣٩٣١) ولم يصرح ابن إسحاق عنده بالتحديث، وأخرجه أحمد (٦/ ٢٧٧)، وابن سعد في الطبقات (٨/ ٩٢) من غير طريق ابن إسحاق ولكن في إسناده الواقدي وهو متروك. وانظر السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ٢٤٠)، والسبل (١١/ ٢١٠).

(٣) انظر سيرة ابن هشام (٣/ ٢٤١)، وينظر السبل (١١/ ٢١٠).

(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/ ٩٤) وفي إسناده الواقدي. وأخرجه مسلم (٣/ ١٦٨٧) كتاب الآداب باب استحباب تغيير الاسم القبيح إلى الحسن، وتغيير اسم برة إلى زينب وجويرية ونحوهما حديث رقم (٢١٤٠)، وابن سعد في الطبقات (٨/ ٩٤)، وأحمد في المسند (٦/ ٤٢٩). وانظر السبل (١١/ ٢١٠).

(٥) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/ ٩٣) وهو مرسل صحيح الإسناد، كما في الإصابة =

وروى الطبراني مرسلاً برجال الصحيح عن الشعبي، قال: كانت جويرية ملك النبي ﷺ، فأعتقها وجعل عتقها صداقها، وأعتق كل أسير من بني المصطلق[(١)].

وروى الطبراني برجال الصحيح عن مجاهد، قال: قالت جويرية لرسول الله ﷺ: إن أزواجك يفخرن عليَّ ويقلن: لم يتزوجكِ رسول الله ﷺ. فقال: ألم أعظم صداقك؟ ألم أعتق أربعين من قومك[(٢)]؟

توفيت في ربيع الأول سنة خمسين، وقيل: ست وخمسين، وصلى عليها مروان ابن الحكم وهو أمير المدينة، وقد بلغت من السن سبعين سنة[(٣)].

وأما أم المؤمنين، أم حبيبة، رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس، وقيل: اسمها هند، والأول أصح - فأمها صفية بنت أبي العاص، وكانت تحت عبيد الله بن جحش، وهاجر بها إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية، ثم تنصر وارتد عن الإسلام - والعياذ بالله تعالى - فمات على النصرانية، وكان يقول للمسلمين: صأصأتم وأبصرنا، وثبتت زوجته أم حبيبة هذه على الإسلام[(٤)].

واختلف في نكاح رسول الله ﷺ إياها وموضع العقد، فقيل: إنه عقد عليها بأرض الحبشة سنة ست، روى أنه عليه الصلاة والسلام بعث عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ليخطبها عليه، فزوجه إياها، وأصدقها النجاشي عنه - عليه الصلاة والسلام - أربعمائة دينار، وبعث بها إليه مع شرحبيل بن حسنة[(٥)]. وروى أن النجاشي أرسل إليها جارية أبرهة فقالت لها: إن الملك يقول لك: إن رسول الله ﷺ

= (٨/ ٧٤). وانظر السبل (١١/ ٢١١).

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١٣١١٨)، وابن سعد في الطبقات (٨/ ٩٣)، وذكره الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٥٠) وقال: «رواه الطبراني مرسلاً، ورجاله رجال الصحيح». وانظر السبل (١١/ ٢١١).

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/ ٩٣)، وعبد الرزاق في المصنف (١٣١١٩)، وذكره الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٥٣) وعزاه للطبراني وقال عقبه: «رواه الطبراني مرسلاً ورجاله رجال الصحيح». اهـ. وانظر سبل الهدى والرشاد (١١/ ٢١١).

(٣) طبقات ابن سعد (٨/ ٩٥)، وانظر تاريخ خليفة (٢٢٤)، وسير أعلام النبلاء (٢/ ٢٦٣)، والإصابة (٨/ ٧٤)، والسبل (١١/ ٢١١).

(٤) انظر طبقات ابن سعد (٨/ ٧٦)، والإصابة (٨/ ١٤٠).

(٥) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/ ٧٨)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٢) كلاهما من طريق الواقدي. وانظر السبل (١١/ ١٩٣). وأخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/ ٧٨)، وأحمد في المسند (٦/ ٤٢٧)، وأبو داود (١/ ٦٤١) كتاب النكاح باب الصداق حديث رقم (٢١٠٧)، =

كتب إليَّ أن أزوجك منه، فأرسلتْ أم حبيبة إلى خالد بن سعيد بن العاص فوكلته، وأعطت جارية أبرهة سوارين وخواتم من فضة سرورًا بما بشرتها به، فلما كان العشى أمر النجاشى جعفر بن أبى طالب ومن هناك من المسلمين فحضروا، فخطب النجاشى فقال: الحمد لله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. أما بعد فقد أجبت مادعا إليه رسول الله ﷺ وقد أصدقتها أربعمائة دينار ذهبًا، ثم سكب الدنانير بين يدى القوم.

فتكلم خالد بن سعيد بن العاص فقال: الحمد لله، أحمده وأستعينه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. أما بعد فقد أجبت إلى مادعا به رسول الله ﷺ وزوجته أم حبيبة بنت أبى سفيان، فبارك الله لرسول الله ﷺ. ودفعت الدنانير إلى خالد فقبضها، ثم أرادوا أن يقوموا، فقال النجاشى: اجلسوا، فإن سنة الأنبياء إذا تزوجوا أن يؤكل طعام على التزويج. فدعا بطعام فأكلوا ثم تفرقوا[1].

وكان ذلك فى المحرم سنة سبع، على ما قاله الشمس البرماوى. وقد قيل إن عقد النكاح عليها بالمدينة بعد رجوعها من الحبشة، والمشهور الأول. وكان أبوها أبو سفيان حال نكاحها بمكة مشركًا محاربًا لرسول الله ﷺ، فقال لما بلغه تزوجه ﷺ بها: مثل ذلك الفحل لا يقرع أنفه[2] توفيت سنة أربع وأربعين.

وأما أم المؤمنين صفية بنتُ حيى بن أخطب بن سَعْيَة، بفتح السين وسكون العين المهملة وبالمثناة تحت، ابن ثعلبة بن عبيد من بنى إسرائيل من سبط هارون بن عمران عليه الصلاة والسلام، وأمها ضَرة، بفتح الضاد المعجمة وتشديد الراء، ابنة السموأل، فكانت تحت كنانة بن أبى الحُقَيق، بضم الحاء وفتح القاف وسكون

= والنسائي (٦/ ١١٩) كتاب النكاح باب القسط في الأصدقة حديث رقم (٣٣٥٠)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٢) من طريق الزهري عن عروة عن أم حبيبة.

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/ ٧٨)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٠) كلاهما من طريق الواقدي.

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/ ٧٩)، وذكره صاحب سبل الهدى والرشاد (١١/ ١٩٤) وعزاه لابن أبي خيثمة في التاريخ.

المثناة التحتية، فقتل يوم خيبر فى المحرم سنة سبع من الهجرة. قال أنس: لما افتتح رسول الله ﷺ خيبر وجمع السبى جاءه دحية بن خليفة الكلبى فقال: يا رسول الله، أعطنى جارية. فقال: اذهب فخذ جارية. فأخذ صفية بنت حيى، فجاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أعطيت دحية صفية بنت حيى سيدة قريظة والنضير ماتصلح إلا لك. قال: ادعوه بها، فجاء بها، فلما نظر إليها النبى ﷺ قال: خذ جارية من السبى غيرها. قال فأعتقها وتزوجها. فقال له ثابت: يا أبا حمزة - يعنى أنس بن مالك؛ فإنه كان يكنى بأبى حمزة، وهو الراوى - ما أصدقها ؟ قال: نفسها؛ أعتقها وتزوجها. ثم نادى: من كان عنده شيء فليجيء به. قال فبسط نِطْعًا فجعل الرجل يجيء بالأقط، وجعل الرجل يجيء بالتمر، وجعل الرجل يجيء بالسمن، فحاسوا حيسًا، فكانت وليمة رسول الله ﷺ.

وفى رواية: فقال الناس: لا ندرى أتزوجها أم اتخذها أم ولد ؟ قالوا: إن حجبها فهى امرأة، وإن لم يحجبها فهى أم ولد. فلما أراد أن يركب حجبها. ورجعنا إلى المدينة فرأيته عليه الصلاة والسلام يحوى لها وراءه بعباءة، ثم يجلس عند بعيرها فيضع ركبته، وتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب، ثم انطلقت حتى إذا رأينا جدر المدينة هششنا إليه فرفعنا مطايانا، ورفع رسول الله ﷺ مطيته، قال: وصفية خلفه قد أردفها، قال: فعثرت مطية رسول الله ﷺ فصرع وصرعت، قال: فليس أحد من الناس ينظر إليه وإليها حتى قام رسول الله ﷺ فسترها. قال فدخلنا المدينة، فخرجن جوارى نسائه يتراءينها ويشمتن بصرعتها(١) رواه الشيخان. وهذا لفظ مسلم.

وروى جابر أنه ﷺ أتى بصفية يوم خيبر وأنه قتل أباها وأخاها، وأن بلالاً مر بهما بين المقتولين، وأنه ﷺ خيرها بين أن يعتقها فترجع إلى من بقى من أهلها أو تسلم فيتخذها لنفسه، فقالت: أختار الله ورسوله(٢). أخرجه فى « الصفوة ». وأخرج تمام فى فوائده من حديث أنس أن رسول الله ﷺ قال لها: هل لك فيَّ ؟

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ١٢٣)، والبخاري (٨/ ٢٤٥) كتاب المغازي باب غزوة خيبر حديث رقم (٤٢٠١)، ومسلم (٢/ ١٠٤٣) كتاب النكاح باب فضيلة إعتاقه أمته ثم يتزوجها حديث رقم (١٣٦٥)، وأبو داود (٢/ ١٦٨) كتاب الخراج باب ما جاء في سهم الصفي حديث رقم (٢٩٩٧)، وابن سعد في الطبقات (٨/ ٩٥). وانظر سبل الهدى والرشاد (١١/ ٢١٣).

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/ ٩٥) و (٨/ ٩٧).

قالت: يا رسول الله، لقد كنت أتمنى ذلك فى الشرك، فكيف إذ أمكننى الله منه فى الإسلام. وأخرج أبو نعيم من حديث ابن عمر: رأى رسول الله ﷺ بعين صفية خضرة فقال: ماهذه الخضرة؟ فقالت: كان رأسى فى حجر أبى الحُقيق وأنا نائمة فرأيت قمرًا وقع فى حجرى، فأخبرته بذلك فلطمنى وقال: تمنين ملك يثرب[1].

وبنى بها ﷺ لما بلغ سد الصهباء، فصنع حيسًا فى نطع. قال أنس: وأمرنى فدعوت له من حوله فكانت تلك وليمة رسول الله ﷺ[2]. وروى عن صفية رضى الله تعالى عنها قالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ وأنا أبكى، فقال: يا ابنة حُيى ما يبكيك؟ قالت: بلغنى أن حفصة وعائشة ينالان منى ويقولان: إنا نحن خير منها، نحن بنات عم رسول الله ﷺ وأزواجه. قال: ألا قلت لهن: كيف تكنَّ خيرًا منى وأبى هارون وعمى موسى وزوجى محمد ﷺ[3].

---

(١) أخرجه ابن حبان كتاب المغازي باب ما جاء في خيبر حديث رقم (١٦٩٧)، والبيهقي في الدلائل (٤/ ٢٣١)، والطبراني كما في المجمع (٩/ ٢٥١)، وقال الهيثمي « رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح ». اهـ. وانظر السبل (١١/ ٢١٤، ٢١٥). وأصل الحديث عند البخاري (٢٣٢٩)، (٢٣٣١)، (٢٧٣٠)، ومسلم (١٥٥١). وليس عندهم اللفظة التي ذكرها المصنف.

(٢) أخرجه أبو يعلى (٥/ ٣٨٨) حديث رقم (٣٠٥٠)، والحديث عند أحمد (٣/ ١٧٠)، والطيالسي (١/ ٣٠٧)، والبخاري (١٠/ ١٦١) كتاب النكاح باب من جعل عتق الأمة صداقها حديث رقم (٥٠٨٦)، ومسلم كتاب النكاح باب فضيلة إعتاقه أمته ثم يتزوجها حديث رقم (١٣٦٥)، وأبو داود (١/ ٦٢٦) كتاب النكاح باب في الرجل يعتق أمته ثم يتزوجها حديث رقم (٢٠٥٤)، والنسائي (٦/ ١١٤) كتاب النكاح باب التزويج على العتق، والترمذي (٣/ ٤١٤) كتاب النكاح باب ما جاء في الرجل يعتق الأمة ويتزوجها، والدارمي (٢/ ١٥٤) كتاب النكاح باب في الأمة يجعل عتقها صداقها، والبغوي في شرح السنة رقم (٢٢٧٣). وانظر سبل الهدى والرشاد (١١/ ٢١٤).

(٣) أخرجه الترمذي (٥/ ٧٠٨) كتاب المناقب باب فضل أزواج النبي ﷺ حديث رقم (٣٨٩٢)، والحاكم (٤/ ٢٩) وإسناده ضعيف لضعف هاشم بن سعيد الكوفي وقد قال الترمذي عقبه: « وهذا حديثٌ غريب لا نعرفه من حديث صفية إلا من حديث هاشم الكوفي، وليس إسناده بذلك القوي ». قلت: هاشم بن سعيد الكوفي قال الحافظ في التقريب (٧٣٠٣): ضعيف. لكن يشهد له حديث أنس عند أحمد (٣/ ١٣٥)، والترمذي (٣٨٩٤) من طريق عبد الرزاق عن معمر عن ثابت عن أنس قال: بلغ صفية أن حفصة قالت: بنت يهودي، فبكت، فدخل عليها النبي ﷺ وهي تبكي، فقال: ما يبكيك؟ فقالت: قالت لي حفصة إني بنت يهودي، فقال النبي ﷺ: إنك لابنة نبي، وإن عمك لنبي، وإنك لتحت نبي، ففيم تفخر عليك؟! ». وإسناده صحيح.

وروى أبو يعلى بأسانيد رجال الصحيح عن صفية رضى الله عنها قالت: انتهيت إلى رسول الله ﷺ وما من الناس أحد أكره إلى منه، قتل أبى وزوجى، فما زال يعتذر إلىَّ ويقول: يا صفية إن أباك ألَّبَ علىَّ العرب، وفعل وفعل، حتى ذهب ذلك من نفسى، فما قمت من مقعدى ومن الناس أحد أحب إلى منه(١).

قلت: حديث أبى يعلى هذا يشكل على الحديث الذى أخرجه تمام؛ إذ صريح حديثه تمنيها النبى ﷺ لمحبتها إياه، ومفهوم هذا صريح الكراهة وتبيين سببها، والله أعلم، فلينظر وجه التوفيق بينهما. وفى رواية عنها قالت: ما رأيت أحسن خلقًا من رسول الله ﷺ، رأيته ركب بى من خيبر على عجز ناقته ليلاً، فجعلت أنعس فضرب رأسى مؤخرة الرحل، فيقول يا هذه مهلاً يا بنت حيى، حتى إذا جاء سدَّ الصهباء قال: أما إنى أعتذر يا صفية مما صنعت بقومك، إنهم قالوا لى كذا وكذا(٢).

وروى أبو عمر الملا فى سيرته عنها قالت: حج رسول الله ﷺ بنسائه. فلما كان ببعض الطريق برك جملى، وكنت من أحسنهن ظهرًا فبكيت، فجاء عليه الصلاة والسلام فجعل يمسح دموعى بردائه وبيده، وجعلت لا أزداد إلا بكاء، وهو ﷺ ينهانى، فلما أكثرت زبرني(٣).

(١) أخرجه أبو يعلى (١٣/ ٣٣) حديث رقم (٧١١٤) من حديث سليمان بن المغيرة قال حدثنا حميد بن هلال أن صفية قالت. . .، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٢٥٢) وقال: « رواه أبو يعلى بأسانيد ورجال الطريق الأولى رجال الصحيح، إلا أن حميد بن هلال لم يدرك صفية وفي رجال هذه ربيع ابن أخي صفية ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات ». اهـ. وانظر السبل (١١/ ٢١٥).

(٢) رواه الطبراني في الأوسط كما في مجمع الزوائد (٩/ ١٨). وأبو يعلى في مسنده (١٣/ ٣٦) حديث رقم (٧١١٩) من حديث إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع قال: حدثني عثمان بن كعب عن رجل يقال له ربيع، عن صفية به. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ١٨) وقال: « رواه الطبراني في الأوسط وأبو يعلى باختصار ورجالهما ثقات إلا أن الربيع ابن أخي صفية بنت حيي لم أعرفه ». اهـ. قلت: زيادة على جهالة الربيع ففي الإسناد إبراهيم ابن إسماعيل بن مجمع، ضعفه النسائي، وقال ابن معين ليس بشيء وقال أبو حاتم: كثير الوهم ليس بالقوي، وقال البخاري كثير الوهم. اهـ. من الميزان للذهبي (١/ ١٣٥). وانظر السبل (١١/ ٢١٥).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٦/ ٣٣٧) من طريق ثابت البناني عن سمية عن صفية، وأخرجه أبو داود (٤/ ٦١٠) كتاب السنة باب ترك السلام على أهل الأهواء حديث رقم (٤٦٠٢)، وابن سعد في الطبقات (٨/ ١٠٠)، كلاهما من طريق ثابت عن سمية عن عائشة. وقد ذكره الهيثمي في المجمع (٤/ ٣٢٤) وقال: « رواه أحمد وفيه سمية روى لها أبو داود وغيره ولم =

وروى أبو عمر أن جارية لصفية قالت لعمر بن الخطاب رضى الله عنه: إن صفية تحب السبت وتصل اليهود، فبعث إليها عمر فسألها، فقالت: أما السبت فإنى لا أحبه منذ أبدلنى الله يوم الجمعة، وأما اليهود فإن لى فيهم رحمًا فأنا أصلها. ثم قالت للجارية: ماحملك على ماصنعت ؟ قالت: الشيطان. قالت: اذهبى فأنت حرة(١).

توفيت رضى الله عنها فى رمضان سنة خمس وخمسين، وقيل: سنة اثنتين وخمسين، ودفنت بالبقيع مع صواحباتها من أزواج النبى ﷺ قال ابن أبى خيثمة: بلغنى أنها ماتت زمن معاوية، وورَّثت مائة ألف درهم بقيمة أرض وعرض، وأوصت لابن أخيها بالثلث، وكان يهوديًا(٢).

وأما أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية، وأمها هند بنت عوف بن زهير بن الحارث من ولد حماطة بن حمير، فتزوجها عليه الصلاة والسلام لما كان بمكة معتمرًا سنة سبع بعد غزوة خيبر، وكانت أختها الثانية أم الفضل لبابة الكبرى بنت الحارث تحت العباس بن عبد المطلب، وأختها لأمها الثالثة أسماء بنت عميس تحت جعفر، وسلمى أختها الرابعة بنت عميس تحت حمزة، وكانت جعلت أمرها إلى العباس زوج أختها فأنكحها النبى ﷺ وهو محرم، فلما رجع بنى بها بسرف حلالاً(٣). ذكره أبو عمر.

وفى الصحيح من أفراد مسلم عنها: أنه عليه الصلاة والسلام تزوجها وهو

= يضعفها أحد، وبقية رجاله ثقات ». اهـ. وانظر سبل الهدى والرشاد (١١/ ٢١٥، ٢١٦).
قلت: سمية هذه التي يروي عنها ثابت في اسمها خلاف فيقال سمية، ويقال شميسة، وسمينة، وقد روت عن عائشة أم المؤمنين، وروى عنها ثابت البناني، وأخرج لها أبو داود والنسائي وابن ماجه. وذكرها الذهبي في ميزان الاعتدال (٧/ ٤٧٠) ترجمة رقم (١٠٩٧٥)، في فصل النسوة المجهولات وقال: « تفرد عنها ثابت البناني ». اهـ. انظر تهذيب الكمال (٣٥/ ١٩٨)، وميزان الاعتدال (٧/ ٤٧٠).

(١) انظر الاستيعاب لابن عبد البر (٣/ ٦٥) حيث قال: روينا أن جارية لها أتت عمر... إلخ ونقله ابن حجر في الإصابة (٨/ ٢١١) عن ابن عبد البر، وانظر « سبل الهدى والرشاد » (١١/ ٢١٧).

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/ ١٠٢) من طريق الواقدي ونصه: « ورثت صفية مائة ألف درهم بقيمة أرض وعرض، فأوصت لابن أختها وهو يهودي، بثلثها ». وانظر السبل (١١/ ٢١٧).

(٣) ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب (٤/ ٤٦٩) قال: « وذكر سُنيد عن زيد بن الحباب عن ابن أبي معشر عن شرحبيل بن سعد ...». إلخ.

حلال[١]. زاد البرقانى بعد قوله تزوجها: وبنى بها حلالاً. فيحمل قوله « وهو محرم » على أنه داخل فى الحرم، ويكون العقد وقع بعد انقضاء العمرة[٢]، ثم خرج منه إلى سرف وابتنى فيه وهو على عشرة أميال من مكة. قلت: وهو محل على يمين الداخل إلى مكة، كان دائرًا فعمره الشيخ العلامة المرحوم محمد بن سليمان المغربى فيما عمر من المآثر، رحمه الله تعالى.

كانت ميمونة قبله عليه الصلاة والسلام تحت أبى رهم بن عبد العزَّى، وقيل: بل تحت أخيه عبد الله، وقيل: بل تحت حويطب بن عبد العزى[٣]، ويقال: إنها وهبت نفسها للنبى ﷺ، وذلك أن خطبته عليه الصلاة والسلام جاءتها وهى على بعيرها فقالت: البعير وماعليه لله ولرسوله[٤]. وقيل: الواهبة نفسها غيرها[٥]. وكان اسمها برة فسماها النبى ﷺ ميمونة[٦]، وهى خالة ابن عباس وخالد بن الوليد.

وأخواتها أم الفضل لبابة الكبرى بنت الحارث زوج العباس بن عبد المطلب أم ابن عباس، ولبابة الصغرى بنت الحارث، كانت تحت أبىّ بن خلف الجُمَحى

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٣٣٢)، والدارمي (١٨٣١)، ومسلم (٢/ ١٠٣٢) كتاب النكاح باب تحريم نكاح المحرم وكراهة خطبته حديث رقم (١٤١١)، وأبو داود (١/ ٥٧١) كتاب المناسك باب المحرم يتزوج حديث رقم (١٨٤٣)، والترمذي (٣/ ١٩٤) كتاب الحج باب ما جاء في الرخصة في زواج المحرم حديث رقم (٨٤٥)، وابن ماجه (١/ ٦٣٢) كتاب النكاح باب المحرم يتزوج حديث رقم (١٩٦٤)، والنسائي في الكبرى (٢/ ٢٣٦) كتاب الصيام حديث رقم (٣٢٣٢).

(٢) قال الحافظ ابن حجر في ترجمة ميمونة في الإصابة (٨/ ٣٢٢): « وقد انتشر الاختلاف في هذا الحكم بين الفقهاء، ومنهم من جمع بأنه عقد عليها، وهو محرم، وبنى بها بعد أن أحل من عمرته بالتنعيم وهو حلال في الحل . . . وقيل: عقد له عليها قبل أن يحرم، وانتشر أمرُ تزويجها بعد أن أحرم فاشتبه الأمرُ ». اهـ.

(٣) رواه ابن أبي خيثمة في تاريخه عن أبي عبيدة معمر بن المثنى كما في سبل الهدى والرشاد (١١/ ٢٠٨-بتحقيقنا). وانظر الإصابة (٨/ ٣٢٢).

(٤) أخرج ابن سعد في الطبقات (٨/ ١٠٨) عن عكرمة: أن ميمونة بنت الحارث وهبت نفسها لرسول الله (وروى ذلك ابن أبي خيثمة في تاريخه عن قتادة كما في سبل الهدى والرشاد (١١/ ٢٠٧). ورواه أيضًا ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم عن محمد بن كعب وعمر بن الحكم وعبد الله بن عبيدة، كما ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٣٩٤). وكذا الطبراني في الكبير عن الزهري كما في مجمع الزوائد (٩/ ٢٥٢) وقال الهيثمي رجاله ثقات.

(٥) انظر ما روي في ذلك في الدر المنثور (٥/ ٣٩٤) والخلاف فيه.

(٦) رواه ابن أبي خيثمة عن مجاهد بسندٍ صحيح كما في سبل الهدى والرشاد (١١/ ٢٠٧).

فولدت له عليًا بن أبيّ، وعزَّة بنت الحارث، كانت تحت زياد بن عبد الله بن مالك الهلالى، فهؤلاء إخوتها لأبيها وأمها.

ولها أخوات من أمها، الأولى: أسماء بنت عميس كانت تحت جعفر بن أبى طالب فولدت له عبد الله ومحمدًا وعونًا، ثم لما قتل فى غزوة مؤتة - اسم لمكان - خلف عليها أبو بكر الصديق رضى الله عنه، فولدت له محمد بن أبى بكر، ثم خلف عليها على بن أبى طالب رضى الله عنه فولدت له يحيى. الثانية: سلمى بنت عميس، وكانت تحت حمزة بن عبد المطلب، فولدت له أمة الله بنت حمزة، وقيل: أمامة بنت حمزة، ثم خلف عليها شداد بن أسامة بن الهادى الليثى، فولدت له عبد الله وعبد الرحمن. الثالثة: سلامة بنت عميس، كانت تحت عبد الله بن كعب ابن منبه الخثعمى. الرابعة: زينب بنت خزيمة، كانت تحت عبد الله بن جحش، فقتل عنها يوم أحد فتزوجها ﷺ، وهى المسماة أم المساكين كما تقدم ذكر ذلك فى ترجمتها، وكان يقال: أكرم أصهار عجوز فى الأرض هند بنت عوف بن زهير بن الحارث أم ميمونة المذكورة، وأم أخواتها أصهارها العباس وحمزة ابنا عبد المطلب، الأول: على لبابة الكبرى بنت الحارث منها، والثانى: على سلمى بنت عميس منها، وجعفر وعلى ابنا أبى طالب كلاهما على أسماء بنت عميس الأول قبل أبى بكر والثاني بعد أبي بكر، وشداد بن أسامة بن الهادى الليثى على سلمى بنت عميس منها بعد وفاة حمزة بن عبد المطلب، ورسول الله ﷺ على بنتها زينب بنت خزيمة، كذا فى « السمط الثمين، فى مناقب أمهات المؤمنين » بتصرف حسن يسير.

زوَّج النبيَّ ﷺ ميمونة عمه العباس بن عبد المطلب - كما تقدم ذكره - وأصدقها عنه أربعمائة درهم[١]. قال ابن إسحاق: كان صداق نسائه عليه الصلاة والسلام أربعمائة درهم[٢]، وروى مسلم عن عائشة قالت: كان صداق رسول الله ﷺ لأكثر نسائه اثنى عشر أوقية ونشًا. قالت: أتدرى ما النَّشُّ ؟ قلت: لا. قالت: نصف أوقية. فذلك خمسمائة درهم، فذلك صداق رسول الله ﷺ[٣]. قال فى « تاريخ

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٤/ ٢٩٤).
(٢) انظر: السير والمغازي (٢٦٣)، وسيرة ابن هشام (٤/ ٢٩٤).
(٣) أخرجه مسلم (٢/ ١٠٤٢) كتاب النكاح باب الصداق وجواز كونه تعليم قرآن وخاتم حديد، وغير ذلك من قليل وكثير، واستحباب كونه خمسمائة درهم لمن لا يجحف به حديث رقم (١٤٢٦).

الخميس »: وهذا أولى بالصحة؛ لأنه متفق على صحته، ولأن راويه معه زيادة علم، كذا فى « السمط الثمين ».

وروى ابن أبى خيثمة: أن رسول الله ﷺ تزوج ميمونة بنت الحارث فى عمرة القضاء، وأقام بمكة ثلاثًا، وكان قد شرطت عليه قريش حين صدوه أن يأتى معتمرًا فى العام القابل السيوف فى القرب، وألا يعتمر غير ثلاث، فلما جاء خطب ميمونة وأقام بمكة ثلاثًا. وأتاه حويطب بن عبد العزى فى نفر من قريش فى اليوم الثالث فقالوا: إنه قد انقضى أجلك فاخرج عنا، فقال عليه الصلاة والسلام: لو تركتمونى فأعرست بين أظهركم فصنعت لكم طعامًا فحضرتموه، فقالوا: لا حاجة لنا بطعامك فاخرج، فخرج بميمونة بنت الحارث حتى أعرس بها بـ « سرف »(١)

ماتت رضى الله عنها بـ « سرف » أيضًا - وهو الموضع الذى بنى بها رسول الله ﷺ فيه - ودفنت فى موضع قبتها التى ضربها لها رسول الله ﷺ حين البناء بها، وذلك سنة إحدى وستين، وروى الطبرانى برجال ثقات عن محمد بن إسحاق قال: ماتت ميمونة بنت الحارث زوج النبى ﷺ عام الحرة سنة ثلاث وستين، وصلى عليها ابن عباس، ودخل فى قبرها رضى الله عنهما وعنهن أجمعين(٢).

فهؤلاء أزواجه اللاتى دخل بهن، لا خلاف فى ذلك بين أهل السير والعلم بالأثر وماتت خديجة وزينب بنت خزيمة منهن فى حياته عليه الصلاة والسلام، وتوفى عن التسع البواقى بلا خلاف، وعن أم ولد هى مارية بنت شمعون القبطية، أم ابنه إبراهيم.

وقد ذكر أنه عليه الصلاة والسلام عقد على نسوة لم يدخل بهن، وخطب نسوة ولم يعقد عليهن. أما اللاتى عقد عليهن ولم يدخل بهن، فذكر فى « تاريخ الخميس »، « والمواهب »، « وذخائر العقبى » أن عدتهن اثنتا عشرة امرأة:

الأولى: الواهبة نفسها له ﷺ، واختلف من هى، فقيل: أم شريك القرشية العامرية، اسمها غُزَية - بضم الغين وفتح الزاى وشد الياء - بنت دودان، وقيل: بنت جابر بن عون، وكان ذلك بمكة، وكانت قبله عليه الصلاة والسلام تحت أبى

---

(١) نقله عن أبن أبي خيثمة صاحب سبل الهدى والرشاد (١١/٢٠٨).

(٢) رواه الطبراني في الكبير كما ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٢٥٢) وقال عقبه: « رجاله ثقات ». وانظر سبل الهدى والرشاد (١١/ ٢٠٩).

العسكر بن تميم بن الحارث الأزدى، فولدت له شريكًا. وذكر ابن قتيبة فى « المعارف » عن أبى اليقظان: أن الواهبة نفسها خولة بنت حكيم السلمى، ويجوز أن تكونا وهبتا نفسيهما من غير تضاد، وعن عروة بن الزبير قال: كانت خولة بنت حكيم من اللائى وهبن أنفسهن للنبى ﷺ، فقالت عائشة: أما تستحى المرأة أن تهب نفسها للرجل ؟ فلما نزلت ﴿ تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ﴾ [الأحزاب: ٥١] قالت عائشة: يارسول الله، ما أرى ربك إلا يسارع فى هواك[١]. رواه الشيخان.

وهذه خولة هى زوج عثمان بن مظعون، ويجوز أن يكون ذلك منها قبل عثمان، ولذلك قال الفضائلى: فلما أرجأها تزوجها عثمان. ويجوز أن يكون ذلك وقع منهما بعد وفاته. وفى « الكشاف » وغيره من التفاسير: واختلف فى أنه هل اتفق أن تهب امرأة نفسها للنبى ﷺ ولم تطلب مهرًا أم لا ؟ فعن ابن عباس: لم يكن عنده أحد منهن، وآية ﴿ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ ﴾ [الأحزاب : ٥٠] بيان حكم فى المستقبل، والقائل باتفاق ذلك ذكر أربعًا: ميمونة بنت الحارث الهلالية، وزينب بنت خزيمة بن الحارث الهلالية، وأم شريك المذكورة، وخولة بنت حكيم.

الثانية: خولة بنت الهذيل بن هبيرة، تزوجها عليه الصلاة والسلام، فيما ذكره الجرجانى فى نسائه، وهلكت فى الطريق قبل وصولها إليه، ذكره أبو عمرو وأبو سعيد.

الثالثة: عمرة بنت يزيد بن الجون الكلابية، تزوّجها رسول الله ﷺ، يعنى عقد بها؛ إذ الباب معقود لمن عقد عليها ولم يدخل، وهو معنى التزوج فى جميع هذا الباب، فتعوذت منه، فقال لها: لقد عذت بمعاذ؛ فطلقها، وأمر أسامة بن زيد فمتعها ثلاثة أثواب. وقال أبو عمر: هكذا روى عن عائشة[٢]. وقال قتادة: كان

(١) أخرجه البخاري (٩/ ٤٨٠) كتاب التفسير باب قوله: ﴿ تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ﴾ [الأحزاب: ٥١] . حديث رقم (٤٧٨٨).
ومسلم (٢/ ١٠٨٥) كتاب الرضاع باب جواز هبتها نوبتها لضرتها حديث رقم (١٤٦٤).
والنسائي (٦/ ٣٦١) كتاب النكاح باب ذكر أمر رسول الله ﷺ في النكاح وأزواجه وما أباح الله عز وجل لنبيه ﷺ وحظره على خلقه زيادة في كرامته وتنبيهًا لفضيلته حديث رقم (٣١٩٩). والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٣٦).

(٢) أخرجه ابن ماجه (١/ ٦٦١) كتاب الطلاق باب ما يقع به الطلاق من الكلام حديث رقم (٢٠٥٠) وأحمد في المسند (٣/ ٤٩٨) وابن سعد في الطبقات (٨/ ١٠٤)، والطبراني في الكبير (١٩/ ١٦٢)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٣٤٢) وقال: « رواه الطبراني باختصار ورواه كله أحمد ورجاله رجال الصحيح ». أهـ وانظر الاستيعاب لابن عبد البر (٤/ ٤٤٢).

ذلك فى امرأة من سُليم، وقال أبو عبيدة: إنما كان ذلك فى امرأة يقال لها: أسماء بنت النعمان بن الجون، ويقال فى عمرة هذه: إن أباها وصفها للنبى ﷺ إلى أن قال فى وصفها: وأزيدك أنها لم تمرض قط، فقال رسول الله ﷺ ما لهذه عند الله من خير، ثم طلقها[١].

الرابعة: بنت النعمان بن الجون - بفتح الجيم - بن شراحيل، أجمعوا على أن رسول الله ﷺ تزوجها، واختلفوا فى سبب فراقه لها، فقال قتادة وأبو عبيدة: سببه أنه لما دعاها قالت له: أنت تعال، وأبت أن تجيبه. وقيل: قالت: أعوذ بالله منك؛ فقال ﷺ: لقد عذت بمعاذ، وقد أعاذك الله منى. وفى رواية: قد أعذتك؛ الحقى بأهلك. قيل: إن نساءه ﷺ علّمنها ذلك؛ فإنها كانت من أجمل النساء فخفن أن تغلبهن عليه؛ فقلن لها: إنه يحب إذا دنا منك أن تقولى له أعوذ بالله منك. وقيل: قلن لها: إذا أردت أن تحظى عنده تعوّذى بالله منه. فلما دنا منها قالت ذلك، فقال لها ما قال؛ فطلقها ثم سرحها إلى أهلها[٢]، فكانت تسمى نفسها « الشقية »، فخلف عليها المهاجر بن أبى أمية المخزومى، فأراد عمر أن يحده فقالت: لم يدخل بى، وأقامت البينة على ذلك[٣]. وقيل المتعوذة غيرها. قال أبو عبيدة: ويجوز أن تكونا تعوذتا. وقال آخرون: وجد بها وضحًا، فقال: الحقى بأهلك. وقيل فى اسمها: أميمة، وقيل: أمامة[٤].

الخامسة: مليكة بنت كعب الليثية، وقال بعضهم: هى المستعيذة، وقيل: دخل بها، والأول أصح، أى: إنه لم يدخل بها. ومنهم من ينكر تزويجها منه أصلاً، عليه الصلاة والسلام[٥].

---

(١) انظرطبقات ابن سعد (٨/ ١١٤)، وسبل الهدى والرشاد (١١/ ٢٢١).
(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/ ١١٣) من طريق الواقدي وأحمد في المسند (٣/ ٤٩٨)، والطبراني في الكبير وذكره الهيثمي في المجمع وقال: رجاله رجال الصحيح. اهـ وانظر السبل (١١/ ٢٢٣).
(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/ ١١٦) عن ابن عباس، وفي إسناده هشام بن محمد بن السائب هو الكلبي قال فيه الدارقطني وغيره: متروك، وقال ابن عساكر: رافضي ليس بثقة. انظر ميزان الاعتدال (٧/ ٨٨)
(٤) انظر السبل (١١/ ٢٢٣).
(٥) انظر طبقات ابن سعد (٨/ ١١٧).

السادسة: فاطمة بنت الضحاك بن سفيان الكلابى، تزوج بها بعد وفاة ابنته زينب، وخيرها حين نزلت آية التخيير فاختارت الدنيا، ففارقها. فكانت بعد ذلك تلتقط البعر وتقول: أنا الشقية، اخترت الدنيا[١]. هكذا رواه ابن إسحاق، لكن قال أبو عمر: هذا عندنا غير صحيح؛ لأن ابن شهاب يروى عن عروة عن عائشة أنه ﷺ حين خير أزواجه بدأ بها، فاختارت الله ورسوله، وتابع أزواج النبى ﷺ على ذلك. وقال قتادة وعكرمة: كان عنده ﷺ عند التخيير تسع نسوة وهن اللاتى توفى عنهن. وقيل: إنه عليه الصلاة والسلام تزوجها سنة ثمان، وقيل: إن أباها قال: إنها لم تصدع قط، فقال عليه الصلاة والسلام: لا حاجة لى بها[٢]. قلت: وقد تقدم نظير هذا القول فى شأن المرأة الثالثة من هذا الصنف، وهى عمرة بنت يزيد، فلعل الأصح الأولى أو التالية أو كلتاهما.

السابعة: العالية - بعين مهملة - بنت ظَبيان - بظاء مشالة فموحدة فتحتية - ابن عمرو بن عوف، تزوجها عليه الصلاة والسلام، وكانت عنده ماشاء الله، ثم طلقها، وقلَّ من ذكرها. قال أبو عمر: ومقتضى ذلك أن تكون ممن دخل بهن. وقال أبو سعد: طلقها حين دخلت عليه ﷺ وروى أبو القاسم الطبرانى، عن الزهرى، عن أبى أمامة بن حنيف، فذكر حديثًا طويلاً وفيه: طلق رسول الله ﷺ العالية بنت ظبيان، وفارق أخت بنى عمرو بن الجون الكندية من أجل بياض كان بهما. قال الزهرى: وبلغنا أنها تزوجت قبل أن يَحْرُم [على الناس نكاح أزواجه][٣] عليه الصلاة والسلام، ونكحت ابن عم لها من قومها وولدت فيهم[٤].

الثامنة: قتيلة - بضم القاف وفتح المثناة الفوقية وسكون الياء التحتية - بنت

---

(١) ذكره أبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب (٤/ ٤٥٣) وأخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/ ١١٢) من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وفي إسناده الواقدي. وانظر السبل (١١/ ٢٢٣).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير من حديث سهل بن حنيف وذكره الهيثمي في المجمع وقال: رواه الطبراني عن شيخه القاسم بن عبد الله الإخميمي وهو ضعيف وقد وثق، وبقية رجاله ثقات. اهـ المجمع (٩/ ٢٥٦) وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره وأبو نعيم من طرق عن الزهري كما في الإصابة (٨/ ٢٣١).

(٣) المثبت من الإصابة، ولعله الأصوب.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في التفسير عن معمر عن الزهري كما في الإصابة (٨/ ٢٣١).

قيس، أخت الأشعث بن قيس الكندى، زوَّجها منه أخوها فى سنة عشر من الهجرة، ثم انصرف إلى حضرموت فحملها، فقبض عليه الصلاة والسلام سنة إحدى عشرة قبل وصولها إليه[١]. وقيل: تزوجها قبل وفاته بشهرين. وقال قائلون: إن رسول الله ﷺ أوصى بأن تخير، فإن شاءت ضرب عليها الحجاب وكانت من أمهات المؤمنين، وإن شاءت الفراق فلتنكح من شاءت، فاختارت النكاح فتزوجها عكرمة ابن أبى لهب بحضرموت، فبلغ ذلك أبا بكر فقال: هممت أن أحرق عليها بيتها. فقال له عمر رضى الله عنه: ما هى من أمهات المؤمنين، ما دخل عليها ﷺ ولا ضرب عليها الحجاب. وقال بعضهم: لم يوص فيها - عليه الصلاة والسلام - بشىء، ولكنها ارتدت حين ارتد أخوها الأشعث بن قيس. وبذلك احتج عمر على أبى بكر - رضى الله عنهما - بأنها ليست من أمهات المؤمنين بارتدادها، لا بسبب عدم دخوله عليه الصلاة والسلام[٢].

التاسعة: سبأ بنت أبى الصلت السلمية، تزوجها عليه الصلاة والسلام ومات قبل أن يدخل بها. وقال ابن إسحاق: طلقها قبل أن يدخل بها[٣].

العاشرة: شَراف - بفتح الشين المعجمة وتخفيف الراء وبالفاء[٤] - بنت خليفة الكلبية، أخت دحية بن خليفة الكلبى، تزوجها ﷺ فماتت قبل دخوله عليه الصلاة والسلام بها.

الحادية عشرة: ليلى بنت الخطيم - بفتح الخاء المعجمة وكسر الطاء - ابن عدى ابن عمرو بن سوار بن ظفر - بالظاء المشالة والفاء - الأنصارية، أخت قيس بن

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/ ١١٦) عن ابن عباس وفي إسناده هشام بن محمد بن السائب الكلبي، وهو متروك وقد تقدم الكلام عليه. وانظر السبل (١١/ ٢٢٩).

(٢) انظر الكلام في ذلك والأقوال الواردة في نكاحها من النبي ﷺ في طبقات ابن سعد (٨/ ١١٦) والاستيعاب (٤/ ٤٥٧) والإصابة (٨/ ٢٩٢)؛ وسبل الهدى والرشاد (١١/ ٢٢٩، ٢٣٠).

(٣) انظر قول ابن إسحاق في الاستيعاب (٤/ ٤٢٠) وانظر مزيداً من أخبارها في الإصابة (٨/ ١٩٠) وقد اختلف في اسمها فقيل سبأ وقيل سناء انظر تفصيل ذلك في الإصابة لابن حجر وقد فرق بينهما الصالحي في سبل الهدى (١١/ ٢٢٤)

(٤) كذا ذكرها ابن عبد البر في الاستيعاب (٤/ ٤٢٣)، وابن حجر في الإصابة (٨/ ٢٠٠) بالفاء الموحدة الفوقية وذكرها الصالحي في سبل الهدى (١١/ ٢٢٥) وسماها شراق وضبطها بفتح الشين المعجمة وتخفيف الراء، وبالقاف.

الخطيم. روى ابن أبى خيثمة وأبو سعد من طريق هشام بن محمد بن السائب، عن أبيه، عن أبى صالح، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: أقبلت ليلى بنت الخطيم إلى رسول الله ﷺ وهو مولٍ ظهره إلى الشمس، فضربت على منكبيه، فقال: من هذا؟ أكله الأسود - وكان كثيرًا ما يقولها - فقالت: أنا بنت مطعم الطير ومبارى الريح، أنا ليلى بنت الخطيم، جئتك لأعرض عليك نفسى فتزوجنى. قال: قد فعلت. فرجعت إلى قومها فقالت: قد تزوجنى رسول الله ﷺ. فقالوا: بئسما فعلت؛ أنت امرأة غيرى والنبى ﷺ صاحب نساء تغاير عليه؛ فيدعو الله عليك، فاستقيليه نفسك. فرجعت إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، أقلنى. قال: قد أقلتك فتزوجها مسعود بن أوس بن سواد بن ظفر، فولدت له، فبينما هى فى حائط من حيطان المدينة تغتسل إذ وثب عليها الذئب، لقول رسول الله ﷺ أكله الأسود، فأكل بعضها فأدركت فماتت[1].

الثانية عشرة: امرأة من غفار تزوجها رسول الله ﷺ فأمرها فنزعت ثيابها فرأى بكشحها بياضًا فقال: الحقى بأهلك، ولم يأخذ مما آتاها شيئًا[2]. أخرجه الإمام أحمد وروى ابن عساكر عن قتادة: أنها لما دخلت عليه وجردها رأى بها وضحًا فردها، وأوجب لها المهر، وحرمت على من بعده[3].

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٨/ ١١٩) وابن أبي خيثمة في تاريخه كما في الإصابة (٨/ ٣٠٤) وسبل الهدى والرشاد (١١/ ٢٣٠)، والإسناد فيه هشام بن محمد بن السائب الكلبي وهو متروك، قال فيه أحمد بن حنبل: إنما كان صاحب سمر ونسب ما ظننت أن أحدًا يحدث عنه. وقال الدارقطني وغيره: متروك. وقال ابن عساكر: رافضي ليس بثقة. انظر ميزان الاعتدال (٧/ ٨٩).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٤٩٣) عن جَميل بن زيد قال صَحبتُ شَيخًا من الأنصار، ذكر أنه كانت له صحبة يقال له: كعب بن زيد، أو زيد بن كعب، فحدثني أن رسول الله ﷺ تَزوج امرأة من بنى غفار. . . إلخ . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٣٠٣) وقال: رواه أحمد وجميل ضعيف. قلت: قال فيه أبو حاتم ضعيف الحديث، وقال النسائي: ليس بثقة، وقال ابن حبان: واه، وقال البغوي في معجمه: ضعيف الحديث جدًا والاضطراب في حديث الغفارية منه. أهـ من لسان الميزان (٢/ ١٦٨).

(٣) انظر كلام قتادة في سبل الهدى والرشاد (١١/ ٢٢٦) قال: وروى ابن عساكر من طريق سيف ابن التميمي والفضل بن غسان العلائي في تاريخه من طريق عثمان بن مقسم عن قتادة. قلت: أما طريق ابن عساكر ففيها سيف بن التميمي وهو سيف بن عمر التميمي صاحب كتاب الردة قال فيه أبو حاتم: متروك الحديث يشبه حديثه حديث الواقدي وقال أبو داود: =

قلت: زاد العلامة محمد الشامى فى عدتهن، فذكر أنهن ست وعشرون، فذكر الاثنتى عشرة المذكورة[١]، ثم زاد فذكر أم حرام، كذا فى حديث سهل بن حنيف - رضى الله عنه - عند الطبرانى[٢].

وذكر سلمى بنت نجدة - بالنون والجيم - كما فى الإشارة والزهرى بخط مغلطاى، وقال فى « المورد »: بنت بحيرة بن الحارث الليثية. ونقل عن أبى سعد عبد الملك النيسابورى فى كتاب « شرف المصطفى » أنه قال: إن رسول الله ﷺ نكحها فتوفى عنها، وأبت أن تتزوج بعده[٣].

وذكر سبأ بنت سفيان بن عوف بن كعب بن أبى بكر بن كلاب فقال: ذكرها ابن سعد عن نافع عن ابن عمر[٤]، وهى بالموحدة بعد السين المهملة.

وذكر سناء - بفتح السين المهملة - بنت أسماء بن الصلت بن حبيب بن جابر بن حارثة بن هلال بن حرام بن سماك بن عوف بن امرئ القيس، من بنى حرام بن

= ليس بشيء، وقال النسائي والدارقطني: ضعيف. وقال ابن عدي: بعض أحاديثه مشهورة وعامتها منكرة لم يتابع عليها وهو إلى الضعف أقرب منه إلى الصدق. انظر تهذيب الكمال (١٢/ ٣٢٦) أما إسناد الفضل بن غسان في تاريخه ففيه عثمان بن مقسم، تركه يحيى بن معين، وابن المبارك وقال أحمد: حديثه منكر، وقال الجوزجاني: كذاب وقال النسائي والدارقطني متروك. وقال ابن عدي: عامة حديثه مما لا يتابع عليه إسنادًا ومتنًا، وهو ممن يغلط كثيرًا، ونسبه قوم إلى الصدق وضعفوه للغلط الكثير انظر ميزان الاعتدال (٥/ ٧٤).

(١) انظر سبل الهدى والرشاد للصالحي الشامي (١١/ ٢٢١-٢٢٤) وقد قال الصالحي: « الباب الرابع عشر في ذكر من عقد عليها ولم يدخل بها ﷺ، على خلاف في بعضهن، هل هي ممن عقد عليها أم لا؟ والكلام في ذلك طويل الذيل والخلاف فيه منتشر ». أهـ وقال ابن القيم في زاد المعاد، بعد أن ذكر زوجاته ﷺ: « فهؤلاء نساؤه المعروفات اللاتي دخل بهن، وأما من خطبها ولم يتزوجها أو من وهبت نفسها له، ولم يتزوجها، فنحو أربع أو خمس، وقال بعضهم: هن ثلاثون امرأة، وأهل العلم بسيرته وأحواله ﷺ لا يعرفون هذا، بل ينكرونه، والمعروف عندهم أنه بعث إلى الجونية ليتزوجها، فدخل عليها ليخطبها، فاستعاذت منه، فأعاذها ولم يتزوجها، وكذلك الكلبية، وكذلك التي رأى بكشحها بياضًا، فلم يدخل بها، والتي وهبت نفسها له فزوجها غيره على سور من القرآن، هذا هو المحفوظ والله أعلم ». أهـ زاد المعاد (١/ ١١٤).

(٢) يشير إلى حديث طويل لسهل بن حنيف ذكر فيه زوجاته ﷺ رواه الطبراني في الكبير، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٢٥٦) وقال عقبه: « رواه الطبراني عن شيخه القاسم بن عبد الله الإخميمي وهو ضعيف وقد وثق، وبقية رجاله ثقات ». أهـ

(٣) انظر سبل الهدى والرشاد (١١/ ٢٢٤).

(٤) انظر طبقات ابن سعد (٨/ ١١٨) وقال ابن حجر في الإصابة (٨/ ١٧١): « سبا بنت =

سليم، السلمية، ذكرها أبو جيدة فيما رواه ابن أبي خيثمة عنه، وابن حبيب فيمن تزوجها رسول الله ﷺ وطلقها قبل أن يدخل بها. وحكى الوشاطى عن بعضهم أن سبب موتها أنه لما بلغها أن رسول الله ﷺ تزوجها سُرَّت بذلك حتى ماتت من الفرح(١).

ثم ذكر الشاة بنت رفاعة. ثم ذكر الشنباء - بشين معجمة فنون فموحدة - بنت عمر الغفارى. روى ابن عساكر من طريق سيف بن عمر التميمى، والمتفضل بن غسان القلابى، فى تاريخه من طريق عثمان، ابن مقسم، عن قتادة: لما دخلت عليه - عليه الصلاة والسلام - لم تكن إلا مدة يسيرة، ومات إبراهيم ابن رسول الله ﷺ على بقية من ذلك فقالت: لو كان نبيًا لما مات أحب الناس إليه وأعزهم عليه، فطلقها وأوجب لها المهر، وحرمت على الأزواج(٢)، ذكر هذا ابن رشد فى السيرة النبوية. ثم ذكر ليلى بنت حكيم الأنصارية الأوسية(٣)، ثم ذكر مليكة بنت كعب الكنانية.

روى ابن سعد عن محمد بن عمر، وعن أبى معشر: أن النبى ﷺ تزوجها وكانت تذكر بجمال بارع، فدخلت عليها عائشة فقالت لها: أما تستحين أن تنكحى قاتل أبيك؟ وكان أبوها قتل يوم فتح مكة، قتله خالد بن الوليد، فاستعاذت من رسول الله ﷺ فطلقها، فجاء قومها فقالوا: يارسول الله، إنها صغيرة، وإنها لا رأى لها، وإنها خدعت، فارتجعها. فأبى رسول الله ﷺ، فاستأذنوه أن يزوجوها قريبًا لها من بنى عذرة فأذن لهم(٤). قال محمد بن عمر: وأصحابنا ينكرون ذلك، ويقولون: لم

= سفيان، ويقال بنت الصلت الكلابية » أهـ.

(١) انظر سبل الهدى (١١/ ٢٢٤)، والإصابة (٨/ ١٩١).

(٢) كلام قتادة تقدم الكلام عليه وبينا أن في الإسناد إليه عثمان بن مقسم وهو متروك. وقد قال الصالحي في سبل الهدى (١١/ ٢٢٥) بعد أن ذكر أثر قتادة: « وظاهر كلام قتادة أن هذه بنى بها رسول الله ﷺ ولم أقف لها على ذكر فيما وقفت عليه من كتب الصحابة حتى ولا في الإصابة لشيخ الإسلام ابن حجر مع سعة اطلاعه وعثمان بن مقسم متروك ».أهـ

(٣) ذكرها الصالحي في سبل الهدى (١١/ ٢٣٠) وقال: « قال أبو عمر: ذكرها أحمد بن صالح المصري في أزواج النبي ﷺ ولم يذكرها غيره، وجوز ابن الأثير أن تكون هي التي قبلها لأن الخطيم يشبه الحكيم، وأقره في التجريد والإصابة ». أهـ وانظر الاستيعاب ت (٣٥٣٥)، والإصابة (٨/ ٣٠٣).

(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٨/ ١١٧) وفي إسناده الواقدي وهو متروك وقد تقدم الكلام فيه.

يتزوج رسول الله ﷺ كنانية قط[(١)].

ثم ذكر آخرهن هند بنت يزيد المعروفة بـ « ابنة البرصاء » سماها أبو عبيدة معمر ابن المثنى فى أزواجه عليه الصلاة والسلام. وقال أحمد بن صالح: هى عمرة بنت يزيد المتقدمة[(٢)].

تنبيه: قد تقدم أن المراد بعدم الدخول عليها الوطء؛ فإن من هؤلاء من مات قبل الدخول، وهى أخت دحية بن خليفة الكلبى باتفاق، واختلف فى مليكة وسناء: أماتتا أو طلقهما، مع الاتفاق على عدم دخوله بهما. وفارق عليه الصلاة والسلام بعد الدخول بالاتفاق بنت الضحاك وبنت ظبيان، وقبله باتفاق عمرة وأسماء والغفارية واختلف فى أم شريك: هل دخل بها مع الاتفاق على الفرقة. والمستقيلة التى جهل حالها. والمفارقات باتفاق سبع، واثنتان على خلف، والميتات فى حياته أربع: خديجة بنت خويلد، وزينب بنت خزيمة بعد الدخول، وأخت دحية، وبنت الهذيل قبله باتفاق. ومات عليه الصلاة والسلام عن عشر: واحدة لم يدخل بها. فهن ثلاث وعشرون امرأة[(٣)].

قلت: يشكل قوله: فارق عليه الصلاة والسلام بعد الدخول باتفاق بنت الضحاك وبنت ظبيان على إيرادهما فى هذا الباب المعقود لمن عقد عليها ولم يدخل بها، وإن قلنا في التوجيه: لعله على رواية فى ذلك منع من ذلك قوله بالاتفاق، فليتأمل.

وذكر فى « شرف النبوة » أن جملة أزواجه عليه الصلاة والسلام إحدى وعشرون امرأة، طلق منهن ستًّا، ومات عنده منهن خمس، وتوفى عن عشر: واحدة لم يدخل بها.

وكان يقسم لتسع، فى الصحيحين عن ابن عباس أنه عليه الصلاة والسلام كان يقسم لثمان ولا يقسم لواحدة[(٤)]. قال عطاء بن أبى رباح: هى صفية بنت حيى بن أخطب. قلت: هذا على رواية من روى أنه لم يعقد عليها ولم يحجبها المتقدم

---

(١) انظر الطبقات الكبرى (٨/ ١١٧)، والإصابة (٨/ ٣٢٠).
(٢) انظر سبل الهدى والرشاد (١١/ ٢٣١).
(٣) انظر سبل الهدى والرشاد (١١/ ٤٠١).
(٤) أخرجه البخاري (١٠/ ١٤٠) كتاب النكاح باب كثرة النساء رقم (٥٠٦٧)، ومسلم (٢/ ١٠٨٦) كتاب الرضاع باب جواز هبتها نوبتها لضرتها رقم (٥١/ ١٤٦٥).

خلافها وعدُّها فى أمهات المؤمنين انتهى. ولقوله تعالى ﴿ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ﴾ [الأحزاب: ٥١] ترجى، بالهمز وتركه: تؤخر. وتؤوى، بضم، يعنى: تترك مضاجعة من تشاء منهن وتضاجع من تشاء منهن. روى أنه أرجأ منهن سودة وجويرية وصفية وميمونة وأم حبيبة، وكان يقسم لهن ماشاء كما شاء. وآوى إليه عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب بنت جحش. أرجأ خمسًا وآوى أربعًا(١). كذا ذكره المنذرى.

وأما اللاتى خطبهن ولم يعقد عليهن فعدة نسوة:

الأولى منهن: امرأة من بنى عمرو بن عوف بن سعد بن دينار، قال أبو اليقظان: خطبها رسول الله ﷺ إلى أبيها فقال: إن بها برصًا - وهو كاذب - فرجع فوجدها برصاء، ويقال: إن ابنها هو المسمى شبيب بن البرصاء بن الحارث بن عوف المزنى، ذكره ابن قتيبة. وقال ابن الأثير جازمًا: هى أم شبيب بن البرصاء الشاعر(٢).

الثانية: امرأة قرشية يقال لها: سودة، خطبها عليه الصلاة والسلام، وكانت مصبية فقالت: إن لى صبية أكره أن يتضاغوا عند رأسك بكرة وعشية. فقال عليه الصلاة والسلام: « خير نساء ركبن الإبل نساء قريش؛ أحناهن على ولد فى صغره، وأرعاهن لبعل فى ذات يده »(٣) وأصل هذا الحديث فى صحيح مسلم، فدعا لها ﷺ وتركها(٤).

---

(١) أخرج ابن سعد وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن أبي رزين قال: هم رسول الله ﷺ أن يطلق من نسائه، فلما رأين ذلك أتينه فقلن: لا تخل سبيلنا وأنت في حل فيما بيننا وبينك افرض لنا من نفسك ومالك ما شئت، فأنزل الله: ﴿ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ ﴾ يقول: تعزل من تشاء فأرجأ منهن نسوة وآوى نسوة، وكان ممن أرجأ ميمونة وجويرية وأم حبيبة، وصفية، وسودة وكان يقسم بينهن من نفسه وماله ما شاء وكان ممن آوى عائشة وحفصة، وأم سلمة وزينب، فكانت قسمته من نفسه وماله بينهن سواء ». كذا ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٣٩٨) وانظر الطبقات لابن سعد (٨/ ١٥٨) نحوه.

(٢) ينظر المعارف لابن قتيبة (١٤٠)، وسبل الهدى والرشاد (١١/ ٢٣٣).

(٣) ذكره الصالحي في سبل الهدى (١١/ ٢٣٤) وعزاه إلى ابن منده عن ابن عباس ووردت هذه القصة أيضا في حق أم هانىء أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/ ١٥١)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١/ ١٩٨-١٩٩).

(٤) أخرجه مسلم (٢٠١/ ٢٥٢٧)، وأحمد (٢/ ٢٦٩، ٢٧٥) وعبد الرزاق (٢٠٦٠٣)، وابن حبان (٦٢٦٨)، من حديث أبي هريرة.

الثالثة: امرأة تدعى صفية بنت بشامة، كان عليه الصلاة والسلام أصابها فى السبى فخيرها بين نفسه الكريمة وبين زوجها فاختارت زوجها[١].

الرابعة: امرأة لم يذكر اسمها، قيل: إنه عليه الصلاة والسلام خطبها فقالت: أستأمر أبى. فلقيت أباها وأذن لها، فعادت إلى النبى ﷺ فقال لها: قد التحفنا غيرك[٢].

الخامسة: أم هانئ بنت أبى طالب، خطبها عليه الصلاة والسلام فقالت: إنى امرأة مصبية، واعتذرت إليه فعذرها. عن أبى صالح عن أم هانئ بنت أبى طالب قالت: خطبنى رسول الله ﷺ فاعتذرت إليه فعذرنى[٣]. قال العلامة الشامى: خطبها رسول الله ﷺ إلى عمه أبى طالب، وخطبها هبيرة المخزومى، فزوجها أبو طالب هبيرة، فعاتبه رسول الله ﷺ فقال أبو طالب: يا بن أخى إنا قد صاهرنا إليهم، والكريم يكافئ الكريم. ثم فرق الإسلام بين أم هانئ وهبيرة، فخطبها عليه الصلاة والسلام فقالت: كنت أحبك فى الجاهلية فكيف فى الإسلام، وإنى امرأة مصبية[٤].

وروى الطبرانى برجال ثقات قالت: خطبنى رسول الله ﷺ فقلت: ما لى عنك رغبة يا رسول الله، ولكن ما أحب أن أتزوج وبنى صغار، فقال رسول الله ﷺ: « خير نساء ركبن الإبل نساء قريش . . . »[٥] إلى آخر ما تقدم فى شأن سودة القرشية. وفى رواية عن أبى صالح عن أم هانئ، قالت قبل نزول هذه الآية ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ﴾ [الأحزاب: ٥٠] الآية: أراد أن يتزوجنى فخطبنى فنهى عنى أنى لم أهاجر. وفى رواية الترمذى: فلم أكن أحل له لأنى لم أكن من المهاجرات، كنت من المطلقات يعنى كان إسلامها بعد فتح مكة[٦].

---

(١) ينظر الطبقات الكبرى (٨/ ١٢٢)، وسبل الهدى والرشاد (١١/ ٢٣٤).

(٢) ينظر سبل الهدى والرشاد (١١/ ٢٣٦).

(٣) أخرجه ابن سعد (٨/ ١٥١) وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١/ ١٩٨-١٩٩) من طريق أبي صالح عن ابن عباس.

(٤) ينظر الحديث السابق وينظر أيضًا سبل الهدى والرشاد (١١/ ٢٣٦).

(٥) أخرجه الترمذي (٣٢١٤) والحاكم (٤/ ٥٣)، والطبراني في « الكبير » (٢٤/ ٤٠٥-٤٠٦) رقم (٩٨٥) من طريق السدي عن أبي صالح عن أم هانئ وقال الترمذي: حديث حسن وينظر: سبل الهدى والرشاد (١١/ ٢٣٦).

(٦) ينظر الحديث السابق.

السادسة: الجندعية امرأة من جندع، وهى ابنة جندب بن ضمرة، وأنكرها بعض الرواة.

السابعة: ضباعة - بالضاد المعجمة وتخفيف الموحدة والعين المهملة - بنت مام ابن قَرط - بفتح القاف والطاء المهملة - ابن سلمة، خطبها عليه الصلاة والسلام من ابنها سلمة بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، أسلمت قديمًا وهاجرت، ذكرها ابن الجوزى وابن عساكر فى هذا الباب، وكانت من أجمل نساء العرب وأعظمهن خلقًا، وكانت إذا جلست أخذت من الأرض شيئًا كثيرًا، وكانت تغطى جسدها مع عظمه بشعرها، وكانت تحت هوذة - بفتح الهاء وسكون الواو والذال المعجمة - ابن على الحنفى، فمات عنها، فتزوجها عبد الله بن جُدعان، فلم يلق بخاطرها فسألته طلاقها ففعل، فتزوجها هشام بن المغيرة فولدت له سلمة، وكان من خيار عباد الله، فلما هاجرت خطبها رسول الله ﷺ إلى ابنها سلمة فقال: يا رسول الله، ما عنك مَدْفع. قال: فاستأمرها. قال: نعم، فأتاها فأخبرها فقالت: إنا لله، أفى رسول الله تستأمرنى؟ ارجع إليه فقل له: نعم. وقيل لرسول الله ﷺ فى ذهاب ابنها: إن ضباعة ليست كما تعهد، قد كثرت غضون وجهها، وسقطت أسنانها من فيها. فلما رجع ابنها سلمة وأخبر رسول الله ﷺ بما قالت سكت عنه[1].

الثامنة: نعامة، لم يذكر اسم أبيها، وهى من سبى بنى العنبر، فكانت جميلة، عرض رسول الله ﷺ أن يتزوجها فلم يلبث أن جاء زوجها[2]، ذكره فى «ذيل الاستيعاب».

وعرض عليه ﷺ امرأتان فردهما لمانع شرعى: الأولى: أمامة، وقيل: فاطمة بنت حمزة بن عبد المطلب، فقال ﷺ: هى ابنة أخى من الرضاع، والثانية: عزة - بفتح العين المهملة والزاى المشددة - بنت أبى سفيان بن حرب، فقال ﷺ: لا تحل لى لمكان أختها أم حبيبة المسماة رملة بنت أبى سفيان[3]، وحديثهما فى الصحيح.

وأما سراريه فروى ابن أبى خيثمة عن أبى عبيدة معمر بن المثنى قال: كان لرسول

---

(١) ينظر تلقيح فهوم أهل الأثر (٢٦-٢٧)، وتاريخ دمشق (١/ ٢٠٠) وفي التلقيح: «خطبها إلى أبيها سلمة بن هشام ...» إلخ، والصواب ما أثبتناه.

(٢) ينظر: سبل الهدى والرشاد (١١/ ٢٣٤-٢٣٥).

(٣) ينظر: سبل الهدى والرشاد (١١/ ٢٣٦) وحديثهما قد تقدم تخريجه.

الله ﷺ أربع ولائد: مارية، وريحانة، وجميلة، ونفيسة[١].

أما مارية القبطية فهى بنت شمعون - بفتح الشين المعجمة - أم ولده إبراهيم، أهداها له المقوقس القبطى: صاحب مصر والإسكندرية سنة سبع من الهجرة، وبعث معها أختها سيرين بنت شمعون وخصيًا يقال له: مأبور، وألف مثقال ذهب، وعشرين ثوبًا من قباطى مصر، وبغلة شهباء وحمارًا أشهب، وهو الذى يقال له: يعفور، وعسلاً من عسل « بِنْها » - بباء مكسورة فنون ساكنة - قرية من قرى مصر بارك النبى ﷺ فى عسلها لما أعجبه[٢]، والناس اليوم يفتحون الباء. فأسلمت وأسلمت أختها، وكانت مارية بيضاء جميلة أنزلها رسول الله ﷺ بالعالية، وكان يختلف إليها إلى أن ماتت فى المحرم سنة عشر.

وروى البزار والضياء المقدسى فى صحيحه عن على رضى الله عنه، قال: كثر على مارية أم إبراهيم فى قبطى ابن عم لها، هو مأبور المذكور، كان يزورها فيختلف إليها، فقال لى رسول الله ﷺ: خذ هذا السيف فانطلق به، فإن وجدته عندها فاقتله. قال قلت: يارسول الله، أكون فى أمرك إذا أرسلتنى كالسكة المحماة لا يسبقنى شىء حتى أمضى لما أمرتنى به، أم الشاهد يرى ما لا يرى الغائب ؟ قال: فافعل. فأقبلت متوشحًا السيف ووجدته عندها فاخترطت السيف، فلما رآنى أقبلت نحوه عرف أنى أريده، فأتى نخلة فرقاها ثم رمى بنفسه. قال قتادة: ثم شغر برجله فإذا هو أجبُّ أمسح ما له قليل ولا كثير. فغمدت السيف، ثم أتيت رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: الحمد لله الذى يصرف عنا أهل البيت[٣].

(١) ينظر: تلقيح فهوم أهل الأثر (٢٨).

(٢) أخرجه الدوري في « التاريخ والعلل » (٥٢٧٣) عن الزهري به وقال الألباني في الضعيفة (١٢٥٨): منكر وفى ط: « بنيا »

(٣) أخرجه البزار (٢/ ١٨٨-١٨٩) رقم (١٤٩١) وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٣/ ١٧٧-١٧٨) وابن عساكر في تاريخ دمشق (١/ ١٩٣) والضياء المقدسي في « المختارة » رقم (٧٣٥) من طريق ابن إسحاق عن إبراهيم بن محمد بن على بن أبي طالب عن أبيه عن جده مرفوعًا قال البزار: لا نعلمه عن النبي ﷺ من وجه متصل إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد، وقال أبو نعيم: هذا غريب لا يعرف مسندًا بهذا السياق إلا من حديث محمد بن إسحاق وذكره الهيثمي في « المجمع (٤/ ٣٣٢) وعزاه للبزار وقال: وفيه محمد بن إسحاق وهو مدلس لكنه ثقة وبقية رجاله ثقات وقد أخرجه الضياء في أحاديثه المختارة على الصحيح. أهـ قلت: ابن إسحاق قد صرح بالتحديث فقد أخرج هذا الحديث مختصرًا البخاري في =

وروى البزار بسند جيد عن أنس قال: لما ولد إبراهيم ابن رسول الله ﷺ من مارية جاريته وقع فى نفس النبى ﷺ منه شىء حتى أتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فقال: السلام عليك أبا ابراهيم[(١)].

ووهب عليه الصلاة والسلام أختها سيرين بنت شمعون لحسان بن ثابت فهى أم ولده عبد الرحمن بن حسان كذا فى « سيرة الشامى »[(٢)]، إلا قوله « وهب » ففى « المواهب ». وقال فى الروض الأنف: أعطى عليه الصلاة والسلام حسان جاريته سيرين بضرب صفوان بن المعطل له. قلت: كان السبب فى ضرب صفوان بن المعطل حسانًا بالسيف فى وجهه ما كان من حسان من الخوض فى حديث الإفك؛ لأنه المرمى به عائشة. وفى ذُكِرِى أن حسانًا عمى آخر عمره، وكان سببه تلك الضربة من صفوان. فأعطاه عليه الصلاة والسلام سيرين أخت مارية هذه، وهى أم عبد الرحمن بن حسان الشاعر، وكان عبد الرحمن يفخر بأنه ابن خالة إبراهيم ابن رسول الله ﷺ. وقد روت سيرين عن النبى ﷺ حديثًا قالت: رأى رسول الله ﷺ خللاً فى قبر ابنه إبراهيم فأصلحه وقال: « إن الله يحب من العبد إذا عمل عملاً أن يتقنه »[(٣)].

وأما ريحانة فهى بنت شمعون أيضًا، من سبى بنى قريظة، وقيل: من سبى بنى النضير، والأول أظهر، وكانت متزوجة فيهم رجلاً يقال له: الحكم، وكانت جميلة

= « التاريخ الكبير » (١/ ١٧٧) وصرح أيضًا بالتحديث عند ابن منده كما في « الصحيحة » (٤/ ٥٢٩) وقال الألباني: هذا إسناد متصل جيد.

(١) أخرجه البزار (٢/ ١٨٩-كشف) رقم (١٤٩٢) من طريق ابن لهيعة ثنا يزيد بن أبي حبيب وعقيل عن الزهري عن أنس بن مالك به وقال البزار: لا نعلم رواه عن الزهري عن أنس إلا عقيل وذكره الهيثمي في « المجمع » (٤/ ٢٣٢) وقال: رواه البزار وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن وبقيه رجاله رجال الصحيح أهـ. قلت: ابن لهيعة ضعيف الحديث وقد ضعفه الهيثمي في مواضع لا تحصى من كتابه وهو المعتمد.

(٢) ينظر سبل الهدى والرشاد (١١/ ٤١٣).

(٣) ينظر الروض الأنف (٤/ ٢٤) والإصابة (٨/ ١٩٧-١٩٨) أما الحديث الذي روته سيرين فأخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٨/ ١٧٣) أخبرنا محمد بن عمر الواقدي ثنا أسامة بن زيد عن المنذر بن عبيد عن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت عن أمه سيرين به والواقدي متروك. وذكره ابن الأثير في « أسد الغابة » (٧/ ٦٠) وقال: أخرجه الثلاثة أى ابن عبد البر وابن منده وأبو نعيم.

وسيمة، وقعت فى سبى بنى قريظة، فكانت صفى رسول الله ﷺ فخيرها بين الإسلام ودينها فاختارت الإسلام، فأعتقها وتزوجها وأصدقها اثنتى عشرة أوقية ونشًا، وأعرس بها فى المحرم سنة ست فى بيت سلمى بنت قيس النجارية بعد أن حاضت حيضة، وضرب عليها الحجاب، فغارت عليه غيرة شديدة فطلقها تطليقة فأكثرت البكاء، فدخل عليها وهى على تلك الحال فراجعها، ولم تزل عنده حتى ماتت مَرْجِعَهُ من حجة الوداع سنة عشر، ودفنت بالبقيع، وقيل: كانت موطوءة له بملك اليمين، وهذا جزم به خلائق[1]. قال فى « المواهب »: وكان ﷺ يطؤها بملك اليمين، وقيل: أعتقها وتزوجها.

وأما جميلة فأصابها من السبى، فأكدنها نساؤه وخفن أن تغلب عليه.

وأما نفيسة فوهبتها له زينب بنت جحش، وكان هجرها - يعنى زينب - فى صفية بنت حيى ذا الحجة والمحرم وصفر، فلما كان فى شهر ربيع الأول الذى قبض فيه النبى ﷺ رضى عن زينب ودخل عليها فقالت: ما أدرى ما أجزيك به، فوهبتها له. كذا ذكره الشامى ناقلًا لكلام أبى عبيدة معمر بن المثنى[2]. انتهى.

* * *

---

(١) ينظر الطبقات الكبرى (٨/ ١٠٢-١٠٤) المغازي للواقدي (٢/ ٥٢٠) وتاريخ دمشق (١/ ١٩٥-١٩٨)، وسبل الهدى والرشاد (١١/ ٢٢٠) وأسد الغابة (٦٩٤٢)، والإصابة (١١٢٠٣).

(٢) ينظر: سبل الهدى والرشاد (١١/ ٢١٩).

الباب الخامس
من المقصد الثانى
فى أولاده عليه الصلاة والسلام، وما اتفق عليه منهم، وما اختلف فيه

جملة ما اتفق عليه ستة: ذكران: القاسم، وإبراهيم. وأربع بنات: زينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة، رضى الله عنهم. وكلهن أدركهن الإسلام، وهاجرن معه ﷺ واختلف فيما سواهن. فقيل: لم يكن له عليه الصلاة والسلام سواهم، والمشهور خلافه. قال ابن إسحاق: كان له الطيب، والطاهر أيضًا. فيكون على هذا جملتهم ثمانية: أربعة ذكور، وأربع إناث[(١)]. وقال الزبير بن بكار فيما رواه الطبرانى برجال ثقات: كان لرسول الله ﷺ - غير إبراهيم والقاسم عبد الله، وهو قول أكثر أهل النسب[(٢)]. وقال الدارقطنى: وهو لا يثبت. وصححه الحافظ عبد الغنى المقدسى. وسمى عبد الله بالطيب والطاهر؛ لأنه ولد بعد النبوة، فتكون على هذا جملتهم سبعة، ثلاثة ذكور وأربع إناث. وقيل: كان له عليه الصلاة والسلام الطيب والمطيب ولدا فى بطن، والمطهر والطاهر ولدا فى بطن. فيكون على هذا جملتهم أحد عشر[(٣)].

قال ابن إسحاق: ولد أولاده كلهم - غير إبراهيم - قبل الإسلام، ومات البنون قبل الإسلام وهم يرضعون. وهو مأخوذ من قول غيره: إن عبد الله ولد بعد النبوة، ولذلك يسمى بالطيب الطاهر. والأصح قول الجمهور إنهم ثلاثة ذكور القاسم، وعبد الله، وإبراهيم. والبنات المتفق عليهن كلهن من خديجة بنت خويلد الأسدية، إلا إبراهيم فإنه من مارية القبطية[(٤)].

---

(١) ذكره الصالحي في سبل الهدى (١١/ ١٦) عن ابن إسحاق قلت: أخرج ابن عساكر في « تاريخه » (١/ ١٠٩) بسنده عن أبي بكر بن البرقي قال: ويقال: إن الطاهر هو الطيب وهو عبد الله والله أعلم ويقال: إن الطيب والمطيب ولدا في بطن والطاهر والمطهر في بطن. أهـ وينظر: تلقيح فهوم أهل الأثر (٣٠).

(٢) ينظر: سبل الهدى والرشاد (١١/ ١٦).

(٣) ينظر المصدر السابق.

(٤) ينظر سبل الهدى والرشاد (١١/ ١٦) تلقيح فهوم أهل الأثر (٣٠-٣١) وانظر السيرة النبوية (١/ ٢١٥، ٢١٦).

قال محمد بن عمر: كانت سلمى، مولاة صفية بنت عبد المطلب، هى قابلة خديجة فى أولادها، وكانت خديجة تعقُّ عن كل غلام بشاتين، وعن الجارية بشاة. وكان بين كل ولدين لها سنة. وكانت تسترضع وتُعِد - بضم التاء وكسر العين - ذلك قبل ولادها[١].

وأكبر بناته ﷺ زينب، كما ذكره الجمهور. وقال الزبير بن بكار وغيره: أكبر بناته رقية، والأول أصح. وقال الزبير فيما نقله أبو عمرو عنه: ولد له ﷺ القاسم وهو أكبر ولده، ثم زينب، ثم عبد الله، ثم أم كلثوم، ثم فاطمة، ثم رقية. هكذا الأول فالأول[٢]. وقيل: رقية أكبر من أم كلثوم وهو الأشبه؛ لأن عثمان رضى الله عنه تزوجها أولاً فى أول إسلامه، وهاجرت معه، وماتت ورسول الله ﷺ فى غزوة بدر، وجاء بشيره إلى المدينة بالنصر وقد نفضوا أيديهم من دفنها. وبسبب تمريضها تخلف عثمان عن شهود وقعة بدر، ثم أم كلثوم بعدها بعد وقعة بدر.

والظاهر أن الكبيرة تزوج أولاً وإن جاز خلافه، والأكثر على أن فاطمة أصغرهن سنًا، ولا خلاف أن أكبرهن سنًا زينب، قاله فى « الخميس ». ثم مات القاسم بمكة وهو أول ميت مات من ولد رسول الله ﷺ، ثم مات عبد الله أيضًا بمكة[٣]. وقال ابن إسحاق: ولدت خديجة رضى الله عنها زينب ثم رقية ثم أم كلثوم ثم فاطمة ثم القاسم ثم الطاهر ثم الطيب. فأما القاسم والطيب والطاهر فماتوا فى الجاهلية. وأما بناته فأدركهن الإسلام كلهن وهاجرن معه[٤].

قال أبو عمرو وقال على بن عبد العزيز الجرجانى: أولاد رسول الله ﷺ: القاسم وهو أكبر أولاده، ثم زينب. وقال ابن الكلبى: زينب، ثم القاسم، ثم أم كلثوم، ثم فاطمة، ثم رقية، ثم عبد الله. هكذا ذكره على سبيل الإجمال، وسيأتى ذكرهن على التفصيل[٥]. والمتحصل من مجموع الأقوال الأصح منها أنهم سبعة، ثلاثة ذكور:

(١) ينظر الطبقات الكبرى (١/ ١٠٧)، سبل الهدى والرشاد (١١/ ١٦).
(٢) ينظر المصدرين السابقين. وانظر السيرة النبوية (١/ ٢١٦).
(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١/ ١٠٨) بسنده عن الزبير بن بكار وينظر: سبل الهدى والرشاد (١١/ ١٦).
(٤) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١/ ١١٨) بسنده عن ابن إسحاق وينظر سبل الهدى والرشاد (١١/ ١٧) وانظر السيرة النبوية (١/ ٢١٥، ٢١٦).
(٥) ينظر: سبل الهدى والرشاد (١١/ ١٧).

القاسم وإبراهيم وعبد الله المسمى بالطيب والطاهر، وأربع بنات متفق عليهن، وكلهم من خديجة بنت خويلد، إلا إبراهيم كما تقدم.

روى الهيثم بن عدى عن هشام بن عروة عن أبيه قال: ولدت خديجة للنبى ﷺ عبد العزى وعبد مناف[١]. قال الذهبى فى «الميزان» والحافظ فى «اللسان»: هذا من افتراء الهيثم على هشام[٢]. وقال أبو الفرج بن الجوزى: الهيثم كذاب لا يلتفت إلى قوله. قال شيخنا ابن ناصر: لم يسم عليه الصلاة والسلام عبد مناف ولا عبد العزى قط، والهيثم كذّبه البخارى وأبو داود والعجلى والساجى. وقال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به، ولا الرواية عنه إلا على سبيل الاعتبار. وقال فى «المورد»: ولا يجوز لأحد أن يقول: إن هذه التسمية وقعت من رسول الله ﷺ، ولئن قيل: إن هذه التسمية وقعت - يعنى على فرض صحة رواية الهيثم - فيكون من غيره ﷺ، ويحتمل أن يكون ولد هذا المولود والنبى ﷺ مشتغل بعبادة ربه أو بغير ذلك من شئونه، وسماه بعض أهل خديجة بذلك، ولم يسمعه عليه الصلاة والسلام ولم يره، أو يكون أحد من شياطين الإنس والجن اختلق ذلك لما ولد أحد أولاده المذكورين؛ ليدخل فى ذلك لبسًا فى قلب ضعيف الإيمان، ويكون النبى ﷺ لما بلغه ذلك غيَّره، أو يكون غير ذلك مما الله تعالى عالمه. وأورد الطحاوى فى «مشكل الحديث»، والبيهقى فى السنن، وأبو سعد النقاش، والجوزقانى فى «الموضوعات»، وغيرهم - مانقله الهيثم عن هشام بن عروة، ولم ينقل أحد من الثقات ما نقله الهيثم عن هشام. كذا فى سيرة الشامى[٣].

قال الإمام العلامة، شيخ الأطباء، علاء الدين بن نفيس - رحمه الله: لما كان مزاجه ﷺ شديد الاعتدال لم يكن أولاده إناثًا فقط؛ لأن ذلك إنما يكون لحرارة المزاج، ولما كان مزاج النبى ﷺ معتدلاً فيجب أن يكون له بنون وبنات، وبنوه

---

(١) هذا الحديث أخرجه بسنده المتصل الحافظ ابن حجر في «اللسان» (٦/ ٢٧٥-٢٧٦) وهو حديث موضوع كما سيأتي تحقيقه.

(٢) هذا الحديث لم يورده الذهبي في ميزانه ولم يتكلم عليه إنما أورده الحافظ في «اللسان» (٦/ ٢٧٥-٢٧٦) وتكلم عليه ومنشأ هذا الوهم أن المصنف تبع الشامي في السيرة حيث ادعى أن الذهبي قد تكلم على هذا الحديث وينظر: سبل الهدى والرشاد (١١/ ١٧).

(٣) ينظر: تلقيح فهوم أهل الأثر (٣١) وسبل الهدى والرشاد (١١/ ١٨).

يجب ألا تطول أعمارهم، وإذا طالت بلغوا إلى سن النبوة، وحينئذ فلا يخلو إما أن يكونوا أنبياء أو لا يكونوا كذلك، ولا جائز أن يكونوا أنبياء، وإلا لما كان هو خاتم النبيين، ولا يجوز أن يكونوا غير أنبياء وإلا كان نقصًا فى حقه وانحطاطًا عن درجة كثير من الأنبياء؛ فإن كثيرًا من الأنبياء كان أولادهم أنبياء أيضًا. وأما بنات هذا النبى ﷺ فيجوز أن تطول أعمارهن؛ لأن النساء لسن بأهل للنبوة(١). انتهى.

أما سيدنا القاسم ابن سيدنا رسول الله ﷺ فكان أكبر أولاده عليه الصلاة والسلام كما تقدم، وبه كان يكنى، وهو أول من مات منهم بمكة قبل النبوة، مات صغيرًا، عاش حتى مشى، وقيل: عاش سنتين، وقيل: عاش سبع ليال: قاله مجاهد، وخطأه الملا وقال: الصواب أنه عاش سبعة عشر شهرًا(٢). وقال ابن فارس: بلغ أن يركب الدابة وأن يسير على النجيب. وقال السهيلى: بلغ المشى، غير أن رضاعته لم تكمل(٣). وروى يونس بن بكير عن أبى عبد الله الجعفى عن محمد بن على بن الحسين رضى الله عنهم قال: كان القاسم بلغ أن يركب الدابة ويسير على النجيب، فلما قبض قال العاص بن وائل: لقد أصبح محمد أبتر، فنزلت ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴾ [الكوثر: ١] أى: عن مصيبتك يا محمد(٤). قال العلامة محمد الشامى: فهذا يدل على أن القاسم مات بعد البعثة، خلاف ما تقدم أنهم ماتوا قبلها، يعنى البنين الثلاثة.

وروى الطيالسى وابن ماجه والحربى عن فاطمة بنت الحسين، عن أبيها رضى الله عنهما، قالت: لما هلك القاسم قالت خديجة: يا رسول الله، درَّت لُبينة القاسم،

(١) ينظر: سبل الهدى والرشاد (١١/ ١٨).
(٢) ينظر: سبل الهدى والرشاد (١١/ ١٩) وقد أخرج قول مجاهد الحافظ ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١/ ١٠٩) من طريق المفضل بن غسان الغلابي أخبرنا أبي نا أحمد بن حنبل نا عبد الرزاق أخبرنا ابن جريج عن مجاهد به. قال ابن المفضل: وهذا خطأ والصواب أنه عاش سبعة عشر شهرًا ثم توفي. اهـ والخبر في « مصنف عبد الرزاق » (٧/ ٤٩٤) رقم (١٤٠١٢) دون ذكر قول المفضل.
(٣) ينظر: الروض الأنف (١/ ٢١٤) وسبل الهدى والرشاد (١١/ ١٩).
(٤) أخرجه يونس بن بكير في « زيادات المغازي » كما في « سبل الهدى » (١١/ ١٩) وذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٦/ ٦٩٠) وعزاه للبيهقي في الدلائل وفيه أن الذي عاير النبي هو عمرو بن العاص. وقال البيهقي: هكذا روى بهذا الإسناد وهو ضعيف والمشهور أنها نزلت في العاص بن وائل.

فلو كان الله أبقاه حتى يتم رضاعه، قال عليه الصلاة والسلام : إن تمام رضاعه فى الجنة. زاد ابن ماجه فقالت لو أعلم ذلك لهون على. قال: إن شئت دعوت الله فأسمعك صوته. فقالت: بل أصدق الله ورسوله[١]. قال الحافظ الذهبى: وهذا ظاهر جدًا فى أنه مات فى الإسلام بعد البعثة، لكن فى السند ضعف[٢]. وروى البخارى فى تاريخه الأوسط من طريق سليمان بن بلال، عن هشام بن عروة: أن القاسم مات قبل الإسلام[٣]، وهذا يؤيد الأول السابق أنهم درجوا صغارًا قبل البعثة.

وأما سيدنا عبد الله ابن سيدنا رسول الله ﷺ، فمات صغيرًا بمكة كما تقدم، ويقال له: الطيب والطاهر، ثلاثة أسماء، وهو قول أكثر أهل السير والعلم، قاله أبو عمرو. وقال الدارقطنى: هو الأثبت، ويسمى عبد الله بالطيب والطاهر؛ لأنه ولد بعد النبوة، أى: على خلاف فى ذلك كما تقدم ذكره، فبه كانت جملتهم سبعة: ثلاثة ذكور وأربع إناث كما تقدم[٤].

وأما سيدنا إبراهيم ابن سيدنا رسول الله ﷺ فهو من مارية القبطية، وقد تقدم ذكرها فى سراريه عليه الصلاة والسلام. ولد فى ذى الحجة سنة ثمان من الهجرة بالعالية، قاله مصعب بن الزبير[٥]. وروى ابن سعد عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى صعصعة قال: كان رسول الله ﷺ معجبًا بمارية القبطية وكانت بيضاء جميلة، فأنزلها عليه الصلاة والسلام على أم سليم بنت ملحان، وعرض عليها الإسلام فأسلمت، فوطئها بالملك، وحولها إلى مال له بالعالية، وكان من أموال بنى النضير، وكانت فيه فى الصيف وفى خرافة النخل، فكان يأتيها هناك، وكانت حسنة

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١/ ٤٨٤) كتاب الجنائز باب ما جاء في الصلاة على ابن رسول الله ﷺ حديث (١٥١٢) من طريق أبي داود ثنا هشام بن أبي الوليد عن أمه عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها به. قال البوصيري في الزوائد (١/ ٤٩٤): هذا إسناد ضعيف لضعف هشام بن أبي الوليد. أهـ والحديث ذكره السهيلي في « الروض الأنف » (١/ ٢١٤) وعزاه للفريابي في مسنده.

(٢) ينظر: سبل الهدى والرشاد (١١/ ١٩) والقول الذي نسبه المصنف للذهبي ليس له إنما هو قول الحافظ ابن حجر في الإصابة (٥/ ٣٨٩) وعزاه إليه الصالحي في سبل الهدى.

(٣) أخرجه البخاري في « التاريخ الصغير » (١/ ٣٠) بلفظ: ولد لرسول الله ﷺ من خديجة بمكة عبد العزى والقاسم وماتا قبل الإسلام. وهذا إسناد معضل لا حجة فيه وينظر سبل الهدى والرشاد (١١/ ١٩)، والإصابة (٥/ ٣٩٠).

(٤) ينظر سبل الهدى والرشاد (١١/ ١٦) وقد تقدم الكلام على هذه الأسماء.

(٥) ينظر سبل الهدى والرشاد (١١/ ٢١).

الدين، وولدت له عليه الصلاة والسلام غلامًا فسماه إبراهيم، وعقَّ عنه بشاة يوم سابعه، وحلق رأسه وتصدق بزنة شعره فضة على المساكين، وأمر بشعره فدفن فى الأرض. وكانت قابلتها سلمى مولاة رسول الله ﷺ، فخرجت إلى زوجها أبى رافع فأخبرته بأن مارية قد ولدت غلامًا، فجاء أبو رافع إليه عليه الصلاة والسلام فبشره فوهب له عبدًا. وغار نساء رسول الله ﷺ منها، واشتد عليهن حين رزق منها الولد(١)، كذا فى سيرة الشامى. قلت: سلمى هى مولاة صفية بنت عبد المطلب، وقد تقدم أنها قابلة خديجة على أولادها منه ﷺ، ووصفها هنا بمولاة رسول الله ﷺ لا شىء فيه؛ إذ مولاة عمة الشخص مولاته(٢).

وروى ابن سعد والزبير بن بكار، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى صعصعة، قال: لما ولد إبراهيم ابن رسول الله ﷺ، تنافس فيه نساء الأنصار؛ أيتهن ترضعه، وأحببن أن يفرغن مارية لرسول الله ﷺ لما يعلمن من ميله إليها، فدفعه عليه الصلاة والسلام إلى أم بردة بنت المنذر بن زيد بن لبيد بن النجار وزوجها البراء بن أوس بن خالد بن الجعد بن النجار، وكانت ترضعه، فكان يكون عند أبويه فى بنى النجار ويأتى رسول الله ﷺ أم بردة فيغتسل عندها ويؤتى بإبراهيم، وأعطى رسول الله ﷺ أم بردة قطعة نخل(٣).

وروى الشيخان عن أنس رضى الله عنه: أنه عليه الصلاة والسلام دفع إبراهيم إلى أم سيف وهو قين، أى: حداد بالمدينة يقال له: أبو سيف، فانطلق رسول الله ﷺ وتبعته حتى انتهينا إلى أبى سيف وهو ينفخ بكيره، وقد امتلأ البيت دخانًا، فأسرعت فى المشى بين يدى رسول الله ﷺ حتى انتهيت فى المشى إلى أبي سيف، فقلت: يا أبا سيف، أمسك؛ جاء رسول الله ﷺ. فأمسك، ودعا رسول الله ﷺ بالصبى

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١/ ١٠٧) أخبرنا محمد بن عمر أخبرنا يعقوب بن أبي صعصعة عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة به ومن طريق ابن سعد أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١/ ١٩٢-١٩٣) وفي إسناده الواقدي وهو كذاب وينظر تاريخ الخميس (٢/ ١١٨) وسبل الهدى (١١/ ٢١).

(٢) ينظر: سبل الهدى والرشاد (١١/ ٢١)، وقد تقدم هذا قريبًا.

(٣) أخرجه ابن سعد في « الطبقات الكبرى » (١/ ١٠٨) بالإسناد السابق وذكره الصالحي في سبل الهدى والرشاد (١١/ ٢١) وعزاه أيضًا للزبير بن بكار.

فضمه إليه، وقال ماشاء الله أن يقول[(١)].

وروى - أيضًا - عن أنس رضى الله عنه: ما رأيت أحدًا أرحم بعياله من رسول الله ﷺ، كان ابنه إبراهيم مسترضعًا فى عوالى المدينة[(٢)]، فكان يأتيه ونحن معه فيدخل البيت، وإنه ليدخن، وكان ظئره قينًا فيأخذه فيقبله[(٣)].

مات إبراهيم سنة عشر من الهجرة، قاله الواقدى جازمًا به وقال: يوم الثلاثاء لعشر خلون من ربيع الأول[(٤)].

وكسفت الشمس يوم موته فقالوا: كسفت لموته، فقام خطيبًا عليه الصلاة والسلام فقال فيها: « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته، ولكن يخوّف الله بهما عباده. فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكر الله والصلاة والدعاء والاستغفار »[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ٥٢٤) كتاب الجنائز باب قول النبي ﷺ إنا بك لمحزونون حديث (١٣٠٣) من طريق قريش بن حيان عن ثابت عن أنس وأخرجه مسلم (٤/ ١٨٠٧-١٨٠٨) كتاب الفضائل باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال حديث (٦٢/ ٢٣١٥) من طريق ثابت البناني عن أنس. وانظر السبل (١١/ ٢٢).

(٢) عوالي المدينة: القرى التي عند المدينة.

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ١٨٠٨) كتاب الفضائل: باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال حديث (٦٣/ ٢٣١٦)، وأحمد (٣/ ١١٢)، وابن حبان (٦٩٥٠)، وأبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ (٦٥) من طريق عمرو بن سعيد عن أنس بن مالك به وأخرجه أيضًا ابن سعد (١/ ١٠٩). وينظر: السبل (١١/ ٢٢).

(٤) ينظر الطبقات الكبرى (١/ ١١٥)، وفتح الباري (٣/ ٥٢٦-٥٢٧)، وسبل الهدى والرشاد (١١/ ٢٢).

(٥) أخرجه البخاري (٢/ ٥٤٧) كتاب الكسوف باب الصلاة في كسوف القمر، الحديث (١٠٦٣)، والنسائي (٣/ ١٤٦)كتاب الكسوف باب نوع من صلاة الكسوف، والطيالسي (١/ ١٤٨) كتاب الصلاة باب صلاة الكسوف ركعتان، الحديث (٧١٦)، والطحاوي في « شرح معاني الآثار) (١/ ٣٣٠) كتاب الصلاة باب صلاة الكسوف، والدارقطني (٢/ ٦٤) كتاب العيدين باب صفة صلاة الخسوف، الحديث (٨)، والحاكم (١/ ٣٣٤-٣٣٥) كتاب الكسوف باب في كل ركعة خمس ركوعات والبيهقي (٣/ ٣٣٢) كتاب الخسوف باب من صلى بالخسوف ركعتين من رواية الحسن عنه، قال: انكسفت الشمس، وفي لفظ « خسفت الشمس على عهد النبي ﷺ فخرج يجر رداءه حتى انتهى إلى المسجد، وثاب الناس إليه، فصلى بهم ركعتين فانجلت الشمس، فقال: « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، وإنما لا يخسفان لموت أحد، وإذا كان ذلك فصلوا وادعوا حتى ينكشف ما بكم ». والحاكم (١/ ٣٣٤-٣٣٥)، من طريق خالد بن الحارث، عن الحسن، عن أبي بكرة؛ أن رسول الله ﷺ =

وفى صحيح البخارى: عاش سبعة عشر شهرًا أو ثمانية عشر[١]. عن أنس رضى الله عنه: أن رسول الله ﷺ أخذ بيد عبد الرحمن بن عوف فانطلق به إلى النخل الذى فيه إبراهيم، فدخل وإبراهيم يجود فى نفسه، فوضعه عليه الصلاة والسلام فى حجره، فلما مات دمعت عينا رسول الله ﷺ، فقال عبد الرحمن بن عوف: تبكى يا رسول الله، أو لم تنه عن البكاء؟ قال: « إنما نهيت عن النوح، وعن صوتين أخنعين فاجرين: صوت عند نغمة لهو ولعب ومزامير الشيطان، وصوت عند مصيبة، خمش وجه وشق جيب ورنة الشيطان »[٢]. وفى رواية « إنما نهيت عن النياحة، وأن ينعت الميت بما ليس فيه »[٣] ثم قال: « وإنما هذه رحمة، ومن لا يَرحم لا يُرحم، يا إبراهيم، لولا أنه أمر حق، ووعد صدق، ويوم جامع - وفى رواية - لولا أنه أجل محدود، ووقت صادق - لحزنًا عليك حزنًا أشد من هذا، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون، تدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول ما يسخط الرب »[٤]. وروى ابن ماجه والحكيم الترمذى عن أنس: لما قبض إبراهيم ابن النبى ﷺ قال لهم: لا تدرجوه فى أكفانه حتى أنظر إليه. فأتاه فانكب عليه وبكى[٥].

= صلى ركعتين مثل صلاتكم هذه. وذكر كسوف الشمس، وقال الحاكم: على شرطهما ولم يخرجاه. وقال الذهبي: إسناد حسن، وما هو على شرط واحد منهما.

(١) ينظر سبل الهدى والرشاد (١١/ ٢٢)، وعند البخاري (٦١٩٤): مات صغيرًا، ولو قضى أن يكون بعد محمد ﷺ نبيٌّ عاش ابنه ولكن لا نبي بعده.

(٢) أخرجه ابن سعد في « الطبقات الكبرى » (١/ ١١٠) والبزار (١/ ٣٨٠-٣٨١) رقم (٨٠٥) من طريق ابن أبي ليلى عن عطاء عن جابر عن عبد الرحمن بن عوف به وقال البزار: لا نعلمه عن عبد الرحمن إلا بهذا الإسناد وروي عنه بعضه بإسناد آخر. والحديث ذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٣/ ٢٠) وقال: رواه أبو يعلى والبزار وفيه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وفيه كلام. وينظر: السبل (١١/ ٢٢، ٢٣).

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات (١/ ١١٠) عن مكحول مرسلاً. وذكره الصالحي في « سبل الهدى » (١١/ ٢٣) بهذا اللفظ وعزاه أيضًا لابن سعد عن مكحول.

(٤) أخرجه ابن سعد في « الطبقات » (١/ ١١٠) عن عطاء مرسلاً وروى بعضه أيضًا من حديث عبد الرحمن بن عوف وقد تقدم تخريجه. وينظر سبل الهدى والرشاد (١١/ ٢٢).

(٥) أخرجه ابن ماجه (١/ ٤٧٣) كتاب الجنائز باب ماجاء في النظر إلى الميت إذا أدرج في أكفانه حديث (١٤٧٥) وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١/ ١١٥) كلاهما من طريق أبي شيبة عن أنس بن مالك مرفوعًا. وقال البوصيري في « الزوائد » (١/ ٤٨٠): هذا إسناد ضعيف. أبو شيبة اسمه يوسف بن إبراهيم، قال ابن حبان: روى عن أنس بن مالك ما ليس من حديثه لا تحل الرواية عنه، وقال البخاري: صاحب عجائب، وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث =

واختلف هل صلى عليه، فروى الإمام أحمد وابن سعد من طريق جابر الجعفى وهو ضعيف عن البراء[١]، والبيهقى عن جعفر بن محمد عن أبيه[٢]، وأبو داود والبيهقى عن عطاء بن أبى رباح مرسلاً أنه عليه الصلاة والسلام صلى على ابنه إبراهيم[٣]، زاد البيهقى: فى القاعة وهو موضع الجنائز، زاد أنس وكبر عليه أربعًا[٤]، وهذه الطرق يقوى بعضها بعضًا[٥].

وعن مكحول: أن رسول الله ﷺ كان على شفير قبر ابنه إبراهيم فرأى فرجة فى اللحد فناول الحفار مدرة، وقال: إنها لا تضر ولا تنفع، ولكنها تقر عين الحى، وجعل رسول الله ﷺ يسوى بأصبعه ويقول: « إذا عمل أحدكم عملاً فليتقنه »[٦].

قلت: هو معنى الحديث المتقدم الذى روته سيرين أخت مارية، وقد ذكرته فى ذكرها عند ذكر أختها. وروى ابن سعد عن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت، عن أمه سيرين أخت مارية، قالت: حضرت موت إبراهيم فرأيته - عليه الصلاة والسلام - كلما صحت أنا وأختى مارية ما ينهانا، فلما مات نهانا عن الصياح وغسله الفضل بن عباس ورسول الله، والعباس جالس إلى جنبه، ونزل فى حفرته الفضل بن عباس

= منكر الحديث عنده عجائب. أهـ وينظر: السبل (١١/ ٢٣).

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٨٣، ٢٨٩) وابن سعد في « الطبقات » (١/ ١١٢) من طريق جابر الجعفي عن الشعبي عن البراء بن عازب قال: صلى رسول الله ﷺ على ابنه إبراهيم... الحديث وجابر بن يزيد الجعفي ضعيف أخرجه أيضًا البيهقي في « السنن الكبرى » (٤/ ٩).

(٢) أخرجه ابن سعد في « الطبقات الكبرى » (١/ ١١٢) والبيهقي في « السنن الكبرى » (٤/ ٩) من طريق سليمان بن بلال عن جعفر بن محمد عن أبيه أن رسول الله ﷺ صلى على ابنه إبراهيم حين مات.

(٣) أخرجه أبو داود (٣/ ٢٠٧) كتاب الجنائز: باب في الصلاة على الطفل حديث (٣١٨٨)، والبيهقي (٤/ ٩) عن عطاء مرسلاً.

(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١/ ١١٢) من طريق عطاء بن عجلان عن أنس ابن مالك أن النبي ﷺ كبر على ابنه أربعًا. وذكره الهيثمي في « المجمع » (٣/ ٣٨) وقال: رواه أبو يعلى وفيه محمد بن عبيد الله العرزمي وهو ضعيف أ. هـ وطريق ابن سعد ليس فيه العرزمي.

(٥) قال الإمام البيهقي في « السنن الكبرى » (٤/ ٩) عقب أثر جعفر بن محمد عن أبيه: فهذه الآثار وإن كانت مراسيل فهي تشد الموصول قبله أى حديث البراء وبعضها يشد بعضا وقد أثبتوا صلاة رسول الله ﷺ على ابنه إبراهيم وذلك أولى من رواية من روى أنه لم يصل عليه. أهـ.

(٦) أخرجه ابن سعد في « الطبقات الكبرى » (١/ ١١٣) عن عطاء ومكحول مرسلاً. وانظر سبل الهدى والرشاد (١١/ ٢٤)، وعنده زيادة: فإنه مما يسلي بنفس المصاب، وهذه الزيادة في الطبقات أيضًا.

وأسامة بن زيد. ولما دفن إبراهيم رش علي قبره وأعلم بعلامة، قال: وهو أول قبر رش[١].

وروى ابن سعد عن رجل من آل على بن أبى طالب رضى الله عنه: أن رسول الله ﷺ حين دفن إبراهيم قال: « هل من أحد يأتى بقربة ؟ فأتى رجل من الأنصار بقربة ماء، فقال عليه الصلاة والسلام: رشها على قبر إبراهيم »[٢].

وروى ابن ماجه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: لما مات إبراهيم قال رسول الله ﷺ: « إن له مرضعة فى الجنة، ولو عاش لكان صديقًا نبيًّا، ولو عاش لتعتقت أخواله القبط وما استرق قبطى قط »[٣].

وروى العلامة محمد بن يوسف الشامى فى سيرته: اشتهر على الألسنة أنه عليه الصلاة والسلام لقن ابنه إبراهيم بعد الدفن قال: « قل الله ربى، ورسولى أبى ». وهذا شىء لم يوجد فى كتب الحديث، وإنما ذكره المتولى فى تتمته بلفظ: روى أن النبى ﷺ لما دفن إبراهيم قال: قل: الله ربى، ورسولى أبى، والإسلام دينى، فقيل: يا رسول الله، أنت تلقنه، فمن يلقننا ؟ فأنزل الله: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧] الآية. - والأستاذ أبو بكر بن فورك فى كتابه المسمى بـ « النظامى »[٤]. وروى ابن سعد عن الزهرى مرسلاً: أن رسول الله ﷺ قال: « إذا ملكتم القبط فأحسنوا إليهم؛ فإن لهم ذمة وإن لهم رحمًا »[٥]. وعن ابن

(١) أخرجه ابن سعد (١/ ١١٤-١١٥) وفي إسناده محمد بن عمر الواقدي متروك وينظر سبل الهدى والرشاد (١١/ ٢٤).

(٢) أخرجه ابن سعد (١/ ١١٣)، وينظر سبل الهدى والرشاد (١١/ ٢٤).

(٣) أخرجه ابن ماجه (١/ ٤٨٤) كتاب الجنائز باب الصلاة على ابن رسول الله ﷺ وذكر وفاته حديث (١٥١١) وابن عساكر في تاريخ دمشق (١/ ١١٢) من طريق إبراهيم بن عثمان ثنا الحكم بن عتيبة عن مقسم عن ابن عباس به. وقال البوصيرى في « الزوائد » (١/ ٤٩٣) هذا إسناد ضعيف لضعف إبراهيم بن عثمان أبو شيبة.

(٤) ينظر سبل الهدى والرشاد (١١/ ٢٥) وفيه نص ابن فورك .

(٥) أخرجه ابن سعد في « الطبقات الكبرى » (١/ ٤٢) أخبرنا محمد بن حميد عن معمر عن الزهري به مرسلاً ومراسيل الزهري شديدة الضعف. وعبد الرزاق (٦/ ٥٨) رقم (٩٩٩٦) عن معمر عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك به. وأخرجه الطبري في الكبير (١٩/ ٦١) رقم (١١١) من طريق الزهري عن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه وبرقم (١١٢) من طريق الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن كعب، وبرقم (١١٣) من طريق الزهري عن ابن كعب بن مالك عن أبيه.

كعب بن مالك: أن رسول الله ﷺ قال: « استوصوا بالقبط خيرًا فإن لهم ذمة ورحمًا »(١) وروى الطبرانى عن أم سلمة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: الله الله فى قبط مصر فإنكم ستظهرون عليهم فيكونوا لكم عدة وأعوانا فى سبيل الله(٢).

وأما السيدة زينب بنت رسول الله ﷺ فلا خلاف أنها أكبر بناته ﷺ، إنما الخلاف فيها وفى القاسم: أيهما ولد أولاً ؟ قال ابن إسحاق: سمعت عبد الله بن محمد بن سليمان الهاشمى يقول: ولدت زينب بنت رسول الله ﷺ فى سنة ثلاثين من مولده عليه الصلاة والسلام، وأدركت الإسلام وهاجرت، وكان رسول الله ﷺ محبًا فيها، وتزوجها ابن خالتها أبو العاص - واسمه لقيط - على الأكثر، وقيل: هشيم، وقيل: مهشم - بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف، أمه هالة بنت خويلد، فلذا كان ابن خالة زينب(٣).

روى عن عائشة رضى الله عنها قالت: كان أبو العاص من رجال مكة المعدودين مالاً وتجارة وأمانة، فقالت خديجة لرسول الله ﷺ: زوِّجه، وكان عليه الصلاة والسلام لا يخالفها، وذلك قبل أن ينزل عليه، فزوجه زينب رضى الله عنها. فلما أكرم الله نبيه بنبوته آمنت خديجة وبناتها فلما نادى رسول الله ﷺ قريشًا بأمر الله تعالى ودينه أتوا أبا العاص بن الربيع هذا فقالوا: فارق صاحبتك ونحن نزوجك بأى امرأة شئت، فقال: لا والله لا أفارق صاحبتى، وما يسرنى أنَّ لي بها أفضل امرأة من قريش(٤).

وفى « الخميس »: عن عائشة - رضى الله عنها - قالت: كان الإسلام فرق بين زينب وبين أبى العاص، إلا أن رسول الله ﷺ لايقدر أن يفرق بينهما، وكان مغلوبًا عليه بمكة، قال أبو محمد، عبد الملك بن هشام فى سيرته بعد أن ذكر مثل ما تقدم فأقامت معه على إسلامها وهو على شركه حتى هاجر رسول الله ﷺ، فلما سارت

---

(١) ينظر تخريج الحديث السابق.
(٢) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٦٦) وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح. وذكره الهندي في « كنز العمال » (٣٤٠٢٣) وعزاه للطبراني عن أم سلمة.
(٣) ينظر سبل الهدى والرشاد (١١/ ٢٩).
(٤) ينظر السيرة النبوية (٢/ ٢٩٣-٢٩٤) تاريخ الطبري (٢/ ٤٦٧) الكامل في التاريخ (٢/ ١٣٤) سبل الهدى والرشاد (١١/ ٢٩).

قريش إلى بدر سار فيهم أبو العاص بن الربيع فأصيب فى الأسارى يوم بدر، فكان بالمدينة عند رسول الله ﷺ[(١)].

قال ابن إسحاق: وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عباد، عن عائشة، قالت: لما بعث أهل مكة فى فداء أسراهم بعثت زينب بنت رسول الله ﷺ فى فداء زوجها أبى العاص بمال، وبعثت فيه[(٢)] بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبى العاص حين بنى بها. قالت: فلما رآها رسول الله ﷺ رقَّ لها رقة شديدة وقال: إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها قلادتها[(٣)] فافعلوا. قالوا: نعم يا رسول الله. فأطلقوه، وردوا عليها الذى كان لها[(٤)].

وكان رسول الله ﷺ قد أخذ عليه العهد - أو هو وعد رسول الله ﷺ - يوم ذلك أن يخلى سبيل زينب إليه، أو كان شرط ذلك عليه فى إطلاقه، ولم يظهر ذلك منه ولا من رسول الله ﷺ فيعلم[(٥)] ماهو، إلا أنه لما خرج أبو العاص إلى مكة وخلى سبيله بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة ورجلًا من الأنصار فقال: كونا ببطن يأجج[(٦)] حتى تمر بكما زينب فتصحباها حتى تأتيانى بها. فخرجا إلى مكانهما ذلك بعد بدر بشهر[أو شَيْعِه][(٧)]، فلما قدم أبو العاص مكة أمرها باللحوق بأبيها، فخرجت تجهز[(٨)].

قال: قال ابن إسحاق: فحدثنى عبد الله بن أبى بكر قال: حدثت عن زينب أنها قالت: بينا أنا أتجهز بمكة للحوق بأبى لقيتنى هند بنت عتبة بن ربيعة، زوجة أبى

---

(١) ينظر السيرة النبوية (٢/ ٢٩٤).
(٢) في ط معه. والمثبت من السيرة.
(٣) في السيرة : مالها.
(٤) أخرجه أبو داود (٣/ ٦٢) كتاب الجهاد باب في فداء الأسير بالمال حديث (٢٦٩٢)، وأحمد (٦/ ٢٧٦)، والحاكم (٣/ ٣٢٤) من طريق محمد بن إسحاق به وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي وهذا من أوهامهما فإن مسلما لم يخرج لابن إسحاق احتجاجًا إنما روى له في المتابعات وينظر السيرة النبوية (٢/ ٢٩٤-٢٩٥)، وتاريخ الطبري (٢/ ٤٦٨)، والكامل في التاريخ (٢/ ١٣٤).
(٥) في ط: ليعلم. والمثبت من السيرة.
(٦) في ط: باجح. والمثبت من السيرة.
(٧) زيادة من السيرة. والمعنى: أو نحوه.
(٨) ينظر تاريخ الطبري (٢/ ٤٦٨) السيرة النبوية (٢/ ٢٩٥) الكامل في التاريخ (٢/ ١٣٤).

سفيان بن حرب فقالت: يا بنة محمد، ألم يبلغنى أنك تريدين اللحوق بأبيك ؟ قالت: فقلت: ما أردت ذلك. قالت هند: أى ابنة عم، لا تفعلى، إن كانت لك حاجة بمتاع مما يرفق بك فى سفرك أو بما تصلين به إلى أبيك، فإن عندى حاجتك فلا تضطني[١] منى؛ فإنه لا يدخل بين النساء ما بين الرجال. قالت: والله ما أراها قالت ذلك إلا لتفعل. قالت: ولكنى خفتها، فأنكرت أن أكون أريد ذلك وتجهزت.

فلما فرغتْ من جهازها قدم لها حموها، كنانة بن الربيع، أخو زوجها لقيط بن الربيع، المكنى أبا العاص - بعيرًا فركبته، وأخذ قوسه وكنانته ثم خرج بها نهارًا يقود بها وهي[٢] فى هودج لها. وتحدث بذلك رجال من قريش، فأخذوا[٣] فى طلبها حتى أدركوها بذى طوى، فكان أول من سبق إليها هبار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى الفهرى، فروَّعها بالرمح وهى فى هودجها، وقيل: نخس بعيرها، فقمص بها فسقطت على صخرة، وكانت المرأة حاملاً فيما يزعمون، فلما ريعت طرحت ما فى بطنها[٤]، وبرك حموها على ركبتيه، ونثر كنانته ثم قال: والله لا يدنو منها رجل إلا وضعت فيه سهمًا، فتكركر الناس عنه، وأتى أبو سفيان فى جلة من قريش فقال: أيها الرجل، كف عنا نبلك حتى نكلمك [فكفَّ][٥] فأقبل أبو سفيان حتى وقف عليه فقال: إنك لم تصب، خرجت بالمرأة على رءوس الناس علانية، وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا بما دخل علينا[٦] من محمد؛ فيظن الناس، إذ أخرجت بنته علانية على رءوس الناس من بين أظهرنا أن ذلك على ذل أصحابنا من مصيبتنا التى كانت، وأن ذلك بنا ضعف ووهن، ولعمرى ما لنا بحبسها عن أبيها من حاجة، وما لنا فى ذلك من ثورة. ولكن ارجع بالمرأة، حتى إذا هدأت الأصوات، وتحدثت الناس أنْ قد رددناها، فسلَّها سرًا وألحقها بأبيها.

فرجع بها كنانة. فاستخبر فيها بنو هاشم وبنو أمية، فقالت بنو أمية: نحن أحق بها

---

(١) في ط: فلا تقنطي. والمثبت من السيرة، والمعنى: لا تستحي.
(٢) في ط: يقودها. والمثبت من السيرة.
(٣) في السيرة: فخرجوا.
(٤) في السيرة: ذا بطنها.
(٥) المثبت من السيرة.
(٦) في السيرة: وما دخل علينا.

- لكونها تحت ابن عمهم أبى العاص - فكانت عند هند بنت عتبة بن الربيع، فكانت هند تقول لها: هذا فى سبب أبيك. قال: فأقامت ليالى حتى إذا هدأت الأصوات خرج بها ليلاً حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه، فقدما بها على رسول الله ﷺ[(١)]. وكان رسول الله ﷺ لما أرسل زيد بن حارثة وصاحبه قال لزيد: خذ خاتمي فأعطها. فانطلق زيد فلم يزل يتلطف حتى لقى راعيًا فقال: لمن ترعى؟ قال: لأبى العاص. فقال: لمن هذه الغنم؟ قال: لزينب بنت محمد، فسار معه شيئًا ثم قال: هل لك إن أعطيتك شيئًا فتعطيها إياه ولا تذكره لأحد؟ قال: نعم. فأعطاه الخاتم. فانطلق الراعى فأدخل الغنم وأعطاها الخاتم، فعرفته فقالت: من أعطاك هذا؟ قال: رجل. قالت: فأين تركته؟ قال: بمكان كذا. فسكتت حتى إذا جاء الليل أخبرت زوجها، فتجهزت، فأخرج بها أخاه كنانة بن الربيع حتى أسلمها إلى زيد وصاحبه كما تقدم.

فلما جاءته قال لها زيد: اركبى بين يدى على بعيرى، فقالت: لا، ولكن اركب أنت بين يدى، فركب وركبت خلفه حتى أتت المدينة قال عروة: فكان رسول الله ﷺ يقول: « هى أفضل بناتى، أصيبت فِيَّ ». فبلغ ذلك على بن الحسين فانطلق إلى عروة فقال: ما حديث بلغنى عنك تحدثه تنقص به حق فاطمة؟ قال عروة: ما أحب أن لى بين المشرق والمغرب وأنى أنتقص فاطمة حقًّا هو لها، وإنما بعد فلك عليَّ ألا أحدث به. أخرجه الدولابى[(٢)].

قال ابن هشام: قال ابن إسحاق: فقال أبو خيثمة أخو بنى سالم بن عوف فى الذى كان من أمر زينب: [من الطويل]

أَتَانِى الَّذِى لا تَقْدِرُ النَّاسُ قَدْرَهُ ... لِزَيْنَبَ فِيهِمْ مِنْ عُقُوقٍ وَمَأْثَمِ
وَإِخْراجهَا لَمْ يُخْزَ فيهِ محمَّدٌ ... عَلَى مَأْقِط[(٣)] وَبَيْنَنَا عِطْرُ مَنْشَمِ
وأَمْسَى أَبُو سُفْيَانَ مِنْ حِلْفِ ضَمْضَمٍ ... وَمِنْ حَزْبِنَا فِى رُغْمِ أَنْفٍ وَمَنْدَمِ

(١) ينظر السيرة النبوية (٢/ ٢٩٥-٢٩٦)، وتاريخ الطبري (٢/ ٤٦٩-٤٧٠).
(٢) أخرجه البخاري في « التاريخ الصغير » (١/ ٧-٨)، والطحاوي في « مشكل الآثار » (١/ ٤٥)، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١/ ١٢٢-١٢٣) من طريق عمر بن عبد الله بن عروة بن الزبير عن عروة بن الزبير عن عائشة به.
(٣) المأقط: موضع القتال. ترتيب القاموس (أقط)

قَرَنَّا ابْنَهُ عَمْرًا وَمَوْلَى يَمِينِهِ ... بِذِى حلَقٍ جَلْدِ الصَّلاصِلِ مُحْكَمِ
فَأَقْسَمْتُ لاَ تَنفَكُّ مِنا كَتَائِبٌ ... سَرَاةَ خَمِيسٍ فِى لَهَامِ مُسَوَّمِ
نَرُوعُ قُرَيْشَ الكُفْرِ حَتَّى نُعِلَّهَا ... بِخَاطِمَةٍ فَوْقَ الأُنُوفِ بِمِيْسَمِ
نُنَزِّلُهُمْ أَكْنَافَ نَجْدٍ وَنَخْلَةٍ ... وَإِنْ يُتهِمُوا بِالْخَيْلِ وَالرَّجْلِ نُتْهِمِ
مَدَى الدَّهْرِ حَتَّى لاَ يَعُوجَ سِرْبُنَا ... وَنُلْحِقُهُمْ آثَارَ عَادٍ وَجُرْهُمِ
وَيَنْدَم قَوْمٌ لَمْ يُطِيعُوا مُحمَّدًا ... عَلَى أَمْرِهِ وَأَىَّ حِينِ تندَّمِ
فَأَبْلِغْ أَبَا سُفْيَانَ إِمَّا لَقِيتَهُ ... لَئِنْ أَنْتَ لَم تُخْلِصْ سُجُودًا وَتُسْلِمِ
فَأَبشِرْ بِخِزْيٍ فِى الحَيَاةِ مُعَجَّلٍ ... وَسِرْبَالِ نَارٍ خَالِدًا فِى جَهَنَّمِ[١]

وقوله « قرنا ابنه عمرًا ومولى يمينه » يريد به عقبة بن عبد الحارث بن الحضرمى؛ لأنه أسر يوم بدر هو وعمرو بن أبى سفيان بن حرب؛ لأن حلف الحضرمى وذويه كان إلى حرب بن أمية ومن بعده إلى أبى سفيان بن حرب.

ولما انصرف الذين خرجوا إلى زينب ليردوها إلى مكة عند خروجها أول مرة مع كنانة بن الربيع، لقيتهم هند بنت عتبة بن ربيعة فقالت لهم: [من الطويل]

أَفِى السِّلْمِ أَعْيَارًا جَفَاءً وَغِلْظَةً ... وفِى الحَرْبِ أَشْبَاهَ النِّسَاءِ العَوَارِكِ[٢]

وقال كنانة بن الربيع المذكور فى أمر زينب: [من الطويل]

عَجِبْتُ لِهَبَّارٍ وَأَوْبَاشِ قَوْمِهِ ... يُرِيدُونَ إِخْفَارِى بِبِنْتِ مُحَمَّدِ
وَلَسْتُ أُبَالِى مَا حَيِيتُ فَدِيدَهُمْ[٣] ... وَمَا اسْتَجْمَعَتْ قَبْضًا يَدِى بِالمُهَنَّدِ[٤]

قال ابن إسحاق: حدثنى يزيد بن أبى حبيب، عن بكير بن عبد الله بن الأشج، عن سليمان بن يسار، عن أبى إسحاق الدوسى، عن أبى هريرة رضى الله عنه، قال: بعث رسول الله ﷺ سرية أنا فيها فقال لنا: « إن ظفرتم بهبار بن الأسود والرجل الذى سبق معه إلى زينب - قال ابن هشام: وقد سمى ابن إسحاق الرجل بعينه فقال: هو نافع بن عبد قيس - فحرقوهما بالنار ». قال: فلما كان الغد بعث إلينا رسول الله ﷺ

---

(١) ينظر السيرة النبوية (٢/٢٩٦-٢٩٧)
(٢) العوارك: الحيَّض.
(٣) في السيرة: عديدهم والفديد: رفع الصوت
(٤) ينظر السيرة النبوية (٢/٢٩٨).

فقال: « إني كنت أمرتكم بتحريق [هذين][١] الرجلين إن أخذتموهما، ثم رأيت أنه لا ينبغي لأحد أن يعذِّب بالنار إلا الله، فإن ظفرتم بهما فاقتلوهما »[٢].

قال ابن إسحاق: فأقام أبو العاص بمكة وأقامت زينب [عند رسول الله ﷺ حتى فرق بينهما الإسلام] [٣] بالمدينة، حتى إذا كان قبيل الفتح خرج أبو العاص تاجرًا إلى الشام - وكان رجلاً مأمونًا - بمال له وأموال لرجال من قريش أبضعوها معه، فلما خرج من تجارته وأقبل قافلاً لقيته سرية لرسول الله ﷺ فأصابوا ما معه وأعجزهم هربًا، فلما قدمت السرية بما أصابوا من ماله أقبل أبو العاص تحت الليل حتى دخل على زينب بنت رسول الله ﷺ زوجته فاستجار بها فأجارته، وجاء فى طلب ماله، فلما خرج عليه الصلاة والسلام إلى صلاة الصبح - كما حدثنى به يزيد ابن رومان - فكبَّر وكبَّر الناس معه صرخت زينب من صف النساء: أيها الناس، إنى قد أجرت أبا العاص بن الربيع. قال: فلما سلم عليه الصلاة والسلام من الصلاة أقبل فقال: « أيها الناس، هل سمعتم ما سمعت » قالوا: نعم. قال: « أما والله الذى نفسى بيده ما علمت بشىء حتى سمعت ما سمعتم، إنه يجير على المسلمين أدناهم ».

ثم انصرف عليه الصلاة والسلام فدخل على ابنته فقال: أى بنية، أكرمى مثواه، ولا يخلص إليك؛ فإنك لا تحلين له[٤]. قال ابن إسحاق: وحدثنى عبد الله بن أبى بكر أن رسول الله ﷺ بعث إلى السرية التى أصابت مال أبى العاص فقال لهم: إن هذا الرجل منا حيث علمتم، وقد أصبتم له مالاً، فإن تحسنوا وتردوا عليه الذى له فإنا نحب ذلك، وإن أبيتم فهو فىء الله الذى أفاء لكم فأنتم أحق به. قالوا: يا رسول الله [بل] نرده عليه. قال: فردوه عليه. حتى إن الرجل ليأتى بالدلو، ويأتى الآخر بالشنة والإداوة[٥]، حتى إن أحدهم ليأتى بالشظاظ[٦]، حتى ردوا عليه ماله بأسره

---

(١) زيادة من السيرة.
(٢) أخرجه الدارمي (٢/ ٢٢٢) كتاب السير: باب في النهي عن التعذيب بعذاب الله، من طريق ابن إسحاق وصرح ابن إسحاق بالتحديث في « السيرة » (٢/ ٢٩٨).
(٣) المثبت من السيرة.
(٤) ينظر: السيرة النبوية (٢/ ٢٩٨-٢٩٩)، تاريخ الطبري (٢/ ٤٧٠-٤٧١).
(٥) الشنة: القربة الخَلَقُ الصغيرة، يكون الماء فيها أبرد من غيرها. والإداوة: الإناء الصغير يحمل فيه الماء. الوسيط (شنن) (أدو).
(٦) الشظاظ: خشبة عقفاء تجعل في عروتي الجوالق، أي الكيس. ترتيب القاموس (شظظ).

لا يفقد منه شيئًا. ثم احتمل إلى مكة فأدى إلى كل ذى مال من قريش ماله وما[١] كان أبضع معه. ثم قال: يا معشر قريش، هل بقى لأحد منكم عندى مال لم يأخذه؟ قالوا: لا، فجزاك الله خيرًا، فقد وجدناك وفيًا كريمًا. قال إنى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، والله ما منعنى من الإسلام عنده إلا تخوفى أن تظنوا أنى إنما أردت أن آكل أموالكم، فلما أداها الله سبحانه إليكم وفرغت منها أسلمت.

ثم خرج حتى قدم على رسول الله ﷺ[٢].

قال ابن إسحاق: فحدثنى داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: رد النبى ﷺ إليه زينب على النكاح الأول لم يحدث شيئًا[٣] [بعد ست سنين][٤].

قال ابن هشام: وحدثنى أبو عبيدة أن أبا العاص بن الربيع لما قدم من الشام ومعه أموال المشركين قيل له: هل لك أن تسلم وتأخذ هذه الأموال؛ فإنما هى أموال المشركين؟ فقال أبو العاص: بئسما أبدأ به إسلامى أن أخون أمانتى[٥].

قال فى المواهب: ردها له عليه الصلاة والسلام بالنكاح الأول بعد سنتين[٦]، وقيل: بعد ست سنين، وقيل: قبل انقضاء العدة فيما ذكره ابن عقبة، وفى حديث

---

(١) في السيرة: ومن.

(٢) ينظر السيرة النبوية (٢/ ٢٩٩)، وتاريخ الطبري (٢/ ٤٧١).

(٣) أخرجه أبو داود (٢/ ٢٧٢) كتاب النكاح باب إلى متى ترد عليه امرأته إذا أسلم بعدها حديث (٢٢٤٠)، والترمذي (٣/ ٤٣٩)، كتاب النكاح باب ماجاء في الزوجين المشركين يسلم أحدهما حديث (١١٤٣)، وابن ماجه (١/ ٦٤٧)، كتاب النكاح باب الزوجين يسلم أحدهما قبل الآخر حديث (٢٠٠٩) والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٢/ ١٤٩) وابن سعد في الطبقات (٨/ ٢١) والحاكم (٢/ ٢٠٠) (٣/ ٢٣٧، ٦٣٨-٦٣٩) والبيهقي (٧/ ١٨٧) كلهم من طريق محمد بن إسحاق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس به. وقال الترمذي: هذا حديث ليس بإسناده بأس ولكن لا نعرف وجه هذا الحديث ولعله قد جاء هذا من قبل داود بن حصين من قبل حفظه وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٤) المثبت من السيرة.

(٥) ينظر السيرة النبوية (٢/ ٣٠٠).

(٦) هذا القول ضعيف وهو قول ابن منده كما في «أسد الغابة» (٦/ ١٨٣) وقد تعقب هذا القول ابن الأثير فقال: قول ابن منده: فإن النبي ﷺ رد زينب بعد سنتين ليس بشيء فإن أبا العاص أرسلها بعد بدر وكانت بدر في السنة الثانية وأسلم أبو العاص قبيل الفتح أول السنة الثامنة فيكون نحو ست سنين، فقوله «سنتين» ليس بشيء. أهـ

عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: ردها له بنكاح جديد سنة سبع من الهجرة[١].

ماتت زينب بنت رسول الله ﷺ فى أول سنة ثمان من الهجرة فغسلتها أم أيمن وسودة بنت زمعة وأم سلمة، وصلى عليها عليه الصلاة والسلام، ونزل فى قبرها ومعه أبو العاص وجعل لها نعشًا، فكانت أول من اتخذ لها ذلك[٢].

وعن أبى عمر: لما دفن عليه الصلاة والسلام ابنته زينب جلس عند القبر، فتربد وجهه ثم سرِّى عنه، فسئل عن ذلك، فقال: ذكرت ابنتى زينب وضعفها وعذاب القبر؛ فدعوت الله ففرج عنها. وايم الله لقد ضمت ضمة سمعها ما بين الخافقين. أخرجه سعيد بن منصور فى سننه[٣]. وروى الطبرانى عن رجال الصحيح عن عروة ابن الزبير: أن زينب لم تزل وجعة مما وقع من الإسقاط بسبب فعل هبار بن الأسود حتى ماتت، فكانوا يرون أنها شهيدة[٤].

وَلدت زينب من أبى العاص غلامًا يقال له: علي، توفى وقد ناهز الحلم، وكان رديف رسول الله ﷺ على ناقته يوم الفتح، ومات فى حياته عليه الصلاة والسلام. وولدت له جارية يقال لها: أمامة، أخت على المذكور، تزوجها على بن أبى طالب بعد موت السيدة فاطمة بوصية منها، ولم تلد له، وقيل: ولدت له محمدًا وعليه كثيرون، وقتل عنها[٥].

وكان عليه الصلاة والسلام يحب أمامة هذه، وكان يحملها على عاتقه فى

(١) أخرجه الترمذي (٣/ ٤٣٨-٤٣٩) كتاب النكاح باب ماجاء في الزوجين المشركين يسلم أحدهما حديث (١١٤٢) وابن ماجه (١/ ٦٤٧) كتاب النكاح: باب الزوجين يسلم أحدهما قبل الآخر حديث (٢٠١٠)، وأحمد (٢/ ٢٠٧-٢٠٨)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٢/ ١٥٠) والحاكم (٣/ ٦٣٩) وابن سعد (٨/ ٢١)، والبيهقي (٧/ ١٨٨) كلهم من طريق الحجاج بن أرطأة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده به. وقال الترمذي: هذا حديث في إسناده مقال.

(٢) ينظر: الاستيعاب (٣٣٩٤) وأسد الغابة (٦٩٦٤)، والإصابة (١١٢٣٨)، وسبل الهدي (١١/ ٣١)، ومجمع الزوائد (٩/ ٢١٥-٢١٦).

(٣) ينظر: الاستيعاب (٣٤٠٦).

(٤) ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٢١٩) وقال: رواه الطبراني وهو مرسل ورجاله رجال الصحيح.

(٥) ينظر سبل الهدى والرشاد (١١/ ٣١). أما ما يتعلق بعلي بن أبي العاص فقد ذكره الزبير بن بكار عن عمر بن أبي بكر الموصلي وذكره الهيثمي في «المجمع» (٩/ ٢١٥) وقال: رواه الطبراني وعمر بن أبي بكر متروك.

الصلاة، فإذا ركع وضعها، وإذا رفع رأسه من السجود أعادها[١].

وروى الإمام أحمد وأبو يعلى والطبرانى، عن عائشة رضى الله عنها، قالت: وأهدى لرسول الله ﷺ قلادة من جَزع معلمات بالذهب، ونساؤه مجتمعات فى بيت كلهن، وأمامة بنت أبى العاص جارية تلعب فى جانب البيت بالتراب، فقال رسول الله ﷺ: كيف ترين هذه ؟ فنظرنا إليها فقلنا: يا رسول الله، ما رأينا أحسن من هذه قط ولا أعجب. فقال: اردُدنها إلىّ، فو الله لأضعنها فى رقبة أحبّ أهل البيت إلىّ. قالت عائشة: فأظلمت علىّ الأرض بينى وبينه؛ خشية أن يضعها فى رقبة غيرى منهن، ولا أراهن إلا أصابهن مثل الذى أصابنى، ووجمنا جميعًا سكوتًا، فأقبل بها حتى وضعها فى رقبة أمامة بنت أبى العاص، فسرّى عنا[٢].

وكان تزوجها على بن أبى طالب - كما تقدم - من الزبير بن العوام؛ لأنه كان أبوها أبو العاص أوصى بها إلى الزبير، فكان وصيه عليها، فزوجها بعلى رضى الله عنهما. فلما قتل على رضى الله عنه وكرم وجهه تزوجها المغيرة بن نوفل بن الحارث ابن عبد المطلب، وكان علىّ قد أمره بذلك بعده؛ لأنه خاف أن يتزوجها معاوية. وولدت له يحيى وبه كان يكنى، وقيل لم تلد فلا عقب لزينب، وماتت عنده سنة خمسين من الهجرة. روى أن عليًا رضى الله عنه قال لها حين حضرته الوفاة: إنى لا

(١) أخرجه البخاري (١/ ٧٠٣) كتاب الصلاة باب إذا حمل جارية صغيرة على عنقه في الصلاة حديث (٥١٦)، ومسلم (٣/ ٣٥-نووي) كتاب المساجد باب جواز حمل الصبيان في الصلاة وأن ثيابهم محمولة على الطهارة حديث (٤١/ ٥٤٣)، ومالك في « الموطأ » (١/ ١٧٠) كتاب قصر الصلاة في السفر حديث (٨١)، وأبو داود (١/ ٣٠٤)كتاب الصلاة باب العمل في الصلاة حديث (٩١٧) والنسائي (٢/ ٤٥-٤٦) كتاب المساجد باب إدخال الصبيان المساجد حديث (٧١١)، (٢/ ٩٥-٩٦) كتاب الإمامة باب ما يجوز للإمام من العمل في الصلاة حديث (٨٢٧)، والدارمي (١/ ٣١٦) كتاب الصلاة باب العمل في الصلاة والحميدي في « مسنده » (١/ ٢٠٣) رقم (٤٢٢)، وأبو عوانه (٢/ ١٥٤) وأحمد (٥/ ٢٩٥، ٢٩٦، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣١٠، ٣١١)، وابن خزيمة (٢/ ٤١) رقم (٨٦٨)، والبيهقي (٢/ ١٦٢-١٦٣) والبغوي في « شرح السنة » (٢/ ٣٢٢-بتحقيقنا) كلهم من طريق عمرو بن سليم الزرقي عن أبي قتادة أن رسول الله ﷺ كان يصلي وهو حامل أمامة بنت زينب بنت رسول الله ﷺ لأبي العاص بن الربيع بن عبد شمس فإذا سجد وضعها وإذا قام حملها.

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ١٠١)، وابن عبد البر في « الاستيعاب » (٤/ ٣٥١)، وذكره الهيثمي في « المجمع » (٩/ ٢٥٧) وقال: رواه الطبراني واللفظ له وأحمد باختصار وأبو يعلى وإسناد أحمد وأبي يعلى حسن.

آمن أن يخطبك معاوية؛ فإن كان لك فى الرجال حاجة فقد رضيت لك المغيرة بن نوفل عشيرًا.

فلما انقضت عدتها كتب معاوية إلى مروان يأمره أن يخطبها ويبذل لها مائة ألف دينار، فلما خطبها أرسلت إلى المغيرة بن نوفل: إن هذا - تعنى معاوية - أرسل يخطبنى؛ فإن كان لك بنا حاجة فأقبل. وخطبها إلى الحسن بن على فزوجها منه[(١)]. خرج ذلك أبو عمر. وذكر الدولابي: أن عليًا لما أصيب وأرسل معاوية إلى مروان يخطبها له، قال لها المغيرة: اجعلى أمرك إلىَّ فأنا خير لك منه، ففعلت، فدعا رجالاً فقال: اشهدوا أنى قد تزوجتها وأصدقتها كذا وكذا[(٢)]. وعاش بعد زينب زوجها أبو العاص وتزوج بنت سعيد بن العاص إلى أن هلك بالمدينة فى خلافة عثمان، وأوصى إلى الزبير بن العوام كما تقدم. رضى الله عنهم أجمعين.

ذكر السيدة رقية بنت رسول الله ﷺ: ولدت لرسول الله ﷺ وعمره ثلاث وثلاثون سنة، وسماها رقية، وأسلمت حين أسلمت أمها خديجة، وبايعته حين بايعه النساء[(٣)].

قال قتادة بن دعامة ومصعب بن الزبير فيما رواه ابن أبى خيثمة عنهما: كانت رقية تحت عتبة بن أبى لهب، وأم كلثوم تحت عتيبة، فلما نزلت سورة « تبت » قال لهما أبوهما: رأسى من رأسكما حرام إن لم تفارقا ابنتى محمد، ففارقاهما ولم يكونا [قد] دخلا بهما؛ كرامة من الله لهما وهوانًا لابنى أبى لهب. فتزوج رقية عثمان بن عفان، وهاجر بها الهجرتين إلى الحبشة والمدينة، وتوفيت عنده. وكان زواجه بها فى الجاهلية. قاله الدولابى. والذى ذكره غيره أنه كان بعد إسلامه[(٤)].

وعن عائشة رضى الله عنها: أتت قريش عتبة بن أبى لهب فقالوا: طلق ابنة محمد، ونحن نزوجك أى امرأة شئت، فقال: إن زوجتمونى ابنة أبان بن سعيد بن العاص فارقتها. فزوجوه ففارقها[(٥)]. وقد تقدم فى ذكر الأعمام كيفية هجرتها مع زوجها عثمان

---

(١) ينظر الاستيعاب (٤/ ٣٥١-٣٥٢)، والإصابة (١٠٨٢٨)، وسبل الهدى والرشاد (١١/ ٣٢).

(٢) ينظر: المصادر السابقة.

(٣) ينظر: سبل الهدى والرشاد (١١/ ٣٣)

(٤) ينظر: الاستيعاب (٤/ ٣٩٩)، وأسد الغابة (٧/ ١١٥)، والإصابة (٨/ ١٣٨)، وسبل الهدى (١١/ ٣٣).

(٥) تقدم تخريجه.

إلى الحبشة، وسؤال النبى ﷺ عنها المرأة من قريش كيف رأتها، وقوله عليه الصلاة والسلام: صحبهما الله، إن كان عثمان لأول من هاجر إلى الله بأهله بعد لوط[١].

وكانت رقية ذات جمال رائع فكان يقال: أحسن زوج رآه إنسان مع زوجها. قال محمد بن قدامة: روينا أن فتيان أهل الحبشة كانوا يعرضون لرقية ينظرون إليها ويتعجبون من جمالها، فآذاها ذلك، فدعت عليهم فهلكوا جميعًا[٢].

عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: « إن الله أوحى إلىَّ أن أزوج كريمتى عثمان بن عفان ». خرجه الطبرانى فى معجمه[٣].

قال مصعب الزبيرى: توفيت رقية عند عثمان بالمدينة، والنبى ﷺ فى غزوة بدر الكبرى، وتخلف عثمان بسبب مرضها عن غزوة بدر فلم يشهدها، وكان تخلفه بأمر رسول الله ﷺ، وضرب له بسهمه وأجره[٤]. عن ابن شهاب: أن مرضها هو أنه أصابتها الحصبة فمرضت، وماتت بالمدينة سنة اثنتين من الهجرة، وجاء بشيره ﷺ إلى المدينة بنصرة بدر - وهو زيد بن حارثة - وعثمان قائم على قبر رقية قد نفض هو ومن معه أيديهم من دفنها[٥].

وعن ابن عباس رضى الله عنهما: لما عُزِّى عليه الصلاة والسلام برقية قال: « الحمد لله، دفنُ البنات من المكرمات »[٦].

ولدت رقية لعثمان ولدًا بالحبشة سماه عبد الله. قال مصعب: بلغ ست سنين، وقيل: سنتين، فنقره فى عينه ديك فورم وجهه ومرض فمات، وصلى عليه رسول الله ﷺ، ونزل أبوه عثمان فى حفرته. وقيل: إنه مات وهو رضيع. وقال قتادة: لم

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) ينظر: سبل الهدى والرشاد (١١/ ٣٣-٣٤).

(٣) أخرجه الطبراني في « الصغير » (١/ ١٤٨) وفي الأوسط (٣٥٠١)، وابن عدي في « الكامل » (٥/ ٧٠) من طريق عمير بن عمران الحنفي ثنا ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس وقال الطبراني: لم يروه عن ابن جريج إلا عمير تفرد به محمد بن حرب وذكره الهيثمي في « المجمع » (٩/ ٨٦) وقال: رواه الطبراني في الصغير والأوسط وفيه عمير بن عمران الحنفي وهو ضعيف بهذا الحديث وغيره.

(٤) ينظر سبل الهدى والرشاد (١١/ ٣٤).

(٥) ذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٩/ ٢٢٠) وقال: رواه الطبراني وهو مرسل ورجاله ثقات وينظر سبل الهدى والرشاد (١١/ ٣٤-٣٥).

(٦) أخرجه الطبراني في « الكبير » (١١/ ٣٧٦) وفي الأوسط (٢٢٦٣) وفي « مسند الشاميين » =

تلد رقية لعثمان شيئًا، وغلطوه، والأول أصح كما تقدم، رضى الله عنهما[١].

ذكر السيدة أم كلثوم رضى الله عنها: هى أكبر من فاطمة، سماها - عليه الصلاة والسلام - أم كلثوم ولم يعرف لها اسم؛ إنما تعرف بكنيتها. أسلمت حين أسلم أخواتها، وبايعت معهن، وهاجرت حين هاجر رسول الله ﷺ. فلما توفيت رقية تزوجها عثمان بن عفان فى ربيع الأول سنة ثلاث من الهجرة، وبنى بها فى جمادى الآخرة[٢].

وروى ابن عساكر عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أتانى جبريل فقال: إن الله يأمرك أن تزوج عثمان أم كلثوم على مثل صداق رقية وعلى مثل صحبتها.

وقد تقدم قبل هذا أنها كانت تحت عتيبة بن أبى لهب، ثم فارقها قبل دخوله بها فخلف عليها عثمان بن عفان بعد موت أختها رقية[٣].

وعن قتادة أن عتيبة فارق أم كلثوم، ثم جاء إلى النبى ﷺ فقال: كفرت بدينك وفارقت ابنتك، لا تحبنى ولا أحبك. ثم سطا عليه وشق قميصه وتفل، فرجع التفل فى وجه التافل فاحترق مكانه فى وجهه، وكان خارجًا إلى الشام تاجرًا فقال عليه الصلاة والسلام: اللهم سلط عليه كلبًا من كلابك. فأكله السبع[٤]. والقصة قد

= (٢٤٠٨) والبزار (٧٩٠) وابن عبد البر في « الاستيعاب » (٤٠١/٤) والخطيب في « تاريخه » (٥٧/٥)، والقضاعي في « مسند الشهاب » (٢٥٠) من طريق عراك بن خالد عن عثمان بن عطاء عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس. وقال الطبراني: لا يروي عن النبي ﷺ إلا بهذا الإسناد والحديث أورده ابن الجوزي في « الموضوعات » (٣/ ٢٣٦-٢٣٧) وينظر « الضعيفة » (١٨٥، ١٨٦).

(١) ينظر سبل الهدى والرشاد (١١/ ٣٥). وأسد الغابة (٧/ ١١٥).

(٢) ينظر سبل الهدى والرشاد (١١/ ٣٦).

(٣) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١/ ١٢٧) من حديث أبي هريرة.

(٤) أخرجه الطبراني في « الكبير » (٢٢/ ٤٣٥) رقم (١٠٦٠)، والبيهقي في « الدلائل » (٢/ ٣٣٨-٣٣٩) عن قتادة مرسلاً وذكره الهيثمي في « المجمع » (٦/ ٢٢) وقال: رواه الطبراني هكذا مرسلاً وفيه زهير بن العلاء وهو ضعيف وله طرق أخرى عن قتادة أخرجه عبد الرزاق في « تفسيره » (٣/ ٢٥٠)، والطبري في « تفسيره » (٢٧/ ٤٠-٤١)، وأبو نعيم في الدلائل (٣٠٥) من طرق عن قتادة به. وللحديث شاهد موصول أخرجه الحاكم (٢/ ٥٣٩)، والبيهقي في « الدلائل » (٢/ ٣٣٨) من طريق عباس بن الفضل الأزرق ثنا الأسود بن شيبان ثنا أبو نوفل بن أبي عقرب عن أبيه به وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه وضعفه =

تقدمت فى ذكر أعمامه عليه الصلاة والسلام بما أغنى عن الإعادة هنا.

قال فى الخميس: روي عن سعيد بن المسيب قال: آم عثمان بن عفان رضى الله عنه من رقية بنت رسول الله ﷺ، وآمت حفصة بنت عمر من زوجها خنيس بن حذافة السهمى، فمر عثمان بعمر رضي الله عنهما، فقال عمر له: هل لك فى حفصة؟ فلم يجب. فذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فقال ﷺ: هل أدلك على خير من ذلك ؟ أتزوج أنا حفصة، وأزوج عثمان خيرًا منها أم كلثوم. خرجه أبو عمر، ثم قال: حديث صحيح[(١)].

وإنما كان امتناع عثمان رضى الله عنه؛ لأنه سمع أنه عليه الصلاة والسلام يذكر حفصة.

وعن عائشة رضى الله عنها قالت. كان رسول الله ﷺ يقول: أتانى جبريل فأمرنى أن أزوج عثمان ابنتى. وقالت عائشة فى ذلك: كُنْ لما لا ترجو، أرجى منك لما ترجو؛ فإن موسى عليه الصلاة والسلام خرج يلتمس نارًا، فرجع بالنبوة. خرجه إلى الحسن أبو نعيم البصرى. قلت: عقد هذا الأثر عن عائشة بعض الأدباء شعرًا فى أبيات أربعة هي قوله: [من الخفيف]

كُنْ لِمَا لا يُرْجَى مِنَ الْأَمْرِ أَرْجَى ... مِنْكَ يَوْمًا لِمَا لَهُ أَنْتَ رَاجِى
إِنَّ مُوسَى مَضَى لِيَقْبِسَ نَارًا ... مِنْ شِهَابٍ يَلُوحُ وَاللَّيْلُ دَاجِى
فَانْثَنَى رَاجِعًا وَقَدْ كَلَّمَ اللـ ... ـهَ وَنَاجَاهُ، وَهْوَ خَيْرُ مُنَاجِى
وَكَذَا الْكَرْبُ حِينَ يَشْتَدُّ بِالمَرْ ... ءِ فَأَدْنَى لِسُرْعَةِ الإِنْفِرَاجِ

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال عثمان: لما ماتت امرأتى، رقية بنت رسول الله ﷺ بكيت بكاء شديدًا، فقال عليه الصلاة والسلام: « ما يبكيك ؟ قلت: أبكى على انقطاع صهرى منك. قال: فهذا جبريل يأمرنى بأمر الله أن أزوجك أختها. والذى نفسى بيده، لو أن عندى مائة بنت يمتن واحدة بعد واحدة زوجتك أخرى حتى لا يبقى بعد المائة شىء. هذا جبريل أخبرنى أن الله يأمرنى أن أزوجك أختها، وأن أجعل صداقها مثل صداق أختها ». أخرجه الفضائلى الرازى[(٢)].

= البيهقي والعباس بن الفضل كذاب وينظر سؤالات ابن الجنيد (٢٠٩).

(١) ينظر الاستيعاب (٤/ ٣٧٣)، وقد تقدم في أزواج النبي ﷺ.

(٢) ذكره الهندي في « كنز العمال » (٣٦٢٠٦)، وعزاه إلى ابن عساكر.

ماتت أم كلثوم سنة تسع من الهجرة، وصلى عليها أبوها ﷺ، وغسلتها أسماء بنت عميس وصفية بنت عبد المطلب، وشهدت أم عطية غسلها، فروت قوله عليه الصلاة والسلام: « اغسليها ثلاثًا أو خمسًا أو سبعًا أو أكثر من ذلك - إن رأيتن ذلك - بماء وسدر، واجعلن فى الآخرة كافورًا أو شيئًا من كافور، فإذا فرغتن آذنني ». فلما فرغنا آذناه، فألقى إلينا حقوه وقال: أشعرنها إياه. قالت: ومشطناها ثلاثة قرون، وألقيناها خلفها. وعنها: أنه ﷺ قال: « ابدأن بميامنها ومواضع السجود منها »[(١)].

وعن ليلى بنت قائف الثقفية قالت: كنت ممن غسل أم كلثوم، فكان أول ما أعطانا عليه الصلاة والسلام الحقو، ثم الدرع، ثم الخمار، ثم الملحفة، ثم أدرجت فى الثوب الآخر قالت: ورسول الله ﷺ جالس على الباب معه كفنها، فناولنا ثوبًا ثوبًا[(٢)]. خرجه الدولابى.

وعن أنس: شهدنا مدفن بنت رسول الله ﷺ أم كلثوم ورسول الله ﷺ جالس على شفير القبر، فرأيت عينيه تدمعان، فقال: هل فيكم من أحد لم يقارف الليلة أهله؟ فقال أبو طلحة: أنا يا رسول الله. فقال: « انزل فى قبرها ». فنزل[(٣)]. خرجه

---

(١) أخرجه مالك (١/ ٢٢٢) كتاب الجنائز باب غسل الميت، الحديث (٢) والشافعي في المسند (١/ ٢٠٣) كتاب الصلاة باب في صلاة الجنائز، الحديث (٥٦٠)، وأحمد (٦/ ٤٠٧)، والبخاري (٣/ ١٢٥) كتاب الجنائز باب غسل الميت، الحديث (١٢٥٣)، ومسلم (٢/ ٦٤٦) كتاب الجنائز باب غسل الميت، الحديث (٣٦/ ٩٣٩)، وأبو داود (٣/ ٥٠٣) كتاب الجنائز باب كيف غسل الميت، الحديث (٣١٤٢)، والترمذي (٣/ ٣١٥) كتاب الجنائز باب ماجاء في غسل الميت، الحديث (٩٩٠)، والنسائي (٤/ ٢٨) كتاب الجنائز باب غسل الميت بالماء والسدر، وابن ماجه (١/ ٤٦٨) كتاب الجنائز باب ماجاء في غسل الميت، الحديث (١٤٥٨)، والحميدي (١/ ١٧٤) رقم (٣٦٠) والبيهقي (٤/ ٤)، والبغوي في « شرح السنة » (٣/ ٢٢١) عن أم عطية به وقال الترمذي: حديث أم عطية حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه أبو داود (٣/ ٥٠٩-٥١٠) كتاب الجنائز باب في كفن المرأة، الحديث (٣١٥٧)، وأحمد (٦/ ٣٨٠) وقال المنذرى في مختصر سنن أبي داود (٤/ ٣٠٤) الصحيح أن هذه القصة في زينب لأن أم كلثوم توفيت ورسول الله ﷺ غائب ببدر.

(٣) أخرجه البخاري (٣/ ٤٩٦) كتاب الجنائز باب قول النبي ﷺ: « يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه » حديث (١٢٨٥)، وأحمد (٣/ ١٢٦، ٢٢٨)، والترمذي في « الشمائل المحمدية » رقم (٣٢٨)، والطيالسي (٢١١٦)، والطحاوي في « مشكل الآثار » =

البخارى. وروى أنه نزل فى حفرتها على والفضل بن عباس وأسامة بن زيد، وأن أبا طلحة استأذنه عليه الصلاة والسلام فى النزول معهم فأذن له[١]، ذكره أبو عمر. ولا تضاد بين هذا وما قبله المخرج فى البخارى؛ إذ يجوز أن يكون استأذن أولا فقال عليه الصلاة والسلام ذلك ليثبت لأبى طلحة موجب اختصاصه بالنزول. وقد رويت هذه القصة فى رقية وهو وهم؛ فإن النبى ﷺ لم يكن حال دفن رقية حاضرًا، بل كان فى غزوة بدر كما تقدم، وإنما كان حاضرًا فى وفاة هذه أم كلثوم ودفنها.

قال السهيلى فى شرح سيرة ابن هشام[٢]: ما الحكمة فى قول النبى ﷺ لما دفن ابنته أم كلثوم: أيكم لم يقارف الليلة أهله ؟ فقال أبو طلحة: أنا، وقد كان عثمان أحق بذلك منه؛ لأنه كان بعلها ؟ قال ابن بطال: أراد النبى ﷺ أن يحرم عثمان النزول فى قبرها، وقد كان أحق الناس بذلك لأنه كان بعلها [وفقد منهم علقاً لا عوض له][٣]؛ لأنه حين قال النبى ﷺ أيكم لم يقارف الليلة أهله سكت عثمان ولم يقل أنا؛ لأنه كان قد قارف ليلة ماتت بعض نسائه، ولم يشغله الهم بالمصيبة وانقطاع صهره من النبى ﷺ عن المقارفة؛ فحرم بذلك ما كان حقًّا له، وكان أولى به من أبى طلحة وغيره، وهذا بين فى معنى الحديث، ولعله عليه الصلاة والسلام قد كان علم ذلك بالوحى فلم يقل له شيئًا؛ لأنه فعل فعلاً حلالاً، غير أن المصيبة لم تبلغ منه مبلغًا يشغله حتى حرم ما حرم من ذلك بتعريض غير تصريح، ولم يكن لعثمان رضى الله عنه من أم كلثوم شىء من الولد رضى الله عنها[٤].

ذكر السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ: قال فى « الصفوة »: ولدت فاطمة وقريش تبنى الكعبة قبل النبوة بخمس سنين، وهى أصغر بناته ﷺ، وولدت الحسن ولها إحدى وعشرون سنة، بعد الهجرة بثلاث سنين[٥]، وقال أبو عمر

= (٣/ ٢٠٤)، والحاكم (٤/ ٤٧)، والبيهقي (٤/ ٥٣) من طريق هلال بن علي عن أنس وأحمد (٣/ ٢٢٩، ٢٧٠)، والطحاوي في « المشكل » (٣/ ٢٠٢) من طريق حماد عن ثابت عن أنس. وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(١) ينظر الاستيعاب (٤/ ٥٠٧)، والإصابة (٨/ ٤٦٠).

(٢) ينظر الروض الأنف (٣/ ١٢٧-١٢٨).

(٣) المثبت من الروض الأنف.

(٤) ينظر الإصابة (٨/ ٤٦٠).

(٥) هذا قول الواقدي أيضًا وبه جزم المدائني وينظر سبل الهدى والرشاد (١١/ ٣٧).

ولدت فاطمة سنة إحدى وأربعين من مولده عليه الصلاة والسلام[١]. وهو مغاير لما تقدم من رواية ابن إسحاق من أن أولاده عليه الصلاة والسلام كلهم ولدوا قبل النبوة إلا إبراهيم بالاتفاق، وإلا عبد الله على قول ادعى قائله أن ذلك سبب تلقيبه بالطيب الطاهر[٢].

روى مرفوعًا: إنما سميت فاطمة لأن الله تعالى قد فطمها وذريتها من النار[٣]. أخرجه الحافظ الدمشقي. وروى النسائي: لأن الله فطمها ومحبيها من النار[٤]. وسميت بتولاً _ والبتل: القطع - لانقطاعها عن نساء زمانها فضلاً ودينًا وحسنًا، وقيل: لانقطاعها عن الدنيا إلى الله سبحانه وتعالى، وكذا قاله ابن الأثير[٥].

وعن أبى جعفر قال: دخل العباس على عليّ وفاطمة رضى الله عنهم، وأحدهما يقول للآخر أينا أكبر؟ فقال العباس: ولدتَ أنت ياعلى قبل بناءِ قريشٍ البيتَ بسنوات، وولدتِ أنت يا فاطمة وقريش تبنى البيت، ورسول الله ﷺ ابن خمس وثلاثين سنة، قبل النبوة بخمس سنين[٦]. أخرجه الدولابي.

وكان عليه الصلاة والسلام يحب فاطمة حبًا شديدًا، فتزوجت بعلى رضى الله عنه فى السنة الثالثة من الهجرة، وقيل: بعد أحد[٧]، وقيل: بعد بنائه عليه الصلاة

---

(١) ينظر الاستيعاب (٤/ ٤٤٨).

(٢) ينظر سبل الهدى والرشاد (١١/ ٣٧).

(٣) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (١٢/ ٣٣١) ومن طريقه ابن الجوزي في « الموضوعات » (١/ ٤٢١) من حديث ابن عباس وقال الخطيب: في إسناد هذا الحديث من المجهولين غير واحد وليس بثابت وينظر: اللالئ المصنوعة (١/ ٤٠٠)، وتنزيه الشريعة (١/ ٤١٢-٤١٣).

(٤) أخرجه ابن الجوزي في « الموضوعات » (١/ ٤٢١) وقال: هذا عمل الغلابي وقد ذكرنا عن الدارقطني أنه كان يضع الحديث وينظر: اللالئ المصنوعة (١/ ٤٠٠) وقال ابن عراق في « التنزيه » (١/ ٤١٣) وفيه أيضًا بشر بن إبراهيم الأنصاري. قلت: قال ابن حبان وغيره: كان يضع الحديث وهذا الحديث لم أره عند النسائي.

(٥) ينظر: النهاية في غريب الحديث (١/ ٩٤) (بتل).

(٦) أخرجه الواقدي من طريق أبي جعفر الباقر والدولابي في « الذرية الطاهرة » أيضا وجزم بذلك المدائني وينظر: الإصابة (٨/ ٢٦٣).

(٧) وهذا القول مستبعد فقد قال الحافظ في « الإصابة » (٨/ ٢٦٤): وفي الصحيح عن على قصة الشارفين لما ذبحهما حمزة وكان عليّ أراد أن يبني بفاطمة فهذا يدفع قول من زعم أن تزويجه بها كان بعد أحد، فإن حمزة قتل بأحد.

والسلام بعائشة بأربعة أشهر ونصف[١]، وكان العقد في رجب، وقيل: في رمضان، وقيل: تزوج بها في صفر من السنة الثانية من الهجرة وبنى بها في ذي الحجة من السنة المذكورة، وكان سنها حال تزويجها خمس عشرة سنة وخمسة أشهر ونصف، وسن علي رضي الله عنه إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر، وقيل غير ذلك. ولم يتزوج عليها رضي الله عنها حتى ماتت[٢].

عن أنس رضي الله عنه قال: جاء أبو بكر ثم عمر يخطبان فاطمة إلى النبي ﷺ، فسكت ولم يرجع إليهما شيئًا. فانطلقا إلى عليّ يأمرانه بطلب ذلك، قال علي: فنبهاني لأمر، فقمت أجر ردائي[٣]. كذا في المواهب. وفي سيرة الشامي[٤]: روى الطبراني وابن أبي خيثمة وابن حبان في صحيحه من طريق يحيى بن يعلى الأسلمي، والبزار من طريق محمد بن ثابت بن أسلم - وهما ضعيفان - عن أنس بن مالك، وابن أبي خيثمة والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال ابن ثابت: إن عمر ابن الخطاب أتى أبا بكر فقال: ما يمنعك أن تتزوج فاطمة بنت محمد رسول الله ﷺ؟ قال: لا يزوجني، قال: إذا لم يزوجك فمن يزوج؟ إنك من أكرم الناس عليه وأقدمهم في الإسلام. قال: فانطلق أبو بكر إلى بيت عائشة فقال: يا عائشة، إذا رأيت من رسول الله ﷺ طيب نفس وإقبالاً عليك فاذكري له أني ذكرت فاطمة فلعل الله عز وجل أن ييسرها لي. قال فجاء رسول الله ﷺ فرأت منه طيب نفس وإقبالاً فقالت: يا رسول الله، إن أبا بكر ذكر فاطمة وأمرني أن أذكرها، فقال ﷺ: حتى ينزل القضاء. فرجع إليها أبو بكر فقالت: يا أبتاه، وددت أني لم أذكر له الذي ذكرت.

وقال يحيى: إن أبا بكر رضي الله عنه جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يارسول الله، لقد عرفت مني[٥] صحبتي وتقدمي في الإسلام، وأني وأني، فقال عليه الصلاة والسلام: وما ذاك؟ قال: تزوجني فاطمة. فسكت عنه أو قال فأعرض عنه. فرجع أبو بكر إلى عمر فقال: هلكت وأهلكت. قال عمر رضي الله عنه: وما ذاك؟ قال

(١) ينظر: الاستيعاب (٤/٤٤٨)، والإصابة (٨/٢٦٣)، وسبل الهدى والرشاد (١١/٣٧).
(٢) ينظر: المصادر السابقة.
(٣) ينظر: تخريج الحديث الآتي.
(٤) ينظر سبل الهدى والرشاد (١١/٣٩).
(٥) في ط: من.

أبو بكر: خطبت فاطمة إلى رسول الله ﷺ فأعرض عنى. [وقال ابن ثابت] [(١)] فانطلق عمر إلى حفصة ابنته فقال لها: إذا رأيت من رسول الله ﷺ إقبالاً عليك فاذكرى [له] أنى ذكرت فاطمة، لعل الله أن ييسرها [إليّ]. فلما جاء رسول الله ﷺ إلى حفصة [قالت حفصة][(٢)]: وجدت منه إقبالاً وطيب نفس، فذكرت له أن عمر يذكر فاطمة رضى الله عنها. فقال: حتى ينزل القضاء. وقال ابن ثابت: فأتى عمر رسول الله ﷺ فقعد بين يديه فقال: يارسول الله، قد علمت [منِّي] صحبتي وقدمي فى الإسلام وأني وأني. قال: وما ذاك ؟ قال: تزوجنى فاطمة. فأعرض عنه. فرجع [عمر] [(٣)] إلى أبى بكر فقال له أبو بكر: إنه ينتظر أمر الله تعالى فيها

فانطلق عمر إلى على رضى الله عنه. وقال يحيى بن يعلى: إن أبا بكر وعمر قالا: انطلق بنا إلى على حتى نأمره أن يطلب منه مثل الذى طلبنا. فقال على: فأتيانى وأنا فى سبيل، فقالا: ابنة عمك تخطب. فنبهانى لأمر، فقمت أجرُّ ردائى، طرف على عاتقى وطرف آخر فى الأرض، حتى أتيت رسول الله ﷺ. وقال بن ثابت: ولم يكن لعلي مثل عائشة ولا مثل حفصة، فلقى رسول الله ﷺ. [فقال: إني أريد أن أتزوج فاطمة، قال: « فافعل ». قال: ما عندي إلا دِرعي الخطمية... الحديث][(٤)].

وفى حديث ابن عباس رضى الله عنهما عند الطبراني من طريق يحيى بن العلاء

---

(١) في ط: قال. والمثبت من السبل.
(٢) سقط في ط. والمثبت من السبل.
(٣) سقط في ط، والمثبت من السبل.
(٤) أخرجه الطبراني في « الكبير » (٢٢/٤٠٨-٤١٠)، وابن حبان (٢٢٢٥-موارد) من طريق يحيى بن يعلى الأسلمي عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس به وهذا إسناد ضعيف لضعف يحيى بن يعلى الأسلمي قال أبو حاتم: كوفي ليس بالقوي ضعيف الحديث وقال البخاري: مضطرب الحديث. وقال ابن حبان: يروى عن الثقات الأشياء المقلوبات وقال الحافظ: أخرج له ابن حبان في صحيحه حديثًا طويلًا في تزويج فاطمة فيه نكارة ينظر: الجرح والتعديل (١٩٦/٩)، الضعفاء الكبير (٤/ ٤٣٥)، وتهذيب التهذيب (١١/ ٣٠٤).
وأخرجه البزار (٢/ ١٥٣-١٥٥) رقم (١٤٠٩) من طريق بشار بن محمد ثنا محمد بن ثابت عن أبيه عن أنس. وقال البزار: لا نعلم رواه عن ثابت عن أنس إلا محمد بن ثابت ولا عنه إلا بشار. وذكره الهيثمي في « المجمع » (٩/ ٢٠٩-٢١٠) وقال: رواه البزار وفيه محمد بن ثابت بن أسلم وهو ضعيف، والمثبت من السبل.

قال: كانت فاطمة لرسول الله ﷺ فلا يذكرها أحد إلا صُدَّ عنها حتى يئسوا منها، فلقى سعد بن معاذ عليا رضى الله عنه فقال له: إنى والله ما أرى رسول الله ﷺ يحبسها إلا عليك، فقال له على: هل ترى ذلك ؟ ما أنا بأحد الرجلين، ما أنا بصاحب دنيا يلتمس ماعندى، وقد علم مالى بيضاء ولا صفراء، وما أنا بالكافر الذى يترفق بها عن دينه، يعنى يتألفه. إنى لأول من أسلم. فقال له سعد بن معاذ: إنى أعزم عليك لتقر بها عينى فإن لى فى ذلك فرحًا. قال على رضى الله عنه: أقول ماذا ؟ قال سعد تقول: جئت خاطبًا إلى الله ورسوله فاطمة بنت محمد. فانطلق على رضى الله عنه فعرض للنبى ﷺ وهو ثقيل حضر، فقال له رسول الله ﷺ: كان لك حاجة ياعلى ؟ قال: أجل جئت خاطبًا إلى الله تعالى وإلى رسوله بنت محمد. فقال له: مرحبًا. كلمة ضعيفة. فرجع علىٌ إلى سعد فقال له: قد فعلت الذى أمرتنى به فلم يزد على أن مرحب بى كلمة ضعيفة. فقال سعد: أنكحك رسول الله ﷺ[1].

وفى حديث بريدة عند البزار والطبرانى برجال ثقات غالبهم رجال الصحيح، والنسائى والدولابى: أن نفرًا من الأنصار قالوا لعلى: لو خطبت فاطمة بنت رسول الله ﷺ. وفى لفظ: لو كانت عندك فاطمة. فدخل عليٌّ على النبى ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: ما حاجة ابن أبى طالب ؟ فقال: يا رسول الله، ذكرت فاطمة. فقال رسول الله ﷺ مرحبًا وسهلاً. لم يزده عليهما. فخرج على أولئك الرهط من الأنصار وهم ينتظرونه فقالوا: ما وراءك ؟ قال: لا أدرى غير أنه قال لى: مرحبًا وأهلاً. قالوا: يكفيك من رسول الله ﷺ إحداهما، أعطاك الأهل والرحب[2].

وفى حديث ابن عباس: فقال سعد: أنكحك والذى بعثه بالحق، إنه لا خلف ولا كذب عنده. أعزم عليك لتأتينه غدًا فتقول: يارسول الله، متى تبنينى بأهلي ؟

---

(١) ذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٩/ ٢١٠-٢١٢) وقال: رواه الطبراني وفيه يحيى بن العلاء وهو متروك.

(٢) أخرجه البزار (٢/ ١٥٢-كشف) رقم (١٤٠٧) والنسائي في « السنن الكبرى » (٦/ ٧٢-٧٣) كتاب عمل اليوم والليلة باب ما يقول إذا خطب امرأة وما يقال له حديث (١٠٠٨٨) وابن السني في « عمل اليوم والليلة » (٥٢٩)، والطبراني في « الكبير » (٢/ ٢٠) رقم (١١٥٣) كلهم من طريق عبد الكريم بن سليط عن ابن بريدة عن أبيه. وذكره الهيثمي في « المجمع » (٩/ ٢١٢) وقال: رواه الطبراني والبزار ورجالهما رجال الصحيح غير عبد الكريم بن سليط ووثقه ابن حبان.

فقال على: هذه أشد من الأولى، أَوَلاَ أقول: يارسول الله، حاجتى؟ قال سعد: قل كما أمرتك. فانطلق على فقال: يارسول الله، متى تبنينى بأهلى ؟ قال: الليلة إذا شاء الله[١].

قال فى « التنقيح »: روى عن علي نفسه أنه قال: قالت لي مولاتي: هل علمت أن فاطمة خطبت إلى رسول الله ﷺ ؟ قلت: لا. قالت: خطبت، فما يمنعك أن تأتى رسول الله ﷺ فيزوجك. قلت: ماعندى شيء أتزوج به. قالت: فإنك إن جئته يزوجك فما زالت ترغبنى حتى دخلت عليه - عليه الصلاة والسلام - وكانت له - عليه الصلاة والسلام - جلالة وهيبة، فلما قعدت بين يديه أفحمت، فوالله ما قدرت أتكلم فقال: « ماجاء بك ؟ ألك حاجة ؟ فسكت، فقال: لعلك جئت تخطب فاطمة. قلت: نعم. قال: فهل عندك شيء تستحلها به ؟ فقلت: لا والله. فقال: ما فعلت بالدرع التى أسلحتكها ؟ فقلت: عندى والذى نفسى بيده، إنها الحطمة، ماثمنها إلا أربعمائة درهم. قال: قد زوجتك بها، فابعث إلينا بها فإن كانت لصداق بنت رسول الله ﷺ [٢] . أخرجه ابن إسحاق.

وعن على رضى الله تعالى عنه، قال: كان مما أصبت يوم بدر شارفًا[٣]، وأعطانى رسول الله ﷺ شارفًا أخرى، فكنت آتى عليهما بالآجر فأبيعه وأجمعه لأدفع ما يتحصل من ثمن ذلك فى مهر فاطمة رضى الله عنها، فكانتا معقلتين بالفناء. وكان حمزة رضى الله عنه فى حجرة قريبًا منهما فى شَرب من الأنصار يشربون الخمر قبل تحريمها، وقينتان تغنيانهم، فقالتا فى غنائهما هذه الأبيات:

[من الوافر]

أَلاَ يَا حمزُ لِلشُّرُفِ النِّوَاءِ[٤] وَهُـنَّ مُـعَـقَّـلاَتٌ بِـالـفِـنَـاءِ

---

(١) تقدم تخريج حديث ابن عباس وينظر الحديث قبل السابق.

(٢) أخرجه ابن الأثير في « أسد الغابة » (٧/٢١٦-٢١٧) من طريق ابن إسحاق حدثني عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد عن على.

(٣) الشارف من الدواب: المسن. الوسيط (شرف).

(٤) الشرف: جمع شارف وهو المُسِنّ من النوق، ولا يقال للذكر عند الأكثر، وقيل غير ذلك. النِّواء -بكسر النون والمد مخففًا- جمع ناوية وهى النَّاقة السمينة. وفي هذا البيت كلام للحافظ ابن حجر فليرجع إليه. الفتح (٦/٣١٨، ٣١٩ وما بعدهما).

ضَعِ السكِّينَ فِى اللباتِ مِنْهَا وَخَضِّبْهُنَّ حَمْزَةُ بِالدِّمَاءِ
وَعَجِّلْ مِنْ أَطَايِبِهَا لِشَرْبٍ قَدِيدًا مِنْ طَبِيخٍ أَوْ شِوَاءِ[(١)]

فلما سمع حمزة اخترط سيفه وخرج إلى الشارفين فشق بطنهما وأخرج من أكبادهما، ثم اجتب أسنمتهما وأتى بذلك علي رضى الله عنه، فأتاني الخبر فأتيت، فلما رأيتهما لم أملك عينى، فدخلت إلى النبى ﷺ وعنده رجال من المهاجرين والأنصار فأخبرته، فقام يجر رداءه وقاموا معه، حتى دخل على حمزة وهو ثمل وعيناه جمرتان، فوقف على رأسه وقال: ماهذا الذى فعلته ياحمزة ؟ فصعَّد حمزة النظر فى النبى ﷺ وصوَّبه ثم قال: إن أنتم يابنى عبد المطلب إلا عبيد أبى، فرجع عنه ﷺ، ومشى القهقرى حتى خرج[(٢)].

قلت: لم يكن بكاء على رضى الله تعالى عنه حرصًا منه على الدنيا، حاشاه من ذلك، وإنما هو حزن لتوهم فوات ماهما وسيلة فى تحصيله من تزوجه بفاطمة رضى الله تعالى عنها، ولذا قال رضى الله عنه للنبى ﷺ حين قال: هل عندك شىء تستحلها به ؟ قال: لا والله. هذا والشُّرُف جمع شارف، وهى الناقة الشابة، والنِّواء - بكسر النون مشددة - جمع ناوية، وهى السمينة الممتلئة شحمًا، والنَّىُّ بالفتح: الشحم. قال أبو الطيب فى وصفها: [من الكامل]

فتبيت تُسْئِدُ مُسْئِدًا فِى نَيِّهَا إِسْآدَهَا فِى المَهْمَهِ الإِنْضَاءُ[(٣)]

وهذا البيت مما تدور فيه أفهام الرواة، ولا يشفى داء معناه إلا أطباء النحاة. والله أعلم.

وقال يحيى بن يعلى: فقال رسول الله ﷺ: ماعندك يا على ؟ فقال: فرسى وبدني، ودرعي، يعنى الحطمة. فقال عليه الصلاة والسلام: أما فرسك فلابد لك منه، وأما بدنك فبعها. فبعتها بأربعمائة وثمانين درهمًا. فأتيت بها رسول الله ﷺ، فوضعها فى حجره فقبض منها قبضة فقال: أى بلال، ابتع لنا بها طيبًا، والباقى ادفعه

(١) ينظر: البداية والنهاية (٣/ ٤١٧)، الفتح (٦/ ٣١٩)وما بعدها.
(٢) أخرجه أحمد (١/ ١٤٢)، والبخاري (٦/ ٣١٥) كتاب فرض الخمس باب فرض الخمس حديث (٣٠٩١)، ومسلم (٣/ ١٥٦٨-١٥٧٠) كتاب الأشربة باب تحريم الخمر حديث (١، ٢/ ١٩٧٩)، وأبو داود (٢/ ١٦٤-١٦٦) كتاب الخراج والفىء والإمارة حديث (٢٩٨٦) وابن حبان (٤٥٣٦) والبيهقي في « السنن الكبرى (٦/ ١٥٣، ٣٤١-٣٤٢).
(٣) تسئد: تسير ليلا بلا تعريس والني: الشحم والإنضاء: الإجهاد.

إلى أم أيمن. وقال: يكون فيما يصلح المرأة، وزوَّجها رسول الله ﷺ[(١)].

قال العلامة ابن الجوزى فى تلقيحه: قال أنس بن مالك، خادم رسول الله ﷺ: ثم دعانى النبى ﷺ فقال لى: يا أنس، اخرج فادعُ لى أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبى وقاص، وطلحة، والزبير، وعدة من الأنصار. قال أنس: فدعوتهم، فلما اجتمعوا عنده وأخذوا مجالسهم - وكان علىٌّ غائبًا فى حاجة للنبى ﷺ - فقال النبى ﷺ خاطبًا خطبة العقد: الحمد لله المحمود بنعمته، المعبود بقدرته، المطاع سلطانه، المرهوب من عذابه وسطوته، النافذ أمره فى سمائه وأرضه، الذى خلق الخلق بقدرته، وميزهم بأحكامه، وأعزهم بدينه، وأكرمهم بنبيه محمد ﷺ. إن الله سبحانه، وتبارك اسمه، وتعالت عظمته، جعل المصاهرة نسبًا لاحقًا، وأمدًا مفترضًا، أوشج به الأرحام، وألزم الأنام، فقال عز من قائل: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ [الفرقان: ٥٤] فأمرُ الله تعالى يجرى إلى قضائه، وقضاؤه إلى قدره، ولكل قضاء قدر، ولكل قدر أجل، ولكل أجل كتاب ﴿ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [الرعد: ٣٩] إن الله تعالى أمرنى أن أزوج فاطمة بنت خديجة من على ابن أبى طالب، فاشهدوا أنى قد زوجته على أربعمائة مثقال فضة إن رضى على بذلك. ثم دعا عليه الصلاة والسلام بطبق من بسر فوضع بين أيدينا ثم قال: انتهبوا. فانتهبنا. فبينا نحن ننتهب إذ دخل على رضى الله عنه، فتبسم رسول الله ﷺ فى وجهه ثم قال: إن الله أمرنى أن أزوجك فاطمة بنت محمد على أربعمائة مثقال فضة إن رضيت. فقال على: قد رضيت بذلك يارسول الله[(٢)].

قال فى « المواهب »: والعقد لعلى وهو غائب محمول على أنه كان له وكيل حاضر، أو على أنه لم يرد به العقد بل إظهار ذلك، ثم عقد معه لما حضر، أو على تخصيصه بذلك، جمعًا بينه وبين ماورد مما يدل على اشتراط القبول على الفور. **قلت**: لا حاجة إلى هذا الحمل؛ إذ قد صرح فى الحديث بأن النبى ﷺ أعاد

---

(١) تقدم تخريجه من حديث أنس من طريقين عنه.

(٢) أخرجه ابن الجوزي في « الموضوعات » (١/٤١٧-٤١٨) وقال: هذا حديث موضوع وضعه محمد بن زكريا.

الإيجاب عند حضور على رضى الله عنه بقوله: إن الله زوجك فاطمة بنت محمد إلى آخره، ووقع القبول من عليٍّ على الفور، وهو ما ذكره صاحب المواهب فى الحمل الثانى. والله أعلم.

ثم أمرهم أن يجهزوها، فجعل لها شريط مشرط، ووسادة من أدم حشوها ليف. وروى الإمام أحمد فى « المناقب » عن على رضى الله عنه، قال: جهز رسول الله ﷺ فاطمة فى خميلة وقربة ووسادة من أدم حشوها ليف[1]. وروى أبو بكر بن فارس، عن جابر بن عبد الله الأنصارى، قال: وكان فراش على وفاطمة ليلة عرسهما إهاب كبش[2].

وروى الطبرانى من طريق مسلم بن خالد الزنجى [حدثني جعفر بن محمد عن أبيه] عن جابر رضى الله عنه، قال: حضرنا عرس على بن أبى طالب على فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فما رأينا عرسًا أحسن منه، هيأ لنا رسول الله ﷺ زبيبًا وتمرًا فأكلنا[3]. وروى عن أسماء بنت عميس - بسند ضعيف - قالت: دخلت فاطمة بنت رسول الله ﷺ على درع ممشق بمغرة[4] ونصف قطيفة بيضاء وقدح، وإن كانت تستر بكم درعها ومالها خمار، رضى الله عنها. وقالت - يعنى أسماء - أعطانى رسول الله ﷺ آصعًا من تمر ومن شعير فقال: إذا دخلن عليك نساء الأنصار فأطعميهن منه[5].

وروى الطبرانى من طريق عون بن محمد ابن الحنفية عن أسماء بنت عميس أيضًا قالت: أهديت جدتك فاطمة إلى جدك على رضى الله عنه، فما كان حشو فراشهما

---

(١) أخرجه أحمد في « المناقب » كما في سبل الهدى والرشاد (١١/ ٤١). والخميلة: القطيفة. ينظر الوسيط (خمل).

(٢) ذكره الصالحي في « سبل الهدى والرشاد » (١١/ ٤١).

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط (٦٤٤١) من طريق ميمون بن كلاب ثنا مسلم بن خالد الزنجي حدثني جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر به وقال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن جعفر ابن محمد إلا مسلم بن خالد الزنجي وعبد الله بن ميمون القداح تفرد به عن مسلم بن خالد ميمون بن كليب وقال الهيثمي في « المجمع » (٤/ ٥٣) رواه الطبراني في الأوسط وفيه مسلم بن خالد الزنجي وهو ضعيف وقد وثق.

(٤) المشق: المغرة، وهي الطين الأحمر. الوسيط (مشق).

(٥) ذكره الصالحي في « سبل الهدى والرشاد » (١١/ ٤١-٤٢) وعزاه لأحمد بن منيع.

وسادتهما إلا ليف. ولقد أولم[١] عليها فما كانت وليمة فى ذلك الزمان أفضل من وليمته، رهن درعه عند يهودي بشطر من شعير. ورواه الدولابى عن أسماء بنت عميس: كان وليمتها آصعًا من شعير وتمر وحيس[٢]. وفى حديث ابن عباس: فدعا رسول الله ﷺ بلالاً فقال: يا بلال، إنى قد زوجت ابنتى ابن عمى، وأنا أحب أن يكون من سنَّة أمتى إطعام الطعام عند النكاح، فخذ شاة وأربعة أمداد أو خمسة، فاجعل لى قصعة لعلى أدعو عليها المهاجرين والأنصار، فإذا فرغت منها فآذنى بها. فانطلق ففعل لما أمره به، ثم أتاه بالقصعة فوضعها بين يديه، فطعن رسول الله ﷺ فى رأسها ثم قال: أدخل على الناس دفعة دفعة، فجعل الناس يردون، كلما فرغت دفعة وردت أخرى حتى فرغ الناس، ثم مد رسول الله ﷺ يده إلى ما فضل منها فتفل فيه وبرَّك وقال: يا بلال، احملها إلى أمهاتك وقل لهن يأكلن منها ويطعمن من يعتريهن[٣].

وعند الطبرانى برجال الصحيح فى حديث أسماء بنت عميس، قالت: « لما أهديت فاطمة إلى على - رضى الله عنهما - لم تجد فى بيته إلا رملاً مبسوطًا، أى سعفًا، مرمولاً منسوجًا، ووسادة حشوها ليف وجرة وكوزًا، فجاءت السيدة فاطمة مع أم أيمن، وقعدت فى جانب البيت، وأم أيمن فى جانب، وأرسل عليه الصلاة والسلام لعلى: لا تقرب أهلك حتى آتيك، فجاء عليه الصلاة والسلام فقال: ههنا أخى ؟ فقالت أم أيمن: أخوك وقد زوجته ابنتك ! قال: إنه أخى. فدخل رسول الله ﷺ البيت فقال لفاطمة: ائتنى بماء، فقامت إلى قعب فى البيت فأتت فيه بماء، فأخذه رسول الله ﷺ ومج فيه، ثم قال لها: تقدمى، فتقدمت فنضح بين ثدييها ورأسها وقال: اللهم إنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم. ثم قال رسول الله ﷺ: ائتونى بماء، فعلمت الذى يريد، فملأت القعب ماء فأخذه ومج فيه، وصنع بعلى مثل ماصنع بفاطمة، ثم قال: اللهم بارك فيهما وبارك لهما فى أبنائهما. وفى

---

(١) أخرجه الطبراني في « الكبير » (٢٤/ ١٤٥-١٤٦) رقم (٣٨٣) وذكره الهيثمي في « المجمع » (٤/ ٥٣) وقال: رواه الطبراني في الكبير وفيه عون بن محمد بن الحنفية ولم أجد من ترجمه.

(٢) ذكره الصالحي في « سبل الهدى والرشاد » (١١/ ٤٢) وعزاه للدولابي.

(٣) تقدم تخريجه حديث ابن عباس قريبًا.

لفظ: بارك لهما فى نسلهما. ثم قال: ادخل بأهلك، فباسم الله والبركة ». وفى رواية: فدعا بإناء فسمى، ثم قال فيه ماشاء الله أن يقول، ثم مسح صدر على ووجهه به، ثم دعا فاطمة فقامت إليه تعثر فى مرطها من الحياء، فنضح عليها من ذلك الماء ثم قال لها: أما إنى لم آل أن أنكحتك أحب أهلى إلى. ثم قال: اللهم بارك. . . إلى آخر ما تقدم(١).

وأورد الضياء المقدسى فى صحيحه قال: قالت أسماء بنت عميس: رأى رسول الله ﷺ سوادًا من وراء الستر أو من وراء الباب فقال: من هذا ؟ قلت : أسماء. قال: أسماء بنت عميس ؟ قلت: نعم [يا رسول الله، جئت كرامة لرسول الله ﷺ](٢) إن الفتاة يبنى بها الليلة ولا بد لها من امرأة تكون قريبًا منها إن عرضت لها حاجة أفضت بها إليها. قالت أسماء: فدعا لي بدعاء، إنه لأوثق عملى عندى، ثم قال لعلى: دونك أهلك. ثم خرج، فما زال يدعو لهما حتى توارى فى حجره(٣).

تنبيه: تقدم أن عليًا رضى الله عنه أصدقها درعًا وأنه باع الدرع وأصدقها أربعمائة درهم، قال أبو جعفر: يشبه أن يكون العقد وقع على الدرع كما دل عليه حديث على رضى الله عنه، وبعث بها على ثم ردها رسول الله ﷺ ليبيعها، فباعها وأتاه بثمنها من غير أن يكون بين الحديثين تضاد. وقد ذهب إلى مدلول كل واحد من الحديثين قائل، فقال بعضهم: كان مهرها رضى الله عنها الدرع، ولم يكن هناك بيضاء ولا صفراء، وقال بعضهم: كان مهرها رضى الله عنها أربعمائة وثمانين درهمًا أو مثقالاً من فضة.

تنبيه آخر: قد تضمن حديث ابن عباس، وحديث على رضى الله عنهما، وحديث أنس - أن الذى حثه على تزويج فاطمة متضاد ولا تضاد بينها؛ لاحتمال أن تكون مولاته حَثَّته أولا، ثم أبو بكر وعمر أو بالعكس، ثم خرج لذلك فلقيه الأنصار فحثوه

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (٩٧٨١) ومن طريقه الطبراني في « الكبير » (٢٤/ ١٣٧-١٣٨) رقم (٣٦٥) وذكره الهيثمي في « المجمع » (٩/ ٢١٣) وقال: ورجاله رجال الصحيح وله طريق آخر بنحوه أخرجه الحاكم (٣/ ١٥٩) والطبراني (٢٤/ ١٣٦/ ١٣٧) رقم (٣٦٤) من طريق أبي يزيد المديني عن أسماء وأبو يزيد المديني: مجهول.

(٢) المثبت من السبل.

(٣) ذكره الصالحي في « سبل الهدى والرشاد » (١١/ ٤٣) وعزاه إلى الضياء المقدسي في المختارة.

على ذلك من غير أن يكون أحدهم علم بالآخر.

تنبيه آخر: يحتمل أن تريد أسماء بما روته فى حديثها عن وليمته رضى الله عنه - ما قام به هو نفسه غير ما جاء به الأنصار من الحيس والتمر؛ جمعًا بين الحديثين، وأن يكون رسول الله ﷺ دفع لها مع ذلك الآصُع من التمر والشعير، وأن يكون ما جاء به الأنصار وليمة الرجال، وما دفعه لها وليمة النساء كما دل عليه حديثها. والله أعلم.

روى الطبرانى برجال الصحيح عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: دخل رسول الله ﷺ بيت فاطمة وعلىّ عندها وهما يضحكان، فلما رأياه سكتا فقال لهما رسول الله ﷺ ما لكما كنتما تضحكان فلما رأيتمانى سكتما ؟ فبادرت فاطمة فقالت: بأبى أنت يارسول الله، قال هذا: أنا أحب إلى رسول الله منك، فقلت: بل أنا أحب إلى رسول الله منك. فتبسم رسول الله ﷺ وقال: أنت ابنتى ولك رقة الولد، وعلىٌّ أعز على منك[(١)]. وفى رواية أبى داود الطيالسى والطبرانى والحاكم والترمذى والبغوى، عن أسامة بن زيد: أن رسول الله ﷺ قال: « أحب أهلى إلى فاطمة » [(٢)].

وروى الطبرانى عن أبى هريرة: أن على بن أبى طالب قال: يا رسول الله، أينا أحب إليك أنا أم فاطمة ؟ فقال عليه الصلاة والسلام: « فاطمة أحب إلى منك، وأنت أعز على منها » [(٣)]. وروى الطبرانى وابن السنى وأبو سعد النيسابورى فى

---

(١) أخرجه الطبراني في « الكبير » (١١/ ٦٦) رقم (١١٠٦٣) وذكره الهيثمي في « المجمع » (٩/ ٢٠٥) وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

(٢) أخرجه أبو داود الطيالسي (٢/ ١٢٩-منحة) رقم (٢٤٨٤) والترمذي (٥/ ٦٧٨) كتاب المناقب: باب مناقب أسامة بن زيد حديث (٣٨١٩)، والحاكم (٢/ ٤١٧)، والطبراني في « الكبير » (١/ ١٥٨) رقم (٣٦٩) من طريق عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن أسامة بن زيد وقال الترمذي: حسن صحيح وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه وتعقبه الذهبي فقال عمر ضعيف قلت: وعمر، قال الحافظ في « التقريب » صدوق يخطىء.

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط (٧٦٧٥) من طريق الحسن بن كثير عن سلمى بن عقبة الحنفي اليمامي ثنا عكرمة بن عمار عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة به وقال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن يحيى بن أبي كثير إلا عكرمة بن عمار ولا رواه عن عكرمة إلا سلمى بن عقبة تفرد به الحسن بن كثير قال الهيثمي في المجمع (٩/ ١٧٦) وفيه سلمى بن عقبة ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات. أهـ قلت: الحسن بن كثير ضعيف، وعكرمة ابن عمار روايته عن يحيى فيها اضطراب.

« شرف النبوة »، عن على رضى الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال لفاطمة: « إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك »[(١)].

وروى الطبرانى عن أسماء بنت عميس - رضى الله عنها - قالت: خطبنى على - رضى الله عنه - فبلغ ذلك فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فأتت رسول الله ﷺ فقالت: إن أسماء متزوجة على بن أبى طالب. فقال: « ما كان لها أن تؤذى الله ورسوله »[(٢)].

وعن ابن عباس والمسور بن مخرمة رضى الله عنهم: أن على بن أبى طالب خطب بنت أبى جهل وعنده فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فلما سمعت ذلك أتت النبى ﷺ فقالت: إن قومك يتحدثون أنك لا تغضب لبناتك، وهذا علىٌ ناكح ابنة أبى جهل. فصعد ﷺ المنبر وقال: « أما بعد فإنى لست أحرّم حلالاً ولا أحلل حرامًا، ولكن إن كنتَ متزوجها فردً علينا بنتنا، والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل واحد أبدًا ». زاد المسور فى روايته: « إن بني هاشم وبنى المغيرة استأذنوني فى أن ينكحوا ابنتهم على بن أبى طالب، فلا آذن لهم إلا أن يحب ابن أبى طالب أن يطلق ابنتى ويتزوج ابنتهم، فإنما ابنتى بضعة منى يريبنى ما رابها ويؤذينى ما آذاها »[(٣)]. أخرجه الشيخان والترمذى. وابنة أبى جهل هذه اسمها جويرية، أسلمت وبايعت، تزوجها عتاب بن أسيد، ثم أبان بن سعيد بن العاص.

---

(١) أخرجه الطبراني في « الكبير » (١/ ١٠٨) رقم (١٨٢)، والحاكم (٣/ ١٥٣-١٥٤) من طريق عبد الله بن محمد بن سالم ثنا حسين بن زيد بن على عن علي بن عمر بن علي عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن الحسين عن الحسين بن علي عن علي وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه وتعقبه الذهبي فقال: بل حسين منكر الحديث لا يحل أن يحتج به وذكره الصالحي في « سبل الهدى » (١١/ ٤٤).

(٢) أخرجه الطبراني (٢٤/ ١٥٢-١٥٣) رقم (٣٩٢) وذكره الهيثمي في « المجمع » (٩/ ٢٠٦) وقال: وفي إسناده من لا أعرفه وذكره الحافظ في: المطالب العالية (٣٩٧٩) وعزاه لأبي بكر بن أبي شيبة.

(٣) أخرجه البخاري (٥٢٣٠،٥٢٧٨)، ومسلم (٢٤٤٩/ ٩٣)، وأحمد (٤/ ٣٢٨)، وفي الفضائل (١٣٢٨)، وأبو داود (٢٠٧١)، والترمذي (٣٨٦٧)، وابن ماجه (١٩٩٨)، وابن حبان (٦٩٥٥)، والبيهقي (٧/ ٣٠٨) من طريق الليث بن سعد عن ابن أبي مليكة عن المسور وقال الترمذي: حسن صحيح وأخرجه البخاري (٣١١٠)، ومسلم (٢٤٤٩/ ٩٥) وأبو داود (٢٠٦٩)، وابن حبان (٦٩٥٦) من طريق الزهري عن علي بن الحسين عن المسور بن مخرمة، به.

قلت: أخبرنى الثقة أنه حضر مجلس الإمام المرحوم المقدس، السيد الشريف الإمام الحق، والقائم الصدق، أمير المؤمنين، المتوكل على الله، إسماعيل بن القاسم، الإمام الداعى بقطر اليمن كأسلافه الطاهرين، نور الله ضريحه، وجعل الرحيق المختوم غبوقه وصبوحه، وكان يقرىء من حديث رسول الله ﷺ صحيح البخارى، والمجلس غاصٌّ بالسادة العلماء، والقادة الفضلاء، وكان إلى جنبه العَلَّامةُ، المستغنى عن التعريف، والعَلاَمَةِ، مجمع بحرى المعقول والمنقول، منبع نهرى الفروع والأصول، مولانا وشيخنا، الفقيه، صالح ابن المرحوم المهدى، عرف بالمقبلى - فقرأ القارىء قطعة من هذا الحديث كما هو شأن البخارى فى اقتطاعه بعض الحديث شواهد لأبواب يترجم لها هى قوله: « فاطمة بضعة منى . . . » إلى آخره، فبين له المرحوم الإمام المعنى من ذلك، فإذا بشخص من الحاضرين هو القارئ عينه قال: يا مولانا، أين عمر بن الخطاب عن هذا الحديث وقد أغضبها وآذاها ؟ فقال الإمام رحمه الله: ما أغضبها ولا آذاها عمر، ولكن هذا والله وأشباهه من أكاذيب الروافض على عمر رضى الله عنه. ثم التفت الإمام إلى الفقيه صالح وقال: ما تقولون ؟ فقال الفقيه: هذا الحديث له أول، وهو وارد عنه عليه الصلاة والسلام بسبب وقصة. وأورد الحديث وقصته هذه المذكورة. فرحم الله من سلف، وأبقى لنا الفقيه فهو خير خلف. انتهى.

وروى الإمام أحمد، والبيهقى فى « الشعب » عن ثوبان رضى الله تعالى عنه، قال: كان رسول الله ﷺ إذا سافر: آخر عهده إتيان فاطمة، وأول من يدخل عليه إذا قدم فاطمة(١). وروى أبو عمر عن أبى ثعلبة: كان عليه الصلاة والسلام إذا قدم من سفر أو غزو بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين، ثم أتى فاطمة رضى الله عنها، ثم أتى أزواجه(٢). وروى أبو داود، والترمذى وحسنه، والنسائى، عن عائشة رضى الله تعالى عنها، قالت: ما رأيت أحدًا أشبه سمتًا ولا هديًا ولا حديثًا برسول الله ﷺ فى قيامها وقعودها من فاطمة(٣). وروى ابن حبان عنها أيضًا: ما رأيت أحدًا أشبه كلامًا

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٧٥) من حديث ثوبان.
(٢) أخرجه ابن عبد البر في « الاستيعاب » (٤/ ٤٤٩) من حديث أبي ثعلبة الخشني.
(٣) أخرجه البخاري في « الأدب المفرد » (٩٤٧، ٩٧١) وأبو داود (٤/ ٣٥٥) كتاب الأدب: باب ما جاء في القيام حديث (٥٢١٧)، والترمذي (٥/ ٧٠٠) كتاب المناقب: باب فضائل =

برسول الله ﷺ من فاطمة رضى الله عنها، إذا دخل ﷺ عليها قامت إليه فقبلته، وأخذت بيده وأجلسته مكانها. فدخلت عليه فى مرضه الذى توفى فيه فأسرَّ إليها فبكت، ثم أسر إليها فضحكت. فقلت: كنت أحسب أن هذه المرأة فضلى على النساء، فإذا هى امرأة منهن، بينا هى تبكى إذا هى تضحك. فلما توفى رسول الله ﷺ سألتها عن ذلك فقالت: أسرَّ إلى أنه ميت فبكيت، ثم أسر إلى أنى أول أهله لحوقًا به فضحكت(١). وروى الطبرانى برجال الصحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: « إن ملكًا فى السماء لم يكن زارنى فاستأذن ربه فى زيارتى، فبشرنى وأخبرنى أن فاطمة سيدة نساء أمتى »(٢). وروى عن عائشة رضى الله عنها: ما رأيت أفضل من فاطمة غير أبيها(٣). وروى أبو يعلى برجال الصحيح عن(٤) عائشة أيضًا قالت: ما رأيت أحدًا كان أصدق لهجة من فاطمة رضى الله عنها إلا أن يكون والدها.

وروى أبو يعلى برجال الصحيح، وابن أبى شيبة عن على رضى الله عنه قال: قلت لأمى فاطمة بنت أسد: أكفى فاطمة بنت محمد سقاية الماء والذهاب فى الحاجة، وتكفيك خدمة الداخل، الطحن والعجن(٥). وروى الطبرانى عن عمران ابن الحصين رضى الله عنه قال: إنى جالس عند رسول الله ﷺ إذ أقبلت فاطمة فقامت بحذاء النبى ﷺ فقال لها رسول الله ﷺ: ادني يا فاطمة. فدنت دنوة. ثم قال: ادني يا فاطمة. فدنت دنوة. ثم قال: ادني يا فاطمة. فدنت حتى قامت بين

= فاطمة بنت محمد ﷺ حديث (٣٨٧٢)، والنسائي في « فضائل الصحابة » (٢٦٤) من طريق عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

(١) هو جزء من الحديث السابق.

(٢) ذكره الهندي في « كنز العمال » (٣٤٢٧٤) وعزاه للطبراني وابن النجار عن أبي هريرة.

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط (٢٧٢١) من طريق روح بن القاسم عن عمرو بن دينار قال: قالت عائشة فذكرته وقال الهيثمي في « المجمع » (٩/ ٢٠٤): رجاله رجال الصحيح قلت: عمرو بن دينار لم يسمع من عائشة.

(٤) أخرجه أبو يعلى (٨/ ١٥٣) رقم (٤٧٠٠) وذكره الحافظ في المطالب (٣٩٨٦) وعزاه لأبي يعلى.

(٥) ذكره الصالحي في « سبل الهدى والرشاد » (١١/ ٤٧) وعزاه إلى أبي يعلى وابن أبي شيبة وذكره أيضًا الهيثمي في « المجمع » (٩/ ٢٥٩) وقال: ورجاله رجال الصحيح.

يديه. قال عمران: فرأيت صفرة قد ظهرت على وجهها وذهب الدم، فبسط رسول الله ﷺ بين أصابعه، ثم وضع كفه بين ترائبها ورفع رأسه فقال: اللهم مشبع الجوعة، وقاضى الحاجة، ورافع الضيقة، لا تجع فاطمة بنت محمد. قال عمران: فرأيت صفرة الجوع قد ذهبت عن وجهها وظهر الدم، ثم سألتها بعد ذلك فقالت: ما جعت بعد ذلك(١).

وروى الإمام أحمد بسند جيد عن على رضى الله عنه: أنه قال لفاطمة رضى الله عنها ذات يوم: لقد سنوتُ حتى اشتكيت صدرى، وقد جاء أباك سبى، فاذهبى فاستخدميه. فقالت: وأنا والله لقد طحنت حتى مجلت يدى. فأتت رسول الله ﷺ فقال: ما جاء بك، أى بنية ؟ قالت: جئت لأسلم عليك. فاستحيتْ أن تسأله ورجعت. فقال لها على: ما فعلت ؟ قالت: استحييت أن أسأله. فأتيا جميعًا رسول الله ﷺ لله فقال على: يارسول الله، لقد سنوت حتى اشتكيت صدرى، وقالت فاطمة: يارسول الله، لقد طحنت حتى مجلت يدى، وقد جاءك الله بسبى وسعة، فأخدمنا. فقال: والله لا أعطيكم وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع لا أجد ما أنفق عليهم، فرجعا، فأتاهما رسول الله ﷺ وقد دخلا فى قطيفتهما إذا غطيت رءوسهما تكشف أقدامهما، وإذا غطيت أقدامهما تكشف رءوسهما، فقال: مكانكما. ثم قال: ألا أخبركما بخير مما سألتما ؟ قالا: بلى. قال: « كلمات علمنيهن جبريل قال: تسبحان دبر كل صلاة عشرًا وتحمدان عشرا وتكبران عشرًا، فإذا أويتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثا وثلاثين واحمدا ثلاثًا وثلاثين وكبرا أربعًا وثلاثين »(٢).

وروى الطبرانى بسند حسن عن فاطمة رضى الله تعالى عنها: أن رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٣٩٩٩) من طريق مسهر بن عبد الملك قال: نا عتبة أبو معاذ البصري عن عكرمة عن عمران بن حصين به وقال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن عكرمة إلا عتبة أبو معاذ تفرد به مسهر بن عبد الملك ولا يروى عن عمران بن حصين إلا بهذا الإسناد. أهـ وقال الهيثمي في « المجمع » (٩/ ٢٠٦-٢٠٧): وفيه عتبة بن حميد وثقه ابن حبان وغيره وضعفه جماعة وبقية رجاله وثقوا. وينظر مجمع البحرين (٣٨١٨).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٧٩، ٨٤، ٩٣، ١٠٨)، والحميدي (٤٤)، والنسائي (٦/ ١٣٥) مختصرًا، وكذا ابن ماجه (٤١٥٢) من طريق عطاء بن السائب عن أبيه عن علي وجوّد إسناده الصالحي في « سبل الهدى الرشاد » (١١/ ٤٨).

أتاها فقال: أين ابناى ؟ يعنى حسنًا وحسينًا. قالت: أصبحنا وليس فى بيتنا شىء يذوقه ذائق. فقال على: أذهب بهما فإنى أخاف أن يبكيا عليك وليس عندك شىء، فأخذهما فذهب بهما إلى فلان اليهودى. فتوجه إليه رسول الله ﷺ فوجدهما فى مربدٍ بين أيديهما فضل من تمر، فقال رسول الله ﷺ: ألا تقلب ابنى قبل أن يشتد الحر ؟ قال على: أصبحنا وليس فى بيتنا شىء، فلو جلستَ يارسول حتى أجمع لفاطمة تمرًا. فكان يجمع لها بعمله فى كل دلو يمتحه تمرة. فجلس رسول الله ﷺ حتى اجتمع لفاطمة شىء من التمر، فجعله علىّ فى حجزته. ثم أقبل فحمل النبىُّ - ﷺ أحدهما، وحمل علىٌّ الآخر حتى أقبلا بهما(1).

وروى الإمام أحمد عن أنس رضى الله عنه: أن بلالاً - رضى الله عنه - أبطأ عن صلاة الصبح، فقال له رسول الله ﷺ: ما حبسك ؟ قال: مررت بفاطمة وهى تطحن والصبى يبكى فقلت: إن شئت كفيتك الرحى وكفيتنى الصبى، وإن شئت كفيتك الصبى وكفيتنى الرحى. فقالت: أنا أرفق بابنى منك، فذاك الذى حبسنى(2).

وروى البزار، وتمام في فوائده، والطبراني، وابن عدى، والعقيلى، والحاكم، عن ابن مسعود، وابن شاهين، وابن عساكر من طريق آخر عنه(3)، والطبرانى فى « الكبير » بسند رجاله ثقات، عن ابن عباس رضى الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: « فاطمة أحصنت فرجها فحرمها الله عزَّ وجل وذريتها على النار »(4) زاد

---

(1) أخرجه الطبراني في « الكبير » (٢٢/٤٢٢) رقم (١٠٤٠) وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٠/٣١٩) وقال: وإسناده حسنٌ.

(2) أخرجه أحمد (٣/ ١٥٠-١٥١) من حديث أنس بن مالك.

(3) أخرجه البزار والطبراني كما في « المجمع » (٩/ ٢٠٥)، والعقيلي في « الضعفاء الكبير » (٣/ ١٨٤)، وابن عدي في « الكامل » (٥/ ١٧١٤)، والحاكم (٣/ ١٥٢)، وابن حبان في « المجروحين » (٢/ ٨٨) وابن الجوزي في « الموضوعات » (٧٨١، ٧٨٢) كلهم من طريق عمر بن غياث عن عاصم عن زر عن عبد الله، به. وقال الهيثمي في « المجمع »: وفيه عمر ابن غياث وهو ضعيف وحكم عليه ابن الجوزي بالوضع وصححه الحاكم فتعقبه الذهبي فقال: بل ضعيف وقد توبع عمر على هذا الحديث تابعه تليد بن سليمان أخرجه ابن شاهين وابن عساكر كما في « تنزيه الشريعة » (١/ ٤١٧) وهو ضعيف رافضى.

(4) أخرجه الطبراني في « الكبير » (١١/ ٢٦٣) رقم (١١٦٨٥) بلفظ: إن الله غير معذبك ولا ولدك وقال الهيثمي في « المجمع » (٩/ ٢٠٥): رواه الطبراني ورجاله ثقات. وتعقبه الألباني في « الضعيفة » (٤٥٧).

العقيلى: قال أبو كريب: « هذا للحسن والحسين ولمن أطاع الله منهم »[١] وفى لفظ: « إن الله عز وجل غير معذبك ولا ولدك »[٢]. وروى الخطيب البغدادى أن الإمام على بن موسى الرضا سئل عن هذا الحديث فقال: هذا خاص بالحسن والحسين. قال العلامة محمد الشامى: الصواب أن هذا الحديث سنده قريب من الحسن، والحكم عليه بالوضع غلط[٣]. وروى تمام والحاكم والطبرانى عن على رضى الله عنه[٤]، وأبو بكر الشافعى عن أبى هريرة[٥]، وتمام عن أبى أيوب[٦]، وأبو الحسين بن بشران والخطيب عن عائشة[٧] والأزدى عن أبى سعيد[٨] رضى الله تعالى عنهم بأسانيد ضعيفة إذا انضم بعضها إلى بعض أفاد قوة: أن رسول الله ﷺ قال:

(١) ينظر: الضعفاء الكبير (٣/ ١٨٤).
(٢) هذا لفظ حديث ابن عباس وقد تقدم تخريجه في فضائل العباس.
(٣) ينظر سبل الهدى والرشاد (١١/ ٥٠).
(٤) أخرجه تمام الرازي في « فوائده » (١٤٩١-الروض البسام) والحاكم (٣/ ١٥٣) كلاهما من طريق العباس بن الوليد بن بكار عن خالد الواسطي عن بيان عن الشعبي عن أبي جحيفة عن علي وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وتعقبه الذهبي فقال: لا والله بل موضوع والعباس قال الدارقطني كذاب وذكره ابن الجوزي في الموضوعات (١/ ٢٢٩) من هذا الطريق وقال: قال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به، وقال الدارقطني: كذاب. وقد توبع العباس على هذا الحديث تابعه عبد الحميد بن بحر أخرجه الحاكم (٣/ ١٦١)، والطبراني في الأوسط (٢٣٨٦). وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. قلت: عبد الحميد بن بحر، ضعفه الدارقطني، وقال ابن حبان وابن عدي: يسرق الحديث، اللسان (٣/ ٣٩٥). وقال الهيثمي في « المجمع » (٩/ ٢١٥) وفيه عبد الحميد بن بحر وهو ضعيف.
(٥) أخرجه أبو بكر الشافعي في « الغيلانيات » كما في اللآلئ (١/ ٤٠٣) وفي إسناده عمرو بن زياد الشوباني قال ابن عدي: يسرق الحديث ويحدث بالبواطيل وكذبه أبو زرعة وقال الدارقطني: يضع الحديث وهذا الحديث ذكره الذهبي في « الميزان » (٥/ ٣١٦) وقال: فواضعه عمرو وتبعه الحافظ في اللسان (٤/ ٤١٨).
(٦) أخرجه أبو بكر الشافعي في « الغيلانيات » كما في اللآلئ (١/ ٤٠٣) حدثنا محمد بن يونس ثنا حسين الأشقر ثنا قيس بن الربيع عن سعد بن طريف عن الأصبغ بن نباتة عن أبي أيوب به وقال السيوطي: محمد بن يونس هو الكديمي وهو والثلاثة فوقه متروكون.
(٧) أخرجه الخطيب في « تاريخه » (٨/ ١٤١) وابن بشران في فوائده كما في اللآلئ (١/ ٤٠٣) وفي إسناده الحسين بن معاذ بن حرب وقد اضطرب في إسناده وينظر اللسان(٢/ ٣٥٨-٣٥٩).
(٨) أخرجه الأزدي في الضعفاء كما في « اللآلئ » (١/ ٤٠٤) من طريق داود بن إبراهيم العقيلي عن خالد بن عبد الله الطحان عن الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال السيوطي: قال الأزدي داود مجهول.

« إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ من بطنان العرش: يأيها الناس - وفى لفظ: يأهل الجمع - غضوا أبصاركم ونكسوا رءوسكم حتى تجوز فاطمة بنت محمد ﷺ إلى الجنة ». وفى لفظ: « حتى تمر على الصراط، فتمر وعليها ريطتان خضراوتان »(١).

ذكر أولادها رضى الله تعالى عنها وعنهم: قال الليث بن سعد رحمه الله تعالى: تزوج على

فاطمة رضى الله تعالى عنهما فولدت له حسنًا وحسينًا ومحسِّنا - بميم مضمومة فحاء مهملة فسين مشددة مكسورة - وزينب وأم كلثوم ورقية وقال: ماتت صغيرة دون البلوغ(٢).

وسيأتى ذكر الحسن فى خلافته، وذكر الحسين فى خلافة يزيد بن معاوية إن شاء الله تعالى. وأما محسِّن فمات صغيرًا. وكلهم ولدوا قبل وفاته عليه الصلاة والسلام.

وتزوجت زينب بنت فاطمة ابن عمها عبد الله بن جعفر بن أبى طالب وماتت عنده، وقد ولدت له عليًا وعونًا وجعفرا وعباسًا وأم كلثوم. قال الشامى فى سيرته: أولاد زينب المذكورة من عبد الله بن جعفر موجودون بكثرة، العقب منه فى على وأخته أم كلثوم، ابنى عبد الله بن جعفر، ويقال لمن ينسب لهؤلاء: جعفرى.

ولا ريب أن لهؤلاء شرفًا، وتكلم عليهم من عشرة أوجه: الأول: أنهم من آل النبى وأهل بيته بالإجماع، لأن آله هم المؤمنون من بنى هاشم والمطلب. الثانى: أنهم من ولده وذريته بالإجماع. الثالث: أنهم يشاركون الحسن والحسين وينسبون إلى النبى ﷺ وفرق بين من يسمى ولد النبى وبين من ينسب إليه.

الرابع: هل يطلق عليهم أشراف ؟ والجواب الشرف على اصطلاح أهل مصر يطلق على أنواع: عام لجميع أهل البيت وخاص بالذرية، فيدخل فى الأول الزينبيون، والثانى وهو أخص منه شرف النسبة، وهو مختص بالحسن والحسين.

الخامس: تحرم عليهم الصدقة بالإجماع لأن بنى جعفر من الآل. السادس: يستحقون سهم ذوى القربى بالإجماع.

---

(١) هذا لفظ الحاكم وقد تقدم تخريجه.
(٢) ينظر سبل الهدى والرشاد (١١/ ٥٠-٥١).

السابع: يستحقون من وقف بركة الحبش بالإجماع لأن نصفها وقف على الأشراف، وهم أولاد الحسن والحسين، ونصفها على الطالبيين، وهم ذرية على بن أبى طالب: محمد ابن الحنفية وإخوته جعفر بن أبى طالب وذرية عقيل بن أبى طالب، وثبت هذا الوقف على هذا الوجه عند قاضى القضاة بدر الدين بن يوسف السنجارى ثانى عشر ربيع الآخر سنة أربعين وستمائة، ثم اتصل ثبوته عند شيخ الإسلام العز بن عبد السلام فى تاسع عشر ربيع الآخر من السنة المذكورة، ثم اتصل ثبوته عند قاضى القضاة بدر الدين بن جماعة، ذكر ذلك ابن المتوج فى كتابه « إيقاظ المتأمل ».

الثامن: هل يلبسون العلامة الخضراء ؟ الجواب: لا يمنع منها من أرادها من شريف أو غيره، يعنى من المذكورين، ولا يؤمر بها من تركها من شريف أو غيره؛ لأنها إنما حدثت سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة بأمر الملك الأشرف شعبان بن حسن ابن محمد بن قلاوون ملك مصر، أقصى ما يكون أنه أحدث التميز بها لهؤلاء من ذرية الحسن والحسين عن غيرهم، وقد يستأنس لاختصاصها بهم بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ ﴾ [الأحزاب: ٥٩] فقد استدل بها بعض العلماء على تخصيص أهل العلم بلباس يختصون به من تطويل وإدارة طيلسان ونحو ذلك ليعرفوا فيجلوا تكريمًا للعلم ويسألوا ويمتثل قولهم؛ إذ عظم الهيئة له دخل أى دخل، وهذا وجه حسن والله أعلم.

التاسع: هل يدخلون فى الوصية على الأشراف أم لا ؟ .

العاشر: هل يدخلون في الوقف على الأشراف أم لا ؟ الجواب: إن وجد من الموصى والواقف نصٌّ يقتضى دخولهم أو خروجهم اتبع، وإلا فقاعدة الفقه أن الوصية والوقف ينزلان على عرف البلد، وعرف مصر - من عهد الخلفاء الفاطميين إلى الآن - أن الأشراف لقب لكل حسنى وحسينى فلا يدخلون على مقتضى هذا العرف، وإنما دخلوا فى وقف بركة الحبش لأن واقفها نصَّ على أن نصفها على الأشراف ونصفها على الطالبيين[1].

ولم يكن لرسول الله ﷺ عقب إلا من ابنته فاطمة رضى الله عنها، فانتشر نسله الشريف منها من جهة السبطين الحسن والحسين فقط، ويقال للمنسوب لأولهما

(١) ينظر سبل الهدى والرشاد (١١/ ٥١-٥٢).

حسنى ولثانيهما حسينى، وقد يضم للحسينى من يكون من ذرية إسحاق بن جعفر الصادق ابن محمد الباقر ابن على زين العابدين ابن الحسين بن على بن أبى طالب الإسحاقى، فيقال: الحسينى الإسحاقى، وإن إسحاق هذا هو زوج السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن على، ويقال: بنت زيد بن الحسن، فالحسن أخوها لا أبوها والأكثرون على الأول، ولد له منها القاسم وأم كلثوم ولم يعقب.

وأما الجعافرة المنسوبون إلى عبد الله بن جعفر، فلهم - أيضًا - شرف لكنه يتفاوت، فمن كان منهم من زينب بنت فاطمة الزهراء رضى الله عنها فهو الشرف، ومن كان من ولده من غيرها، مع كون من كان من زينب لا يوازون شرف المنسوبين للحسن والحسين لمزيد شرفهما. وكذا يوصف العباسيون بالشرف لشرف بنى هاشم. قال الحافظ ابن حجر فى « الألقاب »: وقد لقب به - يعنى الشرف - كل عباسى ببغداد وعلوى بمصر. وفى شيوخ ابن الرفعة شخص يقال له: الشريف العباسى.

وأما أم كلثوم فتزوجها عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكانت صغيرة دون البلوغ حال خطبتها، روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه جاء إلى على - رضى الله عنه وكرم وجهه - فى عدة من المهاجرين والأنصار يخطب ابنته أم كلثوم فقال: أما والله ما بى من توقٍ إلى شهوة، ولكنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: « كل نسب وسبب وصهر منقطع يوم القيامة إلا نسبى وسببى وصهرى »؛ فأحببت أن آخذ بمصاهرة رسول الله ﷺ فقال له على رضى الله عنه: إنها صغيرة. فقال: قد قبلت. فزوجه بها. فأرسلها على رضى الله عنه ذات يوم إلى عمر رضى الله عنه بقطيفة فقالت له: يقول لك أبى انظر إلى هذه القطيفة. فلما أقبلت إلى عمر وأخبرته بما قال لها أبوها وأرته القطيفة، قال عمر: قولى لأبيك قد رأينا وقبلنا. ثم إنه لمس ساقها فنهرته، وأتت إلى أبيها غضبى وقالت: أرسلتنى إلى شيخ مجنون لمس ساقى، والله لولا أنه أمير المؤمنين لهشمت أنفه. فقال لها: إنه زوجك، فقد زوجتك إياه. وأرسل لها عمر أربعين ألفًا مهرًا وبنى بها رضى الله عنه، وقتل عنها بعد أن ولدت له زيدًا الأكبر ورقية[1]. فأما زيد الأكبر فعاش إلى أن ارتحل، فرمى فى حنين بحجر مات به،

---

(١) أخرجه ابن عدي في « الكامل » (١/ ٢٧٢) مختصرًا دون ذكر القصة، والخطيب في « تاريخ بغداد » (٦/ ١٨٢) من طريق إبراهيم بن رستم ثنا الليث بن سعد حدثني موسى بن علي =

أصابه به خالد بن أسلم مولى أبيه عمر بن الخطاب رضى الله عنه خطأ، ولم يترك عقبًا. كذا فى « الجمع الغريب »[(١)].

وأما رقية فتزوجها إبراهيم بن نعيم النحام وماتت عنده وليس لها عقب. قال فى « وسيلة المآل » قال ابن إسحاق: حدثنى والدى إسحاق، حدثنى بشار، عن الحسن المثنى ابن الحسن السبط قال: لما تأيمت أم كلثوم من عمر بن الخطاب دخل عليها أخواها الحسن والحسين فقالا لها: أنت كما عرفت بنت سيدة نساء العالمين، وإنك والله إن أمكنت عليًا لينكحنك بعض أبنائه، وإن أردت أن تصيبى بنفسك مالاً عظيمًا لتصيبينه. فوالله ما قاما حتى دخل على رضى الله عنه على فحمد الله وأثنى عليه، ثم ذكر منزلتهم من رسول الله ﷺ فقالوا: صدقت رحمك الله وجزاك عنا خيرًا. ثم قال: أى بنية، إن الله قد جعل أمرك بيدك، فأنا أحب أن تجعليه بيدى. فقالت: أى أبت، إنى والله امرأة أرغب فيما ترغب فيه النساء، وأحب أن أصيب ما تصيب النساء من الدنيا، وإنى أريد أن أنظر فى أمر نفسى. فقال: لا والله يا بنتى ما هذا من رأيك، ما هو إلا رأى هذين. ثم قام فقال: والله لا أكلم أحدًا منهما أو تفعلين. فأخذا بثيابه وقالا: اجلس يا أبت، فوالله ما على هجرتك من صبر، اجعلى أمرك بيده. فقالت: قد جعلت. فقال: قد زوجتك من عون بن جعفر - يعنى ابن أخيه - وإنه لغلام. ثم رجع على رضى الله عنه إلى بيته وبعث إليها بأربعة آلاف درهم، وبعث إلى ابن أخيه عون فأدخلها عليه[(٢)]. قال راويه الحسن بن الحسن: فوالله ماسمعت بمثل عشق منها له منذ خلقنى الله عز وجل، فهلك عنها، فزوجها والدها على رضى الله عنه من أخى عون بن جعفر، محمد بن جعفر، فولدت له جارية ماتت صغيرة ثم هلك عنها، ثم زوجها من أخيهما عبد الله بن جعفر، فماتت عنده ولم تلد له شيئًا فلا عقب لها.

= ا بن رباح عن أبيه عن عقبة بن عامر به وقال ابن عدي: إبراهيم ليس بمعروف منكر الحديث عن الثقات وللحديث شواهد وطرق كثيرة أتى عليها الشيخ الألباني وينظر الصحيحة (٢٠٣٦).

(١) ينظر الاستيعاب (٤/ ٥١٠)، وأسد الغابة (٧/ ٣٧٨)، والإصابة (٨/ ٤٦٤-٤٦٦).

(٢) أخرجه ابن الأثير في « أسد الغابة » (٧/ ٣٧٨)، وأبو بشر الدولابي في « الذرية الطاهرة » كما في الإصابة (٨/ ٤٦٥) من طريق ابن إسحاق.

وكان موتها هي وولدها من عمر المسمى زيدًا الأكبر، المقتول خطأ بيد خالد بن أسلم مولى زوجها عمر - رضى الله عنه - فى وقت واحد، وصلى عليهما ابن عمر، قدَّمه الحسن بن على، وكان فيهما سنّتان: إحداهما عدم توريث أحدهما من الآخر، والأخرى تقديم زيد على أمه مما يلى الإمام، حكاه أبو عمر[١]. قلت: لا يشكل على قوله « صلى عليهما » ما تقدم من أن زيدًا رمى فى حنين خطأ؛ لجواز تأخر موته به إلى وقت موت أمه. والله أعلم.

رأيت فى « تاريخ ابن السبكى » فى حوادث سنة ست وخمسين وثلاثمائة قال: استهلت والخليفة المطيع لله العباسى والسلطان معز الدولة أحمد بن بويه الديلمى، وعملت الروافض فى يوم عاشوراء بدعتهم الشنعاء وداهيتهم الصلعاء، من تغليق الدكاكين، وتعليق المسوح السود، ونشر النتن فى الأسواق والجيف، وخروج النساء حاسرات عن وجوههن وصدورهن ينحن على الحسين. ولما كان ثالث عشر ربيع الأول توفى معز الدولة بعلة الذرب، وصار لايثبت فى معدته شيء بالكلية، ولما أحس بالموت أظهر التوبة عن سب الشيخين، وأناب إلى الله عز وجل، وردَّ كثيرًا من المظالم، وتصدق بكثير من أمواله وأعتق خلقًا كثيرًا من مماليكه، وعهد إلى ابنه بختيار عز الدولة بن معز الدولة، وسببه أنه كان قد اجتمع ببعض العلماء فكلمه فى السنّة والترضى، وأخبره أن عليًا زَوَّجَ ابنته أم كلثوم من عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فقال: والله ما سمعت بهذا قط ! ورجع إلى السنّة والترضى ومتابعة الأمة بذلك.

ذكر وفاة فاطمة رضى الله عنها: روى بأسانيد رجالُ أحدها رجال الصحيح، عن عائشة رضى الله تعالى عنها، قالت: توفيت فاطمة بعد رسول الله ﷺ بستة أشهر، ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من رمضان سنة إحدى عشرة من الهجرة، ودفنها على بن أبى طالب ليلاً[٢]. وروى الطبرانى برجال الصحيح - إلا أن جعفرًا لم يدرك القصة ففيه انقطاع - عن جعفر بن محمد بن على - رضى الله عنهم - قال: مكثت فاطمة بعد رسول الله ﷺ ثلاثة أشهر، وما رؤيت ضاحكة بعد رسول الله ﷺ إلا أنهم

(١) ينظر: الاستيعاب (٤/ ٥١٠).
(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٢/ ٣٩٨-٣٩٩) رقم (٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤) وذكره الهيثمي في « المجمع » (٩/ ٢١٤) وقال: رواه الطبراني بأسانيد ورجال أحدهما رجال الصحيح.

امتروا فى طرف نابها[(١)]. وروى الطبرانى عن عبد الله بن محمد بن عقيل منقطعًا - لأن عبد الله لم يدرك القصة - أن فاطمة رضى الله تعالى عنها لما حضرتها الوفاة أمرت عليًا فوضع لها، فاغتسلت وتطهرت، ودعت بثياب أكفانها ثياب غلاظ خشن، فلبستها ومست من حنوط، ثم أمرت عليًا ألاَّ تكشف إذا قبضت، وأن تدرج كما هى[(٢)]. وروى الإمام أحمد بسند فيه من لا يعرف عن أم سلمة قالت: اشتكت فاطمة بنت رسول الله ﷺ شكواها التى قبضت فيها فكنت أمرِّضها، فأصبحت يومًا كأمثل ما رأيتها فى شكواها، قالت: وخرج على لبعض حاجة فقالت: يا أمه، اسكبى لى غسلاً فسكبت لها غسلاً فاغتسلت كأحسن ما رأيتها تغتسل. ثم قالت: يا أمه، أعطينى ثيابى الجدد فأعطيتها فلبست. ثم قالت: يا أمه، قدمى فرشى وسط البيت ففعلت، فاضطجعت واستقبلت القبلة وجعلت يدها تحت خدها ثم قالت: يا أمه، إنى مقبوضة الآن وقد تطهرت فلا يكشفنى أحد. فقبضت مكانها. فجاء علىٌّ فأخبرته بالذى قالت وبالذى أمرتنى، فقال على رضى الله تعالى عنه: والله لا يكشفها أحد، فاحتملها فدفنها بغسلها ذلك ولم يكشفها ولا غسلها أحد[(٣)].

وروى أبو نعيم عن فاطمة بنت رسول الله ﷺ: أنها قالت لأسماء بنت عميس: يا أسماء، إنى قد استقبحت هذا الذى يصنع بالنساء، يطرح على المرأة الثوب فيصفها. قالت أسماء: يابنة رسول الله، ألا أريك شيئًا رأيته بالحبشة ؟ فدعت بجريد رطب فحنته[(٤)] ثم ألقت عليه ثوبًا فقالت فاطمة: ما أحسن هذا [وأجمله][(٥)]؛ تعرف به المرأة من الرجل، فإذا أنا مت فغسلينى أنت وعلى، ولا يدخل علىَّ أحد، ثم اصنعى بى هكذا. فلما توفيت صنع بها ما أمرت به بعد أن غسلتها أسماء وعلي[(٦)].

---

(١) أخرجه الطبراني في « الكبير » (٢٢/ ٣٩٩) رقم (٩٩٥) من طريق عبد الرزاق عن ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي جعفر.

(٢) أخرجه الطبراني في « الكبير » (٢٢/ ٣٩٩) رقم (٩٩٦)، وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٩/ ٢١٤) وقال: وعبد الله بن محمد لم يدرك القصة فالإسناد منقطع.

(٣) أخرجه أحمد (٦/ ٤٦١-٤٦٢) وذكره الهيثمي في « المجمع » (٩/ ٢١٣-٢١٤) وقال رواه أحمد وفيه من لم أعرفه.

(٤) في السبل: بجرائد رطبة فحنتها.

(٥) المثبت من السبل.

(٦) ذكره الصالحي في « سبل الهدى والرشاد » (١١/ ٤٩-٥٠) وعزاه لأبي نعيم في الحلية.

وروى أنها لما توفيت - رضى الله عنها - جاءت عائشة - رضى الله عنها - تريد أن تدخل على غسلها فقالت لها أسماء: لا تدخلى. فرجعت إلى أبيها أبى بكر فشكت إليه وقالت: إن هذه الخثعمية - تعنى أسماء بنت عميس - تحول بينى وبين بنت رسول الله ﷺ وتمنع النساء أن يدخلن على بنت رسول الله ﷺ وجعلت لها مثل هودج العروس، فقالت أسماء: أمرتنى ألاَّ يدخل عليها أحد، وأريتها هذا الذى صنعته وهى حية فأمرتنى أن أصنع ذلك لها. فقال أبو بكر رضى الله عنه: اصنعى ما أمرتك به. ثم انصرف. قلت: حديث أسماء هذا مضاد لحديث أم سلمة وفيه من لا يعرف كما ذكره الأئمة النقاد. والله أعلم.

وتوفيت وسنها ثمان وعشرون سنة، كذا فى « الصفوة ». وفى « ذخائر العقبى »: تسع وعشرون سنة. وقال عبد الله بن حسن بن على بن أبى طالب: ابنة ثلاثين سنة. وقال الكلبى: ابنة خمس وثلاثين سنة. ومنشأ هذا الاختلاف الاختلافُ فى مولدها: هل كان قبل النبوة أو بعدها ؟ وقد علمت أن الأصح من مولدها أنه كان قبل النبوة بخمس سنين حال بناء قريش الكعبة وسنه عليه الصلاة والسلام إذ ذاك خمس وثلاثون سنة، وماتت سنة إحدى عشرة من الهجرة فى رمضان كما تقدم، فتكون سنها حين ذلك تسعًا وعشرين على ماذكره صاحب « ذخائر العقبى ».

وعن مالك، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده على بن الحسين قال: ماتت فاطمة بين المغرب والعشاء فحضرها أبو بكر وعمر وعثمان والزبير وعبد الرحمن بن عوف، فلما وضعت ليصلى عليها قال على: تقدم يا أبا بكر، قال أبو بكر: وأنت شاهد يا أبا الحسن ؟ قال: نعم تقدم، فوالله لا يصلى عليها غيرك. فصلى عليها أبو بكر، ودفنت ليلاً. أخرجه البصرى، وابن السمان فى « الموافقة »[١].

وهذا مغاير لما جاء فى الصحيح أن عليا لم يبايع أبا بكر حتى ماتت فاطمة[٢]، وجريان هذا مع عدم المبايعة يبعد فى الظاهر والغالب. وإن جاز أن يكونوا لما سمعوا بموتها حضروها، فاتفق ذلك ثم بايع بعده، كذا فى « الرياض النضرة ».

(١) قد رواه عن مالك بعض المتروكين كما قال الحافظ في الإصابة (٨/ ٢٦٧). وقال: ووهاه الدارقطني وابن عدي.
(٢) أخرجه مسلم رقم (١٧٥٩).

وأما موضع قبرها رضى الله عنها فذكره الحافظ أبو عمر بن عبد البر: أن الحسن لما توفى دفن إلى جانب أمه فاطمة بنت رسول الله ﷺ [١]، وقبر الحسن معروف بجنب قبر العباس. ويذكر لفاطمة ثمة قبر، فتكون على هذا مع الحسن فى قبة العباس، فينبغى أن يسلم عليها هنالك. وروى أن أبا العباس المرسى كان إذا زار البقيع وقف أمام قبة العباس، وسلم على فاطمة رضى الله عنها. ويذكر أنه كشف له عن قبرها ثمة. وعن عبد الرحمن بن جعفر بن محمد أنه كان يقول: قبر فاطمة بيتها الذى أدخله عمر بن عبد العزيز فى المسجد[٢].

مروياتها فى كتب الأحاديث ثمانية عشر حديثًا، المتفق عليه منها واحد، والباقى فى سائر الكتب. رضى الله تعالى عنها

* * *

(١) ينظر الاستيعاب (١/ ٤٤٢).
(٢) وفي تحديد مكان قبرها -رضي الله عنها- أقوال أخرى وينظر الإصابة (٨/ ٢٦٨).



فهرس موضوعات الجزء الأول

* * *

